

القبائل العربية في بلاد الشام منذ ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الأموي

دكتور
محمد عزب دسوقي

كلية الآداب - جامعة المنوفية
شبين الكوم - جمهورية مصر العربية



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٨

الاخراج الفنى :

ادارة التيبو

إهداء

الى روح والى دى

طيب الله ثراها

مقدمة

القبائل العربية في بلاد الشام منذ ظهور الاسلام الى نهاية العصر الأموي

تتناول الدراسة المقدمة موضوعا لعله من أهم موضوعات التاريخ الاسلامي وهو القبائل العربية في بلاد الشام منذ ظهور الاسلام الى نهاية العصر الأموي ، وقد وقع اختيارنا على دراسة الوجود العربي في بلاد الشام باعتباره الامتداد الطبيعي لبلاد العرب من جهة الشمال ، ولقصد العلاقة بينهما منذ فجر التاريخ ، ولأنها كانت موضع اهتمام النبي ﷺ طوال حياته وحتى مماته ، هذا فضلا عن أن ظهور الاسلام أحدث تطورا كبيرا وسريعا في حياة القبائل العربية في هذه البلاد وخاصة بعد فتحها بما لم يكن منتظرا أو متوقعا .

ومما لا شك فيه أن هناك ارتباطا وثيقا بين التاريخ والأنساب وهي تشكل الى حد كبير الهيكل العظمي للتاريخ الاسلامي ولا يتأتى فهم وقائع هذا التاريخ الا بمعرفة أنساب العرب لارتباطها الوثيق برجالاته وصانعي أحداثه ، فالأحداث التاريخية لا تنفصل عن ذوات القائمين بها ، وكثيرا ما عولج تاريخ البلاد معالجة تاريخية لا تهتم بالعناصر التي أوجدتها أو شاركت فيها ، ولذلك كانت دراستنا مزيجا بين التاريخ والأنساب ومحاولة لاسناد كل حدث الى من قام به قدر الطاقة بغرض تعميق المعرفة التاريخية وتأصيل قيمتها .

ولعل في هذه الدراسة ما يشير الى نمط جديد في معالجة الكتابة التاريخية تربط بين الحدث وفاعله وهو الذي من أجله اخترنا موضوع البحث ابرازا لدور هذه القبائل في صنع تاريخ بلاد الشام في فترة الدراسة التي نحن بصددتها .

فالمسلمون الذين صنعوا أحداث التاريخ الاسلامي والذين تحدثت عنهم الكثير من المصادر التاريخية هم جماع قبائل عربية متعددة على اختلاف أصولها ومشاربها ، ومن ثم فلم يعد كافيا لدينا القول بأن المسلمين فعلوا كذا أو ساهموا في كذا وإنما بات من الضروري التحديد والتخصيص لأن الأنساب القبلية وعصبيات القبائل واتجاهاتها كان لها تأثير مباشر على سلوكها وسياساتها تجاه نفسها وتجاه غيرها من القبائل وتجاه الخلفاء والدولة مما يفسر كثيرا من أحداث تلك الفترة وتاريخها .

وهذا فضلا عن أنه يؤكد الحدث التاريخي بما لا يدع مجالا للشك فيه فانه يلقي الضوء على المسلمين الذين ذكرهم كثير من المؤرخين بصفاتهم دون أنسابهم وقبائلهم عند الحديث عن كثير من وقائع التاريخ وأحداثه وخاصة أن المسلمين الذين انساحوا في البلاد في أعقاب حركة الفتوحات الكبرى هم مجموع قبائل عدنانية وقحطانية كثيرة متشعبة الأصول والأنساب مما يفرض علينا الامام بأنسابها . ولعل في قوله تعالى : « شعوبيا وقبائل لتعارفوا » اشارة لنا لكي نتعلم الأنساب . وقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فان صلة الرحم محبة في الأهل مثراة في المال منسأة في الأجل » . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « تعلموا أنسابكم تصلوا أرحامكم ولا تكونوا كنبط السواد اذا سئل أحدهم : ممن أنت ؟ قال : من قرية كذا » (١) .

ومن هذا المنطلق كانت معالجتنا لدراسة هذه القبائل معالجة حيوية في اطار من الأحداث التاريخية التي اندمجت فيها بعيدا عن الجداول الرقمية والاحصاءات الجامدة التي قد لا تصلح لدراسة التاريخ معتمدين في ذلك على قدر لا بأس به من المصادر الأصلية والمراجع النجادة التي انعكست مادتها على عناصر موضوع بحثنا كما يتبين من العرض والدراسة لأهمها وما أوردته قائمة المصادر والمراجع المثبتة .

وقد اتبعنا في هذا البحث منهجا جامعا لبيان مقصدنا بالنسبة لزمان الدراسة ومكان البحث ، فتناولنا فترة ما قبل الاسلام ثم العهد النبوي

(١) ابن عبد البر : الانباه على قبائل الرواة : ص ١٢ .

وزمن الفتوحات بالنسبة للشام والحروب القبلية قبل العهد الأموي
وفي صدره .

أما فترة ما قبل الاسلام فقد تناولنا فيها بإيجاز الهجرات القديمة
من شبه الجزيرة العربية الى بلاد الشام وسيادة قبائل قضاة بها وركزنا
على قبائل الأزد الذين كان منهم الغساسنة ملوك الشام قبل الاسلام وذلك
في وقت خروجهم من اليمن وحتى استقرارهم في المهجر وسلسلة
ملوكهم .

أما الباب الثاني فقد تناولنا فيه العلاقات بين قبائل الشام
وعرب الحجاز في العهد النبوي وذلك من حيث الموقف العدائي لهذه
القبائل من الاسلام وكان معظم تلك القبائل من المنتصرة ، وبيننا جهاد
النبي ﷺ ضدهم وسلسلة سراياه وغزواته اليهم وقدم بعض وفودهم
اليه بالمدينة .

أما الباب الثالث فيتناول الوجود العربي في بلاد الشام
بعد الفتح الاسلامي من حيث القبائل التي اشتركت في معارك الفتح
وكانت صاحبة الفضل والسبق فيها ، ثم القبائل التي وردت البلاد بعد
فتحها وأنسابها والمناطق التي استقرت فيها وموقف قبائل غسان بزعامه
جبله بن الأيهم من المسلمين وأخيرا الصورة النهائية لتوزيع القبائل العربية
في بلاد الشام بعد الانتهاء من معارك الفتح .

وفي الباب الرابع رؤية قبلية وتصوير دقيق للحرب بين قبائل
الشام والعراق تلك الحرب التي انتهت بمقتل علي بن أبي طالب وانتهاء
خلافة الراشدين وقيام الدولة الأموية .

أما الباب الخامس والأخير فهو يتناول العصبية القبلية في أهل الشام
من قيس ويمن وقيس وتغلب باعتبارها السبب الأول من أسباب انهيار
هذه الدولة وزوالها بسبب ما جرت اليه من حروب شرسة في مرج راهط
وتوابعها وما جاءت به من سفك للدماء في ديار مضر والجزيرة الفراتية
بين قيس وتغلب وكيف كان موقف الخلفاء من هذه الحروب والفتن في
صدر الدولة وفي نهايتها بما يوضح أن القبائل التي أقامت الدولة بعد
انتصارها في الصراع ضد علي وأهل العراق هي التي أسقطتها بعد
هزيمتها في صراعها ضد العباسيين وأهل فارس .

القبائل العربية في بلاد الشام منذ ظهور الاسلام الى نهاية العصر الأموي عرض ودراسة لأهم المصادر

تعتبر الدراسة المقدمة عن القبائل العربية في بلاد الشام في الفترة المذكورة محاولة للربط بين الحدث وقاعله ، واسناد الأمور الى من قاموا بها وذلك بغرض تعميق المعرفة التاريخية وتأصيل قيمتها ، ومن ثم فقد جاءت هذه الدراسة مزيجاً من الأنساب والتاريخ للارتباط الوثيق بينهما ، فقد اهتم العرب بأنسابهم اهتماماً كبيراً حتى لا تكاد نعرف أمة من الأمم القديمة أو الحديثة عنيت بأنسابها عناية العرب بأنسابهم ولا تكاد نعرف أمة من الأمم عاش ماضيها في حاضرها كأمة العرب ، يدل على ذلك كثرة المصادر التي تناولت أنساب القبائل وترجمت لمشاهير علماء النسب كما أن حفظ الأنساب كان ميزة ومفخرة لأولئك الذين اشتغلوا بها فذاع صيت كثير من رجالات العرب بسبب حفظهم للأنساب .

وقد خدمت دراسات الأنساب علم التاريخ في المادة وفي خطة الكتابة (٢) فلما ازدادت العناية بالأنساب مع مجيء الاسلام تم وضع الديوان في عهد عمر بن الخطاب ليؤكد على الاهتمام بها ، وقد شجع الأمويون هذه الاهتمامات ابتداءً من معاوية بن أبي سفيان ، ولما جاء الوليد الثاني أمر بعمل سجل واف بالأنساب (٣) ، ثم ان الحاجات الادارية كتنظيم العطاء واسكان القبائل في الأمصار أدت الى وضع سجلات بالأنساب وعززت الاهتمام بها ، يضاف الى هذا أن الخصومات القبلية وأثر الأوضاع السياسية على وضع القبائل وظهور أرسنقراطية قبلية جديدة في الاسلام كل هذه عوامل شجعت على الاهتمام بأنساب القبائل وتسلسلها .

(٢) عبد العزيز الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب : ص ٣٩ .

(٣) ابن النديم : الفهرست : ص ٩١ .

وقد جاءت معظم المعلومات عن الأنساب من الشعر وخاصة شعر النقائض وفي الروايات العائلية والقبلية وفي سجلات دواوين الجند ، وقد ظهر النسابون الأولون في الفترة الأموية وكانت عنايتهم محدودة بأنساب قبيلة من القبائل ثم ظهر نسابون عنوا بأنساب أكثر من قبيلة وذلك في فترة جمع الروايات أو التدوين في القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي (٤) .

وبفضل هؤلاء النسابين وجد ما عرف بعلم النسب وهو يتناول الحديث عن أنساب العرب منذ القدم ويفصل قبائلهم وعشائرتهم ويوضح أواصر القرى التي تربط بين القبائل التي تمت الى أصل واحد وتثول الى أب مشترك ويتحدث عما وقع بين مختلف القبائل من مصاهرات أو انفصال عشيرة عن أصلها أو التحامها بقبيلة أخرى كما يحدثنا هذا العلم عن أسماء القبائل والأحلاف القبلية وما أخذها ويضع لكل قبيلة جدولاً للأنساب لا يزال يرتقى بها صعوداً حتى يصلها بجدها الأعلى .

وفيما يلي سوف نعرض لأهم المصادر التي اعتمدنا عليها في هذا المجال ومدى افادتنا منها وأولها كتاب « **جمهرة أنساب العرب** » لابن حزم المتوفى ٤٥٦ هـ - ١٠٦٤ م وهو من أوسع كتب النسب وأغناها وأدقها ، فقد استفاد ابن حزم من جميع كتب الأنساب والتاريخ والتراجم والرجال واستخلص منها مادة كتابه هذا فجاء شاملاً جمع بين دفتيه كل ما يحتاجه العالم والباحث في هذا المجال ، كما أشار المؤلف الى الأحداث التاريخية والقبلية والأدبية بدقة والتزام وذكر بعض المدن والأماكن التي سكنتها القبائل العربية مع التحقق من كل ذلك وبيان الخلاف فيه مع الحكم الصادق ، كذلك تحدث ابن حزم عن مفاخرة عدنان وقحطان وذكر أسماء البلدان وعلل تسمياتها وغير ذلك مما جعله كتاباً ذا فائدة كبيرة وخاصة فيما يتعلق بالتراجم وأنساب البطون والعشائر التي وردت بالبحث مع قدر لا بأس به من الأحداث التاريخية التي نسبت الى هذه القبائل .

وهناك أيضاً كتاب « **الأنساب** » للمؤرخ المحقق سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري وهو من علماء القرن الخامس الهجري العمانيين ولا يعلم سنة وفاته ، وقد أسهم العوتبي الصحاري في إثراء فن الأنساب بما اقتفاه من أثر السابقين عليه في هذا المضمار ممن اهتموا بتحرير أنساب العرب والتعريف بها على الرقعة العريضة من شبه الجزيرة وابتدأ فيه بخلق الكون ثم تناول أنساب العرب في شتى منازلها وتتبع منهج من سبقه

(٤) الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ ، ص ٤٠ .

وأكثر النقل عن محمد بن السائب الكلبي وابنه هشام بن محمد الرائدتين
في هذا المجال .

وقد أفرد العوتبي في الجزء الثاني من كتاب « الأنساب » بابا مستقلا
عن أنساب الازد وقبائلهم وأولادهم وقصة رجيلهم من بلاد اليمن وتجوالمهم
في شبه الجزيرة العربية ووصولهم الى بلاد الشام واستقرارهم فيها
ونسب ملوكهم والحرب بينهم وبين سليح الضجاعم من قضاة ، وهو
مما أفدنا منه افادة كبيرة في الفصل الثاني من الباب الأول عن قبائل
الازد وملك الغساسنة بالشام .

أما كتاب القلقشندي : « نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب » ، فهو
كتاب قيم في معرفة أنساب القبائل وبطونها وعشائرها وبرغم أن صاحبه
من المتأخرين (توفي ٨٢١ هـ - ١٤١٨ م) الا أنه نشأ وتربى على العلم
وأخذ العلوم الشرعية على مشاهير علماء عصره وتطلع الى كثير من الفنون
العربية والأدب فنال منها حظا كبيرا وقرأ الكثير من الكتب ذات الفنون
المتنوعة وقد استفدنا من هذا الكتاب في التحقق من أنساب الكثير من
القبائل والبطون التي وردت في ثنايا البحث وهوامشه .

ويعتبر كتاب ابن عبد البر المتوفى ٣٦٨ هـ - « الانباه على قبائل
الرواه » من أهم كتب الأنساب التي وصلت إلينا في هذا المجال لما ذكره
هو نفسه عن كتابه حيث قال : « اني ذكرت في كتابي هذا أمهات القبائل
التي روت عن رسول الله ﷺ وقربت ذلك واختصرته وبينته وجعلته دليلا
على أصول الأنساب ليكون عوناً للناظرين فيه ومنبها على ما يحتاج اليه
من معرفة الأنساب فانه علم لا يليق جهله بذوى الهمم والآداب لما فيه من
صلة الأرحام ، وقد أخذته من أمهات كتب العلم بالنسب وأيام العرب
بعد مطالعتي لها ووقوفي على أعراضها ومن ذلك كتاب محمد بن اسحاق
وهشام بن محمد بن السائب الكلبي وكتاب محمد بن حبيب وكتاب الزبير
ابن بكار في نسب قريش وكتاب عمه مصعب ، وأخذت من ذلك كله
عيونه وما يجب الوقوف عليه ويكمل بأهمل الكمالات والآداب معرفته
والانتساب اليه » (٥) وقد استفدنا من هذا الكتاب في بحثنا عن أنساب
عدنان وقحطان التي ذكرها المؤلف بأسهاب مطول وكذلك أنساب القبائل
والبطون المتفرعة منها والتي لها صلة بموضوع دراستنا وهي متناثرة
ومنتشرة في كل أجزاء البحث .

(٥) كتاب الانباه : مقدمة المؤلف : ص ١١ ، ١٢ .

ويوجد لنفس المؤلف كتاب آخر في الأنساب يسمى « **القصد والامم** »
في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم « ركز فيه ابن عبد البر على
التعريف بأصول العرب وجذورهم الأولى من أول ولد سام بن نوح
وابراهيم الخليل وقال في ذلك : « أما بعد فاني أذكر في هذا الكتاب
بعون الله أصول أنساب الأمم من العرب والعجم وما تداخل من بعضهم
على تباعد البلدان ومر الدهور والأزمان اذ لا يحصى عروغهم
وجماعاتهم الا الله - خالقهم » (٦) . وقد أفدنا من هذا الكتاب في التحقيق
من الأصول النسبية الأولى للعرب من عدنان وقحطان لدواعي تفهم أحوال
العصبية عند العرب .

ويعتبر كتاب نسب قريش لأبي عبد الله المصعب الزبيري المتوفى
سنة ٢٣٦ هـ من أحسن ما وصل إلينا في نسب قريش حتى الآن فهو
كتاب جامع لأصول وفروع هذه القبيلة العظيمة التي تعتبر أم القبائل
في تاريخ الدولة العربية والعباسية ، وقد أفدنا من هذا الكتاب في بحثنا
أفادة كبيرة وخاصة فيما يتصل بأنساب الأعلام والأشخاص القرشيين
الذين ورد ذكرهم في مختلف الموضوعات ومن ارتباط بهم سواء بالنسب
والمصاهرة أو بالحلف والولاء .

وهناك أيضا كتاب : (أبو جعفر بن حبيب البغدادي) المتوفى سنة
٢٤٥ هـ المسمى « **مختلف القبائل ومؤتلفها** » وقد استفدنا منه في التحقق
من التشابه في أسماء القبائل وضبط هذه الأسماء ومعرفة أصولها
وأنسابها .

وبالنسبة للبلاذري المتوفى ٢٧٩ هـ - ٨٩٢ م فترجع أهمية مصنفاته
الى أنه عاش في عصر قريب من العهد الأموي وكان من خاصة الخليفين
العباسيين المتوكل والمعتمد ، كما أنه روى عن شيوخه مباشرة وهم
يتجاوزون المائة وأكثرهم من جلة الرواة والمحدثين وبعضهم من كبار المؤلفين
مما يدل على ضخامة ما تلقاه البلاذري من أخبار وأحاديث . ومن أهم
مصنفات البلاذري التي أفادت بحثنا : أنساب الأشراف الذي يتناول تاريخ
العلية من العرب من الجاهلية الى الاسلام الى القرن الأول من تاريخ
بنى العباس وقد حظيت فيه أخبار بنى أمية بقدر كبير يتجاوز ثلث الكتاب
وهو لا يرتبه ترتيبا زمنيا بل يسوقه في شكل قصص تتناول تاريخ
الشخصية التي يعرض لها ونسبها كما يتناول الأخبار ويستقصي الأحداث
فهو كتاب يجمع بين التاريخ والأنساب والتراجم والأدب وقد استفدنا
منه في معرفة أنساب الأعلام وتراجم كبار الشخصيات التي وردت في

(٦) ابن عبد البر : القصد والامم : ص ١٢ .

يبحثنا وكذلك في كثير من الأحداث التاريخية المرتبطة بهذه الشخصيات
وفي موضوع الاختلاف في نسب قبضاعة وما أثير حوله من أقاويل .
كان هذا عرضا بالنسبة لأهم المصادر التي اعتمدنا عليها في معرفة
أنساب القبائل والبطون والعشائر التي وردت في مختلف موضوعات
البحث يضاف إليها كتاب عبد الكريم السمعاني المسمى « الأنساب »
وكتاب المبرد : نسب عدنان وقحطان وكتاب القلقشندي : قلائد الجمان
في التعريف بقبائل عرب الزمان وهي من المصادر ذات القيمة في تحقيق
أنساب القبائل ومعرفة أصولها وفروعها .

أما بالنسبة للمصادر التاريخية عن الدولة العربية فمن المعروف أن
أصول المستندات الرسمية لها فقدت إبان الحروب والفتن الداخلية كما
حدثت سنة ٨٢ هـ ٧٠١ م عندما احترق الديوان العام بالكوفة (٧)
بما يحويه من وثائق ومستندات في أعقاب إحدى الفتن ضد الحجاج بن
يوسف الثقفي وضياع المستندات الخاصة بالدولة وكذلك في أواخر عهد
الدولة الأموية حينما احتدم الصراع بين القيسية واليمينية وقامت الحروب
بينهما وتدخل فيها الخلفاء لنصرة طرف على حساب الآخر وعمت القوضى
كل أنحاء البلاد مما عجل بسقوط الدولة الأموية قبل عهد التدوين ، فلما
جاءت الدولة العباسية العدو اللدود لبنى أمية لم تكتف بالقضاء على دولتهم
وانما قضت أيضا على كل أوراقهم الرسمية .

ومن ثم فإن كل ما لدينا عن الدولة العربية لم يكن معاصرا لها
وانما وصلنا من عهود تالية وخاصة من العهد العباسي الذي كان معاديا
للأمويين ولذلك فإن الفترة الأموية في تاريخ الدولة العربية لم تلق
ما تستحق من الانصاف عند معظم المؤرخين المسلمين وحوث الكتابات عنهم
كثيرا من المعلومات التي تستدعي التدقيق والتفحص والتأكد من صحتها
بعرضها على العقل والمنطق ومقابلتها بالروايات الأخرى وبالرجوع الى كتب
الأدب والشعر التي تمدنا بكم كبير من الحقائق والمعلومات وذلك لمحاولة
التعرف على الحقيقة والوقوف على جوانب الصحة أو الزيف فيها ، فقد
اتهم يزيد بن معاوية بالجهل وسوء السيرة وأيضا يزيد بن عبد الملك
وابنه الوليد ومع أنه وجد بين خلفاء بني العباس والفاطميين وغيرهم ممن
كانوا كذلك إلا ان التاريخ قد أسدل الستار على كثير من مساوي هؤلاء
واهتم أغلب المؤرخين بانتقاص بني أمية باحثين عن أسباب هذا الانتقاص
هنا وهناك لأنهم صارعوا على بن أبي طالب وأبناءه وانتصروا عليهم (٨) .

(٧) أبو يوسف : كتاب الخراج : ص ٦٨ .

(٨) أحمد شلبي : الدولة الأموية والحركات الثورية في عهدنا : ص ١٧ .

وعلى أية حال فاذا نحينا هؤلاء الضعاف الذين لا يد من ظهورهم في كل دولة وعصر فأننا نرفع كثيرا من خلفاء بني أمية من أمثال معاوية وعبد الملك والوليد وعمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك الى أسمى مكانة وأجل تقدير ومع ذلك فانه من العجب أن بعضا من الباحثين المحدثين تلقوا ما كتبه المؤرخون الأول على أنه حقائق ثابتة فجاءت بعض الدراسات الحديثة عن العصر الأموي بعيدة عن الانصاف والحيدة مما يستدعى وضع الأمور في نصابها على أساس من الحقيقة والواقع ومن حضارة الأمويين التي لا تزال تنبض بها دمشق وغيرها من العواصم الاسلامية ومدن الأندلس ومن صنوف التفكير التي أنتجها العقل الأموي كالبريد والسكة وتعريب الدواوين وتنظيم الجيوش وغيرها (٩) .

يعتبر الانتاج الأصلي من الكتب التي كتبها مؤرخو الدولة العربية هي الأساس الذي يعتمد الباحثون عليه في هذا التاريخ وذلك لكثرتها وتنوع موضوعاتها ومحتوياتها فضلا عن أنهم ينقلون فيها حوادث معاصرة أو يعتمدون على مصادر معاصرة ليست موجودة الآن ، وبرغم ذلك فان هذا الانتاج الأصلي مع أهميته يجب ألا يؤخذ على أنه حقائق مسلم بها لأن معظم ما وصلنا منه عن تاريخ الدولة العربية يعتمد على الرواية الشفوية وهي الطابع الأولى لكتابة التاريخ الاسلامي لتأخر التدوين حتى العصر العباسي بسبب طبيعة العرب البدوية التي كانت تميل الى الحفظ أكثر من التدوين .

يعتبر تاريخ اليعقوبي المتوفى سنة ٢٨٤ هـ - ٨٩٧ م ، وتاريخ الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ - ٩٢٢ م هما المصدران الأساسيان للتاريخ الأموي الذي اعتمد عليه كثير من المؤرخين المسلمين ممن جاء بعدهم كابن الأثير المتوفى ٦٣٠ هـ - ١٢٣٣ م وابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ - ١٣٧٣ م وابن خلدون المتوفى ٨٠٨ هـ - ١٤٠٥ م وغيرهم ، فاما اليعقوبي فقد كان علويا لم يستطع اخفاء عدايته لبني أمية ويتضح ذلك مما ورد في كتاباته عنهم ، وأما الطبري فلم يبد اهتماما بالشام ومصر قدر اهتمامه بالعراق وفارس فجاءت كتاباته محدودة القيمة بالنسبة للتاريخ الأموي ولكن مما يعوض ذلك ويسد النقص فيه هذه الكتب الأدبية والجغرافية ودواوين الشعر القديمة التي تعتبر مينا لا ينضب عن الحقائق التاريخية المختلفة في تاريخ الاسلام عبر كل العصور ، وليس من المبالغة في شيء اذا قلنا ان كثيرا جدا مما نعرفه عن تاريخ الدولة الأموية مستمد من كتب الأدب (١٠) ،

(٩) نفسه . ص ١٩ .

(١٠) سيدة كاشف : مصادر التاريخ الاسلامي : ص ٧٥ .

ولا نستطيع في هذه الدراسة الموجزة للمصادر التي اعتمدنا عليها في بحثنا فيما يختص بالناحية التاريخية أن نلم بها جميعا وإنما انتقينا أهمها وأكثرها صلة بموضوع البحث ويأتى في مقدمة هذه المصادر - تبعا لترتيب الأبواب - كتاب وهب بن منبه : «التيجان في ملوك حمير» ويعرض فيه للملوك اليمن ودولهم ويشيد بأمجادهم ومآثرهم أيما اشادة وقد أفدنا منه في الباب الأول فيما يختص بقبائل الأزد الغساسنة الذين خرجوا من اليمن الى الشام قبل الاسلام وصراعهم مع سليح الضجاعم من قضاة الذين سبقوهم الى هذه البلاد وكيف انتصروا عليهم حتى صارت لهم السيادة والزعامة فيها .

أما بالنسبة للملوك الغساسنة ونسبهم وتسلسلهم وأهم أعمالهم فقد أفدنا فيها كتاب حمزة الأصفهاني المتوفى سنة ٣٥٥ هـ تقريبا المسمى « تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء » حيث ذكر لنا ملوك هذه الدولة التي أقامت قبايل الأزد في بلاد الشام قبل الاسلام ابتداء من جفنة بن عمرو وحتى جبلة بن الأيهم وهم اثنان وثلاثون ملكا في مدة ستمائة سنة .

ويعتبر كتاب الهمداني : أبى محمد الحسن بن محمد الهمداني الملقب بابن الحائك المتوفى ٣٣٤ هـ - ٩٤٥ م صفة جزيرة العرب من أحسن الكتب التاريخية الجغرافية القديمة التي اعتمدنا عليها في تحديد كثير من مواطن القبائل العربية التي سكنت بلاد الشام مثل لخم وجذام وعاملة وطىء وكلب وقضاة وبطونها وعشائرهم فهو كتاب يتصف بالدقة البالغة في تحديد هذه المواطن ويصف حدودها ومواقعها وأهم بلدانها وغير ذلك مما أفدنا منه افادة كبيرة في الفصل الثانى من الباب الثالث عند الحديث عن مناطق استيطان القبائل العربية بالشام بعد الفتح الاسلامى .

وفيما يختص بالباب الثانى عن العلاقات بين قبائل الشام وعرب الحجاز في العهد النبوى فقد كانت الكتب التى ألفت فى السيرة النبوية خير معين لنا فى الكتابة عنهما ، ومن أهم هذه الكتب الكتاب الشهير : سيرة ابن هشام « المتوفى بالبصرة عام ٢١٣ هـ - ٨٢٨ م وهو أول كتاب تاريخى متصل وصلنا عن سيرة النبى ﷺ وتاريخ العرب قبل الاسلام استوحاه مؤلفه من الكتب التى وضعت قبله ولم تصلنا وبخاصة مؤلفات أبى عبد الله محمد بن اسحق المتوفى سنة ١٥٠ هـ - ٧٦٧ م الذى يعتبر أول من ألفت فى سيرة النبى ﷺ بناء على طلب الخليفة العباسى المنصور (١١) ، وقد أفدنا من سيرة ابن هشام فى كثير من الموضوعات

(١١) ابن خلدون : المقدمة : ص ٧٥ .

التي وردت في الباب الثاني عن موقف قبائل الشام من الاسلام وجهاد النبي ﷺ ضد عرب الشام ووفود القبائل الشامية الى المدينة في حياة النبي ﷺ .

وهناك أيضا في هذا المجال كتاب « الطبقات الكبرى » لصاحبه محمد ابن سعد المتوفى ٢٣٠ هـ - ٨٤٥ م وهو أشبه بدائرة المعارف لسيرة النبي ﷺ ومغازيه ولللخلفاء الراشدين والأمويين والصحابة وغيرهم حتى عهده ، وكان ابن سعد معاصرا للواقدي المتوفى سنة ٢٠٦ هـ - ٨٢١ م وأخذ عنه كثيرا حتى أنه كان يعرف بكتاب الواقدي وقد أفدنا من هذا الكتاب في شتى موضوعات البحث فيما يختص بتراجم الرجال والأشراف والأعلام وأنسابهم بالإضافة الى ما حواه من المعلومات التاريخية القيمة المرتبطة بالأشخاص الذين ترجم لهم والعصور التي عاشوا فيها .

تعتبر كتب الفتوح من أهم المصادر التاريخية القيمة التي اعتمدنا عليها في الدراسة المقدمة عن القبائل العربية في بلاد الشام منذ ظهور الاسلام الى نهاية العصر الأموي ولا سيما فيما يختص بالباب الثالث الذي يتناول القبائل العربية في معارك فتح الشام والمناطق التي استقروا بها في تلك البلاد بعد الفتح ، فقد عني المؤرخون الأوائل بالتأليف في موضوعات الفتوح والمغازي ولقى هذا النوع من التاريخ اقبالا شديدا منهم لما يحويه من دلالة على قوة الاسلام وانتصارات المسلمين ، ويرجح أن أقدم من ألف في ذلك أبو عبد الله محمد المعروف بالواقدي المولود في أول سنة ١٣٠ هـ - ٧٤٧ م ، وقد تولى الواقدي القضاء لهارون الرشيد وابنه المأمون واهتم بالتأليف في المغازي والفتوح حتى قيل ان ما خلفه منها عند موته عام ٢٠٦ هـ بلغ ستمائة قمطر كبير (١٢) ضاع معظمها وبقي بعضها ومنه كتاب «فتوح الشام» الذي اعتمدنا عليه فهو كتاب عظيم القيمة وان أغفل صاحبه المصادر التي استقى منها معلوماته على عكس ابن هشام في كتابه عن السيرة النبوية وبرغم ذلك فهو من أهم المصادر التاريخية عن الفتوح الاسلامية .

وهناك كتاب آخر عن فتوح الشام لمحمد بن عبد الله الأزدي الذي قيل ان تاريخ وفاته ١٧٨ هـ - ٧٩٤ م (١٣) وهو كتاب لا يقل قيمة عن

(١٢) ابن النديم : الفهرست : ص ٦٨ .

والقمطر أو القبطرة ما يسان فيه الكتب من صندوق وغيره . ومما قيل فيه :

ليس يعلم ما يعي القمطر ما العلم الا ما وعاه الصدر

الرازي : مختار الصحاح : ص ٥٥٠ ، ٥٥١ .

(١٣) مقدمة فتوح الشام للأزدي بقلم المحقق ولیم ناسولیس .

كتاب الواقدي في هذا المجال ويعتبر من أمهات الكتاب في موضوعه لسبقه وسلامة سنده ولما حواه من جملة الخطب والرسائل والكتب كما أنه يضع أمام المؤرخ الوقائع التاريخية متكاملة في تخطيطها الأول وفي تنفيذها ومتابعتها ونتائجها ، وقد اعتمد الأزدي في تأريخه فتوح الشام على نقل الخبر بسنده منتهيا إلى المشاهدين له أو السامعين لمن شهدوه وكلهم من رجال السند الثقات الصالحين المعبرين في كتب الرواة ، وقد أجمعت كتب الفهارس العربية على نسبة كتاب فتوح الشام للأزدي وذكرت أنه في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري .

وهناك أيضا الكتاب القيم « فتوح البلدان » من تصنيف العالم الفارسي أحمد بن يحيى البلاذري المتوفى ٢٧٩ هـ - ٨٩٢ م وكان من خاصة الخليفتين المتوكل والمعتمد وفيه ينقل البلاذري بالرواية المسندة أخبار حروب النبي ﷺ ومغازيه وفتوح العرب في الشام ومصر والجزيرة وغيرها ويبدو أنه مختصر لكتاب آخر كبير صنفه البلاذري إذ يذكر عنه المسعودي المتوفى ٣٤٥ هـ - ٩٥٦ م : بأنه لا يعلم فتوح البلدان أحسن منه (١٤) .

وعن أخبار القبائل في اليرموك وبقية معارك فتح الشام اعتمدنا أيضا على كتاب ابن أعثم الكوفي المسمى « الفتوح » ولم نورد لنا المصادر الكثير من أخبار ابن أعثم واكتفى ياقوت بالقول عنه : « الاخبار المؤرخ » (١٥) ولأهمية هذا الكتاب وصحة ما ورد فيه من معلومات فقد نقله محمد بن أحمد المستوفي الهروي إلى الفارسية وذكر المجلسي في كتابه « بحار الأنوار » أنه نقل كتاب الفتوح لابن أعثم ، وقال بروكلمان في تاريخ الأدب العربي (١٦) عن أبي أعثم : « أن له كتاب الفتوح وهو تاريخ قصصى للفتوحات والخلفاء إلى عهد يزيد » ، ولم يحدد ياقوت تاريخ وفاة ابن أعثم وترك حاجي خليفة موضع التاريخ فارغا في كشف الظنون مما أدى إلى الاختلاف في تحديده هذا التاريخ وأول إشارة وردت عن تاريخ الوفاة جاءت في الترجمة الفارسية لكتاب الفتوح وهي سنة ٢٠٤ هـ . وبصفة عامة فقد استفدنا من كتب الفتوح والمغازي للواقدي والأزدي وابن أعثم في شتى موضوعات البحث لما حفلت به جميعها من معلومات غزيرة وخاصة في جهاد النبي ﷺ ضد عرب الشام وفي تحديد هوية القبائل العربية التي حاربت في اليرموك واستكملت الفتوحات وتور كل منها

(١٤) المسعودي : مروج الذهب : ج ١ ص ١٤ .

(١٥) ياقوت : معجم الأدباء : ج ٣ ص ٢٣٠ ، ٢٣١ .

(١٦) نفسه : ج ٣ ص ٢٣٠ ، ٢٣١ .

وما نسب اليها من أعمال وانجازات وأسماء القادة والأعلام المنتسبين الى هذه القبائل ممن كان لهم الدور البارز في فتوح الشام .

وفي هذا المجال أيضا أفدنا كثيرا من الامام الحافظ المؤرخ ثقة الدين ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ هـ صاحب كتاب تاريخ دمشق الكبير الذي يقع في ثمانين مجلدا وابن عساكر هو امام أهل الحديث في زمانه ، ولد في المحرم سنة ٤٩٩ هـ وسمع الحديث وعمره ست سنوات ولما بلغ العشرين جاب البلاد والآفاق وأوغل في الرحلة وجمع وكتب الكثير ، وجملة شيوخه الذين سمع منهم ألفا وثلثمائة شيخ ونيفا وثمانين امرأة ، قال عنه النعمي في « تنبيه الطالب وإرشاد الدارس » : انه صنف التصانيف الجلية ومنها تاريخ دمشق في ثمانين مجلدا ، وقد سمع منه أبو سعد السمعاني وأكثر عنه النقل .

وقد أفادنا كتاب تاريخ دمشق الكبير في الحديث عن العلاقات بين قبائل الشام وعرب الحجاز في العهد النبوي وعن القبائل العربية التي استوطنت بلاد الشام بعد انتهاء حركة الفتوح وكذلك في حروب صفين ودور القبائل فيها وما تلاها من معارك وفتن بين القبائل القيسية واليمانية في بلاد الشام وغيرها مما أفدنا منه كثيرا في شتى موضوعات بحثنا لما حفل به هذا الكتاب من غزارة في المعلومات وتراجم الأشخاص والأعلام وما ارتبط بهم وما نسب اليهم .

أما بالنسبة للبَاب الرابع الخاص بالحرب بين قبائل الشام وعرب العراق في صفين فكان مصدرنا الأساسي فيه كتاب وقعة صفين لنصر ابن مزاحم بن سيار المنقري المتوفى سنة ٢١٢ هـ ونسبته الى بني منقر ابن عبيد بن الحارث بن عمرو بن بني زيد مناة بن تميم وهو مؤرخ شيعي كوفي النشأة ولكنه سكن بغداد وحدث بها عن سفيان الثوري مما حدا بالخطيب البغدادي أن يفرد له ترجمة في تاريخه ويذكر المترجمون له أنه كان عطارا يبيع العطور ولعل ذلك ما أصبح على تأليفه الذوق الحسن في كتابته فهو يسوق مقدمات حرب صفين في حذق ودقة وحسن استيعاب ويروي لنا أحاديث القوم وخطبهم وأشعارهم بما في ذلك الشعر من صناعة الرواة أو تليفق أصحاب الأخبار ولكنه في ذلك كله يكاد لا يخطئه التوفيق في مراعاة الانسجام واتساق العرض ، والناظر في كتاب نصر بن مزاحم يلمس هدوء المؤرخ الذي لا تستفزه العصبية الى هواه الا في القليل الذي لا يستطيع منه افلاتا فهو حين يذكر مثالب معاوية لا يخفى مطاعن الأعداء في علي .

ويعتبر الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ من أقدم من كتب فى تاريخ صفين غير أنه لم يفرد لها تأليفا خاصا كما فعل نصر بن مزاحم وإنما ذكرها فى أثناء تأريخه لحوادث سنة ٣٣ هـ وسنة ٣٧ هـ ، ويعتبر أقدم نص معروف لدينا فى هذه الواقعة هو كتاب صفين لنصر بن مزاحم الذى نستطيع أن نعهده فى طبقة شيوخ أساتذة الطبرى إذ أن الأخير يروى عن يروى عن أبى مخنف المتوفى سنة ١٧٠ هـ الذى يعد نصر بن مزاحم من طبقته (١٧) .

وقد ذكر ياقوت (١٨) عن نصر بن مزاحم أنه عارفا بالتاريخ والأخبار، وسرد له ابن النديم (١٩) من المصنفات : كتاب الغارات وكتاب الجمل وكتاب مقتل حجر بن عدى وكتاب مقتل الحسين بن على وزاد أبو على محمد بن اسماعيل صاحب « منتهى المقال » كتاب عين الوردة وكتاب أخبار المختار وكتاب المناقب مما يوضح الاتجاه الشيعى عند نصر بن مزاحم ، ومع ذلك فلم تحفظ لنا الأيام من آثاره إلا هذا الكتاب المسمى « وقعة صفين » وهو كتاب غزير فياض بما حواه من معلومات استطعنا من خلالها تكوين رؤية قبلية واضحة لمواقع القبائل على اختلاف أنسابها من عدنانية وقحطانية فى هذه الحرب الطاحنة بما ترتب عليها من آثار بالغة فى تاريخ الدولة العربية .

كانت هذه أهم المصادر التى اعتمدنا عليها فى بحثنا من الباب الأول حتى الرابع فيما يتعلق بالأنساب والتاريخ ، أما فيما يختص بالباب الخامس عن العصبية القبلية فى أهل الشام وما جرت إليه من حروب وفتن وكيف أسقطت الدولة الأموية ودور القبائل فى ذلك فكانت مصادرنا فيها كثيرة ومتنوعة نخص بالذكر منها ابن قتيبة والدينورى والطبرى وابن عبد ربه والمسعودى والأصفهاني وابن الأثير بالإضافة الى دواوين الشعر لكل من جرير والفرزدق والأخطل ونقائضهم وغير ذلك مما رجعنا إليه فى كثير من المصادر الأخرى والأشعار المتصلة بموضوعنا . ومما هو جدير بالذكر أن اعتمادنا على هذه المصادر لم يكن وقفا على الباب الأخير فقط بل رجعنا إليها فى سائر موضوعات البحث حسب الحاجة إليها .

يعتبر ابن قتيبة المتوفى ٢٧٦ هـ - ٨٨٩ م من العلماء الأجله والحفاظ الكبار وهو امام فى اللغة والأدب والأخبار وأيام الناس وقد عدت

(١٧) مقدمة وقعة صفين لنصر بن مزاحم المحقق عبد السلام هارون .

(١٨) معجم الأدباء : ج ١٩ ص ٢٢٥ .

(١٩) الفهرست : ص ٣٣٧ .

كتبه من أمهات الكتب القديمة المفيدة ولذا أشاد المؤرخون بذكره وأطنبوا في مدحه ، ومؤلفات ابن قتيبة كثيرة ومتعددة مما يدل على أنه كان ذا علم وافر وثقافة واسعة ، ومما اعتمدنا عليه من مؤلفاته : كتاب المعارف وهو عبارة عن موسوعة تتصف بالتنسيق وحسن الاختيار تضم أنساباً وتراجم في إيجاز يستوعب ويلخص التاريخ من غير إخلال فجمع كل ما يعني الناس أن يعرفوه عن أسلافهم من أخبار وحقائق وقد أفدنا منه في معرفة تراجم وأنساب الخلفاء والولاة والأمراء والأعلام والمشهورين بالإضافة إلى كثير من المعلومات التاريخية مما يخص العصبية القبلية وحروبها .

أما أبو حنيفة الدينوري المتوفى ٢٨٢ هـ - ٨٩٥ م صاحب كتاب «الأخبار الطوال» فنجد في كتابه صفحة من تاريخ الإسلام في القرنين الأول والثاني الهجري بعبارات مختصرة ، ورغم أن الدينوري أطنب في الحديث عن أخبار فارس قبل الإسلام وفتح العرب لها وظروف سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية على أكتاف الفرس بما يوضح انتماءه فاننا وجدنا في ثنايا كتابه معلومات قيمة فيما يختص بالفتن القبلية التي اجتاحت الدولة الأموية في أواخر عهدها وفيما يتعلق بالعصبية بين القبائل والحروب التي قامت من جرائها .

وبالنسبة للطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ - ٩٢٣ م فله كتب « تاريخ الأمم والملوك » الذي يعتبر أول عمل تاريخي بين مصنفات العرب يقام على منهج مرسوم فأكمل ما قام به من كانوا قبله كاليعقوبي والبلاذري والواقدي وابن اسحق وأبي محنف والمدايني (٢٠) ومهد السبيل لمن جاء بعده كالسعودي وابن الأثير وابن خلدون وغيرهم ، وقد عرف الطبري بذاكرته القوية ودأبه الذي لا يكل في جمع الأخبار التي تتصل بالبشر منذ القدم حتى عصره على ترتيب السنين سواء بالرواية الشفوية أو من كتب المتقدمين .

وترجع أهمية كتاب الطبري إلى أنه استطاع أن يجمع فيه المواد المودعة في كتب التاريخ والحديث والتفسير والأدب واللغة والسير والمغازي وتاريخ الوقائع والأشخاص ونصوص الشعر والخطب والعهود ونسق فيها تنسيقاً مناسباً وعرضها عرضاً جميلاً وناسباً كل رواية إلى صاحبها (٢١) .

(٢٠) جواد علي : موارد تاريخ الطبري : مجلة المجمع العلمي العراقي : عدد ٢ ص ١٣٥ - ١٩٠ - ١٩٥٢ م ، عدد ٣ ص ١٦ - ٥٦ - ١٩٥٤ م .

(٢١) مقدمة تاريخ الطبري : ص ٤ .

ومع أن معظم مصادر الطبرى من العراق الا أنه اتخذ موقف المؤرخ المحايد الذى غرضه استيعاب الأخبار والمحافظة على صحتها من أفواه الرواة ولذلك فإن كتابه يعتبر من أهميات المصادر فى دراسة تاريخ الدولة العربية، ورغم أنه اختص أقاليم فارس والعراق بالقسط الأوفر من اهتمامه الا أننا أفدنا من تركيزه على السياسات والحروب والمعارك والدول والسير الخاصة فى شتى موضوعات البحث وخاصة موضوع العصبية القبلية والحروب بين القيسية واليمينية ولا سيما موقعة مرج راهط التى عرض لها عرضاً جميلاً شيقاً أفدنا منه افادة فى فهم ظروف هذه المعركة وملابساتها وما ترتب عليها وذلك فى الفصل الثانى من الباب الأخير .

ومن المصادر الهامة أيضاً ابن عبد ربه الأندلسى المتوفى ٣٢٨ هـ - ٩٤٠ م (٢٢) صاحب العقد الفريد الذى أخذ معظم علمه الواسع بتاريخ وأدب المشرق عن أشياخه بالأندلس ، ويتصف ابن عبد ربه بميله الشديد الى التاريخ يعرضه ويتوسع فيه وينقل منه كثيراً ممزوجاً بالأدب كما أنه يتمتع بثقافة دينية وأدبية وتاريخية عظيمة فهو يتحدث عن الوفود والأنساب وأيام العرب وأخبارهم فى الجاهلية والاسلام (٢٣) وسير الخلفاء وتواريخهم وذلك من غير اسناد طلباً للتخفيف ، وقد أمدنا كتاب ابن عبد ربه بكثير من المعلومات القيمة عن أيام القبائل وأخبارها وحروب العصبية القبلية وسير خلفاء بنى أمية المتأخرين الذين زجوا بأنفسهم فى غمارها .

أما المسعودى المتوفى ٣٤٥ هـ - ٩٥٦ م (٢٤) فهو عالم فلكى حاسب جغرافى فقيه محدث جدلى ناسب أخبارى أديب راوية كثير التنقل بالقارىء من تاريخ الى علم الى فقه الى أدب مما يدل على أنه ذو ثروة علمية فذة (٢٥) وقد تنقل المسعودى فيما بين فارس والهند والشام ومصر بسبب حبه للعلم والاطلاع وطاف أكثر بلاد العالم الاسلامى وقضى الجزء الأخير من حياته فى سورية ومصر حيث ألف كتاب مروج الذهب ومات بالفسطاط (٢٦) .

وكتاب مروج الذهب للمسعودى كتاب تاريخى جغرافى يعرض فيه لتاريخ العرب فى الجاهلية والاسلام وأهم أحوالهم وعاداتهم وقد استن

(٢٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان : ج ١ ص ١١٠ - ١١٢ .

(٢٣) جبرائيل جبور : ابن عبد ربه وعقده : ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٢٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان : ج ٤ ص ٣١٣ - ٣٢٢ .

(٢٥) مقدمة كتاب مروج الذهب .

(٢٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان : ج ٤ ص ٣٢٤ ، سيدة كاشف : مصر فى عصر

الأخشيديين : ص ٩ ، مصادر التاريخ الاسلامى : ص ٣٥ ، ٣٦ .

فيه صاحبه فى تأليف التاريخ سنة جديدة فصار لا يرتب موضوعاته
حسب السنين الهجرية بل جمعها تحت رؤوس موضوعات عن الشعوب
والملوك والأسرات وتبعه فى هذه الطريقة بعض المؤرخين لا سيما
ابن خلدون (٢٧) .

وقد أورد المسعودى فى الجزء الثانى من كتاب مروج الذهب كثيرا
من المعلومات عن قبائل اليمن وأنسابهم بما فيها ملوك الشام من غسان
وخبر سبل العرم وتفرق الأزد فى البلاد وهو ما أفدنا منه فى الباب
الأول ، وتناول المسعودى فى الجزء الثالث من كتابه الحديث عن السبب
فى العصبية بين النزارية واليمانية والأشعار التى أهاجتها والأزمة التى
أدت الى مرج راهط فى خلافة مروان بن الحكم وغير ذلك مما يدل على حس
تاريخى سليم أفدنا منه كثيرا فى موضوعنا .

يعتبر كتاب الأغاني لصاحبه أبو الفرج على بن الهيثم الأعمى الكاتب
الشهير بالأصفهاني المتوفى ٣٥٦ هـ - ٩٦٧ م من المصادر الهامة لتاريخ
الدولة العربية لما حواه من أخبار وسير وأشعار متصلة بأيام العرب
المشهورة وقصص الملوك فى الجاهلية والخلفاء فى الإسلام وقد أفدنا
مما ورد فيه عن وقائع بين قيس وكنب فى بادية السماوة والوقائع بين
قيس وتغلب فى بلاد الجزيرة الفراتية ودور الأخطل فيها وكذلك أهم
الأيام التى حدثت بين القبائل العربية بصفة عامة بالاضافة الى كثير من
الأشعار المتصلة بالعصبية وحروبها فى الفترة موضوع البحث .

وهناك أيضا كتاب الكامل فى التاريخ لأبى الحسن على المعروف
بأبن الأثير المتوفى ٦٣٠ هـ - ١٢٣٣ م وهو الذى كرس معظم حياته لكتابة
تاريخ كامل للإسلام حتى عصره ، وقد عرف ابن الأثير بحصافته فى تحرى
الأخبار ونقلها وان رتبها كالطبرى على نظام الحوليات ، ويقال عن سبب
وضعه لهذا الكتاب أنه كان محبا للتاريخ فلما تأمل كتبه رآها متباينة فى
تحصيل الغرض بين مطول ممل ومختصر مخل والشرقى أهمل فى أخبار
الغرب والغربى قصر فى معرفة أحوال الشرق وهذا ما جعله يؤلف تاريخا
جامعا لأخبار ملوك بلدان الشرق والغرب (٢٨) .

وكتاب الكامل شأن كتب التاريخ القديمة سرد الأحداث والأخبار
بحسب تواريخها ومع أنه يعترف بأنه نقل من الطبرى الا أنه ينتقد بعض

(٢٧) سيدة كاشف : مصادر التاريخ الإسلامى : ص ٣٦ .

(٢٨) مقدمة الكامل لابن الأثير : ج ١ .

ما نقله ولا يكتب الا ما يراه صحيحا ، وقد أفدنا من ابن الأثير في ذكر الأيام والوقائع التي كانت بين قيس وتغلب في الجزيرة اذ أنه ذكرها جميعا بالتفصيل كما تعرض لأحوال العصبية ودواعيها بين العرب في قيس ويمن وما اتصل بها من حالة القوضى والفتن التي حلت بالدولة الأموية في نهاية عهدها .

وما من شك في أن الشعر يأتي في مقدمة المصادر الأدبية التي يمكن أن نستقى منها أطرافا من تاريخ العرب ، فهو يعتبر سجلا معاصرا لأخلاقهم وحياتهم وأخبارهم ولهذا استحق أن يطلق عليه ديوان العرب لأن نجم دولة الشعر لم يأفل بظهور الاسلام ولزم كثير من فحول الشعراء خلفاء بنى أمية بالشام من أمثال جرير والأخطل والفرزدق والطرماح وغيرهم مما نقلنا من دواوينهم وثقاتهم في كثير من النقاط التي تعرضنا لها في الباب الأخير عن العصبية والمفاخرة والتهاجي وغير ذلك مما جعل من هذه الدواوين مرآة صادقة لأحوال القبائل في العصر الأموي بما حوته من مادة حية قيمة انعكست على موضوعنا في الباب الختامي .

ومما هو جدير بالذكر أن معظم شعر العصر الأموي شأنه شأن الشعر الجاهلي وصلنا عن طريق الرواية الشفوية كالحديث والأخبار وقد ساعد على بقائه ما تمتع به العرب من ذاكرة الحفظ ، ويعتبر حماد الراوية المتوفى ١٥٥ هـ - ٧٧٢ م والذي عاصر مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين أهم ناقل للشعر في ذلك الوقت وكان من المقدمين المكرمين وسمى راوية لأنه كان يروي لكل شاعر (٢٩) .

ومن كتب المعاجم والبلدان رجعنا الى أشهرها وأدقها وهو معجم البلدان لياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٢ هـ - ١٢٢٥ م وهو كتاب مرتب على حروف الهجاء حققت منه معظم أسماء البلدان التي ذكرت في البحث بالإضافة الى كثير من الأسماء والشخصيات والأحداث التاريخية الأخرى ، وكان ياقوت محترفا لنسخ الكتب وتجاريتها ولذلك فقد جال بلاد فارس وبلاد العرب وآسيا الصغرى ومصر والشام وبلاد ما وراء النهر وأفاد كثيرا من التنقيب في خزانات الكتب ولا سيما خزائن مدينة مرو ، ويعتبر معجم البلدان من أهم ما كتبه ياقوت لدقته وترتيبه واتساعه وجمعه بين الجغرافية والتاريخ والعلم والأدب (٣٠) .

(٢٩) ابن خلكان : وفيات الأعيان : ج ١ ص ٢٣١ ، ٢٣٢ .

(٣٠) زكى محمد حسن : الرحالة المسلمون في العصور الوسطى : ص ١٠٣ ، ١٠٥ .

هذا بالاضافة الى مجموعة القواميس والمعاجم وكتب اللغة التي أعانت على فهم ما استغلق من المعانى والألفاظ التي وردت بالبحث وبعض أبيات الشعر وما كان منها سائدا في تلك الفترة بقدر الامكان ومدلولاتها بالاضافة الى ضبط أسماء القبائل والبطون والعشائر .

ومما اعتمدنا عليه في ذلك نذكر :

ابن منظور	ت ٧١١ هـ - ١٣١١ م	لسان العرب .
الجوهري	ت ٣٩٣ هـ - ١٠٠٣ م	الصحاح .
الرازي	ت ٦٦٦ هـ - ١٢٦٨ م	مختار الصحاح .
الفيومي	ت ٧٧٠ هـ - ١٢٦٩ م	المصباح المنير .
الفيروز أبادي	ت ٨١٧ هـ - ١٤١٤ م	القاموس المحيط .
ابن سيده	ت ٤٥٨ هـ - ١٠٦٦ م	المخصص .

كان هذا فيما يختص بالمنابع الأصلية لموضوع دراستنا أما المراجع ذات الأهمية التالية فهي تضم مجموعة الكتب والمؤلفات الحديثة التي تعتمد في كتابتها على التحليل والتفسير واتبع قواعد المنهج الحديث للتاريخ وقد أفدنا من أهمها وأكثرها جدية في لقاء الضوء على موضوع البحث واختيار المنهج المناسب له وأخص بالذكر من أصحابها شكرى الألوسى وفيليب حتى وجورجى زيدان ومحمد كرد على وجواد على وعبد العزيز الدورى وعمر رضا كحالة والشيخ الحضرى وحسن ابراهيم حسن وغيرهم من أصحاب المؤلفات الجادة التي استفدنا مما ورد بها من آراء ووجهات نظر فيما يتعلق بالموضوع وقد قمت باثباتها جميعا في مواضعها بالهوامش وفي بيان المصادر والمراجع في نهاية البحث .

البداية الأولى

القبائل العربية في بلاد الشام قبل الإسلام

الفصل الأول : الهجرات القديمة من شبه الجزيرة العربية وسيادة قبائل
قضاة بالشام •

الفصل الثاني : قبائل الأزد وملك الغساسنة بالشام •

أولا : خروج الأزد من اليمن •

ثانيا : وصول الغساسنة الى الشام •

ثالثا : ملك الغساسنة بالشام •

١ - الحرب مع الروم •

٢ - الحرب مع سليح الضجاعم من قضاة •

٣ - ملوك الغساسنة •

الفصل الأول

الهجرات القديمة من شبه الجزيرة العربية وسيادة قبائل قضاة بالشام

عاش سكان ما بين النهرين وسكان الهلال الخصيب قديما في بحبوحة من العيش في وقت كان فيه سكان شبه الجزيرة العربية تتقاذفهم عوامل الطرد والجذب ، فكان الجفاف وضيق العيش في بلادهم يدفعهم الى التطلع للخروج من بلادهم وكانت أقاليم الغنى والثروة في منطقة الهلال الخصيب وما بين النهرين تجذبهم للهجرة اليها (١) ، وعلى ذلك فقد خرجت الهجرات على دفعات كل واحدة منها حملت أعدادا ضخمة من السكان الى البلاد الغنية المجاورة فنزلت بها وامتزجت بأهلها وتفاعلت معهم مما نتج عنه حضارات جديدة استمرت مدة طويلة كحضارة بابل وآشور في بلاد ما بين النهرين والحضارة الفينيقية في بلاد الشام (٢) .

-
- (١) فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين : ج ١ ص ٢٩ ، جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام : ج ١ ص ١٦٩ ، جورجى زيدان : العرب قبل الاسلام : ص ٤٢ ، ٤٣ ، محمد عزة دروزة : تاريخ موجات الجنس العربى ودولها ومآثرها فى بلاد الشام : ص ٧ ، نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم : ج ٢ ص ٤٧ .
- (٢) انظر : فيليب حتى : تاريخ سورية : ج ١ ص ٨٥ ، جواد على : تاريخ العرب : ج ٢ ص ٣٠٣ ، جورج ينى : تاريخ سورية : ص ٢٦ ، جورجى زيدان : العرب قبل الاسلام : ص ٤٣ ، عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم : ج ١ ص ١ مصر والعراق ص ٤٦٠ - ٤٨٢ ، محمد عزة دروزة : تاريخ موجات الجنس العربى : ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٨ ، اسرائيل وفنستون : تاريخ اللغات السامية : ص ٥٤ ،
- Musil : Arabia Deserta : p. 477.

وأول هذه الهجرات التي خرجت من شبه جزيرة العرب كانت فى الألف الرابعة قبل الميلاد وحملت معها جماعات الكنعانيين الذين تركوا بأرض سورية وفلسطين (٣) وفى الألف الثالثة قبل الميلاد خرجت الهجرة الثانية وحملت معها الأكاديين الى بلاد ما بين النهرين ، وخرج العموريون الى بابل وبلاد ما بين النهرين فى الشرق والى سورية وفلسطين فى العرب فى موجة الهجرة الثالثة فى الألف الثانية قبل الميلاد ، أما الهجرة الرابعة فى الألف الأولى قبل الميلاد فقد حملت الى أراضى الهلال الخصيب الجماعات العبرانية والآرامية (٤) وهما العنصر الغالب على بلاد الشام قبل الاسلام و زمن الفتح (٥) .

وهكذا خرج من شبه الجزيرة العربية فى العصور القديمة هؤلاء الذين استقروا فى بلاد الهلال الخصيب فى الأربعة آلاف سنة قبل الميلاد فعمروا هذه الجهات وأنشأوا بها حضارات راقية ، وكان شبه الجزيرة كان خزاناً يفيض بما يزيد عن طاقته فى حقبة متعاقبة تبلغ الواحدة منها زهاء الألف عام تقريباً ، وهذه الهجرات منذ بدء الجفاف بعد انتهاء العصر المطير وحتى الألف الأولى قبل الميلاد لا يطلق عليها هجرات عربية إنما تسمى هجرات المجموعات البشرية ذات الثقافة السامية من سكان شبه الجزيرة لأن لفظة عرب لم تنتشر الا فى منتصف الألف الأولى قبل الميلاد (٦) .

(٣) حتى : تاريخ سورية : ج ١ ص ٦٦ ، ٦٧ ، يوسف الدبس : تاريخ سورية : ص ٢٥٥ ، نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم : ج ٣ ص ١٨٣ ، ولفستون : تاريخ اللغات السامية : ص ٥٤ ، دروزة : تاريخ موجات الجنس العربى : ص ٤٥ .
(٤) جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام : ج ٢ ص ٢١٩ ، جميل نخلة المدور : تاريخ بابل وآشور : ص ١١١ - ١١٥ ، جورجى زيدان : العرب قبل الاسلام : ص ٤٠ - ، الدبس : تاريخ سورية : ص ٢١٢ ، ٣١٣ ، حتى : تاريخ سورية : ج ١ ص ١٧٧ ، بيمس هنرى بريستد : تاريخ مصر القديمة من أقدم العصور : ترجمة حسن كمال : ص ٢٦٧ ، طه باقر : مقدمة فى الحضارات القديمة : ص ١٣٩ ، ولفستون : تاريخ اللغات السامية : ص ١٢١ ، ١٢٣ ، رينيه ديسو : العرب فى سورية قبل الاسلام : ص ٢ ، دروزة : تاريخ موجات الجنس العربى : ص ١٩١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم : ج ٣ ص ١٨٤ ، عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم : ج ١ مصر والعراق : ص ٤٦٢ ، محمود طه أبو العلا : جغرافية شبه جزيرة العرب : ص ١٥٦ .

(٥) المسعودى : التنبيه والاشراف : ص ٣٦ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ٢ ص ٢٩٥ ، القلقشندي صبح الأعشى : ص ٥ ص ٤٧٢ ، أحمد أمين : فجر الاسلام : ص ١٣٠ ، ١٣١ .

(٦) زيدان : العرب قبل الاسلام : ص ٤٠ ، ٤١ ، نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى : ج ٣ ص ١٨٠ ، طه أبو العلا : مرجع سابق : ص ١٥٧ .

على أن أهم هذه الهجرات جميعاً كانت هجرة قبائل النبط (٧) الى شمال شبه الجزيرة في القرن السابع قبل الميلاد وهجرة قبائل معد بن عدنان في القرن الأول الميلادي الى بلاد الهلال الخصيب (٨) وهجرة القبائل اليمنية بعد انهيار سد مأرب على دفعات في القرن الثالث الميلادي بعد ازدياد حالة الجفاف في بلاد اليمن (٩) .

وهكذا فان الصلات بين بلاد العرب والشام قديمة جداً لم تنقطع في أى وقت من الأوقات ، ولم يكن انتقال القبائل العربية الى بلاد الشام دفعة واحدة بل حدث على مراحل زمنية متعددة استغرقت قروناً طويلة وكان دخول العرب الى بلاد الشام ظاهرة دائمة وعادية ظلت مستمرة الى ما قبل ظهور الاسلام ولذلك فانه لا يمكن تحديد زمن معين لوصول القبائل والبطون العربية الى مسرحها الجديد (١٠) .

ان تاريخ شمال شبه الجزيرة العربية وبادية الشام قبل الاسلام هو تاريخ الأحداث التي شهدتها جماعات سياسية صغيرة قامت واحدة وراء الأخرى على طول حدود الصحراء من ساحل البحر الأحمر الى أطراف فلسطين وسورية وأرض الرافدين (١١) .

(٧) ذكر أصحاب المعاجم عن النبط انهم جيل من العجم كان ينزل البطائح بين العراقيين وسموا بذلك لكثرة النبط عندهم وهو الماء ، وسمى اولاد شيث بن نوح انباطا لأنهم نزلوا هناك ، وكان العرب تنفر من النبط وتزديهم واذا أراد أحدهم توبيخ الآخر قال : يا نبطي .

الزبيدي : تاج العروس : ج ٥ ص ٢٢٩ ، الفيروز أبادي : القاموس المحيط : ج ٢ ص ٣٧٨ ، ابن منظور : لسان العرب : ج ٩ ص ٢٨٨ ، جواد علي : المفصل في تاريخ العرب : ج ٣ ص ٦ ، ١١ ، زيدان : العرب قبل الاسلام : ص ٨١ وحاشيتها ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات في تاريخ العرب « ج ١ عصر ما قبل الاسلام » ص ٢٢١ ، ٢٢٢ ، محمد بيومي مهران : تاريخ العرب القديم : ص ٤٩٧ .

(٨) البلاذري : أنساب الأشراف : ص ١٣ - ٢٤ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٩ ، ٤٣٤ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٢٧٨ .

(٩) المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ١٠٦ ، حمزة الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء : ص ٩٨ ، العوتبي كتاب الأنساب : ج ٢ ص ٥٢ ، أبو الفداء : المختصر : ج ١ ص ١٠١ .

(١٠) رينيه ديسو : العرب في سورية قبل الاسلام : ص ٢ .

(١١) الطبري : التاريخ : ج ١ ص ٢٢٠ ، ياقوت : معجم البلدان : ج ٦ ص ١٢٨ ، المسعودي : التنبية والأشراف : ص ٧٨ ، مروج الذهب : ج ٢ ص ٢٤٤ ، ابن خلدون : العبر : ج ٢ ص ٢٠ ، حمزة الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء : ص ٦٥ ، جواد علي : المفصل في تاريخ العرب : ج ٣ ص ٦ ، زيدان : تاريخ العرب قبل الاسلام : ص ٨٤ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات في تاريخ العرب : ج ١ عصر ما قبل الاسلام : ص ٢٢١ ، حتى : تاريخ سوريا : ٤٣٣ ،

Procopius : Hist. of the wars : Vol. 1. p. 295, Musil : Palmyrena : p. 237.

وكانت هذه الدويلات قصيرة العمر لأنها لم تكن سوى نتاج فرعى لعملية الاتصال بين منطقة البداوة ومنطقة الحضارة فلم تكن فقط ملتقى ومحطاً لموجات الهجرة القادمة من الصحراء وإنما كانت في الوقت نفسه حاجزاً بين البدو والحضر (١٢) .

وبالإضافة إلى هذا العامل الجغرافي شاركت قوى اقتصادية في تكوين تاريخ العرب في العصور القديمة ، فقد كان يحد شبه الجزيرة طريقان أساسيان على حافة الصحراء تنتقل عليهما السلع من المحيط الهندي إلى موانئ فلسطين وسوريا ، وكان أحد هذين الطريقين يمتد من اليمن إلى جنوب فلسطين والثاني يمتد من الخليج العربي ويدخل وادي الرافدين ثم ينحرف إلى سوريا قاصداً دمشق (١٣) . وعلى هذين الطريقين قامت دويلات الحدود العربية وكان استعمالها أو إغلاقها على حسب الموقف السياسي في الشرق الأدنى يقرر مصير تلك الدول (١٤) ، ولما كان البدو يظهرون على مسرح التاريخ إلا حين ينتقلون إلى دول الحدود فهم المعين الذي لا ينضب للشعب العربي (١٥) ، لأنهم حين يتغلغلون في المناطق المستقرة ويظهرون على مسرح الأحداث ينقطعون عن البداوة ويتركون أماكنهم في الصحراء لآخرين يتبعونهم عبر الحدود ، وما ترويه التوراة « من أن أخوة يوسف باعوه لتجار عرب » هو أقدم إشارة إلى الشعب العربي (١٦) ، وقد أدت حركة الهجرة الموسمية من الصحراء نحو المناطق المزروعة في الشمال إلى أن قامت حوالي القرن الخامس قبل الميلاد أول دولة متحدة على الأطراف الخارجية لمنطقة فلسطين (١٧) .

وكانت عاصمتها البتراء (١٨) وهي محط هام على الطريق التجاري الممتد على حافة شبه جزيرة سيناء (١٩) ، وقد بلغت دولة النبط ذروة

(١٢) موسكاتي : الحضارات السامية القديمة : ص ٢٠٤ .

(١٣) موسل : شمال الحجاز : ص ١ ، ٢ ، موسكاتي : الحضارات السامية القديمة : ص ٢٠١ .

(١٤) Gibbon : the decline and Fall of the Roman Empire Vol. 5, p. 216.

(١٥) موسكاتي : الحضارات السامية القديمة : ص ٢٠١ .

(١٦) المرجع السابق : ص ٢٠٢ .

(١٧) المسعودي : مروج الذهب : ج ١ ص ٢٣ ، التنبيه والإشراف : ٣٦ ، ٧٨ ،

جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : ج ٣ ص ١٣ ، خليل يحيى نامق :

نشر نقوش سامية قديمة : ص ١١٨ (ونقش رقم ٩٠) ، فيليب حتى ، تاريخ سوريا :

ص ٤٢٦ ، جورجى زيدان : تاريخ العرب قبل الإسلام : ص ٨١ ، موسكاتي : الحضارات

السامية القديمة : ص ٢٠٢ .

Gibbon : the decline and fall of the Roman Empire. Vol. 5, p. 214.

(١٨) ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ٣٣٥ .

(١٩) موسل شمال الحجاز : ص ٢ .

ازدهارها في الفترة السابقة لاحتلال الرومان سورية عام ٦٥ ق م (٢٠)، ففي هذه الفترة خضعت كل المنطقة الواقعة شرق فلسطين وجنوبها حتى مدينة الحجر (٢١) التي تسمى الآن مدائن صالح وتأثر النبط بلغة الأراميين وحضارتهم الى حد كبير (٢٢)، غير أن فتح الرومان للشرق الأدنى كان ايذانا باضمحلال دولة النبط حين دانوا لسيادة الرومان ووقعوا ضحية لسياسة تراجان في الشرق (٢٣) الذي حول دولتهم عام ١٠٥ م الى ولاية رومانية سماها « بلاد العرب » (٢٤)

وقد أدى انصياع قوة النبط الى هجر طريقهم التجاري بالتدريج (٢٥) والتحول الى طريق الفرات فزاد هذا من أهمية المحطة الواقعة على ذلك الطريق بين الفرات ودمشق وهي واحة تدمر (٢٦) وشيئا فشيئا ظهرت دولة تدمر (٢٧) وازدادت قوة خلال النصف الأول من القرن السابق على الميلاد لأهميتها التجارية كمحطة قوافل (٢٨) وأهميتها السياسية لوقوعها بين امبراطوريتي الفرس والروم (٢٩)، وقد نمت تدمر في ظل حضارة الاراميين واتخذت لغتهم ومبادئهم الأساسية في الدين والثقافة (٣٠) - كما فعل النبط - وظلت قوتها تزداد حتى شملت سوريا والشرق الأدنى الروماني في منتصف القرن الثالث الميلادي (٣١) الا أن النزعة الاستقلالية للملكة زنوبيا (٣٢) أدت الى القضاء على هذه

(٢٠) موسكاتي : الحضارات السامية القديمة : ص ٢٠٣ .

Sirabo : Geography : Vol. 2 - p. 5, 12.

(٢١) مدينة الحجر تقع بوادي القرى بين المدينة والشام كانت بها منازل ثمود .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٢٢١ .

(٢٢) الطبري : التاريخ : ج ١ ص ٢٢٠ ، المسعودي : التنبيه والاشراف : ص ٣٦ ،

جواد علي : المفصل : ج ٣ ص ٦ ، حتى : تاريخ سوريا : ص ٣٨٥ .

(٢٣) ديسو : العرب في سوريا قبل الاسلام : ص ٨ .

(٢٤) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي : ج ١ ص ٢٠ .

(٢٥) Doughty : Travels in Arabia Deserta, p. 41.

(٢٦) ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٤٦٩ .

(٢٧) Musil : Palmyrena : p. 237.

(٢٨) ابن خلدون : العبر : ج ٢ ص ٧٠ ، حتى : تاريخ سورية : ص ٣٨٩ ،

موسكاتي : الحضارات السامية القديمة : ص ٢٠٣ ، جواد علي : المفصل : ج ٣ ص ٨١ .

(٢٩) حتى : تاريخ سوريا : ص ٤٣٣ .

(٣٠) ابن خلدون : العبر : ج ٢ ص ٧٠ ، موسكاتي : الحضارات السامية القديمة :

ص ٢٠٣ ، Musil : Palmyrena : p. 238.

(٣١) حتى : تاريخ سوريا : ج ١ ص ٣٩٥ .

(٣٢) الطبري : التاريخ : ج ١ ص ٦١٧ ، حمزة الأصفهاني : تاريخ سني ملوك

الأرض : ص ٦٥ ، المسعودي : مروج الذهب : ج ٣ ص ٦٩ ، ابن الاثير : الكامل في

التاريخ : ج ١ ص ٢٤٥ ، جواد علي : المفصل : ج ٣ ، ص ١٠٣ .

الدولة ، ففي عام ٢٧٢ م دخل الامبراطور أورليان مدينة تدمر وقضى على استقلالها الى الأبد (٢٣) . ومع ذلك لم تزل توجد تجمعات عربية صغيرة على أطراف الامبراطورية الرومانية في سوريا وفي ارض ارانيين ولكن لم تكن لها قوة دفاعية كبيرة (٢٤) ، وفي أثناء ذلك كان يبدو شبه الجزيرة يمتلكون بقوة جديدة ، فقد أدى تصدع سد مأرب وضمحلل دول اليمن الى أن تهاجر منها الى الشمال قبائل بأسرها (٢٥) بحثا عن أرض جديدة وكان من نتيجة هذه الحركة أن جاء عقب البتراء وتدمر دويلتان جديدتان على أطراف الصحراء ، ففي القرنين الخامس والسادس ازدهرت حول دمشق (٣٦) مملكة الغساسنة (٣٧) وفي الوقت نفسه ازدهرت دويلة اللخمين (٣٨) في الحيرة (٣٩) بالقرب من ضفاف الفرات وكانت هاتان الدويلتان تابعتين لامبراطوريتي بيزنطة وفارس وكانتا بمثابة مركزي حراسة لهما على حدود الصحراء ولكنهما اضمحتا واختفتا قبيل الفتح الاسلامي تاركتين الامبراطوريتين وجها لوجه مع الفاتحين العرب (٤٠) وأيضا كان الأمر فان ما يهمني في هذا الموضوع هو هجرة القبائل اليمنية بعد انهيار سد مأرب وازدياد حالة الجفاف في بلاد اليمن وندرة وسائل المعيشة ، فقد نتج عن ذلك هجرة قبائل بأجمعها من جنوب بلاد العرب الى شمالها بحثا عن أرض جديدة (٤١) .

ويذكر المسعودي (٤٢) « أن أول من ملك الشام من اليمن هو فالخ ابن يغور ، ومن بعده يوتاب وهو أيوب بن رزاح ثم غلبتهم الروم على

(٣٣) جواد علي : المرجع السابق : ج ٣ ص ١٢٠ ، ادوارد جيون : اضمحلل الامبراطورية الرومانية وسقوطها : ص ٢٧١ ، موسكاتي : الحضارات السامية القديمة : ص ٢٠٤ .

(٣٤) موسكاتي : الحضارات السامية القديمة : ص ٢٠٤ .

(٣٥) العوتبي : كتاب الأنساب : ج ٢ ص ١٩٩ .

(٣٦) ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٤٦٣ - ٤٧٠ .

(٣٧) حمزة الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء : ص ٩٨ - ١٠٤ ، مروج

الذهب : ج ٢ ص ٨٢ ، ابن خلدون : العبر : ج ٢ ص ٢٨٢ ، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر : ج ٧٢ ، ٧٣ ، زيدان : تاريخ العرب قبل الاسلام : ص ١٩٧ .

(٣٨) حمزة الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض : ص ٨٣ - ٩٧ ، الطبري :

التاريخ : ج ١ ص ٥٥٨ ، جواد علي : الفصل : ج ٣ ص ١٥٧ .

(٣٩) ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٣٢٨ - ٣٣١ .

(٤٠) موسكاتي : الحضارات السامية القديمة : ص ٢٠٤ .

(٤١) المرجع السابق : ص ٢٠٤ .

(٤٢) المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ١٠٦ .

ديارهم فتفرقوا في البلاد » (٤٣) . ويجمع المؤرخون على أن قبائل قضاة أولهم الضجاعم هم أول وجود عربي حقيقي في بلاد الشام منذ ولاية الروم عليها (٤٤) والضجاعم هم بنو ضجعم بن مالك بن حمير من عرب حلوان بن عمران بن الحافى بن قضاة بن مالك بن حمير من عرب قحطان (٤٥) ، وقد اصطنعهم الروم ودخلوا في النصرانية وصاروا الملوك بالشام على من حوى من سائر العرب (٤٦) . ثم ملك بالشام من قضاة بعد الضجاعة تنوخ (٤٧) وهم بنو تنوخ بن مالك بن فهم بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان (٤٨) وأول من ملك من تنوخ النعمان ابن عمرو بن مالك ومن بعده عمرو بن النعمان بن عمرو ، ثم الحواري بن النعمان ولم يملك من تنوخ غير هؤلاء (٤٩) ، وقيل ملك بعد النعمان بن عمرو ابنه مالك ومن بعده مالك ابنه عمرو (٥٠) ، وفي هذه الأثناء وردت الشام الموجة الثالثة من قبائل قضاة بن مالك بن حمير القحطانية متمثلة في بنى سليح بن حلوان بن عمران من قضاة فتغلبت بنو سليح على تنوخ (٥١) واعتنقت النصرانية فملكهم الروم على سائر قبائل عرب الشام ، فلم يكن الاعتبار عندهم الا للأقوى الذي يستطيع بسط الأمن وحماية أطراف البلاد من غارات البدو وجباية القبائل لصالح الروم . وعلى أية حال فقد استقام ملك سليح بالشام وأخذت بطون قضاة ترد الشام تباعا الواحدة وراء الأخرى ، فوصل بنو عاملة بن الحارث بن مالك ابن ربيعة بن قضاة واخوتهم بنو وبرة ، وأكثر بنو وبرة بالشام عددا وأشدهم بأسا ونجدة وعزا بنو كلب بن وبرة منهم جناب ومنهم العمائر ومنهم عدى وعليم وأوس الله وتيم الله وسعد الله ووهب الله وزيد

(٤٣) المصدر السابق : ج ٢ ص ١٠٦ .

(٤٤) حمزة الأصفهاني : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩٨ ، ابن حبيب : المحبر : ص ٣٧ ، المسعودى : التنبيه والاشراف : ص ١٨٦ ، مروج الذهب : ج ٢ ص ١٠٦ ، ابن حزم الأندلسى : جمهرة أنساب العرب : ص ٤٥٠ .

(٤٥) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٤٥٠ .

(٤٦) ابن حبيب : كتاب المحبر : ص ٣٧٠ ، المسعودى : مروج الذهب : ج ٢ ص ١٠٦ ، نللكه : أمراء غسان : ص ٤ .

(٤٧) المسعودى : مروج الذهب : ج ٢ ص ١٠٦ ، ديسو : العرب في سوريا : ص ١٠ .

(٤٨) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٤٥٣ ، القلقشندي : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب : ص ١٧٨ .

(٤٩) المسعودى : مروج الذهب : ج ٢ ص ١٠٦ .

(٥٠) ابن رشيقي : العملة : ص ٤١٦ .

(٥١) المسعودى : مروج الذهب : ج ٢ ص ١٠٦ .

الله (٥٢) فهؤلاء ولد رفيدة بن ثور بن كلب . ومنهم العليص ومنهم كنانة الكبرى وهم حماة الشام وبدورها الذين لهم الخفارات على قوى الشام ومدائنهم .

وقال أحدهم في ذلك :

نحن الليوث اذا حمسنا في الوغى والحلم شميئنا اذا لم نحمس
نحن الصخور ومن يحاول عضها ثقلاً نواجهه عليه وتضرس
أعداؤنا لم يسلموا وحریمنا لم تستبح وثوراؤنا لم يغمس (٥٣)

وقد ظلت قضاة تسود عرب الشام حتى قدمت عليهم غسان من شبه الجزيرة فتغيرت الأوضاع . وكانت ديار قضاة بالشام في جبل الشيخ وجبال فلسطين والبلقاء والغور وفي العقبة وجبال الكرك والمنطقة ما بين الشام والحجاز والعراق (٥٤) .

(٥٢) المبرد : نسب عدنان وقحطان : ص ٣٣ ، الأصمعي : تاريخ العرب قبل الاسلام : ص ٧٥ .

(٥٣) الأصمعي : تاريخ العرب قبل الاسلام : ص ٧٥ ، ٧٦ .

(٥٤) الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ١٧٠ ، البغدادى : مرصد الاطلاع : ج ٢ ص ١٣٥٤ ، البكري : معجم ما استعجم : ج ١ ص ١٩ « تفصيل منازلهم وهجرتهم » ، ابن خلدون : العبر ، ج ٢ ص ٢٤٩ ، أبو الفداء : المختصر في اخبار البشر : ج ١ ص ١٠٥ ، ١٠٦ ، عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب : ج ٣ ص ٩٥٧ ، ٩٥٨ .

الفصل الثاني

قبائل الأزد وملك الفارسة بالشام

أولا : خروج الأزد من اليمن :

في الوقت الذي كانت فيه قبائل قضاعة مستقرة بالشام كانت قبائل قحطانية أخرى تشق طريقها من اليمن الى الشام وهي قبائل الأزد (١) ، وهم بنو الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ابن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان (٢) ، وبطون الأزد كثيرة ، منهم الأنصار وهم بنو الأوس والخزرج (٣) ابني حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس بن ثعلبة ابن مازن بن الأزد (٤) ، وبارق وهم بنو عدي بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزيقياء وبنو العتيك بن الأزد بن عمران بن عمرو مزيقياء (٥) . ويقال ولد الأزد سبعة نفر خرجت منهم قبائل وبطون كثيرة هم : نصر وكان أكبر ولده ، ومازن وهو غسان واليه تنتهي كل جموع غسان وعمرا وعبد الله والهنو وقلاد ويقال قدار والهبوب (٦) . ومازن بن الأزد هو

(١) العوتبي : الأنساب : ج ١ ص ١٩٩ .

(٢) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٤٨٤ « نسبه وأولاده وعقبه » .

(٣) العوتبي : الأنساب : ج ١ ص ٦١ ، ٦٢ .

(٤) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٤٨٤ .

(٥) وهب بن منبه : كتاب التيجان : ص ٢٧٣ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب :

ص ٤٨٤ .

(٦) عن قبائل وبطون الأزد وأنسائها انظر : العوتبي : كتاب الأنساب : ج ٢ ص

٤٥ - ٥٠ .

غسان أبو الملوك واليه جماع غسان كلها ، وقيل في سبب تسميته غسان أقوال عديدة اتفقت على أن التسمية لمورد غزير المياه (٧) واختلفت في مرقعه فذكر أنه كان بمأرب (٨) ، وكان مازن بن الأزد وولده ينزلون ذلك الماء دون بنى أبيهم وكان الرجل من الأزد وغيرهم إذا جاءهم في أمر قال : أريد غسان فسموا بذلك ، وعلى هذا عامة العلماء (٩) ، وقيل ان ماء غسان بالمسلك قريب من الجحفة بينها وبين المشلل أو هو بين قديد والجحفة (١٠) أقاموا به زمانا بعد خروجهم من اليمن في طريقهم الى الشمال فسموا به (١١) ، وقيل بل هو ماء لبنى زبيد (١٢) نزل عليه بنو مازن فنسبوا اليه أو هو بالشام (١٣) حيث كان أول نزول بنو مازن . وأيا كان المكان باليمن أو شمالها أو بالشام فان غسان هو ماء نزل عليه بنو مازن فتسموا به . وآل جفنة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء هم ملوك غسان وأرباب الشام وملوكها (١٤) .

وقد خرج الأزد من موطنهم باليمن في نهاية القرن الرابع الميلادي (١٥) بعد انهيار سد مأرب وسيل العرم فخرجوا من جنتى مأرب

(٧) ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ٣٧٨ ، ج ٦ ص ٢٩٢ .
قال حسان بن ثابت الأنصاري :

وغسان ماء كان في الدهر منزلا وحى لنا من كل باد وحاضر
العوتبي : كتاب الأنساب : ج ٢ ص ٤٩ .

(٨) ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ٣٤ - ٣٨ .

(٩) وهب بن منبه : التيجان : ص ٢٨١ ، العوتبي : الأنساب : ج ٢ ص ٤٨ .

(١٠) ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ٣٧٨ .

(١١) العوتبي : الأنساب : ج ٢ ص ٤٨ .

(١٢) وهب بن منبه : التيجان : ص ٢٨١ .

(١٣) العوتبي : الأنساب : ج ٢ ص ٤٩ .

(١٤) قال حسان بن ثابت الأنصاري وهو من الأزد :

أولاد جفنة حول قبر أبيهم
قبر ابن مارية الكریم المفضل
وقال أيضا :

إذا سالت فانا مشر نجب
الأزد نسبنا والماء غسانا
وقال كعب بن مالك الأنصاري :

غسان أصلى وهم معقل
فمن رامهم لم ينل عزمهم
فنعم الأرومة والمعقل
إذا ذكر الحسب الأطول

العوتبي : كتاب الأنساب : ج ٢ ص ٤٩ ، ص ٥٢ .

Ency. Isl. II, p. 984.

(١٥)

يسرون في الأرض فوصلوا مكة (١٦) وبها يومئذ جرهم بن قحطان (١٧) فأقامت الأزد بمكة مدة ثم افترقوا ، منها فرقا لضيق العيش بها فكانت كل فرقة منهم بأرض وبلاد ، فمنهم من نزل السروان (١٨) ثم افترقوا من السروان فسار بعضهم الى عمان (١٩) وأقام منهم من أقام بالسروان ونزل بعضهم السهل ومنهم من تخلف بمكة وما حولها ومنهم من سار الى يثرب (٢٠) ومنهم من قصد العراق (٢١) . وسار ثعلبة وجفنة ابنا عمرو ابن عامر ومن بقي من اخوتهم وقومهم فنزلوا بالمشلل (٢٢) بين قديد والجحفة فأقاموا به زمانا (٢٣) ثم نهضوا حتى لحقوا بأرض الشام (٢٤) فنزلوا حوران وأذرعات وقرن الثنية (٢٥) في نواحي الجنوب الشرقي من أرض دمشق على مقربة من الطرف الشمالي للطريق الذي كان يربط مارب في الجنوب ودمشق في الشمال (٢٦) .

ثانيا : وصول الغساسنة الى الشام :

لما نزل بنو غسان الشام وجدوا صاحب الأمر على من بها العرب قبيلة سليح الضجاعم القضايعين (٢٧) أول من أقام للعرب ملكا بالشام ،

(١٦) العوتبي : كتاب الأنساب : ج ٢ ص ٥٢ ، ٥٣ ، ص ١٩٩ - ٢٠١ ، حمزة الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء : ص ٩٨ ، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر : ج ١ ص ٧٢ .
(١٧) البلاذري : أنساب الأشراف . ج ١ ص ٧ ، ابن خزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٨ .

(١٨) السروان : محلطان من محاضر سلمي أحد جبلي طيء .
ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ٢١٦ .
(١٩) المصدر السابق : ج ٤ ص ١٥٠ - ١٥٢ .
(٢٠) نفسه : ج ٥ ص ٤٣٠ ، ٤٣١ .
(٢١) انظر منازل قبائل الأزد وتنقلاتهم في شبه جزيرة العرب بعد خروجهم من اليمن : وهب بن منبه : كتاب التيجان في ملوك حمير : ص ٢٧٣ - ٢٩٣ ، العوتبي : الأنساب : ج ٢ ص ١٩٩ - ٢٠٦ « خبر مسير الأزد حين أخرجهم سيل العرم وتفرقهم في البلاد » .

(٢٢) المشلل : جبل يهبط الى قديد من ناحية البحر .
ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ١٣٦ .
(٢٤) العوتبي : الأنساب : ج ٢ ص ٢٠٠ .
(٢٤) ابن قتيبة : المعارف : ص ٦٤١ ، العوتبي : الأنساب : ج ٢ ص ٢٠٠ ، ٢٠٢ .
(٢٥) المسعودي : التنبيه والأشراف : ص ١٥٨ ، حتى : تاريخ العرب : ص ١٠٢ .
(٢٦) ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ٣٣٣ .
(٢٧) وهب بن منبه : التيجان : ص ٢٩٤ ، ابن حبيب : المحبر : ص ٢٧٠ ، حمزة الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض : ص ٩٨ ، المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ١٠٦ ، ابن رشيقي : العمدة : ص ٤١٦ ، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر : ج ١ ص ٧٢ ، حتى : تاريخ سورية : ج ١ ص ٤٤٦ ، عبد اللطيف الطيباوي : محاضرات في تاريخ العرب والاسلام : ص ١١ ، محمد بيومي مهران : تاريخ العرب القديم : ص ٥٦٢ .

فَقَالَتْ غَسَّانُ لَسَلِيحَ : ارْعُونَا بِلْدَكُمْ ، فَقَالُوا لَهُمْ : لَيْسَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ وَذَلِكَ إِلَى الْمَلِكِ قَيْصَرَ ، فَقَالَتْ لَهُمْ غَسَّانُ : أَنْتُمْ شَفَعَاؤُنَا إِلَيْهِ فَكَلِمُوهُ فِي غَسَّانَ وَأَخَذُوا لَنَا مِنْهُ عَهْدًا ، وَأَذْنَتِ الرُّومُ لَغَسَّانَ بِنَزُولِ الشَّامِ فَأَقَامُوا مَعَ سَلِيحَ وَجَاوَرُوهُمْ بِأَحْسَنِ جَوَارٍ وَعِنْدَهُ غَسَّانُ كِتَابٌ مِنْ قَيْصَرَ بِالْعَهْدِ الَّذِي أُعْطَاهُ لَهُمْ حِينَ تَوَسَّطَتْ لَهُمْ سَلِيحَ (٢٨) ، وَاسْتَمَرَ الْوَضْعُ عَلَى ذَلِكَ حِينًا مِنَ الزَّمَنِ حَتَّى خَرَجَ عَامِلُ لَقَيْصَرَ مِنَ سَلِيحَ الضَّبِجَاعِمِ جَبَاةَ الرُّومِ بِالشَّامِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَيَدْعَى سَبِيطُ بْنُ الْمُنْذَرِ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ابْنَ ضَبِجَعَمِ ابْنَ حِمَاطَةَ (٢٩) وَمَعَهُ جَرِيدَةٌ مِنْ قَوْمِهِ وَعَسَاكِرُ الرُّومِ وَذَلِكَ لِيَجْبِيَ مِنَ تَحْتِ يَدِهِ مِنَ الرُّومِ وَغَيْرِهِمْ ، وَكَانَتْ سَلِيحَ يَجْبُونَ مِنْ نَزْلِ بِسَاحَتِهِمْ مِنْ مَضَرٍ وَغَيْرِهَا لِلرُّومِ (٣٠) وَكَانُوا يَجْبُونَهُمْ لِكُلِّ رَأْسٍ دِينَارًا وَنَصْفَ وَدِينَارَيْنِ فِي كُلِّ سَنَةٍ عَلَى أَقْدَارِهِمْ (٣١) وَحَسِبَ الْأَحْوَالُ مِنْ جَدْبٍ وَرِخَاءٍ فَأَتَى غَسَّانُ يَجْبِيهِمْ فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَعْرِفُونَ الْجَبَايَةَ وَلَمْ تَكُنِ التَّبَايَعَةُ تَفْعَلُ ذَلِكَ وَلَا هِيَ مِنْ سُنَّتِهِمْ وَمَا كَانُوا يَدْخُلُونَ بَيْوتَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مَا جَبُوا بِأَسْيَافِهِمْ (٣٢) . فَلَمَّا أَتَاهُمْ عَامِلُ قَيْصَرَ فِي الْجَبَايَةِ ثَقُلَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا لَهُ : إِنْ كِتَابَ قَيْصَرَ بِالْعَهْدِ عِنْدَنَا وَإِنَّمَا جَاوَرْنَا لَوَجْهِ الرَّاحَةِ (٣٣) . فَقَالَ لَهُمُ الْجَبَابِيُّ : لَا أَدْرِي مَا تَقُولُونَ وَلَكِنْ أَدُوا مَا عَلَيْكُمْ وَالْأَفْلَاحُ لَكُمْ عِنْدِي إِلَّا السَّيْفُ وَلَا يَبْقَى إِنْسَانٌ مِنْكُمْ إِلَّا أُعْطَانِي دِينَارًا فَاصْطَفُوا صَفًا وَاحِدًا فَإِذَا مَرَرْتُ بِرَجُلٍ نَاولْنِي دِينَارًا ففَعَلُوا . وَجَعَلَ لَا يَمُرُّ بِرَجُلٍ إِلَّا أُعْطَاهُ حَتَّى أَتَى عَلَى الصَّفُوفِ وَالْمَلِكِ حَارِثَةُ بْنُ ثَعْلَبَةَ الْعَنْقَاءَ (٣٤) قَائِمٌ بِمَعَزَلٍ عَنْهُمْ فَقَالَ لَهُمْ : مَا بِأَلِ هَذَا لَا يُعْطِينِي ! فَقَالُوا لَهُ : ذَلِكَ ابْنُ الْمَلِكِ . فَقَالَ لَهُمْ : لَا أَعْرِفُ مَلِكًا غَيْرَ قَيْصَرَ وَطَلَبَ مِنْهُ دِينَارًا ، فَقَالَ حَارِثَةُ : « أَنَا رَأَى قَوْمِي وَالْمَلِكُ أَبْصَرَ لِنَفْسِهِ يَحْمِلُ عَنْهُمْ الضَّمِيمَ وَلَا يُؤْدِي قَوْمَهُ إِلَى مَا يَكْرَهُونَ » (٣٥) . وَمرَّ الْجَبَابِيُّ عَلَى جَذَعِ بْنِ سِنَانِ الْغَسَّانِيِّ (٣٦) وَهُوَ وَقَفَ فِي طَرَفِ النَّاسِ

(٢٨) وَهَبُ بْنُ مَنبِهٍ : التَّيْجَانُ : ص ٢٩٤ .

(٢٩) ابْنُ حَبِيبٍ : الْمُحَبَّرُ : ص ٣٧١ ، حَمَزَةُ الْأَصْفَهَانِي : تَارِيخُ سُنَى مُلُوكِ الْأَرْضِ وَالْأَنْبِيَاءِ : ص ٩٨ .

(٣٠) ابْنُ قَتِيْبَةَ : الْمَعَارِفُ : ص ٦٤٠ ، ابْنُ حَبِيبٍ : الْمُحَبَّرُ : ص ٣٧٠ .

(٣١) ابْنُ حَبِيبٍ : الْمَصْدَرُ السَّابِقُ : ص ٣٧١ .

(٣٢) وَهَبُ بْنُ مَنبِهٍ : التَّيْجَانُ : ص ٢٩٤ .

(٣٣) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ : ص ٢٩٤ .

(٣٤) ابْنُ حَزْمٍ : جَمْعُ أَنْسَابِ الْعَرَبِ : ص ٣٣٢ ، وَفِيهِ سِلْسِلَةُ نَسَبِهِ .

(٣٥) وَهَبُ بْنُ مَنبِهٍ : التَّيْجَانُ : ص ٢٩٤ .

(٣٦) ابْنُ حَزْمٍ : جَمْعُ أَنْسَابِ الْعَرَبِ : ص ٣٧٤ وَفِيهِ سِلْسِلَةُ نَسَبِهِ : ابْنُ قَتِيْبَةَ :

الْمَعَارِفُ : ص ٦٤١ .

وفي يده سيف خلق الجفن (٣٧) وقد قعد به الدهر فقال له جذع : خذ سيفي حتى أعطيك دينارا فكأكه فأنهره الجابي وقال له ما يشينه (٣٨) . فلم يسمع ما قاله لأنه لا يسمع جيدا ، ولكنه علم انه لم يقل خيرا وسأل من حوله عما قاله ؟ فلم يعلموه لشدة ذلك على نفسه . فقال ابن أخت له قال كذا وكذا فسل جذع سيفه وضرب رأس الجابي فأطاح به (٣٩) وقال : خلفت الراحة والدعة في سد سبأ ثم أحمل ضيما لطلب الراحة والدعة . فقال رجل من غسان نكاية في الجابي « خذ من جذع ما أعطاك » (٤٠) فذهبت مثلا تناقلته العرب .

خرج كاتب لقيصر فأعلمه الذي كان ، فبعث اليهم قيصر مائة رجل ليسوقوا غسان فيقتلوا منهم من (٤١) شاءوا فلقيتهم غسان بوادي الكسوة (٤٢) وعمدوا الى المائة رجل فقتلوه وأخذوا كسوتهم وخيلهم وأتى الخبر الى قيصر فبعث الى غسان الجاثليق « وهو رجل من كسار أعوانه » لينظر له حال القوم وما هم عليه ، فأتى الجاثليق غسان فوجدهم على عهد قيصر وأخرجوا له كتابه (٤٣) فرجع وأعلمه بذلك وقال له : أيها الملك ان القوم لهم منعة ومن الصواب أن تكف عنهم الجند ونوفى لهم الشرط ، فبعث اليهم قيصر ان أرسلوا بمائة رجل من أشرافكم وخياركم حتى أعهد بيني وبينهم عهدا وأعقد لهم عقدا ، فلما أتاهم رسول قيصر اجتمعت غسان للتشاور فقال حارثة : ما تقول يا جذع فقال له : ارسل معي تسعة وتسعين عبدا وأنا تمام المائة (٤٤) .

(٣٧) الجفن : غمد السيف وسيف خلق الجفن أى سيف مشهور من غمده .

الفيروزبادي : القاموس : مادة جفن ، الرازي : مختار الصحاح : مادة جفن :

ص ١٠٦ .

(٣٨) وهب بن منبه : التيجان : ص ٤٩٥ ، ابن رشيقي : العمدة : ص ٤١٦ ، حمزة

الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض : ص ٩٨ ، ٩٩ .

(٣٩) ابن حبيب : المحبر : ص ٣٧١ ، حمزة الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض :

ص ٩٩ ، ابن رشيقي : العمدة : ص ٤١٦ ، الألوسي : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب :

ص ١٧٣ .

(٤٠) وهب بن منبه : التيجان : ص ٢٩٥ ، الميداني : كتاب الأمثال : ج ٢ ص ٢١٥ ،

ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ١٧٤ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٢٨٦ ، الألوسي :

بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب : ص ١٧٣ .

(٤١) وهب بن منبه : التيجان : ص ٢٩٥ .

(٤٢) تسمى بذلك للكسوة التي أخذتها غسان من الروم وهو مكان يسمى جلق

في جنوب حوران على بعد عشرة أميال جنوبى دمشق .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٦١ .

(٤٣) وهب بن منبه : التيجان : ص ٢٩٥ .

(٤٤) المصدر السابق : ص ٢٩٥ .

لما أتى جذع الى قيصر قال له : من أنت ؟ قال : جذع بن سنان ، فقال : ومن هؤلاء الذين معك ؟ قال جذع هؤلاء تسعة وتسعون عبدا ليس فيهم حر غيرى وأما أن يأتيتك خيارنا ووجوهنا فتفعل بهم أمرك فلا . فافعل خيرا ان أردته وان كان شرا قتلت تسعة وتسعين عبدا وقتلتنى شيخا أعور أصم (٤٥) . فلما رأى قيصر ذلك وأنه لم ينل حاجته شاور أصحابه فقالوا له : اذ لم تنل حاجتك فاعط هذا الرجل حاجته ، فسأله قيصر عن حاجته فقال له جذع : ان فى نفسك منا شيئا لابد لك منه ومقامنا معك غرور وأنت ملك تقدر ان تقول فتفعل واذا قلدر الأعجمى فعل ونحن العرب نقدر ونترك لطفا ورأفة . فقال قيصر لجلسائه - حسب رواية صاحب التيجان (٤٦) - اسمعتم ما لقبنى به هذا الأعمى !! فقالوا له : « ابذر الحب العام لمن تريد أن تذبحه قابل » فقال له جذع : اكتب لى كتابا بالصلح بيننا وبينكم واعطنا فيه ذمة ابراهيم واسحاق وتفى بالكتاب الأول الذى كنت كتبت لنا ولا تمنع منا من أراد الدخول فى بلدك ولا من أراد الخروج ولا تمنعنا مرعى نرعاه ولا يأتينا عدو الا كانت عساكرنا أنصارنا ولا يظلمنا ظالم الا نصرتنا والمواساة منك بالعدل ، فأعطاه ذلك وكتب له كتابا وأرسله الى عامله وأرسله العامل الى حارثة وقال لهم : لكم العدل والمقام متى شئتم والرحيل متى شئتم .

قبل الفساسنة عهد الروم مع الحيطة والحذر فقال جذع لأصحابه : أعطاكم عطايا تحته حتف (٤٧) فأعطوه استقامة تعقبها ندامة ، واحذروا فانى لا آمنه عليكم انما أراد أن يسكنكم حتى تسكنوا ثم يفاجئكم بغدرة كأن قلبه لكم كالمرجل وانى والله ما التقى بصرى وبصره الا ورأيت العداوة فى نظره وان ظريفة - « كبيرة الأزد وعرافتها » - قد وصفت لكم من يقيم بأرض الشام وما تلقون من حروبهم وهم بنو جفنة فأقيموا ووصفت من يلحق بيثرب فانهم يا حارثة بنوك وبنو بنيك فاطيعونى فمازلت لكم ناصحا (٤٨) ، وما زال جذع بن سنان الأزدي محذرا قومه من الأزدي مخاطر الإقامة فى الشام (٤٩) وأن الروم لابد وأن ينتقموا لقتلى وادى

(٤٥) نفسه : ص ٢٩٦ .

(٤٦) نفسه : ص ٢٩٦ .

(٤٧) نفسه : ص ٢٩٦ .

(٤٨) نفسه : ص ٢٩٦ ، ابن حبيب : كتاب المحبر : ص ٣٧١ .

(٤٩) وهب بن منبه : التيجان : ص ٢٩٦ .

الكسوة فأطاعه حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر (٥٠) ورجع مع بنيه الأوس والخزرج الى يثرب (٥١) .

بينما رجع الأوس والخزرج الى يثرب أقام جفنة بالشام وأقام معهم اخوانهم من بني عمرو بن عامر وغيرهم من قبائل الأزد فدخلوا في نسب بني جفنة وهم بنو قيس بن جفنة وعامر بن جفنة وجبلة بن جفنة وأولادهم، وقدم عمرو بن جفنة على قومه واخوته وبني عمه بالشام (٥٢) فنزل البلقاء (٥٣) ، وبذلك اكتمل جمع بني غسان بالشام بعد أن أقام من أقام وظعن من ظعن .

ثالثا : ملك الغساسنة بالشام :

١ - الحرب مع الروم :

لما بلغ قيصر الروس دقيوس Dkuos أن حارثة بن ثعلبة خرج في قومه من الشام يريد يثرب من أرض العرب طمع فيمن بقي بالشام من غسان واستهان بهم فأراد أن يبيدهم أو يردهم من حيث أتوا لمنافرتهم وصعوبة قودهم ، وربما خشية تمردهم على سلطان الدولة فجمع لهم قليل من روم البلقاء ومعهم سليح وسائر عرب الشام من كنانة (٥٤) ولخم

(٥٠) العوتبي : الأنساب : ج ٢ ص ٢٠٢ .

(٥١) أم الأوس والخزرج هي : قبيلة بنت الأرقم بن عمرو بن جفنة بن عمرو بن عامر ، وقال البعض : بل هي قبيلة بنت كامل بن عمرو بن سود بن أسلم بن الحاف بن فضاة . ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٣٢ ، العوتبي : كتاب الأنساب : ج ٢ ص ٢٠٢ ، ابن حبيب : المحبر : ص ٣٧١ .

والأوس والخزرج هم الذين أكرمهم الله بهجرة نبيه صلى الله عليه وسلم فنصروهم ولذلك سموا أنصارا « فكان لهم اسما ونسبا » .

ابن هشام : السيرة : ج ٢ ص ٢١ ، العوتبي : الأنساب : ج ٢ ص ٢٠٢ .

(٥٢) وهب بن منبه : التيجان في ملوك حمير : ص ٢٩٧ ، حمزة الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض : ص ٩٨ ، ٩٩ ، المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ١٠٧ ، ١٠٩ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٧٢ ، العوتبي : الأنساب : ج ٢ ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ابن رشيقي : العمدة : ص ٤١٦ ، أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر : ج ١ ص ٧٢ .

(٥٣) ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ٤٨٩ .

(٥٤) كنانة هو الأب الثامن في سلسلة نسب النبي صلى الله عليه وسلم ، وبني كنانة من القبائل العدنانية التي نزلت فلسطين واستقرت بجوار عسقلان .

انظر : ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ١١ ، ١٨٠ - ١٨٢ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٣٦٦ ، مصطفى مراد الدباغ : القبائل العربية : ص ١٨٦ .

وجذام ، فصعب على سليح أن يغدروا ببني جلدتهم وقد لجئوا اليهم ولم يروا منهم الى ذلك الوقت الا خيرا ، فتظاهروا بنصرة الروم دون فعل حقيقى ثم انسحبوا منهزمين فنالت غسان من الروم بالبقاء وأوقعت بهم (٥٥) .

لم يرض الروم بقتل من قتل منهم فى البقاء وشعروا أنهم استهانوا بأمر غسان وأنه لابد من تأديبهم حفظا لهيبتهم وردعا لساثر عرب الشام فجمعوا لهم جمعا كبيرا فاق عددهم ومعهم سليح وكنانة وجذام حلفاء الروم ، ووقعت الحرب بينهم وبين غسان فى مرج الظباء وتكاثرت الروم ومن معهم على بني جفنة فصبروا للقتال (٥٦) وما لبثت كنانة أن اتخذت جانب غسان ونادى زعيمهم زيد بن نمر الكنانى قائلا : « يا آل قحطان أما ترون الروم يقتلون غسان ويهدمون بني قحطان ونحن نسر بذلك ونعين عليهم » (٥٧) ورأى عمر بن جفنة حرج موقفه من تكالب الأعداء وقلة العدد وكثرة الجراح فأراد ان يستنقذ قومه من الابداء وأرسل الى قيصر فى المهادنة والصلح ، ولكن قيصر رفض العرض الغسانى الا اذا ألقت غسان سلاحها ونزلت على حكمه ، ولكن الاستسلام لم يكن من شيم العرب فرفضت غسان شروط قيصر الروم (٥٨) واستأنفت المعركة واستمات العرب فى الحرب لموت كريم ولا عيش ذليل وهب اخوتهم وبنو عموماتهم من جزيرة العرب لنجدتهم ومالت القبائل الموالية للروم الى بني تجنسهم فلم يستطع الروم حسم الأمر لصالحهم سريعا فضلا عن عدم صبرهم للقتال لوقت طويل فى الصحراء فأرسل قيصر الى غسان بوقف الحرب نظير الجزية فصالحوه على أن يدفعوا دينارا عن كل واحد منهم (٥٩) ،

(٥٥) فى ذلك يقول عمرو بن جفنة :
كان الجماجم بيض النعام
بقاعة الشعب من بالعة
أقمنا الظبا فى رموس العدا
نفديها فى الوغى قاطعة
وهب بن منبه : التيجان : ص ٢٩٧ .
وبالعة مكان المعركة من قرى البلقان فى أرض دمشق ذكرها ياقوت فى معجمه :
ج ١ ص ٣٢٩ .

وهب بن منبه : التيجان : ص ٢٩٧ .
(٥٦) وهب بن منبه : التيجان : ص ٢٩٧ .
(٥٧) المصدر السابق : ص ٢٩٨ .
(٥٨) قال غسان بن جذع بن سنان فى ذلك :
لعمري لقد فاز الذين تقدموا
وصاروا الى عز ولم يتذللوا
فما الموت عار أن يصاب به اللئى
ولكن عارا أن يزول التجميل
فلا تخضعوا للدمر عند ملمسة
فكل الذى يؤتى به المرء ينزل
المصدر السابق : ص ٢٩٨ .
(٥٩) المصدر السابق : ص ٢٩٨ ، حمزة الأصفهاني : تاريخ سنى ملوك الأرض :
ص ٩٨ .

وأتى رسول قيصر يجبي المال من غسان فنزل بباب دمشق فسمى باب الجابية (٦٠) وظل يعرف بذلك الى زمن طويل ، ويعتبر ذلك نصرا لقبائل غسان لأن الروم لم يفلحوا في ردهم الى شبه الجزيرة أو استئصال شأفتهم من الشام بل ازدادت غسان قوة وتمسكا بما تحت أيديهم من أراض ومراع .

٢ - الحرب مع سليح الضجاعم من قضاة :

استمرت قبيلة سليح الضجاعم من قضاة القحطانية تجبي غسان لصالح الروم فترة من الزمن (٦١) حتى جاءت عليهم سنة جدباء نزلت فيها غسان بواد يقال له المحفف شتوا فيه في جهد شديد فأتاهم جابي الروم من سليح ويدعى وسيط بن عوف الضجعمي (٦٢) أرسله قيصر الى غسان وأمره فيهم بالغلظة فجمع الاتاوة حتى انتهى الى دار جذع ابن سنان (٦٣) هو ومن معه من الروم فقال له جذع : أما ترى ما نحن فيه من الهزال وما بينك وبين الخصب الا انسالخ هذا الشهر فاصبر الى أن تأخذ (٦٤) . ولكن الجابي وسيط من سليح رفض الانتظار فطعنه جذع بالسيف فقتل عليه واجتمعت غسان وأخذوا ما كان جبي منهم من مال وتنادت سليح بشعارها وتنادت غسان بشعارها والتقوا بموضع يقال له المحفف ووقعت الحرب بينهما فانتصرت غسان انتصارا حاسما (٦٥) وقضت على سليح (٦٦) . ويذكر بعض المؤرخين (٦٧) أن غسان أبادت

(٦٠) الجابية قرية من أعمال دمشق من ناحية الجولان قرب مرج الصفر شمال حوران وبالقرب منها تل يسمى تل الجابية بدمشق منسوب الى هذا الموضع .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٩١ .

(٦١) ابن خلدون : العبر : ج ٢ ص ٥٨٣ .

(٦٢) وهب بن منبه : التيجان : ص ٢٩٨ ، حمزة الاصفهاني : تاريخ سني ملوك

الأرض : ص ٩٨ .

(٦٣) حمزة الاصفهاني : المصدر السابق : ص ٩٨ .

(٦٤) وهب بن منبه : التيجان : ص ٢٩٩ .

(٦٥) وهب بن منبه : المصدر السابق : ص ٢٩٩ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٦٤٢ ،

ابن حبيب : المحبر : ص ٣٧١ ، حمزة الاصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض : ص ٩٨ ،

٩٩ ، ابن خلدون : العبر : ج ٢ ص ٥٨٣ ، اليعقوبي : التاريخ : ج ١ ص ١٦٧ ، فلدكة :

أمراء غسان : ص ٨ .

(٦٦) في ذلك يقول حبة بن الاسود شاعر غسان :

فمن مبلغ عنا يمانى قومنا بأننا قتلنا بالمحفف ضجعمسا

قتلنا سليحا والذين تضجعوا بأسيا فانا اذ صيروا الأمر مبهما

أراد ملوك الروم أن يبلغوا العلا فلاقى وسيطا تحبه يقطر الدما

فذكروا من الوجد الذى هو دائم فان لكم يوما عبوسا رمما

وهب بن منبه : التيجان في ملوك حمير : ص ٣٠٠ .

(٦٧) ابن حبيب : المحبر : ص ٢٧١ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٦٤٢ .

سليح الضجاعم عن آخرهم بالمحفف بينما يذكر آخرون أنه بقيت منهم بقية في مواضع متفرقة بالشام الى زمن متأخر (٦٨) ، ويؤكد ذلك أن النابغة الذبياني زار أحدهم (٦٩) في بصرى (٧٠) ، وأن جماعة من الضجاعم حاربوا خالد بن الوليد في قصم (٧١) وفي دومة الجندل (٧٢) بقيادة ابن الجورجان (٧٣) .

وأيا كان الأمر فإن سليح الضجاعم لم يعد يسمع بهم في تاريخ الشام بعد وقعة المحفف وقفرت غسان الى مركز الصدارة (٧٤) وصارت زعيمة عرب الشام جميعا وذلك أن قيصر خشى أن يدخل عليه خلل في ملكه أو يفتق عليه ما لا يستطيع رتقه (٧٥) وكان أكثر خوفه أن تميل غسان مع فارس عليه فضلا عن حاجته الى حليف قوى يسوس بقية القبائل العربية في الشام يوحفظ الأمن والنظام ويحرس ربوع البلاد من غارات البدو والأعراب (٧٦) في ذلك الاقليم الهام المتصل ببلاد فارس من ناحية الشرق وبلاد العرب من ناحية الجنوب وهي أكثر الجهات خطرا على سلطان الدولة في الشام ، ولم يكن هذا ليتوفر في ذلك الوقت الا لقبائل غسان من الأزد القحطانية (٧٧) النازحة من اليمن الى الشمال والتي فرضت نفسها على مسرح الأحداث وتهيأت لتولى هذه المهام .

فبعد وقعة المحفف وقتل معظم سليح الضجاعم أرسل قيصر الى غسان رسالة جاء فيها : « أنتم قوم لكم بأس شديد وعدد كثير وقد قتلتم هذا الحي وكان أشد حى في العرب وأكثرهم عدة واني جاعلكم مكانهم وكاتب بينى وبينكم كتابا ان دهمكم دهم من العرب أمددتكم بأربعة آلاف »

(٦٨) نلدكه : أمراء غسان : ص ٨ .

(٦٩) يقول النابغة الذبياني :

لعمري لنعم المرء من آل ضجعم
فتى لم تلده بنت عم قريبة
نزور ببصرى او ببرقة هارب
فيضوى وقد يضوى سليل الأقارب

النابغة الذبياني : الديوان : نشره محمد جمال : بيروت ١٩٢٩ ص ١٨ .

(٧٠) ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ٤٤١ ، ٤٤٢ .

(٧١) المصدر السابق : ج ٤ ص ٣٦٥ .

(٧٢) نفسه : ج ٢ ص ٤٨٧ - ٤٨٩ .

(٧٣) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ١٣٢ ، الطبرى : التاريخ : ج ٣ ص ٣٧٨ ،

ابن خلدون : العبر : ج ٢ ص ٢٧٨ ، نلدكه : أمراء غسان : ص ٤ ، السيد عبد العزيز

سالم : دراسات في تاريخ العرب : ج ١ عصر ما قبل الاسلام : ص ٢٧٥ .

(٧٤) ابن خلدون : العبر : ج ٢ ص ٥٨٣ .

(٧٥) وهب بن منبه : التيجان : ص ٣٠٠ .

(٧٦) عمر فروخ : تاريخ الجاهلية : ص ٦٨ ، محمد مبروك نافع : تاريخ العرب

« عصر ما قبل الاسلام » ص ١١١ .

(٧٧) العوتبي : الانساب : ج ٢ ص ٤٤ وما بعدها .

فارس وثمانية آلاف راجل بأدواتهم ، وان دهمنا دهم من العرب فعليكم عشرة آلاف مقاتل بأدواتهم على ألا تتدخلوا بيننا وبين فارس » (٧٨) وقبلت غسان ما جاء في رسالة قيصر وكتب الكتاب بينهم (٧٩) وجعلت الروم سادة غسان من قبائل الأزدي اليمنية ملوكا على عرب الشام في ظل السيادة الرومية (٨٠) وكان ذلك في أواخر القرن الخامس الميلادي (٨١) .

وبذلك استطاعت قبائل أزد غسان المهاجرة أن تؤسس لنفسها دولة بالشام استمرت قرنا وبعض قرن من أواخر القرن الخامس الميلادي وحتى ظهور الاسلام وعاشت في كنفها سائر القبائل العربية التي استوطنت الشام في ذلك الوقت مثل كلب وتنوخ ولخم وجذام وبهراء وبلقين وبلي وعذرة وغيرها من القبائل التي ظلت موجودة الى جوار غسان حتى ظهر الاسلام واشتركت في وقائع فتح الشام وحرب اليرموك ضد المسلمين (٨٢) وهم الذين سماهم بعض المؤرخين « متنصرة العرب » (٨٣) .

٣ - ملوك الغساسنة :

امتدت دولة الغساسنة بعد استقرار حال قبائلها في الشام لتشمل اليرموك والجولان وحووران والبلقاء والغوطة وبعض الأردن فضلا عن أعراب البادية المقيمين وبدوها الرحل (٨٤) وكان مقر الملك لآل جفنة في بداية الأمر مخيما متنقلا بحسب مصالح القبيلة (٨٥) استقر بعد فترة فيما بين الجابية بالجولان جنوب غرب دمشق وبين جلق في جنوب حوران (٨٦) ولم يسكن الغساسنة في بداية الأمر المدن الكبيرة كبصرى وتدمر دمشق لأنها كانت مدنا محصنة تتمركز فيها الحاميات البيزنطية .

- (٧٨) وهب بن منبه : التيجان : ص ٣٠٠ ، ابن حبيب : المحبر : ص ٣٧١ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٦٤٣ .
- (٧٩) ابن حبيب : المحبر : ص ٣٧١ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٦٤٣ .
- (٨٠) ابن قتيبة : المعارف : ص ٦٤٣ ، حمزة الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض : ص ٩٩ ، المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ١٠٧ ، ابن رشيد : العمدة : ص ٤١٦ .
- (٨١) نلذكه : أمراء غسان : ص ٨ ، جواد علي : الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام : ج ٤ ص ١٢٥ ، عبد اللطيف الطيباوي : محاضرات في تاريخ العرب : ص ١١ .
- (٨٢) الأزدي : فتوح الشام : ج ١ ص ٨١ .
- (٨٣) الواقدي : فتوح الشام : ص ١٦٥ ، الطبري : التاريخ : ج ٣ ص ٣٨٩ .
- (٨٤) المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ١٠٩ ، عبد اللطيف الطيباوي : محاضرات في تاريخ العرب والاسلام : ص ١٢ .
- (٨٥) حتى : تاريخ العرب : ص ٤٤٩ .
- (٨٦) عن الجابية وجلق انظر ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٩١ ، ١٥٥ ، دائرة المعارف الاسلامية مادة جابية ومادة جلق .

فضلا عن اعتمادهم على الصحراء حماية لظهورهم اذا داهمهم الخطر فكانت تغنيهم عن المدن الحصينة ومن ثم فقد كانت معظم حروبهم تدور على أطراف البادية واليهما التجئوا في وقت الشدة (٨٧) .

اختلف المؤرخون اختلافا كبيرا في عدد ملوك دولة قبائل أزد غسان بالشام وفي مدة حكمها ، وأخبارهم عن ذلك مليئة بالاختلاط والاضطراب والتناقض (٨٨) ولعل ذلك مرجعه الى أن حياة الغساسنة في كنف الروم وتجاربهم السابقة معهم ونظرة الروم اليهم على أنهم مجرد حراس الصحراء جعلتهم يتوجسون خيفة من الغدر بهم في أى وقت فاتسمت حياتهم بعدم الاستقرار وكانت لهم أكثر من عاصمة (٨٩) ، وقد حاول المستشرق الألماني تيودور نولدكه أن يوضح الغموض الذي أحاط بتاريخ دولة بني غسان فوضع كتاب « أمراء غسان » وضح فيه الأخبار التي وردت عن هذه الدولة في المراجع العربية واليونانية والسريانية واستخلص أن ملوكها الذين عرفهم الروم عشرة فقط أولهم في أواخر القرن الخامس الميلادي وآخرهم عند ظهور الاسلام فيما لا يتجاوز قرنا وبعض قرن (٩٠) ، وكانت الديانة المسيحية قد بدأت تتسرب الى قبائل أزد غسان منذ القرن الرابع الميلادي (٩١) بحكم المجاورة وتأثير ما بينهم وبين الروم غير أن مذهبهم لم يكن المذهب الملكاني مذهب الدولة وانما المذهب المنوفستي السائد في البلاد السورية حينذاك (٩٢) يعتبر جفنة بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة بن

(٨٧) المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ٨٥ ، عبد اللطيف الطيباوى : محاضرات في تاريخ العرب والاسلام : ص ١٢ .

(٨٨) الأصمعي : تاريخ العرب قبل الاسلام : ص ١٠١ - ١١٢ ، ابن حبيب : المحبر ص ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٣١٤ - ٣١٦ ، حمزة الأصفهاني : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩٨ - ١٠٤ ، المسعودي ، مروج الذهب : ج ٢ ص ١٠٧ - ١١٠ ، ابن رشيقي : العبدية : ص ٤١٦ ، ٤١٧ ، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر : ج ١ ص ٧٢ ، ٧٣ ، نلدكه : أمراء غسان : ص ١٠ ، جواد علي : الفصل : ج ٤ ص ١٢٥ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات : ص ٢٧١ ، محمد بيومي مهران : تاريخ العرب القديم : ص ٥٦١ .

(٨٩) حمزة الأصفهاني : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩٩ ، حتى : تاريخ العرب : ص ٤٤٩ .

(٩٠) نلدكه : أمراء غسان : ص ٩ .

(٩١) يذكر فيليب حتى أن بعض الاسر المسيحية التي تعيش اليوم في سورية ولبنان مثل آل معلوف وآل عطية ترجع بأصلها الى الغساسنة .

تاريخ سورية ولبنان وفلسطين : ج ١ ص ٤٤٦ هامش ١ .

(٩٢) حتى : تاريخ العرب : ج ١ ص ١٠٣ .

مازن بن الأزد مؤسس دولة الغساسنة وأول ملوكهم (٩٣) ، واسم جفنة حارثة بن عمرو (٩٤) ويقال انه سمي جفنة لأنه أول من أطمع الطعام في الجفنة (٩٥) فغلب عليه هذا الاسم ، وسمى عمرو « مزقياء » لأن الأزد تمزقت على عهدِه بعد سيل العرم فذهبت كل قبيلة الى مكان . فلعلهم المقصودين بقوله تعالى : « فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق » (٩٦) . وكان سيل العرم قبل الاسلام بحوالى أربعمئة سنة وقد أريخت به العرب (٩٧) ، وقيل ان جفنة حكم خمسا وأربعين سنة وملكه على عرب الشام نسطورس Nastors امبراطور الروم فدانت له سائر قبائل قضاة بالشام وبنى جلق والقرية وعدة مصانع (٩٨) .

ولسهولة تتبع حكام السلالة الجفنية على قبائل أزد غسان بالشام نذكر أن جفنة بن عمرو ولد ثلاثة رهط هم : الحارث بن جفنة وثلعة ابن جفنة وعمرو بن جفنة (٩٩) ، فولد عمرو بن جفنة : ثلعة وأنجب ثلعة الحارث الأكبر والأرقم فولد الحارث الأكبر يزيد وجبله وولد الأرقم مارية ذات القرطين (١٠٠) الشهيرة فتزوج جبله بن الحارث ابنة عمه مارية بنت

(٩٣) حمزة الأصفهاني : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩٩ ، المسعودى التنبيه والاشراف ص ١٨٦ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٧٢ ، العوتبي : الأنساب : ج ٢ ص ٥٢ ، اليعقوبى : تاريخ : ج ١ ص ١٦٧ ، حتى : تاريخ سورية : ج ١ ص ٤٤٦ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات : ص ٢٧٣ ، ٢٧٥ .

(٩٤) ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٢١ ، ٣٦٧ .

(٩٥) العوتبي : الأنساب : ج ٢ ص ٥٢ .

(٩٦) سورة سبأ : آية ١٩ .

ذكر هذا التفسير حمزة الأصفهاني : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩٩ ، العوتبي : كتاب الأنساب : ج ٢ ص ٥٣ وأخذ به : فولدكه : أمراء غسان : ص ٣ هامش ١ ، الألوسى : بلوغ الأرب : ص ١٧٢ .

وعن لقب ماء السماء انظر : وهب بن منبه : التيجان : ص ٢٧٣ ، حمزة الأصفهاني : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩٩ ، الألوسى : بلوغ الأرب : ص ١٧٢ .

(٩٧) حمزة الأصفهاني : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩٩ .

(٩٨) ابن قتيبة : المعارف : ص ٦٤٣ ، حمزة الأصفهاني : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩٩ ، اليعقوبى : التاريخ : ج ١ ص ١٦٧ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات فى تاريخ العرب : ج ١ عصر ما قبل الاسلام : ص ٢٧٥ .

(٩٩) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، العوتبي : الأنساب : ج ٢ ص ٥٢ القلقشندي : نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب : ص ٢٠١ .

(١٠٠) مارية بنت الأرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة ، والقرط ، الذى يعلق فى شحمة الأذن ، ومارية هى أول امرأة عربية تقرطت وكان قرطاهما درتين كبيض الحمام نفيسى القيمة قيل أنهما قوما بأربعين ألف دينار وقد سار بهما المثل ، خذه ولو بقرطى مارية .

الأرقم فولدت له الحارث الأعرج (الشهير بابن مارية ذات القرطين) (١١٠) ،
وملك بعده النعمان (١٠٢) بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن
جفنة ثم المنذر بن الحارث بن جبلة بن ثعلبة بن جفنة ومن بعده أبو شمر
ابن الحارث بن جبلة ثم الحارث بن أبي شمر فكان ملكه حين بعث رسول
الله ﷺ (١٠٣) ولم يزل الملك فيهم حتى كان آخرهم جبلة بن الأيهم بن جبلة
ابن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة (١٠٤) وهو الذي اتصل ملكه
بخلافة عمر بن الخطاب فأسلم ثم ارتد (١٠٥) وله حديث تذكره في مكانه .

حمزة الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض : ص ١٠٠ ، المسعودي : مروج الذهب :
ج ٢ ص ١٠٧ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٧٢ ، ابن خلدون : العبر ج ٢ ص ٥٨٥ ،
الرازي : مختار الصحاح : ص ٥٣٠ ، الألوسي : بلوغ الأمب في معركن أحوال العرب :
ج ٢ ص ١٧٤ هامش ١ .

(١٠١) ذكره حسان بن ثابت في شعره فقال :

أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
يفشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول
العوتبي : الأنساب : ج ٢ ص ٥٣ ، ٥٤ .

(١٠٢) المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ١٠٧ ، نلدكه : أمراء غسان : ص ٨
وما بعدها .

(١٠٣) كتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم كتاباً مع شجاع بن وهب الأسدي يدعوه
إلى الإسلام جاء فيه : « من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر . سلام على من
اتبع الهدى وأمن بالله وصدق فاني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك
ملكك » ، وقد أبى الحارث الإجابة لأن النصرانية كانت متمكنة من ملوك غسان توارثوها
من بعضهم .

ابن سعد : الطبقات : ج ١ ص ١٧ ، ١٨ ، الطبري : التاريخ : ج ١ ص ١٥٥٩ ،
ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ، ص ١٤٣ ، ١٤٥ ، ابن طولون : أعلام السائلين : ج ١٢
ص ١ ، القسطلاني : شرح القسطلاني : ج ١ ص ٢٩٦ ، محمد حميد الله الحيدر آبادي :
مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي : ص ٢٧ .

(١٠٤) عن ملوك غسان وولد بني جفنة وبني كعب ابنا عمرو مزقيا أصلاً غسان وسلسلة
نسبهم انظر : ابن قتيبة : المعارف ص ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ابن حبيب : المحبر : ص ٣٧١ ،
٣٧٢ ، حمزة الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض : ص ٩٩ - ١٠٤ ، المسعودي :
مروج الذهب : ج ٢ ص ١٠٧ - ١٠٩ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ٣٧٢ - ٣٧٥ ،
العوتبي : الأنساب : ج ٢ ص ٥٣ - ٥٧ ، ابن رشيقي : العملة : ص ٤١٦ ، ٤١٧ ،
أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر : ج ١ ص ٧٢ ، ٧٣ ، القلقشندي : نهاية الأرب
في معرفة أنساب العرب : ص ٢٠١ ، نلدكه : أمراء غسان : ص ٩ ، جواد علي : الفصل :
ج ٤ ص ١٢٦ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات ، ص ٢٩٠ ، ٢٩٢ .

(١٠٥) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٦٠ - ١٧٠ ، الأصمعي :
تاريخ العرب قبل الإسلام : ص ١١١ ، ابن أعثم الكوفي : المفتوح : ج ١ ص ١٠٢ ،
١٠٣ ، ٢٢١ - ٢٢٧ ، المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ١٨٠ ، ابن كثير : البداية
والنهاية : ج ٨ ص ٦٨ - ٧١ .

وبحكم اتصال شمال بلاد العرب ببوادي العراق شرقا وبوادي الشام غربا كانت المنافسة حامية بين دولة بني غسان بالشام ودولة اللخمين (١٠٦) بالعراق في الزعامة والسيطرة فضلا عن العداوة التي خلقت بينهما لولاء لحم للفرس وغسان للروم وهم الأعداء التقليديون في ذلك العصر ، وقد ذكر المسعودي (١٠٧) عن عدة من الاخباريين ان حسان ابن ثابت (١٠٨) الأنصاري وأصله من الأزد القحطانية زار الحارث ابن أبي شمر الغساني بالشام وكان النعمان بن المنذر اللخمي (١٠٩) ملك الحيرة يسامره فقال له وهو عنده : لقد نبئت أنك تفضل النعمان علي ، فقال : « وكيف أفضله عليك ؟ !! فوالله لقفاك أجسن من وجهه (١١٠) ولأمك أشرف من أبيه ولأبوك أشرف من جميع قومه ولشمالك أجود من يمينه ولحرمانك أنفع من نداء ولقليلك أكثر من كثيره (١١١) ولشمالك (١١٢) أمرع من غديره ولكرسيك أرفع من سريره ولجداولك أغور من بحره وليومك أطول من شهره ولشهرك أمتد من حوله ولحولك خير من حقه ولزندك أوري من زنده ولجندك أعز من جنده وانك من غسان وانه من لحم فكيف أفضله عليك ؟! أو أعسده بك !! » فقال : يا بن الفريعة هذا لا يسمع الا في شعر فقال :

(١٠٦) عن هذه الدولة وملوكها انظر : حمزة الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض : ص ٨٣ - ٩٧ .

(١٠٧) مروج الذهب : ج ٢ ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

(١٠٨) هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى بن عمرو ابن مالك بن النجار ، والنجار من ولد ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة المنتهي نسبه في أزد قحطان .

ابن حزم : جبهة أنساب العرب : ص ٣٤٧ .

(١٠٩) هو النعمان بن المنذر أبو قابوس كان وثنيا ثم تنصر ، أمه سلمى بنت وائل بن عطية من أهل فدك ، وقد ملك اثنين وعشرين عاما ثم قتله كسرى أبرويز بن هرمز فانقطع الملك عن لحم وبسبب قتله وقعت حرب ذي قار : حمزة الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض : ص ٩٤ ، ٩٥ .

(١١٠) المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ١٠٧ .

(١١١) المسعودي : المصدر السابق : ج ٢ ص ١٠٨ .

(١١٢) التمدد : الماء القليل ، الرازي : مختار الصحاح : ص ٨٦ .

ونبئت أن أبسا منذر يساميك للحارث الأصغر
قفاؤك أحسن من وجهه وأملك خير من المنذر
ويسرى يديك على عسرهما كيمنى يديه على المعسر (١١٣)

لم تول المصادر العربية عناية كافية بتاريخ أمراء الغساسنة وتفاصيل حياتهم وانجازاتهم وحروبهم وكل ما ورد عنهم هو القليل المقتضب ولا نعلم السبب في ذلك . الا أنه قد عوض بعض هذا النقص التواريخ البيزنطية (١١٤) غير أنها لم تهتم بالغساسنة الا من خلال علاقاتهم مع بيزنطة ومن ثم فانه لم يعرف بشكل مرض من تواريخ ملوك بني غسان الا الخمسة الآخرين الذين شمل حكمهم القرن الذي سبق الاسلام بحكم العلاقات والاحتكاك بين الطرفين .

وعلى أية حال فقد ملك بالشام من أمراء الغساسنة بعد جفنة ابنه عمرو بن جفنة وكان اهتمامه موجهاً الى اقامة الأديرة (١١٥) مدفوعاً بحماس الدين الجديد الذي دخل فيه فبنى دير حافر (١١٦) ودير أيوب (١١٧) ودير هند (١١٨) واتبع سياسته ابنه ثعلبة بن عمرو فبنى عقة وصرح الغدير في أطراف حوران (١١٩) مما يلي البلقاء (١٢٠) ،

(١١٣) المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ١٠٧ ، ١٠٨ ، الألوسي : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب : ج ٢ ص ١٧٤ .

(١١٤) Procopius : Hist. of the Wars, I, p. 17, 45, Musil Palmyrena p. 144, Richard Bell : the origin of Islam in its christian environment, p. 21.

(١١٥) حمزة الأصفهاني : ص ٩٩ . أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر : ج ١ ص ٧٢ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات : ص ٢٧٧ .

(١١٦) دير حافر يقع بين حلب وبالس من أرض الشام ، ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٥٠٤ .

(١١٧) دير أيوب بحوران من نواحي دمشق بها كان أيوب وبها ابتلاه الله وبها العين التي ركضها برجله والصحراء التي عليها وبها قبره ، ياقوت : المصدر السابق : ج ٢ ص ٤٩٩ .

(١١٨) دير هند : من قرى دمشق . المصدر نفسه : ج ٢ ص ٥٤٣ .

(١١٩) المصدر نفسه : ج ٢ ص ٢١٧ ، ٣١٨ .

(١٢٠) حمزة الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض : ص ١٠٠ ، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر : ج ١ ص ٧٢ . والبلقاء كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى . قصبتهما عمان ، ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ، ص ٤٨٩ .

ولما جاء جبلة بن الحارث وجه اهتمامه الى العناية بمظاهر العمران فاقام
القناطر (١٢١) وبنى أدرج والقسطل (١٢٢) .

على أن أعظم أمراء الغساسنة على الإطلاق هو الحارث بن جبلة-
ابن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة (٥٢٩ - ٥٦٩) ابن مارية ذات
القرطين (١٢٣) وكان الحارث بن جبلة معاصرا للامبراطور الروماني
جستنيان ٥٢٧ - ٥٦٥ م ، كما كان معاصرا للملكين من ملوك الفرس هما
كسرى قباد ٤٤٨ - ٥٣١ م وكسرى أنوشروان ٥٣١ - ٥٧٩ م (١٢٤) ،
وقد ذكر نلدكه عن المؤرخ السرياني ملالا أنه كان عاملا للروم (١٢٥) وكان
أول ظهوره عام ٥٢٨ م عندما حارب المنذر اللخمي ملك عرب الحيرة حليف
الفرس أعداء الروم ، وفي العام التالي أخمد ثورة في فلسطين قام بها
السامريون (١٢٦) ، وتقديرا لجهود الحارث في حماية أطراف الشام
وخدمة الدولة فقد عينه الامبراطور جستنيان في سنة ٥٢٩ م سييدا على
كل قبائل العربية في بلاد الشام ومنحه لقب فيلاركوس (١٢٧) بمعنى
رئيس قبيلة (١٢٨) ليجعل منه ندا قويا للمنذر ملك عرب الحيرة الذي
يرجع العداء بينهما أساسا الى النزاع على أراضي البادية الواقعة جنوبي
تدمر والأراضي الممتدة على جانبي الطريق من دمشق حتى مدينة سرجيوس.

(١٢١) حمزة الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض : ص ١٠٠ .

(١٢٢) القسطل في لغة أهل الشام الموضع الذي تفترق منه المياه ، وهو مكان بين
حمص ودمشق ، وقسطل موضع قرب البلقاء من أرض دمشق في طريق المدينة . قال
كثير الشاعر :

سقى الله حيا بالموقر دارهم الى قسطل البلقاء ذات المحارب

ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ٣٤٧ . وانظر ملحق رقم ١٤ « خريطة بلاد الشام
في العصر الأموي » ، موقع القسطل .

(١٢٣) حمزة الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض : ص ١٠٠ ، ابن قتيبة : المعارف :
ص ٢١٦ ، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر : ج ١ ص ٧٢ ، نلدكه : أمراء غسان :
ص ٩ ، حتى : تاريخ سورية ج ١ ص ٤٤٧ .

السيد عبد العزيز سالم : دراسات : ص ٢٧٧ ، محمد بيومي مهران : تاريخ العرب-
القديم : ص ٥٦٧ .

(١٢٤) نلدكه : أمراء غسان : ص ١٠ ، جواد علي : المفصل : ج ٤ ص ١٢٨ ،
السيد عبد العزيز سالم : دراسات : ص ٢٧٨ .

(١٢٥) نلدكه : أمراء غسان : ص ٩ .

(١٢٦) نلدكه : المرجع السابق : ص ١٠ ، حتى : تاريخ سورية : ج ١ ص ٤٤٧ ،
جواد علي : المفصل : ج ٣ ص ٤٠٥ .

O'leary : Arabia before Mohammed : p. 164.

Procopius. History of the wars, Transl., by Dewig 7 Vols. (١٢٧)
London 1951, I, p. 17, 43.

(١٢٨) حتى : تاريخ سورية : ج ١ ص ٤٤٧ .

حيث ادعى كل منهما سيطرته على القبائل العربية الضاربة في هذه الأراضي (١٢٩) ومعظمها من قبائل قضاة القحطانية وبعض قبائل مضر العدنانية وخاصة كنانة ، تدفع له الجزية وييسط حمايته عليها (١٣٠) ، هذا فضلا عن الحروب المستمرة بين الفرس والروم والتي كانت تلفحهم نارها بحكم التحالف والجوار . ففي سنة ٥٤١ م اشتركت قبائل الأزدي الغسانية ومن والاهما من قبائل الشام تحت امرة الحارث بن جبلة (١٣١) في حملة بيزنطة الموجهة لحرب الفرس في بلاد ما بين النهرين بقيادة بليزاريوس (١٣٢) غير أن أنفة الحارث من القتال تحت قيادة رومية وخشيته من أسنة الشعراء وهجاء خصومه منعتة من الاستمرار في هذه الحملة فلم يكده يعبر نهر دجلة مصاحبا لجيش الروم حتى ارتكبه الى بلاده من طريق آخر مما ألقى ظلالا من الشك على ولائه للروم (١٣٣) .

وعلى أية حال ففي عام ٥٤٤ م وبعد ثلاث سنوات من حملة بليزاريوس على الفرس اشتبك الحارث بن جبلة بمفرده مع ملك عرب الحيرة المنذر ابن النعمان المعروف بابن ماء السماء في حرب ضارية انتهت بهزيمة الحارث وأسر أحد أبنائه فذبح قربانا للالهة العزى (١٣٤) - التي عبدت في بلاد العرب وجنوب الشام في ذلك الوقت - مما جعل أباه يعاود الاغارة على الحيرة فهزم المنذر بن النعمان واضطره الى الفرار من المعركة

(١٢٩) كانت القبائل في نجد ما كان منها بالقرب من الحيرة تبعا لملوك العرب بالحيرة وما كان منها في بادية الشام تبعا لملوك آل جفنة بالشام إلا أن هذه التبعية كانت اسمية لا فعلية لأن القبائل لا تقبل أن تحكم حكما ملكيا يحد من حريتهم التي جبلوا عليها : محمد الخضري بك : محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية : ص ٥٣ .

(١٣٠) نلذكه : أمراء غسان : ص ١٨ ، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي : ج ١ ص ٤٧ ، ٦١ ، جواد علي : الفصل : ج ٤ ص ١٣٠ ، محمد الخضري بك : محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية : ص ٥٣ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات : ج ١ ص ٢٨٠ .

(١٣١) حمزة الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض : ص ١٠٠ .

(١٣٢) نلذكه : أمراء غسان : ص ١٨ .

(١٣٣) نلذكه : المرجع السابق : ص ١٨ ، جواد علي : الفصل : ج ٣ ص ٤٠٧ ، حتى : تاريخ سورية : ج ١ ص ٤٤٧ ، زيدان : تاريخ العرب : ج ١ ص ١٩٩ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات : ج ١ ص ٢٨١ ، بيومي مهران : تاريخ العرب القديم : ص ٥٦٩ ، ريجيس بلاشير : تاريخ الأدب العربي : العصر الجاهلي : ترجمة إبراهيم كيلاني : ص ٦٠ .

A. Musil : Palmyra, N. Y., 1928, p. 214, Hitti : History of the Arabs p. 79.

(١٣٤) حمزة الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض : ص ٩١ ، نلذكه : أمراء غسان : ص ١٨ ، جواد علي : الفصل : ج ٤ ص ٥٩ .

وأسر ولدين من أبنائه (١٣٥) ، ولم يكن في ذلك نهاية للعداء بين غسان ولحم وإنما اشتد هذا العداء وبلغ ذروته ، فبعد ذلك بحوالى تسع سنوات وفي عام ٥٥٤ م اشتبك الطرفان في قتال وحشي قرب قنسرين (١٣٦). قتل فيه المنذر ملك الحيرة نفسه (١٣٧) وأحد أبناء الحارث فدفنه أبوه في قلعة عين عوداجة بالقرب من قنسرين وكانت تابعة لاقليم تدمر (١٣٨). وترتب على هذه الواقعة أن دخلت قنسرين في حوزة الحارث بن جبلة الغساني (١٣٩) ثم كان يوم حليلة (١٤٠) نسبة الى مرج حليلة (١٤١) ابنة الحارث الغساني التي كانت تطيب عساكر أبيها قبل المعركة (١٤٢) وهو الذي جرى به المثل « ما يوم حليلة بسر » (١٤٣) .

(١٣٥) أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر : ج ١ ص ٨٤ ، جواد علي : الفصل : ج ٤ ص ٦٠ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات : ص ٢٨١ .
A. Musil, Palmyrena : p. 144.

(١٣٦) ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ .
(١٣٧) حمزة الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض : ص ٩١ ، لذلك : أمراء غسان : ص ١٩ ، جواد علي : الفصل : ج ٤ ص ٦١ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات : ج ١ ص ٢٨٢ .

(١٣٨) ابن قتيبة : المعارف : ص ٢١٨ ، ابن الأثير : الكامل : ج ١ ص ٣٢٦ ، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر : ج ١ ص ٨٤ ، لذلك : أمراء غسان ص ١٨ ، A. Musil : Palmyrena : p. 144.

وعن تدمر يذكر ياقوت أنها مدينة قديمة مشهورة في بركة الشام بينها وبين حلب خمسة أيام سميت بتدمر بنت حسان بن اذينة بن السعيدع المنتهى نسبه الى سام بن نوح وهي من عجائب الأبنية موضوعة على العمد والرخام .
ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ١٧ - ١٩ .

(١٣٩) ابن الأثير : الكامل : ج ١ ص ٣٢٦ .
(١٤٠) حمزة الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض : ص ٩١ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٢١٦ ، ابن خلدون : العبر : ج ٢ ص ٢٨١ ، ابن الأثير : الكامل : ج ١ ص ٣٢٧ - ٣٢٩ ، زيدان : تاريخ العرب : ص ٢٠٠ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات : ج ١ ص ٢٨٣ .

يلذكر ياقوت عن هذا اليوم : انه يوم سار فيه المنذر بن المنذر بعرب العراق الى الحارث الغساني الذي خرج اليه في عرب الشام وهو من أشهر أيام العرب سد الغبار فيه عين الشمس .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ .
(١٤١) ياقوت : المصدر السابق : ج ٢ ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ .
(١٤٢) ابن قتيبة : المعارف : ص ٢١٦ ، ابن خلدون : العبر : ج ٢ ص ٢٨١ ، Fitti : History of the Arabs : p. 79.

(١٤٣) الميداني : مجمع الأمثال : ج ١ ص ١٣٢ ، ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٢٩٦ ، ابن الأثير : الكامل : ج ١ ص ٣٢٧ .

وقد وصلت دولة غسان في عهد الحارث بن جبلة ذروة نفوذها واتساعها فامتدت من قرب البتراء (١٤٤) الى الرصافة (١٤٥) شمالي تدمر واشتملت على البلقاء والصفاء وحران (١٤٦) وأصبحت بصرى (١٤٧) مقر أمراء الغساسنة والتي بنيت كاتدرائيتها عام ٥١٢ م العاصمة الدينية في المنطقة كما اشتهرت كمركز تجارى هام (١٤٨) وهي التي مر بها النبي صلى الله عليه وسلم مع قافلته قبل مبعثه (١٤٩) حيث اطلع على كثير مما عرفه عن المسيحية ، وفي عام ٥٦٣ م رحل الحارث بن جبلة الى القسطنطينية في زيارة عمل لمشاورة الحكومة البيزنطية فيمن يخلفه من أولاده (١٥٠) وما يجب اتخاذه لمواجهة عمر بن المنذر ملك عرب الجيرة (١٥١) ، وهناك بهر بمظاهر الحضارة البيزنطية وترك أثرا عميقا في نفوس رجال البلاط الامبراطوري كشيخ عربي مهيب (١٥٢) .

ولما كان الحارث متنصرا على مذهب الطبيعة الواحدة « المونوفسيتى » (١٥٣) Monophysitism فقد سعى لدى الامبراطورة تيودورة لتعيين يعقوب البرادعى - مؤسس الكنيسة السورية اليعقوبية -

-
- (١٤٤) ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ٣٣٥ .
 (١٤٥) المصدر السابق : ج ٣ ص ٤٧ ، ٤٨ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ١٣٧ ، ١٥٨ .
 (١٤٦) المصدر نفسه : ج ١ ص ٤٨٩ ، ج ٢ ص ٤١١ ، ج ٢ ص ٢٣٥ ، لسترنج : نفسه : ص ١٣٤ ، ١٥٧ .
 (١٤٧) المصدر نفسه : ج ١ ص ٤٤١ ، ٤٤٢ ، لسترنج : المرجع السابق : ص ٧٢ .
 (١٤٨) حتى : تاريخ سورية : ج ١ ص ٤٤٨ ، محمد بيومي مهران : تاريخ العرب القديم : ص ٥٧١ .
 (١٤٩) ابن هشام : السيرة : ج ١ ص ١٢ - ١٣١ .
 (١٥٠) نولدكه : أمراء غسان : ص ٢٠ ، جواد على : الفصل : ج ٣ ص ٤٠٩ ، حتى : تاريخ سورية : ج ١ ص ٤٤٨ ، زيدان : تاريخ العرب : ص ٢٠١ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات : ج ١ ص ٢٨٤ ، عبد اللطيف الطيباوى : محاضرات في تاريخ العرب : ص ١٤ ، محمد بيومي مهران : تاريخ العرب القديم : ص ٥٧٢ .
 (١٥١) حمزة الأصفهاني : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩٣ ، جواد على : الفصل : ج ٣ ص ٤٠٩ .
 (١٥٢) حتى : تاريخ سورية : ج ١ ص ٤٤٨ ، زيدان : تاريخ التمدن : ص ١٩٣ .
 (١٥٣) المذهب المونوفيزيتى أو المونوفسيتى Monophysitism هو المذهب القائل بأن للمسيح طبيعة واحدة ، أى أن للمسيح طبيعتين : الهية وبشرية ولكن عند التجسد أصبحتا طبيعة واحدة ، وقد تزعمت كنيسة الاسكندرية وعلى رأسها كيرلس بطريرك الاسكندرية هذا الاتجاه لمواجهة بدعة نسطور الذى نادى بأن للمسيح طبيعتين الهية وبشرية ولكنهما منفصلتين أى لم تتحدا اتحادا كاملا وكان ذلك في مجمع أفسوس عام ٤٣١ م .
 أسد رستم : الروم : ج ١ ص ١٢٣ ،
 Vasiliev : the Byzantine Empire : p. 98.

ورفيقه ثيودوروس أسقفين في المقاطعات العربية في الشام (١٥٤) واستمر الحارث طوال حكمه حاميا لمذهبه وكذلك ابنه المنذر من بعده حتى انتشر في معظم قبائل عرب الشام شمالا وجنوبا (١٥٥) مما أثار بيزنطة وبطارقة القسطنطينية الذين كانوا يكرهون مذهب الشام ويعتبرونه نوعا من الهرطقة الدينية (١٥٦) ومات الحارث بين جبلة في أواخر سنة ٥٦٩ م بعد أن قضى أربعين عاما في حكم اماره الغساسنة وترك أثرا طيبا في نفوس قبائل عرب الشام وذاعت شهرته حتى أن بعض كتاب العرب كانوا يطلقون اسم الحارث على كل أمير غساني قوى أو ممن لا يعرفون أسماءهم من أمراء الغساسنة (١٥٧) .

خلف الحارث بن جبلة بعد وفاته ابنه المنذر الملقب بالأكبر (١٥٨) تميزا له عن المنذر الأصغر الذي جاء بعد ذلك (١٥٩) ، وقد استهل المنذر الأكبر عهده بحرب أعدائه التقليديين من عرب الحيرة (١٦٠) ، ففي سنة ٥٧٠ م أغار اللخميون بقيادة ملكهم قابوس بن المنذر اللخمي (١٦١) على أراضي الغساسنة فاشتبك معه المنذر الأكبر الغساني

(١٥٤) نولدكه : أمراء غسان : ص ٢٠ ، حتى : تاريخ سورية : ج ١ ص ٤٤٨ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات : ج ١ ص ٢٨٤ ، عبد اللطيف الطيباوي : محاضرات في تاريخ العرب : ص ١٤ ، محمد بيومي مهران : تاريخ العرب القديم : ص ٥٧١ .
Francois Nau : Les Arabes Chrétiens : p. 52, Hitti : History of the Arabs : p. 79, J. B. Bury : A History of the later Roman Empire, II : P. 391, Richard Bell : The origin of Islam in the christian environment : P. 21, W. R. Smith : Kinship and Marriage in Early Arabia : II p. 328.
Bell Op. Cit., p. 23.

(١٥٥) حتى : تاريخ سورية : ج ١ ص ٤٤٨ ، Bell : Op. Cit., p. 23.

(١٥٦) نولدكه : أمراء غسان : ص ٢٢ ، Bell : Op. Cit., p. 23.

(١٥٧) نولدكه : المرجع السابق : ص ٢٣ .

(١٥٨) حمزة الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض : ص ١٠٠ ، ابن الأثير : الكامل : ج ١ ص ٥٤٠ ، ابن خلدون : العبر : ج ٢ ص ٢٨١ ، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر : ج ١ ص ٧٢ ، نولدكه : أمراء غسان : ص ٢٥ ، جواد علي : الفصل : ج ٣ ص ٤١٢ .

(١٥٩) حمزة الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض : ص ١٠٠ .

(١٦٠) حمزة الأصفهاني : المصدر السابق : ص ٩٤ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٢١٨ ، ابن الأثير : الكامل : ج ١ ص ٣٢٦ ، ابن خلدون : العبر : ج ٢ ص ٥٨٦ ، نولدكه : أمراء غسان : ص ٢٧ ، جواد علي : الفصل : ج ٣ ص ٤١٣ ، محمد الخضري بك : محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية : ص ٣٥ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات : ج ١ ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، محمد بيومي مهران : تاريخ العرب القديم : ص ٥٧١ ، Hitti : History of the Arabs p. 79.

(١٦١) عنه انظر : حمزة الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض : ص ٩٤ .

فى معركة عين أباغ فيما وراء الأنبار على طريق الفرات الى الشام (١٦٢) فأحرز عليه نصرا حاسما ، غير أن العلاقات بين المنذر وبيزنطة لم تكن على ما يرام بسبب الخلافات الدينية وتعصب المنذر لمذهبه مما جعل الامبراطور جستين الثانى ٥٦٥ - ٥٧٨ يحاول التخلص منه ففر الى البادية وتمرد على سلطان الروم ما يقرب من ثلاث سنوات (١٦٣) مما جعل اللخميون يغيرون على أطراف الشام ويعيثون فيها فسادا (١٦٤) فاضطر الروم الى استرضاء الغساسنة والمنذر الأكبر لاعادة الأمن والتوازن وقد تم ذلك فى بلدة الرصافة بالشام فى أواخر جستين (١٦٥) ، وقام المنذر مع ولدين له بزيارة الامبراطور الجديد طيباريوس الثانى ٥٧٨ - ٥٨٢ فى القسطنطينية سنة ٥٨٠ م وهناك استقبل استقبالا حافلا وأنعم عليه بالتاج (١٦٦) .

ومع ذلك فان أيام الود لم تدم بين العرب والروم ، ففي عام ٥٨٠ أراد موريقيس ولى العهد الامبراطورى شن الغارة على احدى ولايات فارس بالتعاون مع الغساسنة (١٦٧) وعندما هم بعبور الفرات وجد الجسر الرئيسى المقام عليه مهتما فارتد حائقا على غسان باعتبارها مسئولة - فى نظره - عن وجود هذا الجسر ورسخ فى نفسه أن فى الأمر خيانة (١٦٨) مما ألقى ظلالا جديدة من الشك فى علاقات بيزنطة بغسان وهى التى لم تصف طويلا فى أى وقت مضى منذ قيام دولة قبائل أزد غسان بالشام بسبب نظرة الروم للغساسنة نظرة السيد صاحب البطش

(١٦٢) ذكر ياقوت أن بها منازل اياد بن نزار وأباغ رجل من العمالقة نزل ذلك الماء فنسب اليه .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ١٧٥ .

(١٦٣) نللكه : أمراء غسان : ص ٢٥ .

(١٦٤) نللكه : المرجع السابق : ص ٢٦ ، حتى : تاريخ سورية : ص ٤٤٩ ، جواد

على : الفصل : ج ٣ ص ٤١٣ ، ٤١٤ ، بلاشير : تاريخ الأدب العربى : ص ٦٠ .

(١٦٥) نللكه : أمراء غسان : ص ٢٦ ، :

A. Musil : Palmyrena : P. 165, 264.

Hitti : History of the Arabs, p. 80.

(١٦٦) نللكه : المرجع السابق : ص ٢٦ ، جواد على : الفصل : ج ١٣٦ ، حتى :

تاريخ سورية : ج ١ ص ٤٤٩ ، زيدان : تاريخ التمدن : ص ٢٠١ ، السيد عبد العزيز

سالم : دراسات : ج ١ ص ٢٨٧ ، محمد بيومى مهران : تأمىخ العرب القديم : ص ٥٧٣ ،

A. Musil : Op. Cit., p. 264.

(١٦٧) نللكه : أمراء غسان : ص ٣٠ .

(١٦٨) نللكه : المرجع السابق : ص ٢١ ، حتى تاريخ سورية : ج ١ ص ٤٤٩ ،

السيد عبد العزيز سالم : دراسات : ج ١ ص ٢٨٧ ، محمد بيومى مهران : تاريخ

العرب القديم : ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، بلاشير : تاريخ الأدب العربى : ص ٢٨٧ .

والجبروت ورفض غسان نظرة المسود الذي يجب أن يسمع ويطيح لولى
النعم تحمى ظهورهم الصحراء التى جاءوا منها .

وعلى أية حال فإن المنذر الأكبر بن الحارث لم يلبث أن أغار على الحيرة
عاصمة اللخمين خلفاء الفرس وأحرق قطاعا منها (١٦٩) وعساد محملا
بالغنائم ، ورغم أن المنذر أراد بهذا العمل - فيما يبدو - أن يمحو عن
نفسه شبهة التواطؤ التى اعتقدها الروم عنه الا أن عمله هذا فسر من
جانبهم على أنه تحد سافر لقوتهم وانجاز لما عجزوا عن القيام به .
وذلك مرده الى بذور الشك والريبة التى كانت تسود علاقات الطرفين
فى ذلك الوقت ، فصدر أمر يينظة الى ماجنوس حاكم سورية الرومانى
بالقبض على المنذر (١٧٠) ، وخشية فراره الى الصحراء كما فعل فى الماضى
أو تمرد قومه بما يثير الفوضى أحيط الأمر بالتكتم والسرية وأعملت الحيلة
فى استدراجه ، ولم يشك الرجل فى نيات الروم ربما لأن ماجنوس
كان صديقا له أو أنه لم يزل فرحا بنصره على الحيرة ولم يتوقع عقابا على
هذا النحو وأيا كان الأمر فإن الرجل استدرج الى كنيسة فى بلدة
حوارين (١٧١) بالشام بحجة افتتاحها ، وهناك قبض عليه وأرسل الى
القسطنطينية مع بعض أفراد أسرته وظل بها حتى مات طيبريوس وتولى
موريقيس ٥٨٢ م فأمر بنفى المنذر الى صقلية (١٧٢) .

أشعل نفى المنذر النار فى قلوب بنى غسان حقدا على الروم وكمدا
على مليكهم فتركوا ديارهم الآمنة بالشام وغادروا مدنها وتحصنوا بالبادية
واتخذوها قاعدة للانتقام من الروم بقيادة النعمان بن المنذر وبدءوا فى
الاغارة والاستيلاء على كل ما تصل اليه أيديهم بالشام ولم تسلم

(١٦٩) حمزة الأصفهاني : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ١٠١ ، ابن رشيقي :
العمدة : ص ٤١٦ ، ابن خلدون : العبر : ج ٢ ص ٥٨٦ ، السيد عبد العزيز سالم :
دراسات : ج ١ ص ٢٨٨ ، محمد ييومي مهران : تاريخ العرب القديم : ص ٥٧٤ .
قال عدى بن زيد الشاعر مخاطبا النعمان بن المنذر فى حرق الحيرة :

سما صقر فاشعل جانبها والهياك الروح والغريب

فبتن لندى الثوبة ملجمات فصيحن العباد وهن سيب

حمزة الأصفهاني : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ١٠١ .

(١٧٠) نلدكه : أمراء غسان : ص ٣١ .

(١٧١) ذكر ياقوت أنها من قرى حلب وقيل أنها حصن من ناحية حمص ، ياقوت ،
معجم البلدان : ج ٢ ص ٣١٥ ، ٣١٦ انظر ملحق رقم ١٤ (خريطة بلاد الشام فى العصر
الاموى) « من أعمال حمص » .

(١٧٢) نلدكه : أمراء غسان : ص ٣١ ، جواد على : المفضل : ج ٤ ص ١٢٨ ،

بلاشير : تاريخ الأدب العربى : ص ٦٠ .

بصرى (١٧٣) من اغاراتهم فاثاروا الفوضى والفرع فى كل مكان مما اضطر الروم لاعساد حملة بقيادة ماجنوس حاكم سوريا الرومانى لتأديب الغساسنة (١٧٤) حلفاء الأمس ولكن أسلوب الكر والفر لم يمكن الحملة من تحقيق أهدافها فى قل شوكة غسان فلجئوا كماداتهم الى الخيلة والمكر فى القبض على النعمان بن المنذر (١٧٥) ورغم أن المراجع لم تذكر تفاصيل ذلك الا أن الروم نجحوا فى مهمتهم وحمل النعمان أسيرا الى القسطنطينية سنة ٥٨٣ م (١٧٦) كوالده من قبل فكان ذلك بداية لتمزق قبائل عرب أزد غسان القحطانية بالشام كما تمزقوا من قبل عند تصدع سد سبأ وخروجهم من اليمن بعد سيل العرم (١٧٧) وكأنه كتب عليهم التمزق مصداقا لقوله تعالى : « فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا ، وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور » (١٧٨) ، ويذكر نللكه نقلا عن يوحنا الأفسى أن عرب غسان بعد القبض على النعمان بن المنذر انقسموا الى خمس عشرة فرقة لكل فرقة منها زعيم ، رحل بعضها الى بلاد ما بين النهرين ودخل فى سلطان الفرس ورحل بعضها الى شمال الشام ودخل بلاد الروم واعتنق مذهب الطبيعتين ، والبعض الآخر الى كبادوكيا بآسيا الصغرى (١٧٩) .

وعلى هذا النحو تصدعت اماره الغساسنة وتفككت وحدتها وصار لكل قبيلة منها زعيما وبدأت القبائل تتطاحن فيما بينهما على الزعامة وموارد الكلا والطعام وتركوا سلوك الحضارة بعد أن غاب عنهم الاستقرار والأمان وعادوا الى سلوك الأعراب من الاغارة والسطو على مناطق العمران بالشام فعمت الفوضى وقض مضجع الروم الذين أخذوا فى السعى من جديد الى تهدئة الوضع فى جنوب الشام فسعوا الى تنصيب أمير جديد للغساسنة فتولى بضعة أمراء ضعاف عرش الامارة المفككة فى آخر عهدها .

(١٧٣) ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ٤٤١ ، ٤٤٢ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ٧٢ .

(١٧٤) نولدكه : أمراء غسان : ص ٣٢ ، جواد على : الفصل : ج ٤ ص ١٣٩ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات : ج ١ ص ٢٨٩ .

(١٧٥) حمزة الأصفهاني : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ١٠١ .

(١٧٦) نللكه : أمراء غسان : ص ٣٢ ، حتى : تاريخ العرب : ج ١ ص ١٠٥ .

(١٧٧) وهب بن منبه : التيجان : ص ٢٧٣ ، ابن حبيب : المحبر : ص ٣٧١ ،

ابن قتيبة : المعارف ص ٦٤١ ، العوتبي : الأنساب : ج ١ ص ٤٨ ، ١٩٩ ، أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر : ج ١ ص ٧٢ .

(١٧٨) سورة سبأ : آية ١٩ .

(١٧٩) نللكه : أمراء غسان : ص ٣٤ .

وقد اختلف المؤرخون في عددهم وأسمائهم (١٨٠) وانقطع الاخباريون اليونان عن الحديث عنهم لقلة شأنهم اللهم الا آخرهم جبلة بن الأيهم ملك غسان في الاسلام الذي عاش حتى عصر عمر بن الخطاب وعاصر معارك الفتح واشترك فيها الى جانب الروم (١٨١) .

وعلى أية حال فان الوجود القبلي القحطاني والعناني في صحراء الشام وباديتها والدول الشامية الحدودية ذات الأصل العربي وآخرها دولة الغساسنة كان توطئة لفتح العرب بلاد الشام تحت راية الاسلام وتثبيتا لدعائم هذا الفتح العظيم اذ لم تلبث بوادر النصر أن لاحت للفاتحين حتى دانت القبائل الشامية لبنى جلدتهم بالطاعة والولاء فكانوا من الجند المخلصين الذين أعانوا المسلمين على استكمال فتوحاتهم حتى أقصى شمال البلاد .

(١٨٠) الأصمعي : تاريخ العرب قبل الاسلام : ص ١٠١ ، حمزة الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض : ص ٩٨ - ١٠٤ ، ابن حبيب : المحبر : ص ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٣١٤ ، المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ١٠٧ - ١١٠ ، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر : ج ١ ص ٧٢ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات : ج ١ ص ٢٩٠ - ٢٩٢ .

(١٨١) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٢٠ ، ١٢١ ، ابن أعمم الكوفي : الفتوح : ج ١ ص ١٠٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٨ ص ٦٨ .

الباب الثاني

العلاقات بين قبائل الشام وعرب الحجاز في العهد النبوي

الفصل الأول

أولاً : حال العرب في شبه الجزيرة والشام وقت ظهور الإسلام .

ثانياً : موقف قبائل الشام من الإسلام .

١ - أهل دومة الجندل .

٢ - قبائل جذام وغسان .

٣ - الروم .

الفصل الثاني

جهاد النبي - صلى الله عليه وسلم - ضد عرب الشام

أولاً : سرية زيد بن حارثة إلى قوم من جذام بمنطقة حسمى في فلسطين
سنة ٦ هـ .

- ثانيا : سرية كعب بن عمير الغفاري الى ذات اطلاق سنة ٨ هـ .
- ثالثا : غزوة مؤتة سنة ٨ هـ .
- رابعا : غزوة عمرو بن العاص الى ذات السلاسل سنة ٨ هـ .
- خامسا : غزوة تبوك سنة ٩ هـ .
- سادسا : بعث أسامة بن زيد الى آبل الزيت سنة ١١ هـ .

الفصل الثالث

وفود القبائل الشمالية الى المدينة في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - :

- أولا : جذام
- ثانيا : لخم
- ثالثا : طيء

الفصل الأول

أولا : حال العرب في شبه الجزيرة والشام وقت ظهور الاسلام :

تعتبر بلاد الشام أهم الأقطار المجاورة بالنسبة لشبه جزيرة العرب على الإطلاق ، فهي امتداد طبيعي لها يتسم بالخصب والثراء ، ولذلك فإنها كانت مستودعا للكثير من سكانها منذ أقدم العصور (١) هاجروا اليها وأقاموا فيها وورعوا مراعيها وتاجروا معها (٢) واستزرعوها فكانت بالنسبة لهم مصدرا للكثير من مقومات الحياة (٣) ، وبلغت العصر « مجالها الحيوى » ولم يغب ذلك عن سكان الجزيرة في أى وقت من الأوقات على مر العصور ، ولذلك فانه لما دعا داعى الاسلام في جزيرة العرب ودانت به قبائلها بدوها وحضرها كانت بلاد الشام أول الأقطار المجاورة في العالم الخارجى التى اتصل بها النبى صلى الله عليه وسلم ، فكانت دعواته ورسله لأهلها على اختلاف أجناسهم لدخول الاسلام (٤) ، ثم كانت غزواته وسراياه وبعوثه المتكررة اليها بمثابة بداية لفتح هذه البلاد وتوطئة لدخول المسلمين اليها وتنبيهها حيا لحلفه بمتابعة المسيرة وتحقيق الهدف وهو ما تم بالفعل .

(١) المسعودى : التنبيه والإشراف : ص ٣٦ ، ابن عساکر : تاريخ مدينة دمشق : ج ٢ ص ١٩٥ ، القلقشندى : صبح الأعشى : ج ٥ ص ٢٧٢ ص ٢٧٢ ، أحمد أمين : فجر الاسلام : ص ١٣٠ ، ١٣١ .

(٢) الأزرقي : أخبار مكة : ص ٦٢ ، ٦٣ .

(٣) الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ٢٧١ .

(٤) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ٨٢ ، الطبري : التاريخ : ج ٢ ص ٦٤٤ ،

ابن سعد : الطبقات : ج ١ ص ٦٩ ، البلاذري : فتوح البلدان : ص ٧٣ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ١ ص ١٣٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٣ ص ٧١٠ .

وهذا يؤكد لنا أن الفتح العربي لبلاد الشام لم يبدأ في عهد أبي بكر الصديق إنما بدأ في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأن ما فعله الخليفة الأول هو استكمال لمسيرته من بعده وأنه صلى الله عليه وسلم لو كان قد امتد به العمر لتم الفتح على يديه ولا غرو في ذلك فهو الذي جهز بعث أسامة بن زيد إلى الشام وهو في مرضه الأخير (٥) ، وهو الذي خرج إلى منبره على الناس عاصبا رأسه يحثهم على انفاذ بعث أسامة حين استبطأه الناس (٦) .

وعلى أية حال فإنه إذا كانت غزوات النبي صلى الله عليه وسلم وسراياه وبعوثه إلى الشام قد غلب عليها الطابع الاستطلاعي وجمع المعلومات واكتساب الخبرة بالاحتكاك المباشر فإن ذلك لا يعيب عرب الجزيرة في مواجهة أهل الشام في هذه المرحلة لأن هذا كان هو التمهيد الصحيح الذي ارتأى النبي صلى الله عليه وسلم بتنفاذ بصيرته أنه يمكن أن يكون سببا لنصر من الله وفتح مبين وهو ما تم بالفعل في معارك فتح الشام في عهد أبي بكر وعمر بن الخطاب (٧) ، وقد ثبت على مر العصور وحتى الآن أن الانتصارات الكبيرة في الحروب بدأت بالأسلوب الذي بدأ به صلى الله عليه وسلم فمعظمها يدين بالفضل لاستطلاع ومعلومات صحيحة وخبرة مباشرة .

لما فتح النبي - صلى الله عليه وسلم - مكة سنة ٨ هـ - ٦٣٠ م (٨) ودخلت سائر القبائل العربية في الاسلام بدأ التطلع إلى العالم الخارجي وكانت البداية ببلاد الشام بحكم الصلات القديمة والجوار الوثيق (٩) وبدأت العلاقات بين عرب الجزيرة وقبائل عرب الشام تتخذ شكلا جديدا غلب عليه التوجس والحذر المشوب بالعداء وخشية المجهول والتأرجح في

(٥) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٤٢ ، ابن سعد : الطبقات : ج ٣ ص ١٧٤ ، الطبري : تاريخ الطبري : ج ٣ ص ٢٢٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٦ ص ٨٤٥ ، ابن عساکر : تاريخ مدينة دمشق : ج ١ ص ١١٧ ، المقرئ : امتاع الاسماع : ج ٢ ص ٥٣٧ .

(٦) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٧٠ .

(٧) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ٧ ، البلاذري : فتوح البلدان : ص ١٠٥ ، الأزدي : فتوح الشام : ص ٨٧ .

(٨) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٥ ، الطبري : التاريخ : ج ٣ ص ٢٨ - ٦١ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٣ ص ٧٤٦ .

(٩) المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ١٠٦ ، حمزة الاصطهاني : تاريخ سني ملوك الأرض : ص ٩٨ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٨ ، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر : ج ١ ص ١٠٠ ، جواد علي : المفصل في تاريخ العرب : ج ٣ ص ١١ ، زيدان : العرب قبل الاسلام : ص ٨١ ، ٨٢ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات في تاريخ العرب : ج ١ عصر ما قبل الاسلام : ص ٢٢١ ، ٢٢٢ .

الولاء بين المسلمين والروم وذلك مرده الى أن ولاء القبائل الشامية للروم وديانة معظمهم بالنصرانية (١٠) ووظيفتهم في الحجز بين حضر البادية (١١) واستقرارهم في بلاد الشام كل ذلك بات مهددا بالزوال من قبائل عرب الجزيرة التي دانت بالاسلام الذي خلق منهم خلقا جديدا لم يعرفوه من قبل في بادية ولا حضر وقد ساعد على ذلك الحالة التي كانت عليها بلاد الشام نفسها ، فقد جاء الاسلام والسيطرة لغسان في الجنوب (١٢) وتنوخ في الشمال (١٣) وتغلب في الشرق (١٤) وكثير من قبائل قحطان هنا وهناك ، وكانت هذه القبائل العربية قد تركت عبادة الأوثان ودانت بالنصرانية فقويت الروابط بينها وبين الروم الذين اصطنعوا لهم الرواتب ليحموا الشام من غارات أهل البادية ويحموا آسيا الصغرى من غزو الفرس الذين استغلوا فرصة انشغال الامبراطورية في حروبها ضد الصرب في أوروبا ودخلوا الشام سنة ٦١٣ - ٦١٤ م (١٥) قبل الهجرة للدولة ، ومع أنه نجح في طرد الفرس واسترداد الشام سنة ٦٢٦ م سريعا نحو الشرق للدفاع عن الشام لأهميته الاقتصادية وموقعه ومكانته للدولة ، ومع أنه نجح في طرد الفرس واسترداد الشام سنة ٦٢٦ م إلا أنه فقد ولايتي دلماشيا Dalmashia وبانونيا Banonia اللتين سقطتا في أيدي الصرب والكروات فأفل نجم الدولة وساء طالعها وازدادت عليها مظاهر الضعف والتردي التي كانت تعاني منها في شيخوختها (١٦) كشيخوخة الامبراطور نفسه حيث سلم مقاليد أموره للبطريرك سرجيوس صاحب مذهب الطبيعة الواحدة (١٧) وشغل نفسه ورعاياه بالمسائل الدينية والخلافات المذهبية .

(١٠) الطبري : تاريخ الطبري : ج ١ ص ١٥٥٩ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ١٤٣ ، ١٤٥ .

(١١) وهب بن منبه : التيجان : ص ٢٩٥ ، حتى : تاريخ سوريا : ج ١ ص ٤٤٨ ، جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام : ج ٣ ص ١٠٢ .

(١٢) وهب بن منبه : التيجان : ص ٣٠٠ ، ابن حبيب : المحبر : ص ٢٧١ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٦٤٢ ، اليعقوبي : التاريخ : ج ١ ص ١٦٧ ، تلذكة : أمراء غسان : ص ٨ ، ٩ ، كرد علي : خطط الشام : ج ١ ص ٦٩ .

(١٣) الأصفهاني : الأغاني : ج ١٢ ص ١٥٥ ، الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ٢٧٥ .

(١٤) الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ٢٧٥ « ديار ربيعة » ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ١٤ ، ١٥ .

(١٥) Thonmin, Histoire de Syrie , 2ed. Paris, 1929, p. 161.

الدوارد جيون : اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها : ص ٢٧٠ ، ٢٧١ .

(١٦) جيون : اضمحلال الامبراطورية الرومانية : ص ٢٨٥ ، كرد علي : خطط الشام :

ج ١ ص ٧٠ .

(١٧) انظر ما سبق ذكره عن هذا المذهب .

وكانت النصرانية في هذا الوقت قد تشعبت الى مذاهب ونحل كالنسطورية واليعاقبة وغيرهم ، وكره أصحاب هذه المذاهب حكومة الروم التي كانت تضطهدهم باسم المذهب الأرثوذكسي في ظل ضعف الامبراطور وهرمه واستسلامه لرجال الدين (١٨) مما جعله ينظر الى قوة العرب الفتية نظرة العاجز الضعيف أو نظرة المستهين بأمرهم وربما دفعه هذا وذلك الى الاقتناع بقدرة حلفائه من قبائل عرب الشام بالقضاء عليهم عند اللزوم فلم يحرك ساكنا في الوقت الذي كانت فيه هذه القبائل ترقب الأمور في حذر وانتظار لا سيما وأن خزائن هرقل كانت خاوية ومرتببات الأمير الغساني وسائر أمراء القبائل التي كانت تجريها عليهم الدولة منقطعة والنفوس في الشام يعمها السخط من سوء الادارة الرومانية وكثرة المغارم والمظالم فضلا عن الحروب والغارات وأطماع الفرس التي لا تنقطع ووسط هذا كله كان الأمل يراود الناس بقرب التغيير (١٩) .

لم تنقطع العلاقات بين الشام وجزيرة العرب في أى وقت من الأوقات وقد غلب على هذه العلاقات الطابع التجارى وجلب الميرة والغذاء وبعض المصنوعات الأساسية (٢٠) ، وكانت طرق التجارة بين الشام والجزيرة كثيرة ومتعددة تعج بالقوافل الرائحة والغادية في أى وقت من أوقات السنة وأهمها طريق الحجاز والشام (٢١) ، وكانت أول معرفة السبي عليه السلام بالشام حين خرج في إحدى القوافل القرشية مع عمه أبى طالب وهو مازال صبيا (٢٢) فنزل بصرى (٢٣) من أرض الشام في حكم الغساسنة وصار يتأمل ويتعرف على كل ما حوله في العالم الجديد وحكايته مع الراهب بحيرى معروفة (٢٤) لما يروى بأنه كان من علماء أهل الكتاب ، فيقال انه تعرف عليه بما عنده من صفة ووصف أهل الكتاب لنبي مقبل وعلم بقرب مبعثه وأنه نصيح عمه أبا طالب أن لا يوغل به .

- (١٨) حتى : تاريخ سورية : ج ١ ص ١٣٤ ، جواد على : الفصل في تاريخ العرب : ج ٤ ص ١٥٢ ، جيون : اضمحلال الامبراطورية : ص ٣٧٤ ، كرد على : خطط الشام : ج ١ ص ٧٠ ، ٧١ ، نلدكه : أمراء غسان : ص ١٤٣ .
- (١٩) ابن قتيبة : المعارف : ص ٦٤٢ ، حمزة الأصفهاني : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩٩ ، كرد على : خطط الشام : ج ١ ص ٧٠ ، جواد على : الفصل : ج ٤ ص ١٢٦ .
- (٢٠) ابن منظور : لسان العرب : ج ٩ ص ٢١٧ ، ٢١٨ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي : ج ١ ص ٢٠ ، أحمد الشريف : مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول : ص ٣١ .

- (٢١) الاصطخرى : مسالك الممالك : ص ١٤ ، الأزرقى : أخبار مكة : ص ١٨ .
- (٢٢) ابن هشام : السيرة : ج ١ ص ١٢٩ .
- (٢٣) بصرى من أعمال دمشق وهى قصبة كورة حوران ، ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ٤٤١ ، ٤٤٢ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ٧٢ .
- (٢٤) ابن هشام : السيرة : ج ١ ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

ففي الشام وأن يرتد إلى بلده مسرعا بعد فراغه من تجارته كي لا يتعرف عليه اليهود فينال منهم شرا (٢٥) ، ثم كانت المرة الثانية حين خرج محمد عليه الصلاة والسلام قبل مبعثه إلى الشام بتجارة للسيدة خديجة بنت خويلد بصحبة غلامها ميسرة ضمن غير لقريش فباع وابتاع وربح وعاد سالما إلى مكة (٢٦) .

وكثيرا ما كان يرد مع قوافل التجارة رقيق من الشام للعمل في خدمة السادة من أشراف القبائل مثلما فعل حكيم بن حزام بن خويلد الأسدي (٢٧) حينما جاء من الشام بتجارة ومعه رقيق فيهم زيد بن حارثة المنتهى نسبه إلى ثور بن كلب بن وبرة من أشراف الشام (٢٨) ، وبرغم أنه لم تعلم الظروف التي استرق فيها زيد إلا أنه جاء مكة بصحبة حكيم وصار من غلمانه ، ويروى أن عمته خديجة بنت خويلد دخلت عليه وهي يومئذ عند رسول الله ﷺ فقال لها : اختاري يا عمة أي هؤلاء الغلمان شئت فهو لك فاختارت زيدا فرآه النبي عندها فاستوهبه منها فوهبته له فاعتقه ﷺ وتبناه وذلك قبل أن يوحى إليه (٢٩) .

وزيد هذا هو الذي أرسله النبي ﷺ في سرية إلى القردة (٣٠) وهي ماء من مياه نجد (٣١) لاعتراض غير لقريش كانت في طريقها بتجارة إلى الشام وذلك أن قريشا خافوا طريقهم الذي كانوا يسلكون إلى الشام

(٢٥) ابن هشام : المصدر السابق : ج ١ ص ١٣١ .

(٢٦) نفسه : ج ١ ص ١٣٥ .

(٢٧) المعصب الزبيري : نسب قريش : ص ٢٣١ ، البلاذري : أنساب الأشراف :

ج ١ ص ٩٩ ، ٢٣٥ .

(٢٨) هو زيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس بن عامر ابن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة من قضاة القحطانية وكان أبوه حارثة جزع عليه جزعا شديدا عند فقده وبكاء بكاء مرا فكان يقول :

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل أحى فيرجى أم أتى دوله الأجل

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل أغالك بعدى السهل أم غالك الجبل

وقد ظل حارثة يسأل عنه القبائل الرائحة والغادية إلى الشام حتى اهتدى إليه وعلم بمكانه فقدم عليه وهو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فخيرته النبي بين الإقامة معه أو الانطلاق مع أبيه فاختر جوار النبي حتى يعثه الله فصدقته وأسلم وصلى معه فلما أنزل الله « ادعوهم لأبائهم » الأحزاب : آية ٥ ، قال : أنا زيد بن حارثة .

ابن هشام : السيرة : ج ١ ص ١٨٠ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب :

ص ١٥ ، البلاذري : أنساب الأشراف : ص ٤٦٩ .

(٢٩) ابن هشام : السيرة : ج ١ ص ١٨٠ .

(٣٠) الطبري : التاريخ : ج ٢ ص ٥٩٦ « غزوة ذي قرد » .

(٣١) ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ٣٢٢ .

حين كان من وقعة بدر ما كان فسلكوا طريق العراق المؤدى الى الشام (٣٢) فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب ومعه فضة كثيرة وهى من أعظم تجارتهم مع الشام واستأجروا رجلا من بنى بكر بن وائل يقال له فرات بن حيان يدلهم على الطريق فبعث اليهم النبى ﷺ زيد بن حارثة فى سرية لاعتراضهم فأخذ العير وما فيها وفر الرجال وأسر اثنين فيهم الدليل فرات بن حيان الذى أسلم بعد ذلك وقدم زيد على النبى بالمدينة بما غنم (٣٣) فخمسها النبى ﷺ فبلغ خمسها عشرين ألفا وقسم أربعة أخماسها على السرية مما يدل على عظم التجارة التى كانت تتبادلها قريش مع الشام فى ذلك الوقت ، وكان ذلك بعد غزوة بدر بستة أشهر على رأس ثمانية وعشرين شهرا من الهجرة وكان رئيس هذه العير صفوان ابن أمية (٣٤) .

ثانيا : موقف قبائل الشام من الاسلام :

استمرت العلاقات التجارية بين الشام وبلاد العرب على ما هى عليه وظلت القوافل تروح وتغدو بين الطرفين منذ مبعث النبى ﷺ رغم ما كان بينه وبين قومه من عدااء (٣٥) فلما كانت سنة خمس للهجرة وقبل فتح مكة بثلاث سنوات رغب النبى ﷺ أن يحمى ظهره من ناحية الشام قبل المسير الى مكة وأن يؤمن طرق التجارة بينها وبين المدينة ويحمى مصادر التموين والغذاء الآتية من الشام الى بلاد العرب ولم يجد النبى ﷺ من وسيلة لتحقيق ذلك سوى الشدة والقوة لأن الاسلام حتى هذا الوقت لم يكن قد وجد صدى طيبا فى نفوس القبائل العربية الضاربة فى بلاد الشام ولم يظهر فى الأفق ما يشير الى قرب ذلك .

١ - أهل دومة الجندل :

كانت دومة الجندل (٣٦) فى بادية الشام بالقرب من دمشق هى بداية اهتمام النبى ﷺ لأنها كانت بابا من أهم أبواب الشام الى الجزيرة

(٣٢) الطبرى : التاريخ : ج ٢ ص ٥٩٧ ، ٥٩٨ .

(٣٣) ابن هشام : السيرة : ج ٢ ص ٢٢١ .

(٣٤) ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٤١٠ .

(٣٥) الأزرقي : أخبار مكة : ص ٩٨ .

(٣٦) بينها وبين دمشق خمس ليال وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة أو ست عشرة

دهى أرض نخل وزرع يسقون على النواضح وحولها عيون وزرعهم الشعير وعليها سور ولها حصن مشهور فى العرب يدعى ماردا .

ابن هشام : السيرة : ج ٣ ص ١٠٥ هامش ١ ، ياقوت : معجم البلدان : ج ٢

ص ٤٨٧ - ٤٨٩ ، ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق الكبير : ج ١ ص ٩٠ ، كرد على :

خطط الشام : ج ١ ص ٧١ .

العربية ويسكنها قوم من بنى كلب بن وبرة من قضاة القحطانية (٣٧) يدينون بالنصرانية وكانوا يظلمون من مر بهم من الضافطة (٣٨) ولهم سوق عظيم وهم يريدون أن يدنو من المدينة (٣٩) لتأمين تجارتهم . ورغم أن غزو دومة كان مما يعد مقلقا لقيصر الروم من ناحية للعرب لولاء قومها له الا أن النبي ﷺ لم يعبأ بذلك ورأى أن المصلحة تقتضي المسير اليها ففي ربيع أول سنة ٥ هـ ندب النبي ﷺ الناس للغزو (٤٠) واستعمل على المدينة سباع بن عرفة الغفاري (٤١) وخرج في ألف من المسلمين فكان يمشى الليل ويكمن النهار حتى لا يسير بخبره الركبان ويضمن لنفسه مباغته عدوه . وكان دليله في مسيره رجل من بنى عذرة - وهي من قبائل قضاة القحطانية الضاربة بالشام فيما بين دمشق ودومة الجندل - (٤٢) ولذلك كان على علم تام بطرق الناحية ودروبها ورغم أنه لم يعلم ان كان مسلما أو مستأجرا فقد قام بمهمته على خير وجه .

(٣٧) ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ابن سعيد الأندلسي : نشوة الطرب : ج ١ ص ١٧٢ ، أبو الفداء : المختصر : ج ١ ص ١٠٠ ، العمري : مسالك الألبصار : ص ٥٧ .

(٣٨) الضافطة والضفاط والضفاطة : الذي يكرى الأبل من موضع الى موضع ، وقيل العير تحمل المتاع ، وقيل الضفاطون التجار يحملون الطعام وغيره والضافط : الحالب من الأصل .

أنشد سيديويه للأخضر بن هبيبة :

لما كنت ضفاطا ولكن راكبا أناخ قليلا فوق ظهر سبيل

ابن منظور : لسان العرب : ج ٩ ص ٢١٧ ، ٢١٨ ، محمد كرد علي : خطط الشام : ج ١ ص ٧١ هامش ١ .

(٣٩) الطبري : تاريخ الطبري : ج ٢ ص ٥٦٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٥١١ .

(٤٠) ابن هشام : السيرة : ج ٣ ص ١٠٥ ، الطبري : تاريخ الطبري : ج ٢ ص ٥٦٤ .

(٤١) ابن هشام : السيرة : ج ٢ ص ١٠٥ ، ابن حزم : جوامع السيرة النبوية : ص ١٤٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٥١١ .

(٤٢) السمعاني : الأنساب : ج ٢ ص ٢٨٦ ، ابن خلدون : العبر : ج ٢ ص ٢٤٧ ، أبو الفداء : المختصر : ج ١ ص ١٠٦ ، القلقشندي : صبح الأعشى : ج ١ ص ٢١٧ .

فلما قرب من دومة الجندل أخبر النبي ﷺ بسوائم لبنى تميم (٤٣) ترعى في الطريق فسار حتى هجم على ماشيتهم ورعائهم فأصاب من أصاب هرب من هرب في كل وجه وجاء الخبر أهل دومة الجندل فتفرقوا ونزل النبي ﷺ بساحتهم ليدعوهم إلى الإسلام أو يقاتلهم إلا أنه لم يجد بها أحدا فأقام أياما وبث السرايا في كل اتجاه وجرى له برجل فسأله عن قومه فأخبره بهروبهم البارحة وعرض عليه الإسلام فأسلم وعاد للنبي ﷺ إلى المدينة غانما ولم يقاتل (٤٤) . ولأهمية موقع دومة الجندل لم يكن هناك يد من حسم العلاقة مع هذا الحصن الضارب في البرية بين الشام والحجاز ولذلك فانه في العام التالي في شعبان سنة ٦ هـ كلف النبي ﷺ عبد الرحمن بن عوف بالخروج إلى دومة الجندل على رأس سرية عسكرية (٤٥) لدعوتهم إلى الإسلام أو تحديد موقفهم من حكومة النبي بالمدينة وأداء جزية المعاهدين والمواعدة بين الطرفين وأمره أن أطاعوا أن يتزوج ابنة ملكهم (٤٦) ، لتوثيق عرى هذه الطاعة واعطائهم الأمان ،

(٤٣) بنو تميم قبيلة عظيمة ذات بطون واسعة من العدنانية تنتسب إلى تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، والتميم في اللغة الشديد ومن بطون تميم المشهورة : بنو الحارث وبنو العنبر وبنو الهجيم وبنو أسيد وبنو مازن وبنو مالك وبنو امرئ القيس وبنو سعد ولدى مائة بن تميم ولهم بطون ضخمة وكانت منازلهم في الجاهلية بأرض نجد ممتدة عبر اليمامة إلى البصرة إلى الفرس من أرض الكوفة وقد تفرقوا في الحواضر ولم يبق منهم باقية في الإسلام وقد ورثت مساكنهم غزية من طيء وخفاجة من بني عقيل بن كعب وكان لهذه القبيلة وقائع كثيرة في الجاهلية مع الفرس ومع بكر بن وائل وعيس وبنو عامر بن صعصعة وبنو حنيفة وغيرهم ، قدم وفد منهم على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة سنة ٩ هـ في سبعين رجلا فيهم الأقرع بن حابس والزبرقان ابن بدر وعطارد بن حاجب وقيس بن عاصم وعمرو بن الأتم وهم أصحاب النداء من وراء الحجرات « انظر سورة الحجرات : آية ٤ » .

ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١١٣ ، ١١٤ ، الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ١٢٧ ، الأصفهاني : الأغاني : ج ٩ ص ٢٢٠ ، ج ١١ ص ١٢١ ، الطبري : التاريخ : ج ٤ ص ٨٦ ، ج ٥ ص ١٩٢ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٢ ص ٦٠ ، ابن حزم : الجمهرة : ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ابن صاعد : طبقات الأمم : ص ٤٣ ، ٤٤ ، ابن منظور : لسان العرب : ج ٤ ص ٤٥٨ ، ج ٥ ص ٢١٥ ، ابن عبد البر : الانباه على قبائل الرواة : ص ٧٦ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

(٤٤) ابن هشام : السيرة : ج ٣ ص ١٠٥ ، ابن حزم : جوامع السيرة : ص ١٤٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٥١١ .

(٤٥) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٥٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٦١٢ .

(٤٦) ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٦١٢ .

وكان ملك دومة أكيدر بن عبد الملك (٤٧) نصرانيا فى طاعة هرقل ملك الروم وكثيرا ما كان يعترض مسافرى المدينة وتجارها ، وقد أجاب الى الاسلام كثير من القوم على رأسهم الأصبع بن عمرو الكلبى وكان نصرانيا من أشرف دومة الجندل (٤٨) تزوج عبد الرحمن بن عوف أمير السرية من ابنته تماضر بنت الأصبع وهى أم أبى سلمة بن عبد الرحمن ابن عوف (٤٩) ، ومن لم يسلم منهم فقد أقر بالجزية .

استمر الحال على ذلك حتى منع أكيدر الجزية عن النبى ﷺ . ناقضا عهد عبد الرحمن بن عوف ولذلك فانه لما خرج الى تبوك سنة ٩ هـ أرسل خالد بن الوليد لياتى به للنظر فى أمره واستجلاء حقيقة موقفه من الاسلام والمسلمين (٥٠) ، فخرج خالد بن الوليد وكمن له على مرمى البصر من حصنه فى ليلة صائفة مقمرة فبصر به على سطح له ومعه امرأته ينظر الى بقر وحشى جاء يحك قرونه فى جدار حصنه فنزل ليصيده وركب معه نفر من أهل بيته فيهم أخ له يدعى حسان ، فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله ﷺ فى الكمين فأسر أكيدر ومن معه الا أخاه حسان الذى قاوم فقتل (٥١) واستلب من أكيدر قباء من ديباج مخصص بالذهب أرسله خالد بن الوليد الى النبى قبل مقدمه عليه (٥٢) ، وقد روى عن أنس ابن مالك أنه رأى قباء أكيدر حين قدم به الى رسول الله ﷺ فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ويتعجبون منه فقال النبى : أتعجبون من هذا ! فوا الذى نفس محمد بيده لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن من هذا (٥٣) .

وجاء خالد بن الوليد ومعه أكيدر الى النبى ﷺ فحقن له دمه وأمنه وصالحه على الجزية وكتب له كتابا بذلك ثم خلى سبيله فرجع الى-

(٤٧) هو أكيدر بن عبد الملك بن عبد الجن بن أعيا بن الحارث بن معاوية بن جلاوة ابن أيامة بن شكامة بن شبيب بن السكون من ولد أشرس بن كندة وأخو السكاسك بن كندة ، من قبائل عريب بن كهلان القحطانية الضخمة أسره خالد بن الوليد فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم لنقضه العهد ، وأخوه بشر بن عبد الملك تعلم الخط بالحيرة ثم أتى مكة فتزوج الصهباء بنت حرب أخت أبى سفيان فولدت له ابنة هى جدة عمر بن هبيرة لأبيه .

البلاذرى : أنساب الأشراف : ج ١ ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٤٢٩ .

(٤٨) ابن عبد ربه : المقد الفريد : ج ٧ ص ٢٨٢ .

(٤٩) ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٦١٢ .

(٥٠) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ٩٠ ، البلاذرى : أنساب الأشراف : ج ١

ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : ج ٣ ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٥١) البلاذرى : أنساب الأشراف : ج ١ ص ٣٨٣ .

(٥٢) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ٩٠ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : ج ٣ ص ١٠٩ .

(٥٣) البلاذرى : أنساب الأشراف : ج ١ ص ٣٨٣ .

قومه (٥٤) • ونص كتاب النبي ﷺ هو : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد رسول الله ﷺ لا كيدر دومة حين أجاب الى الاسلام وخلع الأنداد والأصنام مع خالد بن الوليد سيف الله فى دومة الجندل واكنافها :

أن لنا الضاحية من الضحل والبور والمعامي وأغفال الأرض والحلقة والسلاح والحافر والحصن • ولكم الضامنة من النخل والمعين (٥٥) من المعمور ، لا تعدل سارحتكم (٥٦) ولا تعد فاردتكم (٥٧) ولا يحظر عليكم النبات تقيمون الصلاة لوقتها وتؤدون الزكاة بحقها عليكم بذلك عهد الله والميثاق ولكم به المصدق والوفاء شهد الله ومن حضر من المسلمين » (٥٨) •

٢ - قبائل جذام وغسان :

استمر النبي ﷺ موجهها همه الى قبائل عرب الشام ولم يفتر عنهم فى أى وقت من الأوقات لكثرتهم وغناهم ، فضلا عن مكنم الخطر الرابض

- (٥٤) الطبرى : تاريخ الطبرى : ج ٣ ص ١٠٩ •
(٥٥) الضاحى : البارز ، والضحل : الماء القليل • والبور : الأرض التى لم تستخرج • والمعامي : الأرض المجهولة •
والأغفال : التى لا آثار فيها • والحلقة : الدروع • والحافر : الخيل والبغال والبراذين والحمير والحصن : دومة الجندل •
والضامنة : النخل الذى معهم فى الحصن • والمعين : الماء الدائم •
(٥٦) لا تعدل سارحتكم : أى لا يصدقها المصدق ، أى الذى يعدها ويأخذ صدقتها ، والمصدق : عامل الزكاة الذى يستوفىها من أربابها فى مراعيها ومواضعها •
(٥٧) لا تعد فاردتكم : أى لا تضم الفاردة الى غيرها ثم يصدق الجميع فيجمع بين متفرق الصدقة •

الزرقانى : شرح الزرقانى « المواهب اللدنة » : ج ٣ ص ٤١٤ ، السهيلى : -
الروض الأنف فى شرح السيرة النبوية لابن هشام : ج ٢ تحقيق عبد الرحمن الوكيل -
القاهرة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م : ص ٣١٩ ، محمد كرد على : خطط الشام : ج ١ ص ٧١
هامش ٢ ، ص ٧٢ تابع هامش ١ •

(٥٨) ابن سعد : الطبقات : ج ٢ ص ٥٤ ، ٥٥ ، البلاذرى : فتوح البلدان :
ص ٧٣ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ١ ص ١١٢ ، ياقوت : معجم البلدان : ج ٤
ص ١٠٨ ، القلقشندى : صبح الأعشى : ج ٦ ص ٣٧٠ ، محمد حميد الله الحيدر آبادى :
مجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى والخلافة الراشدة : ص ١٦٣ ، أحمد زكى
صلفت : جمهرة رسائل العرب : ص ٥٢ •

وكتب النبى صلى الله عليه وسلم كتابا شبيها بهذا تماما مع حارثة بن قطن لقبيلة
كلب الضاربة حول دومة الجندل وضواحيها •

انظر : ابن سعد : الطبقات : ج ١ ص ٦٩ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ١
ص ١٣٤ ، ١٣٥ ، محمد حميد الله الحيدر آبادى : مجموعة الوثائق السياسية فى العهد
النبوى : ص ١٦٨ •

وراءهم ممثلاً في الروم ، فلم يكن اهتمامه بمكة وقريش ليعبدل اهتمامه بالشام وأهله فقد اعتبر صمود مكة مسألة داخلية سرعان ما تنهار بانتشار الاسلام في القبائل وازدياد قوة المسلمين في المدينة فضلاً عن اسلام الكثير من أهل مكة نفسها وخروجهم منها فلم يكن هناك بد مما لابد منه وهو الدخول في الجماعة فتم الفتح في سهولة ويسر سنة ٨ هـ (٥٩) ، وتبعته وفود قبائل الجزيرة الى المدينة فرادى وجماعات معلنة اسلامها (٦٠) ولم يبق الا الخطر الخارجي على الدعوة وأهلها ممثلاً في قبائل عرب الشام – وأغلبهم نصارى – ومن وراءهم من الروم وقد اتبع النبي ﷺ معهم شتى الطرق لدعوتهم الى الاسلام من رسل ومكاتبات وترغيب وترهيب (٦١) فأمنت وصدقت منهم قلة وعاندت وكابرت سائر القبائل من غسان ولخم وجذام وتغلب وطيء وتنوخ وغيرها ، فرسمت بذلك السياسة التي كان على خلفائه أن يتبعوها معهم وهي استخدام القوة والحرب عملاً بقوله تعالى : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين » (٦٢) .

وكانت قبيلة جذام من فرع عريب بن كهلان القحطانية (٦٣) – وهي من كبريات القبائل العربية بالشام – قد أوشكت على اعتناق الاسلام في حياة النبي ﷺ لولا غدر الروم بها ، وبلاد جذام تشغل بقعة واسعة من الشام تمتد من تبوك الى أذرح ومما يلي طبرية من أرض الأردن (٦٤) ، وكان فروة بن عمرو الجذامي (٦٥) شيخ جذام عاملاً لقيصر على عمان من أرض البلقان ومن يسكنها ومن يليهم من سائر العرب وموطنه معان (٦٦) وما حولها من أرض الشام ، وقد أسلم وأجاب النبي ﷺ الى دعوته (٦٧)

(٥٩) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ٨ ، الطبري : تاريخ الطبري : ج ٣ ص ٤٢ – ٦٦ .

(٦٠) تفسير ابن كثير : ج ٢ ص ٤٠١ ، ٤٠٢ .

(٦١) ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٣ ص ٧١٠ .

(٦٢) سورة البقرة : آية ١٩٣ ، الفخر الرازي : التفسير الكبير : ج ٣ ص ١٤١ .

(٦٣) السمعاني : الأنساب : ج ٢ ص ٤٩٤ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٤٧٧ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٢٢٥ ، العوتبي : كتاب الأنساب : ج ٢ ص ١٣ – ٢٠ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ١٩١ ، ١٩٢ .

(٦٤) الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ٢٧٢ ، ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ١٢٩ ، ج ٢ ص ١٤ ، ١٥ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، البغدادى : مرصد الاطلاع : ج ٣ ص ١٢٠٠ .

(٦٥) البلاذري : أنساب الأشراف : ج ١ ص ٤٤٩ ، ٤٨٤ .

(٦٦) معان مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

(٦٧) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٣٣ .

وبعث اليه رجلا من قومه يدعى مسعود بن سعد حمل اليه كتابا حسنا وهدايا قيمة فيها بغلة يقال لها فضة وحمارة يعفور وفرسا يقال له الضرب (٦٨) وأثوابا من كتان وقباء من سندس مخرصا بالذهب ، وقد قبل النبي ﷺ كتابه وهديته وكتب اليه جواب كتابه وأجاز رسوله مسعودا (٦٩) باثنتي عشرة أوقية ونش (٧٠) .

ولما بلغ الروم اسلام فروة بن عمرو احتالوا في أخذه كعادتهم في اللجوء الى المكر والخديعة للقبض على زعماء القبائل المتمردة حتى لا يفروا الى الصحراء ، وأخذ فروة وحبس مدة من الزمن ثم قدم فقتل وصلب على ماء يقال له عفراء بفلسطين (٧١) ارهابا وتخويفا لسائر القبائل التي وصلتها كتب النبي ﷺ ومما قاله فروة قبل أن يقتل :

بلغ سراة المسلمين بأنني سلم لربي أعظمي ومقامي (٧٢)

وهكذا مات فروة على اسلامه فلم يهن ولم يضعف ولم يرتد فكان مثلا فذا للاسلام الذي دخل قبائل الشام في حياة النبي ﷺ ومثلا للتضحية بالنفس في سبيل الدين في هذا البلد مما استوجب وقفة من سائر القبائل الشامية مع نفسها لتفحص الأمر ، غير أن هذا التفحص كان بطيئا ولم يؤت ثماره سريعا لأن حادث فروة الجذامي لم يكن مازال ماثلا في الأذهان ولذلك فإنه لما كتب النبي ﷺ مع شجاع بن وهب الأسدي (٧٣) الى الحارث بن أبي شمر الغساني (٧٤) أمير قبائل غسان وصاحب دمشق وملك تخوم الشام (٧٥) يدعو به الى الاسلام رفض دعوته ورد كتابه في صلف وغرور ارضاء لساتته من الروم ، وكان النبي قد كتب اليه :

(٦٨) ابن قتيبة : المعارف : ص ١٤٩ ، الديار بكرى : تاريخ الخميس : ج ٢ ص ١٨٤ .

(٦٩) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٣٣ .

(٧٠) الونش أو النش : مقدار نصف أوقية ، أى عشرون درهما وقيل : هو وزن نواة من ذهب وقيل : هو ربع أوقية والأوقية أربعون درهما ، ونش الشيء : نصفه ، وفى الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يصدق امرأة من نسائه أكثر من ثنتي عشرة أوقية ونش والأوقية أربعون والنش عشرون فيكون الجميع خمسمائة درهم .

انستاس الكرملى : النقود العربية الاسلامية وعلم النميات : ص ٤٥ ، الحاشية وص

١٧٤ ، محمد كرد على : خطط الشام : ج ١ ص ٧٣ هامش ١ .

(٧١) ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ١٣٢ .

(٧٢) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٣٢ ، ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ١٣١ ،

١٣٢ ، كرد على : خطط الشام : ج ١ ص ٧٢ ، ٧٣ .

(٧٣) البلاذرى : أنساب الأشراف : ص ٢٠٠ ، ٣٠٨ .

(٧٤) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٤٣ ، البلاذرى : أنساب الأشراف : ص

١٥٧ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ج ٢ ص ١٤٣ .

(٧٥) حمزة الأصفهاني : تاريخ سنى ملوك الأرض والانبيا : ص ١٠٣ .

« بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله الى الحارث
ابن أبي شمر . سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق . انى أدعوك
أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك » (٧٦) ، فلما قرأ الحارث
الكتاب رمى به وقال مستنكرا : ومن ينزع عنى ملكى ؟!! فقال النبي ﷺ :
« باد ملكه » (٧٧) ، وعلى أية حال فقد عزم الحارث بن أبي شمر أن
يسير الى النبي في المدينة لحربه ولكن قيصرًا - فيما يقال - ثناه عن عزمه
اكتفاء برفض الدعوة (٧٨) . ومع ذلك فقد صالح النبي ﷺ بنى ثعلبة من
غسان (٧٩) وكتب لشيخهم صيفى بن عامر (٨٠) :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب محمد رسول الله لصيفى
ابن عامر على بنى ثعلبة بن عامر : من أسلم منهم وأقام الصلاة وآتى الزكاة
وأعطى خمس المغنم وسهم النبی والصفي فهو آمن بأمان الله » (٨١) .

وكانت كتب النبي ﷺ ودعاويه الى أهل الشام في ذى الحجة من
آخر سنة ٦ هـ بعد عمرة الحديبية وقيل بعد غزوة مؤتة سنة ٨ هـ واتفق
الجميع على أنها بعد الحديبية وقبل فتح مكة لقول أبي سفيان ليرقل حين
سأله عن النبي ﷺ : هل يغدر ؟ فقال . لا ، ونحن منه في مدة لا ندرى
ما هو صانع فيها ؟ (٨٢) وبنص البخارى : « وذلك في المدة التي ماد فيها
أبو سفيان رسول الله ﷺ » (٨٣) ، وقد روى عن أنس بن مالك أن
النبي ﷺ كتب قبل مؤتة الى كسرى وقيصر والى النجاشي والى كل جبار
يدعوهم الى الله عز وجل (٨٤) .

-
- (٧٦) الطبرى : تاريخ الطبرى : ج ٢ ص ٢٩٤ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٢
ص ١٤٥ ، الزرقانى : شرح الزرقانى « المواهب اللدنية » : ج ٣ ص ٤٠٨ ابن كثير :
البداية : ج ٤ ص ٧١٨ ، على بن برهان الدين : السيرة الحلبية : ج ٢ ص ٣٧٦ ،
أحمد زكى صفوت : جبهة رسائل العرب : ص ٤٤ .
(٧٧) ابن هشام : السيرة : ج ٢ ص ١٤٣ .
(٧٨) ابن كثير : البداية : ج ٤ ص ٧١٨ .
(٧٩) هم بنو ثعلبة بن عمرو بن جفنة ومنهم كثير من ملوك غسان ، ابن حزم :
جبهة أنساب العرب : ص ٣٧٢ .
(٨٠) البلاذرى : أنساب الأشراف : ص ١٤١ .
(٨١) ابن سعد : الطبقات : ج ٢ ص ٥٥ ، القلقشندي : صبيح الأعشى : ج ٦
ص ٣٧١ ، محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوى : ص ٤٢ .
(٨٢) ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٧١٠ .
(٨٣) ابن كثير : المصدر السابق : ج ٤ ص ٧١٠ .
(٨٤) صحيح البخارى : باب الايمان : ص ١٩ .

٣ - السروم :

كان ظهور الاسلام وانتشاره فى شبه الجزيرة وتوحد العرب مصدر قلق عظيم بالنسبة للروم لما يمثله من خطر داهم على الشام بيضة ملكهم التى طالما دافعوا عنها ضد الفرس واذا بالخطر مقبلا من جهة لم تكن فى حسابهم يوما ما فبدءوا فى أخذ الأمور مأخذ الجد ومعرفة حقيقة ما يحدث فى بلاد العرب .

وقد روى عن أبى سفيان بن حرب قوله : كنا قوما تجارا وكانت الحرب قد حصرتنا حتى أنهكت أموالنا ، فلما كانت الهدنة - هدنة الحديبية - بيننا وبين رسول الله ﷺ وجدنا أمنا فخرجت الى الشام تاجرا مع رهط من قريش فوالله ما علمت بمكة رجل ولا امرأة الا وقد حملنى بضاعة (٨٥) وكان وجه متجرنا من الشام غزة (٨٦) من أرض فلسطين فخرجنا حتى قدمناها وذلك حين ظهر قيصر صاحب الروم على من فى بلاده من الفرس فأخرجهم منها ورد عليه صليبه الأعظم وقد كانوا استلبوه اياه (٨٧) فلما أن بلغه ذلك وكان منزله بحمص (٨٨) من الشام فخرج منها يمشى متشكرا الى بيت المقدس (٨٩) ليصلى فيه تبسط له البسط ويطرح عليها الرياحين حتى انتهى الى ايلياء (٩٠) فطلى بها فأصبح ذات غداة مهموما يقلب طرفه الى السماء مما يحدث حوله فى جزيرة العرب وبينما هو كذلك وحوله بطارقه يبحثون الأمر اذ أتاهم رسول صاحب بصرى الغسانى برجل من العرب فقال : أيها الملك ، ان هذا الرجل من العرب من أهل الشاء والابل يحدثك عن حدث كان فى بلاده فتسأله عنه (٩١) . فلما انتهى اليه قال لترجمانه : سله ما هذا الخبر الذى فى بلاده ؟ فسأله ؟ فقال : هو رجل من العرب من قريش خرج يقول : انه نبي وقد اتبعه أقوام وخالفه آخرون وبينهم ملاحم وقد

(٨٥) الطبرى : تاريخ الطبرى : ج ٢ ص ٦٤٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٧١١ .

(٨٦) غزة : مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر وهى من فواحي فلسطين غربى عسقلان مات بها هاشم بن عبد مناف جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها قبره .
ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

(٨٧) الطبرى : تاريخ الطبرى : ج ٨ ص ٦٤٦ ، الدينورى : الأخبار الطوال : ص ٦٩ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ج ١ ص ٢٥٨ ، نلدكه : أمراء غسان : ص ١٨ ، جواد على : المفصل : ج ٤ ص ١٢٩ .

(٨٨) ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٣٠٢ - ٣٠٥ .

(٨٩) ياقوت : المصدر السابق : ج ٥ ص ١٦٦ - ١٧٢ .

(٩٠) نفسه : ج ١ ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

(٩١) الطبرى : تاريخ الطبرى : ج ٢ ص ٦٤٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية :

ج ٤ ص ٧١١ .

خرجت من بلادى وهم على ذلك • فدعا صاحب شرطته وقال له : قلب الشام ظهرا لبطن حتى تأتى برجل من قوم هذا أسأله عن شأنه • قال أبو سفيان : فوالله ، انى وأصحابى بغزة اذ هجم علينا صاحب الشرطة وسألنا : ممن أنتم ؟ فأخبرناه فساقنا اليه جميعا (٩٢) ، فلما انتهينا الى هرقل وقال : أيكم أمس به رحما ؟ فقلت : أنا • قال : ادنوه منى وأجلسنى بين يديه ثم أمر بأصحابى فأجلسهم خلفى ، وقال : ان كذب فردوا عليه وذلك ليستوثق من كلامه قال أبو سفيان : لقد عرفت انى لو كذبت ما ردوا على ولكنى كنت امرءا سيدا أكرم وأستحى من الكذب وأدنى ما يكون ذلك أن يردوه عنى بمكة (٩٣) •

قال هرقل : أخبرنى عن هذا الرجل الذى فيكم فزهدت له شأنه وصغرت له أمره فوالله ما التفت الى ذلك منى ، وقال لى : أخبرنى عما أسألك من أمره • فقلت : سلنى عما بدا لك ؟ قال : كيف نسبه فيكم ؟ فقلت : من أوسطنا نسبا • قال فأخبرونى هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو يتشبه به ؟ فقلت : لا قال : فأخبرنى هل له ملك فاستلبتموه اياه فجاء بهذا الحديث لتردوه عليه فقلت : لا ، قال : فهو يكذب ؟ قلت : لا • قال : فأخبرونى عن أتباعه من هم ؟ فقلت : الأحداث والضعفاء المساكين فأما أشرافهم وذوو الأنساب منهم فلا ، قال : فأخبرنى عن صحبه أيجبه ويكرمه أم يقلبه ويفارقه ؟ قلت ما صحبه رجل ففارقه قال فأخبرنى عن الحرب بينكم وبينه ؟ قلت : سجال تداو علينا وتداو عليه • قال : هل يغدر ؟ قلت : لا ونحن فى مدة ولا نأمن غدره فيها قال : فوالله ما التفت اليها منى • قال بماذا يأمركم ؟ قلت يقول : اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة ، ثم أعاد على الحديث فقال : زعمت أنه من أمحضكم (٩٤) نسبا وكذلك يأخذ الله النبى لا يأخذه الا من أوسط قومه ، وسألتك عن أتباعه فزعمت أنهم الأحداث والضعفاء والمساكين وكذلك أتباع الأنبياء فى كل زمان ، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول قبله فذكرت أن لا فقلت لو كان أحدا قال هذا القول قبله لقلت رجل يتأسى بقول قيل قبله وسألتك عن يتبعه : أيجبه ويكرمه أم يقلبه ويفارقه ؟ فزعمت أنه قل من يصحبه فيفارقه وكذلك حلاوة الايمان لا تدخل قلبا

(٩٢) الطبرى : تاريخ الطبرى : ج ٢ ص ٦٤٧ •

(٩٣) ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٧١٢ •

(٩٤) أمحضكم : أخلصكم • وكل شيء أخلصته فقد محضته وعربى محض أى خالص

النسب الذكر والأنثى والجمع فيه سواء •

الفيروز آبادى : القاموس المحيط : « مادة محض » ، الرازى : مختار الصحاح :

ص ٦١٦ « مادة محض » •

فتخرج منه وسألتك عن الحرب بينكم وبينه فقلت : أنها سجال وكذلك تكون حرب الأنبياء ولهم تكون العاقبة ، وسألتك هل كان من آباءه من ملك ؟ فذكرت أن لا فلو كان من آباءه من ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله ، وسألتك بم يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف (٩٥) ولئن كنت صدقتني ليغلبن على ما تحت قدمي هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم فلو كان باستطاعتي أن أخلص إليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه (٩٦) وأثناء ذلك وصل كتاب النبي حملة دحية (٩٧) إلى ملك غسان عظيم بصرى (٩٨) فدفعه إلى هرقل وهو بحمص (٩٩) وفيه : « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد ابن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى . أما بعد فإني أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين . فان توليت فان عليك اثم الأريسيين (١٠٠) » قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا أشهدوا بانا مسلمون » (١٠١) ، قال أبو سفيان : فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله على الاسلام (١٠٢) .

(٩٥) الطبرى : تاريخ الطبرى : ج ٢ ص ٦٤٨ ، ابن كثير : المصدر السابق : ج ٤ ص ٧١٤ .

(٩٦) الطبرى : تاريخ الطبرى : ج ٢ ص ٦٤٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٧١٤ .

(٩٧) هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس بن الخزرج ابن عامر بن بكر بن عامر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن كلب . ابن وبرة ، من قبائل قضاة القحطانية الضاربة بالشام من قبل الاسلام وهو صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى آتاه جبريل على صورته ، أسلم قبل بدر ولم يشهدا . وشهد اليرموك وكان على كردوس وسكن المزة من قرى دمشق .

ابن حزم : جمهرة انساب العرب : ص ٤٥٨ ، الذهبى : سير اعلام النبلاء : ج ٢ ص ٥٥٠ .

(٩٨) ابن سعد : الطبقات : ج ١ ص ٢٥٩ .

(٩٩) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٤٣ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : ج ٢ ص ٦٤٩ .

(١٠٠) النبهانى : الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية : ص ١٦٦ .

(١٠١) سورة آل عمران : آية ٦٤ .

(١٠٢) الطبرى : تاريخ الطبرى : ج ٢ ص ٦٤٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية :

ج ٤ ص ٧١٥ .

وروى في ذلك أيضا أن هرقل عظيم الروم قال لدحية بن خليفة الكلبي حين قدم عليه بكتاب النبي ﷺ « والله اني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل وأنه الذي كنا ننتظر ونجده في كتابنا ولكني أخاف الروم على نفسي ، ولولا ذلك لاتبعته فاذهب الى « صغاطر » الأسقف (١٠٣) فاذكر له أمر صاحبكم فهو والله في الروم أعظم مني وأجوز قولاً عندهم فانظر ماذا يقول لك » . فجاء دحية فأخبره بما جاء به من رسول الله ﷺ الى هرقل وبما يدعو اليه ، فقال صغاطر : « والله لصاحبك نبي مرسل نعرفه بصفته ونجده في كتابنا باسمه ثم دخل وألقى ثيابا سوداء كانت عليه ولبس ثيابا بيضا وأخذ عصاه وخرج على البطارقة في الكنيسة فقال : يا معشر الروم انه قد جاءنا كتاب من أحمد يدعونا فيه الى الله وانى أشهد أن لا اله الا الله وأن أحمد عبده ورسوله فوثبوا اليه وثبة رجل واحد فضربوه حتى قتلوه (١٠٤) فرجع دحية الى هرقل فأخبره الخبر قال : قد قلت لك : انا نخافهم على أنفسنا فصغاطر كان أعظم عندهم وأجوز قولاً ، ثم أعطاه وكساه وصرفه (١٠٥) .

وقد تعددت الروايات وكثرت بشأن ما حدث عند الروم عندما وصلتهم دعوة النبي ﷺ فقليل في ذلك أيضا أن هرقل عندما أتاه كتاب النبي ﷺ يدعو الى الاسلام كتب بذلك الى عالم كبير من علماء النصارى برومية يستشيريه في الأمر فجاءه رد منه بأن المرسل نبي حقا فجمع هرقل علماء الروم وبطارقتهم في دسكرة (١٠٦) له بحمص ثم أمر بأبوابها فغلقت ثم طلع عليهم (١٠٧) فقال يا معشر الروم : هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت لكم ملككم فتؤمنوا بهذا النبي . فحاصوا حبيصة حمر الوحش واتجهوا الى الأبواب فوجدوها موصدة فعادوا الى هرقل فلما رأى نفرتهم وأيس من إيمانهم رأى أن لا يخسر ملكه وسلطانه وقال لهم : اني ما قلت مقالتي آنفا الا لأختبر بها شدتكم على دينكم فسجدوا له ورضوا عنه (١٠٨) .

(١٠٣) الطبرى : تاريخ الطبرى : ج ٢ ص ٦٥٠ .

(١٠٤) الطبرى : تاريخ الطبرى : ج ٢ ص ٦٥٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٧١٦ .

(١٠٥) ابن كثير : البداية : ج ٤ ص ٧١٦ .

(١٠٦) الدسكرة : الصومعة وكذلك هي بيوت الأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي . الطبرى : ج ٢ ص ٦٤٩ هامش ٢ .

(١٠٧) الأصفهاني : الأغاني : ج ٦ ص ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : ج ٢ ص ٦٤٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٧١٧ .

(١٠٨) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى : ج ٢ ص ٦٢ .

وفي رواية أخرى عن محمد بن اسحاق أن هرقل لما أراد الخروج من أرض الشام إلى القسطنطينية بعد أن بلغه ما بلغه من أمر النبي وأتاه كتابه جمع كبراء قومه ورؤساءهم للتشاور معهم في هذا الشأن وقال لهم : اني عارض عليكم أمورا فانظروا فيما أردت بها . قالوا : وما هي قال : تعلمون والله أن هذا الرجل لنبي مرسل نجده ونعرفه بصفته التي وصفت لنا فهلموا لنتبعه فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا (١٠٩) ، فقالوا : نحن نكون تحت أيدي العرب ونحن أعظم الناس ملكا وأكثرهم رجالا وأقصاهم بلدا؟! فنعطيه مالا في كل عام نكسر عنا شوكته ونستريح من حربه بما نعطيه إياه . قالوا : نحن نعطي العرب الذل والصغار بخرج يأخذونه منا ونحن أكثر الناس عددا وأعظمهم ملكا وأمنعهم بلدا لا والله لا نفعل هذا أبدا قال : فهلموا نصالحه على أن أعطيه أرض سورية ويدعني وأرض الشام (١١٠) فقالوا نحن نعطيه أرض سورية وقد عرفت أنها قلب الشام! لا نفعل هذا أبدا فلما أبوا عليه كل ما عرض عليهم انطلق حتى دخل قسطنطينية (١١١) .

وأيا كان الأمر وإن صحت هذه الروايات أو لم تصح فمن الثابت تاريخيا أن النبي ﷺ أرسل كتابا إلى هرقل عظيم الروم حمله إليه دحية ابن خليفة الكلبي (١١٢) يدعو وقومه إلى الإسلام عملا بقوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ » (١١٣) ، ومن الثابت أيضا أن كتاب النبي ﷺ ودعوته إلى الإسلام لم تلق قبولا من الروم ومن حلفائهم قبائل عرب الشام فوضعوا أنفسهم على رأس قائمة الجهاد عند المسلمين في حياة النبي ﷺ وبعد مماته امتثالا لأمره تعالى إذ يقول « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ » (١١٤) ، ويقول : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ » (١١٥) ، ومن ثم فقد أعلنت المدينة بأمر النبي ﷺ راية الجهاد دون استبطاء ضد عرب الشام ورومها على حد سواء .

(١٠٩) ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٧١٧ .
(١١٠) كانت أرض سورية : فلسطين والأردن ودمشق وحمص وما دون الدرب من أرض سورية ، وما كان وراء الدرب عندهم فهو الشام .
الطبري : تاريخ الطبري : ج ٢ ص ٦٥١ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٧١٧ .

(١١١) الطبري : تاريخ : ج ٢ ص ٦٥١ .
(١١٢) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٤٣ .
(١١٣) سورة المائدة : آية ٦٧ ، الفخر الرازي : التفسير الكبير : ج ٦ ص ٨٩ .
(١١٤) سورة التحريم : آية ٩ .
(١١٥) سورة الأنفال : آية ٦٥ .

الفصل الثاني

جهد النبي صلى الله عليه وسلم ضد عرب الشام

أولا : سرية زيد بن حارثة الى قوم من جذام بمنطقة حسمى في فلسطين سنة ٦ هـ *

في آخر سنة ٦ هـ أرسل النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة على رأس سرية من الجيش الى منطقة حسمى فيما وراء وادي القرى مما يلي فلسطين من أرض الشام (١) لتأديب قوم من جذام قطعوا الطريق على دحية بن خليفة الكلبي رسول النبي صلى الله عليه وسلم الى هرقل قيصر الروم وحامل كتابه اليه وهو عائد من عنده بعد أن خلع عليه وكساه فأهانوه وجردوه مما كان معه (٢) ، فرأى النبي في تأديبهم أمرا ضروريا حتى لا يعودوا الى مثلها أو يظنوا بالمسلمين ضعفا يمنعهم من رد اعتبارهم فيزدادوا اجتراء عليهم وحتى يكونوا عبرة لغيرهم من قبائل الشام التي قد تفكر في إيذاء المسلمين ، وقد امتثل زيد بن حارثة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم وقام بمهمته على خير وجه فأغار على منطقة حسمى ومن فيها من جذام الذين قروا أمامه في كل اتجاه فسلب منهم سلبا عظيما وعاد الى المدينة (٣) ويبدو أن سكان منطقة حسمى من جذام أرسلوا وفدا منهم

(١) ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ .
(٢) الطبري : تاريخ الطبري : ج ٣ ص ١٥٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٦١٢ ، محمد كرد علي : خطط الشام : ج ١ ص ٧٣ .
(٣) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٤٦ ، ١٤٧ ، الطبري : تاريخ الطبري : ج ٢ ص ١٥٥ ، كرد علي : خطط الشام : ج ١ ص ٧٣ .

الى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة للاعتذار عما بدر من بعضهم في حق الرسول عليه الصلاة والسلام أو أعلنوا اسلامهم لأن النبي صلى الله عليه وسلم رد عليهم اسلامهم التي استلبها منهم زيد بن حارثة في السرية التي قادها اليهم في بلدهم (٤) .

شهد العام السابع من الهجرة بعد سرية حسمى هدوءا في العلاقات بين الشام والحجاز فلم تحدث فيه وقائع بين الطرفين ولم يكن هناك أية سرايا أو بعوث أرسلت الى الشام في هذا العام لان النبي عليه الصلاة والسلام كان مشغولا في هذه السنة بفتح حصون خيبر وغزو وادي القرى (٥) وتوجيه بعض السرايا الى القبائل المجاورة كهوازن وفزارة (٦) وغيرهما فضلا عن بعض الأمور الداخلية ولكن رغم كل ذلك فان اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم ببلاد الشام وإيمانه بأنها شموكة في جنب المسلمين لم يفتر في أي وقت من الأوقات ، روى عن سلمة بن نفيل الحضرمي قال : فتح الله على رسوله فتحا فأتيته ودنوت منه حتى كادت ثيابي تحس ثيابه فقلت : يا رسول الله عطل السلاح وسيبت الخيل وقيل : قد نفيل وضعت الحرب أوزارها فقال رسول الله : كذبوا الآن جاء القتال ، الآن جاء القتال ، لا يزال الله يزيغ قلوب أقوام تقاتلونهم ويرزقكم الله عز وجل منهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك ، وعقر دار الاسلام بالشام (٧) .

ثانيا : سرية كعب بن عمير الغفاري الى ذات أطلاق سنة ٨ هـ :

في مطلع السنة الثامنة للهجرة استأنف النبي صلى الله عليه وسلم سراياه وبعوثه الى الشام فأرسل سرية صغيرة من خمسة عشر رجلا عليهم كعب بن عمير الغفاري (٨) في مهمة سلمية الى منطقة ذات أطلاق من ناحية الشام فيما وراء وادي القرى بين تبوك وأذرعاب (٩) وكان ينزلها قوم من قضاة عليهم رجل يدعى سدوس وذلك ليدعوهم الى الاسلام ولكن القوم

(٤) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٤٧ ، كرد علي : خطط الشام : ج ١ ص ٧٣ .

(٥) ابن هشام : السيرة : ج ٣ ص ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٩٥ ، الطبري : تاريخ الطبري : ج ٣ ص ٩ - ١٧ .

(٦) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ٥٩ ، الطبري : ج ٣ ص ٧٠ ، ٨٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٦١٤ ب ٦٢٩ .

(٧) ابن القيم الجوزية : زاد المعاد : ج ٣ ص ١٥٢ ، كرد علي : خطط الشام : ج ١ ص ٧٦ .

(٨) البلاذري : أنساب الأشراف : ص ٣٨٠ ، ياقوت : معجم البلدان : ج ٩ ص ٢١٨ .

(٩) ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ٢١٨ .

كانوا بدوا غلاظا لم يستجيبوا للدعوة وبدلا من ترك الدعاة يعودون من حيث أتوا اجتمعوا عليهم لقتلهم ورشقوهم بالنبل (١٠) فكانت قمة انصلافة والعجرفة البدوية ، وقاتل أصحاب النبي ﷺ أشد قتال حتى قتلوا جميعا لقلة عددهم وكثرة عدوهم وانفلت منهم رجل جريح تحامل على نفسه بالليل حتى وصل المدينة وأطلع النبي على ما كان من أمر أصحابه فهم بالبعث (١١) اليهم الا أن القوم كانوا قد غادروا موضعهم (١٢) الى مكان آخر خشية الانتقام والغزو لفعالهم القبيح .

ثالثا : غزوة مؤتة :

في سنة ٨ هـ وقبل فتح مكة أرسل النبي ﷺ ضمن من أرسل الى الملوك والأمراء البحارث بن عمير الأزدى بكتاب الى ملك بصرى عاصمة اقليم حوران بالشام يدعوه الى الاسلام (١٣) فلما نزل بمؤتة (١٤) عرض له عمرو بن شرحبيل الغساني فسأله عن وجهته ؟ فأخبره أنها الشام . قال : لعلك من رسل محمد ؟ قال نعم أنا رسول نبي الله ﷺ فأمر به فأوثق رباطا ثم قدمه فضرب عنقه (١٥) ولم يقتل للنبي ﷺ رسولا غيره فكان ذلك شديدا عليه ومثار حديث تناقلته القبائل فيما بينها . وقد يبدو ذلك للبعض سببا لخروج جيش النبي الى مؤتة سنة ٨ هـ للقصاص من غسان (١٦) ولكن الحقيقة انه كان جافزا وليس سببا لأن سرايا النبي ﷺ وبعوثه الى الشام كانت سلسلة متصلة الحلقات ضمن خطة نبوية لحماية شبه الجزيرة وللدفاع عن الاسلام من جهة الشام الذي أصبح النبي ﷺ

-
- (١٠) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ١ ص ٩٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٦٨٥ .
- (١١) هم بالبعث اليهم : أراد أن يرسل لهم سرية على وجه السرعة ، والبعث هم جمع من المحاربين بمثابة الطليعة ترسل سريعا حتى يتجهز الجيش في أثره . محمود شيت خطاب : معجم المصطلحات العسكرية : ص ٤٨ .
- (١٢) ابن عساكر : المصدر السابق : ج ١ ص ٩٢ ، ابن كثير : المصدر السابق : ج ٤ ص ٦٨٦ .
- (١٣) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ١ ص ٩٤ .
- (١٤) قرية من قرى البلقاء في حدود الشام كانت تطيح بها السيوف تنسب المشربة منها ، ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ٢١٩ ، ٢٢٠ .
- (١٥) ابن سعد : الطبقات : ج ٤ ص ٣٤٣ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ١ ص ٩٤ ، النبهاني : الأنوار الحميدة : ص ١٣٠ ، ابن حجر : الإصابة : ج ١ ص ٢٨٦ ، المفريزي : امتاع الأسماع : ج ٢ ص ٣٤٥ .
- (١٦) الشيخ محمد الخطرى : مختصرات في تاريخ الأمم الإسلامية : ص ١٧٣ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية منذ ظهور الاسلام حتى سقوط الدولة الأموية : ص ١٣٢ .

يعتبره « عقر دار الاسلام » كما ورد في حديث نفيل الحضرمي (١٧) ،
يضاف الى ذلك أن النبي ﷺ كان شديد الحرص دائما لمصدر الخطر على
المسلمين وكان الشام في ذلك الوقت من أكبرها ولذلك فانه كثيرا ما كان
يبدأ بالهجوم عليها كخير وسيلة للدفاع فلا ينتظر حتى يغزى في موطنه
فيحدث ما لا يستطيع له دفعا ، وكان ايفاد جيش مؤتة حلقة هامة في
سلسلة السرايا والبعوث التي أوفدها النبي الى الشام (١٨) والتي
اختتمها خروجاً بنفسه على رأس جيش جرار من المسلمين الى تبوك من
مشارف الشام (١٩) وقد ظل أمر الشام شاغلا لفكر النبي وعقله بعد
تبوك حتى أنه وهو في مرضه الأخير جهز بعث أسامة بن زيد الى الشام
وأمر المسلمين بايفاده وان توفي (٢٠) ، ومما لا شك فيه أن غزوات النبي
ﷺ وسراياه وبعوثه الى الشام أكسبت المسلمين خبرة لا يستهان بها في
التعامل مع أهله ومعرفته بدروبه وطرقه (٢١) مما كان له أكبر الأثر في
فتح هذا القطر الهام (٢٢) بعد سنوات قلائل من انتقال النبي ﷺ الى
جوار ربه .

خرج بعث مؤتة الى الشام في جمادى الأولى من سنة ثمان للهجرة
وكانوا ثلاثة آلاف نفر من المسلمين المجهزين (٢٣) وهو عدد لم يصل اليه
أى بعث من قبل للنبي ﷺ ولذلك فانه يمكن أن نقول أنه منذ غزوة مؤتة
بدأت بعوث النبي الى الشام تأخذ طابع الجيوش المقاتلة لا طابع جماعة
الدعاة المدافعة لكثرة من خرج فيها من المسلمين المسلحين ، وكان زيد بن
حارثة على رأس الجيش ينوب عنه جعفر بن أبى طالب ثم عبد الله بن
رواحه (٢٤) ، ولما حان وقت خروجهم ودع الناس أمراء النبي ﷺ وسلموا

-
- (١٧) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ٧١ .
(١٨) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ٧١ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ١٥٨ .
(١٩) ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ١٤ ، ١٥ .
(٢٠) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٧٠ ، ١٧١ .
(٢١) ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٧ ص ٢٤٣ ، الاصطخرى : المسالك والممالك :
ص ٤٤ ، المقدسى : احسن التقاسيم ص ٦١ ، محمد كرد عل : خطط الشام : ج ١ ص ٥٦ .
(٢٢) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ٢٢ ، الأزدى : فتوح الشام : ص ٧٢ ،
البلاذرى : فتوح البلدان : ص ١١٥ ، ١١٦ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ : ج ٢
ص ٢٦١ .
(٢٣) ابن هشام : السيرة : ج ٢ ص ٢٠٣ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق :
ج ١ ص ٩٣ .
(٢٤) ابن هشام : السيرة : ج ٣ ص ٢٠٣ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : ج ٣
ص ٣٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٦٨٦ ، اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى :
ج ٢ ص ٤٩ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ١ ص ٩٣ ، المقرئى : امتاع
الاسماع : ج ١ ص ٣٤٤ .

عليهم وخرج النبي بنفسه يشيعهم (٢٥) وهى أمور اتخذت شكل تقاليد ظلت متبعة فيما بعد من جانب الخلفاء للاحتفاء بالجيش الخارجة للقتال .

انطلق الجيش فى تعبئة الحرب وعلى ميسرتهم رجل من الانصار يقال له : عبادة بن مالك (٢٦) وفى اليمنة رجل من بنى عذرة يدعى قطبة ابن قتادة ، وقبيلة بنى عذرة من قبائل قضاة القحطانية (٢٧) التى كانت تسكن بلاد الشام جنوب بصرى (٢٨) وكانوا على دراية بالحرب والقتال لاحتكاكهم بالروم والغساسنة ومعاصرتهم حروب الفرس والروم والمناذرة وبنى غسان (٢٩) ، وكان أفرادا من هذه القبائل الشامية قد وفدوا على النبي ﷺ بالمدينة وأسلموا وحسن اسلامهم ودخل الدين قلوبهم (٣٠) فكلفهم النبي بما كانوا يحسنوه من أعمال ولذلك فلا عجب أن نجد رجلا عذريا من قبيلة عذرة الشامية يتولى منصبا قياديا فى جيش مؤتة المتجه الى حرب أهل الشام ومن معهم من قبائل العرب المتاخمة لهم .

فى الوقت الذى خرج فيه جيش مؤتة الى الشام كان هرقل موجودا به يتفقد أحواله ويؤدى صلاة الشكر فى بيت المقدس بعد أن طرد منه الفرس واسترد صليبه الأعظم سنة ٦٢٢م وهى سنة الهجرة النبوية (٣١) وكان يمشى فى ركابه جمع عظيم من الروم يقال أنه بلغ مائة ألف - باجماع المصادر - من الجيش والحاشية ورجال الدين والرعية فى

(٢٥) ابن هشام : السيرة : ج ٢ ص ٢٠٣ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : ج ٣ ص ٣٦ .

(٢٦) ابن هشام : السيرة : ج ٣ ص ٢٠٦ ، الطبرى : تاريخ الطبرى ، ج ٣ ص ٣٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٦٨٩ .

(٢٧) هم بنو عذرة بن سعد هذيم بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافى بن قضاة ، من بطونهم ، بنو عامر وبنو كبير ورفاعة ، يقال انهم دخلوا فى بنى يشكر ، ومن بطون بنى كبير بن عذرة بنو رزاح بن ربيعة ورزاح هذا هو أخو قصي بن كلاب لأمه وهو الذى نصر قصي بن كلاب على بنى بكر بن عبد مناة وهو الذى أخرج بنى نهد وبنى جرم وبنى حوتكة من بلاد قضاة وهو الذى أخرج أيضا بنى عمه ورفاعة بن عذرة من جملة بلاد بنى عذرة .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٤٨ - ٤٥٠ ، السمعاني : الأنساب : ج ٢ ص ٣٨٦ ، الزبيدي : تاج العروس : ج ٣ ص ٣٩٠ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٣١٥ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٢٤٣ ، ٣٢٦ ، النويري : نهاية الأرب : ج ٢ ص ٢٩٧ .

(٢٨) ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ٤٤١ ، ٤٤٢ .

(٢٩) حمزة الأصفهاني : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩١ ، ١٠١ .

(٣٠) ابن خلدون : العبر : ج ٢ ص ٢٤٧ ، ابن قيم الجوزية : زاد المعاد : ج ٣ ص ٤٩ ، روضة المحبين : ص ٣٦٢ ، أبو الداء : المختصر فى أخبار البشر : ج ١ ص ١٠٦ ، القلقشندي : صبح الأعشى : ج ١ ص ٣١٧ .

(٣١) الأزدي : فتوح الشام : ص ٥ .

استعراض للقوة ومثلهم من متنصرة عرب الشام يحيونه ويعظمونه ويحتفلون به في موكب ضخمة (٣٢) ، ولما وصل المسلمون الى الشام نزلوا منطقة معان (٣٣) شرق البتراء وهناك بلغهم أن هرقل وجموعه الضخمة نزلوا مأب من أرض البلقاء وهي منطقة شرق البحر الميت وتقع شمال معان (٣٤) وهناك انضم اليه من القبائل عرب الشام لحم وجذام وبلقين وبلي وبهراء وبكر وتنوخ وغيرها فيما يقرب من مائة ألف - باتفاق المؤرخين (٣٥) - عليهم رجل من ارشاه (٣٦) - وهي بطن من بلي (٣٧) - يدعى مالك بن رافلة (٣٨) كانوا أصلا في استقبال هرقل للاحتفال به وللأعراب عن ولائهم وإخلاصهم له وذلك لأنه ليس من المعقول أن يحضر هرقل خصيصا من القسطنطينية في ركب جرار للملاقاة جيش صغير للمسلمين في جنوب الشام كما أنه ليس من المعقول أن تتعب قبائل الشام كلها في وقت واحد لحرب ثلاثة آلاف مسلم خرجوا اليهم من جزيرة العرب وإنما الصدفة وحدها هي التي أوقعت جيش مؤتة في براثن هذه الجموع الكبيرة لتصادف خروج المسلمين وقت احتفال الروم وهرقل باسترداد الشام من الفرس (٣٩) ومجاملة العرب المتنصرة لهم ، فلعله لم يكن عند المسلمين خبر بذلك الحشد الكبير من العرب والروم بدليل أنهم لما وصلوا معان من أرض الشام وعلموا حقيقة الأمر مكثوا بها ليلتين

(٣٢) ابن هشام : السيرة : ج ٣ ص ٢٠٤ ، ابن سعد : الطبقات : ج ١ ص ٢٥٥ ، الطبري : تاريخ الطبري : ج ٣ ص ٢٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٢ ص ٦٨٨ ، المقرئ : امتاع الاسماع : ص ٢٤٤ .

(٣٣) ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

(٣٤) ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ٣١ .

(٣٥) ابن هشام : السيرة : ج ٣ ص ٢٠٤ ، البلاذري : فتوح البلدان : ص ٧١ ، ابن حزم : جوامع السيرة : ص ١٧٥ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ١ ص ٩٨ . (٣٦) ارشاه : هو رجل انحدرت منه قبيلة من بلي من قضاة القحطانية وهو ارشاه بن عامر ابن عبيلة بن قسيميل بن قران بن بلي ، وارشاه أيضا بطن من خثعم من أنمار بن ارشاح بن القحطانية ، وارشاه : بطن من العدنانية تنسب الى ارشاه بن عنز بن وائل بن قاسط المنتهى نسبه الى ربيعة بن نزار ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٤٤٢ ، الزبيدي : تاج العروس : ج ٤ ص ٢٩٠ ، النويري : نهاية الأرب : ج ٢ ص ٢٣٠ ، عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب : ج ١ ، ص ١٣ .

(٣٧) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٤٤٢ .

(٣٨) ابن هشام : السيرة : ج ٣ ص ٢٠٤ ، الطبري : تاريخ الطبري : ج ٣ ص ٣٧ ، ابن حزم : جوامع السيرة : ص ١٧٤ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ١ ص ٩٨ ، المقرئ : امتاع الاسماع : ج ١ ص ٣٤٧ .

(٣٩) الأزدي : فتوح الشام : ص ٥ ، ٦ .

يتدبرون أمرهم (٤٠) من هول ما فوجئوا به ، أو لعل هرقل وصل من شمال الشام الى جنوبه فجأة لأداء صلاة الشكر في بيت المقدس (٤١) فاجتمعت القبائل لتحيته في وقت وصول المسلمين الى معان (٤٢) فكانت المفاجأة .

وأيا كان الأمر فان المسلمين تشاوروا فيما بينهم وهم بمعان وقالوا : نكتب الى رسول الله ﷺ ونخبره بحجم عدونا فاما أن يمدنا بالرجال واما أن يأمرنا بأمره فنمضى له (٤٣) ، ولكن عبد الله بن رواحة آخر القواد الثلاثة المعينين لقيادة الجيش أخذته حمية الايمان وأريحية الدين الجديد الذي وقر في قلبه وتناسى ميزان القوة بين الطرفين وأخذ يشجع الناس على القتال فقال لهم والله ان الذي تكرهون للتي خرجتم تطلبون (الشهادة) وما تقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم الا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا فانما هي احدى الحسنين اما ظهور واما شهادة (٤٤) ، وأخذ الناس برأيه وقالوا : صدق والله ابن رواحة فلم يكونوا بأقل منه ايمانا لأنهم كانوا جميعا من أهل بدر وأحد والأحزاب .

مضى الجيش شمالا للقاء عدوه والتقى الجمعان على تخوم البلقاء بقرية من قراها تسمى مشارف (٤٥) فلما دنا العدو انحاز المسلمون الى قرية يقال لها مؤتة جنوب الكرك (٤٦) رأوها أنسب وضعا للقتال واتخذوا وضع الهجوم وحدث اللقاء في مؤتة وقاتل زيد بن حارثة حتى

(٤٠) ابن هشام : السيرة : ج ٢ ص ٢٠٤ ، الطبري : تاريخ الطبري : ج ٣ ص ٣٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٢ ص ٦٨٨ .

(٤١) ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ١١٦ - ١٧٢ .

(٤٢) المصدر السابق : ج ٥ ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

(٤٣) ابن هشام : السيرة : ج ٣ ص ٢٠٤ ، الطبري : تاريخ الطبري : ج ٣ ص ٣٧ ، ابن حزم : جوامع السيرة : ص ٢٢١ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٦٨٨ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ١ ص ٩٨ ، المقرئ : امتاع الاسماع : ج ١ ص ٣٤٨ .

(٤٤) ابن هشام : السيرة : ج ٣ ص ٢٠٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٦٨٨ .

(٤٥) تقع قرب حوران من أعمال دمشق اليها تنسب السيوف المشرفة . ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ١٣١ .

(٤٦) من قرى البلقاء في حدود الشام الجنوبية . ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ٢٢٠ .

شاط (٤٧) فى رماح القوم فأخذ الراية جعفر بن أبى طالب وقاتل بها (٤٨) حتى اذا ألجمه القتال ونشب فيه فلم يجد مخلصا ، اقتحم عن فرسه فعقرها كى لا يستفيد منها عدوه فكان أول رجل من المسلمين عقر فى الاسلام فرسه (٤٩) ، وحمل قطبة بن قتادة العذرى الذى كان على ميمنة المسلمين على مالك بن رافلة البلوى قائد العدو فقتله (٥٠) وهو يرتجز ويقول :

طعنت ابن رافلة بن الاراش برمح مضى فيه ثم انحطم (٥١)
ولما قتل جعفر أخذ الراية عبد الله بن رواحة وتقدم بها وهو على فرسه وقاتل حتى قتل فأخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بنى العجلان (٥٢)
فقال يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم فقالوا أنت . قال : ما أنا بفاعل (٥٣) فاصطلح الناس على خالد بن الوليد (٥٤) فأخذ الراية وبدلا من أن يلقي بالمسلمين الى التهلكة وزن الأمور بميزانها الصحيح فوجد أنه من الصواب أن يستنقذ هذه العصابة المؤمنة مما بليت به فى مؤتة وهنا أعمل مهارته الحربية فى تخليص المسلمين من مأزقهم دون حدوث الكارثة مثلما أعملها من قبل حينما كان قائدا لخيلى قريش فى أحد وجاء لهم بالنصر (٥٥) فصار يقاتل بالجيش وهو يتأخر به الى الجنوب ويبدأ رويدا مع حفظ ثبات الناس ونظامهم (٥٦) فلم ينسحب فجأة انسحابا فوضويا

(٤٧) شاط الشيء شيئا وشيئا وشطوطا : احترق وخص بعضهم به الزيت والرب ، ومنه قولهم شاط دم فلان أى ذهب والاشاطة الهلاك ، وشاط الرجل اذا سال فهلك ، ابن منظور : لسان العرب : ج ٩ ص ٢١١ ، ابن هشام : السيرة : ج ٣ ص ٢٠٦ هامش . ١٧ ، الطبرى : التاريخ : ج ٣ ص ٣٩ هامش ٣ .

(٤٨) ابن هشام : السيرة : ج ٣ ص ٢٠٦ ، ابن سعد : ج ٣ ص ١٧٥ ، ابن حزم : جوامع السيرة : ص ١٧ .

(٤٩) عقر البعير والفرس بالسيف أى ضرب به قوائمه فأعجزه .
الرازى : مختار الصحاح : ص ٤٤٥ ، ابن هشام : السيرة : ج ٣ ص ٢٠٦ هامش .
الطبرى : تاريخ الطبرى : ج ٣ ص ٢٩ هامش ٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٦٨٩ .

(٥٠) الطبرى : تاريخ الطبرى : ج ٣ ص ٤١ .
(٥١) ابن هشام : السيرة : ج ٣ ص ٢٠٩ .
(٥٢) هم بنو العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف ، بطن من الخزرج من الأنصار .

ابن حزم : جمهرة انساب العرب : ص ٤٧١ .
(٥٣) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى : ج ٢ ص ٤٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٣ ص ٦٩٠ ، ٦٩١ .

(٥٤) ابن هشام : السيرة : ج ٣ ص ٢٠٧ .
(٥٥) الطبرى : تاريخ الطبرى : ج ٣ ص ٥١٠ .
(٥٦) ابن سعد : الطبقات : ج ٣ ص ١٧٤ .

فيركب العدو ظهرهم مما جعل أهل الشام يظنون أن في الأمر خائفة وأنهم يستدرجون إلى الصحراء انتظاراً للمدد وخاصة أن خالد بن الوليد كان قد غير نظام الجيش في المساء فجعل الميمنة في وضع الميسرة والميسرة في موضع الميمنة وقلب الساقة والمقدمة (٥٧) فلما جاء الصبح تغيرت الوجوه فظن العدو أنه المدد الذي توهموه فتقاعسوا عن متابعتهم وهو ما عبر عنه ابن هشام والطبري بقولهما إنه « دافع القوم وخاشى بهم أو خاشى بهم ثم انحازوا وانحيز عنه أو انحاز وتحيز عنه حتى انصرف بالناس » (٥٨) .

والرأى أن جيش المسلمين وعدده ثلاثة آلاف رجل لم يحارب في مؤتة جيوش الروم وعرب الشام مجتمعة والتي قدرها المؤرخون بمائتي ألف رجل (٥٩) كانوا غالباً في ركاب هرقل أثناء زيارته للشام لأنه لا يعقل أن يجازف أي قائد مسلم مهما كانت حميته الدينية ويدخل معركة هو متأكد من نتيجتها مقدماً من أول جولة وهو الهلاك المحقق له ولجيشه الصغير فلو قدر وحدث ذلك لأحرق بجيش المسلمين وقضى عليه من أول يوم للقتال ولكن الذي حدث هو أن قتلى المسلمين في مؤتة لم يتجاوز عدهم اثني عشر رجلاً (٦٠) وهي خسارة عادية يمكن أن تحدث في حرب بين أي قبيلتين ، ولذلك فانه من المرجح أن الذي حدث هو أن هرقل عندما وصل البلقاء وبلغته أنباء وصول جيش المسلمين الصغير إلى معان وتحركهم إلى الشمال كلف نخبة من قبائل عرب الشام وأكثرهم من بطون قضاة القحطانية من لحم وجذام وبلقين وبلي وبهراء (٦١) من الذين كانوا في استقباله بالتوجه لملاقاة المسلمين والتصدي لهم فخرج اليهم جيش كبير هو خليط من متنصرة عرب الشام من قبائل قضاة السالفة الذكر عليهم

(٥٧) ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٦٩٤ .

(٥٨) ابن هشام : السيرة : ج ٣ ص ٢٠٨ وحاشية ٢٦ الصفحة نفسها ، الطبري : تاريخ الطبري : ج ٣ ص ٤٠ وحاشية ٥ الصفحة نفسها .

(٥٩) عند ابن هشام مائتي ألف من الروم وخمسين ألفاً من العرب ، السيرة : ج ٣ ص ٢٠٨ ، الطبري : تاريخ الطبري : ج ٣ ص ٣٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٣ ص ٦٨٨ .

(٦٠) ذكرهم كل من ابن هشام وابن كثير بالاسم . انظر : السيرة : ج ٣ ص ٢١٣ ، البداية والنهاية : ج ٤ ص ٧٠٧ .

(٦١) هؤلاء هم الذين سماهم الطبري المستعربة : تاريخ الطبري : ج ٣ ص ٣٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٣ ص ٦٨٨ .

مالك بن رافلة البلوى واعتزلت الحرب حدس (٦٢) وهى بطن من جذام
 الا بنو ثعلبة وهم بطن من حدس كانت أكبر خسائر الشاميين منهم وكان
 هذا الجيش ضعفى عدد المسلمين أو ثلاثة أضعافهم تقريبا مما أغرى
 المسلمين بلقائهم يدفعهم الايمان فصمدوا أمامهم بعض الوقت ثم تمكنوا
 من الانفلات منهم بسلام حين اقتضت الضرورة ذلك (٦٣) والغالب أن
 هرقل فعل ذلك لأنه يضمن بالروم فى حرب العرب لأن العرب أعلم بقتال
 العرب ثم أن هذه هى الوظيفة الأساسية للقبائل العربية الضاربة بالشام
 منذ سمح لهم بالاقامة على تخومه وهى الحجز بين الحضر والبادية والدفاع
 عن الشام ضد غارات البدو وأخيرا فانه لم يكن من المعقول أن يقوم
 امبراطور بيزنطة وصاحب الولاية على الشام وقبائلها بقيادة جيوش
 الروم بنفسه تساعد جيوش القبائل الشامية لملاقاة فئة قليلة من
 المسلمين وصلت الشام من شبه الجزيرة العربية أيا كانت مهمتها .

رابعاً : غزوة عمرو بن العاص الى ذات السلاسل سنة ٨ هـ :

بعد غزوة مؤتة وما حدث فيها بلغ النبى ﷺ أن جمعا من بلى (٦٤)
 وسائر قبائل قضاعة من أهل الشام قد تجمعوا طمعا فى المسلمين يريدون
 الدنو من أطراف شبه جزيرة العرب ، فاستنفر ﷺ الناس للمسير الى

(٦٢) بنو حدس هم ولد أريش بن أراش بن جزيلة بن لخم ، بطن ضخمة كثير
 العدد ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٤٢٣ ، الزبيدى : تاج العروس : ج ٤
 ص ١١٧ ، ابن منظور : لسان العرب : ج ٧ ص ٣٤٧ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٢٢٧ ،
 التويرى : نهاية الأرب : ج ٢ ص ٣٠٦ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٢١٢ ، عمر رضا
 كحالة : معجم قبائل العرب : ج ١ ص ٢٥١ .

(٦٣) انظر رأى الشيخ محمد الخضرى فى هذا الخصوص ، محاضرات فى تاريخ
 الأمم الاسلامية : ص ١٧٣ .

(٦٤) بنو بلى من ولد عمرو بن الحاف بن قضاعة ومعظم بطون بلى من ولديه فران
 وهنى ومنهم بدريون وصحابة ومساكن بلى تقع بين المدينة ووادى القرى من منقطع دار
 جهينة الى حد دار جذام بالنبك بين حمص ودمشق ولها ميا من البر الى حد تبوك ومن جبال
 الشراه الى معان وأيلة ، ومن ديار بلى أمج وغران واديان يأخذان من حرة بنى سليم
 وينتهيان الى البحر ، وقد ذكر ابن خلدون أن مواطن بلى تقع شمال جهينة الى عقبة ايلة
 على الحدود الشرقية من بحر القلزم ، وفى عام ٩ هـ قدم وفد من بلى على النبى صلى الله
 عليه وسلم بالمدينة فأجازهم وعادوا الى بلادهم .

ابن حبيب : مختلف القبائل ومؤتلتها : ص ٤٣ ، ابن هشام : السيرة : ج ٣
 ص ٢٠٣ - ٢١٣ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : ج ٣ ص ١٠٧ ، الهمداني : صفة جزيرة
 العرب : ص ١٧٠ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٤٤٢ ، ابن دريد : الاشتقاق :
 ص ٣٢٢ ، ابن خلدون : العبر : ج ٢ ص ٢٤٧ ، ابن فضل الله : مسالك الأبصار :
 ص ٧٦ ، البغدادى : مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع : ج ٣ ص ١٢٨٧ .
 ١٣٥٤ ، المقرئى : البيان والأعراب : ص ٣٦ ، ٣٧ .

الشام (٦٥) لفسح الخطر قبل أن يحدث بهم ، ونظرا لكثرة بطون قضاة (٦٦) بالشام وقوتها أتبع النبي معهم أسلوبا خاصا لفل شوكتهم قرأى أن يتألف قوما منهم أو على الأقل يجيدهم فلا يتحازوا الى عدوه يتقوى بهم ، وكان عمرو بن العاص ذا رحم فى قضاة وذلك أن أم العاص ابن وائل كانت قضاعية من بلى (٦٧) فأرسله النبي فى ثلاثمائة من أهل الشرف من المهاجرين والأنصار تحت راية بيضاء (٦٨) الى جنوب غرب تبوك ثم الى عذرة وبلقين جنوب بصرى بالشام يتألفهم بصلة الرحم (٦٩) ويدعوهم الى نصرته ضد المتحيزين من سائر قضاة للاعتداء على بلاد العرب ولكنه لم يجده منهم آذانا ضاغية فستار بالجيش يكمن النهار ويسير الليل .

لما توسط عمرو بن العاص بلاد قضاة بالشام توقف عند ماء لجذام يقال له السلاسل (٧٠) خشية أن يحدث به القوم لكثرتهم وأرسل رافع

(٦٥) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٥٣ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : ج ٣ ص ٣٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٣ ص ٧٢٣ .

(٦٦) انظر وهب بن منبه : التيجان فى ملوك حمير : ص ٣٠٣ ، ابن حبيب : مختلف القبائل ومؤلفها : ص ٩ ، ابن سعد : الطبقات : ج ١ ص ٣٠ ، المبرد : نسب عدنان وقحطان : ص ١٨ ، الهمداني : الاكليل : ج ١ ص ١٢٧ ، ابن عبد البر : الانباه على قبائل الرواة ص ٥٩ ، ابن سعيد الأندلسي : نشوة الطرب فى أخبار جاهلية العرب : ج ١ ص ١٧١ ، العمري : مسالك الأبصار : ص ٧٤ ، القلقشندي : نهاية الارب : ص ٣٥٨ . (٦٧) العاص بن وائل بن هاشم من ولد هاشم بن سعيد بن سهم من أشرف قريش أمه سلمى البلوية من بلى من قضاة ، مات بين مكة والمدينة بالأبواء ، وفيه قال ابن الزبير الشاعر :

أصاب ابن سلمى خلة من صديقه ولولا ابن سلمى لم يكن لك رائق

فأوى حيا اذ أتاه بخلة وأعرض عنه الأقربون الأصاديق

المصعب الزبيرى : نسب قريش : ص ٤٠٨ ، ٤٠٩ .

(٦٨) ابن عساکر : تاريخ مدينة دمشق : ج ١ ص ١٠٣ .

(٦٩) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٥٣ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : ج ٣ ص ٣٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٣ ص ٧٢٤ .

(٧٠) السلاسل - بلفظ جمع السلسلة - هو اسم ماء بأرض جذام وبذلك سميت غزوة ذات السلاسل ، ويقال ان اسم الماء سلسل ، وبه سميت ذات السلاسل ، قال فيها شاعر يدعى جيزان العود :

يشبهها الرائي المشبه بيضه غدا فى الندى عنها الظليم الهجف

بوعساء من ذات السلاسل يلتقى عليها من العلقى نبات مؤنف

ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ٢٣٣ .

ابن مكيث الجهني (٧١) الى النبي ﷺ يطلب العون فأمدّه بمائتين من المهاجرين الأولين عليهم أبو عبيدة بن الجراح وفيهم أبو بكر فصار الجميع في ذات السلاسل خمسمائة نفر من المسلمين (٧٣) وقد أوصى النبي ﷺ أبا عبيدة حين وجهه الى عمرو بن العاص ألا يختلف معه ، فلما قدم عليه قال له عمرو بن العاص : انما جئت مداد لي وأنا أمير عليك فقال له عبيدة ان رسول الله قال لي : لا تختلفا وأنت ان عصيتني أطعتك فدونك فصلى عمرو بن العاص بالناس (٧٣) ، ولما اكتمل عدد المسلمين في ذات السلاسل خمسمائة نفر بعد وصول المدد من المدينة سار عمرو بن العاص بالمسلمين الليل والنهار حتى وطئ بلاد بلي من قضاة ودوخها وكلما انتهى الى موضع بلغه أنه كان بهذا الموضع جمع فلما سمعوا به تفرقوا (٧٤) حتى انتهى الى أقصى بلاد بلي وعذرة وبلقين (٧٥) ولقى في آخر ذلك جمعا ليس بالكثير فاقتتلوا ساعة وتراموا بالنبل ساعة ورمى يومئذ عامر بن ربيعة وأصيب ذراعه وحمل المسلمون عليهم فهزموا واعجزوا هربا في البلاد وتفرقوا وطارد عمرو من هناك وأقام أياما لا يسمع لهم بجمع ولا مكان صاروا فيه وكان يبعث أصحاب الخيل فيأتون بالشاء والنعم فينحرون ويذبحون لطعامهم ولم تكن غنائم تقسم (٧٦) ، ويبدو أن القوم المتحفرين من قضاة تراجعوا عن زحفهم الى أطراف شبه الجزيرة لما رأوه من خروج عمرو بن العاص اليهم وذاقوا في بقية قبائل قضاة المنتشرة في هذه المنطقة ولم يكن من اليسير على عمرو بن العاص أن يهاجم كل من يجده من قضاة فيتكاثروا عليه ويحدث ما لا يحمد عقباه بعد أن كان منه ما كان في مهاجمة أرض بلي وعذرة وبلقين فأثر سلامة المسلمين وعاد بهم الى المدينة (٧٧) .

-
- (٧١) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ١ ص ١٠٤ .
(٧٢) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٥٣ ، الطبري : تاريخ الطبري : ج ٣ ص ٣٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٣ ص ٧٢٤ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ١ ص ١٠٤ .
(٧٣) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٥٣ .
(٧٤) ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٣ ص ٧٢٤ .
(٧٥) أصله أبي القين وحذفت الهمزة والياء للتخفيف ووصلت الياء بالكلمة كما قيل بلحارث وبلعنبر ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ١ ص ١٠٣ هامش ٦ .
(٧٦) ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٣ ص ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ١ ص ١٠٣ .
(٧٧) ابن هشام : السيرة : ج ٢ ص ١٥٣ .

خامسا : غزوة تبوك ٩ هـ :

منذ سرية زيد بن حارثة الى حسمى (٧٨) بفلسطين في آخر سنة ٦ هـ والنبي ﷺ لا يكاد يمر عليه العام الا وقد أغزى الشام حتى اذا كانت سنة ٩ هـ وقد أنزل الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتهم غيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (٧٩) فلما منع المشركون من المسجد الحرام في الحج وغيره أضيرت قريش ومكة بقطع المتاجر والأسواق وما كانوا يصيبون فيها من رزق وفير فعوضهم الله عن ذلك بالأمر بقتال أهل الكتاب حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يدهم صاغرون كما توضح الآية . ولذلك فقد عزم النبي الامتثال للأمر وغزو الشام وقاتل الروم ان اقتضى الأمر لأنهم أقرب الناس اليه وأولاهم بالدعوة الى الحق لقربهم الى الاسلام وأهله وهو ما تشير اليه الآية « يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار » (٨٠) هذا من ناحية ومن ناحية أخرى كانت الأخبار قد وصلت أهل المدينة عن طريق الأنباط (٨١) بأن الروم قد جمعت بالشام جموعا كثيرة وأن هرقل قد رزق أصحابه لسنة واستنفر العرب المنتصرة فأجلبت معه لحم وجذام وغسان وعاملة وبهراء وكلب وسليح وتنوخ من عرب الشام (٨٢) وزحفوا حتى وصلت مقدماتهم الى البلقاء وعسكروا بها لقربها من البادية وبلاد العرب وبقي هرقل بجمض يرقب الأحداث وضرب الروم

(٧٨) ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٢٥٨ .

(٧٩) سورة التوبة : آية ٢٨ ، ٢٩ ، ابن كثير : تفسير القرآن العظيم : ج ٢ ص ٣٤٦ - ٣٤٨ .

(٨٠) سورة التوبة : آية ١٢٣ .

أمر الله تعالى المؤمنين ان يقاتلوا الكفار أولا فأولا فالأقرب الى حوزة الاسلام ولهذا بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال المشركين في جزيرة العرب فلما فرغ منهم وفتح الله عليه مكة والمدينة والطائف واليمن واليمامة وهجر وخيبر وحضرموت وغير ذلك من أقاليم جزيرة العرب ودخل الناس من سائر الأحياء في دين الله أفواجا شرع في قتال أهل الكتاب فتجهز لغزو الروم الذين هم أقرب الناس الى جزيرة العرب وأولى الناس بالدعوة الى الاسلام لانهم أهل الكتاب .

ابن كثير : تفسير القرآن العظيم : ج ٢ ص ٤٠١ ، ٤٠٢ .

(٨١) كان الأنباط من مزاعم الشام يقدمون كثيرا الى المدينة في الجاهلية يحملون

الزيت والدرمك وهو الدقيق . كرد على : خطط الشام : ج ١ ص ٧٤ هامش ١ .

(٨٢) ابن سعد : الطبقات : ج ٣ ص ٢١٨ ، القرطبي : امتاع الأسماع : ص ٤٤٦ .

البعوث على العرب الضاحية للارهاب والتخويف حتى لا يتكرر ما حدث
فى مؤتة :

كانت الأخطار على الاسلام من داخل الجزيرة فى ذلك الوقت قد
أصبحت شبه معدومة لانتهيار مقاومة قريش وفتح مكة واسلام القبائل
وكانت الحشية أشد ما يكون من خطر يأتى من خارجها وخاصة من جهة
الشام القريبة فربما كانت وجهتهم بعد ذلك المدينة لغزو العرب فى عقر
دارهم ولذلك رأى النبى ﷺ ان لم يبدأ الروم بالقتال بدءوا هم به وهذا
ما جعله يعلم الناس فى صيف سنة ٩ هـ بالتجهيز لغزو الروم (٨٣) دون
تأخير أو ابطاء رغم شدة الحر وعسرة الناس ولم يور عن وجهته بغيرها
كما اعتاد لخطورة القصد كما أنه لم يول أحدا وقاد بنفسه (٨٤) وجد فى
الاعداد لسفره وأمر الناس بالجهاز والانكماش (٨٥) وحض أهل الغنى
على النفقة والحملان ورغبهم فى ذلك لوجه الله تعالى (٨٦) ، فحمل رجال
من أهل الغنى فاحتسبوا وأنفق عثمان بن عفان فى ذلك نفقة عظيمة ولم
ينفق أحدا أعظم من نفقته وأنفق أبو بكر جميع ماله (٨٧) .

اجتمع للنبي ﷺ ثلاثين ألفا من الرجال وعشرة آلاف من الخيل
ومثلها من الجمال (٨٨) وكان هذا أكبر جيش غزا الشام فى حياة النبى
ﷺ وخرج المسلمون فى غزوة تبوك الرجالن والثلاثة على بعير واحد وكان
ذلك فى حر قائل (٨٩) فأصاب المسلمين فى مسيرهم عطش شديد فجعلوا
ينحرون ابلهم ويعصرون أكراشها ويشربون ماءها (٩٠) فكان ذلك عسرة
فى الماء وعسرة فى الظهر وعسرة فى النفقة ولذلك سمي جيش العسرة قال

(٨٣) الطبرى : تاريخ الطبرى : ج ٣ ص ١٠٢ .

(٨٤) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ٨٣ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : ج ٣ ص ١٠١ ،

ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٥ ص ٦ ، أبو اللداء : المختصر فى أخبار البشر : ج ٦
ص ١٤٨ ، اليعقوبى : ج ٣ ص ٥١ .

(٨٥) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى : ج ٣ ص ٥١ ، ابن كثير : البداية والنهاية :

ج ٣ ص ٧ .

(٨٦) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ٨٣ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : ج ٣ ص ١٠٢ .

(٨٧) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ٨٤ ، النبهانى : الأنوار المحمدية : ص ١٢٧ .

(٨٨) ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٥ ص ١٤ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق :

ج ١ ص ١١٢ ، المقرئى : امتاع الاسماع : ج ١ ص ٤٥٥ .

(٨٩) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ٨٣ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : ج ٣ ص ١٠١ .

ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٥ ص ١٣ .

(٩٠) ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٥ ص ١٣ .

تعالى : « الذين اتبعوه في ساعة العسرة » (٩١) ، ومع ذلك فقد تخلف عن الجيش نفر بغير عذر من المنافقين والمقصرين عاتبهم الله ولاسهم ووبخهم وقرعهم أشد القرع وفصحهم أشد الفضيحة وأنزل فيهم قرآنا يتلى وبين أمرهم في سورة التوبة (٩٢) ، ورد النبي ﷺ قوما أخلصوا نيتهم لله لانه لم يجد ما يحملهم عليه « تسولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا » (٩٣) وهؤلاء هم البكاءون (٩٤) ، ولما جد الجيش في المسير جعل بعض الرجال يتخلفون فيقال : يا رسول الله تخلف فلان فيقول : دعوه ان يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وان يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه (٩٥) ودر جيش النبي ﷺ بالحجر وهي أرض ثمود (٩٦) فنهى الناس عن شرب مائه وقال : « لا تشربوا من مياهها ولا تموضئوا منه للصلاة وما كان من عجين عجنتموه فأعلقوه الابل ولا تأكلوا منه شيئا » (٩٧) .

لما وصل النبي ﷺ بالجيش الى تبوك (٩٨) عسكر بها ولم يجاوزها (٩٩) وهي أول منازل بادية الشام من ناحية شبه الجزيرة وتقع شرق ديار عاملة وبهراء وجذام وبلى ، وتقع دومة الجندل حيث ديار كلب ابن وبره الى الشمال الشرقي قريبا منها ويليهما من ناحية الشمال ديار

(٩١) سورة التوبة : آية : ١١٧ ، ابن كثير : تفسير القرآن العظيم : ج ٢ ص ٣٩٦ .
(٩٢) قال تعالى : « لو كان عرضا هريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بانه لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون » .

سورة التوبة : آية ٤٢ وانظر ما بعدما الآيات حتى ٥٩ ، ٨١ - ٨٣ ، ابن كثير : تفسير القرآن العظيم : ج ٢ ص ٣٦٠ - ٣٦٣ ، ص ٣٧٦ - ٣٧٨ .
(٩٣) سورة التوبة : آية ٩٢ .

(٩٤) ذكرهم ابن هشام وابن كثير بالاسم : السيرة : ج ٤ ص ٨٤ ، البداية والنهاية : ج ٥ ص ٩ .

(٩٥) ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٥ ص ١٢ .
(٩٦) تقع في وادي القرى بين المدينة والشام في منطقة جبيلية .
ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٢٢٠ ، ٢٢١ ، أهر الفداء : المختصر في أخبار البشر : ج ١ ص ١٤٩ .

(٩٧) ابن هشام : السيرة : ج ١ ص ٨٧ ، الطبري : تاريخ الطبري : ج ٣ ص ١٠٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٥ ص ١٥ .

(٩٨) تبوك منطقة تقع بين الحجر وأول الشام على أربع مراحل من الحجر نحو نصف طريق الشام ، ويقع جبل حسمى الى الغرب منها وجبل شروري شرقها وبها حصن فيه عين ونخل وقيل انها كانت بركة لابناء سعد من بني عذرة من قضاة القحطانية ويقال ان اصحاب الايكة الذين بعث اليهم شعيب كانوا فيها ولم يكن شعيب منهم وانما كان من مدنيين ومدنين على بحر القلزم على ست مراحل من تبوك .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ١٤ .
(٩٩) البلاذري : فتوح البلدان : ص ٧١ .

قضاة وغسان حيث الكثرة والعدد في قبائل قحطان الضاربة بالشام فلعل النبي ﷺ لم يشأ أن يوغل بالجيش أكثر من ذلك حتى يكون ظهره مؤمنا الى بلاده فلا يحاط به وهو بين كل هذه القبائل الشامية، وما يذكر أيضا في ذلك أن النبي ﷺ لما وصل تبوك شاور أصحابه في التقدم شمالا والمسير الى قلب الشام فقال له عمر بن الخطاب ان كنت أمرت بالمسير فسر فقال النبي : « لو أمرت به ما استشرتكم » فقال له الصحابة : يا رسول الله أن للروم جموعا كثيرة وليس بها أحد من أهل الاسلام وقد دنوت من الروم حيث ترى وقد أفسزعتهم دنوك فلو رجعت هذه السنة حتى ترى أو يحدث الله اليك في ذلك أمرا (١٠٠) ، فاكتمى النبي ﷺ بإيفاد بعض الرايات الى الجهات المجاورة لتبوك (١٠١) .

ويقال أن النبي ﷺ عندما وصل تبوك كتب اليه هرقل ردا على كتابه الذي كان قد أرسل به مع دحية بن خليفة الكلبي، فيذكر ابن كثير مرفوعا عن سعيده بن أبي راشد أن الأخير التقى بالتنوخى رسول هرقل الى النبي وهو في تبوك حينما جاء له برسالة منه ردا على كتاب بعث به النبي اليه وهو بجمص (١٠٢) مع دحية بن خليفة يدعو الى الاسلام أو الجزية ويذكر التنوخى انه لما وصل تبوك يحمل رسالة قيصر أقبل على النبي ﷺ فناوله كتاب هرقل فوضعه في حجره ثم سأل من أنت ؟ فقال : أنا أخو تنوخ (١٠٣) قال النبي : هل لك في الاسلام الحنيفية ملة أبيكم ابراهيم ؟

(١٠٠) المقرئى : امتاع الأسماح : ج ١ ص ٤٦٣ .

(١٠١) الطبرى : تاريخ الطبرى : ج ٣ ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(١٠٢) ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٣٠٢ - ٣٠٥ .

(١٠٣) تنوخ من قضاة القحطانية وهم قبائل اجتمعت وتآلفت وسموا بذلك لأنهم اتفقوا على التتخ أو المقام بالشام فاقاموا بحاضر حلب وكان بينهم وبين ملوك الحيرة حروب ووقائع ومنهم فهم بن تيم الله بن أسد بن وبرة وقشم وهم بالجزيرة الفراتية حلفاء لبنى تغلب ومنهم مالك بن زمير بن عمرو بن فهم بن تيم الله بن أسد بن وبرة وعليه تنخت تنوخ وعلى عم أبيه مالك بن فهم . فتنوخ على ثلاثة أبطن : بطن اسمه فهم وبطن اسمه نزار ليس نزار لهم بوالد ولا أم ولكنهم من بطون قضاة كلها من بنى العجلان ابن الثعلب ومن بنى تيم الله بن أسد بن وبرة ومن غيرهم وبطن ثالث يقال له الأحلاف وهم من قبائل العرب كلها من كندة ولخم وجذام وعبد القيس وغيرها وجدير بالذكر أن جميع قبائل العرب من أب واحد الا ثلاثة قبائل هي تنوخ والعتق وغسان تتألف كل واحدة منهم من عدة قبائل .

الأصفهائى : الأغاني : ج ١١ ص ١٥٥ ، ان عبد ربه : العقد الفريد : ج ٢ ص ٧١ ،

ابن حزم : جمهرة انساب العرب : ج ٤٥٣ ، الجوهرى : الصحاح : ج ١ ص ٢٠٩ ،

الزمخشري : القائق : ج ١ ص ٧٢ ، الزبيدي : تاج العروس : ج ٤ ص ٤٤١ ، ابن خلدون :

العبر : ج ٢ ص ٢٤٨ ، ابن ضاعد الأندلسى : طبقات الأمم : ص ٤٥ ، العمري : مسالك

الأبصار : ص ٧٦ ، أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر : ج ١ ص ١٠٦ ، القلقشندي :

نهاية الادب : ص ١٧٨ .

قال : انى رسول قوم وعلى دين قوم لا أرجع عنه حتى أرجع اليهم فضحك
النبي قال : انك لا تهدي من أحببت » (١٠٤) . ثم قال : يا أخا تنوخ
انى كتبت بكتاب الى كسرى فمزقه والله ممزق ملكه وكتبت الى النجاشي
بصحيفة فحرقها والله محرقة ومحرق ملكه وكتبت الى صاحبك بصحيفة
فأمسكها فلا يزال الناس يجدون منه بأسا مادام فى العيش خير (١٠٥) .

وجاء الى النبي ﷺ وهو بتبوك يحنة بن رؤبة صاحب أيلة (١٠٦)
فصالح النبي وأعطاه الجزية (١٠٧) ، وكتب النبي ليحنة وأهل أيلة
كتابا بذلك : « بسم الله الرحمن الرحيم هذه أمانة من الله ومحمد النبي
رسول الله ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة ، سفنهم وسياراتهم فى البر والبحر
لهم ذمة الله وذمة محمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن
وأهل البحر فمن أحدث منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه وأنه طيب
من أخذه من الناس وانه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقا يردونه
من بر أو بحر » (١٠٨) . كذلك جاء النبي ﷺ وهو بتبوك أهل جرباء (١٠٩)
وأذرح (١١٠) من أرض الشراة فصالح أهل أذرح على مائة دينار وكذلك
أهل جرباء على مثلها وكتب لهم كتابا : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا

(١٠٤) سورة القصص : آية ٥٦ .

(١٠٥) ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٥ ص ٢١ .

(١٠٦) أيلة مدينة لليهود على ساحل بحر القلزم مما يل الشام وقيل هى آخر
الحجاز وأول الشام وسميت بأيلة بنت مدين بن ابراهيم عليه السلام ولما قدم يحنة
ابن رؤبة على النبي صلى الله عليه وسلم فى تبوك صالحه على الجزية وقرر على كل
حالم بأرضه فى السنة ديناراً فبلغ ذلك ثلثمائة دينار واشترط عليهم قرى من مر بهم
من المسلمين فكان عمر بن عبد العزيز لا يزيد على أهل أيلة عن ثلثمائة دينار شيئاً .

ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ٢٩٢ .

(١٠٧) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ٨٩ ، ٩٠ ، البلاذرى : فتوح البلدان :
ص ٧١ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : ج ٣ ص ١٠٨ ، ابن حزم : جوامع السيرة :
ص ٢٠٢ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ١ ص ١١٥ ، أبو الفداء : المختصر
فى أخبار البشر : ج ١ ص ١٤٩ .

(١٠٨) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ٩٠ ، ابن سعد : الطبقات : ج ٢ ص ٥٥ ،
الزرقانى : المواهب اللدنية : ج ٣ ص ٤٠٨ ، على بن برهان الدين : السيرة الحلبية :
ج ٢ ص ٢٦٤ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ١ ص ١١٤ ، ابن كثير : البداية
والنهاية : ج ٥ ص ٢٢ ، أحمد زكى صفوت : جمهرة رسائل العرب : ص ٥١ .
(١٠٩) موضع من أعمال عمان بالبلقاء من أرض الشام قرب جبال الشراة من ناحية
الحجاز .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ١١٨ .

(١١٠) بلد فى أطراف الشام من أعمال الشراة فى نواحي البلقاء .

ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ١٢٩ .

كتاب من محمد النبي رسول الله لأهل جرباء وأذرح ، أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد وأن عليهم مائة دينار في كل رجب ومائة أوقية طيبة وأن الله عليهم كفيل بالنصح والاحسان إلى المسلمين ومن لجأ إليهم من المسلمين » (١١١) . وصالح النبي ﷺ في تبوك أيضا أهل مقنا على مقربة من أيلة وهم يهود (١١٢) . وصالحهم على ثلثمائة دينار وعلى ربع عروكهم (١١٣) وغزولهم وربع كراعهم (١١٤) وحلقتهم وعلى ربع ثمارهم وكتب إليهم هذا الكتاب : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى بني حبيبة وأهل مقنا سلم أنتم فانه أنزل على أنكم راجعون إلى قريبتكم فاذا جاءكم كتابي هذا فانكم امنون ولكم ذمة الله وذمة رسوله وان رسول الله قد غفر لكم ذنوبكم وكل دم اتبعتم به لا شريك لكم في قريبتكم الا رسول الله أو رسول رسول الله وأنه لا ظلم عليكم ولا عدوان وأن رسول الله يجيركم مما يجير به نفسه وان لرسول الله بزتكم ورقيقكم والكراع والحلقة الا ما عفا عنه رسول الله أو رسول رسول الله وأن عليكم بعد ذلك ربع ما أخرجت نخيلكم وربع ما صادت عروككم وربع ما اغتزلت نساؤكم وانكم قد ثريتم بعد ذلكم ورفعكم رسول الله عن كل جزية وسخرة فان سمعتم وأطعتم فعلى رسول الله أن يكرم كريمكم ويعفو عن مسيئكم ومن أثمر في بني حبيبة وأهل مقنا من المسلمين خيرا فهو خير له ومن أطلعهم بشر فهو شر له وليس عليكم أمير الا من أنفسكم أو من أهل بيت رسول الله » كتب علي بن أبي طالب في سنة ٩ هـ « (١١٥) » .

وفي تبوك أسر خالد بن الوليد بتكليف من النبي ﷺ أكيدر بن عبد الملك (١١٦) صاحب دومة الجندل وأهلها من بني السكون بن كندة وأرباضها من بني كلب بن وبرة من العرب القحطانية (١١٧) ، وأحضر

(١١١) ابن سعد : الطبقات : ج ٢ ص ٥٥ ، ٥٦ .

(١١٢) ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ١٧٨ .

(١١٣) العروك : الخشب يصطاد عليه .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ١٧٨ ، كرد علي : خطط الشام : ج ١ ص ٧٥ .

هامش ١ .

(١١٤) الكراع اسم يجمع الخيل .

الرازي : مختار الصحاح : ص ٥٦٧ ، كرد علي : خطط الشام : ج ١ ص ٧٥ .

هامش ٢ .

(١١٥) ابن سعد : الطبقات : ج ٢ ص ٤١ ، كرد علي : خطط الشام : ج ١

ص ٧٥ ، ٧٦ .

(١١٦) عن أكيدر انظر ما سبق منه .

(١١٧) ابن حزم : المصدر السابق : ص ٤٢٩ ، ٤٤٥ ، القلقشندي : نهاية الارب :

ص ٣٦٥ .

أكيدر دومة الجندل الى النبي ﷺ فصالحه على الجزية ورده الى بلده (١١٨)
بعد أن تنازل للمسلمين عن ألفي بعير وثمانمائة رأس وأربعمائة
رمح (١١٩) .

وكانت جملة اقامة النبي ﷺ على رأس الجيش في تبوك بضع عشرة
ليلة لم يجاوزها ثم انصرف قافلا الى المدينة (١٢٠) ولم يصطدم بالروم
أو أحلافهم من عرب الشام لان المسلمين بقوا على مشارف بلادهم ولم
يوغلوا في بلاد الشام تأميناً لظهرهم كما أن الروم وحلفاءهم من عرب
الشام لم يتقدموا لحربهم لضخامة جيش المسلمين بالنسبة لجيوشهم
السابقة وخروج النبي ﷺ بنفسه مع الجيش وما لوحظ من حماسهم
الزائدة وخشيته سبحانه الى داخل صحراء العرب بعيدا عن أوطانهم التي
يحتمون بها ولكل هذه الأسباب لم تقع الحرب المنتظرة ضد أهل الشام
في غزوة تبوك وبقيت الأمور معلقة بينهما الى ما بعد وفاة النبي حتى
خلافة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب فأذن الله بحسمها وتم الفتح
العظيم في عهدهما ، وأيا كان الأمر فقد كان لغزوة تبوك أثرها في ارباب
الروم وعرب الشام وتخويفهم من الاجتراء على دار الاسلام في شبه الجزيرة
ومحو ما قلده علق بأذهانهم عن المسلمين بعد غزوة مؤتة وتحييد بعض
النقاط الشمالية الحصينة مثل أيلة وجرباء وأذرح ومقنا ودومة الجندل
بما عقد معها من صلح ، وأخيرا فانها حفظت التوازن بين الطرفين حتى
أدى النبي ﷺ رسالته على خير وجه الى أن جاء دور الخلفاء العظام من بعده .

سادسا : بعث أسامة بن زيد الى آبل الزيت سنة ١١ هـ :

مضت السنة العاشرة من الهجرة في انشغال النبي ﷺ ببعض
الأحوال الداخلية وتعليم الناس أمور دينهم واستقبال وفود القبائل وقضاء
حججه الأخير (١٢١) ولذلك فانه لم تخرج في هذا العام أية سرايا أو بعوث
الى الشام ، إلا أن ذلك لا يعنى أن النبي ﷺ أهمل أمر الشام بعد تبوك
ففي السنة الحادية عشرة من الهجرة وهي العام الأخير في حياته ضرب
النبي بعثا الى الشام من أهل المدينة ومن حولها فيه عمر بن الخطاب وأبو

-
- (١١٨) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ٩٠ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : ج ٣
ص ١٠٨ ، ١٠٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٥ ص ٢٣ ، أبو الفداء : المختصر
في أخبار البشر : ج ١ ص ١٤٩ .
(١١٩) ابن سعد : الطبقات : ج ٣ ص ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ابن حزم : جوامع السيرة :
ص ٢٠٢ ، المقرئ : امتاع الاسماع : ج ١ ص ٤٦٥ .
(١٢٠) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ٩٠ ، الطبرى : ج ٣ ص ١٠٩ ، المقرئ :
امتاع الاسماع : ج ٢ ص ٤٧٣ .
(١٢١) ابن هشام : السير : ج ٢ ص ١١٢ ، ١٤١ .

عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وقتادة بن النعمان (١٢٢) وجعل عليه أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي وله تمانى عشرة سنة وأمره بالمسير الى تخوم البلقاء وأذرعات (١٢٣) ومؤتة حيث قتل أبيه وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحه قبل ذلك بعامين (١٢٤) كما أمره ان يوطىء الخيل الداروم (١٢٥) وان يبلغ يبنى (١٢٦) واشدود من أرض فلسطين ويغير على منطقة أبل الزيت بالأردن من مشارف الشام (١٢٧) ، ومما قاله النبي ﷺ لأسامة بن زيد حين ندبه لهذه المهمة : « سر الى موضع قتل أبيك فأوطنهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فأغر صباحا على أهل يبنى وحرقت عليهم وأسرع السير تسبق الأخبار فان أظفرك الله فأقلل اللبث فيهم وخذ معك الأدلاء وقدم العيون والطلائع أمامك » (١٢٨) ويفهم من قول النبي ﷺ لأسامة أنه أمره بهجوم مباغت على أهل الأردن بعد استطلاع جيد وتحديد للهدف لسهولة تحقيق غرضه بأسرع ما يمكن حتى لا تظن بطون قضاة وهم سكان هذه المنطقة - الى وجوده فيتكاثروا عليه وهو بأرض كلها أعداء للإسلام حتى ذلك وقت ، وكان هذا الأسلوب هو أصلح ما يمكن لقتال أهل الشام في العهد النبوي لكثرتهم وتعدد قبائلهم .

بينما المسلمون يتأهبون للخروج في بعث أسامة بن زيد ابتداء النبي ﷺ وجعه الذي قبضه الله عز وجل فيه فاستبطن الناس الخروج ينظرون ما يكون من أمر نبيهم ، وكان البعض قد قال في امرة أسامة ! بن زيد على البعث : « أمر غلاما حدثا على جلة المهاجرين والأنصار » (١٢٩) فلما بلغ النبي ذلك خرج على الناس عاصبا رأسه من المرض حتى جلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهل له ثم قال : أيها الناس أنفذوا

-
- (١٢٢) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٤٢ ، الطبري : تاريخ الطبري : ج ٣ ص ٢٢٦ ، ابن كثير ، البداية والنهاية : ج ٦ ص ٨٤٥ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ١ ص ١١٦ ، المقرئ : امتاع الاسماع : ج ٢ ص ٥٣٧ .
- (١٢٣) أذرعات بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان يصنع فيه الخمر .
- ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ١٣٠ .
- (١٢٤) ابن سعد : الطبقات : ج ١ ص ١٧٤ ، اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي : ج ٢ ص ٤٩ .
- (١٢٥) من أعمال فلسطين بجنوب الشام ، ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٤٣١ .
- (١٢٦) يبنى بليد قرب الرملة بفلسطين . ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ٤٢٨ .
- (١٢٧) ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ٥٠ .
- (١٢٨) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي : ج ٢ ص ٩٣ .
- (١٢٩) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٧٠ ، الطبري : تاريخ الطبري : ج ٣ ص ١٨٤ ، اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي : ج ٢ ص ٩٣ .

بعث أسامة فلعمري لئن قلت في أمارته لقد قلت في أماره أبيه من قبله
وانه لخليق بالامارة كما كان أبوه خليقا بها « (١٢٠) فلما نزل النبي ﷺ
أسرع الناس إلى جهازهم وخرج أسامة بالجيش إلى منطقة الجرف (١٣١)
على بعد فرسخ من المدينة ف ضرب بها عسكره وتابعت الناس إليه ، وبينما
هم كذلك اذ وصلت الأنباء بثقل المرض على النبي ﷺ فأقاموا ينظرون
ما الله قاض في رسوله (١٣٢) ، وقد روى ابن اسحاق مرفوعا عن أسامة
ابن زيد أنه هبط من الجرف إلى المدينة ودخل على النبي ﷺ وقد أصمت
لا يتكلم فلما رأى النبي ﷺ أسامة جعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها ، يقول
أسامة فعرفت أنه يدعو لي (١٣٣) ، وهكذا ظل النبي ﷺ موليا الشام
اهتمامه حتى آخر رمق في حياته لأهميتها بالنسبة لدار الاسلام وللدولة
الاسلامية الناشئة وهي أول منافذه إلى العالم الخارجي .

لما قبض النبي ﷺ في ١٢ من ربيع أول سنة ١١هـ - ٦٣٢م (١٣٤)
عظم الخطب واشتد الحال ونجم النفاق بالمدينة وامتنع قوم من أداء الزكاة
إلى الصديق ولم يبق للجمعة مقام في بلد سوى مكة والمدينة (١٣٥)
وارتدت العرب اما عامة واما خاصة في كل قبيلة ولم يثبت الا ثقيفا (١٣٦)

(١٣٠) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٧٠ ، الطبري : تاريخ الطبري : ج ٣
ص ١٨٤ ، ابن سعد : الطبقات : ج ٣ ص ٤٢ ، المقرئ : امتاع الاسماع : ج ٢
ص ٣٧ .

(١٣١) الجرف موضع على بعد ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ٨٧ .

(١٣٢) الطبري : تاريخ الطبري : ج ٣ ص ٢٢٦ .

(١٣٣) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٧١ .

(١٣٤) ابن سعد : الطبقات : ج ٤ ص ٤ ، المقرئ : امتاع الاسماع : ج ٤
ص ٥٣٧ .

(١٣٥) ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٦ ، ص ٨٤٦ .

(١٣٦) ثقيف هم : بنو قسي منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة
ابن قيس عيلان من العرب العدنانية ، وغلب عليهم لقب أبيهم قسي وهو ثقيف بمعنى :
الحاذق فعرفوا به ، ومن بطون ثقيف : جشم وعوف ودارس وهم بنو قسي بن منبه ،
وكانت مواطنهم بالطائف وهي مدينة في أرض نجد على مرحلتين من مكة في شرقها وشمالها
كانت قديما للعمالقة ثم نزلوا ثمود ، ومن ثم زعم البعض أن ثقيفا من بقايا ثمود وكان
الحجاج بن يوسف الثقفي اذا سمع لذلك يقول : كذبوا فان الله تعالى يقول : « وثمود
فما ابقي » (سورة النجم آية ٥١) .

الأصفهاني : الأغاني : ج ١٢ ص ٤ ، الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ١٢٠ ،
ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٦٦ ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ٦٦٥ ، ابن صاعد :
طبقات الأمم : ص ٤٣ ، الميداني : مجمع الأمثال : ج ٢ ص ٢٦٧ ، البكري : معجم
ما استعجم : ج ١ ص ٧٧ - ٧٩ ، ابن خلدون : العبر : ج ٢ ص ٣٠٩ ، القلقشندي
نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب : ص ١٨٦ ، عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب :
ج ١ ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

بالطائف لم يفروا ولم يرتدوا (١٣٧) ، وشرأبت اليهود والنصارى والمسلمون تائهون لفقد نبيهم وقتلهم وكثرة عدوهم (١٣٨) ومع كل ذلك فقد نادى أبو بكر الصديق من بعد الغد من متوفى رسول الله ﷺ « ليتم بعث أسامة ألا لا ييقن بالمدينة أحد من جند أسامة الى خرج الى عسكره بالجرف » (١٣٩) ، وكان كثير من الناس فيهم عمر بن الخطاب وأسامة ابن زيد نفسه قد أشاروا على الصديق أن يستبقى الجيش بالمدينة لاحتياجه اليه فيما هو أهم خشية هجوم المرتدين على المدينة ولأن ما جهز بسببه كان في حال السلامة ولكن الخليفة أبا بكر امتنع من ذلك وأبى أشد الإباء الا أن ينفذ جيش أسامة لوجهته التي وجهها اليه رسول الله بالشام (١٤٠) وقال : « والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله ﷺ ولو أن الطير تخطفتنا والسباع من حول المدينة ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين ولو لم يبق في القرى غيرى لأنفذ بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ (١٤١) وكان تصميم الخليفة على ذلك ليقينه من أن النبي ﷺ ما كان ليأمر بشيء الا وهو يعلم أنه الصواب ، هذا فضلا عن استعراض القوة أمام القبائل حتى لا يتحدثوا بأن أمر المدينة الى زوال بعد وفاة النبي ﷺ .

لما وسط الأنصار في جيش أسامة عمر بن الخطاب الى أبي بكر ليولى عليهم رجلا أقدم سنا من أسامة وأبلغه ذلك وثب الخليفة اليه وكان جالسا وأخذ بلحيته وقال له : ثكلتك أمك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله وتأمرني أن أنزعه !! (١٤٢) وبذلك قطع الخليفة قول كل متقول في أمره جيش أسامة وصمم تصميمه لم يداخله شك على مضاء الجيش الى وجهته التي حددت له رغم كل الظروف التي استجدت على الساحة وقتها ولم يجده المسلمون مفرا من تنفيذ أمر الخليفة ، وسرعان ما تبين بعد نظره في ذلك فسار الجيش لا يمر بحى من أحياء العرب المتربصين الا أربعوا منهم وقالوا : ما خرج هؤلاء من قوم الا وبهم قوة ومنعة (١٤٣) ، وخرج أبو بكر بنفسه حتى أتى العسكر بالجرف فأشخصهم وشيعهم وهو ماش

(١٣٧) ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٦ ص ٨٤٦ .

(١٣٨) الطبرى : تاريخ الطبرى : ج ٣ ص ٢٢٥ .

(١٣٩) الطبرى : المصدر السابق : ج ٣ ص ٢٢٥ .

(١٤٠) ابن عساکر : تاريخ مدينة دمشق : ج ١ ص ١١٣ .

(١٤١) الطبرى : تاريخ الطبرى : ج ٣ ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ابن كثير : البداية

والنهاية : ج ٦ ص ٨٤٦ .

(١٤٢) الطبرى : المصدر السابق : ج ٣ ص ٢٢٦ .

(١٤٣) ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٦ ص ٨٤٦ .

وأسماء ركب وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر فقال له أسماء : يا خليفة رسول الله ، والله لترآبن أو لا تزلن . فقال : والله لا تنزل ، والله لا أركب . وما على أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعة فان للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له وسبعمائة درجة ترفع له وترفع عنه سبعمائة خطيئة (١٤٤) حتى اذا انتهى استطلق من أسماء عمر بن الخطاب وكان مكتتبا في جيشه ليعنيه فأذن له فكان عمر لا يلقاه بعد ذلك الا قال : السلام عليك أيها الأمير (١٤٥) ، ثم قال : أبو بكر للناس : قفوا أوصيكم بعشر احفظوها عني : لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا لما كلة ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فاذا أكلتم منها شيئا بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها ، وتلقون أقواما قد فحضوا رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيف (١٤٦) خفقا ثم أقبل أبو بكر على أسماء بن زيد وقال له : اصنع ما أمرك به نبي الله ﷺ ابدا ببلاد قضاة ثم ايت آبل ولا تقصرن في شيء من أمر رسول الله ﷺ ولا تعجلن لما خلفت على عهد (١٤٧) .

مضى أسماء مغذا على ذي المروة (١٤٨) والوادي وانتهى الى ما أمره به النبي ﷺ من بث الخيل في قبائل قضاة والغارة على آبل فسلم وغنم وسار الى يبنى قرب الرملة (١٤٩) فشن عليها الغارة وقتل قاتل أبيه وحرق منازلهم وحرثهم ونخلهم (١٥٠) ، وكان النبي ﷺ قد توفي وعماله على قضاة وكتب امرؤ القيس بن الأصبنج من بني عبد الله ، وعلى القين

-
- (١٤٤) الطبري : تاريخ الطبري : ج ٣ ص ٢٢٦ .
(١٤٥) ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٦ ص ٨٤٧ .
(١٤٦) الطبري : تاريخ الطبري : ج ٣ ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .
(١٤٧) الطبري : تاريخ الطبري : ج ٣ ص ٢٢٧ ، المقريزي : امتاع الاسماع : ج ١ ص ٥٣٩ ، ٥٤٠ .
(١٤٨) المروة جبل بمكة يعطف على النصف ، ودو المروة احدى بلاد وادي القرى ، ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ١١٦ ، ١١٧ .
(١٤٩) ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ٤٢٨ .
(١٥٠) النبهاني : الأنوار المحمدية : ص ١٢٤ .

عمرو بن الحكم وعلى سعد هذيم (١٥١) معاوية بن فلان الوائلي ، فارتد وديعة الكلبي فيمن آزره من كلب وبقي امرؤ القيس على دينه ، وارتد زميل بن قطبة القيني فيمن آزره من بنى القين وبنى عمرو ، وارتد معاوية فيمن آزره من سعد هذيم ، فلما توسط أسامة بلاد قضاة بث الخيول قبلهم وأمرهم أن ينهضوا من أقام على الاسلام الى من رجع عنه فخرجوا هرابا حتى آزرُوا الى دومة الجندل (١٥٢) واجتمعوا الى وديعة ورجعت خيول أسامة اليه فمضى بها فأصاب من بنى الضبيب (١٥٣) من جذام وبعض بنى لخم ولم يصب أحد من المسلمين ورجع أسامة غانما وكان فراغه من مهمته في أربعين يوما سوى مقامه ومنقلبه راجعا (١٥٤) ، وبلغ هرقل وهو بحمص ما صنع أسامة فبعث رابطة (١٥٥) يكونون بالبلقاء (١٥٦) فلم تزل هناك حتى قدمت جيوش الفتح الى الشام في خلافة أبي بكر وعمر (١٥٧) وبذلك اختتمت غزوات النبي ﷺ وسراياه الى الشام والتي كانت بحق مقدمات الفتح العظيم لبلاد الشام في عهد أبي بكر بن أبي قحافة أول خليفة للمسلمين بعد النبي ﷺ .

(١٥١) بنو سعد هذيم قبيلة كبيرة من قضاة القحطانية ، وهم بنو سعد هذيم بن زيد ابن ليث بن سود بن أسلم بن الحافى بن قضاة ، وبطون سعد هذيم كثيرة ومتعددة منها عروة بن سعد هذيم وضنة وصعب ابنا سعد هذيم للحارث بطن في عذرة وسلامان ومعاوية ووائل بطون في عذرة وآخر من بقي من بنى صعب بن سعد هذيم رجل مات فورثه رجل من بنى ضبة وهذيم عبد حبشى حضنة فعرف به .

انظر بطون سعد هذيم بالتفصيل : ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٤٤٧ - ٤٤٩ ، القلقشندي نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب : ص ٣٨٧ .

وقد وفد من بنى سعد هذيم وفد على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فنزلوا ناحية منها ثم خرجوا قاصدين المسجد فانتظروا خارجه ولم يدخلوا مع الناس في صلاتهم حتى لقوا النبي صلى الله عليه وسلم وبايعوه ثم انصرفوا الى رحلهم .

الزرقاني : شرح المواهب اللدنية : ج ٤ ص ٥٨ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٣١٩ ، ابن منظور : لسان العرب : ج ٤ ص ٣٠٢ ، النويري : نهاية الأرب : ج ٢ ص ٣٣٤ ، كحالة : معجم قبائل العرب : ج ٢ ص ٥٢٠ .

(١٥٢) ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٤٨٧ .

(١٥٣) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٤٧٧ .

(١٥٤) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ١ ص ١١٩ ، المقرئ : امتاع الأسماع : ج ١ ص ٥٤٠ .

(١٥٥) الرباط ملازمة شغل العدو ، والمراقبة المجاهدون في سبيل الله في الثغور ومن أشهر ثغور المسلمين ثغورهم في الشام مع الروم وفي الشرق مع الترك وفي الأندلس مع الفرنجة .

الرازي : مختار الصحاح : مادة ربط : ص ٢٢٩ .

(١٥٦) ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ٤٨٩ .

(١٥٧) كرد علي : خطط الشام : ج ١ ص ٧٦ .

الفصل الثالث

وقود القبائل الشامية إلى المدينة في مائة النجى صلى الله عليه وسلم

أولا : جذام •

بنو جذام من ولد عريب بن زيد بن كهلان ، وهم بنو جذام بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد ، ومن بطون جذام بنو غطفان وأفصى وبنو الضبيب وبنو بعجة وبنو نفاثة وجميع هؤلاء من حشم وحرام ابني جذام (١) وجذام أخو لخم وعم كندة (٢) وموطنهم في شبه الجزيرة هو منطقة جبال حسمى (٣) ، وكانت قبيلة جذام من سبأ القحطانية أقرب القبائل الشامية إلى الإسلام في حياة النبي ﷺ وقد روى عنه أنه قال : « الإيمان يمان ، هكذا وهكذا » بنو جذام يقاتلون الكفار على رؤوس الشعب ينصرون الله ورسوله » (٤) ، وقد رحلت جذام إلى بلاد الشام قبل الإسلام وانتشرت في ربوعه وخاصة في فلسطين فكانت منازلهم

-
- (١) السمعاني : الأنساب : ج ٢ ص ٤٩٤ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٤٧٧ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٢٢٥ ، العوتبي الصحاري : الأنساب : ج ٢ ص ١٣ - ٢٠ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ج ١ ص ١٩١ ، ١٩٢ .
(٢) القلقشندي : نهاية الأرب : ص ١٩١ .
(٣) حسمى : أرض ببادية الشام بينها وبين وادي القرى ليلتان ، وأهل تبوك يرون جبل حسمى في غربهم وهي أرض غليظة الماء والهواء تنزلها جذام .
ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ .
(٤) السمعاني : الأنساب : ج ٢ ، ص ٢٢٤ .

حول تبوك (٥) وأيلة وأذرح (٦) وما بين عمان ومعان وفي مدين وغزة ،
ومن جذام فخذ نزل مما يلي طبرية الى اللجون (٧) واليامون بالقرب
من حيفا (٨) ومنهم قوم استقروا في بيت حبرين وبيت زمارا (٩)
أما الأساورة وهم بطن من الحميديين من جذام فقد سكنوا الموضع الذي
يحمل اسمهم والمعروف بتل الأساور بالقرب من حيفا ونزل بنو زيد
الجذاميون في الوادي الذي يحمل اسمهم بالقرب من رام الله وهم من
بنى حرام ونزل بنو مهدي في بعض نواحي البلقاء (١٠) وبنو صخر كانت
مساكنهم بالكرك (١١) ومن بطونهم بنو فيض الذين كانوا يقطنون
بيت المقدس (١٢) ، ومن حشم بن جذام بطن يقال له « بنو جرى »
كانوا ينزلون ساحل سيناء الشمالي بالرمل قريب من الفرما (١٣) وكان
يغلب على تلك النواحي بنو الثعل من بنى جرى ومن بنى الثعل قوم
بعبسان بالقرب من خان يونس في ديار غزة (١٤) . وهكذا كان انتشار
جذام موزعا على منطقة جنوب الشام وامتدادها على ساحل البحر الى
حدود مصر .

كانت جذام وبنو كلب في العهد النبوي رأس القبائل القحطانية
بالشام ، ومعظم بطون جذام من ولديه حشم وحرام ومن الأخير بنو أفصى
وبنو غطفان وفيهما العدد والشرف من جذام (١٥) ، ومن بطون جذام
التي نزلت فلسطين قبل الاسلام بنو نفثة من حرام وكانوا يقيمون
حول العقبة الى ينبع البحر (١٦) وكانت لهم رئاسة في معان (١٧) ومنهم

(٥) ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ١٤ ، ١٥ .

(٦) بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة في نواحي البلقاء .

ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ١٢٩ .

(٧) اللجون بلد في الأردن بينه وبين طبرية عشرون ميلا فيه صخرة مدورة عليها

قبة زعموا أنها مسجد ابراهيم عليه السلام وتحت الصخرة عين غزيرة الماء ، وقيل أيضا
أن اللجون موضع في طريق مكة من الشام قرب تيماء .

البغدادي : مرصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع : ج ٣ ص ١٢٠٠ .

(٨) الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ١٢٩ .

(٩) البكري : معجم ما استعجم : ج ١ ص ٢٨٩ .

(١٠) القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٤٢٧ .

(١١) القلقشندي : المصدر السابق : ص ٤٢٧ .

(١٢) نفسه : ص ٣٩٥ .

(١٣) ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

(١٤) الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

(١٥) ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٣ ص ٤٠٢ .

(١٦) ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ٤٤٩ ، ٤٥٠ .

(١٧) ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

فروة بن عمرو الذي كان عاملا لنروم على معان وما حولها وعلى عمان من أرض البلقاء (١٨) ، وكان أكثر معاش جدام يأتيهم من التجارة المارة بين جزيرة العرب والشام ومصر حيث يقومون بإرشاد القوافل في الطرق ويتقاضون على ذلك أجرا (١٩) ، وبنو جذام الذين حاربوا المسلمين في مؤتة واليرموك (٢٠) هم الذين عاونوهم بصدق وإخلاص في بقية معارك الفتح بعد إسلامهم بالقدر نفسه من القوة والحماس ، وكان لقبائل جذام دور في أحداث الشام فقد غزاهم زيد بن حارثة وحاربوا جيش عبد الله ابن رواحة سنة ٨ هـ ، وفي سنة ١٤ هـ مشوا في ركاب هرقل ضمن قبائل الشام التي سارت في ركابه إلى أنطاكية ، وكان لهم صنم يسمى الأقيصر على مشارف الشام يحجون إليه ويحلقون رؤوسهم عنده (٢١) .

ويعتبر أهم من سكن فلسطين من جذام آل زنباع من حرام وهم ينتسبون إلى زنباع بن روح (٢٢) تلك الأسرة التي كانت لها مكانة بارزة في بلاد الشام في عهد بني أمية ، وكان زنباع الجذامي قبل الإسلام يعشر من يمر به من القوافل والتجار للحارث بن أبي شمر الغساني (٢٣) وكان عمر بن الخطاب قد خرج تاجرا في الجاهلية مع بعض نفر من قريش فلما وصلوا فلسطين وعلموا بأمر زنباع عمدوا إلى ما كان معهم من ذهب فألقموه ناقة لهم حتى إذا مضوا نحروها واستخرجوا ذهبهم فلما مروا على زنباع أمر بتفتيش القوم فلم يجدوا معهم إلا شيئا يسيرا فاستعرض أبليهم حتى مرت الناقة المعهودة فتفحصها ثم أمر بنحرها ولما اعترض القوم أخبرهم أن ببطنها ذهب ولا ناقة غيرها فلما شقوا بطنها سال الذهب فضاعف عليهم العشر (٢٤) .

وكانت قبائل جذام أكثر القبائل العربية إسلاما في العهد النبوي فاعتنق الكثير منهم الإسلام ووفد بعض أشرافهم على النبي ﷺ بالمدينة ومنهم زنباع بن روح المذكور ، وفد على النبي من الشام معلنا إسلامه سنة ٧ هـ فرحب به النبي وبمن معه قائلا : « مرحبا بقوم شعيب وأصهار

(١٨) ابن سعد : الطبقات : ج ١ ص ٢٨١ .

(١٩) ابن قتيبة : المعارف : ص ١٠٢ .

(٢٠) الطبري : تاريخ الطبري : ج ٤ ص ١٣٦ .

(٢١) ابن قتيبة : المعارف : ص ١٠٢ ، الطبري : تاريخ الطبري : ج ٤ ص ١٣٦ .

ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٤٧٧ ، الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ١٢٩ .

ابن خلدون : العبر : ج ٢ ص ٢٥٦ ، ابن صاعد : طبقات الأمم : ص ٤٣ ، العمري :

مسالك الأبصار : ص ٨٤ .

(٢٢) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٤٢٠ ، ٤٢١ .

(٢٣) ابن الأثير : أسد الغابة : ج ١ ص ٥٥١ .

(٢٤) ابن الأثير : المصدر السابق : ج ١ ص ٥٥١ .

موسى « (٢٥) وكان لروح بن زنباع صحبة ورواية (٢٦) ، ويقال انه جب غلاما له وجدع أنفه بسبب أنه رآه مع جارية له (٢٧) فشداه الغلام الى النبي ﷺ فاعتقه وأوصى به المسلمين وقال له أنت مولى الله ورسوله (٢٨) وأرسل الى زنباع « لا تحملوهم ما لا يطيقون وأطعموهم مما تأكلون وأكسوهم مما تلبسون » (٢٩) ولما قبض النبي ﷺ أجرى عليه أبو بكر النفقة ومن بعده عمر بن الخطاب (٣٠) ، وفى سنة ٦ هـ ، فى هدنة الحديبية وقبل خروج النبي الى خيبر قدم عليه من الشام رفاعة بن زيد الجذامى (٣١) من بنى الضبيب « بطن من جذام » (٣٢) فأسلم وحسن اسلامه وأهدى النبي غلاما فكتب له ﷺ كتابا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم • هذا كتاب من محمد رسول الله لرفاعة ابن زيد ، الجذامى انى بعثته الى قومه عامة ومن دخل فيهم ، يدعوه الى الله والى رسوله ، فمن أقبل فمن حزب الله وحزب رسوله ومن أدبر فله أمان شهرين » (٣٣) • فلما قدم رفاعة على عشيرته أجابوا وأسلموا واعتزلوا قومهم وساروا الى حرة الرجاء (٣٤) فنزلوها (٣٥) •

فى هذه الأثناء كان دحية بن خليفة الكلبي رسول النبي ﷺ الى قيصر الروم عائدا من عنده وقد أعطاه وكساه ، ويقال كانت معه تجارة له (٣٦) حتى اذا كان بواد من أرض جذام يقال له شبنار (٣٧) أغار عليه الهنيد بن عوص وابنه عوص بن الهنيد الضليعيان - والضليع

(٢٥) ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٣ ص ٣٥٣ ، القلقشندي : نهاية الارب . ص ٢٠٦ •

(٢٦) انظر ابن الأثير : أسد الغابة : ج ١ ص ١٤٥ ، ص ٥١٨ ، ج ٢ ص ٩٩ •
(٢٧) الجاحظ : كتاب الحيوان : ج ١ ص ١٥٨ ، الشوكاني : نيل الأوطار : ج ٧ ص ٥٦ •

(٢٨) الشوكاني : نيل الأوطار : ج ٧ - ١٥٦ •

(٢٩) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ٥ ص ٣٨٤ •

(٣٠) الشوكاني : نيل الأوطار : ج ٦ ص ١٩٩ • باب العتق •

(٣١) البلاذري : أنساب الأشراف : ج ١ ص ٤٨٤ •

(٣٢) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٤٧٧ •

(٣٣) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٣٦ ، الطبري : ج ٣ ص ١٤٠ •

(٣٤) حرة الرجاء أرض خشنة غليظة فى ديار بنى القين بين المدينة والشام ،

ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٢٤٦ •

(٣٥) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٣٦ ، الطبري : تاريخ الطبري : ج ٣ ص ١٤٠ •

(٣٦) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٣٦ ، الطبري : تاريخ الطبري : ج ٣

ص ١٤٠ •

(٣٧) شبنار : واد بالشام أغبر فيه على دحية بن خليفة الكلبي لما رجع من عند قيصر

بواسطة قوم من جذام •

ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ٣٦٦ •

بطن من جذام - فأصابا كل ما كان معه فبلغ ذلك نفر من بنى الضبيبي قوم رفاعه ممن أسلموا فنفروا الى الهنيد وابنه وفيهم من الضبيبي النعمان بن أبي جعال حتى لقوهم (٣٨) فاقتتلوا وانتمى يومئذ قبرة بن أشقر الضليعي فقال : أنا ابن لبني مفاخرا بآمه ورمى النعمان ابن أبي جعال بسهم فأصاب ركبته واستمر القتال بينهم حتى ظهر بنو الضبيبي في النهاية على الضليعيين واستردوا ما سلبه الهنيد وابنه عوص فردوه على دحية فعاد الى النبي وأخبره خبره واستباحه دم الهنيد وابنه (٣٩) ، فأغزاهم عليه السلام أسامة بن زيد فأقبل بالجيش ناحية الأولاج (٤٠) وأغار على الفضافض من قبل الحرة (٤١) وجمع ما وجد من مال وناس وقتل الهنيد وابنه ورجلين من بنى الأحنف ورجلا من بنى خصيب ، فلما سمعت بذلك بنو الضبيبي والجيش بفيفاء مدان (٤٢) ركبوا اليهم فلما برزوا على الجيش أقبل القوم يبتدرونهم فقال رجل منهم يدعى حسان بن ملة أنا قوم مسلمون فقال له زيد بن حارثة فاقراً أم الكتاب فقرأها حسان فقال زيد : نادوا في الجيش أن الله قد حرم علينا ناحية القوم الا من نقض (٤٣) « وكانت أخت لحسان بن ملة في الأسارى وهي امرأة أبي وبر بن عدى بن أمية بن الضبيبي فأطلقها زيد لأخيها فقالت أم الفزر الضليعية وكانت في السبايا : تنطلقون ببناتكم وتذرون أمهاتكم !! فسمعها بعض من بالجيش فأخبر بها زيد بن حارثة فأمر باسترجاع أخت حسان بن ملة وقال لها : اجلسي مع بنات عمك حتى يحكم الله فيكن حكمه .

(٣٨) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٤٦ .

(٣٩) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٤٦ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : ج ٣ ص ١٤١ .

(٤٠) الأولاج منطقة بنواحي حسمى من أرض جذام .

ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ٢٨٢ .

(٤١) الطبرى : تاريخ الطبرى : ج ٣ ص ١٤١ وعند ابن هشام : فإغار بالمافض من قبل الحرة ، وكذلك عند ياقوت نقلا عن ابن اسحاق انظر : السيرة : ج ٤ ص ١٤٧ ، معجم البلدان : ج ١ ص ٢٨٢ .

(٤٢) الفيف : المفازة المستوية الواسعة التي لا ماء فيها ومؤنثها فيفاء وجمعها الفيافي ، وقيل الفيفاء : الصحراء الملساء ، وفيفاء مدان في بلاد قضاة بناحية حرة الرجلاء .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ٢٨٥ ، ج ٥ ص ٧٤ .

(٤٣) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٤٧ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : ج ٣ ص ١٤٢ .

عاد الجيش من طريق غير الذي جاء منه وانتظر القوم حتى أمسى الليل فركبوا الى رفاعه بن زيد وفيهم من أشرف جذام أبو زيد بن عمرو وأبو شماس بن عمرو وسويد بن زيد وبصجه بن زيد وبرذع بن زيد وثعلبة بن عمرو ومخربة بن عدي وأنيف بن ملة وحسان بن ملة حتى صبحوا رفاعه بن زيد (٤٤) على بئر بمكان يسمى حرة ليلي (٤٥) فقال له حسان بن ملة : انك لجالس تحلب المعزى ونساء جذام يجرون أسارى قد غرهن كتابك الذي جئت به فدعا رفاعه بن زيد بجمل له وانطلق بصحبة القوم مبكرين من ظهر الحرة حتى وصلوا المدينة ودخلوا المسجد فلما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم أشار اليهم بيده أن تعالوا من وراء الناس فلما استفتح رفاعه بن زيد الكلام قاطعه رجل من الحضور قائلا : « ان هؤلاء يا نبي الله قوم سحرة » فقال رفاعه : رحم الله من لم يجزنا في يومنا هذا الا خيرا (٤٦) ، ثم دفع رفاعه بن زيد الجذامي كتابه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان قد كتبه اليه فقال النبي : اقرأ يا غلام وأعلن ، فلما قرأ كتابهم واستخبرهم أخبروه الخبر فقال النبي : كيف أصنع بالقتلى ؟ قال رفاعه : أنت يا رسول الله أعلم لا نحرّم عليك حلالا ولا نحل حراما ، فقال أبو زيد بن عمر : اطلق لنا يارسول الله من كان حيا ومن قتل فقه قتل ، وكان هذا مبتغاهم الذي جاءوا من أجله فأعطاهم النبي ما طلبوا ورد عليهم أسراهم وسبائهم وسائر أسلابهم وعاد وفد جذام الى الشام وقد حققوا مطلبهم (٤٧) .

يعتبر قروة بن عمرو بن النافرة النفاثي الجذامي من أعلام جذام وكان سيدا مطاعا في قومه بعمان (٤٨) من أرض الشام استخدمه الروم عاملا على قومه من جذام ومن يليهم من سائر العرب بالشام (٤٩) واستمر

(٤٤) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٤٧ ، الطبري : تاريخ الطبري : ج ٣ ص ١٤٢ .

(٤٥) حرة ليلي لبنى مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان يطؤها الحجاج في طريقهم الى المدينة وهي تقع وراء وادي القرى من جهة المدينة فيها نخل وعيون وهي معروفة في بلاد بني كلاب .
ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

(٤٦) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٤٨ ، الطبري : تاريخ الطبري : ج ٣ ص ١٤٣ .

(٤٧) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٤٨ ، الطبري : تاريخ الطبري : ج ٣ ص ١٤٣ .

(٤٨) ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ١٥٣ ، ج ٤ ص ١٣١ .

(٤٩) ابن سعد : الطبقات : ج ١ ص ٣٥٥ .

يؤدي عمله الذي كلف به للروم حتى بلغته دعوة النبي ﷺ بالاسلام فأسلم وحسن اسلامه وكاتب النبي وأوفد اليه رسولا بعد تبوك مع بعض الهدايا القيمة (٥٠) التي تعبر عن ما يكتنه له ، ولما علم الروم بأمر فروة لم يمهلوه طويلا خشية انتشار دينه بين قومه وعشيرته وربما لسائر القبائل الشامية فاحتالوا في أخذه حتى أوقعوا به (٥١) وحبس ثم قتل وصلب (٥٢) على مياه عفرى قرب الطفيلة من أعمال الكرك (٥٣) ارهابا وتخويفا لباقي القبائل .

ومن أشهر بنى جذام الذين أسلموا وأقاموا بالشام في ذلك الوقت أنيف بن ملة الجذامي من بنى الضبيب (٥٤) ، سكن الرملة (٥٥) ومات ببیت حبرين (٥٦) وقيل انه كان ممن أسر من جذام لما غزاهم زيد بن حارثة فلما أسلموا أطلقهم النبي ﷺ ، وقد نزل معه أخواه بردع ورفاعة ببیت حبرين بعد اسلامهما (٥٧) .

(٥٠) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٣٣ ، ابن حزم : جوامع السيرة : ص ٢٠٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٥ ص ١١٠ .

(٥١) ابن خلدون : العبر : ج ٢ ص ٥٣٥ .

(٥٢) قال فروة في مجبسه يرثي نفسه قبل ان يقتل :

طرقت سليمي موئنا أصحابي	والروم بين الباب والقروان
صد الخيال وساء ما قد رأى	وهمت أن أغفى وقد أبكاني
لا تكحلن العين بعدى أئمدا	سلمي ولا تدنن للاتيان
ولقد علمت أبا كبيشة أننى	وسط الأعزة لا يحص لساني
فلئن هلكت لتفقدن أحاكم	ولئن بقيت لتعرفن مكاني
ولقد جمعت أجل ما جمع الفتى	من جودة وشجاعة وبيان

ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٥ ص ١١١ .

وقال حين قدم ليقتل :

الا هل أتى سلمى بأن حليلها
على ناقة لم يضرب الفحل أمها

ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ١٣١ ، ١٣٢ .

(٥٣) ياقوت : المصدر السابق : ج ٤ ص ١٣٢ .

(٥٤) ابن الأثير : أسد الغابة : ج ٢ ص ٩٩ .

(٥٥) مدينة عظيمة بفلسطين كانت رباطا للمسلمين .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ٦٩ ، ٧٠ .

(٥٦) بليد بين بيت المقدس وغزة .

ياقوت : المصدر السابق : ج ١ ، ص ٥١٩ .

(٥٧) ابن الأثير : أسد الغابة : ج ١ ص ١٤٥ .

ثانيا : لخم .

تأتى قبيلة لخم (٥٨) فى المرتبة الثانية بين القبائل الشامية اعتناقاً للإسلام بعد جذام فى حياة النبى ﷺ ، والمقصود بالإسلام فى القبائل الشامية فى ذلك الوقت نفر أو طائفة أو بعض أفراد من القبيلة أو بطن منها ، لأن معظم قبائل الشام العربية ظلت على نصرانياتها أو وثنياتها فى العهد النبوى ولم تلق الدعوة الى الاسلام آذانا صاغية بين هذه القبائل فى ذلك الوقت وحاربت كلها دون استثناء الى جانب الروم فى اليرموك وأجنادين وغيرها من معارك الفتح الأولى (٥٩) وبذلت ناسخراً إسلامها الى ما بعد انتهاء الفتح والدخول فيما دانت به العرب حين أصبح الشام كله تحت سيادة المدينة ، ويرجع ذلك غالباً الى أن معظم هذه القبائل كان يدين بالنصرانية والولاء للروم منذ وقت طويل وكانوا يسكنون الحضر وقرباً منه ولم يكن يتطرق اليهم فى يوم ما أن يظهر عرب الجزيرة يدينهم الجديد على الروم ويتغلبوا على الشام ويخرجوا منه السادة الذين طالما اضطنعوهم ليكونوا حجازاً بين البدو والحضر ولذلك تأخر إسلامهم تماماً حتى باتت الحقيقة واضحة أمامهم كراى العين .

وبنو لخم من قبائل كهلان القحطانية التى سكنت الشام قبل الاسلام بوقت طويل وانتشروا فى ربوعه فى حوران والجولان والخليل وجبالها (٦٠) وصفورية وحول بحيرة لوط وفيما بين تبوك الى زغر (٦١) ودانت لخم بالنصرانية كغيرها من سائر القبائل الشامية وهى من أقدم القبائل العربية وجوداً بالشام ونظراً لقدم الوجود اللخمى فى بلاد الشام

(٥٨) بنو لخم من قبائل كهلان القحطانية ، ولخم هو مالك بن عدى بن عمرو بن سبا ويطلقونهم كثيرة منهم بنو الدار ابن هانىء ، وبنو نصر بن ربيعة ، ومنهم المناذرة ملوك الحيرة العظام ، وبنو راشدة وبنو حدس وبنو ذعر وغيرها .

السمعاني : انساب : ج ١ ص ١٢٥ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٤٢٢ - ٤٢٥ ، ابن عبد البر : الانباه على قبائل الرواة : ص ٩٨ - ١٠٠ ، العمرى : مسالك الأبصار : ص ٨٤ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٣٦٧ ، صبح الأعشر : ج ١ ص ٢٣٤ ، ٣٣٥ ، المقرئى : البيان والأعراب : ص ٦١ .

(٥٩) انظر : الأزدي : فتوح الشام : ص ٨٧ وما بعدها .

(٦٠) الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٢٢ - ٤٢٤ .

(٦١) زغر : قرية بمشارف الشام وسميت باسم بنت لوط عليه السلام فيقال انها نزلت بهذه القرية فسميت باسمها وفيها قال حاتم الطائي :

سقى الله رب الناس سخا وديمة جنوب السراة من مآب الى زغر

ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

فقد أثبتت حولها الأقاويل فكان الذي استخرج يوسف بن يعقوب من الجب هي القافلة اللخمية بقيادة مالك بن دغر اللخمي من جزيلة (٦٢) وقيل ان أصحاب الكهف كانوا منهم (٦٣) ، ولخم هو مالك بن عدى أخو جذام وعاملة وعم كندة وقد ولد له جزيلة ونمارة حيث خرجت بطون كثيرة (٦٤) منهم بنو الدار بن هاني بن حبيب من نمارة رهط تميم الداري (٦٥) صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان تميم قبل اسلامه نصرانيا يعيش بالشام بين قبيلته لخم في جوار الخليل بالقرب من بيت حبرين وبيت عينون (٦٦) بفلسطين .

وفد الداريون من لخم على النبي ﷺ مرتين ، مرة قبل الهجرة ومرة بعدها ، وفي المرة الأولى سألوا النبي أن يقطعهم أرضا كانوا يسكنونها بالشام لخصبها وغناها اذا غزا الشام وفتح الله عليه (٦٧) وفي هذا ما يشير الى أنهم وثقوا في نبوة الرسول ﷺ من أن الله سوف يفتح الشام للمسلمين فأرادوا أن يحتازوا تلك الأرض خشية أن يغلبوا عليها

(٦٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٣ ص ٤٠١ ، وبنو جزيلة بطن من لخم وكان لجزيلة من الولد أراش وحجر ويشكر واد وعمرو و خليل وقد دخل في غسان .
ابن حزم : الجهرة : ص ٤٢٢ ، القلقشندي : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب : ص ١٩٧ .

(٦٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٣ ص ٤٤١ .
(٦٤) الطبري : تاريخ الطبري : ج ٣ ص ١٠٧ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٢ ص ٨٤ ، ابن خلدون : المعبر : ج ٢ ص ٢٥٦ ، أبو الفداء : المختصر : ج ١ ص ١٠٩ .

(٦٥) هو تميم بن أوس بن خارجة بن سود بن جذيمة بن دراع بن عدى بن الدار بن هاني صاحب جليل لقب بأبي رقية وهي ابنته ومات بالشام سنة ٤٠ هـ ولا عقب له .
ابن سعد : الطبقات : ج ٧ ص ٤٠٨ ، ابن حزم : الجهرة : ص ٤٢٢ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ ص ٤١ ، ج ٥ ص ٣١٨ ، الذهبى : سير أعلام النبلاء : ج ٢ ص ٤٤٢ .

(٦٦) حبرين ويقال حبرى وحبرون قرب بيت المقدس وهي إحدى القريتين اللتين أقطعهما النبي صلى الله عليه وسلم تميم الداري وأهل بيته والأخرى عينون وهما بين وادى القرى والشام قام الكلبي : وليس لرسول الله قطيعة غيرها ، وكان الخليفة سليمان ابن عبد الملك اذا مر بها لا يعرج ويقول : أخاف أن تمسنى دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبيت عينون : قرية من قرى بيت المقدس وقيل من وراء البثنية من دوى القلزم في طرف الشام .

البكري : معجم ما استعجم : ج ٢ ص ٤١٩ ، ٤٢٠ ، البغدادي : مرصد الاطلاع : ج ١ ص ٣٧٦ ، ج ٢ ص ٩٧٩ ، ابن حزم : جهرة أنساب العرب : ص ٤٢٢ ، هامش ٥ الصفحة نفسها .

(٦٧) البلاذري : فتوح البلدان : ص ١٢٥ ، ابن حزم : جهرة أنساب العرب : ص ٤٢٢ .

بعد أن عاشوا فيها ردحا طويلا وعلى أية حال فقد دعا النبي ﷺ بقطعة آدم (٦٨) وكتب كتابا فيه « بسم الله الرحمن الرحيم » هذا كتاب ذكر فيه ما وهب محمد رسول الله للداريين اذا أعطاه الله الأرض ، وهب لهم بيت عينون وحبرون والمرطوم وبيت ابراهيم ومن فيهم الى الأبد شهد وكتب شراحيل بن حسنة وشهد العباس بن عبد المطلب وخزيمة ابن قيس ، (٦٩) ، وليس للنبي ﷺ قطيعة سوى خبرى وبيت عينون أقطعها تميما وأخاه نعيما (٧٠) .

وفي عام ٩ هـ وهو عام الوفود وفد على النبي ﷺ بالمدينة وفد الدارين من بنى الدارين بن حبيب بن نماره من لخم (٧١) وعلى رأسهم تميم بن أوس الداري ومعه أخوه نعيم بن أوس وبرير بن هانيء أخوه لأمه ويزيد بن قيس وعرفه بن مالك (سبأه النبي عبيد الرخمن) وعزة بن مالك وأخوه مروان بن مالك وجبله بن مالك وفاكه ابن النعمان وأبو هند بن بر وأخوه الطيب بن بر وجددوا عهدهم للنبي ﷺ (٧٢) وأهدى تميم الى النبي فرسا يقال له « الورد » أعطاه لعمر كان يركبه في غزواته (٧٣) وسألوا أن يجدد لهم الكتاب الذي كان كتبه لهم سابقا فكتب ما نسخته : « هذا كتاب من محمد رسول الله لتميم بن أوس الداري أن له قرية حبرون وبيت عينون ، قريتهما كليهما وسبيلهما وجبلهما وماءهما وحرثهما وأنباطهما وبقرهما ولعقبه من بعده ، لا يحاقه فيها أحد ولا يلجها عليهما أحد بظلم ، فمن أظلم وأخذ منهم شيئا فان عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين كتبه على بن أبي طالب » (٧٤) ، وكان

(٦٨) الادم : انجلد الجاف المجهول للكتابة عليه والادفة باطن الجلد الذي يلي اللحم والبشرة ظاهرها .

والرازي : مختار الصحاح : مادة آدم .

(٦٩) المقرئى : الفصاء السارى لمعرفة خبر تميم الدارى : ص ٢٨ تحقيق محمد عاشور . دار الاعتصام : القاهرة . القلقشندي : صبيح الاعشى : ج ١٣ ص ١١٩ ، سيرة زيني دسلان : ج ٢ ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، محمد حبيب الله : مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي : ص ٤٤ .

(٧٠) ابن سعد : الطبقات : ج ١ ص ٢٦٧ ، ج ٧ ص ٤٥٨ ، أبو عبيد : الأموال : ص ٢٤٩ ، الذهبي : سير اعلام النبلاء : ج ٢ ص ٤٤٤ .

(٧١) ابن هشام : السيرة : ج ٣ ص ١٩٣ ، ابن سعد : الطبقات : ج ٧ ص ٤٢٢ ، صحيح البخارى : ج ٢ ص ١٥١ ، ابن حزم : الجهرة : ص ٤٢٢ .

(٧٢) ابن هشام : السيرة : ج ٣ ص ١٩٣ ، البلاذري : فتوح البلدان : ص ١٣٥ . (٧٣) الطبري : تاريخ الطبري : ج ٣ ص ١٧٤ .

(٧٤) ابن سعد : الطبقات : ج ١ ق ٢ ص ٢١ ، ٢٢ ، أبو يوسف : كتاب الخراج : ص ١٢٢ ، القلقشندي : صبيح الاعشى : ج ١٣ ص ١٢١ ، ١٢٢ ، محمد حميد الله الحيدر آبادي : مجموعة الوثائق السياسية : ص ٤٥ .

أبو رقية تميم الداري اللخمي قد أقام بالمدينة بعد المرة الثانية الى جوار النبي ﷺ وغزا معه وروى عنه وظل مقيما بها بعد وفاته حتى مقتل عثمان بن عفان فرحل الى الشام ونزل فلسطين حيث قومه وعشيرته من لخم وظل بها حتى مات سنة ٤٠ هـ - ٦٦٠ م ودفن ببيت حبرين وقبره بها معروف يزار (٧٥) ، وكان تميم الداري راهب أهل عصره وعابد أهل فلسطين زار بيت المقدس بعد فتحها وكان مثالا يحتذى (٧٦) ، ولما ولي أبو بكر الصديق الخلافة وخرجت الجيوش لفتح الشام حفظ عهد رسول الله ﷺ للداريين من لخم بالشام وكتب لهم ما نصه : « هذا كتاب من أبي بكر أمين رسول الله ﷺ الذي استخلف في الأرض بعده كتبه للداريين أن لا يفسد عليهم سبلهم وليلدعهم من قرية حبرون وعينون فمن كان يسمع ويطيع الله فلا يفسد منهما شيئا وليقيم عمودي الناس عليهما وليمنعهما من المفسدين » (٧٧) . ثم كتب الى أبي عبيدة بن الجراح أمير العسكر بالشام يحضه على احترام كتاب النبي للداريين وتنفيذ ما جاء به : « سلام عليك فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ، أما بعد فامنع من كان يؤمن بالله واليوم الآخر من الفساد في قري الدارين ، وان كان أهلها قد جلوا عنها وأراد الداريون أن يزرعوها فليزرعوها وإذا رجع اليها أهلها فهي لهم وأحق بهم والسلام عليك » (٧٨) .

هذا ولم يضال النبي صلى الله عليه وسلم من لخم بنى الدار بن هانيء فقط وإنما صالح منهم أيضا بنو حدس وهم بطن ضخم من قبيلة لخم القحطانية ينتمون الى حدس بن ارش بن جيلة بن لخم (٧٩) كانوا يسكنون الشام وكتب لهم كتابا فيه : « لمن أسلم من حدس من لخم وأقام الصلاة وأتى الزكاة وأعطى حظ الله وحظ رسول الله وفارق المشركين فإنه آمن بدمه محمد ومن رجع عن دينه فإن دمه رسوله منه بريئة »

(٧٥) الذهبي : سير اعلام النبلاء : ج ٢ ص ٤٤٢ - ٤٤٤ ، دائرة المعارف الإسلامية : ج ١٠ ص ٥٩ .

(٧٦) الذهبي : سير اعلام النبلاء : ج ٢ ص ٤٤٣ ، ٤٤٤ .

(٧٧) أبو يوسف : الخراج : ص ١٣٢ ، أبو عبيد : الأموال : ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ .

القلقشندي : صبح الأعشى : ج ١٣ ص ١٢١ ، محمد حميد الله الحيدر آبادي : مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة : ص ٤٧ .

(٧٨) القسطلاني : شرح القسطلاني : ج ١ ص ٢٩٧ ، القلقشندي : صبح الأعشى : ج ٣ ص ١٢٠ ، ١٢١ ، محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية : ص ٤٨ .

(٧٩) ابن حزم : جمهرة انساب العرب : ص ٤٢٣ ، ٤٧٧ : ابن منظور : لسان العرب : ج ٧ ص ٣٤٧ ، الفيروز آبادي : التاموس المحيط : ج ٢ ص ٢٠٣ ، ٢٠٦ .

الزبيدي : ناح العروس : ج ٤ ص ١١٧ ، النويري : نهاية الأرب : ج ٢ ص ٣٠٦ ، القلقشندي : نهاية الأرب في معرفة انساب العرب : ص ٢٥١ ، عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب : ج ٤ ص ٢٥٥ .

ومن شهد له مسلم باسلامه فانه آمن بذمة محمد وانه من المسلمين
كتب عبد الله بن زيد ، (٨٠) .

ثالثا : طيء .

تعتبر قبيلة طيء من القبائل الشامية الأكثر قربا الى الاسلام في
العهد النبوي بعد جذام ولخم ، وفي الوقت الذي كان فيه الاسلام ينتشر
في هذه القبائل الثلاث في حياة النبي ﷺ كانت غسان وتغلب وكلب من
أشد القبائل الشامية ولاء لنصرانياتها وللروم (٨١) يتبعها في ذلك بقية
القبائل من بلي وبهراء وبلقين وتنوخ وسائر بطون قضاة القحطانية التي
كانت تسكن الشام قبل الاسلام ، وعلى أية حال فان القبائل العربية في
بلاد الشام في مجموعها لم تدخل الاسلام زمرة واحدة الا بعد تغلب
المسلمين على الروم واخضاع الشام لسيطرتهم فدخلوا فيما جاء به بنو
عمومتهم وأسلموا وحسن اسلامهم وظهر منهم العلماء والفقهاء والقادة .

وبنو طيء قبيلة كبيرة من كهلان من القحطانية وهم بنو جلهمة بن
أدد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ (٨٢) ومعظم بطون
طيء من أولاده : قطرة والغوث والحارس (٨٣) ومنهم بنو جديلة وهي أهمهم ،
وبنو رومان ، وبنو جدعاء بن رومان ، والثعالب وبنو تميم وبنو علوه وبنو
زمنة بن عمرو وبنو لام بن عمرو بن ظريف وبنو أشسنع بن عمرو
وبنو مصاد وبنو حجية وبنو قرواش وثعل وسلامان وجروول وبنو بحتر
وبنو عنين وبنو عتور وبنو فريد وبنو سلسلة وبنو دغش وبنو هذمة بن
عتاب وبنو شمر وبنو سنابس وبنو شمجي وبنو نيهسان بن عمرو وبنو
نابل وبنو المشر وبنو الصامت وبنو بولان وبنو صيفي وغيرهم (٨٤) ،
ومعظم بنو طيء الذين سكنوا الشام كانوا في فلسطين دون غيرها ومنهم

(٨٠) ابن سعد : الطبقات : ج ١ ص ٢١١ ، محمد حميد الله الحيدر آبادي : مجموعة
الوثائق السياسية : ص ٤٢ .

(٨١) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٧٤ ، ابن اعثم الكوفي : الفتوح :
ج ١ ص ١٠٢ ، ١٠٣ ، البلاذري : فتوح البلدان : ص ١٤٣ ، ابن كثير : البداية
والنهاية : ج ٨ ص ٦٩ .

(٨٢) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ٣٩٨ .

(٨٣) ابن حزم : المصدر السابق : ص ٣٩٨ - ٤٠٤ ، القلقشندي : نهاية الأرب في
معرفة أنساب العرب : ص ٢٩٧ .

(٨٤) ابن قتيبة : المعارف ص ٣٥ ، السمعاني : الأنساب : ج ٢ ص ٣٦٤ ، ابن حزم :
جمهرة أنساب العرب : ص ٣٩٩ - ٤٠٤ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ .

بنو ثعل وكانت جماعة منهم فى عيسان بالقرب من غزة (٨٥) ، واشتهر من تل عمرو بن عبد المسيح الذى كان من أرمى العرب وهو الذى عنه امرؤ القيس بقوله :

رب رام من ثعل مخرج كفيه من ستره (٨٦)

ومنهم بنو جرم كانوا فى غزة والداروم مما يلي الساحل الى جبل الخليل ، وبنو لام سكنوا فلسطين ونسبت اليهم البلدة التى أقامها هشام بن عبد الملك على ساحل البحر الى الجنوب من حيفا (٨٧) ومنهم أيضا بنو سنبس الذى ينتسب اليهم رافع بن عميرة الطائى دليل المسلمين فى اجتياز البادية بقيادة خالد بن الوليد (٨٨) .

وفى سنة ١٠ هـ قدم على النبى ﷺ وفد طيء فيهم زيد الخيل (٨٩) وهو سيدهم فلما انتهوا اليه كلموه وعرض عليهم النبى الاسلام فأسلموا وحسن اسلامهم ، وكان زيد أحد شعراء الجاهلية خطيبا شجاعا كريما من الفرسان المعدودين وكان جسيما طويلا موصوفا بحسن الجسم وطول القامة (٩٠) ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ما ذكر لى رجل من العرب بفضل ثم جاءنى الا رأيته دون ما يقال فيه الا زيد الخيل فانه لم يبلغ الذى فيه ، وسماه ﷺ « زيد الخير » وقطع له فيثا وأرضا معه وكتب له بذلك (٩١) فخرج من عند رسول الله ﷺ راجعا الى قومه :

(٨٥) ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

(٨٦) القلقشندى : نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب : ص ٢٩٨ .

(٨٧) القلقشندى : المصدر السابق : ص ٤٤٨ .

(٨٨) الأزدى : فتوح الشام : ص ٧٤ .

(٨٩) هو زيد الخيل بن مهلهل بن زيد بن منهب بن عبد رضى بن المختلس بن ثوب ابن كنانة بن غوث ، له صحبة محدودة وثية فى الاسلام . أثنى عليه النبى صلى الله عليه وسلم ثناء عاليا وسماه زيد الخير . مات بنجد بعد منصرفه من عند رسول الله ﷺ قبل ان يبلغ منزله ، وبنوه مكنف وعروة وحنظلة وحريث بنو زيد الخير .

ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٤٠٣ ٤٠٤ ، ابن الأثير : أسد الغابة فى معرفة الصحابة : ج ١ ص ٥٧٢ .

(٩٠) ابن الأثير : أسد الغابة : ج ١ ص ٥٧٢ .

(٩١) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٢٤ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : ج ٣ ص ١٤٥ ، ابن حزم : جوامع السيرة : ص ٢٠٧ ، ابن الأثير : أسد الغابة : ج ١ ص ٥٧٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٥ ص ٨٠ ، الخضرى بك : محاضرات فى تاريخ الأمم الاسلامية : ص ١٩٣ .

فلما انتهى من بلد نجد الى ماء من مياهه يقال له فردة (٩٢) أصابته الحمى فمات بها ، ولما مات عمدت امرأته بجهلها وقلة عقلها ودينها الى ما كان معه من الكتب فحرقتها كلها (٩٣) .

وفد على النبي ﷺ من عظماء طيء بعد زيد الخيل بن مهلهل ، عدى بن حاتم الطائي المعروف في قومه بالكريم والشجاعة وحسن الخلق وكان يضرب به المثل وكانت ثوفادته على النبي قصة مؤداها أن عدى بن حاتم الطائي قبل اسلامه كان يقول : ما رجل من العرب أشد كراهة لرسول الله ﷺ حين سمع به مني ، فقد كنت امرأ نصرانيا شريفا وملكا في قومي أسير فيهم بالمرباع (٩٤) فلما سمعت برسول الله كرهته وأعددت للأمر عدته وأمرت غلاما لي كان راعيا لأبلي أن يحتبس قريبا مني ابلا ذللا ، وقلت له : اذا سمعت بجيش لمحمد قد وطء هذه البلاد فأعلمني . فأتاني ذات غداة فقال : يا عدى ما كنت صانعا اذا غشيتك خيل محمد فاصنعه الآن فاني قد رأيت رايات فسألت عنها فقالوا : هذه جيوش محمد فقلت له قرب لي أبلي فقربها فاحتملت مالي وولدي ولحقت

(٩٢) مياه فردة في جبل من ديار طيء يقال له فردة السموس به قبر زيد الخيل أصيب فيه بالحمى بعد منصرفه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فمكث ثلاثا ثم مات وقال قبل موته :

أطلع صبحي المشارق غدوة وأترك في بيت بفردة منجد ؟
ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ٢٤٨ .
(٩٣) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٢٤ ، الطبري : تاريخ الطبري : ج ٣ ص ١٤٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٥ ص ٨٠ .

(٩٤) يسير فيهم بالمرباع أي يأخذ ربع الغنيمة الذي يأخذه سيد القوم أو شيخ القبيلة وكان هذا عرفا سائدا في الجاهلية ، فكان لشيخ القبيلة في كل غنيمة ثمنها المرباع « الربع » و « الصفايا » وهو ما يصطفيه لنفسه من الغنيمة قبل القسمة و « النشيطة » وهو ما أصيب من مال العدو قبل اللقاء وكذلك « الفضول » وهو ما لا يقبل القسمة من مال الغنيمة وقد أجمل ذلك عبد الله بن غنمة الضبي في رثائه بسطام بن قيس سيد شيبان فقال :

لك المرباع منها والصفايا وحكمك والنشيطة والفضول

وهذه كلها حقوق شيخ القبيلة في الجاهلية .

ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٢٥ هامش ١ الطبري : التاريخ : ج ٦ ص ١١٣ هامش ١ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٥ ص ٢١٣ ، ٢١٤ ، ابن الأثير : الكامل : ج ١ ص ٢٧٥ وحاشيتها ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٥ ص ٨٢ هامش ٤ ، الألويسي : بلوغ الأرب : ج ١ ص ٢٩٣ ، أحمد الشريف : مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول : ص ٤١ ، ٤٢ .

بأهل ديني من النصارى بالشام (٩٥) فسلكت الجوشية (٩٦) وخلفت
أختا لي في الحاضر ، فلما قدمت الشام أقمت بها وجاءت خيل رسول الله
ﷺ فأصابته ابنه حاتم فيمن أصابت فجىء بها إلى النبي ﷺ في سبأ
طىء وقد بلغ النبي هربى إلى الشام فجعلت ابنة حاتم في حظيرة بباب
المسجد كانت للسبأيا تحبسن بها فمر بها النبي ﷺ فقامت إليه وكانت
امرأة جزلة فقالت : يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن على
مما من الله عليك . قال : « ومن وافدك ؟ » قالت : عدى بن حاتم قال :
« الفار من الله ورسوله » ثم مضى وتركها حتى إذا كان الغد مر
بها فقالت له مثل ذلك (٩٧) فلما كان اليوم الثالث كلمته في أن يطلق
سراحها فأجابها ﷺ قد فعلت فلا تتعجلي بخروج حتى تجدى من قومك
من يكون لك ثقة فيبلغك بلادك فأقامت حتى قدم ركب من بلى (٩٨)
وكلمتهم في حملها إلى أخيها بالشام فوافقوا فجاءت النبي ﷺ وقالت :
قدم رصط من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ فكساها وأعطاهم نفقة فخرجت
مع قومها حتى قدمت الشام .

قال عدى بن حاتم : فوالله اني لقاعد في أهلي إذ نظرت إلى
ظعينة (٩٩) تصوب إلى تؤمنا فقلت : ابنة حاتم فاذا هي فلما وقفت على
انسجلت (١٠٠) تقول : القاطع الظالم احتملت بأهلك ووليك وتركت
بنية والدك وعورتك ، ثم نزلت فأقامت عندي فقلت لها : - وكانت امرأة
عاقلة - ماذا ترين في أمر هذا الرجل ، قالت : أرى والله أن تلحق به
سريعا فان يكن الرجل نبيا فليسابق إليه فضله وان يكن ملكا فلن تذل
في عز اليمن (١٠١) ، قال عدى : نعم الرأي ما قلت وخرج عدى حتى قدم

(٩٥) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٣٥ ، الطبري : تاريخ الطبري : ج ٣
ص ١١٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٥ ص ٨١ .
(٩٦) الجوشية موضع بين نجد والشام ، عليها سلك عدى بن حاتم حين قصد الشام
شاربا من خيل النبي صلى الله عليه وسلم لما وطئت بلاد طىء .
ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ١٨٥ .

(٩٧) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٢٥ ، الطبري : تاريخ الطبري : ج ٣
ص ١١٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٥ ص ٨١ .
(٩٨) بلى من قبائل قضاعة القحطانية أولاد حمير بن سبأ وطىء من قبائل كهلان بن
سبأ القحطانية فرع عريب بن كهلان . أخبار عبيد بن شربة الجرهمي : ص ٢١٥ ، حمزة
الاصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض : ص ١٠٥ ، ابن عبد البر : القصد والأمم :
ص ٢٨ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٣٢٩ ، أبو الفداء : المختصر في أخبار
البشر : ج ١ ص ١٠٠ .

(٩٩) الظعينة : المرأة في هودجها ، الرازي : مختار الصحاح : ص ٤٠٤ .

(١٠٠) تلوم وتسخط ، الطبري : التاريخ : ج ٣ ص ١١٤ هامش ١ .

(١٠١) عز اليمن : ملك اليمن والمقصود قلن قتل وانت سيد من سادات اليمن .

على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فدخل عليه وهو في مسجده
فسلم عليه فقال : من الرجل ؟ قال : عدى بن حاتم الطائي فقسام
رسول الله ﷺ وانطلق به الى بيته وبينما هما سائران اذ لقيته امرأة
ضعيفة كبيرة فاستوقفته فوقف لها طويلا تكلمه في حاجتها فقال عدى في
نفسه والله ما هذا بملك ، ثم مضى به النبي حتى اذا دخل بيته تناول
وسادة من آدم معشوة ليغا فقفهها اليه وقال : اجلس على هذه قال :
بل اجلس أنت عليها ، قال : بل أنت ، فجلس عدى وجلس النبي ﷺ
بالأرض فقال الرجل في نفسه : والله ما هذا بفعل ملك ، قال النبي :
« ايه يا عدى بن حاتم • ألم تك ركوسيا (١٠٢) تسير في قومك بالمرباع •
قال : بلى يا رسول الله (١٠٣) قال : فان ذلك لم يكن يحل لك في دينك
قال : أجل والله ، وعرف أنه نبي مرسل يعلم ما يجهل ، قال ﷺ :
لعل ما يمنعك يا عدى من دخول هذا الدين ما ترى من حاجتهم ، فوالله
ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، ولعله انما يمنعك
من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم فوالله ليوشكن أن تسمع
بالمرأة تخرج من القادسية (١٠٤) على بعيرها تزور هذا البيت لا تخاف
ولعله انما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان نبي غيرهم
وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل (١٠٥) قد
فتحت عليهم (١٠٦) ، قال عدى : فأسلمت وكان يقول بعدها : صدق
رسول الله ﷺ والله لقد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت
ورأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها تحج البيت لا تخاف ، ورأيت
المال يفيض من الغنائم فلا يوجد من يأخذه (١٠٧) •

(١٠٢) دين بين النصارى والصابئة •

الطبرى : تاريخ الطبرى : ج ٣ ص ١١٤ هامش ٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية :
ج ٥ ص ٨٢ هامش ٣ •

(١٠٣) ابن كثير : البدايوالنهاية : ج ٥ ص ٨٣ •

(١٠٤) القادسية قريبة من الكوفة بينهما خمسة عشر فرسخا •

ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ٢٩١ - ٢٩٣ •

(١٠٥) ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ٣٠٩ - ٣١١ •

(١٠٦) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٢٦ •

(١٠٧) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٢٦ ، الطبرى ، تاريخ الطبرى : ج ٣
ص ١١٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٥ ص ٨٣ •

وكان لوفادة عدى بن حاتم الطائي على النبي ﷺ واسلامه وهو كبير من كبراء قومه شريفا فيهم ، أثر طيب في نفوس طيء فأسلم منهم خلق كثير اسلاما حقا فلم يرتد ولم يرجف (١٠٨) من أسلم منهم حين ارتد المرتدون وأرجف المرجفون وكانوا خير عون للمسلمين في معارك الفتح فعملوا لهم عيونا وأدلاء ومرشدين فكان رافع بن عميرة الطائي هو دليل المسلمين في اجتيازهم البادية بقيادة خالد بن الوليد حين انتقل من العمل في جبهة العراق الى جبهة الشام بأمر الخليفة في وقت ضيق وخرج كانوا في أشد الحاجة اليه حينئذ (١٠٩) .

(١٠٨) لم يرجف : لم يشك ، والأرجاف واحد أراجيف وقد أرجفوا في الشيء أى خاضوا فيه .

الرازي : مختار الصحاح : مادة رجف ص ٢٣٥ .

(١٠٩) البلاذري : فتوح البلدان : ص ١١٨ ، الأزدي : فتوح الشام : ص ٧٤ .

الباب الثالث

الوجود العربي في بلاد الشام بعد الفتح الإسلامي

- الفصل الأول : القبائل العربية في معارك فتح الشام
- أولا : القبائل التي خرجت من شبه الجزيرة العربية الى بلاد الشام
- ثانيا : قبائل غسان المنتصرة وجيلة بن الأيهم في معارك الفتح
- ثالثا : دور القبائل في اليرموك وما بعدها
- الفصل الثاني : مناطق استيطان القبائل العربية بالشام بعد الفتح الإسلامي وأنسابها

الفصل الأول

القبائل العربية في مشارف فتح الشام

أولا : القبائل التي خرجت من شبه الجزيرة العربية الى بلاد الشام :

كان ينزل وسط بلاد الشام وجنوبها قبل أن يفتحها المسلمون سنة ١٣ هـ طائفة من القبائل العربية كلهم من القبائل القحطانية اليمنية التي نزحت اليها من بلاد العرب (١) كما ورد من قبل ، ومن أهم هذه القبائل على الاطلاق قضاة بفرعها : كلب وبهراء وجهينة وبلي وسليح وتغلب (٢) وتنبوخ ونهد (٣) ، ثم قبائل غسان من الأزد

(١) الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ٤٦ ، ٤٧ ، المسعودي : التنبيه والأشراف : ص ٣٦ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ٢ ص ١٩٥ ، الاضطخري : المسالك والممالك : ص ٢١ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٢٤ ، صبيح الأعشى : ج ٥ ص ٤٧٢ ، أحمد أمين : فجر الاسلام : ص ١٣٠ ، ١٣١ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي : ج ١ ص ٢١ .

(٢) بنو تغلب القضاةيون غير بنى تغلب بن وائل بن قاسط بن جديلة بن أسد المنتهى نسبهم الى ربيعة بن نزار سكان الجزيرة الفراتية النصاري ، فتغلب قضاة هم بنو حلوان بن عمران الذي أنجب ويرة بن تغلب فولد ويرة أسد والنمر وكنب وهي قبائل ضخمة والبرك والتغلب بطنان منهم ، والدثب دخل بنوه الى بنى عبيد بن عامر بن كلب ، فتغلب على فرعين . تغلب القضاةية المنتهى نسبها في قحطان وتغلب العدنانية المنتهى نسبها الى ربيعة بن نزار بن عدنان .

ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٢٩٢ ، ٤٥٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، الزبيدي : تاج العروس : ج ١ ص ٤١٤ ، ابن خلدون : الغبر : ج ٢ ص ٢٤٧ ، ابن نزيدي : الاشتقاق : ص ٣١٤ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٤٨ ، ١٧٧ ، عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب : ج ١ ص ١٢٠ .

(٣) انظر تفصيل نسب قضاة وبنوهم : ابن حبيب : مختلف القبائل ومؤتلفها : ص ٩ ، ابن سعد : الطبقات ج ١ ص ٣٠ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٤٠ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٣٥٨ .

القحطانية (٤) من نسل مالك بن كهلان بن سبأ ولها الغلبة والكثرة ،
عريب بن كهلان من القحطانية من جذام ولحم وطىء وعاملة وكندة (٥) ،
ومن ثم فان سكان وسط الشام وجنوبه حين الفتح من العرب كانوا
من اليمانية .

وكان ينزل شمال الشام في الجزيرة المعروفة بجزيرة أقور (٦)
مواقف شتى من القبائل العربية من تغلب واياذ والنمر بن قاسط (٧)
من ربيعة العدنانية ، وهذه القبائل النصرانية ظلت على دينها بعد الفتح
الاسلامي ولعبت دورا بارزا في أحداث تلك الفترة الهامة ، ولذلك فانه
لاياد من ربيعة خبر مطول في كتب التاريخ والأدب يفصل أمر جلائهم
عن تهامة (٨) موطنهم الأول (٩) ملخصه أنه لما كثر عددهم بغوا على
اخوتهم من مضر وربيعه فوقع الحرب بينهم وهزمت اياذ ونزحت عن
تهامة بالجزيرة العربية وطافوا البلاد حتى انتهوا الى سسنداد (١٠)
وعين أباغ (١١) من أرض العراق ثم استطالوا على الفرات حتى خالطوا
أرض الجزيرة فوقع الحرب بينهم وبين الفرس (١٢) فخرجوا من
أرض العراق وهلك أكثرهم وتشتت جمعهم ولحق فريق منهم ببلاد

(٤) ابن منظور : لسان العرب : ج ٢ ص ٢٤٣ ، العوتبي : الأنساب : ج ٢
ص ٤٣ - ٢٠٦ ، أنساب الأزد ، ابن عبد البر : الأنباة على قبائل الرواة : ص ١٠١ - ١٠٩ ،
العمرى : مسالك الأبصار : ص ٧٧ ، عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب : ج ١
ص ١٦ .

(٥) انظر : المبرد : الكامل : ج ١ ص ٢٦٦ ، الجوهري : الصحاح : ج ١ ص ٤٠٤ ،
السماعى : الأنساب : ج ٢ ص ٤٩٤ ، ابن عبيد ربه : المقدر الفريد : ج ٢ ص ٨٠ .
(٦) تقع بين الموصل والفرات .

ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ٢٣٨ ، البكرى : معجم ما استعجم : ج ١
ص ٦٨ .

(٧) النمر بن قاسط : من ولد هنب بن ألقى بن دععى بن جديلة بن أسد بن ربيعة
وبنحو النمر بن قاسط : تيم الله وأوس الله وعابد الله . أمهم هند بنت تميم بن مرة
واخوتهم لأهم بكر وتغلب .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٥٢ ، الزبيدي : تاج العروس : ج ١ ص ٤١٤ .
العوتبي : الأنساب : ج ١ ص ١٥١ ، ١٥٢ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ١٧٧ .

(٨) ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٦٣ - ٦٤ .

(٩) انظر خبر انتشار ربيعة ومنازلها .

العوتبي : الأنساب : ج ١ ص ١٦٠ - ١٦٢ .

(١٠) سنداد : منازل لاياذ فزلتها لما قاربت الريف وهي أسفل سواد بحوفة

ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

(١١) عين أباغ : واد يوراء الأنبار على طريق الفرات الى الشام .

ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ٦١ .

(١٢) خبر اياذ بن نزار والحرب بينهم وبين الفرس .

العوتبي : الأنساب : ج ١ ص ١٦٢ .

والروم (١٣) ونزلت طوائف منهم أطراف الشام ودانوا بالطاعة لغسان واستقر أكثر حول الفرات في أرض الجزيرة (١٤) وقاتل بعضهم المسلمين إلى جانب الروم في حريب اليرموك (١٥) ، ولما غلب المسلمون أعانهم عرب الجزيرة (مسلمين ونصارى) على الروم إلا إياداً ركب رأسها وعاندت فلم تسلم ولم تبق حيث هي ورحلت إلى بلاد الروم فأرسل (١٦) الخليفة عمر بن الخطاب إلى ملكهم يرد من أتاه من إياد (١٧) ، كما أرسل إلى إياد نفسها يستميلها ويتألفها للعودة إلى بلادها حتى لا يقوى بها عدوه فعاد منهم أربعة آلاف كان منهم كل إياد في أرض العرب (١٨) وتفرق الباقيون فيما يلي الشام والجزيرة من بلاد الروم (١٩) .

لما غلب المسلمون على الجزيرة والمدن الواقعة على الفرات وشمال الشام (٢٠) دعيت تغلب النصرانية إلى الإسلام أو الجزية فأبى الإسلام تمسكاً بدينها وامتنعت عن الجزية لأنهم عرب لا يجب أن يكونوا بمثابة الأعاجم والأعلاج ، وطلبوا أن تضاعف عليهم الصدقة بدلاً من الجزية وهددوا بالرحيل إلى أرض الروم إن لم يجابوا إلى طلبهم (٢١) ، فقبل الخليفة عمر بن الخطاب عرضهم حرصاً على هذه القبيلة العربية أن تجلو عن بلاد العرب كما فعلت إياد وظلت تغلب في مواطنها بالجزيرة الفراتية كما كانت قبل الفتح (٢٢) .

من ثم نرى أن العنصر اليماني كان هو الغالب على قبائل الشام في هذا الوقت ولذلك فإن القبائل اليمانية بالجزيرة العربية كانت أسرع

- (١٣) الأصفهاني : الأغاني : ج ٢٠ ص ٢٣ ، البلاذري : أنساب الأشراف : ج ١ ص ٢٥ ، البكري : معجم ما استعجم : ج ١٠ ص ٦٧ .
- (١٤) العوتبي : الأنساب : ج ١ ص ١٦٢ .
- (١٥) البلاذري : فتوح البلدان : ج ١ ص ١٣٥ ، الطبري : التاريخ : ج ٢ ص ٥٨٧ .
- (١٦) الطبري : التاريخ : ج ٤ ص ٥٤ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ٣٧٢ . أحداث سنة ١٧ هـ ، العوتبي : الأنساب : ج ٦ ص ١٦٢ .
- (١٧) الطبري : التاريخ : ج ٤ ص ٥٤ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ٣٧٢ .
- (١٨) الطبري : التاريخ : ج ٤ ص ٥٥ ، ابن الأثير : المصدر السابق : ج ٢ ص ٣٧٢ .
- (١٩) الطبري : التاريخ : ج ٢ ص ١٥٦ .
- (٢٠) البلاذري : فتوح البلدان : ج ١ ص ٢١٦ .
- (٢١) أبو يوسف : الخراج : ص ١٢٣ ، أبو عبيد : الأموال : ص ٢٣٢ ، الأصفهاني : الأغاني : ج ٧ ص ١٨٢ ، البلاذري : فتوح البلدان : ص ١٨٦ .
- (٢٢) الطبري : تاريخ الطبري : ج ٣ ص ١٥٧ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ٣٧٣ .

القبائل اجابة لطلب الخليفة أبي بكر في التجمع للغزو وكانت تؤثر المضي الى الشام موطن أسلافها ولذلك فقد غلب العنصر اليمني على القبائل الشامية بعد الفتح كما كان غالباً عليها قبل الفتح مما يفسر كثيراً من الأحداث في تاريخ هذه البلاد لاسيما وأن القبائل المضرية في جيوش المسلمين والمهاجرة الى الشام بعد الفتح ابتعدت عن مواطن تجمع القبائل اليمنية في الوسط والجنوب آثرت الاتجاه شمالاً بالقرب من تغلب وايداد العدنانية (٢٣) .

لما فرغ الخليفة أبو بكر الصديق من أمر أهل الردة رأى توجيه الجيوش الى الشام لفتحها وأرسل الكتب والرسول الى جميع القبائل وأقام ينتظر جوابهم وقدمهم فكتب الى أهل مكة والطائف واليمن وجميع العرب بنجد والحجاز يستنفرهم للجهاد ويرغبهم فيه وفي غنائم الشام فسارع الناس اليه بين محتسب وطائع وأتوا المدينة من كل أوب (٢٤) . وكان الذي بعثه الى اليمن أنس بن مالك (٢٥) فما مرت الأيام حتى قدم أنس يبشره بقدوم أهل اليمن بالذراري والأموال والنساء والأطفال (٢٦) ، فما كان الا قليلا حتى أشرفت الكتائب والمواكب قوم في أثر قوم وقبيلة (٢٧) ، فكان أول قبيلة ظهرت من قبائل اليمن حمير (٢٨) وعليها ذو الكلاع الحميري ملكهم فلما دنا من الصديق أحب أن يعرفه بمكانته وقومه فأشار اليه بالسلاح وجعل ينشد ويقول :

أتتك حمير بالأهلين والولد أهل	السوابق والعالون بالرتب
أسد غطارفة شوش عمالقة	يردوا الكماء غدا في الحرب بالقضب
الحرب عادتنا والضرب همتنا	وذو الكلاع دعا في الأهل والنسب
دمشق لي بدت كل الناس أجمعهم	وساكنيها ساهويهم الى العطب (٢٩)

(٢٣) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ٧ .

(٢٤) البلاذري : فتوح البلدان : ص ١١٥ .

(٢٥) أنس بن مالك : هو ابن النضر بن ضمضم ، من ولد زيد بن حرام بن جندب ابن عامر بن غنم بن عدى بن النجار من الخزرج من العرب القحطانية ، أمه هي أم سليم بنت ملحان ، خدم النبي ﷺ وهو ابن ثمانين سنين وروى عنه أبو بكر وعمر وعثمان وعبد الله ابن مسعود وهو آخر من مات من أصحاب النبي ﷺ بالبصرة وهو ابن ثلاث وتسعين سنة .

(٢٦) انظر نص كتاب الخليفة أبو بكر الى أهل اليمن في هذا الشأن .

الأزدى : فتوح الشام : ص ٨ ، ٩ .

(٢٧) ابن أعثم الكوفي : الفتوح : ج ١ ص ٨٧ .

(٢٨) انظر أنساب حمير ويطونها وقبائلها .

العوتبي : الأنساب : ج ١ ص ٢٤٣ - ٢٤٥ .

(٢٩) الواقدي : فتوح الشام : ص ٧ .

وسارت حمير بكتائبها ومواليها (٣٠) وأقبلت من بعدها كتائب
مذحج (٣١) أهل الخيل العتاق والرماح الدقاق وأمامهم سيدهم قيس بن
هبيرة بن مكشوح المرادي ومعه جمع عظيم من قومه فيهم الحجاج بن
عبد يغوث فجزاه أبو بكر خيرا لمقدمه فلما وصل الى الخليفة جعل
ينشد ويقول :

أتك كتائب منا سراعا ذوو التيجان أعنى من مراد
فقدما أمامك كي ترانا نبيد القوم بالسيوف النجادى (٣٢)

ثم مضى بكتائبه ومواليه ، ولعظمته ومكانته فى قومه وضخامة بطون
مذحج أقبل الخليفة على أبى عبيدة بن الجراح موصيا اياه بالرجل
فقال له : « انه قد صحبتك رجل عظيم الشرف فارس من فرسان العرب
ليس للمسلمين غناء عن رأيه ومشورته وبأسه فى الحرب فأذنه وألفه
وأره أنك غير مستغن عنه ولا مستهين بأمره فانك تستخرج بذلك نصيحتة
لك وجهده وجهده على عدوك » (٣٣) . ثم دعا أبو بكر قيس بن هبيرة
وقال له : « انى قد بعثتك مع أبى عبيدة الأمير الذى اذا ظلم لم يظلم
واذا أسىء اليه غفر واذا قطع وصل رحيم بالمؤمنين شديد على الكافرين
فلا تعصين له أمرا ولا تخالفن له رأيا فانه لن يأمرك الا بخير وقد أمرته
أن يسمع منك فلا تأمره الا بتقوى الله قد كنا نسمع أنك شريف ذو بأس
سيد مجرب فى زمان الجاهلية الجاهلاء اذ ليس فيهم الا الاثم فاجعل بأسك
وشدتك ونجدتك فى الاسلام على المشركين وعلى من كفر بالله وعبد معه
غيره فقد جعل الله فى ذلك الأجر العظيم والثواب الجزيل والعز
للمسلمين (٣٤) . فقال قيس بن هبيرة : « ان بقيت وأبقاك الله
فسيبلفك من حيطتى على المسلم وجهدى على الكافر ما تحب ويسرك
ويرضيك » . فلما بلغ أبو بكر بعد ذلك أثناء القتال مبارزة قيس بن هبيرة
المرادى كبير مذحج بطريقين كبيرين من بطارقة النصارى بالجابية (٣٥)

(٣٠) الواقدي : فتوح الشام : ص ٧ .

(٣١) يضم اسم مذحج جميع القبائل والبطون المتفرعة من مالك بن ادد وأهمها النخع
ومراد وزبيد وسعد العشيرة وبنو الحارث بن كعب وعنس وصداء وجنب ومالك بن مذحج
وأدد وغيرهم .

انظر : ابن حزم : جمهرة انساب العرب : ٤٧٦ - ٤٧٧ « بطون مذحج » ابن عبد
البر : الانباه على قبائل الرواة : ١٢٠ - ١٣٠ ، القلقشندي : نهاية الأرب فى معرفة انساب
العرب : ص ٣٧٢ .

(٣٢) الأزدي : فتوح الشام : ص ١٦ .

(٣٣) الأزدي : فتوح الشام : ص ٢٦ .

(٣٤) الأزدي : المصدر السابق : ص ٢٧ .

(٣٥) ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٩١ ، ٩٢ .

وقتلها إياهما : « صادق قيس وبر (٣٦) ووفى » وأتت بعد منحج قبائل طيء (٣٧) عليها حابس بن سعد الطائي الذي دنا من الخليفة وسلم عليه بالطاعة والولاء ، ثم أقبلت الأزدي في جموع كثيرة (٣٨) ينقدمها جندب ابن عمر الدوسي وفيهم أبو هريرة الدوسي (٣٩) صاحب الرسول ﷺ ، وتتابع قبائل اليمن يتلو بعضها بعضا ومعهم نساؤهم وأموالهم فسر أبو بكر وأنزل القوم حول المدينة كل قبيلة متفرقة عن صاحبها (٤٠) ، ثم جاءت بعد اليمانية قيس فيهم بنو عبس وعليهم الأمير ميسرة بن مسروق العبسي وأقبلت من بعدهم كنانة يتقدمهم غيثم بن أسلم الكناني (٤١) . واستمر تجمع القبائل الزاحفة للفتوح على المدينة حتى امتلأت وأرباضها بهم عن آخرها ولم يكن فيهم من قبائل ربيعة وتميم وأسد لأنهم كانوا بالعراق وكانت معظم ديارهم عراقية وقل من شهد منهم الفتوحات فكانت أغلب الجيوش المتجهة الى الشام من أهل اليمن الذين كثروا بها وكانوا سكانها وأهلها فيما بعد (٤٢) .

دعا الخليفة أبو بكر يزيد بن أبي سفيان وعقد له راية وأمره على معظم الناس ودعا بعده رجلا من بنى عامر بن لؤي يقال له ربيعة بن عامر وكان فارسا مشهورا في الحجاز فعقد له راية وأمره على ألف فارس ، وخرج يزيد وربيعه بن عامر يرجون رضا الله عز وجل ورضا الخليفة (٤٣)

(٣٦) الأزدي : فتوح الشام : ٢٧ .

(٣٧) طيء قبيلة عظيمة من كهلان القحطانية تنتسب الى طيء بن أد بن زيد بن يشجب ابن عريب بن زيد بن كهلان ، ومعظم بطون طيء من ولديه قطرة والغوث وكانت منازل طيء باليمن وخرجوا منه على أثر خروج الأزدي بسبب سيل العرم .

انظر : ابن قتيبة : المعارف : ص ٣٥ ، الأصفهاني : الأغاني : ج ٨ ص ٢٣٩ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٧٦ ، ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ٢٥٥ ، ٣٢٠ ، العوتبي : الأنساب : ج ٢ ص ٥٢ ، البغدادى : مرصع الاطلاع : ج ٢ ص ٩٩٨ ، ج ٣ ص ١١٥٥ ، أبو الفداء : المختصر : ج ١ ص ١٠٢ ، ١٠٣ ، العمرى : مسالك الأبصار : ص ٨٠ ، ٨١ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٢٩٧ .

(٣٨) الأزدي : فتوح الشام : ص ٢٧ .

(٣٩) اسمه عمير بن عامر بن دوس ، ودوس بطن من شنوءة من الأزدي القحطانية .

القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٢٣٥ .

(٤٠) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ، ص ٨ .

(٤١) الأزدي : فتوح الشام : ص ١٦ .

(٤٢) الأزدي : المصدر السابق : ص ١٦ .

(٤٣) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ، ص ٨ .

فأخذ القوم في السير على وادي القرى (٤٤) ليخرجوا إلى تبوك (٤٥) ثم على الجابية إلى دمشق ، وفي هذه الأثناء وصلت المدينة همدان (٤٦) في جمع عظيم بلغ ألفي رجل عليهم حمزة بن مالك الهمداني ، فلما رأى أبو بكر عددهم وجلدهم فرح بهم وقال : « الحمد لله على صنيعه للمسلمين ما يزال الله يتيح لهم مددا من أنفسهم يشد به ظهورهم ويقصم به عدوهم » (٤٧) ولحقت همدان بالشام ببطونها ونسائها ومواليها وانضمت إلى أمرة أبي عبيدة بن الجراح .

لما ندب الخليفة عمرو بن العاص للانضمام إلى جيوش الفتح أمره أن يدعو من يمر به من قبائل بلي وعذرة وسائر قضاة إلى الإسلام ومن يرغب منهم يندبه إلى الجهاد (٤٨) وقال له : « اني قد استعملتك على من مررت به من بلي وعذرة وسائر قضاة ومن سقط هناك من العرب فأندبهم إلى الجهاد في سبيل الله ورغبهم فيه فمن تبعك منهم فأحملهم وزودهم وارفق بهم واجعل كل قبيلة على حميتها ومنزلتها » (٤٩) وقد خصه أبو بكر بهذا التكليف لأن أمه قضاة من بلي فهم أخواله (٥٠) ، ثم عقد له الخليفة بالامارة على طليعة الجيش في أهل مكة وقبائل

(٤٤) واد بين المدينة والشام من أعمال المدينة كثير القرى .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ٣٤٥ .

(٤٥) ياقوت : المصدر السابق : ج ٢ ، ص ١٤ ، ١٥ .

(٤٦) هم بنو همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بطونهم كبيرة وأفخاذهم متسعة ، وكانت ديارهم شرق اليمن . قدم وفد منهم على النبي ﷺ سنة ٩ هـ بعد منصرفه من تبوك فكتب لهم كتابا أقطعهم فيه ما سألوه وأمر عليهم مالك بن النبط واستعمله على من أسلم من قومه .

الهمداني : الأكليل : ج ١٠ ص ١٠ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٩٢ ، ٣٩٥ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ « بطون همدان وعشائرها » ، الأصفهاني : الأغاني : ج ١١ ، ص ١٦٧ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٢ ص ٧٩ ، الطبري : التاريخ : ج ٤ ، ص ١٩٢ ، البكري : معجم ما استعجم : ج ٢ ص ٦٤٩ ، نشوان الحميري : منتجات في أخبار اليمن : ص ٢٣ ، ابن عبد البر : الانباه على قبائل الرواة : ص ١٣١ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٣٨٩ .

(٤٧) الأزدي : فتوح الشام : ص ١٦ .

(٤٨) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ١ ، ص ١٣٠ .

(٤٩) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ٩ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ١ ، ص ١٣٠ .

(٥٠) المصعب الزبيري : نسب قریش : ص ٤٠٨ .

الطائف (٥١) « هوازن وثقيف » (٥٢) وبنى كلاب (٥٣) وطىء وأمره أن ينصرف إلى أرض فلسطين ويكتب أبا عبيدة وينجده إذا أراد ذلك ولا يقطع أمرا إلا بمشورته ، وسار عمرو بالناس يتقدمهم أهل مكة من قریش وغيرهم ثم بنو كلاب وطىء وهوازن وثقيف وتخلف المهاجرون والأنصار ليسيروا مع أبي عبيدة بن الجراح (٥٤) وذلك فى يوم الخميس المستهل من صفر سنة ١٣ هـ - ٦٣٤ م (٥٥) وقد سار هذا الجيش فى تسعة آلاف يريدون أخذ فلسطين ، وبعد مسيرهم بيوم واحد (٥٦) عقد الخليفة العقود والرايات لأبى عبيدة بن الجراح (٥٧) وأمره أن يقصد بمن معه أرض الجابية (٥٨) .

لم يكن هناك شىء فى ذلك الوقت عند الخليفة أهم من قدوم القبائل عليه من أرض العرب فكانوا كلما قدموا عليه سرحهم الأول فالأول ، فقدم

- (٥١) ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ٨ - ١٢ .
- (٥٢) هوازن : بطن متسع من قيس عيلان من العدنانية ، وهم بنو هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن عدنان ، ولهم أفخاذ كثيرة يجمعها ثلاثة أجرام كلهم لبكر بن هوازن وهم : يئو سعد بن بكر وبنو معاوية بن بكر وبنو منبه بن بكر ، وثقيف : هم بنو ثقيف بن منبه ، بطن متسع من هوازن اشتهروا باسم أبيهم ف قيل لهم « ثقيف » واسمه قسى بن منبه بن بكر بن هوازن وكانت مواطنهم بالطائف ومنهم الحجاج بن يوسف الثقفى المعروف .
- الأصفهاني : الأغاني : ج ١٠ ص ١٤٢ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٦٥ - ٢٧٢ .
- « نسب هوازن وثقيف وبطونها » ، الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ١٢٠ ، الطبرى : تاريخ الطبرى ج ٢ ص ١٢٥ ، وابن منظور : لسان العرب : ج ١٠ ص ٣٦٣ ، البكرى : معجم ما استعجم : ص ٧٧ - ٧٩ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ١٧٧ ، ابن صاعد : طبقات الأمم : ص ٤٣ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٣٩١ .
- (٥٣) انظر نسب قبيلة بنى كلاب وبطونها بالتفصيل .
- ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٨٢ - ٢٨٨ ، القلقشندي : نهاية الأرب ، ص ٢٦٥ .
- (٥٤) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٣ .
- (٥٥) البلاذري : فتوح البلدان : ص ٢٣ .
- (٥٦) كان الخليفة يسير الجيوش فى أثر بعضها تجنباً لتكالبهم على الكلا وموارد الماء فى الطريق فيضروا بالقبائل التى يمرون بها .
- (٥٧) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٦ .
- (٥٨) الجابية : قرية من أعمال دمشق من ناحية الجولان قرب مرج الصفر شمالى حوران .
- ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٩١ ، ٩٢ .

عليه فيمن قدم أبو الاعور السلمى فى بنى سليم (٥٩) فدخل عليه وقال : « انا قد جئناك من غير قحمة ولا عذم (٦٠) فان شئت اقمنا معك مرابطين وان شئت وجهتنا الى عدوك من المشركين » فقال أبو بكر : « بل تجاهدون الكافرين وتواسون المسلمين » فبعثه الى الشام حتى قدم على أبى عبيدة (٦١) . ثم قدم عليه معن بن يزيد بن الأخنس السلمى فى رجال من بنى سليم نحو من مائة رجل فقال أبو بكر : « لو كان هؤلاء أكثر مما هم فيه لأمضيناهم الى اخوانهم » فقال له عمر بن الخطاب : « والله لو كانوا عشرة لرأيت لك أن تمد بهم اخوانهم وانى لأرى لك أن تمدهم بالرجل الواحد اذا كان ذا جزاء وغناء » فقال حبيب بن مسلمة : « عندى نحو من مثل عدتهم رجال من بقايا القبائل ولهم رغبة فى الجهاد فاجمعنا وهؤلاء جميعا يا خليفة رسول الله ثم ابعثنا فقال له أبو بكر : « فاخرج بهم جميعا فانت أمير القوم حتى تقدم على اخوانك » فخرج العسكر معهم ثم جمع أصحابه اليهم وسار حتى قدم على يزيد بن أبى سفيان (٦٢) . ثم اجتمع رجال من بنى كعب وأسلم وغفار

(٥٩) بنو سليم قبيلة عظيمة من قيس عيلان العدنانية وهم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وهم أكثر قبائل قيس عددا ، ومعظمهم من ولد بهثة بن سليم ، وكانت منازلهم بعلية نجد بالقرب من خيبر ومن مواطنهم : حرة بنى سليم وحرة النار ، ووادى القرى وتيماء وفيهم الأبطال الانجاد والخيال الجياد وكانوا يفخرون أنهم كانوا مع النبي ﷺ يوم فتح مكة وأنه قدم نواهم على سائر الألوية ، ويروى أن عمر بن الخطاب كتب الى ولاية الكوفة والبصرة والشام ومصر أن يرسل له كل واحد بأفضل رجل عنده فبعث الى الكوفة بعتبة بن فرقد السلمى وبعث اهل البصرة بمجاشع بن مسعود السلمى وأهل الشام بأبى الاعور السلمى وأهل مصر بمعن بن يزيد بن الأخنس السلمى ، وقد اشتركت بنو سليم فى الحروب التى استعملت نيرانها بين الزبيرية والمروانية وقتل فيها منهم خلق كثير .

انظر : ابن حزم : الجمهرة : ٢٦١ - ٢٦٤ ، الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ١٢١ ، الأصفهاني : الأغاني : ج ١٣ ص ٦٣ ، الزمخشري : الفائق : ج ٢ ص ٥٧ ، الزبيدي : تاج العروس : ج ٧ ص ١٥٩ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ١٨٧ ، العسكري : جمهرة الأمثال : ص ١٥٤ ، ابن رشيقي : العمدة : ج ٢ ص ١٦٨ ، ١٦٩ ، البكري : معجم ما استعجم : ج ١ ص ١٠٠ ، المقرئ : البيان والأعراب : ص ٦٤ ، القلقشندي : نهاية الأدب : ص ٢٧١ ، كحالة : معجم قبائل العرب : ج ٢ ص ٥٤٣ - ٥٤٦ .

(٦٠) القحمة . الجوع ، والعذم ذهاب العير ، والمقصود بالقول أنهم لم يأتوا من فقر وعوز لأن عندهم ما يكفيهم ويفيض عنهم وإنما جاءوا تلبية لنداء الخليفة وجبا فى الله ورسوله ﷺ .

الازدي : فتوح الشام : ص ٤٢ ، الرازي : مختار الصحاح : ص ٥٢٢ « مادة قحمة » .

(٦١) الازدي : فتوح الشام : ص ٤٢ .

(٦٢) الازدي : المصدر السابق : ص ٤٣ .

ومزينة (٦٣) نحو من مائتي رجل فأتوا أبا بكر فقالوا : « ابعث علينا رجلا وسرحنا الى اخواننا » فبعث عليهم الضحاك بن قيس فسار حتى أتى يزيد بن أبي سفيان فنزل معه (٦٤) .

كان هذا في جانب المسلمين أما في الجانب الآخر فانه لما اجتمع المسلمون بتيماء (٦٥) استعدادا لفتح الشام وبلغ الروم أمر ذلك العسكر ضربوا البعوث على العرب الضاحية (٦٦) بالشام (٦٧) ليستعينوا بهم في حرب بنى عمهم ، ولما كان هؤلاء الآخرون يدينون للروم بوجودهم في الشام فضلا عن ديانة معظمهم بالنصرانية وتأكدتهم من أن الروم قوة كبرى لا يمكن أن يهزمهم المسلمون فقد نفر اليهم جمع غفير من بهراء وبلي وكلب وسليح وتنوخ وليخم وجذام وغسان (٦٨) وسائر قبائل اليمن الضاربة بالشام (٦٩) وكان نزولهم بالقرب من زيزاء (٧٠) فكتب أبو بكر الى خاله بن سعيد : أن أقدم ولا تقتحم حتى لا تؤتى من خلفك فسار فيمن كان خرج معه من تيماء وفيمن لحق به في طريق الرحل حتى نزلوا فيما بين آبل وزيزاء والقسطل (٧١) فسار اليه بطريق من بطارقة الروم يدعى ماهان فهزمه وقتل معظم جنده ، ولما علم الصديق بما حدث سجد لله (٧٢) شاكرا وكتب الى أهل مكة كتابا يستدعيهم

(٦٣) بنو كعب هم ولد الخزرج بن حارثة من الأزدي ، وبنو أسلم هو ولد أسلم بن أنصى بن عامر بن قعنة بن الياس بن مضر وبنو غفار من مليل بن مضر بن عبد مناة أبرز كنانة من العدنانية ومزينة هم بنو عثمان وأوس ابني عمرو بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر .

انظر ابن حزم : الجمهرة ص ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٢٤٠ - ٢٤٢ ، ١٨٦ ، ٤٨٠ على التوالي ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٤٩ ، ٢٩٨ ، ٣٤٨ ، ٣٧٥ .

(٦٤) الأزدي : فتوح الشام : ص ٤٣ .

(٦٥) بليد في اطراف الشام بين الشام ووادي القرى على طريق حاج الشام ودمشق .

(٦٦) أي العرب الذين كانوا ينزلون الضواحي ، ومكان ضاح أي بارز ولعله مأخوذ من سكانهم البوادي وهي أماكن مرتفعة عن السهول والأودية .

الرازي : مختار الصحاح : ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ « مادة ضحا » .

(٦٧) ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ٢٧٦ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ١ ص ١٣٢ .

(٦٨) خليط من قبائل قضاة وقبائل مالك بن كهلان وقبائل عريب من كهلان وكلهم من عرب اليمن القحطانية ولم يكن معهم أحد من القبائل العدنانية .

(٦٩) ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ٢٧٦ .

(٧٠) زيزاء من قرى البلقاء وهي كبيرة يطؤها الحاج ويقام بها سوق لهم وفيها بركة عظيمة .

ياقوت : ج ٣ ص ١٦٢ ، ١٦٤ .

(٧١) القسطل في لغة أهل الشام الموضع الذي تفرق منه المياه .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ٣٤٧ .

(٧٢) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ، ص ١٣ .

للجهاد فخرج عكرمة بن أبي جهل في بنى مخزوم « بطن من قريش »
 وخرج معه الحارث بن هشام وتلاحق معهم من أهل مكة خمسمائة رجل
 جعل عليهم الخليفة سعيد بن خالد بن سعيد بن العاص وكان غلاما
 نجيبا عقد له أبو بكر راية ودفعها اليه وأمره على ألفين من العرب (٧٣) ،
 إلا أن عمر بن الخطاب ما زال بالخليفة حتى عزله عن الإمارة لخيلاء
 كانت به (٧٤) وجعله رداءا للمسلمين بتيماء وأمره أن لا يفارقها إلا بأمره
 واسترد منه الراية وسلمها إلى أزد الدوسى وسار سعيد بن خالد
 تحت امرته (٧٥) .

لما اكتملت الجيوش بالشام كان الأمراء : أبو عبيدة بن الجراح
 على ربع ويزيد بن أبي سفيان على ربع وشرحبيل بن حسنة (٧٦) على
 ربع وعمرو بن العاص على ربع (٧٧) وإن اجتمعت الجيوش لقتال
 فقائدهم أبو عبيدة ومن بعده يزيد بن أبي سفيان ، وكان ثلث الناس في
 جيش المسلمين من أزد (٧٨) اليمن الذين ينتمى اليهم قبائل غسان

(٧٣) الواقدي : نفسه : ج ١ ص ١٢ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ٢٧٥ .

(٧٤) البلاذري : فتوح البلدان : ص ١١٦ .

(٧٥) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٣ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ٢٧٥ .

(٧٦) شرحبيل بن حسنة حليف بنى جمح واسمه شرحبيل بن عبد الله بن المطاع الكندي

وحسنة أمه كانت مولاة معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح .

البلاذري : فتوح البلدان : ص ١١٥ ، ١١٦ .

(٧٧) الأزدى : فتوح الشام : ص ٢١٧ ، ٢١٨ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق :

ج ١ ص ١٦٣ .

(٧٨) بنو الأزد هم نسل أزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن
 يشجب بن يعرب بن قحطان واليه جماع قبائل الأزد كلها بما فيها غسان المهاجرة
 وبطونها ، وهم أضخم قبائل كهلان القحطانية على الإطلاق وتتفرع منهم قبائل وبطون
 كثيرة منها الغساسنة وملوك الشام وهم بنو عمرو بن مازن بن الأزد ، ومنهم بارق
 والعتيق ودوس وغافق وخزاعة والأوس والخزرج المعروفين بالأنصار ، ويجمع الاخباريون
 على أن بلاد اليمن هي موطن الأزد الأصلي ، ولما خرب سد مأرب وحدث سيل العرم
 تمزقت عرب اليمن إلى العراق والشام وفيهم الأزد وبقي منهم جمع غفير إلى زمن الفتح
 هم الذين لبوا نداء الخليفة أبي بكر الصديق حين تدبهم للفتح والجهاد ، وقد قيل في ماثور
 العرب : مازن غسان أرياب الملوك وحمير أرياب العرب وكندة الملوك ومنجج الطعان
 وهمدان أحلاس الخيل والأزد أزد البأس .

وهب بن منبه : التيجان في ملوك حمير : ص ٢٧٣ - ٢٩٣ « منازل الأزد وترحالهم

في شبه الجزيرة بعد سيل العرم » ، المسعودي : مروج الذهب : ج ٣ ص ٢١٥ ، ابن

حزم : الجمهرة : ص ٣٦٧ ، ٣٣٢ - ٣٣٦ « نسب الأنصار » . ابن منظور : لسان العرب :

ج ٢ ص ٢٤٣ ، اليعقوبي : التاريخ : ص ٢٣٥ ، ابن دريد : الاشتقاق : ج ٢ ص ٤٢٥ ،

ابن عبد البر : الانباه على قبائل الرواة : ص ١٠١ ، ١٠٧ - ١٠٩ ، العوتبي : الأنساب :

ج ٢ ص ٤٤ ، ٤٥ ، ١٩٩ - ٢٠٦ « خبر مسير الأزد حين أخرجهم سيل العرم وتفرقهم

في البلاد » ، العمري : مسالك الأبصار : ص ٧٧ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٢٤٨ ،

عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب : ج ١ ص ١٦ .

المهاجرة الى الشام وزعيمة العرب المنتصرة في جيوش الروم والباقي من حمير (٧٩) (وهم أعظم الناس) وهمدان ومذحج وخولان وخثعم ولنانة وعبس وقضاة ولخم وجذام وغسان (٨٠) وكندا وحضرموت والسكاسك ليس فيهم أحد من أسد أو تميم أو ربيعة لأن ديارهم كانت عراقية فكان معظم شغلهم في قتال فارس (٨١) وبصفة عامة فان غالبية جيش الزحف في فتح الشام كانوا من قبائل اليمن الا قليلا من قيس . وكانت لكل قبيلة رايتها التي تعرف بها وشعارها الذي يجتمعون اليه (٨٢) ، فكان شعار أبي عبيدة يوم اليرموك « أمت أمت » وشعار عبس « يا لعبس » وشعار اليمن من أخلاط الناس « يا أنصار الله » وشعار خالد ومن معه « يا حزب الله » وشعار حمير « الفتح الفتح » وشعار دارم والسكاسك « الصبر الصبر » وشعار مذحج ومراد « يا نصر الله انزل » (٨٣) .

في سنة ١٤ هـ تقدم أبو عبيدة بن الجراح بجيوش المسلمين الى دمشق (٨٤) وحاصرها ، فلما تضايقت الروم سار بهم هرقل حتى نزل انطاكية (٨٥) وأرسل للقاء المسلمين جيشا من الروم وأهل أرمينية بلغ عدده مائة ألف مقاتل (٨٦) بقيادة جريجوري الملقب في المصادر العربية باسم جرجة أو جرجير (٧٨) وكان معهم من العرب المنتصرة لخم

(٧٩) انظر بطون حمير ونسبها :

ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٧٨ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٢٢٢ .

(٨٠) يلاحظ أن بعض أسماء القبائل العربية في جيوش المسلمين هي أسماء القبائل نفسها في جيوش الروم مثل لخم وجذام وطىء وبعض بطون قضاة مثل كلب وبهراء وبلى وتفسير ذلك أن القبائل التي في جيوش المسلمين هي في غالبيتها القبائل التي بقيت بالجزيرة العربية حتى ظهور الاسلام ، ومثيلتها في جيوش الروم هي البطون التي هاجرت الى الشام قبل الاسلام ، فلخم في جيش المسلمين هي لخم شبه الجزيرة المسلمة ولخم في جيش الروم هي لخم المهاجرة المنتصرة وهكذا في بقية القبائل التي نجدها في الطرفين حتى كانت القبيلة الواحدة في معارك الفتح تحارب بعضها كل حسب الجانب الذي تناصره وقد ظهر ذلك أوضح ما يكون في أزد المسلمين وأزد الشام والجميع أصلا من قحطان اليمن .

(٨١) الأزدى : فتوح الشام : ص ٢١٨ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ١ ، ص ١٦٢ .

(٨٢) البلاذري : فتوح البلدان ١ ص ١١٦ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ١ ، ص ١٦٢ .

(٨٣) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ٢١١ .

(٨٤) ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٤٦٣ - ٤٧٠ .

(٨٥) ياقوت : المصدر السابق : ج ١ ص ٢٢٦ - ٢٧٠ .

(٨٦) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ١ ص ١٦١ .

(٨٧) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٦٥ .

وجذام وطىء وعاملة ومعظم بطون قضاة من بلى وبلقين وبهراء وسليح
توخ فضلا عن المستعربة والمتنصرة من غسان الدين بلغ عندهم فيما يقال
أربعين ألفا (٨٨) عليهم جبلة بن الأيهم الغساني آخر ملوكهم ونزلوا
الغوطة من أرض دمشق بالخليل والعدد والزينة (٨٩) وهم لا يشكون أن
النصر لغير الروم بحكم القدرة المادية والتفوق العددي والتنظيم العسكرى
وأن العرب لا محالة منهزمون وعائدون الى شبه جزيرتهم فالتحالف مع
الروم والقتال الى جانبهم يرفع قدرهم ويعزز وضعهم ومكانتهم بالشام
فاستماتوا فى القتال ضد المسلمين رغم يشائر النصر التى لاحت لهم منذ
البداية ، وعلى أية حال فقد كانت جيوش المسلمين التى قدمت لفتح بلاد
الشام نواة القبائل العربية التى استوطنت الشام وقتئذ والتى هاجرت
اليه بعد ذلك وكان عددها حينئذ دون الثلاثين ألفا (٩٠) .

لا يوجد لدينا حتى الآن احصاء تاريخى يرشدنا الى معرفة القبائل
العربية التى نزلت بلاد الشام وعددها عند الفتح وبعده وليس ثمة وسيلة
لمعرفة ذلك سوى الاعتماد على أخبار الوقائع التى جرت بين المسلمين
من جهة والروم ومتنصرة عرب الشام من جهة أخرى ودور هذه القبائل
فيها وقدراتها ، وكذلك أخبار الوقائع التى جرت بين المسلمين وبعضهم
كوقعة صفين ووقعة مرج راهط - (وسوف نعرض لكل منها فى مكانها) -
بالإضافة الى ما نجده فى بعض المصادر التاريخية والأدبية والجغرافية (٩١)
فى محاولة لاستخلاص معرفة تقريبية بالقبائل التى كانت بالشام فى
الفترة موضوع البحث وصلتها بالأحداث التاريخية لهذه الفترة مما يفسر
كثيرا من الأحداث والعلاقات ويحرر هذه المعرفة بالقبائل من القوالب
الجامدة والجداول الرقمية التى لا تصلح لدراسة التاريخ .

لما احتشدت جيوش المسلمين بالشام لفتحها واجتمعت لها عساكر
الروم وعرب الشام بالغوطة رأى الخليفة أبو بكر الصديق أن يمدهم
بـ خالد بن الوليد (٩٢) ومن معه ليشد من أزهم ويكون قائدا عليهم

(٨٨) ابن اعثم الكوفى : الفتوح : ج ٢ ص ١٠٢ .

(٨٩) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ١ ص ١٦١ .

(٩٠) الطبرى : التاريخ : ج ٢ ص ٥٩١ .

(٩١) من أهم هذه المصادر كتاب الهمداني « صفة جزيرة العرب » وفيه يحدد كثير
من منازل القبائل العربية بالشام منذ الفتح وكما وجدها فى عصره فى القرن الرابع
الهجرى .

(٩٢) كتب الخليفة أبو بكر خالد بن الوليد : « ٠٠ أما بعد فإذا جاءك كتابى هذا
فدع العراق وأخلف فيه أهله الذين قدمت عليهم وهم فيه وامض متخففا فى أهل القوة من
أصحابك الذين قدموا العراق معك من اليمامة وصحبوك من الطريق وقدموا عليك من
الحجاز حتى تأتى الشام فتلقى أبا عبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين فإذا التقيتم
فأنت أمير الجماعة والسلام عليك » .

لخبرته الحربية وحنكته في القتال (٩٣) ، وكان في ذلك الوقت يعمل في فتوح العراق الى جانب المثنى بن حارثة الشيباني (٩٤) فامتثل لأمر الخليفة وخرج من الحيرة قاصدا الشام في ربيع الآخر سنة ١٣هـ (٩٥) في ثمانمائة رجل معظمهم من لخم وجذام ونحو ثلاثمائة رجل من المهاجرين والأنصار وجماعة حسنة من طيء ومثلهم من بجيلة (٩٦) وكانوا كلهم شجعانا ما منهم أحد الا من شهد الوقائع مع النبي ﷺ ولم يصحبه الا قوى ذو نية وبصيرة لأنه كان يقحمهم أمورا يعلمون أنه لا يقوى عليها الا كل قوى جلد (٩٧) ، وفي الطريق نزل خالد على صندوداء جنوبي الأنبار (٩٨) وبها قوم من كندة واياذ والعجم فقاتله أهلها فظفر بهم وخدع بها سعد بن عمرو بن حرام الأنصاري (٩٩) ، ومضى الى عين التمر وهي قلعة بين الأنبار وكربلاء (١٠٠) بها مسلحة مرابطة لأهل فارس تحصنوا منه وقاتلوه فاستنزلهم وضرب أعناقهم وسبى ذراريهم وكان من ذلك السبى أبو عمرة عبد الأعلى الشاعر وسيرين والد محمد بن سيرين وحمدان بن أبان مولى عثمان بن عفان وغيرهم من مشاهير موالى العرب .

رد خالد الضعفاء مع عمير بن سعد الأنصاري ومضى في ستمائة رجل (١٠١) فأتاه كتاب من عياض بن غنم أحد قادة المسلمين يستمده على من بازائه من المتنصرة فسار خالد اليه فكان بازائه بهراء وكلب وغسان تنوخ والضجاعم (١٠٢) بالقرب من دومة الجندل (١٠٣) وأهلها نصاري من كلب، وكانت دومة على رئيسين هما : أكيدر بن عبد الملك (١٠٤) والجودي بن ربيعة فأما أكيدر فلم ير قتال خالد وأشار بصلحه فلم يقبل قومه ذلك فخرج عنهم فلما علم خالد بمسيره أرسل اليه عاصم بن عمرو

= الأزدي : فتوح الشام : ص ٦٨ .

(٩٣) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ٢٥ .

(٩٤) الأزدي : فتوح الشام : ص ٥٦ .

(٩٥) البلاذري : فتوح البلدان : ص ١١٨ .

(٩٦) الواقدي : المصدر السابق : ج ١ ص ١٦ ، الأزدي : المصدر السابق :

ص ٧٦ ، ٧٧ .

(٩٧) الأزدي : نفسه : ص ٧٧ .

(٩٨) ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ٤٣٥ .

(٩٩) البلاذري : فتوح البلدان : ص ١١٨ ، الأزدي فتوح الشام : ص ٦٩ ، ٧٠ .

(١٠٠) ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ١٧٦ .

(١٠١) الأزدي : فتوح الشام : ص ٧٠ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ١٧٠ .

(١٠٢) ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ٢٧٠ .

(١٠٣) ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٤٨٧ - ٤٨٩ .

(١٠٤) عن أكيدر : انظر البلاذري : انساب الاشراف : ج ١ ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ .

معارضاً له فقتله (١٠٥) وأخذ ما كان معه وسار حتى نزل على أهل دومة فجعلها بينه وبين عياض وكان المنتصرة من بهراء وغسان وتنوخ الذين أمدوا أهل دومة من الغرب من الكثرة بحيث لم يحملهم الحصن فلما أطمأن خالد أخرج إليه الجودي جمع ممن عنده من العرب لقتاله وأخرج طائفة أخرى إلى عياض فقاتلهم عياض وهزمهم (١٠٦) وهزم خالد من جاءه منهم وأخذ الجودي بن ربيعة أسيراً وارتد الباقيون إلى الحصن فلما امتلأ بالناس غلقت الأبواب دون أصحابها فبقوا حوله وقتلوا وقتل الجودي والأسرى إلا أسرى كلب فان بنى تميم (١٠٧) قالوا لخالد : « قد أمناهم » وكانوا حلفاءهم فتركهم بعد أن كان قد أنكر عليهم اجارتهم بقوله : « تحفظون أمر الجاهلية وتضيعون أمر الاسلام ! » فقال له عاصم بن عمرو : « لا تحسدهم العافية فيحوذهم الشيطان » (١٠٨) وأخذ حصن دومة الجندل قهراً فقتلت المقاتلة وسبيت الذرية والسرحد (١٠٩) وبيعت الاماء فاشترى خالد ابنة الجودي لنفسه وكانت موصوفة في بنات العرب (١١٠) .

(١٠٥) امر خالد بن الوليد بقتل اكيدر بن عبد الملك لانه سبق ان نقد عهدين للنبي ﷺ أحدهما قبل تبوك والآخر في تبوك وذلك حين ارتد عن الاسلام وامتنع عن أداء الجزية وأصبح يمثل خطراً على جيوش المسلمين المتجهة إلى الشام للفتوحات .

ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ٩٠ ، البلاذري : فتوح البلدان : ص ٧٢ ، ابن سعد : الطبقات : ج ١ ص ٦٩ .

(١٠٦) الطبري : التاريخ : ج ٣ ص ٣٧٨ ، ٣٨٠ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ٢٧١ « و خبر دومة الجندل » .

(١٠٧) هم بنو تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس من العدنانية ، انظر نسب تميم و بطونها .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

(١٠٨) أي لا ترد عليهم جوارهم فيردهم الشيطان عن دينهم .

(١٠٩) ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ٢٧١ .

(١١٠) البلاذري : فتوح البلدان : ص ١١٩ ، الطبري : التاريخ : ج ٣ ص ٣٧٩ ، ٣٨٥ .

بعد أن فتح خالد بن الوليد دومة الجندل أتى قصم (١١١) وأهلها بنو مشجعة من قضاة (١١٢) فصالحوا خالدا وكتب لهم أمانا (١١٣) وفي هذه الأثناء بلغ خالدا أن جمعا لبنى تغلب بن وائل بالمصيخ (١١٤) والحصيد (١١٥) شرق الرصافة هموا بالخروج لقتاله عليهم ربيعة ابن بجير التغلبي فأقسم خالد لبيبتن تغلب في دارها وبأغتهم فأصاب أهل المصيخ من تغلب في مقتل فقتل وسبي (١١٦) ثم اجتمع مع أصحابه بالثني (١١٧) وبيتهم من ثلاثة أوجه ، ولما انهزم الهذيل التغلبي بالمصيخ لحق بعتاب بن فلان وهو بالبشر (١١٨) في عسكر ضخم فبيتهم خالد بغارة شعواء فقتل منهم مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها (١١٩) وبعث بالخبر والخمس الى أبي بكر مع النعمان بن عوف وكانت في الأخماس ابنة مؤذن النمرى وليلى بنت خالد وريحانة بنت الهذيل بن هبيرة والصهباء بنت ربيعة بن بجير التغلبي اشتراها علي بن أبي طالب واتخذها لنفسه فولدت له عمر ورقية (١٢٠) *

(١١١) قصم موضع بالبادية قرب الشام من نواحي العراق مر به خالد بن الوليد لما سار من العراق الى الشام وصالحه بنو مشجعة بن التيم بن التمر بن وبرة من قضاة ثم أتى منه الى تدمر *

ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ٢٦٥ *

(١١٢) هم بنو مشجعة بن التيم بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة *

ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٥٥ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٢٧٦ *

(١١٣) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١١٩ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ٢٨١ . جاء في هذا الأمان « بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب خالد بن الوليد لبنى مشجعة أن لهم ساقية قسم عذبيها وسقيها وجلدها - أي عامرها - من شرقها وأن لأهل الغوطة من غربها *

الأزدى : فتوح الشام : ص ٧٦ *

(١١٤) يقال له مصيخ بنى البرشا وهو بين حوران والقلت *

ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ١٤٤ *

(١١٥) الحصيد : موضع في أطراف العراق من جهة الجزيرة *

ياقوت : المصدر السابق : ج ٢ ص ٢٦٦ ، ٢٦٧ *

(١١٦) ابن اعثم : التتوح : ج ١ ص ١١١ ، الطبري : التاريخ : ج ٣ ص ٢٨١ *

(١١٧) ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٨٦ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٢ *

هامش ٢ *

(١١٨) اسم جبل بأرض الشام *

ياقوت : المصدر السابق : ج ١ ص ٤٢٦ *

(١١٩) ابن اعثم : الفتوح : ج ١ ص ١١ ، الطبري : التاريخ : ج ٣ ص ٢٨٣ *

(١٢٠) البلاذري : فتوح البلدان : ص ١١٨ ، الأزدى : فتوح الشام : ص ٧٢ *

ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ٢٧٣ *

وكان خالد بن الوليد لما ركب الأرض القفرة الموحشة في بادية السماوة (١٢١) بين العراق والشام المحروقة بالمغازة كان دليله فيها رافع بن عميرة الطائي (١٢٢) فلما قطع منها شوطا أغار على قراقر وهي جماعة من كلب ثم فوز من قراقر الى سوى (١٢٣) وهي ماء عليه بهراء (١٢٤) من قضاة فصيحهم خالد وهم مجتمعون يتفنون (١٢٥) ويشربون الخمر في جفنة اجتمعوا اليها فكبسهم المسلمون وقتل كبيرهم حرقوص بن النعمان البهرائي وأخذت أموالهم ، ثم سار خالد فأتى مرج راهط (١٢٦) فأغار على نسيان (١٢٧) في يوم فصيحهم فقتل منهم

(١٢١) ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٢٤٥ .

(١٢٢) ذو الذي قال فيه الشاعر :

الله در نافع أنه أهتــدى فوز من قراقر الى سوى

أرض اذا ما اجتازها الجن بكى ما اجتازها قبلك من انس يرى

البلاذري : فتوح البلدان : ص ١١٨ . الأزدي : فتوح الشام ص ٧٣ ، هامش ١ .

الطبري : التاريخ : ج ٢ ص ٤١٦ .

(١٢٣) قراقر : مواضع ببادية السماوة .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ٣١٧ ، ٣١٨ .

فوز أي اجتار المفازة وهي الأرض القاحلة القفر .

الفيروز آبادي : القاموس : مادة فوز .

(١٢٤) هم بنو بهراء بن عمر بن الحافى بن قضاة ، ومن بطونهم أهود وقاسط

وعبيده ومراة ومبشر وعدى أهم تكمة بنت مر بالنسبة اليهم بهرائي أو بهراوى

ومذهم المقداد بن الأسود صاحب النبي ﷺ .

الأصفهاني : الأغاني ج ١١ ص ٢٦ ، الطبري : التاريخ : ج ٢ ص ١٠٧ ،

ج ٤ ص ٢٢ ، الزبيرى : تاج العروس : ج ٢ ص ٦٣ ، ابن حزم : الجمرة : ص ٤٤١ ،

القلقشندي : نهاية الأرب : ص ١٧٢ ، أحمد لطفى السيد : قبائل العرب : ج ١ ص ٥١ .

كحالة : معجم قبائل العرب : ج ١ ص ١١٠ .

(١٢٥) كان مغنى البهرائيين يقول :

الا عللانى قبل جيش أبى بكر لعل منايانا قريب ولا ندرى

الا عللانى بالزجاج وكـررا على كميت اللون صافية تجرى

الا عللانى من سـلالة قهـرة تعللى هموم النفس من جيد الخمر

أظن خيول المسلمين وخالدا ستطرقكم قبل الصباح من البشر

فهل لكم فى السير قبل قتالهم وقبل خروج المعمرات من الخدر

البلاذري : فتوح البلدان : ص ١١٨ ، الأزدي : فتوح الشام ص ٧٣ ، هامش ١ .

الصفحة نفسها ، الطبري : التاريخ ج ٣ ص ٢٨١ ، ص ٤١٥ ، ٤١٦ ، ابن الأثير : الكامل :

ج ٢ ص ٢٨٠ .

(١٢٦) موضع فى الغوطة شرق دمشق بعد مرج عنراء وهو من أشهر المروج فى

الشعر الأموى للحرب التى وقعت بين القيسية واليمينية وما صاحبها من أهوال .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ٢١٣ ، ٢٢ ، ج ٥ ص ١٠١ .

(١٢٧) الطبري : التاريخ : ج ٣ ص ٤١٧ .

وسبى (١٢٨) ، وقد ذكر أبو الخزرج الغساني أن أمه كانت فى ذلك السبى فلما رأت دين المسلمين وهديتهم وصلاتهم وأنه لم يلحقها أذى فى أسرها وقع الاسلام فى قلبهم وأسلمت فطلبها أبوه فى السبى وعرفها فأتى المسلمين وقال : يا أهل الاسلام انى أخوكم وأنا رجل مسلم وقد جئتم مسلما وهذه امرأتى وقد أصبتموها فان رأيتم أن تصلونى وترعوا حقى وتحفظونى وتردوا على أهلى فعلتم . فقال لها المسلمون : ما تقولين فى زوجك وقد جاء يطلبك وهو مسلم . قالت ان كان مسلما رجعت اليه والا فلا حاجة لى فيه فردوها عليه (١٢٩) .

فى وقعة أجنادين أبلى المسلمون بلاء حسنا وبرزت منهم قبائل حمير التى قاتلت بشجاعة منقطعة النظير وقتل فيها من المسلمين مائة وثلاثون رجلا منهم سيف بن عباد ونوفل بن دارم والأهب بن شداد والباقون من اليمين والمدينة (١٣٠) وفى أعقاب هذه المعركة حضر خالد بن العاص - لما علم باستشهاد ابنه سعيد - مع سرية من ثلثمائة رجل من فرسان حمير ليغزو معهم وفيهم ذو الكلاع الحميرى يشجع أصحابه ويقول يا أهل حمير أبواب الجنة فتحت والخور العين قد تزخرت فظفروا بمجموعة من أنباط الشام فى خدمة الروم فقتلوا منهم ثلاثين رجلا وأسروا أربعة (١٣١) .

بعد وقعة أجنادين وانتصار المسلمين فيها وصل الخبر الى المدينة وأعلم به الخليفة أبو بكر الناس فما تمت أيام قلائل حتى جاء جمع من اليمن عليهم عمرو بن معد يكرب الزبيدى فى قومه من زبيد (١٣٢)

(١٢٨) : فتوح الشام : ص ٨٢ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ٢٨١ .

(١٢٩) الأزدى : فتوح الشام : ص ٨٣ .

(١٣٠) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٨ .

(١٣١) الواقدي : المصدر السابق : ج ١ ص ١٨ .

(١٣٢) هم بنو زبيد بن صعيب بن سعد العشيرة بن منجج من قحطان ، وكان له من الولد ربيعة ومازن والحارث ، ومن الحارث عمرو بن معد يكرب بن عبد الله بن عمرو بن زبيد بن صعيب فارس العرب المشهور فى زمانه ، وأخته ريحانة بنت معد يكرب أم دريد وعبد الله ابنى العمة الجشميين ومنهم قحمية بن جزر بن عبد يغوث بن ربيعة الزبيدى صاحب بدرى ولاء النبى ﷺ الأخماس والغنائم يوم بدر وهو حليف لبني جمح ، زوج النبى ﷺ ابنته من الفضل بن عباس فولدت له أم كلثوم بنت الفضل تزوجها أبو موسى الأشعرى .

ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٢ ص ٨١ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤١١ ، ٤١٢ ، ابن منظور : لسان العرب : ج ٤ ص ١٧٧ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٢٤٧ ، أبو الفداء : المختصر : ج ١ ص ١٠٨ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، كحالة ، معجم قبائل العرب : ج ٢ ص ٤٦٥ .

يريدون الشام فما لبثوا حتى أقبل مالك بن الأشتر النخعي في أهله من النخع (١٣٣) فنزل عند الامام علي وكان مالك يحب عليا وفد شهد معه الوقائع كلها فيما بعد وكان قصده الخروج مع الناس الى الشام واتجه الجميع بقبائلهم شمالا للانضمام الى جيوش الفتح (١٣٤) .

ثانيا : قبائل غسان المنتصرة وجيلة بن الأيهم في معارك الفتح .

لما وصل المسلمون الى الشام لفتحه كانت قبيلة غسان من أزد اليمن زعيمة القبائل العربية بالشام وقتئذ ، وكان عليهم جيلة بن الأيهم الغساني آخر ملوكهم (١٣٥) الذي شهد الوقائع كلها وكان له دور كبير فيها . وكان الحديث الى جيلة وغسان بمثابة الحديث الى قبائل عرب الشام بأجمعها متنصريها ووثنييها ، فلما جاء المسلمون الى الشام أرادوا استقطاب بني عمومته من غسان وسائر المنتصرة وغيرهم لاحداث شرخ في جبهة الروم يستهلون به معاركهم ، ومن ثم كان أول اتصال للمسلمين بغسان في معارك الفتح ، فلما قدم أبو عبيدة بن الجراح الى الشام في جيوش المسلمين وحضر اليه عمرو بن العاص في أصحابه كان جيلة بن الأيهم الغساني في ذلك الوقت ينزل بالغوطة من أرض دمشق (١٣٦) في أربعين ألفا من العرب المنتصرة بالحيل والعدد والسلاح والزينة فدعا أبو عبيدة هشام بن العاص أخو عمرو وضم اليه جماعة من المسلمين من أهل الدين والحسب وبعث بهم الى جيلة (١٣٧) لدعوته الى الاسلام أو نصرته بني عمومته وأهله من اليمن أو حتى اعتزال الحرب والتخلي عن الروم تحسبا لمن يكون له النصر .

سار القوم حتى أتوا الغوطة من أرض دمشق ووصلوا الى باب جيلة واستأذنوا عليه فأذن لهم فدخلوا عليه في مجلس له مزخرف فاذا هو على فرش له مرتفعة وعلى يمينه كراسي الذهب والفضة عليها ملوك

(١٣٣) النخع بطن من مالك بن أدد من القحطانية .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٤١٤ ، ٤١٥ .

(١٣٤) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ٦٨ .

(١٣٥) هو جيلة بن الأيهم بن جيلة بن الحارث الأعرج بن جيلة بن الحارث الأكبر

ابن ثعلبة بن عمرو بن جفنة ابن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء وكنيته جيلة ابو المنذر

الغساني الجفني وهو آخر ملوك غسان وملك نصارى العرب جميعا بالشام أيام هرقل .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٧٢ ، العوتبي : الأنساب : ج ٢ ص ٥٥ ، ٥٦ ، ابن

كثير : البداية والنهاية : ج ٨ ، ص ٦٨ .

(١٣٦) ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ٢١٩ .

(١٣٧) ابن اعثم : الفتوح : ج ١ ص ١٠٢ .

اليمن عليهم الديباج المنسوج وعلى رؤوسهم العمائم وقد اعتجروا بها على زى العرب والمجلس مفروش بالديباج الأسود وجبلة يرتدى ثيابا سود ويضع تاجا على رأسه ، فلما رأى المسلمين أوماً اليهم أن اجلسوا فجلسوا بعيدا عنه واذا رسول جبلة قد أقبل اليهم وقال : يقول الملك ما حاجتكم ؟ فقال هشام للرسول : ارجع اليه وقل له ان أردت كلامنا فانزل عن فرشك وكلمنا (١٣٨) فانطلق اليه الرسول وخبره بذلك فتذكر جبلة أصله العربى وعادات العرب ونزل عن فرشه المرتفع الذى كان يجلس عليه وجلس على فرش دونها وأشار الى وفد المسلمين بالتقدم فتقدموا وجلسوا قريبا منه فكلمه هشام بن العاص ودعاه الى الاسلام ورغبه فيه وقرأ عليه من كتاب الله وخبره بأمر الجنة والنار فأبى جبلة ذلك ونفر من الاسلام ، فقال له هشام : وقد أبيت ما دعوناك اليه فاني مسألك . فقال : سل عما بدالك . فقال هشام : ما هذه الثياب السود التى أراها عليك ؟ قال جبلة انى ليستها نذرا على أن لا أنزعها حتى أخرجكم من الشام (١٣٩) . فتبسم هشام وقال : انك والله لن تقدر أن تمنع مجلسك هذا منا ووالله لناخذنه ولناخذن ملك الملك الأعظم « يقصد هرقل » وبذلك خبرنا نبينا الصادق « عليه الصلاة والسلام » ، قال جبلة : فربما تدعون أنكم السمراء . قال هشام : وما السمراء ؟ قال جبلة : السمراء قوم نجدهم فى الانجيل يصومون النهار ويقومون الليل يأمرؤن بالمعروف وينهون عن المنكر ، يفتحون من المشرق الى المغرب ، قال هشام : نحن والله ، أولئك الموصوفون (١٤٠) . فقال جبلة : الى بعثتم أم الى الملك الأعظم ؟ فقال هشام : بعثنا اليك واليه . قال : فسيروا اذن اليه فان أجابكم الى ما تريدون أجبتكم ولم أتأب عليكم (١٤١) ، وأبى جبلة أن يدخل الاسلام لأنه كان وسائر عرب الشام تابع للروم ولم يكن جبلة ملكا الا على قومه وسائر المنتصرة ولم يكن له مع الروم قول اذا قالوا .

وكما فعل العرب فى محاولة اتخاذ جبلة وقومه من غسان أداة لتحقيق أهدافهم فى هزيمة الروم فعل الروم ذلك أيضا فجعلوا جبلة حلقة الاتصال بينهم وبين المسلمين لردهم عن الشام بأقل ما يمكنهم من الخسائر ، فلما فشلت المفاوضات بين جريجورى وأبو عبيدة بن الجراح قبل اليرموك فى رجوع العرب عن الشام (١٤٢) أراد الروم أن يستعملوا الحيلة فى ذلك تجنباً لاراقة الدماء وخشية الصدام بالعرب المتحمسين ما أمكنهم ذلك .

(١٣٨) ابن اعثم : المصدر السابق : ج ١ ص ١٠٣ .

(١٣٩) ابن اعثم : نفسه : ج ١ ص ١٠٣ .

(١٤٠) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٦٩ .

(١٤١) ابن اعثم : نفسه : ج ١ ص ١٠٣ .

(١٤٢) عن هذه المفاوضات انظر : الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٦٥ .

فقال ماهان لجريجورى ابعت اليهم بعض العرب المنتصرة فان العسرب
يتنيل بعضهم الى بعض فدعا ماهان بجيلة بن الأيهم القسائى وقال له :
يا جيلة اخرج الى هؤلاء العرب وخوفهم من كثرتنا وتواتر عددنا والى فى
قلوبهم الرعب واحط بهم مكرك (١٤٣) .

خرج جيلة بن الأيهم وسار حتى قرب من عساكر المسلمين ونادى
يا معشر العرب ليخرج الى رجل من ولد عمرو بن عامر « يقصد من الأزد »
لأخاطبه بما أرسلت به . فلما سمع أبو عبيدة كلام جيلة بن الأيهم قال :
يبعث اليكم القوم بأبناء جنتكم يريدون الخديعة بضلة الرحم والقراية
فابهموا اليه رجلا من الأنصار من ولد عمرو بن عامر فأسرع اليه بالخروج
عبادة بن الصامت الخزرجى (١٤٤) فقال له جيلة : يا فتى من أى الناس
أنت قال عبادة : أنا من ولد عمرو بن عامر قال جيلة : حيث فمن أنت ؟
قال عبادة : صاحب رسول الله ﷺ فاسألك عما تريد : قال جيلة :
يا بن العم انما خرجت اليكم لأنى أعلم أن أكثركم من الرحم والقراية -
« مشيرا الى أن معظم جيوش الفتى من اليمن » - فخرجت اليكم ناصحا
مستورا : فهؤلاء القوم الذين نزلوا بازائكم معهم بخود لا قبيل لكم بها
وخلفهم عساكر وحصون وقلاع وأموال ، ولا تقولوا كثرنا وهزمنا عساكر
الروم واعلم ان الحسرب دولا وسجلا (١٤٥) وان هزمكم هؤلاء القوم
لا يكون لكم ملجأ غير الموت ، وهؤلاء القوم ان هزموا يرجعون الى بلادهم
وعسكرهم والخزائن والحصون ، وما قد نلتهم من نيل فخذوه وامضوا الى
بلادكم سنالمين .

وظل جيلة ملك غسان وكبيرهم يهملد ويتوعده ويمنى ويرغب
لصرف المسلمين عن الشام وأهله ، ولكن الأخيرين كانوا قد خرجوا لبلوغ
هدف ولا محيص عن بلوغه . فقال عبادة بن الصامت لجيلة بن الأيهم
زعيم المنتصرة ومنذوب الروم للتفاوض مع المسلمين للرحيل عن الشام :
أما علمت يا جيلة ما لقيت جموعكم بأجنادين وغيرها وكيف نصرنا الله
عليكم وهرب طاغييتكم ونحن على علم بمن بقى من جموعكم وقد تيسر علينا

(١٤٣) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٦٨ .

(١٤٤) هو عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم من ولد فهر بن ثعلبة بن قوقل بن عوف
من الخزرج بن حارثة من العرب القحطانية .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٥٤ ، البلاذرى : انساب الاشراف : ج ١ ص ٢٣٩ .
٢٥١ ، ٢٧٩ .

(١٤٥) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٦٨ .

أمره ولا نخاف ممن يقدم علينا وقد ولغنا (١٤٦) في الدماء فلم نجد أحداً من دماء الروم (١٤٧) وندعوك يا جبلة إلى دين الإسلام وأن تدخل مع قومك في ديننا وتكون على شرفت في الدنيا والآخرة ولا تكون تابعاً علجاً من علوج الروم تفديه بنفسك من المهالك وأنت رجل من سادات العرب وملوكهم وإن ديننا ظهر أولاً وآخره يظهر كما ظهر أولاً فاتبع سبيل من أناب إلى الحق وصدق به . فغضب جبلة من كلام عبادة وقال له : لست مفارقاً ديني ، فتهدده عبادة بالإبتعاد عن مناصرة الروم لصللة الرحم وقال له : فإن أبييت إلا ماأنت عليه من الكفر فاياك أن تلقاني في الموعد الأول فإن لنا وقعة عظيمة فإن أخذتك أشفار (١٤٨) سيوفنا فلا تخلص من شفارها ودعنا وعساكر الروم فهم أهون علينا فإن أبييت إلا ما أنت عليه حل بك ما حل بهم (١٤٩) ، قال جبلة تخوفني من سيوفكم ونحن عرب مثلكم رجل لرجل . قال عبادة قد علمنا أنك إنما خرجت إلينا مخادعاً ولعدونا معيناً ولسننا كائنتم فنحن على قلتنا نوحده ربنا ونتبع سنة نبينا وإن وراءنا عسكراً يعلو الأقطار ويسد البقار فقال جبلة : لست أعرف وراءكم جيشاً غير هذا الجيش ولا من ينصركم فقال له عبادة : كذبت والله يا ابن الأيهم في قولك وإن وراءنا رجالاً أنجاداً وأبطالاً شداداً يرون الموت مغنماً والحياة مغرماً كل واحد بنفسه يلقي جيشاً حافلاً (١٥٠) ، أنسيت عليا وسظوته وعمر وشذته وعثمان وبراعته والعباس وطلعته مع ما يجتمع إليهم من فرسان المسلمين من مكة والطائف واليمن . فلما سمع جبلة ذلك من كلام عبادة قال يا ابن العم إنما خرجت لا أريد سوى النصيحة لكم فإن أبيتم ذلك فاسأل قومك يجيبونا الصلح فقال عبادة لا صلح بيننا إلا بأداء الجزية أو الإسلام أو السيف وهو حكم بيننا وبينكم والله لولا أن الغدر يقبح بنا لعلوتك بسيفي هذا (١٥١) .

لما سمع جبلة كلام عبادة لم يجد عنده جواباً إلا أن ثنى رأس جواده وأتى ماهان فزعا مرعوباً فقال له : أيها الملك اني خوفت وأرعبت ومنييت فكان ذلك عندهم بالسواء وقالوا : ما بيننا إلا الحرب والقتال . فقال له

(١٤٦) ولغنا في الدماء أي أهرقناها وخضنا فيها ، والأصل من (ولغ) الكلب في الاناء يلغ ولو غا أي شرب ما فيه بأطراف لسانه واللفظ هنا مستعار والمقصود ذقتاها .
الرازي مختار الصحاح : من ٧٢٥ ، ٧٢٦ « مادة ولغ » .
(١٤٧) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٦٨ ، ابن اعثم : الفتوح ج ١ ص ١٠٢ .
(١٤٨) أشفار : مفردتها « شفر » وهو حد السكين أو السيف .
الفيروز أبادي : القاموس : مادة شفر ، الرازي : مختار الصحاح : من ٣٤١ مادة شفر .

(١٤٩) الواقدي : المصدر السابق : ج ١ ص ١٦٨ .
(١٥٠) الواقدي : نفسه : ج ١ ص ١٦٩ ، ابن قتيبة : المعارف : من ٢٨١ .
(١٥١) الواقدي : نفسه : ج ١ ص ١٦٩ ، الأصفهاني : الأغاني : ج ٤ ص ٢١ .

ماهان : فما هذا الفزع الذي أراه في وجهك وهم عرب مثلكم وأنتم عرب
مثلهم وقد بلغني أنهم ثلاثون ألف فارس وأنتم ستون ألفا ، أما يقاتل
الرجال منكم الواحد منهم ؟! فسر أيت وأبناء عمك من العرب المنتصرة
الى قتالهم وأنا وراءكم فان ظفرتهم بهم كان الملك مشتركا بيننا وبينكم
وتكون أقرب الناس إلينا ويسلم اليكم ما فتحه العرب من بلاد
الشام (١٥٢) .

وهكذا بعد أن كان الروم يأمرؤن قبائل عرب الشام بالشىء
فيفعلونه جعل ماهان يرغب جبلة في العطاء ويلينه ويحرضه على قتال
المسلمين حتى أجابه الى ذلك وأخبر به قومه من عسان وبني عمه من لخم
وجذام وغيرهم من العرب المنتصرة وأمرهم بأخذ الأهبة للحرب والقتال
ف فعل القوم ذلك وركبوا في سابع الحديد والزرذ وهم ستون ألف فارس
ما يخالطهم من غير العرب أحد يقدمهم جبلة بن الأيهم وعليه درع من
الذهب الأحمر متقلدا بسيف من عمل الثبابعة وعلي رأسه الراية التي
عقد لها الملك هرقل فسار حتى أشرف على المسلمين في ستين ألف فارس
من العرب المنتصرة (١٥٣) وبينما أبو عبيدة يتحدث مع عبادة بن الصامت
بما جرى بينه وبين جبلة اذ طلع عليهم القوم فلما رأهم المسلمون صاح
بعضهم على بعض : يا معاشر المسلمين قد أقبلت عليكم العرب المنتصرة
لقتالكم فما أنتم فاعلون ؟ قالوا : نقاتلهم ونرجو من الله تعالى الظهور
عليهم (١٥٤) ، وهموا بالحملة فصاح عليهم خالد بن الوليد ألا يعجلوا
حتى يكيدهم بمكيده فان الحرب خدعة ودماء المسلمين عزيزة وما زالت
المعارك في بدايتها والروم يتربصون ، قال خالد لأبي عبيدة : ان القوم
قد استعانوا علينا بالعرب المنتصرة وهم أضعاف عددنا ونحن ان قاتلناهم
بجمعنا كله كان وهنا علينا وضعفا لما بعده وأريد أن نبعث لهم رسولا من
بنى عمهم يكلمهم في شأن ردهم عنا فان فعلوا كان ذلك كسرا لهم
وللروم وان أبوا الا الحرب خرج منا نفر يسير يردونهم على أعقابهم بقوة
الايمان الذي وقر في قلوبهم . فتعجب أبو عبيدة من كلامه وقال له افعل
ما تريد (١٥٥) .

(١٥٢) الواقدي : نفسه : ج ١ ص ١٦٩ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٦

ص ١٨٧ .

(١٥٣) البلاذري : فتوح البلدان : ص ١٤٠ .

(١٥٤) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٧٠ ، ابن اعثم : الفتوح : ج ١ ص ١٠٣ .

(١٥٥) الواقدي : نفسه : ج ١ ص ١٧٠ .

وعند ذلك دعا خالد بن الوليد بقيس بن ثعلبة الخزرجي (١٥٦) وعبادة بن الصامت الخزرجي وجابر بن عبد الله وأبي أيوب بن خالد بن يزيد فلما حضروا إليه قال لهم : يا أنصار الله ورسوله : هؤلاء العرب المنتصرة يريدون قتالكم وهم غسان ولحم وجذام وهم بنو عمكم في النسب فأخرجوا إليهم وخاطبهم واجتهدوا في ردهم عن حربكم وقتالكم فان فعلوا ذلك والا أخذهم السيف منا ومنكم وكنا لقتالهم كفؤا ، فخرج الرسل الى العرب المنتصرة فوجدوا جبلة بن الأيهم قد نزل بإزاء المسلمين يريد حربهم وقتالهم فلما قاربوا من بني غسان نادى جابر بن عبد الله يا معاشر العرب من لحم وجذام وغسان اننا بنو عمكم ونريد الدنو منكم فأذن لهم جبلة فدخلوا عليه (١٥٧) فاذا هو مضرب في الديباج متفرش بالحرير الأصفر جالسا وحوله ملوك جفنة فحيوه بتحية الملوك العرب فرفع جبلة أقدارهم وأدنى مزارهم وقال : يا بني العم أتنتم من الرحم ومن القرابة واني خرجت اليكم من جهة هذا الجيش الذي يرهقكم فخرج الى رجل منكم أفرط على في المقال فما الذي جاء بكم ؟ فكان أول ما كلمه جابر بن عبد الله (١٥٨) وقال : يا ابن العم : لا تؤاخذنا فيما تكلم به صاحبنا فان ديننا لا يقوم الا بالحق والنصيحة وان النصيحة لك مننا واجبة لأنك ذو قرابة ورحم وقد أتينا اليك ندعوك الى دين الاسلام وتكون من أهل ملثنا ويكون لك ما لنا وعليك ما علينا فان ديننا شريف فقال جبلة : ما أحب ذلك ولا غيره لأنني ضنين بديني وأنتم يا معاشر الأوس والخزرج رضيتم لأنفسكم أمرا ونحن رضيينا لأنفسنا أمرا (١٥٩) . فقال له الأنصاري ان كنت لا تحب أن تفارق دينك الذي أنت عليه فاعتزل عن قتالنا لتنظر لمن تكون العاقبة والغلبة فان كانت لنا وأردت الدخول في ديننا قبلناك وكنت منا وأخانا وان أقيمت على دينك قنعنا منك بالجزية وأقررناك على بلدك وعلى موطن آبائك وأجدادك ، فقال جبلة : أخشى ان تركت حربكم وقتالكم وكانت الدائرة للقوم لا آمن أن يتقوا على بلدي لأن الروم لا ترضى مني الا أن أكون مقاتلا لكم وقد رأسوني على جميع

(١٥٦) من ولد طريف بن الخزرج بن ساعدة .

البلاذري : أنساب الأشراف : ج ١ ص ٢٢١ .

(١٥٧) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٧٠ ، ابن خلدون : العبر : ج ٢

ص ٢٨١ .

(١٥٨) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي مات سنة ثلاث وسبعين وهو

ابن أربع وتسعين سنة وصلى عليه اباان بن عثمان والي المدينة في ذلك الوقت .

البلاذري : أنساب الأشراف : ج ١ ص ٢٤٨ .

(١٥٩) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٧٠ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ١

ص ١٠٢ .

العرب بالشام وأنا لو دخلت في دينكم كنت ديني لا أتبع (١٦٠) ، فقال الأنصاري : فان أبيت ما عرضناه عليك وظفرنا بك قتلناك فاعتزل عنا وعن سيوفنا فتكون الواقعة بفكر أحب إلينا من الواقعة بك وبمن معك ، وكان الأنصار يريدون بهذا الكلام تخويله وترغيبه كي ينصرف عنهم وجبله يابى ذلك وقال لهم : وحق المسيح والصليب لا بد أن أقاتل عن الروم ، ولو كان جميع الأهل والقرابة فقال له قيس بن ثعلبة : يا جبله أبيت إلا أن يحتوى الشيطان على قلبك فيهوى بك في النار فتكون من الهالكين وإنما آتيناك لندعوك إلى دين الإسلام لأن رحمك متصلة برحمنا ، فان أبيت فستعاني منا حربا شديدة يشيب فيه الطفل الصغير ، ثم وثب قيس بن ثعلبة وقال لقومه : انهضوا على بركة الله ومضيا إلى أبي عبيدة وخالد بن الوليد وأعلموهما بمقولة جبله وموقفه وأنه ما يريد إلا القتال فقال خالد : أبعد الله تعالى فوعيش عاش فيه رسول الله ﷺ ، لينظرون جبله منا ما ينظر (١٦١) .

خطب خالد بن الوليد في القوم ملخصا خطته في مواجهة متنصرة العرب قال : اعلموا معاشر المسلمين أن القوم في ستين ألف فارس من المتنصرة وهم حزب الشيطان ونحن ثلاثون ألف فارس من حزب الرحمن ونريد أن نلقى هذا الجمع الكبير فان قاتلنا جبله بجمعنا كله كان ضعفا لنا ولما نحن مقدمون عليه ولكن ينتدب منا أبطال أنجاد ورجال أشداء مشهور لهم بالبراعة والكفاءة لقتال هؤلاء العرب المتنصرة فان هزموا فلت شوكة الروم ، واختار خالد بن الوليد جمعا من جيشه من أشداء القبائل معظمهم من أزد اليمن والأنصار لأنهم أعلم الناس بقتال قومهم من أزد غسان ومن الأهم من قضاة (١٦٢) ، ومشى خالد بن الوليد بنفسه بين القوم مناديا عليهم كل باسمه فقال : أين عمرو التميمي ؟ أين شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله ؟ أين خالد بن سبيد بن الحصاص ؟ أين يزيد بن أبي سفيان ؟ أين صفوان بن أمية الجمحي ؟ أين سهل بن عمرو العامري ؟ أين ضرار بن الأزور الكندي ؟ أين رافع بن عميرة الطائي ؟ أين زيد الخيل أبيض الركابين ؟ أين حذيفة بن اليمان ؟ أين قيس بن سعد ؟ أين كعب ابن مالك الأنصاري ؟ أين سويد بن عمرو الغنوي ؟ أين أبو أبوب الأنصاري ؟ أين عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ؟ وصار يختار من القوم الواحد تلو الآخر فأخرج منهم بالاضافة إلى ما سبق : عبد الله بن عمر

(١٦٠) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٧١ .

(١٦١) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٧١ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ١ ص

١٠٢ .

(١٦٢) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٧١ ، البلاذري : فتوح البلدان :

ص ١٤٢ .

ابن الخطاب ورافع بن شهيل ويزيد بن عامر وعبيد بن أوش ومالك بن نصر ونصر بن الحرث وأبو لبابة بن المنذر وعبادة بن عبد الله الأنصاري ورافع بن عجرة وعبيد بن عبد الله ومعقب بن قيس وأسميد الساعدي وكلال بن الحرث المازني (١٦٣) . وصار خالد يختار مقاتليه فردا فردا وكأنه يريد أن يكون جيشا فدائيا حريصا على الموت حرصه على الحياة .

لما انتهى خالد من ذلك خطب في الجمع محمسا ومرشدا قال : « ان كان لكم صبر وأيدكم الله بنصره مع صبركم وهزمتهم هؤلاء العرب المنتصرة فاعلموا أنكم لجيش الروم غالبون لأنكم ان هزمتهم هؤلاء العرب وقع الرعب في قلوبهم فينقلبوا خاسرين » وقال لهم الأمير أبو عبيدة بن الجراح : « تأهبوا رحمكم الله وخذوا أسلحتكم وعدتكم وليكن قتالكم بالسيف والحجف عليها تدور دوائر الحرب ، واركبوا خيولكم السبق التواجي ولا يركب الرجل منكم الا جواده الذي يصبر به » ولم يناموا ليلتهم وباتوا في بكاء وتضرع وهم يسألون الله تعالى النصر على الأعداء (١٦٤) الى أن أصبح الصباح فصلى بهم الأمير أبو عبيدة صلاة الفجر فلما فرغ من صلاته كان أول من أسرع الى الخروج خالد بن الوليد (١٦٥) وتبعه الناس .

نظرت العرب المنتصرة الى أصحاب النبي ﷺ وقد أقبلوا نحوهم فصاح جبلة بالعرب المنتصرة وحرصهم ليرهب المسلمين ونادى يا آل غسان أسرعوا الى نصره الصليب وقاتلوا من كفر به . فبادروا بالاجابة وأخذوا أهبة الحرب ورفعوا الصليب واصطفوا للقتال وقد طلعت الشمس على لامة الحرب فلمع شعاعها على الحديد والزررد والبيض فصارت كأنها شغل النار (١٦٦) ووقفوا يبصرون ما يصنع المسلمون الى أن قاربوا صليبان العرب المنتصرة ونادى خالد بن الوليد يا عبدة الصليبان وأعداء الرحمن هلموا الى الخرب والطعان فلما سمع جبلة كلام خالد خرج من بين أصحابه

(١٦٣) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٧١ ، ابن اعثم : الفتوح : ج ١ ص ١٠٣ .

(١٦٤) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٧٢ ، البكري : تاريخ الخميس : ج ٢ ص ٦١ .

(١٦٥) كان خالد يرتجز ويقول : عندما خرج :

هبوا جميع اخوتي ارواحا نحو العدو نبتغي الكفاحا

نرجو بذلك الفوز والنجاحا اذا بذلنا دونه ارواحا

ويرزق الله لنا صلاحا في نصرنا العدو والرواحا

الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٧٢

(١٦٦) الواقدي : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٧٤ .

وقد اشتمل بلأمة حربه وهو يقول (١٦٧) . من الصائح والمستنهض
لينا في قتالنا فقال خالد بن الوليد : أنا ابن الوليد فأخرج الى حومة
الحرب ، فقال جبلة : نحن قد رتبنا أمورنا لحربكم وقتالكم وأنتم تتربصون
عن قتالنا فواحق المسيح لا أجبناكم الى الصلح أبدا فارجعوا الى قومكم
وأخبروهم أننا ما نريد الا القتال ، فأظهر خالد التعجب من قوله وقال
له يا جبلة أتظن أننا خرجنا رسلا اليك !! فقال جبلة : أجل . فقال له
خالد : ليس الأمر كما تظن فوالله ما خرجنا الا لحربكم وقتالكم فان قلت
أننا شرذمة فان الله ينصرنا عليكم . فقال جبلة : لقد غررت بنفسك وبقولك
اذ خرجت الى قتالنا ونحن سادات غسان ولحم وجذام فقال خالد : لا تظن
ذلك فرجل منا بمائة منكم ووراءنا رجال الحرب اليهم أشهى من العطشان
الى الماء البارد . قال جبلة : يا أخا بنى مخزوم لقد كنت أفضلك في
عقلك وأروم بك مرام الأبطال حتى سمعت منك هذا الكلام فنحن سادات
غسان وأبطال الزمان ها أنا أحمل فلا يبقى منكم أحد . ثم صاح جبلة
بقومه يا آل غسان الحملة .

ووقعت الحرب وحمى وطيسها فلما انتصف النهار حمل أبو عبيدة
يمن معه واذا العرب المنتصرة منهزمين (١٦٨) وقتل منهم جمع غفير يذكر
الواقدي أنه « خمسة آلاف قتيل وكيران من كبرائهم هما رفاعة بن مطعم
الغساني وشداد بن الأوس واستشهد من المسلمين عشرة رجال منهم :
جعفر بن المسيب وقيس بن عامر ورجل يدعى راعلة واثنان من الأنصار
هما عامر الأوسي وسلمة الحزرجي وأسر خمسة رجال هم : رافع بن عميرة
الطائي وربيع بن عامر وضرار بن الأزور وعاصم بن عمرو ويزيد بن أبي
سفيان وعظم ذلك على المسلمين فقال خالد بن الوليد : معاشر المسلمين
لقد بذلت مهجتي أقتل في سبيل الله تعالى فلم أرزق الشهادة فمن قتل
من المسلمين كان أجله قد حضر ومن أسر كان خلاصه على يدي ان شاء
الله (١٦٩) ، وباتت عامة الفرسان في فرح وسرور وبات الروم في نوح
عظيم حين كسرت حامية عسكريهم من العرب المنتصرة ولكن أصحاب النبي
ﷺ اغتموا لأسر إخوانهم وكان أكثرهم غما أبو عبيدة بن الجراح .

(١٦٧) قال جبلة يرتجز ردا على خالد بن الوليد :

أنا لمن عبدوا الصليب ومن به نسطو على من عابنا بفعالنا
ولقد علونا بالمسيح وأمه والحرب تعلم أنها ميراثنا
أنا خرجنا والصليب أمامنا حتى تبددكم سيوف رجالنا

الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٧٤ .

(١٦٨) الواقدي : المصدر كسابق : ج ١ ص ١٧٥ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ١

ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

(١٦٩) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٧٦ .

ولما مثل الخمسة الذين أسروا بين يدي ماهان الأرمني قائد جيوش الروم استحقق شأنهم وقال لنبلة : من هؤلاء ؟ فقال مهولا له الأمر لينال عنده اللحظة : أيها الملك هؤلاء قوم من جيش المسلمين كانوا سبب قتل أكثرهم وأسرت هؤلاء وما بقي في عسكرهم من تخاف غائلته إلا رجل واحد هو الذي يثبتهم ويرمي بهم كل المرامي (١٧٠) وهو الذي فتح أرك (١٧١) وتدمر (١٧٢) وحوران وبصري (١٧٣) ودمشق وهو الذي كسر عساكر أجنادين وقتل جمع من الروم في مرج الديباج (١٧٤) وهو خالد بن الوليد (١٧٥) وهكذا استمر جبلة بن الأيهم وقومه من غسان خطرا على المسلمين ولم تفلح جميع محاولاتهم لاستمالة اليهم أو تخليه عن دور الحليف المخلص للروم .

في هذه الآونة أخذ الروم على المسلمين هجومهم المفاجيء على الشام مع أنهم كانوا يحسبون جوار من جاورهم من العرب في الزمن الماضي كما ادعوا ، فلما توجه خالد بن الوليد مع ميسرة بن مسروق العيسى إلى معسكر الروم قبل موقعة اليرموك للتفاوض معهم قال له ماهان : « ... لقد كان لنا منكم يا معشر العرب جيران صدق وكنا نحسن جوارهم ونعظم أقدارهم ونتفضل عليهم ونقى لهم بالعهد فينزلون بلادنا حيث شاءوا آمنين ، وكنا نظن أن جميع العرب ممن لا يجاورنا يشكرون لنا ذلك لما كنا نأتي من الإحسان إلى إخوانهم وأنتم من العرب فلم تشكروا فعلنا بإخوانكم واصطناعنا لهم » (١٧٦) . وكان مصاد به خالد عليه « ... أن ما ذكرت من انعامكم على جيرانكم من العرب ، إنما كان ذلك أمرا تصالحون به دنياكم ، وإحسانكم إليهم إنما كان زيادة في ملككم لأن عامتهم قد دخلوا في دينكم فهم يقاتلون معكم وهذا جبلة بن الأيهم الغساني رجل من العرب غير أنه معكم في جميع بني عنه المنتصرة فهو أشد علينا منكم » (١٧٧) .

- (١٧٠) الواقدي : المصدر السابق : ج ١ ص ١٨٤ .
 (١٧١) مدينة صغيرة في طرف بوية حلب قرب تدمر ذات فخل وزيتون وقد ذكر ياقوت أنها من فتوح خالد بن الوليد في اجتيازه من العراق إلى الشام .
 ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ١٥٢ .
 (١٧٢) ياقوت : المصدر السابق : ج ١ ص ١٧ - ١٩ .
 (١٧٣) المصدر نفسه : ج ٢ ص ٣١٧ ، ٣١٨ ، ج ١ ص ٤٤١ - ٤٤٢ .
 (١٧٤) مرج الديباج : واد مجيب المنظر بين الجبال بينه وبين المصيصة عشر أميال .
 ياقوت : المصدر نفسه : ج ٥ ص ١٨٤ .
 (١٧٥) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٨٤ .
 (١٧٦) ابن أعثم الكوفي : الفتوح : ج ١ ص ١٩٠ .
 (١٧٧) ابن أعثم : الفتوح : ج ١ ص ١٩١ .

وأيا كان الأمر فقد كتب الأمير أبو عبيدة الى الخليفة عمر بن الخطاب كتابا يعلمه بما كان من أمر جبلة وقومه من غسان وسائر المنتصرة ومما جاء فيه : « ٠٠ ان هرقل قد استنفر علينا كل من يحمل الصليب فसार القوم الينا كالجراد المنتشر وقد نزلنا باليرموك (١٧٨) بالقرب من أرض الرماة والعدو في مائة ألف مقاتل غير التابع وفي مقدمتهم ستون ألفا من العرب المنتصرة من غسان ولخم وجذام فأول ما لقينا جبلة بن الأيهم في ستين ألف فارس فأخرجنا اليه جيشا فهزم الله المشركين على أيديهم ٠٠ فلا تغفل عن المسلمين وأمدنا برجال من الموحيدين ونحن نسأل الله تعالى أن ينصرنا وينصر الاسلام وأهله » (١٧٩) وطوى الكتاب وسلمه الى عبد الله بن قرط الأزدي وأمره أن يتوجه الى يثرب ففعل وجاءه بالرد بعد عشرة أيام والمسلمين لم يلتحموا بعد بالروم في الموقعة الكبرى باليرموك وهم قائمون ينتظرون المدد (١٨٠) .

فلما سار عبد الله بن قرط من المدينة يوم الجمعة وكان يوم السبت صلى المسلمون الفجر خلف عمر بن الخطاب وبينما هم يقرءون من القرآن ما تيسر اذ سمعوا ضجة عظيمة وجلبة هائلة ففرغت قلوبهم وخرجوا مبادرين واذا هم يقوم من اليمن من صدوان (١٨١) وأرض سبأ وحضرموت (١٨٢). اجتمعوا للجهاد وهم ستة آلاف يقدمهم جابر بن خول الربيعي فترجلت ساداتهم وسلموا على أمير المؤمنين عمر فأمرهم بالنزول ، فلما أقبل الظلام جاء ألف فارس من مكة والطائف ووادي نخلة (١٨٣) وثقيف يتقدمهم سعيد بن عامر وسلموا على الخليفة فأمرهم بالنزول اذاء

(١٧٨) اليرموك واد بناحية الشام في طرف الغور يصب في نهر الأردن ثم يمضي الى البحيرة المنتنة .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ٤٢٤ .

(١٧٩) ألواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٧٧ .

(١٨٠) ألواقدي : المصدر السابق : ج ١ ص ١٨٠ .

(١٨١) بطن من كهلان من القحطانية وهم بنو صذا بن يزيد بن حرب بن علة ونسبوا صدوان لأنهم صدوا عن بني يزيد بن حرب وجانبوهم وحالفوا بني الحارث بن كعب ومنهم زياد بن الحارث الصدواني وقد على النبي ﷺ ويعث الى قومه فأسلموا .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٤١٢ ، ٤٧٧ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٢٨٦ .

٢٨٧

(١٨٢) ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ٢٦٩ - ٢٧١ .

(١٨٣) وادي نخلة بالحجاز بينه وبين مكة مسيرة ليلتين .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ٢٧٨ .

أهل اليمن فلما كان يوم الأحد جمل عمر ضعيفهم وزودهم وعقد راية حمراء على قناة وسلمها إلى سعيد بن عامر وأمرهم بالمسير إلى الشام (١٨٤) .
 لما انتهت موقعة اليرموك وهزم الروم ومنتصرة العرب عقد أبو عبيدة لحبيب بن مسلمة الفهري على خيل الطلب فجعل يقتل من أدرك من المهزومين والقارين من الروم والمنتصرة (١٨٥) ، فانحاز جبلة بن الأيهم بقومه من غسان إلى الأنصار وقال لهم أنتم اخوتنا وبنو أبيتنا وأعلن إسلامه فأجاره القوم (١٨٦) لأن غسان هم أولاد عم الأنصاريار أوسها وخزرجها (١٨٧) ، ولما أسلم جبلة كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب من الشام سنة ١١ هـ - ٦٣٢ م يستأذنه في القدوم عليه فأذن له عمر فركب جبلة من الشام في خمسمائة فارس من آل جفنة وأشراف قبائل غسان (١٨٨) فلما وصل ذي خشب (١٨٩) نزل فلبس وأصحابه أقيية الديباج وجعلوا على رؤوسهم الأكاليل وتقلدوا السيوف المحلاة وحملهم جبلة على أعناق الخيل وقد قلنسوها قلائد الذهب (١٩٠) ، ولبس هو تاج الملك مكللا بالؤلؤ والياقوت والزبرجد وفي مفرق منكبه قرط جدته مارية بنت الأرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة (١٩١) ، وتلقت الأنصار جبلة وموكبه بنى خشب بالنزول والطرايف وساروا يحفونه حتى دخل المدينة التي خرج أهلها نساء ورجالا للنظر إلى جبلة وموكبه (١٩٢) الذي لم يشهد الحجاز له مثيلا من قبل حتى قيل انه لم يبق بالمدينة أحد في ذلك اليوم

(١٨٤) خرج ابن عامر وهو يقول :

نسير بجيش من رجال أعزة على كل عجاج من الخيل يصبر
 إلى شبل جراح وصحب بنينا لتنصره والله للمدين ينصر
 على كل كفار لعين معاند تراه على الصليان بالله يكفر

الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٨٠ .

وكذا تفصيل رحلته من الحجاز إلى الشام وكيف ضل الطريق ثم اهتدى ،

ص ١٨٠ ، ١٨١ .

(١٨٥) البلاذري : فتوح البلدان : ص ١٤١ .

(١٨٦) البلاذري : المصدر السابق : ص ١٤٢ .

(١٨٧) ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٨ ص ٦٨ .

(١٨٨) العوتبي : الانساب : ج ٢ ص ٥٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٨ ،

ص ٦٩ .

(١٨٩) ذي خشب : جبل في وادي العالية باليمامة وهو جمع خشب وهو الخشن الغليظ

من الجبال .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٢٧٢ .

(١٩٠) العوتبي : الانساب : ج ٢ ص ٥٦ .

(١٩١) ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٧٢ .

(١٩٢) ابن أعشم : الفتوح : ج ١ ص ٢٣١ ، العوتبي : الانساب : ج ٢ ص ٥٦ ،

ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٨ ص ٦٩ .

الا وقد خرج يحتفل بجبله ويفتخرون به على قريش والعرب كلها من ولد معد بن عدنان (١٩٣) ، ودخل جبله على عمر بن الخطاب فسر بقدمه وأكرم نزله وأمر الأنصار باكرامه ورحب به الخليفة وأدنى مجلسه لأن اسلام جبله اعتبر نصرا للاسلام ببلاد الشام وتمهيدا لانضمام سائر القبائل العربية بالشام اليه مما يعنى حرمان الروم من حلفائهم القدامى وخلوص الشام للمسلمين وتهديد الروم فى بلادهم .

كادت الأمور تسير على أحسن ما يكون لولا ما وقع من جبله فى مكة فى موسم الحج فلما حضر الحج خرج اليه عمر ومعه جبله الذى وصل مكة فى الزى الذى أتى به وهيئة الملكة وعظم السلطان وأمر بقبة ذات ديباج أصفر ضربت له خارج الحرم (١٩٤) فلم يكن لأهل الموسم حديثا غيره واستعظمت ذلك العرب وأنت وجوه قريش أجلا لا له واعظاما وفخرا به . وبينما جبله يطوف بالكعبة اذ وطئ رجل من فزارة (١٩٥) طرف ثوب الاحرام لجبله بغير قصد فانحل ثوبه وانحنى حتى كاد يقع وبان جسده فرفع جبله يده وكان رجلا ضخما قوى البنية شديد الساعد ولطم أنف الفزاري بعنف فهشمها وسالت دماؤه غزيرة على صدره (١٩٦) فأتى الفزاري ومعه خلق كثير من فزارة الى عمر بن الخطاب مستعديا على جبله فبعث اليه الخليفة فأتى . فقال له ما حملك على أن صنعت بهذا الرجل ما أرى ؟ فقال : يا أمير المؤمنين تعمد حل ازارى ليبدى سيئاتى ولولا حرمة هذا البيت ودين الاسلام ما ترددت عن قتله (١٩٧) قال عمر :

(١٩٣) ابن اعثم : الفتوح : ج ١ ص ٢٢١ .

(١٩٤) ابن اعثم : الفتوح : ج ١ ص ٢٢١ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٨ ،

ص ٧٠ .

(١٩٥) فزارة بطن من نبيان من غطفان العدنانية كانت منازلهم بنجد ووادي القرى

قبل أن تحل طييء محلهم فيها .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٥٥ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ٢٢٧ ، ٣٥٢ ، ابن رشيقي :

العمدة : ج ٢ ص ١٦١ ، أحمد لطفى السيد : قبائل العرب فى مصر : ج ١ ص ٢٤ ، كجالة

معجم قبائل العرب : ج ٣ ص ٩١٨ - ٩٢٠ .

(١٩٦) الأصفهاني : الاغانى : ج ٤ ص ٢١ ، ابن سعد : الطبقات : ج ١ ص ٢٦٥ ،

ابن قتيبة ، المعارف : ص ٢٨١ ، ابن حبيب : المحبر : ص ٢٧٢ ، ابن عبد ربه : العقد

الفريد : ج ١ ص ١٨٧ ، المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ٨٤ ، ٨٥ ، ابن اعثم

الكوفى : الفتوح : ج ١ ص ٢٣١ ، ابن خلدون العبر ج ٢ ص ٢٨١ ، العوتبي : الانساب

ج ٢ ص ٥٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٨ ص ٦٩ ، البكرى : تاريخ الخفيس :

ج ٢ ص ٦١ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات فى تاريخ العرب : ج ١ عصر ما قبل

الاسلام : ص ٢٩٤ : محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم : ص ٥٧٤ ، ٥٧٥ .

(١٩٧) ابن قتيبة : المعارف : ص ٢٨١ ، ابن اعثم : الفتوح : ج ١ ص ٢٢٢ .

فارضى الرجل ان رضى به والا أنصفته منك . قال جبلة : أو تفعل ؟ !!
 انما أنا ملك ابن ملك وهو رجل من السوق . قال عمر : ان الاسلام
 جمعك واياه فما تفضله الا بالتقوى . قال جبلة . فان أرضيته ولم يرض ؟
 قال يقتص منك بمثل ما فعلت به . فقال : تالله لقد ظننت أن أكون في
 الاسلام أعز منى في الجاهلية (١٩٨) ، وطلب من الخليفة أن ينظره من
 ليلته حتى الصباح فلما كانت الغداة بذل جبلة للفزارى عشرة آلاف درهم
 عوضا عن لطمته اياه فلم يقبلها وأبى الا أن يهشم أنفه (١٩٩) ، فاستعظم
 ذلك من جضر الموسم من أهل اليمن وتداعت قبائلهم حتى طاف أهل
 الموسم الفتنة وأقبلت الأنصار أوسا وخزرجا الى عمر بن الخطاب وقالوا :
 يا أمير المؤمنين نحن نرضى هذا الفزارى عن جبلة فانه رجل من سادات
 غسان ونحن نفتدى هذه اللطمة فلم يقبل عمر أن يقتص الفزارى الا من
 جبلة واستمر الكلام وكثر اللفظ حتى حل الليل .

لما رأى جبلة عزم الخليفة انتظر حتى نامت العيون وسكنت الحراك
 وجمع رواحله والذين جاءوا معه ومضى متوجها نحو قومه بالشام مرتدا
 عن الاسلام فأصبحت مكة منه ومن بنى عمه خالية (٢٠٠) . وعلى أثر
 ذلك كتب الخليفة عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة بن الجراح بالشام كتابا
 يعلمه فيه بما كان من أمر جبلة بن الأيهم وعودته الى النصرانية بعد اسلامه
 ويطلب اليه الحيلة والحذر منه ومن قومه ومن سائر المتنصرة من قبائل
 عرب الشام (٢٠١) ومما جاء في هذا الكتاب « . أما بعد فلا مرد لقضاء
 الله وقدره ومن كتب في اللوح المحفوظ كافرا فلا ايمان له . وذلك أن
 جبلة بن الأيهم الغساني كان قدم علينا ببنى عمه وفرحت بذلك اذ شهد
 الله عضد الاسلام والمسلمين بهم ولم أعلم ما كمن في الغيب ، وأنا سرنا
 الى مكة حرسها الله تعالى وعظمتها نطلب الحج فطاف جبلة بالبيت أسبوعا
 فوطئ رجل من فزاراة ازاره فسقط على كتفه فالتفت الى الفزارى وقال :
 يا ويلك كشفتني في حرم الله تعالى . فقال : والله ما تعمدتك فليطم جبلة
 ابن الأيهم الفزارى لطمة هشم بها أنفه وكسر ثناياه الأربع فأقبل الفزارى
 الى مستعينا على جبلة فأمرت باحضاره ، وقلت له ما حملك على أن لطمت
 أخاك في الاسلام وكسرت ثناياه الأربع وهشمت أنفه فقال جبلة انه وطئ

(١٩٨) ابن خلدون : العبر : ج ٢ ص ٢٨١ .

(١٩٩) ابن حبيب : المحبر : ص ٢٧٢ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ١ ص ١٨٧ .

ابن اعثم الكوفي : الفتوح : ج ١ ص ٢٢٢ ، العوتبي : الأنساب : ج ٢ ص ٥٧ ، ابن
 كثير البداية والنهاية : ج ٨ ص ٦٩ .

(٢٠٠) ابن اعثم : الفتوح : ج ١ ص ٢٢٢ ، العوتبي : الأنساب : ج ٢ ص ٧٥ .

ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٨ ص ٦٩ .

(٢٠١) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١١٠ .

أزارى برجله فحله ، ووالله لولا حرمة البيت لقتلته . فقلت له أقررت على نفسك فأما أن يعفو عنك وأما آخذ له منك القصاص فقال : أتقتص مني وأنا ملك وهو من السوق . قلت قد شملك وإياه الإسلام فما تفضله إلا بالعافية فقال : أتركني إلى غد أو تقتص مني ؟ فقلت للفزاري : أتركه إلى غد . قال : نعم . فلما كان الليل ركب في بني عمه وتوجه إلى الشام وأرجو من الله تعالى أن يظفرك به فانزل على حمص قان صالحك أهلها فصالحهم وإن أبوا فقاتلهم وأبعث عيونك إلى انطاكية وكن على حذر من المتنصرة والسلام عليك ورحمة الله وعلى جميع المسلمين ، (٢٠٢) .

ان كل ما ذكر عن اسلام جبلة وازداداده هو أصح الأقوال في ذلك بإجماع معظم المؤرخين غير أن البلاذري يذكر في ذلك قولاً آخر (٢٠٣) مؤداه أن جبلة لما أسلم بعد اليرموك في أيام عمر بن الخطاب تصادف أنه وطء رداء رجل من مزينة (٢٠٤) بدمشق سنة ١١ هـ فلطم عينه المزني فدفعه أصحاب جبلة إلى أبي عبيدة وقالوا : هذا لطم جبلة . فقال أبو عبيدة : فيلطمه جبلة . فقالوا : أو ما يقتل !! قال : لا . قالوا : فما تقطع يده !! قال : لا . إنما أمر الله بالقود العين بالعين . قال جبلة : أو عينه مثل عيني . أترون وجهي كوجه مزني جاء من ناحية المدينة يشس الدين هذا والله ما أصبنا فيه خيراً . والله لا أقيم ببلد على به سلطان (٢٠٥) ، ثم رحل بأهله حتى دخل أرض الروم وبلغ ذلك عمر فشق عليه ، وفي قول آخر : ان جبلة لم يسلم قط وإنما أتى عمر بن الخطاب حين زار الشام وقت الفتوح وهو على نصرانيته فعرض عليه عمر الإسلام وأداء الصدقة فأبى ذلك وقال : أقيم على ديني وأؤدي الصدقة فقال عمر : ان أقمت على دينك فأد الجزية (٢٠٦) فأنف منها ولم يقبل الإسلام أو الجزية ورحل في ثلاثين ألفاً من غسان إلى بلاد الروم فلما بلغ ذلك عمر ندم على ما كان من أمر جبلة وعاتبه عبادة بن الصامت فقال : لو قبلت منه الصدقة ثم تألفته لاسلم (٢٠٧) .

(٢٠٢) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١١٠ .

(٢٠٣) البلاذري : فتوح البلدان : ص ١٤٢ .

(٢٠٤) بطن من ظابخة من العدنانية .

القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٢٧٥ .

(٢٠٥) البلاذري : فتوح البلدان ص ١٤٢ ، ابن كثير : البداية : ج ٨ ص ١٦٨ .

السيد عبد العزيز سالم : دراسات في تاريخ العرب : ج ١ عصر ما قبل الإسلام : ص ٢٩٤ .

(٢٠٦) البلاذري : فتوح البلدان : ص ١٤٣ .

(٢٠٧) البلاذري : المصدر السابق : ص ١٤٢ .

وعلى آية حال فإن هذه كلها روايات نوردها استكمالا للحديث
 للمؤرخين في هذا الصدد وأن ما كان من شأن اسلام وجبله وزيارته المدينة
 وما وقع للفزارى هو أصح الأقوال لاجتماع المؤرخين عليه ، فلما رحل جبله
 من المدينة الى الشام بعد تنصره وارتداده صبح ما توقعه منه الخليفة وحذر
 منه المسلمين اذا استمر في عماله للروم يكيده للمسلمين ويخذلهم عن
 الشام ، فقد حدث أن خرج جماعة من عبيد المسلمين ومواليهم لطلب الجلب
 فيهم عبد لسعيد بن عامر الخزرجي يدعى مهجعا فلما أبطأ خبره على سيده
 خرج في طلبه فوجده قد سال دمه على وجهه فسأله عن الأخبار فقال :
 هلكة ودمار يا سيدي انج بنفسك والا أدركك القوم يصنعون بك مثل
 ما صنعوا بى (٢٠٨) ، فقال له : ما القوم الذين صنعوا بك ما أرى ؟
 قال : خرجت أنا وجماعة من الموالى لنحتطب حطباً فتباعنا كثيرا في البرية
 وإذا نحن بكتيبة من الخيل زهاء ألف فارس كلهم عرب في أعناقهم
 صلبان الذهب والفضة وهم مكللون بالذهب والفضة والرماح ، فلما نظروا
 إلينا أسرعوا نحونا وعزموا على قتلنا فقاتلنا القوم وقتلونا فقتلوا منا عشرة
 وأسروا عشرة ، وأما أنا فأتخنت بالجراح حتى سقطت على وجهي فرجعوا
 عني وبقيت كما ترى ، قال سعيد بن عامر فأردفته خلفي وإذا بالخيل قد
 طلعت في أثرى كأنها الريح الصبوب فقله كانت خيل غسان (٢٠٩) ،
 فأحدقوا بى وهم يقولون : نحن بنو غسان من حزب الصليب والرهبان ،
 قال سعيد بن عامر : فأحببتهم بأننى من أصحاب محمد المختار فأسرع
 أحدهم الى وهم أن يعلونى بالسيف فناديت يا ويلك أتقتل رجلا من قومك ؟
 فقال : من أى الناس أنت ؟ قلت : أنا من الخزرج الكرام فرد السيف
 وقال : أنت طلبه سيدنا جبله بن الأيهم وحق المسيح . فقلت : ومن أين
 تعرفنى جبله حتى يطلبنى ؟ فقال : أنه يطلب رجلا من أهل اليمن من أنصار
 محمد ، فسرت والجيش معى حتى أشرفنا على جيش عرمرم عنده أعلام
 وصلبان قد رفعت فلم أزل مع القوم حتى أتوا بى الى مضرب جبله وإذا به
 جالس على كرسى من ذهب أحمر وعليه ثياب الديباج الرومى وعلى رأسه
 شبكة من اللؤلؤ وفى عنقه صليب من الياقوت فلما وقفت بين يديه رفع
 رأسه الى وقال : من أى عرب أنت ؟ قلت : أنا من اليمن . قال : أكرمت
 من أيها ؟ فقلت : أنا من ولد حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة
 ابن ثعلبة بن امرئ القيس (٢١٠) فقال جبله : من أى الملاء أنت نسباً ؟
 فقلت أنا من ولد الخزرج بن حارثة (٢١١) من أنصار محمد بن عبد الله

(٢٠٨) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١١٩ .

(٢٠٩) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٢٠ .

(٢١٠) ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٧٢ .

(٢١١) القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٦٠ .

فقال جبلة : وأنا من قومك من بنى غسان أنا جبلة بن الأيهم الذي رجعت عن الاسلام فما رضى صاحبكم عمر بن الخطاب أن يكون مثلي لهذا الدين ناصرا حتى يأخذ مني القود لعبد حقير وأنا ملك من اليمن وسيد غسان (٢١٢) فقلت يا جبلة ان حق الله أوجب من حقك وديننا لا يقوم الا بالحق والنصفة ، وان عمر بن الخطاب لا يخاف أحدا ولا تأخذه في الله لومة لائم ، فقال لي : بحق ذمة العرب ما كنت تصنع في المكان الذي أسرت فيه ؟ فقلت : ان الصدق أوفى ما استعمله الرجل أنا من أصحاب الأمير أبي عبيدة بن الجراح وقصدنا حلب (٢١٣) وأنطاكية (٢١٤) ، فقال جبلة : اعلم أن الملك « يقصد هرقل » قد بعثني أنا وهذا البطريق صاحب عمورية (٢١٥) حتى ننصر صاحب قنسرين (٢١٦) فانه قد كادكم بصلحه لكم وأنا منتظر أن يلاقينا بهذا المكان فارجع الى صاحبك وحذرهم أسياقنا وقل له يرجع من حيث أتى ولا يتعرض لبلاد هرقل وأنه لسوف ينزع من أيديكم ما قد ملكتموه من الشام (٢١٧) .

بعد معركة اليرموك وانتصار المسلمين الكبير فيها على الروم وحلفائهم من القبائل العربية المنتصرة بالشام من غسان ولخم وجذام وبطون قضاة (٢١٨) وما كان من أمر اسلام جبلة وارتداده الى الشام (٢١٩) ، ظل المسلمون يتنقلون من نصر الى نصر ويتقدمون في فتوحهم شمالا لأخذ القلاع والحصون وبقية المدن الشامية فتواترت عليهم جموع كثيرة من القبائل العدنانية من شبه جزيرة العرب (٢٢٠) اشتراكا في الجهاد ولحاقا بالثواب مع اخوانهم وطمعا في غنيمة يأخذونها وعيش أرحب من

- (٢١٢) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٢٠ .
 (٢١٣) ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٢٨٢ - ٢٩٠ .
 (٢١٤) ياقوت : المصدر السابق : ج ١ ص ٢٦٦ - ٢٧٠ .
 (٢١٥) عمورية : بليدة على شاطئ العاصي بين قامية وشيزر بها آثار ولها دخل وافر ولها رعى ثقل مالا .
 ياقوت : نفسه : ج ٤ ص ١٥٨ .
 (٢١٦) قنسرين قرب حمص .
 ياقوت : نفسه : ج ٤ ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ .
 (٢١٧) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٢٠ .
 (٢١٨) الأزدي : فتوح الشام : ص ٢٢٧ - ٢٤٣ .
 (٢١٩) انظر الأصفهاني : الأغاني : ج ٤ ص ٢١ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٢٨١ ، السعدي : مروج الذهب : ج ٢ ص ٨٤ ، ابن اعثم الكوفي : الفتوح : ج ١ ص ٢٣١ .
 (٢٢٠) البلاذري : فتوح البلدان : ص ٢١١ ، محمد كردى على : خطط الشام : ج ١ ص ٦٧ .

عيشهم وتحقيقا للتوازن بين القبائل اليمنية والمضرية بالشام لأن معظم قبائل الفتح حتى اليرموك كانت من اليمنية (٢٢١) .

لما رأت المنتصرة من قبائل عرب الشام انتصارات المسلمين دخلوا في الاسلام وحسن اسلامهم (٢٢٢) لحاقا لما فاتهم الا جبلة بن الايهم وقومه من غسان قايي الا المعاندة والمكابرة رغم علمه بالحق (٢٢٣) ربما لقصاص عقر منه للفزاري (٢٢٤) أو ربما لم يعجبته قضاضه من المزني (٢٢٥) - (ان صحت الرواية) - أو أنه آنف من الضدقة أو رفض الجزية (٢٢٦) أو حتى كان من الذين أسلموا ولما يدخل الايمان في قلوبهم (٢٢٧) فارتد مستعجلا ، وربما لتأثير الروم عليه بأنهم في النهاية يلتصرون وان العرب لتهزقون وعائدون الى ديارهم ، فكم من مرة دخل الفرس فيها الشام وخرجوا منه على أيدي الروم (٢٢٨) . وعلى أية حال فإن جبلة وقومه لما ضاقت عليهم الأرض بما رحبت من حولهم مضى بقومه وأهله وعشيرته وبنى عمه في ثلاثين ألفا حتى دخل بلاد الروم (٢٢٩) وأقبل قاصدا القسطنطينية (٢٣٠) فدخل على هرقل منتصرا هو وجميع من كان معه ففرح به هرقل فرحا شديدا ورأى أنه فتح فتحا عظيما فقد تكون هذه هي البداية لتخوذ بقية القبائل الشامية حذو غسان فيعاود بهم غزو الشام وطرد العرب كما كان يفعل مع الفرس ومن ثم فقد أقطع

- (٢٢١) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ٨ ، البلاذري : فتوح البلدان : ص ١١٥ .
الازدي : فتوح الشام : ص ٨ ، ٩ ، ابن أعثم الكوفي : الفتوح : ج ١ ص ٨٧ .
(٢٢٢) ابن عساکر : تاريخ مدينة دمشق : ج ١ ص ١٣٠ .

(٢٢٣) من ذلك ما روى من أشعار على لسان جبلة لما اختلى الى نفسه وطل به اغترابه في أرض الروم قال :

تنصرت بعد الحق من عار لطمعة	وما كان فيها لو صبرت ما لها ضرر
تكلفت فيها لجاجا ونخوة	وبعت لها العين الصخيخة بالعود
فياليت أمي لم تلدني وليتني	رجعت الى القول الذي قاله عمر
وياليتني أرعى الخاض بعفرة	وكنت أسيرا في ربيعة أو مضر
أدين بما دانوا به من شريعة	وقد يصبر العود الكبير على الدبر

العوتبي : الأنساب : ج ٢ ص ٥٧ ، ابن كثير : البداية : ج ٨ ص ٧٠ .

- (٢٢٤) ابن سعد : الطبقات : ج ١ ص ٣٦٥ .
(٢٢٥) البلاذري : فتوح البلدان : ص ١٤٢ .
(٢٢٦) البلاذري : المصدر السابق : ص ١٤٣ .
(٢٢٧) انظر سورة الحجرات : آية ١٤ .
(٢٢٨) الطبري : التاريخ : ج ١ ص ٧٥٦ ، جواد علي : تاريخ العرب : ج ٣ ص ٨٥ ، فيليب حتى : تاريخ سورية : ج ١ ص ٤٣٦ .
Alois Musil : Palmyrena : p. 241.

- (٢٢٩) البلاذري : فتوح البلدان : ص ١٤٢ .
(٢٣٠) ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ - ٣٤٧ ، ٣٤٨ .

هرقل جبلة وبنى عمه حيث شاءوا من أرض الروم وأنزلهم أرفع المنازل وأجلها (٢٣١) .

فى سنة ٢١ هـ دعا الخليفة عمر بن الخطاب عميرا بن سعد الأنصارى (٢٣٢) وولاه قيادة جيش من المسلمين الى بلاد الروم فى أول صائفة (٢٣٣) اليها وأمره أن يلقي جبلة ويتلطف اليه ويستعطفه بالقرابة التى بينهما للرجوع الى بلاد الاسلام على أن يؤدى الصدقة ويقيم على دينه (٢٣٤) ، فسار عمير حتى دخل بلاد الروم وقصد جبلة فدخل عليه فوجده على سرير بأربعة أركان من الذهب وأربعة قوائم من الفضة وعلى رأسه تاج من الذهب كثير الزبرجد والياقوت وقد أمر بالذهب الأحمر فسجل (٢٣٥) ورمى فى لحيته فكان فى سابغ النعمة والسرور والحبور الدنيوى فى لباسه وفرشه ومجلسه وطيبه وجواريه حواليه الحسان من الخدم والقيان (٢٣٦) ، قال عمير فلما رأنى حيائى ورحب بى وأدنانى ثم سألتنى عن أمر الناس وعن عمر بن الخطاب فجعلت أخبره بما أرجو به عطفه ورجوعه الى دين الاسلام والعودة الى الشام (٢٣٧) ، قال : أبعد ما كان منى من الارتداد! قلت : نعم ان الأشعث بن قيس

(٢٣١) ابن اعثم : الفتوح : ج ١ ص ٢٢٣ ، العوتبى : الانساب : ج ٢ ص ٥٧ ، ابن كثير : البداية : ج ٨ ص ٧٠ .

(٢٣٢) هو عمير بن سعد بن شهيد من بنى عمرو بن عوف من الأوس .
البلذرى : انساب الاشراف : ج ١ ص ٢٨٠ .

(٢٣٣) الصوائف هى غزوات المسلمين لبلاد الروم فى وقت الصيف والشواتى هى الغزوات التى كانت تتم فى وقت الشتاء على غرار رحلة الشتاء والصيف ، وكان العرب فى عهد بنى أمية قد داوموا على غزو بلاد الروم بصفة منتظمة فى الشتاء والصيف حماية لثغورهم .

انظر البلذرى : فتوح البلدان : ص ١٤٨ ، ابن الاثير : الكامل : ج ٤ ص ١١٠ .
(٢٣٤) البلذرى : فتوح البلدان : ص ١٤٢ .

(٢٣٥) سحل : صحن وصار ناعما ، والسحالة هى يرادة الذهب والفضة .
الرازى : مختار الصحاح : ص ٢٨٩ .

(٢٣٦) ابن اعثم الكوفى : الفتوح : ج ١ ص ٢٣٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٨ ص ٧٠ .

(٢٣٧) ابن اعثم : الفتوح : ج ١ ص ٢٢٤ .

الكندى (٢٣٨) ارتد وقاتل المسلمين فلما رجع الى الحق قبل منه أبو بكر رجوعه وزوجه بأخته أم فروة ، وكذلك ارتد طليحة بن خويلد الأسدي (٢٣٩) وعاد الى الاسلام (٢٤٠) ، قال جبلة : ألك عهد بحسان ابن ثابت . فقلت : شاعر رسول الله ﷺ قال : نعم كم لك منذ فارقتك . قلت : عهدي به قريب وقد دعاني الى دعوة صنعها (٢٤١) وأمر مولاته أن تنشد شعرا من شعره فيك ففعلت (٢٤٢) ثم خرجنا الى الشام وهذا آخر عهدي به . فقال : لله در حسان كثيرا ما كان يزورنا في سالف الدهر بمنزلنا في الغوطة . ثم سأل عن حاله فقلت : كف بصره فلم يعد يهتدي برا ولا بحرا فدعا بخمسمائة دينار هرقلية وخمس ديباجات (٢٤٣) وخمسة أثواب من الحرير وقال : أحب أن توصل هذه الى حسان وأراد أن يأمر لي بمثلها فأبيت عليه (٢٤٤) قال عمير : فلما أردت الرحيل قلت :

(٢٣٨) الأشعث بن قيس اسمه معد يكره وكنيته أبو محمد الكندي ، وفد على النبي ﷺ من اليمن في سبعين رجلا من كندة وسمى الأشعث لأنه بدأ اشعث الرأس ، له صحبة وروى عن النبي ﷺ أحاديث يسيرة وروى عنه الشعبي وأبراهيم النخعي وغيرهما . شهد اليرموك وأصيب في عينه ، يوم التعوير ، وشهد التحكيم بين علي ومعاوية وسكن الكوفة ومات بها سنة ٤٠ هـ بعد علي بقليل وصلى عليه الحسين بن علي ، وقد ارتد الأشعث في خلافة أبي بكر ثم رجع الى الاسلام وشهد القادسية والمدائن وجلولاء ونهاوند . ابن سعد : الطبقات : ج ٦ ص ٢٢ ، ٢٣ ، البلاذري : انساب الاشراف : ج ١ ص ١٦٤ ، ٤٥٦ ، ٤٥٨ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ٣ ص ٦٧ - ٧١ « ترجمة الأشعث بن قيس واسلامه وظروف ارتداده ورجوعه الى الاسلام » .

(٢٣٩) من بني أسد بن خزيمه بن مدركة بن الياس بن مضر من العدنانية كانت بلادهم مما يلي الكرخ من أرض نجد في مجاورة طيء . البلاذري : انساب الاشراف : ج ١ ص ٣٧٤ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ١٩٠ - ١٩٢ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٤٧ ، ٤٨ . (٢٤٠) ابن اعثم : الفتوح : ج ١ ص ٢٣٤ ، ابن كثير : البداية : ج ٨ ص ٧٠ . (٢٤١) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٢٠ . (٢٤٢) انشدت الجارية من شعر حسان بن ثابت في مدح ملوك آل جفنة من غسان قوله فيهم :

لله در عصاة نادمتهم	يوما بخلق في الزمان الأول
يغشون حتى ما تهر كلابهم	لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمه انسابهم	شم الأنوف من الطراز الأول
الملحقين فقيرهم بغنيهم	المشفقين على اليتيم والأرمل
أولاد جنفة حول قبر أبيهم	قبر ابن مادية الكريم المفضل

الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٢٠ ، ابن كثير : البداية : ج ٨ ص ٧٠ .

(٢٤٣) الديباج : ثوب رقيق من الحرير اللامع الملون وهي كلمة فارسية تعني لباس

الروح .

ابن سيده : المخصص : ج ٤ ص ٧٦ .

(٢٤٤) ابن اعثم الكوفي : الفتوح : ج ١ ص ٢٣٦ .

لجبله : أتحب أن توصيني بشيء أبلغه عنك أمير المؤمنين فقال : وما عسى أن تكون وصيتي الى عمر وقد أراد أن يقتص مني بلطمه لرجل من السوق فقلت : انما أراد أخذ الحق لأهله فقال : صدقت ولكن اللجاج والشقاق غلب على فأحلتني هذا المحل وردت لو أني في ديار قومي في أسوأ ما أكون أو مت قبل ذلك (٢٤٥) .

انطلق عمير بمن معه بعد لقاء جبله الى واد في أرض الروم يعرف « بالحمار » (٢٤٦) فأوقع بأهله وأخرجته حتى قيل « أخرب من جوف حمار » (٢٤٧) ، ولما عاد من الشام ومنها الى المدينة حدث عمر بما كان من أمر جبله فقال : ويحك يا عمير ورأيتك يشرب الخمر بعد الاسلام والحج والقرآن فقال : نعم يا أمير المؤمنين ورأيت الصليب على رأسه . فقال عمر : أبعد الله ، ضل فما اهتدى تعجل فانية بباقية فما ربحت تجارتك (٢٤٨) ، قال عمير : لقد بعث معي جبله الى حسان بن ثابت بكذا وكذا ، فأمر عمر برجل من المجلس لينطلق ويدع حسانا ولا يعلمه بشيء من ذلك فما كان بأسرع أن أقبل حسان يقوده قائده فلما دخل قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، اني لأجد ريح آل جفنة بين يديك فتبسم عمر ومن بالمجلس وقال نعم يا أبا الوليد لقد أتاك الله عز وجل منه بمعونة وبر حسن رغم أنفه (٢٤٩) .

ولما كانت سنة ثلاث وخمسين من الهجرة أرسل معاوية بن أبي سفيان عبد الله بن مسعدة الفزاري (٢٥٠) رسولا الى ملك الروم فاجتمع بجبله بن الأيهم ورأى ما هو فيه من السعادة الدنيوية والأموال والخدم والذهب والخيول (٢٥١) ، فقال له جبله : لو أعلم أن معاوية يقطعني أرض البثنية (٢٥٢) فأنها كانت منازلنا بالشام وعشرين قرية من غوطة دمشق ويفرض لجماعتنا ويحسن جوائزنا لرجعت الى الشام فأخبر عبد الله ابن مسعدة معاوية بمقولة جبله فقال : أنا أعطيه ذلك وكتب اليه كتابا

(٢٤٥) ابن اعثم : الفتوح : ج ١ ص ٢٢٧ .

(٢٤٦) ذكر ياقوت أنه موضع بالجزيرة .

ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ٢٢٨ .

(٢٤٧) البلاذري : فتوح البلدان : ص ١٤٢ .

(٢٤٨) ابن اعثم : الفتوح : ج ١ ص ٢٣٦ ، ابن كثير : البداية : ج ٨ .

ص ٧١ .

(٢٤٩) ابن اعثم : الفتوح : ج ١ ص ٢٣٧ .

(٢٥٠) هو عبد الله بن مسعدة بن حكمة بن مالك بن حذيفة بن بدر الفزاري .

البلاذري : انساب الاشراف : ج ١ ص ٣٤٩ .

(٢٥١) ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٨ ص ٧١ .

(٢٥٢) البثنية : بلدة معروفة بالشام من نواحي دمشق مشهورة بالحنطة .

ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ٢٢٨ .

مع البريد يجيبه الى ما طلب فما أدركه البريد الا وقد مات في هذه السنة (٢٥٣) .

فاذا علمنا أن جيوش الفتح التي دخلت الشام أيام أبي بكر الصديق قدرت بثلاثين ألفا (٢٥٤) ومن تبعهم في أيام عمر بنحو خمسة عشر ألفا بما مجموعه خمسة وأربعين ألفا تقريبا وأن جبلة دخل بلاد الروم في قومه من غسان بما يقرب من ثلاثين ألفا وكان معه مثلهم من سائر المتنصرة من لخم وجذام وبطون قضاة في اليرموك بما مجموعه ستون ألفا (٢٥٥) أى ما يفوق عدد قبائل الفتح لأدركنا مدى أهمية المحاولات التي بذلها المسلمون لاستمالة جبلة وقومه الى الاسلام لأنهم بالاضافة الى كثرة عددهم فهم أيضا من ذوى رحمهم وبني عمومته وذلك من ساعة دخولهم الشام وكل مرة يعاودون الكرة عليه وهو يأبى عليهم حتى شاءت ارادة الله أن يموت متنصرا بأرض الروم .

ثالثا : دور القبائل في اليرموك وما بعدها :

تعتبر موقعة اليرموك في رجب سنة ١٥ هـ - ٦٣٦ م (٢٥٦) من أهم المعارك في تاريخ الاسلام بصفة عامة وفي تاريخ بلاد الشام بصفة خاصة لأنها غيرت الخريطة البشرية لهذه البلاد كما حولتها من النصرانية الى الاسلام ، وكان للقبائل التي اشتركت في هذه المعركة الحاسمة دور كبير في تحديد المعالم السكانية لبلاد الشام لفترات طويلة اذ استقرت معظم هذه القبائل في البلاد المفتوحة بعد النصر فكانت بمثابة طلائع الهجرات العربية الى الأقطار العامرة بعد الاسلام ، وسرعان ما لحق بهذه القبائل كثير من بطونها وعشائرها التي كانت لا تزال بشبه الجزيرة ولم تشترك بعد في معارك الفتح الأولى ، ويمكن أن نتعرف على هذه القبائل ودورها في هذه المعركة الحاسمة من خلال أحداثها التي أوردها مؤرخو الفتوحات على اختلاف عصورهم ، وذلك في محاولة للتعريف بمن هم « المسلمون » الذين ذكرهم كثير من المؤرخين بصفتههم دون أنسابهم وقبائلهم عند الحديث عن معارك الفتح الاسلامي (٢٥٧) ولا سيما في الشام ، فهذا فضلا عن

(٢٥٣) ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٨ ص ٧١ .

(٢٥٤) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ١٤٢ .

(٢٥٥) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٦٩ .

(٢٥٦) ابن أعثم : الفتوح : ج ١ ص ١ ص ٢٠٦ .

(٢٥٧) من أبرز هؤلاء تاريخ الطبرى على سبيل المثال .

أنه يؤكد الحدث التاريخي بما لا يدع مجالا لأدنى شك فيه فإنه يوضح دور القبائل التي هي جماع كلمة « المسلمين » في هذه المعارك وتأثير ذلك على وضعها بالشام بعد الفتح ، وذلك لأنه من المعنوم أن مسلمي الفتوحات بصفة عامة هم مجموع قبائل عربية متعددة .

كانت القبائل اليمنية في معركة اليرموك من حمير وزبيد ومذحج وهمدان (٢٥٨) هم نجوم المعركة بلا منازع ويأتي على رأس هذه القبائل جميعا قبائل أزد اليمن (٢٥٩) ببطونها وعشائرها فقد كانوا وحدهم ثلث الناس وعليهم وقع العبء الأكبر في هذه المعركة فقاتلوا ببسالة وشجاعة منقطعة النظير فكان معظم القتلى منهم (٢٦٠) ، فلما وصل خالد بن الوليد الى الشام استعد لمذاقة الروم بأحسن ما يكون وبدأ بالخيالة أو الفرسان وهم مدرعات الحرب في ذلك الوقت فقسمهم أربعة أرباع (٢٦١) جعل على أحدهم قيس بن هبيرة المرادي (٢٦٢) من اليمن وقال له : أنت فارس العرب فكن على هذه الخيل ، وجعل على الربع الثاني ميسرة بن مسروق العبسي من قيس وأوصاه بالصبر والجلد ، ودعا عامر ابن الطيفل الدوسي من اليمن وولاه الربع الثالث أما خالد فكان على الربع الأخير وعسكر الزحف ، فلم تطلع الشمس الا وقد فرغ المسلمون من تعبئة صفوفهم للحرب فكان لليمنية قيادة أكثر من نصف الجيش بما يتناسب وحجم قبائلهم المشتركة فيها .

أما ماهان الأرمني قائد جيوش الروم فقد عبأ عسكره وجعل العرب المنتصرة من غسان ولخم وجذام في مقدمة الصفوف وقدم أمامهم صليبا ضخما من الفضة مطليا بالذهب (٢٦٣) ، وفي أول يوم للحرب لم يزل القتال بين الفريقين من طلوع الشمس حتى غروبها ولم ينفصل الجمعان حتى فرق الليل بينهما وهم ما يعرفون الا بالشعار فخرجت كل

(٢٥٨) قبائل حمير من سبا بن قحطان وزبيد بطن من مذحج ومذحج من عريب بن كهلان وهمدان بن كهلان وهمدان من مالك بن كهلان وكلهم من القبائل القحطانية .
المبرد : نسب عدنان وقحطان : ص ١٨ ، ابن سعد : الطبقات : ج ١ ص ٢٠ ، ابن حبيب : مختلف القبائل : ص ٩ ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٢٢ - ٤٢٨ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٣٥٨ .

(٢٥٩) الأزد من مالك بن كهلان من القحطانية .
العمري : مسالك الأبصار : ص ٧٧ ، كحالة : معجم قبائل العرب : ج ١ ص ١٦ .
(٢٦٠) الأزدي : فتوح الشام : ص ٢٢٤ .
(٢٦١) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٩٢ .
(٢٦٢) البلاذري : أنساب الأشراف : ج ١ ص ٤٥٦ .
(٢٦٣) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٩٢ .

قبيلية من العرب يهتفون بشعارهم ويتنادون بأنسابهم فرجعت كل فئة الى مكانها ، وكان القتال في ذلك اليوم على حذر من الطرفين لاختبار مواطن القوة والضعف لدى كل منهما فقتل من الروم يسيرا ومن المسلمين عشرة رجال اثنان من حضرموت أحدهما يقال له مازن والثاني صارم وثلاثة من عسفان ، وواحد من الأنصار هو عبد الله بن الأخرم وثلاثة من بجيلة (٢٦٤) وواحد من مراد (٢٦٥) وهو سويد أخى قيس بن هبيرة .

توقفت الحرب بعد ذلك سبعة أيام (٢٦٦). وكان اليوم الأول كان جنسا للنبض فقط ، وقد أحب ماهان أن يتعرف أحوال المسلمين عن قرب فأرسل رجلا من متنصرة لخم للتجسس عليهم ومعرفة أخبارهم (٢٦٧) فمضى اللخمى حتى دخل معسكر المسلمين وأقام بينهم يوما وليلة يطوف عسكرهم ولا أحد من المسلمين ينكره وهم آمنون ليس لهم همة الا الصلاة والقرآن والتسبيح وأميرهم أبو عبيدة كأضعف ضعيف فيهم ساعة يجلس

(٢٦٤) قبائل بجيلة وختعم من ولد أنمار بن أراش من مالك بن كهلان القحطانية ، فقد ولد أنمار أقيل وهو خثعم ويطونه كثيرة وسمى خثعما بجمل كان له اسمه خثعم ، وولد أنمار أيضا خزيمية : دخل في الأزدي ووداعة وعبقر والغوث وصهيبية وأشهل وطريف وسنية والحارث وجدعة أمهم كلهم بجيلة بنت صعب بن أسعد العشيرة واليهم نسب أولاد كل من ذكر وكانوا كلهم متحالفين على ولد أخيه خثعم وكانت بلادهم مع اخوتهم خثعم في سروات اليمن والحجاز الى تبالة ، وقد وقع بين بطون بجيلة قبل الاسلام نزاع وحروب أدت الى تمزقها وتداخلها في مختلف قبائل العرب ، ولما جاء الاسلام وأراد الخليفة عمر بن الخطاب توجيه جرير بن عبد الله البجلي لقتال العجم بالعراق سنة ١٤ هـ طلب منه جرير أن يسمح له بجمع شتات بجيلة من القبائل التي دخلت فيها فسمح له بذلك فأخذ يوجه كتبها بهذا المعنى الى القبائل التي دخلتها بطون من بجيلة حتى أنجز مهمته ولذلك قال شاعر بجيلة في جرير :

لولا جرير هلكت بجيلة نعم الفتى وبشست القبيلة

وجرير هذا هو الصحابي الذي أوكل اليه النبي ﷺ هدم ذي الخلصة معبود خثعم وبجيلة الذي كان يعرف بالكعبة اليمانية .

البلاذري : انساب الأشراف : ج ١ ص ٢٣ ، الأصفهاني : الأغاني : ج ١١ ص ١٢٨ « القبائل التي دخلت فيها بجيلة » ابن الكلبي : الأصنام : ص ٣٤ « معبود خثعم وبجيلة » الطبري : التاريخ : ج ٤ ص ٧٧ - ٧٨ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٨٧ - ٢٩٠ « بطون بجيلة » : ٢٩٩ - ٣٠٠ « بطون خثعم » ، البغدادي : مراصد الاطلاع : ج ١ ص ٢٥١ « تبالة موضع باليمن » ، ابن الأثير : اسد الغابة : ج ١ ص ٣٣٣ « ترجمة جرير البجلي » ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٣٠٢ ، ابن عبد البر : الانباه : ص ٩٢ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ١٦٣ ، ١٦٤ ، كحالة : معجم قبائل العرب : ج ١ ص ٦٣ - ٦٥ .

(٢٦٥) بنو مراد بطن من كهلان من القحطانية وهم بنو مراد بن مالك بن أد .

ابن حزم : الجمهرة ، ص ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٣٧٣ .

(٢٦٦) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ٢٠٠ .

(٢٦٧) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ٢٠٠ .

على الأرض وساعة ينام عليها فاذا كان وقت الصلاة قام وأسبغ الوضوء وأذن المؤذنون وصلى بالناس ورجع الجاسوس اللخمي الى قائد الروم فأخبره بما رآه وعأينه من القوم من الطاعة والعبادة (٢٦٨) ، فجعل ماهان يجمع الملوك ويعقد لهم الرايات والصلبان حتى عقد ستين ومائة صليب تحت كل صليب عشرة آلاف وأول صليب عقده لقناطر وهو نظيره في الرتبة ، وأمره أن يكون في الميمنة ، ثم عقد صليبا للديرجان وضم اليه الأرمن والروسية والصقالبة ، ثم عقد لابن أخت الملك صليبا على الافرنج والمهرقلية والقياصرة واليرقل والدوقس وعقد لجبلية بن الأيهم عقدا وضم اليه العرب المنتصرة من لخم وغسان وجذام وسائر قضاة وأمره أن يكون على المقدمة وقال له أنتم عرب وأعداؤنا عرب والحديد لا يقطعه الا الحديد ثم فرق الأعلام في أجناد عسكره (٢٦٩) .

ولما استؤنف القتال في اليوم الثامن للحرب حملت الروم حملة عظيمة على ميمنة المسلمين وفيها الأزدي ومذحج وحضر موت وحمير وخولان (٢٧٠) وكندة فثبتوا حتى صدموا أعداءهم وقتلواهم قتالا شديدا فثبتت الروم كالجبال وزال المسلمون من الميمنة الى ناحية القلب وتراجع طائفة من الناس الى الخلف وثبت صدر عظيم من المسلمين يقاتلون تحت راياتهم (٢٧١) ، وانكشفت يومئذ زبيد وهي في الميمنة وعليهم الحجاج ابن عبد يغوث من قوة الهجمة فتنادوا واجتمعوا وهم خمسمائة رجل فشدوا شدة أوقفوا بها تقدم الروم وشغلوه عن اتباع ما انكشف وهم يعظمونه لما سبق من شجاعته في الجاهلية فلما نظر الى قومه قد كشفوا صاح فيهم : يا آل زبيد ، أتفرون من الأعداء ! أترمون أنفسكم بالعار والذلة والشنار فلما سمعت زبيد كلام سيدها تراجعوا اليه وحملوا على الروم حملة واحدة وحملت معهم حمير وحضر موت وخولان فأزالوا الروم من مواضعهم (٢٧٣) وانبرت الأزدي للقتال ففشا فيهم القتل وأصيبوا بما لم

(٢٦٨) الواقدي : المصدر السابق : ج ١ ص ٢٠٠ .

(٢٦٩) الواقدي : المصدر نفسه : ج ١ ص ٢٠١ .

(٢٧٠) بنو خولان بطن من عريب بن كهلان القحطانية وهم بنو خولان بن عمرو ابن مالك بن الحارث بن مرة بن أدد .

ابن حزم : الجمهرة : ص ١٤٨ ، ابن عبد البر : الأنباة : ص ١١٧ ، والقلقشندي : نهاية الأرب : ص ٢٣١ .

(٢٧١) الأزدي : فتوح الشام : ص ٢٢٣ ، ابن أعثم الكوفي : الفتوح : ج ١ ص ٢٠١ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ١ ص ١٦٦ .

(٢٧٢) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ٢٠٦ ، الأزدي : فتوح الشام : ص ٢٢٣ ، ابن أعثم الكوفي : الفتوح : ج ١ ص ٢٠١ .

(٢٧٣) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ٢٠٦ ، الأزدي : فتوح الشام : ص ٢٢٣ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ١ ص ٢٠١ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ١ ص ١٦٦ .

يقتل مثله من سائر القبائل (٢٧٤) لأنهم تلقوا الصدمة الأولى بأنفسهم
فاستشهد منهم ما لم يستشهد من غيرهم وقتل يومئذ عمرو بن الطفيل
الدوسي وهو يقول :

يا معشر الأزد لا يؤتين المسلمون من قبلكم وأخذ يضرب بسيفه
وهو يقول :

قد علمت دوس ويشكر تعلم أنى أخو البيض ليوم مظلم

وأعزل الشكيم شد الأبهم كنت عزيزا في الوغاء ضيغم (٢٧٥)

وقاتل حتى قتل ولحق به ابنه جندب بن عامر (٢٧٦) وهما من
سادات دوس (٢٧٧) وذلك أنه في معمة القتال خرج بطريق من بطارقة
الروم وسأل المبارزة فخرج إليه غلام من الأزد فما جال معه جولة حتى
قتله البطريق وصال وحمل فردته الأزد فخرج له عامر بن الطفيل الدوسي
فقتل البطريق وحمل على العرب المنتصرة في جيش الروم فقتل منهم
فارسا (٢٧٨) ودعا للمبارزة فخرج إليه جبلة بن الأيهم وقال له : من أي
الناس أنت ؟ قال : أنا من دوس قال جبلة : انك من القرابة فابق على
نفسك وارجع الى قومك . قال عامر : قد أخبرتك من أنا ومن قبيلتي فأنت
من أي العرب ؟ قال : أنا من غسان وأنا سيدها جميعا أنا جبلة بن الأيهم
الغساني وقد نظرتك حين قتلت هذا البطريق الشديد وهو نظير ماهان
وجرجير فخرجت لأقتلك وحمل عامر على جبلة بن الأيهم والتقيا بضربتين

(٢٧٤) الأزدي : فتوح الشام : ص ٢٢٤ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق :
ج ١ ص ١٦٦ .

(٢٧٥) الأبييض : السيف وجمعه بيض ، والوغى : الجلبة والأصوات والمقصود
الحرب لما فيها من الصوت والجلبة وهو يفخر بنفسه لأن جميع قومه من دوس ويشكر
يعلمون أنه رجل الشدائد ملازما لسلاحه دائما لا يفارقه شجاعا في الحرب أسدا
دصورا .

الرازي : مختار الصحاح : ص ٧١ ، ٧٢٩ مادة بيض ، وغى .
(٢٧٦) الأزدي : فتوح الشام : ص ٢٢٤ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق :
ج ١ ص ١٦٧ .

(٢٧٧) بنو دوس بطن من شنوءة من الأزد القحطانية وهم بنو دوس بن عدنان
ابن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن خالد بن نصر
وهو شنوءة .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٧٩ ، ٢٨٣ « بطون دوس » ، القلقشندي : نهاية الأرب :
ص ٢٣٥ .

(٢٧٨) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ٢٠٩ .

فخرجت ضربة عامر بن الطفيل غير ممكنة وأصابته ضربة جبلة فسقط عامر قتيلا (٢٧٩) ووقف جبلة معجبا بنفسه يطلب المبارزة فخرج له ولد المقتول وهو جندب بن عامر بن الطفيل وكانت معه راية أبيه فأقبل إلى أبي عبيدة وقال : أيها الأمير ان أبي قد قتل وأريد أن آخذ بثأره أو أقتل فادفع رايته لمن شئت من دوس فأخذ أبو عبيدة الراية ودفعها إلى رجل من دوس فحملها وخرج جندب يريد قتال جبلة ؟ فسأله ومن أنت ومن المقتول؟ قال : أنا ولده . قال جبلة وما الذي حملكم على قتل أنفسكم؟! قال جندب: ان قتل النفس في سبيل الله محمود عنده تنال به الدرجة العالية : فقال جبلة : اني لا أريد أن أقتلك ورد جندب كيف أرجع وأنا المفجوع بأبي والله لا رجعت حتى آخذ بثأر والدي أو ألحق به . وجعلا يتقابلان وقد شخصت نحوهما الأبصار ونظر جبلة إلى الغلام وما أبدى من شجاعة فعلم أنه شديد البأس فأخذ منه حذره وعاجله بضربة عجلت بروحه إلى الجنة (٢٨٠) وجال جبلة على مصرعه وطلب المبارزة فصاح به قومه أن أرجع إلينا فقد قضيت ما عليك فَرَجِعْ وهو معجب بنفسه حتى وقف تحت صليبه .

وأصيب المسلمون بعامر بن الطفيل وولده جندب من دوس وعندما صاحت دوس بشعارها (الجنة الجنة) خذوا بثأر سيدكم عامر وساعدتها الأزد وكانوا أحلافهم وحملوا على غسان ولخم وجذام يريدون إسقاط صليبيهم فوصل منهم رجل إلى حامله فأرداه عن فرسه فوقع الصليب من يده منكوسا وقتل من الأزد ودوس رجال شبيههم الواقدي « بأنهم مثل الشامة البيضاء في جلد البعير الأسود » (٢٨١) ثم كرت غسان تريد أخذ صليبيها واقتتلوا عنده قتالا شديدا حتى قتلوا وقتل منهم خلق كثير ، وثبت جندب بن عمرو بن حممة وهو ينادي يا معشر الأزد : انه لا يمنح الراية إلا الأبطال ولا ينجو من الاثم والعار إلا من قاتل ألا وان المقتول الشهيد والخائب من تولى وقاتل الرجل حتى قتل (٢٨٢) وعندما برز أبو هريرة (٢٨٣) صاحب رسول الله وهو أحد الرؤوس في الأزد يحضهم على القتال لكونهم أغلب الجيش فصاح فيهم بقوله : سارعوا إلى الحور العين وجوار ربكم : فاجتمعت الأزد وقاتلوا ثم اضطربوا هم والروم في قتال شديد وجعلت تدور بهم الأرض في مجال واحد كما تدور

(٢٧٩) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ٢١٠ .

(٢٨٠) الواقدي : نفسه : ج ١ ص ٢١٠ .

(٢٨١) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ٢١١ .

(٢٨٢) الأزدى : فتوح الشام : ص ٢٢٤ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة الشام : ج ١

ص ١٦٧ .

(٢٨٣) اسمه عمير بن عامر بن عبد الله الدوسي .

البلاندي : انساب الاشراف : ج ١ ص ١٣٦ .

الرحى (٢٨٤) ، يقول عبد الله بن يزيد بن سراقه وهو ممن شهد اليرموك في وصف ذلك الموقف عن الأزدي « فوالله الذي لا اله الا هو ما برحوا ولا زالوا ولا تراجعوا وقد ركبهم من الروم أمثال الجبال فما رأيت موطننا قط أكثر قحفا ساقطا أو كفا طائحة من ذلك الموطن وقد أوحلناهم شرا وأوحلونا ، وكان جل القتال في الميمنة وكنا في آخرها فلقينا من قتالهم ما لم يلقه أحد ولكن الله عصمنا من أن نزول » (٢٨٥) وصدق رسول الله اذ يقول : « الأمانة في الأزدي وحضرموت فاستعينوا بهم فانهم لا يخيبون ولا يعلون هم مني وأنا منهم ومن لم يكن له أصل من العرب فليلقه بالأزدي فانهم أصل العرب » (٢٨٦) ، وفي ذلك اليوم كانت الهجمة شديدة من الروم على المسلمين اكتملت بأن حملت ميمنتهم على قبائل كنانة وقيس وخثعم وجذام وقضاة وعاملة وغسان (٢٨٧) وكان موقعهم فيما بين مسيرة المسلمين الى القلب فكشفوا المسلمين وزالت المسيرة عن مصافها وثبت أهل الرايات والحفاظ وركب القوم أكتاف من هزم حتى دخلوا معهم في معسكرهم فاستقبلتهم النساء بعمد الفساطيط يضربون وجوههم ويرمونهم بالحجارة (٢٨٨) .

لم تكن قبائل قيس بأقل شجاعة من قبائل اليمن فقد انبرى أبو الأعور السلمي (٢٨٩) من بني سليم (٢٩٠) مناديا قومه يحثهم على الصمود والقتال وأن يأخذوا نصيبهم من الأجر (٢٩١) ، وتوالت الحرب طاحنة بين الطرفين حتى كان يوم تسلسل فيه الروم الى بعضهم بالسلاسل

-
- (٢٨٤) الأزدي : فتوح الشام : ص ٢٢٥ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ١ - ص ١٦٧ .
- (٢٨٥) الأزدي : فتوح الشام : ص ٢٢٥ .
- (٢٨٦) العوتبي : الأنساب : ج ٢ ص ٤٤ .
- (٢٨٧) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ٢٠٨ .
- (٢٨٨) الأزدي : فتوح الشام : ص ٢٢٧ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ١ ص ١٦٨ .
- (٢٨٩) اسمه : سفيان بن عبد شمس .
- البلاذري : أنساب الأشراف : ج ١ ص ٣٣١ .
- (٢٩٠) عن بني سليم انظر :
- الزمخشري : الفائق : ج ١ ص ٥٧ ، ابن رشيق : العمدة : ج ٢ ص ١٦٨ .
- ابن بريد : الاشتقاق : ص ١٨٧ ، المقرئ : البيان والاعراب : ص ٦٤ .
- (٢٩١) الأزدي : فتوح الشام : ص ٢٢٨ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ١ ، ص ١٦٨ .

كى لا يفروا ، وكان أول من افتتح الحرب فى ذلك اليوم غلاما من الأزدي حدث السن كيسا قال لأبى عبيدة : أيها الأمير انى أردت أن أشفى قلبى وأجاهد عدوى وعدو الاسلام وأبذل نفسى فى طاعة الله عز وجل لعل أرزق الشهادة فهل تآذن لى فى ذلك فأذن له أبو عبيدة فألوى الغلام الأزدي رأس جواده وتقدم يريد القتال فخرج اليه رجل من الروم فلما قرب منه حمل عليه الغلام الأزدي وطعنه فخرج السنان من ظهره وأخذ عدته وجواده وسلم ذلك الى رجل من قومه وعاد يطلب المبارزة فخرج اليه ثان وثالث ورابع فقتلهم وأخذ سلبهم وخرج خامس فقتل الأزدي (٢٩٢) . فغضب الأزدي لقتل صاحبهم وزحفوا على الروم فأقبلت عليهم الروم كالجراد المنتشر قاصدين الميمنة وفيها قبائل اليمن من الأزدي ومذحج وحضرموت (٢٩٣) على اعتبار أنها أقوى الأجندة فى جيش المسلمين (٢٩٤) فإذا تداعى تداعى سائر الجيش ولذلك فقد كان تركيز الروم من بداية القتال عليها ، واستمرت الحرب على قدم وساق واشترك فيها نساء المسلمين المصاحبات لقبائلهن فكن يقاتلن قتال الموت ويضربن وجوه الخيل بالعمد ويلوحن بالأطفال ويسقين الماء ويشددن الجراح (٢٩٥) ، وفى احدى هجمات الروم الشديدة تراجع المسلمون ومعهم نساء لخم وجذام وخولان فخرجت خولة بنت الأزور وأم حكيم بنت الحرث وسلمى بنت لؤى وجعلن يضربنهن فى وجوههن ورؤوسهن بالعمد فرجعت نساء لخم وجذام وخولان يقاتلن قتال المستميت (٢٩٦) ، وكانت أسماء بنت أبى بكر تقرن عنانها بعنان زوجها الزبير بن العوام (٢٩٧) فيما كان يضرب الا ضربت مثله (٢٩٨) .

وفى اليوم الأخير للمعركة صف أبو عبيدة الرايات وعبأ عسكره تعبئة حسنة فخرج من الروم ملك يدعى سرجيس ودعا الى المبارزة وقال لا يخرج الى الا أميركم فخرج له أبو عبيدة فبارزه وقتله وخرج بعده ماهان قائله جيوش الروم يطلب المبارزة فخرج له رجل من دوس فقتل ماهان الدوسى وخرج اليه ثان فقتله (٢٩٩) فسارع المسلمون من مختلف القبائل وكل يقول : اللهم اجعل قتله على يدى فكان أول من برز اليه مالكا

(٢٩٢) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ٢٠٥ ، ابن اعثم : الفتوح : ج ١ ،

ص ٢٠٠ .

(٢٩٣) ابن اعثم : الفتوح : ج ١ ص ٢٠٠ .

(٢٩٤) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ٢٠٦ .

(٢٩٥) الطبرى : التاريخ : ج ٣ ص ٤٠١ .

(٢٩٦) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ٢١٨ ، ابن اعثم : الفتوح : ج ١

ص ٢٠٢ .

(٢٩٧) البلاذرى : انساب الاشراف : ج ١ ص ٩٠ .

(٢٩٨) ابن اعثم : الفتوح : ج ١ ص ٢٠٢ .

(٢٩٩) ابن اعثم : المصدر السابق : ج ١ ص ٢٠٧ .

النخعي (٣٠٠) من قبيلة النخع فضربه ماهان بعموده على بيضته فغاصت البيضة في جبهته فشترت عينه فمن ذلك اليوم سمي « الاشتري » فسهر نفسه وحمل على ماهان وألدم يسيل من جبهته فضربه ضربة عظيمة سال منها دمه فلما شعر بحرارة الضربة وهو أمير القوم ولى منهزما فصاح خالد بن الوليد بالمسلمين يأمرهم بالحملة والروم في دهشتهم فصاحوا بهم صيحة واحدة (٣٠١) ونادت النساء قبح الله رجلا يفر عن حليلته في ذلك اليوم (٣٠٢) ، وقاتل شرحبيل بن حسنة (٣٠٣) بمن كان تحت قيادته قتالا شديدا وكان وسطا من الناس فجعل ينادي أين الشارون أنفسهم ابتغاء مرضاة الله ؟ فاجتمع اليه أناس كثيرون وبقي القلب صامدا لم ينكشف أهله الذين كانوا مع سعيد بن زيد وكان أبو عبيدة من وراء ظهور المسلمين ردءا لهم .

لما رأى قيس بن هبيرة المرادي بمن معه من مراد وسائر القبائل اليمنية أن خيل المسلمين مما يلي الميسرة قد شدد عليهم الروم اعترضوهم (٣٠٤) وتعقب المسلمون آثارهم يقاتلونهم وهم يتقهقرون حتى كشفوهم وبعث أبو عبيدة الى سعيد بن زيد في القلب ليحمل عليهم فشدد المسلمون عليهم من كل مكان وضرب الله وجوه الروم ومنح المسلمين أكتافهم فقتلوا منهم خلقا كثيرا (٣٠٥) وتبعهم القوم يقتلونهم كل قتلة حتى انتهوا الى مكان مشرف على أهوية تحتهم وكان اليوم ضبابا فأخذوا يتساقطون فيها وهم لا يبصرون فصار لا يعلم آخرهم ما يلقي أولهم حتى سقط في هذه الأهوية ما يقرب من ثمانين ألف رجل ما أحصوا الا بالقصب (٣٠٦) فسميت تلك الأهوية « الواقوصة » (٣٠٧) حتى اليوم لأنهم وقصوا فيها وما فطنوا لتساقطهم حتى انكشف الضباب

(٣٠٠) اسمه مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن سلمة بن ربيعة .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٤١٥ .

(٣٠١) ابن أعمش : الفتوح : ج ١ ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

(٣٠٢) الأزدي : فتوح الشام : ص ٢٢٩ .

(٣٠٣) البلاذري : أنساب الأتراك : ج ١ ص ٢١٤ .

(٣٠٤) الأزدي : فتوح الشام : ص ٢٢٩ .

(٣٠٥) المصدر السابق : ص ٢٣٠ ، الطبري : التاريخ : ج ٣ ص ٤٠٣ .

(٣٠٦) الأزدي : فتوح الشام : ص ٢٣٠ .

(٣٠٧) الواقوصة : واد منخفض بالشام في أرض حوران : قال القعقاع بن عمرو

الشاعر :

الم ترنا على اليرموك فرنا كما فرنا بأيام العراق

فضضنا جمعهم لما استحالوا على الواقوصة البئر الرقاق

ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ .

فأخذوا في وجه آخر وقتل المسلمون منهم في المعركة بعد ما أدبروا نحواً من خمسين ألفاً وتبعهم خالد بن الوليد بالخيـل يقتلهم في كل واد وكل شعب وكل جبل ومن كل النواحي فلم يزل يقتلهم حتى انتهى إلى دمشق فاستقبله أهلها بأنهم ما زالوا على عهدهم فخرج متتبعا بقية الفارين قتلا وتنكيلا (٣٠٨) ، وتبع رجل من الأزد يدعى النعمان بن جلهمة الأزد في جماعة من قومه جمعا من الروم فيهم ماهان قائد جيوش الروم هاربا فلما أراد أخذه أسيرا مانع عن نفسه فقتله الأزد (٣٠٩) فكان من قتل من الروم في المعركة ومن سقط في الأهوية زهاء مائة ألف قتيل (٣١٠) وتمزق الباقي في الجبال والأودية بما فيهم متنصرة العرب وعلى رأسها غسان بقيادة جبلة بن الأيهم وقتل من المسلمين أربعة آلاف ونيف من مختلف القبائل كلهم من قبائل اليمن بصفة عامة ومن الأزد على وجه الخصوص إلا قليلا من قریش وقيس جمعهم أبو عبيدة وترحم عليهم ودفنهم (٣١١) .

يتضح لنا من هذا العرض ان معركة اليرموك (أول نصر عظيم للمسلمين خارج ديارهم) كانت يمنية الطابع قلبا وقالبا لكثرة من اشترك فيها من قبائل اليمن على رأسها الأزد يعاونها قلة من قيس من عبس وكنانة وغطفان وهوازن بقيادة حكيمة من أبي عبيدة عامر بن الجراح وخالد بن الوليد بمساعدة الأعلام من اليمن من أمثال قيس بن هيرة المرادي من مراد ، وعامر بن الطفيل الدوسي من دوس ، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي من زبيد ، ورافع بن عميرة الطائي من طيء ، ومالكا النخعي من النخع وغيرهم ، فكان نصرهم الساحق في اليرموك - وأول فتح كبير للمسلمين - وساما وضعت تلك القبائل على صدر بطونها وعشائرها مما أتاح لها السيادة في تلك البلاد فترة طويلة من الزمن فكانت موضع حسد القبائل القيسية التي هاجرت إلى الشام بعد الفتح ولم تحظ بذلك الشرف العظيم الذي سطرته قبائل اليمن بدماء أبنائها ، هذا ولم يتوقف دور القبائل اليمنية في الفتوحات على بلاد الشام فقط بل كانت بدايتهم بها بداية حسنة انطلقوا بعدها مشاركين وأحيانا متفوقين على قبائل قيس في سائر البلاد التي قدموا إليها في المشرق والمغرب (٣١٢) .

(٣٠٨) الأزدى : فتوح الشام ص ٢٣١ .

(٣٠٩) ابن أعمش : الفتوح : ج ١ ص ٢٨٠ .

(٣١٠) المصدر السابق : ج ١ ص ٢٠٨ .

(٣١١) المصدر نفسه : ج ١ ص ٢٠٨ .

(٣١٢) انظر عبد الله خورشيد البري : القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة

الأولى للهجرة : ص ١٢١-٢١٢ ، مصطفى أبو ضيف أحمد : القبائل العربية في الأندلس

حتى سقوط الخلافة الأموية : ص ٢٩ - ٣٨ .

لم يكن فتح المدن الكبرى والحصون القوية بالشام بأقل أهمية من هزيمة الروم باليرموك ومعهم حلفاؤهم من القبائل العربية المنتصرة بالشام بقيادة غسان واتحاد لخم وجذام وقضاة وتنوخ ، اذ كان على المسلمين تتبع فلول الروم ومنتصرة العرب للقضاء على خطرهم وتطهير الشام منهم ، فكانت وجهتهم بعد اليرموك الى حمص (٣١٣) وبها اجتمعت فلول كثيرة من الروم الهاربة من الهزيمة ودارت عندها معركة عظيمة انتهت بهزيمة الروم وفتح حمص بعد مقتل زعيمهم هربيس واستشهد من المسلمين مائتان وخمسة وثلاثون فارسا كلهم من حمير وهمدان الا ثلاثين رجلا من أهل مكة من أخلاط الناس (٣١٤) وصارت خيل المسلمين تخرج في طلب الروم للقضاء عليهم وطمعا في غنائمهم ، وتسابق زعماء القبائل في طلب العقد لهم بالزعامة على قبائلهم ، ومن ذلك ما حدث من مالك بن الحارث النخعي المعروف بالأشتر الذي جاء الى أبي عبيدة بن الجراح وطلب منه أن يعقده له على قومه من النخع (٣١٥) وكان قد أتاهم وعليهم رجل منهم فخاصمهم الى أبي عبيدة فدعا أبو عبيدة النخع وقال لهم . أى هذين أرضى فيكم أن يرأس عليكم فقالوا كلاهما شريف وفيينا رضى وعندنا ثقة فأقبل على الأشتر وقال له : أين كنت حين عقدت لهذا الراية ؟ قال : كنت في المدينة عند أمير المؤمنين ثم أقبلت اليكم . قال أبو عبيدة : فقدمت على هذا وهو رأس أصحابك ؟ قال : نعم . قال : فانه لا ينبغي أن تخاصم ابن عمك وقد رضيت به جماعة قومك قبل قدومك عليهم قال الأشتر :- فانه رضى شريف وأهل لذلك وأنا أيضا أهل للرياسة فايحفي من رياسة قومي فأليهم كما وليهم هذا ، فقال أبو عبيدة : آخروا ذلك اليوم حتى تكون وقعة مع الروم فاذا استشهدتما فما عند الله خير لكما وان هلك أحكما وبقي الآخر كان الباقي منكما الرأس على قومه وان بقيتما أعفيناك من رياسة القوم . قال الأشتر : قد رضيت ، فلما كانت إحدى الوقائع في مطاردة الروم استشهد رأس النخع الأول وجاء النخعي فعقد له أبو عبيدة على النخع (٣١٦) وكان من جلداء الرجال وأشدائهم قتل يوم اليرموك ثلاثة من الروم مبارزة وأحد عشر من بطارقتهم في القتال (٣١٧) .

(٣١٣) ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٢٠٢ - ٢٠٥ .

(٣١٤) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٦٠ .

(٣١٥) الأزدي : فتوح الشام : ص ٢٣٢ .

(٣١٦) الأزدي : فتوح الشام : ص ٢٣٣ .

(٣١٧) المصدر نفسه : ص ٢٣٣ .

وكثيرا ما كانت تحدث بعض الاحتكاكات البسيطة بين القبائل بدافع النعرة القبلية القديمة ولا سيما بين قبائل قحطان وعدنان ومن ذلك ما حدث بين النخع وعبس (٣١٨) حينما عقد لهما على خيل الطلب . فقد عقد أبو عبيدة للأشتر النخعي على ثلاثمائة فارس من قومه بعد اليرموك لتتبع آثار القوم وقال له : لا تتباعده في الطلب وكن مني قريبا فخرج الأشتر وكان يغير منه على مسيرة اليوم واليومين ، ثم دعا أبا عبيدة ميسرة ابن مسروق العبسي فسرحه في ألفي فارس للطلب فمر على قنسرين وتجاوزها متتبعا آثار القوم حتى قطع الدروب وبلغ الأشتر ذلك فمضى خلفه حتى لحقه (٣١٩) واذا بميسرة مواقف لجميع من فلول الروم تقدر بأكثر من خمسة آلاف وميسرة في ألفي فارس من قومه عبس فأحجم عنهم اشفاقا على من معه من الهلكة وبينما هو كذلك اذ طلع عليه الأشتر في ثلاثمائة فارس من النخع فلما رأهم ميسرة كبروا وكبر الأشتر وأصحابه وحملوا على الروم كل من جانبه فهزموهم وتبعتهم خيل المسلمين يقتلونهم (٣٢٠) فلما أمسوا نادى منادى عبس للصلاة فتقدم ميسرة بن مسروق العبسي فصلى بأصحابه وتقدم الأشتر فصلى بقومه ، فلما انصرف الأشتر جاءه قنان بن دارم العبسي فقال : يا صاحب هذه الخيل ما منعك أن تجيء فتصلي مع الأمير ميسرة بن مسروق فقال الأشتر ومن ميسرة بن

(٣١٨) بنو عبس قبيلة من غطفان بن قيس عيلان من مضر العدنانية ، وهم بنو عبس ابن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان ، والعبس الأسد وبه سمي الرجل واليهم ينسب عنتر بن شداد العبسي المعروف بالشجاعة ، كانت منازلهم بنجد وقامت بينهم وبين جيرانهم في الجاهلية حروب كثيرة مع فزارة وكتب وطىء من أشهرها حرب داحس والغبراء المعروفة بين عبس وفزارة اذ يقال انها دامت بينهم أربعين عاما .
الاصفهانى : الأغاني : ج ٨ ص ٢٤١ - ٢٤٥ ، ج ١٠ ص ٥ - ٧ ، ج ١١ ص ٩٢ ، ج ٩٣ ، السمعاني : الأنساب : ج ٢ ص ٢٨١ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٥٠ - ٢٥٢ ، ابن خلدون : العبر : ج ٢ : ص ٣٠٦ ، الفيروز آبادي : القاموس المحيط : ج ٢ ص ٢١٤ ، ابن رشيقي : العمدة : ج ٢ ص ١٦١ ، ١٦٢ ، النويري : نهاية الأرب : ج ٢ ص ٣٤١ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٣١٣ ، ٣١٤ ، كحالة : معجم قبائل العرب : ج ٢ ص ٧٢٨ - ٧٢٩ .

(٣١٩) الأزدي : فتوح الشام : ص ٢٣٧ .

(٣٢٠) الأزدي : فتوح الشام : ص ٢٣٧ ، ٢٢٨ .

مسروق ؟ قال : ميسرة بن مسروق العبسي . فقال الأشر : وما عبس ؟ ومن بنو عبس ؟ فقال الرجل : سبحان الله ! وما تدري من عبس ؟ قال الأشر : لا والله ما أدري . فقال له العبسي : فمن أنت ؟ قال : أنا مالك بن الحارث . قال : فمن أنت ؟ قال : من النخع . قال العبسي : فوالله ما سمعت بالنخع قط قبل الساعة (٣٢١) فغضبت ناس من أصحاب الأشر ، فقال الأشر لأصحابه : مم تغضبون انما أنا والله ما كذبت وما أظن هذا الرجل الا صادقا ، ثم قال : منعني يا عبد الله من الصلاة معكم أني وليت هذه الخيل ولم يؤمر على انسان ولم أؤمر بطاعة أحد وأنا إذا صليت الغداة انصرفت ان شاء الله تعالى فلما أصبحوا وصلى الغداة ارتحل بأصحابه من النخع (٣٢٢) ومضى ميسرة حتى بلغ مرج القبائل وهي ناحية انطاكية والمصيصة (٣٢٣) ثم انصرف راجعا ، فكانت كل قبيلة تعتز بنفسها وتعتبر أنه ليس لأحد غيرها من القبائل سلطان عليها والجميع سواسية أمام الأمير .

اتجه المسلمون بعد مصالحة أهل حمص وقنسرين الى حلب (٣٢٤) وهي أكثر مدن الشام تحصينا وكان عليها أخوان أحدهما يدعى يوقنا والآخر يوحنا (٣٢٥) فلما بلغتهم أنباء مسير العرب اليهم كمن يوقنا كميننا ثم سار يوحنا اليهم بجيوشه وفاجأهم وهم على نهر يسقون خيلهم ويتوضئون فهجم عليهم فلما اشتبك الجمعان خرج الكمين من خلفهم فهزم

(٣٢١) الأزدى : فتوح الشام : ص ٢٤٠ .

(٣٢٢) الأزدى : المصدر السابق : ص ٢٤١ .

(٣٢٣) المصيصة مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين انطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ١٤٤ ، ١٤٥ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٣٢٤) ياقوت : المصدر السابق : ج ٢ ص ٢٨٣ - ٢٩٠ .

(٣٢٥) الواقدي : فتوح الشام ج ١ ص ٢٢٥ .

المسلمون وكانت خسارة كندة (٣٢٦) يومئذ عظيمة فقد أبليت بلاء حسنا وقاتلت قتالا شديدا ومع هذا فقد قتل منهم مائة رجل في مقام واحد من هول المفاجئة ومن بقية القبائل سبعون رجلا منهم عباد بن عاصم النخعي من سادة النخع وسهيل بن مفلج وهو ممن شهد تبوك مع النبي ﷺ (٣٢٧) ، ولكن رغم ذلك فقد طارد أبو عبيدة الروم وتقدم الى حلب لفتحها وحاصرها المسلمون من كل جانب وكانت أسوارها حصينة متينة فامتنعت زمنا وكان لأهلها من الروم جواسيس من متنصرة العرب بالشام يأتونهم بالليل

(٣٢٦) قبيلة كندة من أكبر قبائل عريب بن كهلان القحطانية الضخمة ، وقد عرفت هذه القبيلة « بكندة الملوك » لأنها أخضعت لسلطانها في الجاهلية بعض قبائل بني عدنان مثل أسد وكنانة وقيس عيلان وبني تميم والرياب وتغلب وبكر بن وائل وغيرهم ، وكندة هو ثور بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أد بن زيد بن يشجب بن عريب ، وسمى كندة لأنه كند أباه أي كفر نعمته ، ومن بطون كندة الكبيرة : بنو معاوية بن كندة وبنو أشرس بن كندة ، ومن معاوية بن كندة بنو الأرقم بن النعمان وكانوا عثمانيين رحلوا عن الكوفة الى معاوية وقالوا : لا نقيم ببلد يسب فيه عثمان فأنزلهم معاوية الرهاء ومنهم بنو معاوية بن الحارث المنتهى نسبة الى ثور بن مرتع وكان ملكا ومنهم حجر بن الحارث والد امرئ القيس الشاعر وكان ملكا على بني كنانة وبني أسد ابني خزيمة فقتله بنو أسد واخوته شرحبيل بن الحارث ملك بني تميم والرياب قتله أخوه سلمة يوم الكلاب وسلمة بن الحارث ملك بكر وتغلب ابني وائل ومعد يكرب ملك قيس عيلان وقيس بن الحارث كان سيارا فأى قوم نزل بهم فهو ملكهم ، أما بطون بنو أشرس بن كندة فتتكون من ولديه السكاسك والسكون وهما من القبائل التي كان لها دور فعال في أحداث العصر الأموي فمن السكون معاوية بن حديج له صحبة وهو قاتل محمد بن أبي بكر في أحداث الفتنة بين علي ومعاوية ومنهم حصين بن نمير السكوني الذي صار صاحب جيش يزيد ابن معاوية بن مسلم بن عقبة في حصار مكة الشهير ووقعة الحرة بظاهر المدينة ولما بايع حصين مروان بن الحكم سنة ٦٥ هـ اشترط عليه أن ينزل البلقاء من كان بالشام من كندة وأن يجعلها لهم مأكلة فأعطاه ذلك ومنهم أكيدر بن عبد الملك السكوني صاحب دومة الجندل الذي أسره خالد بن الوليد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، أما ولد السكاسك بن أشرس بن كندة فكانوا ثمانية عشر ولدا ولهم ثروة عظيمة بالشام منهم حوى بن ماتع من بني عامر بن السكاسك وهو قاتل عمار بن ياسر في صفين ومن ولده نوح بن عمرو وكانوا في بيت لها قرب دمشق وزيايد بن هجعم ولي الشرطة لعبد الملك بن مروان ويزيد بن أبي كيشة السكاسكي وغيرهم .

نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ١١٩ ، ١٢٠ ، ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٢٩ ، الأصفهاني : الأغاني : ج ٩ ص ٨٥ ، الطبري : التاريخ : ج ٢ ص ١٢٨ ، ١٢٩ ، ج ٥ ص ١٧ « أحداث سنة ٢٧ وما بعدها » . الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ٨٨ ، نشوان الحميري : منتخبات في أخبار اليمن : ص ٩٤ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٢٥-٤٢٨ ، ابن خلدون : العبر : ج ٢ ص ٢٨١ ، ابن الأثير : أسد الغابة : ج ١ ص ١٢٧ ترجمة رقم ٤٩٧٢ « معاوية بن حديج » ، ابن عبد البر : الانباء على القبائل الرواة : ص ١١١ ، ١١٢ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٢١٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٧ ص ٣٢٦ ، العمري : مسالك الأبصار : ص ٨٣ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٣٦٦ ، (٣٢٧) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ٢٤٨ .

والنهار يخبرونهم بأحوال المسلمين (٣٢٨) فجاءوهم يوما وهم في الحصار وأخبروهم أن العلاقة من المسلمين قد خرجوا الى وادي بطنان (٣٢٩) وصالحوا أهله وعلوفة العرب وميرتهم منه وأن هناك جمالا وبغالا ومعهم بعض المسلمين يقصدون القرى لطلب الميرة وهم قليلون فلما سمع يوحنا صاحب حلب ذلك من جواسيسه خرج في ألف من أصحابه عند الفجر وباغت المسلمين فثبتوا له واقتتلوا قتالا شديدا فقتل من المسلمين ثلاثون رجلا كلهم من قبيلة طيء (٣٣٠) وانهزم الباقون وأخذ الروم ما كان معهم من الابل والبغال والميرة وعادوا الى قلعته .

لما فطن المسلمون الى أنهم مراقبون من عدوهم ركب خالد بن الوليد وأمر الناس أن يدوروا في عسكرهم وأن يقبضوا على كل من ينكروه ، وبينما هو في طوافه اذ بصر برجل من العرب المنتصرة وبين يديه عباءة يقبلها فجعل خالد يرقبه فجفل منه الرجل واستراب فيه خالد (٣٣١) وأقبل عليه قائلا : من أي الناس أنت يا أخا العرب ؟ فقال : أنا رجل من اليمن . قال : من أيها ؟ وأراد أن ينتمى الى غير قبيلته فجري الحق على لسانه وقال : أنا من غسان . فقبض عليه خالد وقدمه لأبي عبيدة متهما اياه بأنه عين للروم على المسلمين فأمر أبو عبيدة باختباره بالقرآن والصلاة فلم يدر ما يفعل أو يقول وأقر بأنه عين للروم وأن معه اثنين آخرين دخلا القلعة ليخبرا يوحنا بخبر المسلمين وأنه تخلف لينظر ما يكون من أمرهم فخيره أبو عبيدة بين الاسلام أو القتل فأسلم الجاسوس الغساني ونطق بالشهادتين (٣٣٢) .

استمر المسلمون محاصرين لقلعة حلب أربعة أشهر وهي ممتنعة عليهم فأرسل أبو عبيدة الى الخليفة عمر بن الخطاب يطلب المشورة مع عبد الله بن قرط الأزدي وجعدة بن هبيرة (٣٣٣) وفي هذه الأثناء خرج هلال بن بدر الطائي في جمع كبير من بطون طيء وعشائرها يريد الشام

(٣٢٨) الواقدي : المصدر السابق : ج ١ ، ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

(٣٢٩) واد بين منبج وحلب فيه أنهار جارية وقرى متصلة قصبته بزاعة .

ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ٤٤٧ ، ٤٤٨ .

(٣٣٠) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ، ص ٢٥٧ .

(٣٣١) الواقدي : المصدر السابق : ج ١ ص ٢٥٩ .

(٣٣٢) الواقدي : نفسه : نفسه : ج ١ ص ٢٥٩ .

(٣٣٣) اسمه جعدة بن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم .

امه فاخذته بنت أبي طالب بن عبد المطلب وكنيتها أم هانئ .

المصعب الزبيري : نسب قريش : ص ٢٤٤ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٧ .

للجهاد بعد أن جاءهم كتاب من الخليفة عمر بن الخطاب بذلك للانضمام إلى جيوش المسلمين المحاصرة لحلب (٣٣٤) فأضافوا دماء جديدة اليهم كانوا أحوج ما يكونون إليها في ذلك الوقت ، فكان هذا أحسن رد من الخليفة على كتاب أبي عبيدة له ، إذ جاءه المدد الذي كان ينتظره بعد أن فقد الكثير من قبائل كندة وطىء في قتال حلب التي صمدت أمامهم طويلا كما أنه كان لابد من استمرار تواتر القبائل على الشام في سيل لا ينقطع ليشدوا من أزر اخوانهم في تطهير البلاد من جيوب المقاومة وقلول الهاربين والمتأمرين من المتنصرة وغيرهم وحتى يحققوا الكثرة اللازمة لسكنى المدن والقرى التي هجرها أهلها وما كان ذلك كله ليتحقق لولا انتقال كثير من القبائل من شبه الجزيرة العربية إلى الشام في ذلك الوقت فما كان أسهل على الروم ومتنصرة العرب وأهل الشام مدنها وقراها من احتواء جيش من ثلاثين أو أربعين ألفا لو لم تأت الامدادات من موطنه بشكل متصل .

فما كاد يصل عبد الله بن قرط الأزدي وجعدة بن هبيرة بكتاب أبي عبيدة بن الجراح إلى الخليفة عمر بن الخطاب في المدينة يطلب العون والمدد حتى جاءه جمع من قبائل كندة وحضرموت وهمدان ومدان وسبأ ومارب وسنابس ونبهان (٣٣٥) ومن أقاصي اليمن يسألونه أن ينقدهم إلى الشام (٣٣٦) وكان منهم ناس يمشون على أقدامهم لا ركاب لهم فدعا عمر بابنه عبد الله وأمره أن يمضي إلى مال الصدقات ليأتي القوم بسبعين راحلة يتعاقبون عليها ويحملون زادهم وميرتهم على ظهورها فأسرع عبد الله ابن عمر وأتى بسبعين بعيرا سلمها اليهم وقال لهم : جدوا رحمكم الله إلى اخوانكم المسلمين وأسرعوا إلى حرب عدوكم (٣٣٧) ، فلما أشرف القوم على اخوانهم بالشام أخذوا زينتهم وجردوا سيوفهم ونشروا راياتهم وكبروا لله وصلوا على نبيهم فأجابهم أهل العسكر بالتكبير والتهليل من كل جانب (٣٣٨) ، واستقبلهم أبو عبيدة وسلم عليهم ونزل كل قوم عند بني عمهم وعشيرتهم ، وكانت كندة من أكبر القبائل الموجودة في حصار حلب

(٣٣٤) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ٢٦١ .

(٣٣٥) سنابس بطن من طيء سمو باسم أبيهم سنابس بن معاوية بن جرويل بن ثعل ابن عمرو بن الغوث بن طيء من القحطانية ونبهان ولد عمرو بن الغوث بن طيء أيضا كانت مساكنهم بنجد .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٠١ - ٤٠٣ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٢٧٣ ، كحالة : معجم قبائل العرب : ج ٢ ص ٥٥٧ .

(٣٣٦) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ٢٦٣ .

(٣٣٧) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ٢٦١ .

(٣٣٨) نفسه : ج ١ ص ٢٦٣ .

بعد أن أتاها المدد من اخوتهم وأهليهم فثبتت وقاتلت وحملت عبء الدفاع عن المسلمين ضد هجمات أهل حلب المتكررة وقد شهد لهم خالد بن الوليد بذلك عند الأمير أبو عبيدة بن الجراح حين قال له : (أصلح الله الأمير لقد رأيت كندة وقد أبلت بلاء حسنا وتقدم رجالها وثبت أبطالها وما زالت تضرب حتى أزالنا عنا حامية الكفر » . فقد له أبو عبيدة : « صدقت والله يا أبا سليمان لقد أسعدت الناس كندة بثباتها » (٣٣٩) .

كان من موالى بنى طريف - وهم من ملوك كندة الذين حضروا الى الشام - مولى لهم يقال له دامس أبو الهول وكان أسود كثير السواد بصاصا كأنه النخلة السحوق فارسا شجاعا قويا شاع ذكره في بلاد كندة وأودية حضرموت وجبال ميرة وأرض الشحر (٣٤٠) وقد أخاف البادية ونهب الحاضرة . وقلة تمكن هذا الرجل مع سبعة رجال أشداء من تسلق سور قلعة حلب في ليلة حالكه من مكان هادئ نام حراسه من الخمر ووصل الى بابها ففتحه للمسلمين ووقعت الصيحة في القلعة ودار القتل ضاريا بداخلها (٣٤١) حتى ألقى الروم سلاحهم ونادوا بالغيوث والأمان فأحضر أبو عبيدة رجالهم ونساءهم وعرض عليهم الاسلام فأسلم كثير منهم ومن ساداتهم (٣٤٢) .

لما فتحت قلعة حلب كانت وجهة المسلمين بعدها الى قلعة عزاز (٣٤٣) فاختار أبو عبيدة مائة رجل من أشداء القبائل من طيء وفهر وخزاعة وسنيس ونمير والحضارمة وحمير وباعلة وتميم ومراد وذلك بواقع عشرة رجال من كل قبيلة فكانوا خليطا من قبائل قيس واليمن وجعل على كل قبيلة نقيبا (٣٤٤) منهم فكان نقيب طيء ، خزعل بن عاصم ونقيب فهر فهر بن مزاحم وعلى خزاعة سالم بن عدي وعلى سنيس مسروق بن سنان وعلى نمير أسد بن جارم وعلى الحضارمة ماحد بن عميرة وعلى حمير ملكهم ذو الكلاع الحميري وعلى باهلة سيف بن قادح وعلى تميم سبعل بن حسن

(٣٣٩) الواقدي : المصدر السابق : ج ١ ص ٢٦٣ .

(٣٤٠) مهرة مخلاف باليمن والشحر صقع على ساحل بحر الهند بين عدن وعمان .

ياقوت : ج ٥ ص ٢٢٤ ، ج ٣ ، ص ٣٢٧ ، ٣٢٨ .

(٣٤١) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ، ص ٢٧١ .

(٣٤٢) نفسه : ج ١ ص ٢٧١ .

(٣٤٣) عزاز بليدة تقع شمالي حلب بها قلعة ولها رستاق وهي طيبة الهواء عذبة

الماء ليس بها شيء من الهوام .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ١١٨ .

(٣٤٤) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ٢٨٣ .

وعلى مراد مالك بن فياض وجعل على القوم مالكا بن الأشتر النخعي وفد
نجح الجميع في فتح عزاز وصالحوا أهلها (٣٤٥) وأرسل أبو عبيدة إلى
الخليفة عمر بن الخطاب يعلمه بذلك وأخرج الخمس من الغنائم فسلمه
إلى رباح بن غانم اليشكري وضم إليه مائتي فارس من المسلمين فيهم قتادة
وسلمة بن الأكوع وعبد الله بن بشار فأخذوا الخمس وساروا إلى
المدينة (٣٤٦) ، وهكذا ظل المسلمون يتنقلون في فتوحاتهم للشام من
مدينة إلى مدينة ومن قلعة إلى قلعة حتى وصلوا إلى أقصى شمال
البلاد (٣٤٧) وقد استغرق ذلك ثلاث سنوات كاملة ولم يستعص عليهم
إلا قيسارية في فلسطين فان معاوية فتحها سنة ١٩ هـ بعد أن حوصرت
سبع سنوات (٣٤٨) وظلت القبائل ترد الشام من شبه الجزيرة
للجهاد (٣٤٩) وطمعا في الغنائم وخصوبة العيش فلما تم للمسلمين فتح
الشام (٣٥٠) رحل عنه معظم أهله وخاصة من الروم وأسلم معظم المنتصرة
وانتشرت القبائل في ربوعه فتغير شكله ومعاله وهو ما سوف يتضح في
الفصل التالي من هذا الباب (٣٥١) .

(٣٤٥) نفسه : ج ١ ص ٢٨٣ .

(٣٤٦) الواقدي : المصدر السابق : ج ١ ص ٢٨٣ .

(٣٤٧) الأزدى : فتوح الشام : ص ٢٣٧ .

(٣٤٨) قيسارية بلد على ساحل الشام تعد من أعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة

أيام وكانت قديما من أعيان أمهات المدن واسعة الرقعة طيبة البقة كثيرة الخير والأهل .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ٤٢١ ، ٤٢٢ ، مسترنج : بلدان الخلافة الشرقية :

ص ١٦٨ ، ١٧٤ .

(٣٤٩) الطبري : التاريخ : ج ٤ ص ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، الأزدى : فتوح الشام : ص ٢٣٩ ،

كرد على : خطط الشام : ج ١ ، ص ١٩ .

(٣٥٠) البلاذري : فتوح البلدان : ص ١١٨ .

(٣٥١) الطبري : التاريخ : ج ٣ ص ٦٠١ .

الفصل الثاني

مناطق استيطان القبائل العربية بالشام بعد الفتح الإسلامي وأنسابها

كانت حرب اليرموك وفتوح الشام يمانية الطابع لكثرة من اشترك فيها من قبائل اليمن من مسلمين ومتنصرة (١) ، فاذا أضفنا لذلك سكنى القبائل اليمنية لهذه البلاد من قبل الاسلام (٢) أدركنا أنها كانت يمانية المعالم دون منازع قبل الاسلام وزمن الفتح ، غير أن السيادة لقبائل اليمن بالشام لم تدم بعد الفتح لكثرة من هاجر اليها من قبائل قيس (٣) التي نازعتها السيادة والسيطرة وان كانت لم تساوها في الكثرة العددية

(١) من المسلمين : الأزدي وحمير وكندة ومنحج وهمدان وطىء وخثعم وخولان والحضارمة . ومن المتنصرة الذين كانوا مع الروم : غسان ولخم وكلب وبهراء ويلي وسليح وتنوخ ونهد . تحالف من الأزدي وقضاعة وعريب بن كهلان .

البلاذرى . فتوح البلدان : ص ١١٥ ، الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ٦ ، الأزدي : فتوح الشام : ص ١٦ ، ابن أعثم الكوفي : الفتوح : ج ١ ص ٨٧ .

(٢) انظر : الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ٤٦ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ٢ ص ١٩٥ ، السعدي : مروج الذهب : ج ٢ ص ١٠٦ ، حمزة الاصفهاني : تاريخ سني ملوك الارض : ص ٩٨ ، ابن خلدون : العبر : ج ٢ ص ٧٠ ، أبو الفداء : المختصر : ج ١ ص ٧٠ ، ابن كثير : البداية : ج ٢ ص ٥٧٠ ، زيدان : العرب قبل الاسلام : ص ٨١ ، جواد على : المفصل : ج ٣ ص ١١ ، ديسو : العرب في سوريا قبل الاسلام : ص ٢ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات في تاريخ العرب : ص ٢٢١ ، ٢٢٢ ، محمد بيومي مهران : تاريخ العرب القديم : ص ٤٩٧ .

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢١١ .

لأنه اذا حسبنا القبائل اليمنية المنتصرة من لحم وغسان وقضاعة وبلقين وبلي وببراء وغيرها التي دخلت الاسلام - (باستثناء القلة من غسان التي أبت الاسلام ورحلت الى بلاد الروم بزعامه جبلة بن الأيهم) - فضلا عن قبائل الفتح التي كان معظمها من قحطان بالاضافة الى قبائل اليمن المهاجرة بعد الفتح الى جوار اخوتها وأبناء عمومتها (٤) فضلا عن أنه مهجرهم المفضل من قبل الاسلام لأدركنا أن التفوق العددي لقبائل اليمن على قبائل قيس بالشام دام لفترة طويلة خلال القرنين الأول والثاني الهجري لأن كثيرا من القبائل القيسية آثرت المضي الى مصر وافريقيا والاندلس (٥) عليها تجد من لا ينازعها ، وكان لذلك تأثيره على السيادة والزعامه للقبائل العربية في بلاد الشام في ذلك الوقت وكذلك على الأحداث ومجريات الأمور فيها .

وقد كان للدور البارز الذي لعبته القبائل العربية بصفة عامة في الفتوح أن صارت تشعر بأهميتها وتطالب بحقوقها الكامل في الفء والعطاء وتنفس على قريش استئثارها بالحكم والمال ومراتب الشرف (٦) . وكان ذلك مقدمة الأسباب التي أدت الى مقتل الخليفة عثمان بن عفان (٧) وقيام كثير من الثورات القبلية والتمرد على سلطان الدولة في العصر الأموي ، يضاف الى هذا أن حركة الفتوح وما أعقبها من قيام الأمصار واتساع رقعة الدولة ودوام التحركات القبلية كانت كلها عوامل أدت الى تغيير شامل في مواطن عدد كبير من القبائل العربية كما حدث في هجرة قبيلة أزد عمان اليمانية الى نواحي البصرة وقبيلة كلاب القيسية الى شمال الشام (٨) ، فقد نجم عن هذا التحرك القبلي الجديد احتكاك مباشر بمصالح القبائل بعضها ببعض مما أذكى روح التعصب القبلي لديها على نحو لم يكن مألوفاً من قبل ، هذا فضلا عن الخلل الذي حدث في التوزيع السكاني للعرب نتيجة للهجرات القبلية التي نزحت من شبه الجزيرة العربية ومن مركز الدولة في الحجاز لمواصلة الفتوحات والاقامة في الأمصار الجديدة فانتقل مركز الثقل في الدولة من القلب

(٤) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ٢٦١ ، ٢٦٢ .

(٥) المقرئ : البيان والاعراب : ص ٢٨ .

(٦) ابن خلدون : العبر : ج ٢ ص ١٢٦ .

(٧) انظر الطبري : ج ٤ ص ٣٦٥ - ٣٩٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ، ص ٢٢٨ .

(٨) الأصفهاني : الأغاني : ج ١٢ ص ٣٥ ، الطبري : التاريخ : ج ١١ ص ١٥ ، ابن خلدون : العبر : ج ٤ ص ٢٥٤ ، ابن منظور : لسان العرب : ج ٢ ص ٢٢٢ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ١٣ ، كحالة : معجم قبائل العرب : ج ٣ ص ٩٨٩ .

الى الأطراف (٩) وغدت هذه الأطراف ابتداء من أواخر عهد الخليفة عمر ابن الخطاب تضغط على حكومة المدينة وفقا لرغباتها في كثير من الأحيان، كما حدث بالنسبة لسكان الكوفة (١٠) الذين دأبوا على مطالبة الخلفاء بتغيير ولايتهم ، وبتطور الأوضاع انتقلت عاصمة الدولة نفسها الى الأطراف كما حدث في عهد علي ومنها الى دمشق في عهد الدولة الأموية بعد أن تحول مركز الثقل من جديد الى بلاد الشام .

ثم ان حركة الفتوح بصفة عامة فتحت الطريق على مصراعيه أمام القبائل للاحتكاك بحضارة الشعوب المغلوبة ومدنييتهم فتدفقت عليهم خيرات وفيرة هيأت لهم حياة رغدة تآقت معها نفوسهم الى البقاء في أمصارهم والاكتفاء بما فتح الله عليهم من البلاد فأخذوا يفضلون القعود على الفتح والجهاد (١١) وترجع بوادر هذه الظاهرة الى غزوة تبوك في عهد النبي ﷺ (١٢) وتجلت بوضوح في عزوف قبائل البصرة والكوفة عن الاشتراك الفعلي في الحروب الداخلية والخارجية على حد سواء وهو ما عانى منه علي بن أبي طالب ومصعب بن الزبير والحجاج ابن يوسف الثقفي (١٣) في حروبهم حيث اضطر الأخير الى الاعتماد على القبائل الشامية في تحقيق أهدافه لأن هذه القبائل ظلت محتفظة بروحها القتالية الى حد كبير معظم فترات القرن الأول الهجري وذلك مرده الى أن القبائل التي نزلت الشام لم تقم داخل المدن الرئيسية دفعة واحدة وإنما ظلت تقيم خارجها بعض الوقت قبل أن تسكنها (١٤) فضلا عن إشغالها المتواصل في الحرب ضد الروم في الثغور فيما عرف بالصوائف والشواتي (١٥) مما أكسبها خبرة واسعة في القتال (١٦) ، ولكل ذلك فقد تميزت هذه القبائل عن مثيلاتها من القبائل الأخرى في مختلف الأقاليم ولا سيما في العطاء والغنائم .

ان معرفتنا بمناطق استيطان القبائل العربية التي سكنت الشام بعد الفتح الاسلامي ممزوجة بأنسابها وبطونها يفيد الى حد كبير في معرفتنا

(٩) فلهاوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ٥٢ .

(١٠) ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ٤٩٠ - ٤٩٤ .

(١١) عبد العزيز الدوري : مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي : ص ٢٣ .

(١٢) انظر ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٧٥ - ١٨٥ ، أيضا سورة التوبة : آيات ٣٨ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٨١ - ٨٣ .

(١٣) انظر الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٦٤ - ٦٦ ، ج ٦ ص ١٥١ - ١٦٢ ، ص ٣٤٢ .

(١٤) البلاذري : فتوح البلدان : ص ٢١١ .

(١٥) الطبري : التاريخ : ج ٦ ص ٤٢٩ - ٤٣٣ .

(١٦) فلهاوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ٢٠٩ .

بالأحداث التاريخية التي وقعت في هذه الفترة المليئة بالصراعات القبلية المتعصبة لأنسابها والمتصارعة على مواطن الخصب وفي حروب قبائل عرب الشام بصفة عامة حيث لعبت الأنساب القبلية دورا هاما فيها ، فالأنساب تشكل الى حد كبير الهيكل العظمى للتاريخ الاسلامي وفهم هذا التاريخ لا يتأتى الا بمعرفة أنساب العرب لارتباطها الوثيق برجالاته وصانعي أحداثه (١٧) .

كان ينزل جنوب الشام قبل الاسلام في الصحراء الواقعة بينه وبين شبه جزيرة العرب وحول دمشق طائفة من القبائل اليمنية التي نزحت اليه منذ زمن بعيد ومن هذه القبائل غسان ولخم وجذام وطىء وعاملة وبطون شتى من قضاة منها كلب وبهراء وتنوخ وسليح وبلى ، وبعد أن تم فتح الشام دخلت معظم هذه القبائل في الاسلام وأعانوا المسلمين على الروم وبقيت معظم مواطنهم التي كانوا فيها قبل الفتح هي نفسها بعده لم يشاركهم فيها أحد من قبائل الغزو ، وكان مركز غسان بالشام هو منطقة اليرموك وفي بصرى وحوران (١٨) حيث يقيم معظمهم بالإضافة الى جماعات منهم سكنت البلقاء (١٩) وحمص (٢٠) ، والبيت والعدد في بني جفنة بن عمرو مزقيعاء وبني كعب بن عمرو مزقيعاء من الأزدي اليمنية (٢١) .

وبنو لخم من قبائل كهلان القحطانية ، ولخم هو مالك بن عدى ابن عمرو بن سبأ (٢٢) وبطونهم كثيرة منهم بنو الدار بن هانيء رهط تميم الداري (٢٣) ، وبنو نصر بن ربيعة ومنهم المناذرة ملوك الحيرة

(١٧) شاكر مصطفى : مصادر التاريخ الاسلامي : ص ٣١

(١٨) ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ٤٣٤ ، ج ١ ص ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ج ٢ ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

(١٩) البلقاء : كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى قصبتها عمان وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة .

البغدادى : مرصد الاطلاع : ج ١ ص ٢١٩ .

(٢٠) الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ١٧٩ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٣٤٨ .

(٢١) ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٧٢ .

(٢٢) ابن سعد : الطبقات : ج ٧ ص ٤٠٨ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٢٢ - ٤٢٥ ، السمعاني : الأنساب : ج ١ ص ١٢٥ ، ابن عبد البر : الأنباة : ص ٩٨ - ١٠٠ ، العمري : مسالك الأبصار : ص ٨٤ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٣٦٧ .

(٢٣) ابن سعد : الطبقات : ج ٧ ص ٤٠٨ ، ابن عبد الدر القرطبي : الاستيعاب في الأصحاب : ج ٢ ص ٥٨ ، الذهبي : سير اعلام النبلاء : ج ٢ ، ص ٤٤٢ .

العظام وبنو راشدة وبنو حدس وبنو ذعر (٢٤) وغيرهم . وديار لحم بالشام متفرقة أكثرها بين الرملة ومصر في الجفار وفي الجولان وما يليها من البلاد : نوى والبثنية وشقص (٢٥) من أرض حوران يخالطهم في هذه المواضع جهينة وذبيان وبعض القين (٢٦) .

وبنو جذام هم ولد عدى بن الحارث بن مرة بن أدد من قبائل عريب ابن كهلان ، ومن بطون جذام بنو غطفان وبنو أقصى وبنو الضبيث وبنو بعجة وبنو نفائة وجميع هؤلاء من حشم وحرام ابني جذام (٢٧) ، وجذام أخو لحم وعم كندة (٢٨) وكانت جذام في شبه الجزيرة تسكن منطقة جبال حسمى (٢٩) ولما انتقلوا إلى الشام سكنوا المنطقة الممتدة من مدين إلى تبوك وأذرح (٣٠) ، ومنها فخذ مما يلي طبرية من أرض الأردن إلى اللجون (٣١) واليامون ناحية عكا ومن حشم بن جذام بطن يقال لهم بنو جرى ينزلون بالرمل قريب من الفرما ، ويغلب على العريش بنو الثعل من بني جرى ، ومنهم أيضا بعبسان وهي قرية بداروم غزة (٣٢) .

أما طيء فهي قبيلة عظيمة من كهلان القحطانية تنسب إلى طيء ابن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن كهلان (٣٣) ، ويطون طيء وأفخاذها كثيرة من ولديه : قطرة والغوث ، فمن قطرة : جديلة وهم بنو

- (٢٤) السمعاني : الأنساب : ج ١ ص ١٢٥ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٢٢ ، العمري : مسالك الأبصار ص ٨٤ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٢٦٧ .
- (٢٥) نوى والبثنية من نواحي دمشق وشقص قرية من سرة بجيلة .
- ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ٢٢٨ ، ج ٣ ص ٢٥٥ .
- (٢٦) الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ٢٧١ ، ٢٧٢ .
- (٢٧) السمعاني : الأنساب : ج ٢ ص ٤٩٤ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٧٧ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٢٢٥ ، العوتبي : الأنساب : ج ٢ ص ١٢ - ٢٠ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ١٩١ ، ١٩٢ .
- (٢٨) القلقشندي : نهاية الأرب : ص ١٩١ .
- (٢٩) حسمى أرض غليظة بيادية الشام بينها وبين وادي القرى ليلتان .
- ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ .
- (٣٠) مدين على بحر القلزم محاذية لتبوك وأذرح بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة من نواحي البلقاء .
- ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ١٢٩ .
- (٣١) بلد بالأردن بينه وبين طبرية عشرون ميلا .
- البغدادى : مراصد الاطلاع : ج ٣ ص ١٢٠٠ .
- (٣٢) الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ٢٧٢ .
- (٣٣) الأصفهاني : الأغاني : ج ٨ ص ٢٢٩ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٢٥ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٧٦ ، أبو القداء : المختصر : ج ١ ص ١٠٨ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٢٩٧ .

خارجية بنو سعد بن قطرة ومنهم الثعالب : ثعلبة بن رومان وابن أخيه
 ثعلبة بن ذهل وثعلبة بن جدعاء وغيرهم ، ومن بطون الغوث بن طيء :
 بنو ثعل بن عمرو وبنو جرم وبنو نبهان وبنو حنن ، ومن ثعل بن حنن وممن ،
 ومن نبهان بن سعد وقابل (٣٤) ، وكانت منازل طيء باليمن وخرجوا منه
 عن أثر خروج الأزد بسبب سيل الحرم (٣٥) فنزلوا سميراء (٣٦)
 رغيد (٣٧) وبنو نهر بنى أسد بنجد الحجاز ثم غلبوهم على جيلي أجا
 وسامي اللذين عرفنا لذلك بجبالي طيء ، ومنهما أخذت طيء تمتد وتتوسع
 وخاصة قبل الإسلام بوقت قصير ومع بداية عصر الفتوحات ، استولت
 من بلاد بني أسد على أرض غفر فيما وراء الكرخ من أرض الجزيرة (٣٨)
 واستولت على منازل تميم فيما بين البصرة والكوفة واليمامة ، وورثوا
 شطآن فيما بين وادي القرى شمالا ، ولما رحلوا إلى الشام نزلوا جنوبى
 فلسطين حتى ملقوا الجبل والسهل والوادي حجازا وشاما وعراقا (٣٩) ،
 ومن منازل طيء وبنوهم : القرىات وهي : دومة وسكاكة والقارة (٤٠)
 والربيع (٤١) ومحضر وتيماء ، ومن جبالهم : أدبي وهو جبل أسود في
 أدبي ديسار طيء وناحية دار فزارة (٤٢) ودباب والأعيرف (٤٣)
 والساقيم (٤٤) والشرى وهو بنجد والزمان ، ومن مياههم : غصنور

(٦٤) ابن حزم : الجمهرة - ص ٤٧٦ ، المعرى : مسالك الأبصار : ص ٨٠ ، ٨١ ،

(٦٥) اللواتي : الأنساب : ج ٢ ص ٥٢ .

(٦٦) ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٢٥٥ .

(٦٧) غير بعيدة في منتصف طريق مكة من الكوفة يودع فيها الحاج أزوادهم وما يثقل
 من أمتعتهم عند أهلها فإذا رجعوا أخذوا أزوادهم وودعوا لمن أودعوهما شيئا من ذلك وهي
 مكة : ثلث لأبهم وثلاث لآل أبي سلامة من همدان وثلث لبني نبهان من طيء ، وبين
 مكة والشرى ست ليال وليس من دون فيد طريق إلى الشام .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٣٢٠ .

(٦٨) ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ٤٤٧ - ٤٤٩ ، البغدادى : مراصد : ج ٢

ص ١١٥٥ .

(٦٩) اللواتي : صفة جزيرة العرب : ص ٢٧٤ .

(٧٠) سكاكة إحدى القرىات انتهى منها دومة الجندل والقارة قرية كبيرة على قارعة
 الشريق ومن أشهر الأول من حمص للقاصد إلى دمشق وأهلها كلهم نصارى وبها عيون
 جارية ومن عيون غيرها .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٢٢٩ ، ج ٤ ص ٢٩٥ .

(٧١) البغدادى : مراصد الاطلاع : ج ١ ص ٤٤ .

(٧٢) البغدادى : المصدر السابق : ج ٢ ص ٩٠٤ .

(٧٣) ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ٢٢٣ ، ج ٢ ص ٤٣١ .

(٧٤) البغدادى : مراصد الاطلاع : ج ١ ص ٦٨ .

وأراضي وبزاخة وأبرق النمار (٤٥) وقران ومويسل وتنعة ربة
 لقبيلة طيء شأن عظيم في الجاهلية حتى أن بعض مؤرخي العربيات في بلادهم
 أطلقوا اسمها على العرب جميعا (٤٧) ، وبقيت بطونها في الشام
 منتشرة في بوادي الجزيرة المطلة على الشام والحواري حامية خرد
 وسيادة (٤٨) .

وعاملة من القبائل العربية الكبيرة التي سكنت الشام من قبل
 الاسلام واشتركت مع الروم في حرب المسلمين قبل أن يسلموا بها .
 وبنو عاملة هم ولد الحارث بن عدي بن الحارث بن مرة بن ثعلبة بن زيد
 ابن يشجب بن عريب بن زيد بن كيلان بن سبأ وهو أخو عثم وجندام (٤٩) .
 وتتفرع عاملة من ولدي الحارث الزهد ومعاوية ونسبها إلى ثعلبة ومن
 عاملة بنت مالك القضاعية ، وكانت عاملة حلفاء تكامية ونزلت بهم
 طيء (٥١) ، وعاملة بطن متسع كانت تسكن اليمن وخرجت منه مع من
 خرج من بني قحطان بعد سيل العرم وسكنت بلاد الشام في منطقة جبال
 عاملة التي عرفت باسمهم حتى الآن وهي مشرفة على طبرية إلى نحو
 البحر (٥٢) .

تعتبر قبائل قضاة من أهم القبائل العربية التي سكنت بلاد
 الشام منذ زمن طويل قبل الاسلام (٥٣) ودانت به بعد الفتح ولعبت دورا
 كبيرا في تاريخه وأحداثه لكثرة قبائنها وبنونها وانتشارها في ربوع
 الشام ، وإذا كانت قبائل غسان ولخم وجندام وطيء وعاملة تنتمي إلى

(٤٥) أبرق النمار ماء لطى وغسان قرب طريق الحاج .

البغدادى : مرصد الاطلاع : ج ١ ص ١٤ .

(٤٦) من مياذ طيء كان بها منزل حاتم الطائي وقبره .

البغدادى : مرصد : ج ١ ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

(٤٧) جواد على : الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام : ج ٤ ص ٢٦٤ .

(٤٨) وصفى زكريا : عشائر الشام : ج ١ ص ٧٢ .

(٤٩) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٧٠ ، ابن عثم الكوفي : فتوح : ج ١

ص ١٠٣ ، ابن الاثير : الكامل : ج ٢ ص ٢٧٦ .

(٥٠) ابن حزم : الجمهرة ، ص ٤١٩ ، القلقشندي : ذباية العرب : ص ٢٠٣ .

(٥١) ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٢ .

(٥٢) الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ٢٧٢ .

(٥٣) المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ٧٦ - ٨٧ ، ابن رجب : طبرستان : ص ٤١٥ .

كهلان بن سبأ (٥٤) فان قبائل قضاة من كلب وبهراء وبللى وسليح وتنوخ وتهب تنتمى الى حمير بن سبأ (٥٥) الذين منهم التباينة والاذواء (٥٦) والاثنان أصلهما قحطان اليمن ، وكان لقبائل حمير وكهلان بصفة خاصة منذ القدم علاقات كبرى وصلات وثيقة ببلاد الشام تفوق ما كان لقبائل عدنان من ضلالت بهذه البلاد بكثير : اذ كانت بلاد الشام ملجأهم ومستودعهم منذ أيام بعيدة قبل الاسلام دون سواهم من العرب (٥٧) ، فاستقرت قبائل كثيرة منهم فيها وانتشروا في مختلف بقاعها وحتى في عصر الفتوحات كانت قبائلهم هي الغالبة في الجيوش التي خرجت للفتح (٥٨) ومن ثم فلا بد من القول بأن أعدادهم قد ازدادت هناك ازديادا كبيرا بالتوالد وتتابع الهجرة حتى صاروا عنصرًا رئيسيا من عناصر السكان في هذه البلاد وصارت القحطانية بما لا شك فيه هي غالبية أهل الشام من العرب .

ومن بنى حمير بن سبأ التباينة ومنهم قضاة وهو قضاة بن مالك ابن حمير بن سبأ وقيل قضاة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك ابن حمير (٥٩) ، وكان قضاة مالكا لبلاد الشحر (٦٠) وقبره بها (٦١) ، وقد تنوزع في نسب قضاة ، أمن معد كان أم من قحطان ؟ فقضاة تابعي

(٥٤) البرد : نسب عدنان وقحطان : ص ١٨ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٨٤ ، ابن عبد البر : المجتبى : ص ٣٦٩ ، أبو الفداء : المختصر : ج ١ ص ١٠٠ ، العمري : مسالك الألبان : ص ٧٤ .

(٥٥) ابن حبيب : مختلف القبائل ومؤلفها : ص ٩ ، ابن سعد : الطبقات : ج ١ ص ٢٠ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٤٠ .

(٥٦) التباينة هم قوم تبع الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم ، «سورة الدخان ١ ٣٧» وكان ظهورهم حوالي سنة ١١٥ ق.م حيث ظهر في ذلك الوقت لقب جديد للملك سبأ هو «سبأ وذو ريدان» والاذواء جمع ذو بمعنى صاحب .

المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ٧٦ - ٨٧ ، باب ذكر اليمن وملوكها ، ابن رشيقي العمدة : ص ٤١٥ ، باب في معرفة ملوك العرب ، الرازي : مختار الصحاح : ص ٢٢٤ ، مادة «ذو» ، خليل ينجى نافع ، نقوش عربية جنوبية : مجموعة ٢ ، مجلة كلية الآداب : ج ٢ مجلد ١٦ ، ص ٢٢ ، جواد علي : تاريخ العرب : ج ٢ ص ٢١٤ .

(٥٧) المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ٧٦ .

(٥٨) انظر الأزدي : فتوح الشام : ص ١٦ - ٢٦ .

(٥٩) ابن حبيب : مختلف القبائل : ص ٩ ، ابن سعد : الطبقات : ج ١ ص ٣٠ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٤٠ ، أبو الفداء : المختصر : ج ١ ص ١٠٠ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٢٥٨ .

(٦٠) الشحر : ساحل اليمن وهو ممتد بينها وبين عمان أو هو بين عدن وعمان . البكري : معجم ما استعجم : ج ٣ ص ٧٨٣ ، البغدادي : مرآة الاطلاع : ج ٢ ص ٧٨٥ .

(٦١) وهب بن منبه : التيجان في ملوك حمير : ص ٣٠٣ .

ان تكون من معد وتؤكد أنها من قحطان (٦٢) وفي ذلك يقول عمرو
القضاعي :

نحن بنو الشيخ الحجان الأزهر قضاة بن مالك بن حمير (٦٣)

وقد ثار بين التسابين من عدنان وقحطان منذ بداية العصر الأموي
نزاع عنيف حول نسب قبيلة قضاة شارك فيه الخلفاء والولاة والشعراء
ورؤساء القبائل (٦٤) ولعبت التيارات العصبية والسياسية دورا بارزا
فيه ، ويظهر أن ضخامة قبائل قضاة (٦٥) واتصالها بأحداث العصر
الأموي كان محور هذا النزاع والدافع اليه ، وكان ضم قضاة الى أحد
الجانبين المتنازعين من قحطان وعدنان يؤدي الى ترجيح كفته في الميزان
القبلي والسياسي (٦٦) .

وقد انتهى النزاع حول أصل قضاة الى انتمائها لليمن (٦٧) ،
وكما لعبت قضاة دورا هاما في تاريخ بلاد الشام وشمال شبه جزيرة
العرب في الاسلام كانت كذلك أيضا قبل الاسلام بحكم سكنها في موقع
وسط بين الاثنيين « فبلادهم متصلة بالشام وبلاد اليونان والأمم التي بادت
ممالكها بغلبة الروم عليها وبلاد بني عدنان (٦٨) » وكانوا قبل ذلك
يسكنون اليمن في الشحر ونجران (٦٩) ثم انتقلوا الى الحجاز ومنه الى

(٦٢) انظر : المبرد : نسب عدنان وقحطان : ص ٢٣ ، المسعودي : مروج الذهب :
ج ٢ ص ١٠٦ وعن الاختلاف في نسب قضاة : ابن سعد : الطبقات : ج ١ ص ٣٠ ،
ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٤٠ ، الهمداني : الاكليل : ج ١ ص ١٢٧ ، ابن عبد البر :
الأنباء : ص ٥٩ ، ابن سعيد الأندلسي : نشرة الطرب : ج ١ ص ٧١ ، أبو الفداء :
المختصر : ج ١ ص ١٠٠ ، العمري : مسالك الأبصار : ص ٧٤ ، القلقشندي : نهاية الأرب :
ص ٣٥٨ ، ٣٥٩ .

(٦٣) القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٣٥٨ .

(٦٤) المصعب الزبيري : نسب قريش : ص ٥ ، العمري : مسالك الأبصار :
ص ٧٤ .

(٦٥) راجع ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٤١ - ٤٦٢ .

(٦٦) احسان النص : العصبية القبلية واثرها في الشعر الأموي : ص ٤٥ .

(٦٧) المصعب الزبيري : نسب قريش : ص ٥ ، ابن الكلبي : الأمنام : ص ٤٨ ،
الأصفهاني : ج ٢ ص ٣٥ ، الطبري : التاريخ : ج ٤ ص ٨٦ ، ابن عبد ربه : العقد :
ج ٢ ص ٧١ . ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٤٠ ، ابن صاعد : طبقات الأمم : ص ٤٣ ،
البكري : معجم ما استعجم : ج ١ ص ١٧ ، ج ١٩ ص ٥٠ ، ابن منظور : لسان العرب :
ج ١٠ ص ١٤٩ ، ابن خلدون : العبر : ج ٢ ص ٢٤٧ - ٢٤٩ .

(٦٨) ابن حزم : الجمهرة : ص ٨ .

(٦٩) نجران في عدة مواضع منها نجران في مخاليف اليمن .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ٢٦٦ - ٢٧١ .

الشام فكان لهم ملك ما بين الشام والحجاز الى العراق ومن أيلة وجبال الكرك الى مشارف الشام واستعملهم الروم على بادية العرب (٧٠) ، وقد حاربهم عمرو بن العاص في عهد النبي ﷺ سنة ٧ هـ في غزوة ذات الأسلاسل (٧١) في أرض بني عذرة من قضاة (٧٢) ، وكانت النصرانية منتشرة في كثير من قبائلهم في ذلك الوقت (٧٣) ، ويذكر ابن حزم أنه وبعض نسابى عصره (٣٨٤ - ٤٥٦ هـ) « وجدوا في كتب بطليموس وفي كتب العجم القديمة ذكر القضاة ونبتة من أخبارهم وحروبهم » (٧٤) مما يدل على حيوية هذه القبائل وعظم دورها الذي لعبته في ذلك الوقت .

وتعتبر قبيلة كلب من أضخم قبائل قضاة القحطانية بالشام صاهرهم عثمان بن عفان (٧٥) ومن بعده معاوية فكانوا أحوال ابنه يزيد ومن أشد أنصار الأمويين ، وهم بنو كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان ابن عمران بن الحاف بن قضاة (٧٦) ، وكان بنو كلب في الجاهلية ينزلون دومة الجندل وتبوك (٧٧) وأطراف الشام (٧٨) وخاصة منطقة السماوة ولا يخالط بطونها في السماوة أحد ، ومنهم بالغوطة ووادي

(٧٠) ابن حبيب : المحبر : ص ٣٧٠ ، المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ١٠٦ ،
ذلكه : أمراء غسان : ص ٤ .

(٧١) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٥٣ .

(٧٢) بنو عذرة بطن عظيم من قضاة من القحطانية وهم : بنو عذرة بن سعد هذيم ابن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة وهم المعروفون بشدة العشق لما يقال من أن بنسائهم صباحة وفي رجالهم عفة .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، السمعاني : الأنساب : ج ٢ ص ٢٨٦ .
القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٣٢٦ . وعن أصلهم ومواطنهم انظر ما سبق في ذلك .

(٧٣) البكري : معجم ما استعجم : ج ١ ص ١٩ « منازل قضاة وهجرتهم » ،
كحالة : معجم قبائل العرب : ج ٣ ص ٩٥٧ ، ٩٥٨ .

(٧٤) ابن حزم : الجمهرة : ص ٨ .

(٧٥) كانت زوجته نصرانية تدعى نائلة بنت الفرافصة الكلبي .

البلانري : أنساب الأشراف : ج ٥ ص ١٢ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٧ ص ٢٨٢ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٨١ .

(٧٦) ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ابن سعيث الأندلسي : نشوة الطرب : ج ١ ص ١٧٢ ، أبو الفداء : المختصر : ج ١ ص ١٠٠ ، ١٠١ ، العمري : مسالك الألبصار : ص ٧٥ .

(٧٧) ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٤٨٧ - ٤٨٩ ، البغدادى : مراصد الاطلاع : ج ١ ص ٢٥٣ .

(٧٨) ابن خلدون : العبر : ج ٢ ص ٥٢١ .

القرى (٧٩) . وفى الفتوح ومع تحركات القبائل نزلت طوائف منهم منطقة الغور وجنوبى عكا والساحل فى أوائل العصر الأموى ، وكانت تدمر (٨٠) عاصمة كلب ومقر قيادتهم (٨١) ، ومن قضاة أيضا بنو بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاة (٨٢) وهى من كبريات قبائل قضاة ، وكانت منازل بهراء تقع شمال منازل بلى وتمتد من الينبع الى عقبة أيلة على بحر القلزم (٨٣) .

ومن قضاة تنوخ وهم قبائل اجتمعت وتآلفت وسموا بذلك لأنهم اتفقوا على التنوخ أو المقام بالشام (٨٤) فأقاموا بحاضر حلب ، وفى منطقة المعرة (٨٥) كان جمعهم الأكبر ومنهم بنو فهم بن تيم الله بن أسد بن وبرة وقشم وهم بالجزيرة الفراتية حلفاء لبنى تغلب (٨٦) ومنهم مالك بن زمير ابن عمرو بن فهم بن تيم الله بن أسد بن وبرة وعليه تنخت تنوخ وعلى عم أبيه مالك بن فهم (٨٧) .

أما بنو سليح فهم قبيلة عمرو بن حلوان بن عمران بن الحاف ابن قضاة المعروفين بالضجاعة نسبة الى حماطة بن ضجعم بن سعد

(٧٩) الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ٢٧٢ .

(٨٠) تدمر مدينة قديمة فى بيرة الشام .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ١٧ - ١٩ .

(٨١) القلقشندي : صبح الأعشى : ج ١ ص ١٦٦ ، فلهاوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ١٤٣ .

(٨٢) الأصفهاني : الأغاني : ج ١١ ص ٢٦ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٤١ ، ابن منظور : لسان العرب : ج ٥ ص ١٥٢ ، الزبيدي : تاج العروس ، ج ٢ ص ٦٣ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ١٧٢ ، أحمد لطفى السيد : قبائل العرب : ج ١ ص ٥١ ، كحالة : معجم قبائل العرب : ج ١ ص ١١٠ .

(٨٣) القلقشندي : صبح الأعشى : ج ١ ص ٣١٧ ، نهاية الأرب : ص ١٧٢ .

(٨٤) عن اسم تنوخ انظر : الأصفهاني : الأغاني : ج ١١ ص ١٥٥ ، الجوهري : الصحاح : ج ١ ص ٢٠٩ ، الزمخشري : الفائق : ج ١ ص ٧٣ ، الزبيدي : تاج العروس : ج ٤ ص ٤٤١ .

(٨٥) مدينة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة .

(٨٦) ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٥٣ ، ابن خلدون : العبر : ج ٢ ص ٢٤٨ ،

العمري : مسالك الأبصار : ص ٧٦ .

(٨٧) ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٥٢ .

ابن سليح بن حلوان (٨٨) وكانوا ملوكا بالشام في أرض الغوطة قبل مجيء
غسان الذين قضوا عليهم وأخذوا مكانتهم (٨٩) .

وأخيرا من قبائل قضاة التي سكنت الشام من قبل الاسلام بنو بلي
وهم ولد عمرو بن الحاف بن قضاة ، ومعظم بطون بلي من ولديه فران
وهني ومنهم بدريون وصحابة (٩٠) ومساكن بلي تقع بين المدينة ووادي
القرى من منقطع دار جهينة الى حد دار جذام بالنبك (٩١) على شاطئ
البحر ولها ميا من البر الى حد تبوك (٩٢) ومن جبال الشراة الى معان (٩٣)
وأيلة ، ومن ديار بلي أمج وجران وهما واديان يأخذان من حرة بنى سليم
وينتهيان في البحر (٩٤) وقد ذكر ابن خلدون « ان موطن بلي تقع شمالي
جهينة الى عقبة أيلة على العدو الشرقية من بحر القلزم » (٩٥) . وقد
حدث زمن الخليفة عمر بن الخطاب أن نادى رجل من بلي بالشام بدعوى
الجاهلية قائلا : « يا آل قضاة » فأمر الخليفة عاملة بالشام أن يسير
ثلاث قضاة من الشام فساروا الى مصر (٩٦) ، ومن قبائل قضاة
المشهورة أيضا بالشام : النمر بن وبرة وأسد بن وبرة وجهينة وسهد

(٨٨) ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٥٠ ، الزبيدي : تاج العروس : ج ٢ ص ١٦٥ .
ابن خلدون : العبر : ج ٢ ص ٢٤٧ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٢١٤ ، العمري :
مسالك الأبصار : ص ٧٦ .

(٨٩) وهب بن منبه : التيجان في ملوك حمير : ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ابن قتيبة :
المعارف : ص ٦٤٢ ، ابن حبيب : المحبر : ص ٣٧١ ، حمزة الأصفهاني : تاريخ سني ملوك
الأرض : ص ٩٨ ، ٩٩ ، اليعقوبي : التاريخ : ج ١ ص ١٦٧ ، نلدكه : أمراء غسان :
ص ٨ .

(٩٠) ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٤٢ ، العمري : مسالك الأبصار : ص ٧٦ ،
القلقشندي : نهاية الأرب : ص ١٧٠ ، ١٧١ .

(٩١) النبك : قرية مليحة بذات النخائر بين حمص ودمشق فيها عين عجيبة تجري
باردة في الصيف طيبة عذبة .

البغدادي : مرصد الاطلاع : ج ٣ ، ص ١٣٥٤ .

(٩٢) الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ١٧٠ .

(٩٣) معان : مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء .

البغدادي : مرصد الاطلاع . ج ٣ ص ١٢٨٧ .

(٩٤) ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ٢٥٠ .

(٩٥) ابن خلدون : العبر : ج ٢ ص ٢٤٧ .

(٩٦) المقرئ : البيان والأعراب : ص ٣٦ ، ٣٧ ، القلقشندي : نهاية الأرب :

ص ١٧١ .

هذيم وبنو عذرة ونهد ومهرة بن حيدان وجرم بن ربان وغيرهم ممن سكن الشام وباديته وشمال شبه جزيرة العرب (٩٧) .

بالإضافة الى زمرة القبائل اليمنية التي كانت معظمها يسكن جنوب الشام وشرقاً ووسطه من قبل الاسلام كانت هناك قبيلة عربية كبيرة اختارت شمال الشام سكناً لها في ذلك الوقت ألا وهي قبيلة تغلب ، بيد أنها لم تكن من قحطان وإنما هم من العرب العدنانية (٩٨) ولذلك آثرت الابتعاد وسكنى الشمال ، وتغلب تنتمى فى نسبها الى ربيعة بن نزار الذى أنجب أسد وضبيعة (٩٩) وكان البيت والعدد والشرف فى أسد بن ربيعة (١٠٠) ومن قبائلها المشهورة وائل بن قاسط وهو من ولد جديلة بنت أسد ومن وائل تنحدر عبس وبكر وتغلب أضخم قبائل ربيعة أصحاب الشهرة والأحداث الضخمة فى عهد عمر والعصر الأموى (١٠١) وهم سكان الجزيرة الفراتية التى عرفت باسمهم « ديار ربيعة » (١٠٢) وهى تقع غربى نهر دجلة ومنها انتشروا على الضفة اليمنى لنهر الفرات عند منبعج والرصافة ودمشق وقنسرين وعين التمر وفيما بين نهر الخابور والفرات ودجلة (١٠٣) ، وكان معظم بنى تغلب من البدو والأعراب (١٠٤) وليس فيهم الا القليل من أهل الحضرة (١٠٥) وأغلبهم نصارى وهم أهل حرب وقاتل (١٠٦) ، رفضوا اعتناق الاسلام بعد فتح الشام والعراق وقاوموا المسلمين وحاربوا ضدهم الى جانب الروم ، ولما تم فتح البلاد رغم انهم أبوا أن يدفعوا الجزية للخليفة عمر بن الخطاب وعزموا على الرحيل الى أرض الروم فى آسيا الصغرى وهموا أن يتفرقوا فى

(٩٧) انظر بطون قضاة : ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٤١ - ٤٦٠ ، ابن حبيب : مختلف القبائل : ص ١١ ، ابن سعيد الأندلسى : نشوة الطرب : ج ١ ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٩٨) العوتبى : الأنساب : ج ١ ص ١٥١ ، ١٥٢ .

(٩٩) ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٨٣ ، ٤٨٤ .

(١٠٠) ابن حزم : الجمهرة : ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٤٨ .

(١٠١) انظر الأصفهاني : الأغاني : ج ١١ ص ٦١ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد :

ج ٤ ص ٤٢١ ، ابن حبيب المحبر : ص ٤٩٢ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣٩ .

(١٠٢) ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٤٩٤ .

(١٠٣) ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣١٠ .

(١٠٤) المسعودى : مروج الذهب : ج ١ ص ٣١٤ ، أبو عبيد : الأموال : ص ٣٢ .

(١٠٥) الأصفهاني : الأغاني : ج ١١ ، ص ٦٢ .

(١٠٦) الأصفهاني : الأغاني : ج ٧ ص ١٨٣ ، البلاذرى : فتوح البلدان : ص ١٨٦ :

أبو عبيد : الأموال : ص ٢٣٢ ، أبو يوسف : الخراج : ص ١٤٣ ، الألوسى : بلوغ الأرب : ج ٢ ص ١٤١ .

البلاد (١٠٧) بحكم أنهم عرب يأنفون من دفع الجزية وقالوا للخليفة : نحن عرب فنخذ منا كما يأخذ بعضكم من بعض باسم الصدقة ، فاستشار في أمرهم فأشار عليه النعمان بن زرعة التغلبي أنهم « عرب يأنفون من الجزية وليست لهم أموال وإنما هم أصحاب حروش ومواش ولهم تكاية في العدو فلا تعن عدوك بهم » (١٠٨) فأخذ الخليفة بمشورته ضنا بهذه القبيلة العربية أن تجلو عن ديار العرب وأعفاهم من دفع الجزية وفرض عليهم صدقة مضاعفة لما يؤخذ من صدقات المسلمين وفرض على تجارتهم نصف العشر كسائر أهل الذمة (١٠٩) وأن يقدموا المؤن لجيوش المسلمين التي تمر بأرضهم (١١٠) واشترط عليهم ألا ينصروا أولادهم وشهد عليهم في هذا الشرط (١١١) ولكنهم خالفوه فأمر الخليفة عمر بن الخطاب زياد بن جرير الأسدي عامل الخراج ألا يتهاون في معاملتهم (١١٢) وكان يقول : « لئن تفرغت لبني تغلب ليكونن لي فيهم رأى لأقتلن مقاتلتهم ولأسبين ذريتهم فقد نقضوا العهد وبرئت منهم الذمة حين نصروا أولادهم » (١١٣) وكان الامام الزهري يقول : « لا نعلم في مواشي أهل الكتاب صدقة الا الجزية التي تؤخذ منهم ، غير أن نصارى بني تغلب أو نصارى العرب الذين عامة أموالهم المواشي فان عليهم ضعف ما على المسلمين » (١١٤) .

وأيا كان الأمر فقد استقر الخليفة عمر بن الخطاب في حكمه على بني تغلب الى أمرين : أحدهما حقنه دماءهم لما أعطوه من أموالهم وهم عرب في وقت لا يجب عليهم فيه الا الاسلام أو القتل ، فكان قبوله ذلك لسببين أحدهما انتحالهم النصرانية والآخر بحديث سمعه من النبي ﷺ فتأوله فيهم . قال عمر : « لولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول : ان الله سيمنع الدين بنصاري من ربيعة على شاطئ الفرات ما تركت عربيا يسلم

- (١٠٧) أبو عبيد : الأموال : ص ٣٢ ، ٤٨١ ، الطبري : التاريخ : ج ٤ ص ٥٤ .
 (١٠٨) أبو عبيد : الأموال : ص ٢٣٢ ، أبو يوسف : الخراج : ص ٦٨ ، الماوردي : الأحكام السلطانية : ص ١٤٤ .
 (١٠٩) الطبري : التاريخ : ج ٤ ص ٥٦ ، الماوردي : الأحكام السلطانية : ص ١٤٤ ، الأوسى : بلوغ الألب : ج ٢ ص ٢٤٢ .
 (١١٠) أبو يوسف : الخراج : ص ٦٨ .
 (١١١) البلاذري : فتوح البلدان : ص ١٨٦ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٧٥ ، محمد مصطفى هدارة : دراسات في الشعر العربي : ج ١ ص ٨٧ .
 (١١٢) أبو يوسف : الخراج : ص ١٥ ، البلاذري : فتوح البلدان : ص ١٨٢ ، توتون : أهل الذمة : ص ٩٤ .
 (١١٣) أبو عبيد : الأموال : ص ٤٨٢ ، البلاذري : فتوح البلدان : ص ١٨٦ ، الطبري : التاريخ : ج ٤ ص ٥٥ ، الأوسى : بلوغ الألب : ج ٢ ص ٢٤١ ، ٢٤٢ .
 (١١٤) أبو عبيد : الأموال : ص ٤٨٢ ، الطبري : التاريخ : ج ٤ ص ٥٦ .

أو يقتل » . ولذلك رضى بأموالهم دون دمائهم ، وهذا أحد حكميه على بنى تغلب ، أما الآخر فانه حين درأ عنهم القتل وقبل منهم الأموال لم يجعلها جزية كسائر ما على أهل الذمة وانما جعلها صدقة مضاعفة (١١٥). استجازها وترك الجزية لما رأى من نفارهم وأنفتهم منها فلم يأمن شقاقهم ولحاقهم بالروم فيكونوا لهم عوناً على أهل الاسلام (١١٦) فلا ضرر من اسقاط الاسم مع استبقاء المدلول فأخذت منهم الجزية باسم صدقة مضاعفة فكان في ذلك رتق ما خشي فتقه من ناحية بنى تغلب مع استبقاء حقوق المسلمين في رقابهم (١١٧) ، وقد ورد في الحديث ان الله سبحانه وتعالى ضرب بالحق على لسان عمر وقلبه فالذى كان يؤخذ من بنى تغلب وان كان يسمى صدقة فانما كان موضع الجزية ، ولكل هذه الأسباب فان حكم عمر بن الخطاب في عرب بنى تغلب النصارى لم يجانبه الصواب مع مخالفته لحكم النبي ﷺ الذى خص عرب أهل الكتاب بالجزية صريحة دون من لا كتاب له منهم ولم يرض من سائرهم الا بالاسلام. أو القتل (١١٨) .

ظلت بطون تغلب من ربيعة العدنانية مستاثرة بمنطقة شمال الشام والجزيرة الفراتية - مع قلة من كنانة المضرية - حتى جاء الفتح الاسلامي وتدفقت قبائل مضر (١١٩) على الشام سواء التي شاركت في الفتوح أو التي هاجرت بعدها (١٢٠) ، واتجهت كلها بعيداً عن موطن اليمينية الى الشمال ومعظمها من قبائل قيس من مضر العدنانية من غطفان وهوازن

-
- (١١٥) الطبري : التاريخ : ج ٤ ص ٥٥ « نكز فتح الجزيرة » ، الماوردى : الاحكام السلطانية : ص ١٤٤ ، الألوسى : بلوغ الأرب : ج ٢ ، ص ٢٤١ ، ٢٤٢ .
(١١٦) أبو يوسف : الخراج : ص ٦٨ ، الطبري : التاريخ : ج ٤ ص ٥٥ .
(١١٧) أبو عبيد : الأموال : ص ٤٨٣ .
(١١٨) أبو عبيد : المصدر نفسه : ص ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، الطبري : التاريخ : ج ٤ ص ٥٥ .
. ٥٦

(١١٩) بنو مضر : أبناء مضر بن معد بن عدنان الذى يقال انه هو قيس عيلان وكان لمضر من الكثرة والغلبة بالحجاز دون سائر بنى عدنان وكانت لهم الرياسة والريادة بمكة والحرم ، أما بنو قيس فهم قبيلة متفرقة من مضر العدنانية تنسب الى قيس عيلان الذى كان له من الولد الكثير منهم : خصفة وسعد وعمرو وكان فى قيس هذا من الكثرة بمكان حتى تفرعت منه قبائل انتشروا فى سائر انحاء بلاد العرب فى تهامة ونجد والحجاز ثم فى العراق والجزيرة وتفرقوا بعد الاسلام فى سائر الأمصار .
ابن قتيبة : المعارف : ص ٦٣ ، ٩١ - ٩٦ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٦٤ ، ٢٤٥ ، ٤٦٨ ، الفلقشندى : نهاية الأرب : ص ٣٥٢ - ٤٠٣ ، قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان : ص ١٢٨ .
(١٢٠) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ٧ .

وتقيف وسليم وباهلة وقشير وكلاب وجشم وقيس (١٢١) فانتشروا في الجزيرة الفراتية مجاورين لتغلب وتملكوا حلب ونواحيها وكان تركزم أشد ما يكون في حوران وبصرى وفي قرقيسياء (١٢٢) والرقعة وحوران والرحبة ، وقد أطلق على منطقة سكناهم « ديار مضر » (١٢٣) وغلب عليهم اسم القيسية (١٢٤) .

كانت القبائل الوافدة الى بلاد الشام سواء من القيسية أو اليمنية لا تسير على نسق واحد في اتخاذ مواطن استيطانها فكانوا تارة يقصدون الحواضر والبوادي وأحيانا ينزلون المنازل التي جلا عنها أهلها في مختلف المدن ويخالطون من بقى من أهل البلاد الأصليين ، وتارة أخرى ينزلون في منازل خاصة بهم بعيدا عن المدن والقرى فكان استيطانهم بين هذا وذاك (١٢٥) ، فحين نزل المسلمون مدينة حمص مثلا كان فيهم السمط ابن الأسود الكندي في جماعة من قومه من كندة ، وكان السمط صاحب جد واجتهاد في اليرموك وسائر المعارك التي اشترك فيها ، وقد قام بتقسيم حمص خططا بين القبائل التي نزلتها (١٢٦) فأنزل الأشعث ابن مينايس في السكون (١٢٧) وأنزل المقداد في بلي وأسكن سائر بطون كندة وأنزلها غيرهم ورتب أوضاعهم فيها (١٢٨) ، وكانت كل القبائل العربية التي نزلت حمص من اليمن مع قلة من قيس ولذلك ضرب المثل

(١٢١) عن هذه القبائل وأنسابها في قيس ومواطنها الأصلية في شبه جزيرة العرب انظر :

الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ٣ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٦٣ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٦٤ ، ٤٨٣ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٢٨٨ - ٤٤٢ .

(١٢٢) قرقيسياء بلد على نهر الخابور قرب رحبة مالك بن طوق وعندها مصب الخابور في الفرات فهي مثلث بين الخابور والفرات .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ٢٥ ، ١٢٧ .

(١٢٣) ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٦٨ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٤٠٧ ، هدارة : دراسات : ص ٨٩ .

(١٢٤) ابن سعد : الطبقات : ج ٥ ص ٢٩ .

(١٢٥) البلاذري : فتوح البلدان : ص ٢١١ .

(١٢٦) البلاذري : المصدر السابق : ١٤٣ .

(١٢٧) ينو السكون بن أشرس بن ثور بطن من كندة من القحطانية وكان لهم ملك بدومة الجندل في حياة النبي ﷺ واشتركوا في سنة ٦٥ هـ مع مروان بن الحكم في موقعة مرج راهط .

الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ٨٥ ، ٨٨ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٢٩ ، الطبري : التاريخ : ج ٢ ص ٢٧٢ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٢ ص ٨٠ ، ابن خلدون : العبر : ج ٤ ص ٢٥٧ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٢٢١ .

(١٢٨) ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ٣٤٢ .

بذلة القيسي بها (١٢٩) ، وكان شرحبيل بن السمط (١٣٠) بالكوفة منافسا للأشعث بن قيس الكندي (١٣١) في الرياسة على كندة العراق فوفد السمط على الخليفة عمر بن الخطاب وقال له يا أمير المؤمنين انك لا تفرق بين الأب وابنه في السبي وقد فرقت بيني وبين ولدي ، فحوله الى الشام أو حولني الى الكوفة فقال : بل أحوله الى الشام فنزل حمص مع أبيه فسعدت به كندة الشام (١٣٢) ولما ولي معاوية بن أبي سفيان الشام والجزيرة لعثمان بن عفان أمره أن ينزل العرب بمواضع نائية عن المدن والقرى فأنزل بني تميم (١٣٣) الرابية وأنزل أخلاطا من قبائل قيس وأسد المضرية بالمزحين والمديبر بالجزيرة الفراتية (١٣٤) ورتب ربيعة من تغلب وایاد والنمر بن قاسط في ديارها بالخابور على هذا النحو (١٣٥) .

كانت أعداد القبائل العربية التي نزلت الشام ابان الفتح تتزايد تزايداً سريعاً بالتوالد ودوام الهجرة ، وقد قدر عدد مهاجرة العرب الذين نزلوا الشام عند فتحها بما يزيد على مائة ألف وبلغ عدد المسجلين بديوان العطاء في دمشق وحدها في الصدر الأول خمسة وأربعين ألفاً (١٣٦) ولا تمثل هذه الأرقام القبائل الوافدة الى الشام وحدها وإنما تمثل أيضاً من انضم اليهم من العرب الذين كانوا ينزلون هذه البلاد قبل الفتح ثم انضموا الى جيوش المسلمين وعلى أية حال فقد أمكن تحديد مواطن القبائل العربية بالشام بصورة مجملة في عهد الراشدين والأمويين على وجه التقريب استناداً الى ما انتهى اليه من المصادر التاريخية والجغرافية (١٣٧) ، ففي فلسطين كانت قبائل لخم وجذام وعاملة وبطون من كلب ، وفي الأردن كانت غسان ومذحج وقضاعة

- (١٢٩) انظر الميداني : مجمع الأمثال : ج ١ ص ٢٩٤ .
 (١٣٠) ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٢٦ .
 (١٣١) البلاذري : أنساب الأشراف : ص ١٦٤ ، ٤٥٦ .
 (١٣٢) البلاذري : فتوح البلدان : ص ١٤٢ .
 (١٣٣) عن بني تميم : ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٦٦ ، ٤٦٧ .
 (١٣٤) ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ٤٠ .
 (١٣٥) البلاذري : فتوح البلدان : ص ٢١١ .
 (١٣٦) البلاذري : فتوح البلدان : ص ٢٢١ ، كرد على : خطط الشام : ج ١ ، ص ٦٧ .
 (١٣٧) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٣٢ ، البلاذري : فتوح البلدان : ص ١٢٨ - ٢٢٩ ، الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ١٢٩ - ١٣٤ ، الطبري : التاريخ : ج ٤ ص ٤٤٢ - ٥٧٦ ، الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ٢٦٦ ، ج ٢ ص ٥٣ ، الأزدي : فتوح الشام : ص ٢١٧ ، ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ، البكري : معجم ما استعجم : ج ٤ ص ٢ ، البغدادي : مرآة الاطلاع : ج ٣ .

وهمدان وكتب وعك (١٣٨) ، وكانت حوران والجولان منازل خليط من
لخم وجهينة وذبيان ، وأغلب القبائل التي نزلت دمشق من اليمانية من
قضاة وغسان وحمير (١٣٩) وغيرهم الى جانب قلة من قريش وسائر
قيس ، وأهل حمص كلهم يمانية من كندة وطىء وحمير وكتب وحمدان
والسكون وبلي وبها بعضا من قيس وايااد (١٤٠) ، وأكثر من نزل
حماة (١٤١) وما حولها الى حد البحر من القبائل اليمنية وكلهم من تنوخ
وبهراء (١٤٢) وكان يغلب على المناطق الشمالية قبائل اليمن من سليح
وزبيدة وحمدان وكندة وطىء ولا يوجد أثر للقبائل المضرية في هذه البقاع
الشمالية الا طوائف من ايااد وقيس بقنسرين (١٤٣) وما حولها (١٤٤) .

وقد شغلت قبيلة كتب القضاة بادية السماوة كلها لا يخالطهم
فيها سواهم (١٤٥) وهي تمتد من أطراف بلاد العرب الشمالية حتى
الفرات بين الكوفة والشام وتشمل بادية الشام التي تقع تدهر في
قلبها (١٤٦) ، أما الجزيرة التي يشقها نهر الفرات منحدر من بلاد الروم
فقد نزلتها قبائل مضر وربيع ، واختصت القبائل المضرية بمنطقة شرقي
الفرات وكلها من قيس (١٤٧) ، أما منازل ربيعة فكانت تقع شرقي منازل

(١٣٨) الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ١٢٩ ، ٢٩٤ ، ابن هشام : السيرة :
ج ٢ ص ٢٥٧ ، ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ٢٤٠ ، ج ٢ ص ٢٢١ ، المقرئ :
البيان والاعراب : ص ٦١ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٣٦٧ .

(١٣٩) ابن قتيبة : المعارف : ص ٦٤١ ، الهمداني صفة جزيرة العرب : ص ١٢٢ ،
المسعودي : التنبيه والاشراف : ص ١٥٨ ، العوتبي : الأنساب : ج ٢ ، ص ٢٠٠ .

(١٤٠) البلاذري : فتوح البلدان : ص ١٤٣ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ٣٤٢ ،
الميداني : مجمع الأمثال : ج ١ ص ٢٩٤ .

(١٤١) حماة مدينة عظيمة تقع على نهر العاصي بشمال الشام ذكرها امرؤ القيس في
شعره .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٣٠٠ ، ٣٠١ .

(١٤٢) الأصفهاني : الأغاني : ج ١١ ص ٢٦ ، ابن منظور : لسان العرب : ج ٥
ص ١٥٢ ، الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ٢٧٤ ، القلقشندي : صبح الأعشى : ج ١
ص ٣١٧ ، نهاية الأرب : ص ١٧٢ .

(١٤٣) قنسرين قرب حمص .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ٤٠٣ .

(١٤٤) الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ٢٧٦ .

(١٤٥) الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ٢٧٥ .

(١٤٦) وسميت السماوة لأنها أرض مستوية لا حجر بها .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ٢٤٥ .

(١٤٧) الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ٢٧٥ .

مضر وأولها رأس العين (١٤٨) وهي لبنى النمر بن قاسط ، بالنسبة لتغلب فقد استقرت منذ العصر الجاهلي على الخابور من فروع الفرات (١٤٩) واستوطنت ما بين الخابور والفرات ودجلة وإلى يمينها نزلت أختها بكر بن وائل واستقرت قبيلة النمر بن قاسط في رأس العين (١٥٠) وكانت قبيلة قيس تمثل العنصر المضرى في بلاد الشام كما كانت كلب التي ورثت الغساسنة تمثل العنصر اليمنى فيها وقد لعبت كلتا هاتين دورا كبيرا في الأحداث القبلية التي شهدتها الشام والجزيرة في العصر الأموى ، ويقال ان العرب الذين كانوا بالشام في نهاية القرن الأول الهجرى بلغوا نحو ربع مليون شخص كان معظمهم من الجند والموظفين والبدو ولا سيما من القبائل العربية التي كانت تسكن تلك البقاع قبل الاسلام (١٥١) .

يتضح من العرض الذى قدم أن العنصر الغالب على قبائل الشام في العصر الأموى هو العنصر اليمنى الى جانب زمرة من قيس وقريش وسائر مضر ، وفي الجزيرة الفراتية كانت القبائل العدنانية من مضر وربيعه هي الغالبة ولم يكن للقبائل اليمنية أثر في ربوعها وقد اتبع في توزيع القبائل العربية في بلاد الشام وهو نظام يختلف عن نظام الأحماس والأسباع (١٥٢) الذى اتبع في العراق وهو نظام الأجناد (١٥٣) ، فقد وزعت الجيوش العربية أجنادا تعسكر قرب مدن الشام الرئيسية ، وكل جند كان ينسب الى المكان الذى هو فيه لا الى القبائل التي يتألف منها فيقال جند حمص وجند الأردن وجند فلسطين ونحو ذلك (١٥٤) ، وقد ذكر أن العرب أخذوا هذا النظام عن توزيع الأقسام الادارية الذى كان متبعاً في عهد الروم (١٥٥) .

(١٤٨) مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة الفراتية بين حران ونصيبين وديسر بها عيون صافية تجتمع كلها في موضع فتصير نهر الخابور .
ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ١٢ ، ١٤ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ١٢٥ .

(١٤٩) ياقوت : المصدر السابق : ج ٢ ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ .
(١٥٠) الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، « ديار ربيعة » .
(١٥١) سيدة كاشف : الوليد بن عبد الملك : ص ٢٠٩ ، ٢١٠ .
(١٥٢) نظام الأحماس والأسباع هو نظام اتبع في تقسيم مدن العراق بعد فتحها بحسب عدد القبائل التي نزلت كل مدينة كما حدث في الكوفة ، وأصله من الشيء الخمس أى الذى له خمسة أركان وسبع الشيء تسبيعا أى جعله سبعة .
البلاذرى : فتوح البلدان : ص ١٤٣ ، الرازى : مختار الصحاح : ص ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

(١٥٣) الطبرى : التاريخ : ج ٤ ص ٥٧ .
(١٥٤) انظر خريطة « أجناد الشام في العصر الأموى » « الملاحق » رقم ١٥ .
(١٥٥) فيليب حتى : تاريخ العرب : ج ١ ص ٢٠٨ .

تعتبر القبائل اليمنية في بلاد الشام في القرن الأول الهجري بصفة عامة وقبائل قضاعة وكلب بصفة خاصة هي حجر الزاوية في تاريخ تلك الفترة وذلك للدور الكبير الذي لعبته هذه القبائل في سياسة البلاد وشؤونها حيث انتشروا في نواح كثيرة من ربوعها في الحضر والبادي (١٥٦) كما أن معظم هذه القبائل لم يكن مهاجرا كما كانت القبائل الأخرى التي هاجرت الى سائر الامصار بعد الفتح وانما كانوا بالشام منذ زمن طويل واقعين تحت التأثير اليوناني الروماني وكانوا قبل الاسلام مباشرة تابعين لدولة الغساسنة (١٥٧) فتعودوا حياة الحضر وألغوا سياسة الطاعة والنظام بتأثير الحياة والحضارة البيزنطية (١٥٨) فضلا عن اتقانهم لفن الحروب الذي أكسبهم اياها صداماتهم المستمرة مع الروم (١٥٩) ففاقوا سائر القبائل العربية الأخرى في هذا المجال وكانوا خير عون لخلفاء بني أمية في حكم الشام (١٦٠) ودائما ما كانوا يفخرون على قبائل مضر بأنهم ليسوا مثلهم مهاجرين الى الشام حديثا (١٦١) ، ولما كان لهذه القبائل أسرة قديمة من الأمراء دانوا لها بالطاعة زمنا طويلا فقد آل ما تعودوه من الطاعة الى معاوية وخلفائه باعتباره الوارث الشرعي لأسرتهم السابقة فلم يكونوا بحاجة الى أن يلقنوا حقوق الدولة عليهم وكانوا يعترفون بشرعية الرياسة القائمة ولم يمتحنوها بالرجوع الى مقاييس القرآن والى المبادئ التي يجب أن تكون عليها الحكومة فكانوا (١٦٢) يطيعون أمرهم أينما وجهوهم ، وقد أثبتوا من

(١٥٦) انظر الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ٢٧٣ - ٢٧٥ « مساكن العرب فيما جاوز المدينة » .

(١٥٧) وهب بن منبه : التيجان : ص ٢٩٧ ، حمزة الأصفهاني : تامين سني ملوك الارض : ص ٩٨ ، ٩٩ ، اليعقوبي : التاريخ : ج ١ ص ١٦٧ ، نلدكه : أمراء غسان : ص ٨ .

(١٥٨) أحمد أمين : فجر الاسلام : ص ١٦ ، ١٧ ، فلهاوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ٥٤ ، احسان صدقي العمدة : الحجاج : ص ٥١ .

(١٥٩) وهب بن منبه : التيجان : ص ٢٩٥ ، المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ٦٩ ، حمزة الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الارض : ص ٦٥ ، حتى : تاريخ سورية : ج ١ ص ٤٤٨ ، جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام : ج ٣ ص ١٢٠ ، جيون اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها . ص ٢٧١ ، موسكاتي : الحضارات السامية : القديمة : ص ٢٠٤ .

(١٦٠) ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ٢٠٨ ، بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية : ص ١٢٠ .

(١٦١) انظر ديوان الحماسة : ص ٦٥٩ .

(١٦٢) فلهاوزن : تاريخ الدولة العربية ، ص ١٢٧ .

الناحية الحربية تفوقا على سائر القبائل الأخرى (١٦٣) لمجاورتهم الروم وتدريبهم شسبه المنتظم ، وقد كان معاوية وخلفاؤه من الحكمة بحيث حافظوا على حماسهم وحميتهم وان كانوا هم أنفسهم من حيث النسب أقرب الى قيس منهم لغيرهم (١٦٤) فكان معاوية يقيم في دمشق في المنطقة التي كانت تسكنها كلب (١٦٥) غير بعيد من مقر ملوكهم السابقين وتزوج امرأة من أشراف كلب (١٦٦) وجعل ابنها يزيد وارثا للخلافة وكان التصاهر بحسب تفكير العرب بمثابة التحالف السياسي (١٦٧) فكانت كلب كلها تشعر أنهم أصهار الخليفة وأحوال ولي عهده (١٦٨) .

لم يكن من الممكن أن ترضى القبائل العربية بالشام منذ القدم والتي أدمجت في الدولة بعد الفتح أن تكون في مرتبة ثانية بعد القبائل التي دخلتها مع الفاتحين وذلك لأن دخول قبائل الشام اليمينية في الاسلام جاء مبكرا وكان لهم فيه نصيب من الاختيار ولم يكن اسلامهم مجرد انضمام لراية العروبة المنتصرة فحسب ، وكان لهذا الشعور تأثيره على علاقات القبائل ببعضها وعلى سياسة الدولة تجاه القبائل وهو ما سوف يتضح في الأبواب التالية ، وعلى أية حال فقد ظلت القبائل العربية التي سكنت بلاد الشام سواء قبل الفتح أو بعده متمسكة بتقاليدها ردحا من الزمن قبل أن يظهر عليها التأثير بالبيئة الجديدة التي سكنوها مختلطين بالسكان الأصليين (١٦٩) وقد ظهر هذا التأثير أوضح ما يكون تدريجيا في سلوكهم وحياتهم الاجتماعية ومظاهر معيشتهم فانتقلوا من غصاصة البسادة الى رونق الحضارة (١٧٠) .

(١٦٣) الطبرى : التاريخ : ج ٤ ص ٥٦٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٧ ، ص ٧٧٩ .

(١٦٤) المصعب الزبيرى : نسب قريش . ص ١٢٢ - ١٢٨ « بنو أمية » .

(١٦٥) الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ٢٧٥ .

(١٦٦) هي ميسون بنت بحدل بن أنيف بن دلجة بن قنانة بن عدى بن زهير بن حارثة ابن جناب الكلبي وأمها أسيرة بنت ثعلبة وجدتها صعبة بنت معقل وأم جدتها قتيلة بنت قنانة .

ابن حبيب : المحبر : ص ٢١ ، الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٤٩٩ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ١٧٨ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٥٧ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ٢٦١ ، سيدة كاشف : الوليد بن عبد الملك : ص ١١١ ، ضيف : العصر الاسلامى : ص ٢٣٠ ، هدارة : دراسات فى الشعر ص ٨٩ ، فلهاوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ١٢٧ .

(١٦٧) فلهاوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ١٢٧ .

(١٦٨) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٥٠٤ .

(١٦٩) ابن خلدون : العبر : ج ١ ص ١١٨ .

(١٧٠) ابن خلدون : المصدر نفسه : ج ١ ص ٢٠٣ .

الباب الرابع

الحرب بين قبائل الشام وعرب العراق وقيام الدولة الأموية

- الفصل الأول : موقف قبائل الشام من الفتنة بين الخليفة علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان .
- أولا : أسباب الفتنة ووقائعها .
 - ثانيا : زيارة جرير بن عبد الله البجلي الى الشام .
 - ثالثا : مبايعة كندة لمعاوية بن أبي سفيان .
- الفصل الثاني : قبائل الشام والعراق في حرب صفين :
- أولا : المسير الى صفين .
 - ثانيا : عزل الأشعث بن قيس عن رئاسة كندة والعراق .
 - ثالثا : موقف أهل الرقة من علي بن أبي طالب .
 - رابعا : القتال على الماء .
 - خامسا : تعبئة القبائل للحرب .
 - سادسا : وقائع حرب صفين « رؤية قبلية » .
- ١ - مذحج • ٢ - خثعم • ٣ - بجيلة • ٤ - غطفان •

- ٥ - نهـد • ٦ - الأزـد • ٧ - تمـيم • ٨ - كـندة •
- ٩ - طـيء • ١٠ - حمير وربيعة • ١١ - مذحج وعك •
- ١٢ - وقعة الخميس • ١٣ - غسان • ١٤ - قريش •
- ١٥ - عك والأشعرون وهمدان •
- ١٦ - قضاة • ١٧ - همدان •
- ١٨ - الأنصار •
- ١٩ - جزع أهل الشام على قتلاهم •
- ٢٠ - ليلة الهرير ونهاية حرب صفين •

الفصل الثالث : دور القبائل الشامية والعراقية فى قيام دولة بنى أمية :

أولا : أحداث التحكيم :

- ١ - رفع المصاحف واختلاف أهل العراق •
- ٢ - اجتماع الحكمين بدومة الجندل •

ثانيا : ضم مصر الى طاعة أهل الشام :

- ١ - الاعداد لغزو مصر •
- ٢ - حملة عمرو بن العاص على مصر •

ثالثا : حملات معاوية بن أبى سفيان ضد على بن أبى طالب :

- ١ - فتنة ابن الحضرمي فى البصرة •
- ٢ - حملة النعمان بن بشير الأنصارى على عين النمر •
- ٣ - حملة سفيان بن عوف على هيت والأنبار والمدائن •
- ٤ - حملة عبد الله بن مسعدة الفزارى على تيماء •
- ٥ - حملة الضحاك بن قيس على أطراف العراق •
- ٦ - حملة عبد الرحمن بن أشيم على بلاد الجزيرة •
- ٧ - حملة يزيد بن شجرة الرهاوى على مكة •
- ٨ - حملة بسر بن أبى أرطاة على بلاد الحجاز واليمن •

رابعا : مقتل على بن أبى طالب وتسليم الحسن بن على بالبيعة لمعاوية

ابن أبى سفيان وقيام الدولة الأموية •

الفصل الأول

موقف قبائل الشام من الفتنة بين الخليفة علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان

أولا : أسباب الفتنة ووقائعها :

ترجع أحداث الفتنة بين الخليفة علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وإلى الشام في شكلها العام إلى حادث مصرع الخليفة عثمان بن عفان وما صاحبه من ظروف وملابسات وامتناع معاوية عن بيعته على بالخلافة والدخول بالشام وأهله في الجماعة حتى يقتص علي بن أبي طالب من قتلة عثمان ، غير أن ذلك لم يكن هو السبب الحقيقي في تأزم الموقف بين الطرفين وتطور الأحداث حتى الحرب الطاحنة في صفين ، فقد كانت هناك رغبة مسبقة في نفس معاوية ألا يبايع عليا بسبب العداوة والتنافس التقليدي بين بني أمية وبني هاشم منذ الجاهلية وحتى الإسلام (١) والذي لم يكن هذا إلا إحدى حلقاته ، فضلا عن طموح معاوية الذي لم يكن

(١) انظر : ابن هشام : السيرة : ج ١ ص ١٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٥ ، ج ٢ ص ١١٩ ، ابن سعد : الطبقات : ج ٤ ص ٤٣ ، ٤٤ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ١٧٥ ، الطبري : التاريخ : ج ٢ ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ٤٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٢ ص ٢٢٩ ، المقرئ : النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم : ص ٨ .

Ency : d'Islam, (art Umayyades), 14, p. 1052.

بلا حدود ودهائه وحنكته اللتين عرف بهما (٢) بالإضافة الى ولايته على الشام بغناه وطاعة أهله ، واذ توفر له كل هذا فقد رأى في نفسه ندا لعلى وأهلا للخلافة ومما يؤكد ذلك تطور الأحداث بين الطرفين وصمود معاوية حتى مقتل على وقيام دولة بنى أمية بالشام .

لما زحف المتمردون على الخليفة عثمان بن عفان في المدينة وحاصروه في بيته لم يكن لأحد من أهل الشام ضلع في ذلك من قريب أو بعيد (٣) وكان كل الثائرين على الخليفة من المدينة والكوفة (٤) ومصر (٥) كما شهد هو نفسه بذلك في الكتاب الذي أرسله بنسخة واحدة (٦) الى كل من عبد الله بن عامر بن كريز (٧) والى البصرة (٨) ومعاوية بن أبي سفيان

(٢) انظر أقوال المؤرخين في ذلك : ابن قتيبة : المعارف : ص ١٧٥ ، ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة : ج ٥ ص ٢١٠ ، ٢١٢ ، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر : ج ١ ص ١٨٨ ، ابن الطقطقي : الفخرى في الآداب السلطانية : ص ١٤٥ .
Lammens : Etudes sur le regne du Califé Ofaïyade Mo'awia 1er, p. 66, 813.

(٣) يقول ابن الأثير : « أما الشام فلم يظهر منها ممتعض » الكامل : ج ٢ ص ٥٧ .
(٤) الكوفة : هي مصر المشهور بارض يابل من سواد العراق وسميت كوفة لاستدارتها اخذا من قول انعرب : رأيت كوفانا « للرميلة المستديرة » وقيل في تسميتها أسباب أخرى ، وفد مصرت الكوفة في أيام عمر بن الخطاب سنة ١٧ هـ .
ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ٤٩٠ - ٤٩٤ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ٣٤ ، ٣٧ ، ٤٢ ، ١٠١ .

(٥) الطبري : التاريخ : ج ٤ ص ٣٤٠ ، ابن أعثم الكوفي : الفتوح : ج ١ ص ٤١٥ .
(٦) جاء في هذا الكتاب : « بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فإن أهل البنى والسفه والجهل والعدوان من أهل الكوفة وأهل مصر وأهل المدينة قد أحاطوا بدارى ولم يرضهم شيء دون قتلى أو خلعي سريالا سربلنيه ربي فأعنى برجال ذوى نجدة ورأى فلعل ربي يدفع بهم عنى بغى هؤلاء الظالمين والسلام » .

ابن أعثم الكوفي : الفتوح : ج ١ ص ٤١٥ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ٨٥ .

(٧) عبد الله بن عامر بن كريز : من ولد ربيعة بن حبيب بن عبد شمس من قريش وأمه من بنى سليم ، استعمله عثمان على البصرة وعزل أبا موسى الأشعري فقال أبو موسى : « قد أتاكم فتى من قريش كريم الأمهات والعمات والخالات » وهو الذى دعا طلحة والزبير الى البصرة وكان كثير المناقب وافتتح خراسان وقتل يزيدجرد في ولايته وهو الذى عمل السقاية وتزوج هند بنت معاوية .

المصعب الزبيري : نسب قريش : ص ١٤٧ - ١٤٩ ، اليلادري : أنساب الأشراف : ج ١ ص ٨٢ .

(٨) البصرة بالعراق ويقال : بصرة للأرض الغليظة التى بها حجارة تقلع حوافر الدواب .

انظر ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ٤٣٠ - ٤٤١ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ٦٤ - ٦٧ .

أمير الشام يطلب منهم العون في دفع غائلة البغي ولكن المحاصرين للمار
الخليفة كانوا أسرع من وصول المدد اليه فاقبضوا عليه داره وقتلوه (٩) .

حمل نعي الخليفة عثمان بن عفان من المدينة الى معاوية بالشام رجل
يُدعى الحجاج بن خزيمة بن الصمة من نيهان (١٠) وشهد عنده بأنه ممن
اشترك في مقتل عثمان من مشاهير الساس : قيس بن مكشوح المرادي
وحكيم بن جبلة ومحمد بن أبي بكر والأشتر النخعي وعمار بن ياسر
وعمر بن الحمق الخزاعي وسودان بن حمران وكنانة بن بشر وجماعة
أخرى لا يقف على أسمائهم (١١) وشارع في أهل الشام شعر قيل في
ذلك (١٢) وأنشد معاوية نفسه القصيدة التي يتنبأ فيها بهول ما ينتظره
من الصراع المرير والتي مطلعها :

أتاني أمر فيه للنفس غمة وفيه بكاء للعيون طويل (١٣)

ولما طلب معاوية النصيح من الرجل الذي حمل اليه نعي عثمان أشار
عليه أن عليا قد بايعه أهل الحجاز واليمن ومصر والكوفة الا البصرة وقال
له : « وانك لتقوى على ان أردت مخالفتي لأن الذين معك من أهل الشام
لا يقولون اذا قلت ولا يسألون اذا سألت ، والذين مع علي يقولون اذا قال
ويسألون اذا أمر فقليل من معك خير من كثير معه » (١٤) .

(٩) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٧٧ ، ٧٨ ، الطبري : التاريخ : ج ٤
ص ٢٨٤ ، ابن أعثم الكوفي : الفتوح : ج ١ ، ص ٤٤٣ .
(١٠) بنو نيهان : بطن من طيء وهم ولد عمرو بن الغوث بن طيء من القحطانية .
ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٤٠٢ ، ٤٠٤ ، القلقشندي : نهاية الأرب :
ص ٢٨٢ .

(١١) الدينوري : الأخبار الطوال : ص ١٥٥ .

(١٢) قال شاعر أهل الشام ينعي الخليفة عثمان بن عفان ويتوعد قتلته :

حكيم وعمار الشجاء ومحمد	واشتر والمكشوح جروا الداوميا
وكان فيها للزبير عجاجة	ومصاحبه الأدنى اشاب النواصيا
وأما عليا فاستغاث ببيته	فلا أمر فيها ولم يك ناهيا
فقلوا لاصحاب النبي محمد	وخصا الرجال الأقربين الأدانيا
ايقتل عثمان بن عفان بينكم	على غير شيء الا التماسيا
فلا نوم حتى تستبيح حريمكم	وتخضب من آل الشان العواليا

ويقال ان عليا لما بلغه هذا الشعر قال : ما أخطأ صاحب شيئا والله ولي عثمان .

نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٧٧ ، ٧٨ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ١ ، ص ٤٤٤ ،
الطبري : التاريخ : ج ٥ ، ص ٢٣٦ .

(١٣) انظر بقية القصيدة : نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٧٩ ، ابن أعثم :
الفتوح : ج ١ ، ص ٤٤٥ هامش ٢ .

(١٤) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٧٨ ابن أعثم : الفتوح : ج ١ ، ص ٤٤٥ ،
الدينوري : الأخبار الطوال : ص ١٥٥ .

وهذا فعلا ما خذل به علي أمام معاوية في آخر حرب صفين حين رفض معظم قادة جيشه من قبائل العراق أن يسمعوا له ويأتمروا بأمره في رفض خدعة رفع المصباح والاستمرار في القتال (١٥) ، وحين خالفوه في اختيار الحكم الذي ارتضاه ليتحدث عنه وفرضوا عليه أبو موسى الأشعري (١٦) فكان ما حدث حين خدعه عمرو بن العاص وجعله يخلع ، صاحبه (١٧) ، وهذا عكس ما كانت عليه القبائل الشامية من السمع والطاعة لأميرهم وهو ما تعلموه من الروم والفساسنة وما اكتسبوه من حروبهم السابقة مع المناذرة والفرس وغيرهم (١٨) .

في هذه الظروف المليئة بالاضطراب وبعد أن شاع بالمدينة القصيدة التي يبكي فيها معاوية على عثمان ويتعهد بالقصاص من قتلته ومن خلفه أهل الشام أشير على الخليفة علي بن أبي طالب أن يتخذ ما من شأنه تهدئة النفوس وتسكين الأوضاع حتى يمكن لنفسه ويجتمع عليه الناس في شتى الأمصار شاماً وعراقاً وحجازاً - وهي الأقطار التي كانت تمثل مراكز الثقل في ذلك الوقت - ثم يفعل ما يراه مناسباً من مركز القوة ، إلا أنه رفض ذلك وارتأى أن يكون حاسماً من أول عهده دون مواربة ، فلما بايعه الناس بالخلافة بعد مقتل عثمان والنفوس ثائرة (١٩) أتاه المغيرة ابن شعبة (٢٠) وقال له : يا أمير المؤمنين إن لك عندي نصيحة فاقبلها قال علي : وما تلك يا مغيرة ؟ قال : اني لا أخاف عليك أحداً يخالفك ويشعت عليك إلا معاوية بن أبي سفيان لأنه ابن عم عثمان والشام في يده وأهلها طوع أمره فابعت إليه بعهدته والزمه طاعتك وابعت إلى عبد الله ابن عامر بن كريز بعهدته على البصرة فإنه يسكن عنك الأعداء ويهدئ عليك البلاد (٢١) . قال علي : ويحك يا مغيرة !! والله ما يمنعني من ذلك

(١٥) ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

(١٦) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٥٧ .

(١٧) ابن قتيبة : الامامة والسياسة : ج ١ ص ١١٣ ، الدينوري : الأخبار الطوال : ص ٢٠١ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٦٦ - ١٦٨ .

(١٨) أحمد الشريف : دور الحجاز في الحياة السياسية العامة : ص ٣١٠ ، محمد أمين صالح : العرب والاسلام : ص ٢٤٤ .

(١٩) البلاذري : انساب الأشراف : ج ٥ ص ٧ ، ابن خلدون : العبر : ص ١٦٩ .

(٢٠) المغيرة بن شعبة هو أحد الأعلام من ثقيف وثقيف مع هوازن هو أهل الطائف من العرب العدنانية :

البلاذري : انساب الأشراف : ج ١ ص ٤٤١ ، ٤٩٠ - ٤٩٣ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٦٦ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ١٨٦ .

(٢١) ابن أعمش : الفتوح : ج ١ ص ٤٤٥ .

الا قول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: « وما كنت متخذ المضلين عضدا » (٢٢) ولا يراني الله وأنا أستعمل معاوية على شيء من أعمال المسلمين أبدا ، ولكني أدعوه إلى ما نحن فيه فان هو أجاب إلى ذلك أصاب رشده والا جأكمته إلى الله عز وجل (٢٣) . فسكت المغيرة وانصرف إلى منزله وهو يردد أبياتا يتحسر فيها على رفض الخليفة لقوله وما ينتظره من عناد معاوية ومن خلفه من قبائل الشام قال المغيرة :

منحت عليا في ابن حرب نصيحة فردها فما مني له الدهر ثانية (٢٤)

استعد علي بن أبي طالب للرحيل إلى العراق واتخذ الكوفة دارا له بدلا من المدينة لأنها مركز القبائل التي بايعته بالخلافة (٢٥) ولقربها من الشام (٢٦) وخينها برز إليه أبو أيوب الأنصاري (٢٧) ورجاه أن يظل بالمدينة وقال له : اني لأشير عليك أن تقيم بهذه البلدة فانها الدرع الحصينة ومهاجر رسول الله ﷺ وبها قبره ومنبره فان استقامت لك العرب كنت بها كمن كان قبلك وان تشعب عليك قوم رميتهم بأعدائهم من الناس (٢٨) . فقال له علي : صدقت أبا أيوب ولكن الرجال والأموال بالعراق وأهل الشام لهم وثبة وأحب أن أكون قريبا منهم ولن يصيبنا الا ما كتب الله لنا (٢٩) .

وهكذا أبي علي الا أن يرحل إلى الكوفة وأن يعد للأمر عدته ولم يرض بغير أن يمثل له معاوية بغض النظر عن القصاص من قتلة عثمان

(٢٢) سورة الكهف : آية ٥١ .

(٢٣) ابن أعثم : الفتوح : ج ١ ص ٤٤٦ ، ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ص ٥٠ .
المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ٢٥٤ ، ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ١٩٧ .

(٢٤) انظر بقية الأبيات : ابن أعثم : الفتوح : ج ١ ص ٤٤٦ هامش ٢ .
المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ، ص ١٦ ، ١٧ .

(٢٥) انظر عبد العزيز الدوري : مقدمة في تاريخ صدر الاسلام : ص ٥٧ - ٦١ .

(٢٦) الطبري : التاريخ ج ٤ ص ٤٩٣ - ٤٩٥ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١١٨ .

(٢٧) البلاذري : انساب الاشراف : ج ١ ص ٢٤٢ ، ٢٦٦ .

(٢٨) ابن أعثم : الفتوح : ج ١ ص ٤٤٧ .

(٢٩) ابن أعثم : المصدر السابق : ج ١ ص ٤٤٧ .

لأنه كان يرى أن ذلك سبباً اتخذته معاوية لمناوئته وطمعاً في الخلافة (٣٠) من ناحية ، ومن ناحية أخرى لكثرة المشتركين في قتل عثمان وعصبيتهم في قبائلهم التي هي أصلاً من أنصار علي فكيف يؤلب علي نفسه معظم قبائل جيشه في هذا الوقت بالذات وهو ما زال حديث عهد بالخلافة ولم تستتب له الأمور بعد فطالبه معاوية عاجلاً بما كان يمكن أن يتحقق آجلاً (٣١) فصعب على الخليفة تلبية مطلبه فكان عثمان كمن تفرق دمه في القبائل فلما قدم أبو مسلم الخولاني (٣٢) الزاهد الشامي المعروف إلى معاوية في جمع من قراء أهل الشام قبل مسير علي إلى صفين (٣٣) قالوا له يا معاوية علام تقايل علياً وليس لك مثل صحبته ولا هجرته ولا قرابته ولا سابقته؟! فقال لهم : ما أقاتل علياً وأنا أدعي أن لي في الإسلام مثل صحبته ولا هجرته ولا قرابته ولا سابقته ولكن خبروني أنتم : أستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً؟! قالوا : بلى . قال : فليدع إلينا قتيلته فنقتلهم به ولا قتال بيننا وبينه (٣٤) . قالوا : فاكتب إليه كتاباً بذلك يأتيه به بعضنا . فكتب إلى علي هذا الكتاب (٣٥) مع أبي مسلم الخولاني فقدم به علي على بالكوفة قال له : انك قد قمت بأمر وتوليته وإن عثمان قتل مسلماً محرماً مظلوماً فادفع إلينا قتلتك وأنت أميرنا وإن خالفك أحد من الناس كانت أيدينا لك ناصرة والسنتنا لك شاهدة وكنت ذا عذر وحجة ، فطلب منه علي أن يحضر من غده ليأخذ جواب كتابه فلما رجع من الغد وجد الناس قد بلغهم الذي

(٣٠) يؤكد ذلك ما ورد على لسان معاوية بن أبي سفيان في خطبة القاها في قبائل الشام قبيل حرب صفين قال : يا هؤلاء أخبروني بماذا صار علي بن أبي طالب أولى بهذا الأمر مني ؟!! والله أني لكاتب وحي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت أختي تحته وأتى لعامل عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وأمي هند بنت عتبة بن ربيعة وأبي أبو سفيان بن حرب وإن كان قد بايعه أهل الحجاز وأهل العراق فقد بايعني أهل الشام وإن هؤلاء في الأمر سواء ومن غلب علي شيء فهو له .

ابن أعمش : الفتوح : ج ١ ص ٥٥٠ ، ٥٥١ .

(٣١) سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام : ص ١٠٨ .

(٣٢) ينتمي أبو مسلم واسمه عبد الله بن أيوب إلى بني خولان بن عمرو بن مالك ابن الحارث بن مرة بن أدد المنتهي نسبته إلى عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ من العرب القحطانية . ومن أعلامهم : أبو إدريس الخولاني والسمح بن مالك الخولاني . ولما وقعت خولان بمصر والشام حملت أنسابهم واهترقوا .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٤١٨ ، القلقشندي : نهاية الأرب ص ٢٢١ .

(٣٣) صفين : موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس ولا يفصلها عن الفرات غير غيضة ماء وطريق مفروش بالحجارة .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ٤١٤ ، ٤١٥ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ،

ص ١٢٢ .

(٣٤) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٨٥ .

(٣٥) انظر نص الكتاب باللاحق (رقم ١٩) .

جاء فيه فملثوا المسجد الكبير بالكوفة عن آخره وأخذوا ينادون من كل ناحية : كلنا قتل عثمان (٣٦) وأكثروا من النداء بذلك فأسقط في يد أبي مسلم وقال لعل : قد رأيت قوما مالك معهم أمر ، فقال علي : والله ما أردت أن أدفعهم اليك طرفة عين ولقد ضربت هذا الأمر أنفه وعينه وظهره وبطنه ما رأيت أنه ينبغي لي أن أدفعهم اليك ولا إلى غيرك (٣٧) . ورجع أبو مسلم الخولاني إلى معاوية بكتاب على في ذلك (٣٨) .

أبي معاوية إلا أن يكون وليا في دم عثمان وأبي علي أن يسلم قتلته لأنه يعرف قصد معاوية ، ولأن في ذلك خروجا للقبائل عليه وربما أدركه منهم ما أدرك عثمان (٣٩) فكانت اجابته للقصاص لعثمان في ذلك الوقت. المضطرب بمثابة اجهازه على نفسه وهو ما جعله يؤثر حرب معاوية ومن معه من قبائل الشام على كثرة عددها وحسن قتالها على أن يخرج اليهم قتلة عثمان لأنه كان يعي جيدا أن الخلافة هي مطلب معاوية وليس القصاص لعثمان ، وأنه حتى لو أجابه إلى مطلبه مع ما في ذلك من خطر عليه وهو لم يوطد لنفسه بعد فمن يدرى أنه لن يعقد له عقدة أخرى وهو واسع الحيلة ولا تعدمه الوسيلة يناصره قوم طوع أمره . ومن ثم فلم يكن أمام الخليفة بد مما لابد منه وهو استخدام القوة في اخضاع الخليفة ومن معه من قبائل الشام . ومع ذلك نشك في أن الخليفة على بن أبي طالب كان يدرك وهو خارج لحرب معاوية وأهل الشام مدى الأهوال التي سوف تلحق بالمسلمين ومدى الدماء التي سوف تراق فيها فلو قدر له أن يتنبأ بذلك لأحجم كثيرا عن الانزلاق إلى هذه الحرب المشنومة التي أهلكته خيرة رجال القبائل من العراق والشام على مدى تسعين وقعة حربية في مائة وعشرة من الأيام (٤٠) فلربما ظن الخليفة وقتها أنه بعض من الدماء الذي أصبح لا محيص عنه للشفاء وإنما هي وقعة أو بعض وقعات يستقيم

(٣٦) الدينوري : الأخبار الطوال : ص ١٦٥ .

(٣٧) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٨٦ .

(٣٨) أنظر نص كتاب على ردا على كتاب معاوية مع أبي مسلم الخولاني :

نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٨٨ - ٩١ .

(٣٩) يؤكد ذلك ما حدث من أهل العراق في نهاية حرب صفين ، قال مسعر بن

فدكي التميمي وزيد بن حصين الطائي من سبب في عصابة معهما من القراء الذي صاروا بعد ذلك خوارج : « يا علي أنك تعلم أننا انما قتلنا عثمان بن عفان حين غلبنا

وأبي علينا أن يعمل بما في كتاب الله أو يجيب إليه فأجب القوم إلى ما دعوك إليه والاهل الله دفعناك اليهم برغمك أو قتلناك كما قتلنا عثمان » .

الطبري . التاريخ : ج ٥ ص ٤٩ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ص ١٨٣ .

(٤٠) ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ٤١٤ « صفين » ، أبو الفداء : المختصر :

ج ١ ص ١٧٥ .

بعدها أمر المسلمون كما حدث في موقعة الجمل (٤١) فعلى الرغم من أن قتلها لم تكن قليلة إلا أنها لم تدم طويلا وحسمت سريعا لصالح الخليفة علي بن أبي طالب استقام له بعدها أمر العراقيين البصرة والكوفة ، وأغلب الظن أنه لم يدرك أن حرب أهل العراق لأهل العراق شيء مختلف عن حرب أهل العراق لأهل الشام وذلك لاختلاف الطبائع بين القبائل العراقية والشامية ، وربما لم يكن هناك توقع لضخامة الحشود القبلية التي خرجت لنصرة معاوية من أهل الشام (٤٢) على اعتبار أنها مجرد ولاية خاضعة لمركز الخلافة في الكوفة فقد فوجيء أهل العراق بتسعين وقيل مائة وعشرين ألف مقاتل (٤٣) من القبائل الشامية خرجوا اليهم في صفين مع معاوية بن أبي سفيان وهو ما يقرب من مقاتلي القبائل العراقية التي خرجت مع علي بن أبي طالب فتساوت قوة الخليفة مع والي الشام ولم يعد هناك تفوق عددي لطرف على الآخر مما صعب معه حسم الأمر سريعا لواحد منهما ، لطالت الحرب وكثرت الوقائع واستأسدت القبائل في وجه بعضها على نحو كادت تفنى فيه جميعا وهو ما سوف يتضح من خلال الرؤية القبلية التي سوف نعرض فيها لحرب صفين مع التركيز على دور القبائل فيها لدى أهل الشام والعراق من باب التخصص في محاولة لإبراز القائمين بها إلى دائرة الضوء إلى جوار الوقائع نفسها وذلك لمعرفة الطبائع الحربية للقبائل العربية في ذلك الوقت حينما حاربت بعضها بعضا في الإسلام بعد أن رأيناها حاربت بعضها في الجاهلية وحاربت الفرس والروم في الفتوحات وهو جانب هام في حياة القبائل لا يمكن إغفاله ، كما أن هذه الحرب الضروس التي كانت القبائل أداتها أنهت حقبة في تاريخ المسلمين وجاءت بغيرها حيث انتهى عهد علي بن أبي طالب ومعه عصر الخلفاء الراشدين وجاء عهد الدولة الأموية فانتقل مركز الخلافة من العراق إلى الشام فصارت له الزعامة والسيطرة وتغيرت موازين القوى لصالح القبائل الشامية على حساب القبائل العراقية فبينما تبوأ الأولى مراكز القيادة والزعامة وتميزت في الفئء والعطاء والغنائم حظيت الأخيرة بولاة بنى أمية العتاه من أمثال بسر بن أبي أرطاه وزيايد بن أبيه وعبيد الله ابن زياد والحجاج بن يوسف الثقفي الذين علموهم حسن الطاعة والامتثال للجماعة .

(٤١) انظر الطبري : التاريخ : ج ٤ ص ٥٠٨ - ٥٣٢ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٢٥ - ١٣٣ ، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر : ج ١ ص ١٧٣ - ١٧٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٣٠١ - ٣٢٢ .

(٤٢) انظر ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ٤١٤ .

(٤٣) ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ٤١٤ ، صفين ، .

ثانيا - زيارة جرير بن عبد الله البجلي الى الشام :

فى ثانى اتصال بين الخليفة على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان فى الأزمة التى وقعت بينهما كان رسول الخليفة الى الأخير من قبيلة بجيلة اليمنية وهو جرير بن عبد الله البجلي (٤٤) صاحب رسول الله ﷺ الذى قال فيه « انك من خير ذى يمن » (٤٥) فقد أرسله على بن أبى طالب الى معاوية بن أبى سفيان (٤٦) وقال له : ايت معاوية بكتابى فان دخل فيما دخل فيه المسلمون والا فانبذ اليه (٤٧) وأعلمه أنى لا أرضى به أميرا وان العامة لا ترضى به خليفة (٤٨) « فانطلق جرير حنى أتى الشام ونزل بمعاوية ودعاه الى بيعة الخليفة وسلمه كتابه (٤٩) ، فلما قرأ الكتاب قام جرير بن عبد الله البجلي وخطب فى معاوية وأهل الشام خطبة بليغة عظم فيها حق الامام ودعا أهل الشام الى البيعة له والطاعة والدخول فيما دخل فيه المسلمون والجماعة (٥٠) ، ولكن معاوية رفض ما جاء به جرير وخطب فى القبائل خطبة نقض فيها ما جاء بخطبته ورفض ما دعاه اليه الا أن يقتل قتلة عثمان الذى قتل مخربا قاتنا مظلوما ثم تلا قوله تعالى : « ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا » (٥١) ثم توجه الى أهل الشام بالقول : وأنا أحب أن تعلمونى ذات أنفسكم من قتل عثمان ، فصاح أهل الشام بأجمعهم أمام البجلي كما صاح أهل العراق بأجمعهم أمام الخولاني من قبل - بأنه لابد من الطلب بدم عثمان وعاهدوه على أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم حتى

(٤٤) عن قبيلة بجيلة وجرير بن عبد الله البجلي انظر ما سبق فى ذلك .

(٤٥) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٨ ، ابن منظور : لسان العرب : ج ٢ ص ٣٤٩ .

(٤٦) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٨ ، الطبرى : التاريخ : ج ٤ ص ٥٦١ ، ابن اعثم : الفتوح : ج ١ ص ٥٣٠ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٤١ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٢ ص ٢٣١ .

(٤٧) « انبذ اليه » أطرح اليه العهد ظاهرا بيانا ، وهو مأخوذ من قوله تعالى : « واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء » .

سورة الانفال : آية ٥٨ ، الفخر الرازى : التفسير الكبير : ج ٧ ص ٥٢٠ .

(٤٨) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٨ .

(٤٩) انظر نص كتاب الخليفة على بن أبى طالب الذى حمله جرير بن عبد الله البجلي الى معاوية بن أبى سفيان بالشام . ملحق رقم ١٨ .

(٥٠) نص خطبة البجلي أمام معاوية بن أبى سفيان وأهل الشام : نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٣٠ ، ٣١ .

(٥١) سورة الامراء : آية ٢٣ ، الفخر الرازى : التفسير الكبير : ج ١ ص ٧٨ .

٧٩ .

يدركوا ثأره أو يفنى الله أرواحهم (٥٢) واتهم معاوية علياً في قتل عثمان ما دام يأوى قتلته في جيشه وإن ذمته لا تبرأ من هذا الاثم إلا بقتلهم أو تسليمهم لأهل الشام (٥٣) .

ولكى يعد معاوية نفسه لمواجهة على ومن معه من قبائل العراق بدأ بمصرتأميناً لظهره فأرسل مالكا بن هبيرة الكندي في طلب محمد بن أبي حذيفة وهو من أنصار على بها فأدركه وقتله (٥٤) ثم بعث إلى قيصر الروم بالهدايا فوادعه (٥٥) وبدأ في تعبئة من حوله من قبائل الشام نفسها وماديا لأنه اعتبرهم أدواته الوحيدة في بلوغه غايته ومأربه ، كل هذا يحدث ومعاوية مستبقيا البجلي رسول على من عنده بحجة أنه ما زال يفكر في الأمر الذي جاء فيه ويستشير الناس من حوله (٥٦) .

ثالثاً - مبايعة كندة لمعاوية بن أبي سفيان :

في هذا الوقت كانت قبائل كندة (٥٧) الشام من أكبر القبائل اليمنية بها عدداً وعدة ولها كلمتها بين القبائل وكان شرحبيل بن السمط

(٥٢) لا سمح معاوية تأييد أهل الشام له اتجه إلى البجلي وقال :
 ان الشام أعطيت طاعة يمنية تواصلوها أشياخها في المجالس
 فإن يجمعوا أضمر علياً بجبهة فلت عليه كل رطب ويابس
 وإنى لأرجو ما نال قائل وما أنا من ملك العراق يابس
 نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٢ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٤١ ، ١٤٢ .

(٥٣) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٣ .
 (٥٤) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٢ ، ابن قتيبة : الامامة والسياسة : ج ١ ص ٧٤ ، المقيزي : الخطط : ج ٢ ص ٢٢٦ ، سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام : ص ١١٠ ، ١١١ .

(٥٥) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٤ « ابن أعثم : الفتوح : ج ١ ص ٥٣٠ ، الدينوري : الأخبار الطوال : ص ١٦٠ ، أومان : الامبراطورية البيزنطية : ص ١٤١ .
 (٥٦) الطبري : التاريخ : ج ٤ ص ٥٦١ ، ٥٦٢ ، أبو الفدا : المختصر : ج ١ ص ١٧٥ .

(٥٧) عن أصل كندة ونسبها : انظر ما سبق ص ١٦١ ، ويقال كندة الشام وكندة العراق وحمير الشام وحمير العراق وطىء الشام وطىء العراق وهكذا في بقية القبائل لأنها كانت منقسمة على نفسها بين على ومعاوية فمن سكن منها العراق كان مع على ومن سكن الشام كان مع معاوية وقد حاربت هذه القبائل ضد بعضها البعض في صفين حتى كان الرجل يقتل خاله وعمه والأخ يقتل أخاه كل ينصر صاحبه كما يتضح من الرؤية القبلية لوقائع حرب صفين في هذا الباب .

الكندى (٥٨) هو شيخهم والرأس الكبير المطاع فيهم (٥٩) ، وقد رأى معاوية أنه ان أطاعته كندة الشام لم يستطع أحد من بقية القبائل اليمنية بها أن يخالف عليه وأدرك شرحبيل بن السمط إذا تأكد لديه أن عليا يعتبر شريكا في قتل عثمان فقد حقق غايته في الوصول الى قلب كندة وبالتالي سائر القبائل الشامية ومعظمها من اليمن ، ولذلك فقد أرسل اليه وهو بحمص مركز كندة ليحضر اليه بدمشق وفي الوقت نفسه جمع معاوية اليه ثقاته من مضر ورءوس الشام من قحطان (٦٠) من أمثال يزيد بن أسد وبسر بن أبي أرطاة الفهري (٦١) والضحاك بن قيس الفهري وأبا الأعور السلمي وذو الكلاع الحميري ملك حمير الشام وسيدها (٦٢) والحصين ابن نمير السكوني وحوشب ذا الظليم (٦٣) ومخارق بن الحارث الزبيدي وحمزة بن مالك وحابس بن سعد الطائي سيد طيء الشام وكانوا ثقات معاوية وخاصته وبنى عم شرحبيل بن السمط وأهل الرضا عنده (٦٤) ، وأمرهم أن يفشسوا في الناس أن عليا قتل عثمان لتكون كلمة القبائل جامعة على ذلك لا يداخلها شك أو تناقض ثم أعلمهم بأنه أرسل الى شرحبيل ابن السمط يستقدمه وأنه ملق اليه بما يظنه في على وأهل العراق فان

(٥٨) هو شرحبيل بن السمط بن الأسود بن جبلة بن عدى بن ربيعة بن معاوية بن ثور ابن مرتع بن معاوية بن كندة ، وله صحبة ، ولي حمص لمعاوية ومن ولده : السمط بن ثابت ابن شرحبيل قتله مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين .
ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٢٦ .

(٥٩) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٤ ، ابن أعثم : الفتوح ج ١ ص ٥٣٠ .
ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٤٢ .
(٦٠) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٤ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ١ ص ٥٣٠ .

(٦١) هو بسر بن أرطاة بن أبي عمير بن عويمر بن عمران بن الحليس بن سيار ابن نزار من بنى معيص بن عامر بن لؤى من العرب العدنانية ، وهو من قواد معاوية المخلصين وأحد أكابر أصحابه وكان له دور كبير في قيام دولة بنى أمية بالشام لما بذله من جهد في صفين وفي إخضاع أهل الجزيرة العربية لمعاوية بن سفيان .

ابن حزم : الجمهرة : ص ١٧٠ ، الهمداني : الاكليل : ج ١٠ ص ٦٦ ، الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ١٣٩ ، ١٤٠ ، ابن أعثم : ج ٢ ص ٢٢٩ - ٢٣٣ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٩٢ ، ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة : ج ١ ص ١٢٢ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى : ج ١ ص ٩٦ ، ٩٧ .

(٦٢) البلاذري : أنساب الاشراف : ج ١ ص ١٢ ، ٢٥ .

(٦٣) حوشب ذا الظليم : من سادات حمير الذين كانوا مع معاوية وقتل بصفين وهو من ولد عمرو بن شرحبيل بن عبيد بن عمرو بن حوشب بن الأطلوم من بنى حمير بن سبا ومن ولده كان قاضى قرطبة يحيى بن معمر بن عمران بن حوشب وله عقب بأشبيلية بالاندلس ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٣١ ، ٤٣٢ .

(٦٤) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٤ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ١ ص ٥٣٠ .

طلب شهادتهم بذلك شهدوا بها فأجابه القوم جميعا بالايجاب والقبول (٦٥) .

لما قدم شرحبيل الى معاوية تلقاه الناس وأعظموه ، فقال معاوية : « يا شرحبيل ان جرير بن عبد الله البجلي يدعونا الى بيعة علي ، وعلى خير الناس لولا أنه قتل عثمان بن عفان ، وقد حبست نفسي عليك وانما أنا رجل من أهل الشام أرضى ما رضوا وأكره ما كرهوا » (٦٦) . فقال شرحبيل : أخرج فانظر . فلما خرج لقيه النفر الموطئون له وغيرهم وكلهم يخبره أن عليا شريك في قتل عثمان ما دام يأوى قتلته ، فلما عاد شرحبيل الى معاوية أخبره أن الناس أبوا الا أن عليا قتل عثمان ثم قال : والله لئن بايعت له لنخرجنك من الشام (٦٧) ولا تصدر مقولة كهذه للأمير الا من رجل يعرف قدر نفسه وقوة قومه وعشيرته وحينذاك تأكد معاوية أنه نفذ الى قلب كندة وحقق غايته . فقال معاوية : ما كنت لأخالف عليكم وما أنا الا رجل من أهل الشام . قال شرحبيل : اذن نرد هذا الرجل الى صاحبه « يقصد البجلي رسول علي » وعندما عرف معاوية أن شرحبيل نفدت بصيرته في حرب أهل العراق وأن الشام كله مع شرحبيل « (٦٨) .

لما خرج شرحبيل بن السمط كبير كندة من عند معاوية بن أبي سفيان أتى حصين بن نمير السكوني (٦٩) ، وطلب منه أن يبعث الى جرير البجلي ليحضر عنده فلما حضر قال له : يا جرير أتيتنا بأمر ملفف لتلقينا في لهوات الأسد وأردت أن تخلط الشام بالعراق وأطريت عليا وهو قاتل عثمان والله سائلك عما قلت يوم القيامة (٧٠) . فرد عليه جرير بقوله :

(٦٥) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٦ .

(٦٦) ابن أعثم : الفتوح : ج ١ ص ٥٣٣ .

(٦٧) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٧ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ١ ص ٥٣٣ ،

ابن قتيبة : الامامة والسياسة : ص ٨٢ ، أبو حنيفة الدينوري : الأخبار الطوال : ص ١٥٩ ، ١٦٠ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٤١ ، ١٤٢ .

(٦٨) ابن أعثم : الفتوح : ج ١ ص ٥٣٣ .

(٦٩) ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٢٩ والسكون والسكاسك هو ولد أشرس بن كندة ومن بطون السكون : بنو عدى وبنو سعد ابني أشرس بن شبيب بن السكون أمهما تجيب بنت ثوبان بن سليم بن رهاء من مذحج ، نسبوا اليها ومنها معاوية بن حديج الذي كان بدصر رئيسا لشيعة عثمان بها في ولاية محمد بن أبي بكر .

الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ٨٥ ، ٨٨ ، الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٢ ص ٨٠ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٢٩ ، الجوهري : الصحاح : ج ٢ ص ٣٨٣ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٢٢١ ، ابن خلدون : العبر : ج ٤ ص ٢٥٧ .

(٧٠) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٧ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ١ ص ٥٣٤ .

يا شرحبيل أما قولك اني جئت بأمر ملفف فكيف يكون ملففا وقد
اجتمع عليه المهاجرون والأنصار وقوتل على رده طلحة والزبير (٧١) ،
وأما قولك أني ألقيتك في لهوات الأسد ففي لهواتها ألقيت نفسك .
وأما خلط العراق بالشام فخلطهما على حق خير من فرقتيما على باطل ،
وأما قولك ان عليا قتل عثمان فوالله ما في يدك من ذلك الا القذف
بالغيب من مكان بعيد ولكنك ملت الى الدنيا كما مال اليها غيرك وستعلم
عن قريب أن العاقبة للمتقين (٧٢) ، ثم افترق الرجلان وبعدها بأيام
بعث جرير الى شرحبيل بأبيات من الشعر يبرئ فيها صاحبه ويحذره مغبة
ما هو مقدم عليه (٧٣) . ويعتبر الشعر في ذلك الوقت هو وسيلة القبائل
في حروبها الكلامية وكان شعرهم في هذا لا يقل ضراوة عن ضرب
السيوف وطعن الرماح سريع النفاذ الى قلوب الناس واثارة حميتهم تتناقله
الأسنة سريعا فيسرى فيهم سريان النار في الهشيم وكان لكل مقام
عندهم مقال من الأوزان والقوافي حاضرا لديهم بما عرف عنهم من الفصاحة
والبيان حتى أن الله سبحانه وتعالى جعل معجزة نبيه اليهم الكلام ممثلا
في القرآن الكريم .

لما قرأ شرحبيل أبيات جرير أعاد فكره وقال والله لا أعجل في هذا
الأمر بشيء وفي نفسي منه حاجة وعلم معاوية بشاقب بصره وعيون أخباره
بما صار اليه حال الرجل فأمر الرجال يدخلون ويخرجون عليه وكلهم
يعظم عنده قتل عثمان ويرمون به عليا (٧٤) وما زالوا به حتى أنسوه
شعر البجلى وحدثوه بأن عثمان لم يأت الأجل في بيته كما ادعى الرجل
وانما بطشت به يد القتل ما بين طعن وضرب فكان في قتله عسرة وفي
دفنه عسرة فلم يغسل ولم يكفن ودفن بدمائه ليلا في مقابر اليهود بعد
ثلاثة أيام من مقتله ما بين المغرب والعتمة (٧٥) وشهد عند شرحبيل كثير
من الناس بأنهم رأوا ذلك وهذا قميص عثمان الذي قتل فيه مسربلا بدمائه

(٧١) يقصد « موقعة الجمل » . انظر ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ١٢٥ - ١٢٤ .

(٧٢) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٨ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ١ ص ٥٢٤ .

(٧٣) كتب جرير الى شرحبيل « والأبيات موجهة الى كندة الشام في شخصه » قال :

شرحبيل يا ابن السمط لا تتبع الهوى فما لك في الدنيا من الدين من بدل

فاورد ولا تفرط بشيء نخافه عليك ولا تعجل فلا خير في العجل

وما لعلى في ابن عفان سقطه بأمر ولا جلب عليه ولا قتل

وما كان الا لازما قعر بيته الى ان أتى عثمان في بيته الاجل

بقية الأبيات : نصر بن مزاحم : وقعة صفين ، ص ٤٨ ، ٤٩ ، ابن أعثم : الفتوح :

ج ١ ص ٥٢٢ .

(٧٥) الطبري : التاريخ : ج ٤ ص ٤١٢ - ٤١٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية :

ج ٤ ص ٢٢٤ - ٢٤١ .

وأصابه زوجه نائلة التي قطعت وهي تتقي ضربات السيوف بيدها عنه فأعادوا عليه رأيه وشمذوا عزمه فصار الى ما لا رجعة عنه وحيثما كتب اليه معاوية وهو بحمص كتابا جاء فيه : « انه كان من اجابتك الحق وما وقع فيه أجرك على الله وقبله منك صلحاء الناس ما علمت ، وان هذا الامر الذي عرفته لا يتم الا برضا العامة فسر في مدائن الشام وناد فيهم ان عليا قتل عثمان وأنه يجب على المسلمين أن يطالبوا بدمه » (٧٦) قسار شرحبيل وبدأ بحمص فخطب في الناس قائلا : « ان عليا قتل عثمان بن عفان وقد غضب له قوم فقتلهم - مشيرا الى أهل البصرة (٧٧) - وهزم الجميع وغلب على الأرض فلم يبق الا الشام وهو واضع سيفه على عاتقه ثم خاض به غمار الموت حتى يأتاكم أو يحدث الله أمرا ولا نجد أقوى على قتاله من معاوية فجدوا وانهضوا » (٧٨) « ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » (٧٩) .

استطاع معاوية أن يجعل كندة تهيب له سائر القبائل الشامية لحرب أهل العراق بزرع القصاص لعثمان في نفوسهم مبدأ يقاتلون عليه ويبدلون أرواحهم فداء له وبغير هذا فانه لا يمكن أن يقاتل الناس دون مبدأ يؤمنون به وان فعلوا فانهم لا محالة خاسرون ، ولذلك فان شرحبيل ابن السمط الكندي شيخ كندة وكبيرها جعل يستنهض مدائن الشام كلها بوقا لمعاوية حتى استفرغها عن آخرها فكان لا يأتي قوما الا قبلوا ما أتاهم به حتى اجتمع له خلق كثير من شتى القبائل فأقبل بهم الى معاوية وبايعوه على أن يقاتلوا بين يديه ويموتوا تحت ركابه (٨٠) . فصارت القبائل الشامية كلها على قلب رجل واحد له (٨١) فهو أميرهم لخليفته من قبل - عمر وعثمان - وابن عم الخليفة المقتول ووليه في دمه حتى وان أدرك البعض أنه يطلب الأمر لنفسه منازعا فيه عليا (٨٢) لأن

(٧٦) نصر بن مزاحم ، وقعة صفين : ص ٥٠ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ١ ص ٥٣٦ .

(٧٧) انظر ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٢٥ .

(٧٨) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٥٠ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ١

ص ٥٣٦ .

(٧٩) سورة النحل : آية ١٢٨ .

(٨٠) ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٤١ ، ١٤٢ .

(٨١) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٥١ .

(٨٢) أدركت ذلك حمير الشام وفهمه ملكهم ذو الكلاع الحميري فقد برز اليه ذات مرة وهو يخطب في القوم يحضهم على طاعته فبايعه قائلا : « يا معاوية ان أمير المؤمنين عثمان بن عفان استعملك فلم توف له واستنصرك فلم تنصره وانما أردت أن تصرف وجوه الناس اليك وقد بلغت الذي أردت ومع ذلك فوالله لو خذلتك العرب قاطبة لكفيتك خذلانها بقومي وعشيرتي » .

ابن أعثم : الفتوح : ج ١ ص ٥٤٩ .

القبائل الشامية كما أشير من قبل كانت ذات طبائع تختلف كثيرا عن سائر القبائل العربية الأخرى من حيث النظام والسمع والطاعة لزعيمهم وهو ما تعودوه للوكلهم من جوار الروم وحكم الأسرة الفسائية قبل الاسلام (٨٣)، ولذلك فانه لا عجب أن رأينا معظم القبائل المقاتلة في جيش الشام من القبائل اليمنية بصفة عامة والتي كانت تسكنه من قبل الاسلام بصفة خاصة وهي التي ظلت رهن إشارة معاوية حتى آخر يوم في القتال في حين خالفت القبائل العراقية على أميرها وشغبت عليه وخذلتها وتخبطت معه في قولها وفعلها في آخر حرب صفين وفي أمر التحكيم وأمر الخوارج حتى كانت نهايته هو نفسه على أيديهم (٨٤) ولما حاولوا الخروج على سلطان الدولة ممن بايع عليها (٨٥) ولما بايع أهل الشام لمعاوية على السمع والطاعة واطمان وولاء بني أمية إلا كل بطش وشدة مما تمتلئ به صفحات الكتب التاريخية وإن بولغ فيها أحيانا .

لم يتوقف دور كندة في تأييد معاوية عند تعبئة أهل الشام وقبائل اليمن لنصرته بل بايعوه بالخلافة على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ حتى يكونوا ندا لعلي بن أبي طالب في موقفه ، وكان الذي بدأ بذلك منهم مالك ابن هبيرة الكندي وهو سيد من سادات كندة أتى معاوية وقال له : « يا أمير المؤمنين أنا حي فعال ولسنا بحي مقال وأنا ناتي بعظيم فعالنا على قليل مقالنا فابسط يدك أبايعك على ما أحببنا وكرهنا » فكان أول العرب ممن بايع عليها (٨٥) ولما بايع أهل الشام لمعاوية على السمع والطاعة واطمان اليهم صرف جرير بن عبد الله البجلي رسول علي بن أبي طالب برسالة

(٨٣) وهب بن منبه : التيجان : ص ٢٩٤ ، خزيمة الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض : ص ٩٨ ، السعدي : مروج الذهب : ج ٢ ص ١٠٦ ، أبو الفداء : المختصر : ج ١ ص ٧٢ ، جتي : تاريخ سورية : ج ١ ص ٤٤٦ ، جورج زبدان : العرب قبل الاسلام : ص ٨١ ، ٨٢ ، جواد علي : الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٣ ص ١١ ، فولدكه : أمراء غسان : ص ٨ ، ٩ .

(٨٤) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ١٤٤ ، ١٤٥ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٩٦ ، أبو الفداء : المختصر : ج ١ ص ١٨٠ ، ١٨٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٤٢٢ .

(٨٥) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٨٠ ، ٨١ .

ليس فيها الا القصاص لعثمان أو الحرب (٨٦) وذيل هذه الرسالة بشيء من الشعر يؤكد ذلك (٨٧) .

كانت همدان (٨٨) العراق في نصرة علي بن أبي طالب ككندة الشام في نصرة معاوية بن أبي سفيان - وكلاهما من اليمن - وقد أحب نفر من همدان أن يخذل كندة عن معاوية فلعل ذلك يفت في عضده ويفل شوكته ويكفي الله المؤمنين شر القتال فجاء سعيد بن قيس الهمداني شيخ همدان العراق الى علي بن أبي طالب وقال له : يا أمير المؤمنين ان شرحبيل ابن السمط رجل عمو القلب وقد سار في مدائن الشام فاستنفرهم الى حزبنا فأذن لي أن أكتب اليه كتابا فلعل أرجعه عما هو فيه . قال علي : اكتب ما أحببت : فكتب سعيد بن قيس الهمداني الى شرحبيل بن السمط الكندي : « أما بعد يا شرحبيل فان أهلك من أرض اليمن غير أنك هاجرت الى الكوفة وانتقلت الى الشام فكنت بها الى ما شاء الله حتى اذا قتل عثمان وبايع الناس عليا عبأ لك معاوية رجالا لا يعرفون الحلال ولا ينكرون الحرام فاخذعوك وشهدوا عندك ان عليا قتل عثمان ولو نظرت بعقلك لعلمت أن ذلك باطل وزور ولو كان علي ما شهدوا عندك أن عليا قتل عثمان لما بايعه المهاجرون والأنصار وهم واضعون أسيافهم على عواتقهم يقاتلون معه من خالفه من أهل البصرة وغيرهم من الناس فلا تكن رأس الخطيئة ومفتاح البليّة فاني ما زلت لك ناصحا وعليك مشفقا والسلام » (٨٩) . فلما انتهى الكتاب الى شرحبيل أتى به معاوية

(٨٦) انظر نص الرسالة : نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٥٦ حاشية ٢ . ابن قتبية : الامامة والسياسة : ج ١ ص ٨٧ ، المبرد : الكامل : ص ١٨٤ .

(٨٧) كتب اليه معاوية من شعر كعب بن جعيل :

أرى الشام تكره ملك العراق وأهل العراق لهم كارهونا
وكل لصاحبهم ميفض يرى كل ما كان من ذاك ديننا
وقلنا نرى ان تدينسوا لنا فقالوا لنا لا نرى ان تدينسنا
ومن دون ذلك خوط القتاد وضرب وطعن يقر العيوننا

انظر بقية الأبيات : نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٥٦ ، ٥٧ ، المبرد : الكامل : ص ١٨٤ .

(٨٨) عن همدان : انظر مما سبق ص ١١٧ .

(٨٩) ابن أعثم : الفتوح : ج ١ ص ٥٢٨ ، ٥٢٩ . وكتب اليه شعرا بهذا المعنى نورد منه :

فاقرأه إياه فقال له : « لا عليك هو سيد في همدان وأنت سيد في كندة
فأجبه على كتابه » فكتب إليه شرحبيل : « أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر
فيه أنني هاجرت إلى الكوفة وانتقلت إلى الشام ولعمري ما العراق لي بدار
ولا الشام علي بغار وإنما أنا رجل من اليمن وأما قول بأن عليا قتل عثمان
فإنني أخذت ذلك من الثقات من أهل الرضا ولا يقال للشاهد من أين قلت
وأما المهاجرون والأنصار فلهي ما هي أيهم من بيعة علي ولنا ما هي أيهمنا
من بيعة معاوية والسلام » (٩٠) . ثم أقبل شرحبيل إلى ابن عم له من
كندة وقال له أحب سعيد بن قيس هل تعرفه بما أمكنك فكتب شعرا يبرأ
فيه ساحة شرحبيل مما نسب إليه ويخبر باللائمة على غيره (٩١) . وقام
معاوية في الناس خطيبا يبرجو طاعتهم وصبرهم لما هو مقدم عليه فحمد
الله وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس قد علمتم أن خليفتكم عثمان بن عفان
قتل مظلوما وقد جعل الله لمن قتل مظلوما وليا وناصرا وجعل لولي سلطانا
وأنا وليه استعملني ولم يعزني وأنتم أهل الحق والناس سوائكم أعز
فحقة وباطل من بين يدي يسطر يديه في دم عثمان أو معين عليه وقد علمتم
أنني لا أضبط الشام إلا بالطساعة ولا أقوى على حرب أهل العراق
إلا بالصير (٩٢) واستعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين » (٩٣)
فلما انتهى معاوية من كلامه قام إليه أبو الأعور السلمي (٩٤) مسلما له
بالطساعة عن أهل الشام من غاب عنهم ومن حضر (٩٥) وقال : « انك لتحملنا
على أمر لو أركته لحملناك عليه ونحن على بيعة الخليفة عثمان بن عفان
وأنت وليه وأبى عنه وعلى عدوه وخاذله فتحن منك عليه » (٩٦) .

= أيا شرح يابن السبعة أصبحت راجعا على العقب غانم في رجوتك العقب
أخذت طليقة تاحيا بمهاجر التي له من الناس خطيب من الخطاب
صحاب رسول الله في كل موطن أولئك أولي باللهي من بني كريب
أنظر بهية الأبيات : ابن أعثم : الفتوح ١ ج ١ ص ٥٢٩ .
(٩٠) ابن أعثم : الفتوح ١ ج ١ ص ٥٢٩ .
(٩١) كتاب الكلاب .

أيها العائب التي شرحبيل أن يقال الإنسان مجرى النجوم
لا توبة أنه حبر الشام ويصدق العقب ويسكن الشام
أنظر بهية الأبيات : ابن أعثم : الفتوح ١ ج ١ ص ٥٢٩ وأما ٢ .
(٩٢) ابن أعثم : الفتوح ١ ج ١ ص ٥٤٨ ، ٥٤٩ .
(٩٣) سورة البقرة آية ١٥٣ .

(٩٤) أبو الأعور السلمي من أعلام بني سليم من العرب المعتزلة وأحمد بن محمد بن
سليمان بن عبد شمس بن سعد بن خائف بن الأرقم بن مرة بن عاتل . وكان من أكابر
عوائد معاوية : ابن حزم : المجترة : ص ٢٦٤ .
(٩٥) الطبري : التاريخ ١ ج ٢ ص ٥٦٢ .
(٩٦) ابن أعثم : الفتوح ١ ج ١ ص ٥٤٩ .

الفصل الثاني

قبائل الشام والعراق في حرب صفين

أولا - المسير الى صفين :

استمرت المكاتبات بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان مدة طويلة يدعرو فيها علي معاوية الى التسليم له بالطاعة ويحذره مغبة الخروج عن الجماعة والانزلاق بالمسلمين الى مهاوى الفتنة والتهلكة ومعاوية يطالبه بتبرئة ساحته من دم عثمان واخراج قتلته من جيشه ثم صار كل واحد منهما يذكر فضله ويضع من شأن الآخر مع تهديد ووعيد « (١) » ، فلما طال الأمر علي ذلك قال عمرو بن العاص لمعاوية محذرا اياه عاقبة ذلك : « ويحك يا معاوية ! الى كم تكاتب عليا ؟ » ، والله لو اجتمع عليه كل كاتب بأرض الشام ما قدروا على اجابته فحسبك من مكاتبتة واعزم على محاربته أو مسالمته « (٢) » . ولكن معاوية كره أن يكون بادئا بقتال وآثر أن ينتظر ما يكون من أهل العراق حتى لا يبدو في نظر أنصاره من القبائل الشامية باغيا .

لما يثس علي من طاعة معاوية والبيعة له بالخلافة ولم يجد أمامه الا القتال لاختضاعه هو وأهل الشام لجمع كلمة المسلمين أمر القبائل العراقية

(١) الطبرى : التاريخ : ج ٤ ص ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ابن اعثم : الفتوح : ج ١ ص ٥٥٣ - ٥٥٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ٤ ص ٣٣٦ .
(٢) ابن اعثم : الفتوح : ج ١ ص ٥٥٦ .

بالتجمع بأسلحتها وعدتها استعدادا للحرب وأن يخرجوا الى معسكرهم بالنخيلة (٣) تمهيدا للزحف على أهل الشام فخرجت القبائل العراقية اليه عن بكرة أبيها من مضر ويمن فتجمع له ما يقرب من تسعين ألفا أكثرهم من همدان ومذحج وربيعه (٤) معهم بطون من كندة وطىء والنخع وعبد القيس وبنى تميم والأنصار من الأوس والخزرج وخزاعة وبجيلة ومن أخلاط العرب وخاصة من قيس وكان معهم ثمانون بدريا ومائتان وخمسون ممن بايع تحت الشجرة وثمانمائة من الأنصار ، وكانت الأنصار درعه وحمدان سيفه وعبد القيس رمحه وسنانه أخلاط العرب (٥) .

لما بلغ معاوية بن أبي سفيان خروج على النخيلة ومعسكره بها ألبس منبر المسجد الجامع بدمشق قميص عثمان الذي قتل فيه وهو مخضب بالدم وعلق فيه أصابع زوجه نائلة (٦) فاجتمع له حول المنبر سبعون ألف شيخ من شتى القبائل يكون لا تجف دموعهم على عثمان (٧)

(٣) النخيلة : موضع قرب الكوفة على طريق الشام وهو الذى خرج اليه على بن أبي طالب لما بلغه قتل عامله بالأنبار وخطب خطبته المشهورة التى تم فيها أهل الكوفة وقال : اللهم انى مللتهم وملونى فأرحنى منهم فقتل بعدها بإيام .
ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ٢١٨ ، ٢٧٩ .

(٤) بنو ربيعة بن نزار : شعب عظيم فيه قبائل وبطون وافخاذ وينتسب الى ربيعة ابن نزار بن معد بن عدنان وقد أجمع أهل العلم والنسب على أن اللباب والصريح من ولد اسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ربيعة ومضر ابنا نزار بن معد بن عدنان لاختلاف فى ذلك ، ومن أكبر بطون ربيعة : بنو ضبيعة وبنو عنزة بن أسد بن ربيعة وبنو عبد القيس وبنو النمر بن قاسط وبنو غفيلة بن قاسط وبنو تغلب بن وائل بن قاسط وبنو بكر ابن وائل وبنو عنز بن وائل وغيرهم ، وكانت ديارهم بنجد وتهامة وما يليهما وكانوا يغزون الماعز ويصيبون الغنائم ويتناولون أطراف الشام وناحية اليمن ، ثم وقعت الحرب فيما بينهم واقتتلوا قتالا شديدا افترقوا بعده فى مختلف البقاع مثل هجر والبحرين وظواهر بلاد نجد والحجاز والكور الواقعة بين الجزيرة والعراق .

الهمداني : صفة جزيرة العرب ص ١٢٢ ، ١٧١ ، الأصفهاني : الأغاني : ج ٩ ص ٨٢ ، ج ١٠ ص ٨٦ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٢ ص ٥٦ ، الطبرى : الذريع : ج ٣ ص ٢٥٥ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ابن منظور : لسان العرب : ج ٩ ص ٤٦٩ ، الزبيدي : تاج العروس : ج ٢ ص ٣٧٨ ، ج ٥ ص ٣٤٢ ، ابن خلدون : العبر : ج ٢ ص ٣٠٠ ، ابن عبد البر : الانباه : ص ٩٦ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ١٨٩ ، ابن صاعد : طبقات الامم : ص ٤٣ : القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٢٤٢ ، عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب : ج ٢ ص ٤٢٤ ، ٤٢٥ .

(٥) ابن أعثم : الفتوح : ج ١ ص ٥٨٧ ، ج ٢ ص ٦ ، أبو الفدا : المختصر : ج ١ ص ١٧٥ .

(٦) ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٤١ .

(٧) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ١٢٧ ، ابن قتيبة : الامامة والسياسة : ص ٨٢ ، أبو حنيفة الدينوري : الاخبار الطوال : ص ١٥٩ ، ١٦٠ .

فقام فيهم معاوية خطيبا قال : يا أهل الشام قد كنتم تكذبوني في على فقد استبان لكم أمره والله ما قتل خليفتم غيره وهو أمر يقتله والب عليه الناس وآوى قتلته وهم جنده وأنصاره وأعوانه وقد خرج بهم قاصدا بلادكم ودياركم لآبادتكم ، يا أهل الشام الله الله في عثمان فأننا ولي عثمان وأحق من طلب بدمه وقد جعل الله لولي المظلوم سلطانا فأنصروا خليفتم المظلوم فقد صنع به القوم ما تعلمون قتلوه ظلما وبغيا وقد أسر الله بقتال الفئة الباغية حتى تفيء الى أمر الله ، (٨) . فلما فرغ معاوية من كلامه اجتمعت له القبائل الشامية من كل صوب وحذب وأعطوه الطاعة وجددوا له البيعة وانقادوا له وبرز اليه كل من نبهان بن الحكم وحوشب ذو الظليم وأبو الأعور السلمي فأيدوه وعضدوه ووعدوه بالصبر والقتال وأنشدوه :

ان بالشام يا معاوى قوما يذلون النفوس والأموالا
كيزيد وشرحبيط بن سمط ثم شيخ ذى الكلاع ينعى الرجالا (٩)

لما اجتمعت القبائل لمعاوية بن أبي سفيان أراد أن يجعل معظم مراكز القيادة في جيشه لرجال من مضر (١٠) وخاصة من قريش بعد أن رأى معظم الناس معه من أهل اليمن وكأنه أراد أن يوازن بين الطرفين ويخلط مضر باليمن والجميع أهل الشام ، فعقد لبسر بن أبي أرطاة الفهري وعبيد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ومحمد وعتبة ابنا أبي سفيان وهو يقصد بذلك إكرامهم ورفع أقدارهم (١١) وكان ذلك في الوقعات الأولى من صفين غير أن الأمر لم يصف لمعاوية بما فعله إذ سرعان ما غم ذلك رجالا من اليمن وأرادوا أن لا يتأمر عليهم أحد الا منهم ولو كان من قريش فلم تكن لتذهب عنهم العصبية الجاهلية في يوم وليلة وهم ما زالوا حديثي عهد بها فقام رجل من كندة يقال له عبد الله بن الحارث السكوني وطلب الى معاوية أن يسمع منه ما يجيش في صدور أهل اليمن في هذا الخصوص فقال له معاوية هات ما عندك فقال مخاطبا إياه :

معاوى أحييت فينا الاحن وأحدثت بالشام ما لم يكن
عقدت لبسر وأصحباه وما الناس حولك الا اليمن
فلا تخلطن بنا غيرنا كما شيب بالماء محض اللبن

(٨) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ١٢٨ .

(٩) ابن أعمم : الفتوح : ج ١ ص ٥٨٧ .

(١٠) عن مضر انظر ما سبق في ذلك .

(١١) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٢٤ ، ابن أعمم : الفتوح : ج ١

ص ٥٥٦ .

ستعلم ان جاش بحر العراق وأبدى نواجزه فى الفتن
بأنا شعارك دون الدثار وأنا الرماح وأنا الجنن (١٢)

فلما فرغ الرجل من كلامه نظر معاوية الى وجوه أهل اليمن وقال :
أعن رضاكم قال هذا ؟ فنظروا الى بعضهم وقالوا : لا مرحبا بما قال
والأمر اليك اصنع ما شئت وكأنهم قالوا ذلك استحياء أن يدخلوا الروع
فى قلب صاحبهم وما زال الأمر فى بدايته وهم الذين عرفوا بالطاعة
والنظام ، فقال معاوية : انما خلطت بكم ثقاتى وثقاتكم وما كان لى فهو
لكم وما كان لكم فهو لى (١٣) فرضى القوم وسكتوا على مضض لأن ما عبر
عنه الرجل كان هو مبتغاهم الذى سرعان ما سعوا اليه مرة أخرى أثناء
القتال وطلبوا الى معاوية أن يعزل عنهم قادة قريش ومضر واتهموهم
بالجبن والتخاذل وعدم القتال معهم والاكتفاء بالنظر من بعيد وهددوا
بالانسحاب من الحرب اذا لم يول عليهم معاوية قادة منهم فامثل لطلبهم
وعقد لكبرائهم (١٤) فاستقام له أمرهم .

سار معاوية بخيله ورجاله حتى نزل صفين فى ثلاثة وثمانين ألفا
وذلك لأيام خلت من المحرم سنة ٣٦ هـ - ٦٥٧ م فسبق الى سهولة
الأرض وسعة المرعى ومصدر المياه من الفرات واجتمعت اليه العساكر من
أطراف البلاد فصار فى عشرين ومائة ألف (١٥) وزحف اليه على قاصدا
جمعه وعادت ذكرى العداة القديم بين عرب الشام وعرب العراق وان لم
يكن بين حلفاء الفرس وحلفاء الروم وانما بين أشياع على وأنصار معاوية

(١٢) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٢٥ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ،
ص ٨٦ .

(١٣) نصر بن مزاحم : المصدر السابق : ص ٤٢٥ ، ابن أعثم : المصدر نفسه : ج ٢ ،
ص ٨٧ .

(١٤) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٤١ ابن أعثم الكوفى : الفتوح : ج ٢
ص ١٢٠ .

(١٥) الطبرى : التاريخ : ج ٤ ص ٥٦٩ ، ابن قتيبة : الامامة والسياسة : ص ١٠٢ ،
الدينورى : الاخبار الطوال : ص ١٧٠ ، المسعودى : مروج الذهب : ج ٢ ص ٣٧٥ ،
ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٤٤ .

وكلهم من المسلمين • واستمرت حرب الشعر (١٦) والكلام والخطب على أشدها بين علي ومعاوية طوال فترة الزحف والاستعداد قبل اللقاء الكبير في صفين (١٧) •

في معركة صفين ضربت قريش وجوه القبائل العربية بعضها ببعض مضرها ويمنها ضربا مبرحا كادت أن تقتصف معه أيادي الاسلام في بلاد الشام على وجه الخصوص لقربه من الروم وبه ثغور المسلمين لولا عناية الله ورعايته ، فما كان علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان الا مجرد أفراد والأفراد لا محالة زائلون وتبقى الشعوب والأمم فما كان عليهما لو استجاب أحدهما للآخر لصالح الجماعة دون قتال أو صبرا لبعضهما دون اراقة الدماء الغالية فما أصاب الاسلام في صفين يكاد يعدل مصابهم في فتح الشام كلها لأن القتلى في الطرفين من المسلمين (١٨) ، فلم يرتض علي من معاوية بغير البيعة والطاعة ولم ير معاوية في نفسه أقل شأنا من علي في البيعة لنفسه بالخلافة وأبى كل منهما الا أن يقض مضجع الآخر

(١٦) لما تحرك معاوية قاصدا صفين بعث الى علي برسالة وكتب له في نهايتها :
لا تحسبني يا علي غافلا لأوردن الكوفة القبايلا
والمشرفى والقنا الذوابلا من عامنا هذا وعاما قابلا
فلما ورد هذا الشعر على أهل العراق علم علي وأصحابه أن معاوية فصل من دمشق فرد على برسالة ذيلدا بما يلي :

أصبحت منى يا ابن هند جاهلا لأرمين منكم الكراملا
تسعين ألفا رامحا ونابلا يزدجرون الأرض والسواهلا
بالحق والحق يزيح الباطلا هذا لك العام وزرنى قابلا
نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ١٣٦ ، ١٣٧ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ١ ص ٥٥٨ •

(١٧) انظر : الطبرى : التاريخ ج ٤ ص ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ١ ص ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، المسعودى : مروج الذهب : ج ٢ ص ٢٨٥ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ٤٤١ ، ١٤٥ •

(١٨) انظر : ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ٤١٤ • ويذكر أبو الفداء أن عدد القتلى كان « خمسة وأربعين ألفا من أهل الشام وخمسة وعشرين ألفا من أهل العراق منهم ستة وعشرين رجلا من أهل بدر • »
أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر : ج ١ ص ١٧٥ •

بما تحت يده من القبائل التي تنصره (١٩) فقتل من الطرفين خلق كثير من شتى القبائل فكان ذلك وهنا على الاسلام والمسلمين ، وما كان ذلك ليحدث لو قبل الناس في أوله ما قبلوا به في آخره ، ولولا عناية الله التي تداركت البقية الباقية من القبائل المتحاربة لكان قد حدث ما لا يحمد عقباه وما لا يعلمه الا الله ولكن الله ماض أمره ووقع ما كان مقدرًا ولا بد أن نتعرف على دور القبائل في هذه الحرب الطاحنة التي كانت آثارها بالغة في تاريخ المسلمين .

ثانيا - عزل الأشعث بن قيس عن رئاسة كندة والعراق :

كانت رئاسة كندة وربيعه في جيش على بن أبي طالب للأشعث ابن قيس الكندي (٢٠) وكان الأشعث ندا لشرحبيل بن السمط الكندي في جيش معاوية ، وعندما هم على بالمسير الى صفين عزله عن رياسته وجعلها لحسان بن مخدوج ألذهلي من ربيعة (٢١) فتكلم رؤساء من اليمن في ذلك منهم الأستر النخعي وعدى بن حاتم الطائي وهانيء بن عروة وزحر بن قيس لأن ربيعة من مضر (٢٢) ولا يجب لمضر أن ترأس قبيلة من اليمن وخاصة كندة الملوك وسادة القبائل في الجاهلية ، وجاءوا على ابن أبي طالب وقالوا : يا أمير المؤمنين ان رئاسة الأشعث لا تصلح الا لمثله وما حسان بن مخدوج مثل الأشعث ، فغضبت ربيعة وفيهم حريث بن جابر الذي قال : يا هؤلاء رجل برجل وليس في صاحبنا عجز في شرفه وموضعه ونجدته وبأسه ولسنا ندفع فضل صاحبكم وشرفه ، فلم يرض بقوله رجال اليمن فأتاهم سعيد بن القيس الهمداني وزجرهم على ما صاروا اليه ودعاهم الى طاعة الامام وقال لهم : ما رأيتم قوما أبعد رأيا منكم رأيتم ان عصيتهم على علي هل لكم الى عدوه من وسيلة ؟! وهل لكم في معاوية عوض

(١٩) يؤيد ذلك أن بعضا من رجالات العرب قد فطن الى هذا منذ وقت مبكر وحذر القبائل من التماهي في غياهب الفتنة ، فهذا على بن الغدير بن مضرس الغنوي من بني غنى القيسية سكن الجزيرة الفراتية يحذر قومه من الهلاك ومن تلاعب قريش بهم فيقول :

فمن مبلغ قيس بن عيلان كلها	بما حاز منها أرض نجد وشامها
فلا تهلكنكم فتنة كل أهلها	كحيران في طخياء داج ظلامها
وخلوا قريشا تقتل ان ملكها	لها وعليها برما وآثامها
فان وسعت أحلامها وسعت لها	وان عجزت لم تدم الا كلامها
وان قريشا مهلك من أطاعها	تنافس دنيا قد أحجم انصرمها

ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

(٢٠) عن الأشعث بن قيس : انظر ما سبق في ذلك .

(٢١) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ١٣٧ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ،

ص ٦٤ ، ٦٥ .

(٢٢) ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٨٣ ، ٤٨٤ .

منه ١٩ أو هل لكم بالشام من بدله بالعراق (٢٣) ؟! القول ما قال والرأى ما صنع (٢٤) . وتكلم حريث بن جابر فقال لرجال اليمن : يا هؤلاء لا تجزعوا فان كان الأشعث ملكا في الجاهلية وسيدا في الاسلام فان صاحبنا أهل لهذه الرياسة وقام حسان الى الأشعث وقال له لك راية كندة ولى راية ربيعة فقال : معاذ الله لا يكون هذا أبدا وما كان لك فهو لى وما كان لى فهو لك (٢٥) .

بلغ معاوية بن أبى سفيان ما حدث للأشعث فأراد أن يستغل الموقف لصالحه والحرب يستباح فيها كل الأساليب فدعا مالك بن هبيرة الكندى وهو سيد من سادات كندة الشام وقال : أحب أن تقذفوا الى الأشعث شيئا يغضبه من على فدعوا بشاعرهم فقال أبياتا يعيره فيها بما صار اليه من رياسة ربيعة وهو سيد فى كندة وملك من ملوك قحطان (٢٦) وأرسل بها مالك بن هبيرة الكندى (٢٧) الى الأشعث بن قيس الكندى وهو من قومه وكان له صديق فصارا الآن الى ما لا يحسدان عليه (٢٨) ، فلما انتهى هذا الشعر الى أهل اليمن امتثلوا حنقا لما صارت اليه كندة العراق من رياسة مضر ممثلة فى ربيعة وكادت الفرقة أن تقع بينهم فبرز اليهم

(٢٣) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ١٢٨ .

(٢٤) فى هذا الموقف قال النجاشى شاعر على بن أبى طالب يوفق بين الطرفين .

رضينا بما يرضى على لنا به وان كان فيما يأتى جدع المتأخر

رضى بآبن مخدوج فقلنا الرضا به رضاك وحسان الرضا للعشائر

وللأشعث الكندى فى الناس فضله توارثه من كابر بعد كابر

انظر بقية الابيات : نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

(٢٥) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ١٢٩ .

(٢٦) البلازرى : أنساب الأشراف : ج ١ ص ١٦٤ ، ٤٥٦ ، ٤٥٨ ، ابن عساكر :

تاريخ مدينة دمشق : ج ٣ ص ٦٧ - ٧١ .

(٢٧) اسمه مالك بن هبيرة بن خالد بن مسلم بن الحارث بن المخصف من ولد عقبة

ابن السكون وكان شريفا بالشام زمن معاوية . ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٢٩ ، ٤٣٠ .

(٢٨) من هذه الابيات نذكر قول شاعر الشام :

من كان فى القوم مثلوجا بقومه ثاثة يعلم انى غير مثلوج

زالمت عن الأشعث الكندى رياسته واستجمع الأمر حسان بن مخدوج

يا للرجال لعار ليس يغسله ماء الفرات وكرب غير مفروج

ان ترض كندة حسانا بصاحبها ترض الدناءة وما قحطان بالهوج

نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ١٢٩ ، ابن اعثم : الفتوح : ج ٢ ص ٦٥ ،

٦٦ .

شريح هانيء (٢٩) من أصحاب علي وقال : يا أهل اليمن ما يريد صاحبكم الا أن يفرق بينكم وبين ربيعة ، ومشى حسان بن مخدوج الى الأشعث بن قيس برايته حتى غرسها في داره . فقال الأشعث : ان هذه الراية عظمت على علي وهو والله أخف على من زف النعام (٣٠) ومعاذ الله أن يغيرني ذلك عليكم ، فعرض عليه علي بن أبي طالب أن يعيد له راية كندة وربيعة فأبى وقال : يا أمير المؤمنين ان يكن أولها شرفا فانه ليس آخرها بعار (٣١) فقال علي : أنا أشرك فيهما وولاه ميمنة أهل العراق (٣٢) .

ومع أن هذه الأزمة مرت على علي بن أبي طالب بسلام الا أنها كانت نذير سوء ينبئ أن شيئا من الفرقة سوف يحل بهذه القبائل في جيش علي ان عاجلا أو آجلا لكثرة مراجعتهم لامامهم فيما يأمر به وهو ما تطور بعد ذلك - لما طال أمر الحرب الى خلاف ثم شغب عليه بعد أن خرجوا معه مبايعين له على السمع والطاعة يأترون بأمره ويقاثلون تحت ركابه .

ثالثا - موقف أهل الرقة من علي بن أبي طالب :

كان أهل الرقة (٣٣) كلهم العثمانية الذين فروا من الكوفة برأيهم وأهوانهم الى معاوية فلما وصلها علي بن أبي طالب بجيشه في طريقه الى

(٢٩) هو شريح بن هانيء بن يزيد بن نهيك بن دريد بن سفيان بن الضباب من بنى الحارث بن كعب من ولد مالك بن أدد من العرب القحطانية . له رواية وكان من المقربين الى علي .

ابن حزم : الجمهرة ص ٤١٧ .

(٣٠) زف النعام : ريشه الصغير .

نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ١٤٠ هامش ١ .

(٣١) نصر بن مزاحم : المصدر السابق : ص ١٤٠ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ،

ص ٦٥ .

(٣٢) ومع ذلك فقد ظل الأشعث بن قيس الكندي في نفسه حائقا عليه رغم أنه قاتل معه بقومه من كندة طوال حرب صفين فلما طلب أهل الشام التحكيم ولاحق له الفرصة ليظهر معارضته وحنقه انقلب ضد علي وكان من أشد المعارضين له في استمرار القتال بعد أن لاحت لأهل العراق بشائر النصر بقيادة الأشتر النخعي ومعه منحه وهمدان .

انظر الطبري : ج ٥ ص ٤٩ ، ٥٠ ، ابن قتبية : الامامة والسياسة : ج ١ ص ١١٢ ،

١٢٢ ، المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ٤٠٠ ، ٤٠٢ ، أبو حنيفة الدينوري : الأخبار

الطوال : ص ١٨٩ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٦٠ ، ١٦١ ، أبو الفداء : المختصر :

ج ١ ص ١٧٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٣٥٧ .

(٣٣) الرقة : هي كل أرض الى جنب واد ينبسط عليها الماء وجمعها رقاق والرقاق :

الأرض اللينة التراب ومدينة الرقة مدينة مشهورة في بلاد الجزيرة تقع في جانب الفرات الشرقي ينسب اليها جماعة من أهل العلم .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ٥٩ ، ٦٠ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية :

ص ٢٥ ، ١١٤ ، ١٣٢ .

صفين أغلق أهلها الأبواب في وجهه وتحصنوا فيها منه (٣٤) وكان أميرهم سماك بن مخزومة الأسدي في طاعة معاوية وكان قد فارق عليا في نحو مائة رجل من بنى أسد بن خزيمة (٣٥) ثم أخذ يكاتب قومه حتى لحق به منهم سبعمائة رجل اختاروا معاوية وحزبه لأنهم رأوا أن خليفتهم قتل مظلوما (٣٦) .

لما أراد علي أن يعبر الفرات بجيشه الى الشام طلب من أهل الرقة أن يجسروا له جسرا يعبر عليه فأبوا ذلك وكانوا قد ضموا عندهم السفن فنهض على من عندهم ليعبر على جسر منبج (٣٧) وخلف عليهم الأشتر النخعي وهو من أبرز رجال علي المخلصين وأشجعهم فناداهم وقال : يا أهل هذا الحصن اني أقسم بالله لئن مضى أمير المؤمنين ولم تجسروا له عند مدينتكم حتى يعبر منها لأجردن فيكم السيف ولأقتلن مقاتلتكم ولأخربن أرضكم ولأخذن أموالكم (٣٨) . فلقى بعضهم بعضا وقالوا :

(٣٤) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ١٤٦ ، الطبري : التاريخ : ج ٤ ص ٥٦٥ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٤٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٢٣٢ ، (٣٥) أسد بن خزيمة : قبيلة عظيمة من العدنانية تنتسب الى أسد بن خزيمة بن مدركة ابن الياس بن مضر بن نزار ومن أشهر بطونهم بنو كاهل وبنو غنم وبنو ثعلبة وبنو عمرو وصعب ويطون أخرى يطول ذكرها وكانت منازلهم فيما يلي الكرخ من أرض نجد في مجاورة طيء ويقال ان بلاد طيء كانت لبني أسد فلما خرجت طيء من اليمن غلبوهم على جبلى أجا وسلمى ولما جاء الاسلام تفرقت بنو أسد في الأقطار ولم يبق لهم حتى فنزلوا العراق وسكنوا الكوفة منذ سنة ١٩ هـ وملكوا الحلة وجهاتها حتى سنة ٥٨٨ هـ وتعد قبيلة أسد بن خزيمة من القبائل الحربية انتى سجل لها التاريخ كثيرا من الحروب في الجاهلية والاسلام فقد حاربوا في الجاهلية طيء وعامر بن صعصعة وعبس وغسان وجاء وفد منهم النبي صلى الله عليه وسلم سنة ٩ هـ من عشرة رهط ثم ارتدوا بعد ذلك عن الاسلام وعادوا اليه بعد حروب الردة وقاتلوا مع سعد بن أبي وقاص سنة ١٤ هـ في القادسية وفي سنة ٦١ هـ قاتلوا مع عبيد الله بن زياد والى البصرة والكوفة ضد الحسين بن علي وكانوا في جاهليتهم يعبدون عطاردا .

الأصفهاني : الأغاني : ج ٤ ص ١٣٦ ، ج ١٨ ص ١٩٣ ، الطبري : التاريخ : ج ٤ ص ١١٨ ، ١١٩ ابن حزم : الجمهرة : ص ١٩٠-١٩٢ ، ابن منظور : لسان العرب : ج ٤ ص ٣٨ ، الزبيدي : تاج العروس ج ٢ ص ٤٩٣ ، ج ٣ ص ٢١٥ ، ابن صاعد : طبقات الأمم : ص ٤٣ ، ابن عساكر : التاريخ : ج ١ ص ١١٩ ، البكري : معجم ما استعجم : ج ١ ص ٩٠ ، البغدادي : مراصد الاطلاع : ج ١ ص ١١٨ ، ١١٩ ، الاصطخرى : مسالك الممالك : ص ٢٢ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٣٦) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ١٤٦ .

(٣٧) منبج : بلد قديم بالشام عليه سور محكم مبني بالحجارة ، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ وبينها وبين حلب عشرة فراسخ وشربهم من قنى تسيح على الارض وفي دورهم ايار أكثر شربهم منها لأنها عذبة صحيحة .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ٢٠٥ - ٢٠٧ .

(٣٨) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ١٥١ .

ان الأشر يفى بما يقول وانما خلفه على عندنا ليأتينا منه الشر فبعثوا اليه : انا ناصيون لكم جسرا فأقبلوا . وأرسل الأشر الى على فجا ونصبوا له الجسر وعبروا جميعا (٣٩) .

رابعاً - القتال على الماء :

كان لمعاوية بن أبى سفيان السبق فى الوصول الى مكان المعركة فى صفين على نهر الفرات وكانت هناك شريعة على النهر بالموضع صالحة لجلب الماء من النهر ولم يكن هناك غيرها فسارع معاوية باحتلالها ورصد لها من يحرسها من أشداء القبائل بقيادة أبى الأعور السلمى الذى صف عليها الخيل والرجالة والرماة وأصحاب الرماح والدرق ليمنعوا منها عليا ومن معه اذا ما وصل اليهم ولما حل جيش على بصفين ووجد الحال كذلك اقتتل الطرفان على الماء قتالا ضاريا سقط فيه جمع من القتلى من الطرفين وانتهى الأمر بأن تم اقتسام الشريعة بين كل منهما (٤٠) .

لم ييأس معاوية بن أبى سفيان من زحزحة القوم عن مكانهم الذى احتلوه بالقوة وأعمل الحيلة فى ذلك فكتب على سهم : « من عبد الله الناصح ، انى أخبركم أن معاوية يريد أن يفجر عليكم الفرات فيغرقكم فخذوا حذرکم » ثم رمى بالسهم فى معسكر على فوقع فى يدى رجل من أهل الكوفة فقرأه ثم أقرأه صاحبه فلما شاع أمره فى الناس قالوا : هذا أخ ناصح كتب اليكم يخبركم بما أراد معاوية فلم يزل السهم يقرأ ويرتفع حتى رفع الى على بن أبى طالب (٤١) وكان معاوية قد بعث مائتى رجل من الفعلة الى عاقول من النهر بأيديهم المرور والزبل (٤٢) يحفرون فيها بحبال عسكر على بن أبى طالب فقال على : انما يريد معاوية أن يزيلكم من مكانكم فآلهوا عن ذلك ودعوه ، فقالوا له : بل نرتحل انهم يحفرون الساعة فقال على : يا أهل العراق لا تكونوا ضعفى . ويحكم :

(٣٩) نصر بن مزاحم : المصدر السابق : ص ١٥٢ .

(٤٠) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ١٦٠ - ١٦٦ ، الطبرى : التاريخ : ج ٤ ص ٥٦٩ - ٥٧٢ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ١٤٥ ، ١٤٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٢٣٤ .

(٤١) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ١٩٠ ، ١٩١ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٢٣٩ .

(٤٢) عاقول النهر : ما أعوج منه والمرور : جمع مر وهو المسحاة والزبل : جمع زبيل وهو الجراب والقفة .

نصر بن مزاحم : المصدر السابق : ص ١٩١ حاشية ٢ ، ٣ .

لا تغلبوني على رأيي فقالوا : والله لنرتحلن فان شئت فارتحل وان شئت
فأقم - وهنا نلاحظ خلاف أهل العراق لعلي بن أبي طالب منذ البداية -
فارتحلوا وصعدوا بعسكرهم مليا وارتحل على في آخر الناس وهو يقول
متحسرا لعدم طاعة الناس له :

ولو أني أطعت عصمت قومي الى ركن اليمامة اي شبام
ولكني اذا أبرمت أمرا منيت بخلف آراء الطغام (٤٣)

جاء معاوية بجنده حتى نزل معسكر على الذي كان فيه بعد أن
نجحت حيلته وزحزح القوم عن مكانهم وأبعدهم عن الماء مستغلا اختلاف
أهوائهم وسرعة شغبهم وحينما دعا على بالأشتر النخعي وقال له : ألم تغلبني
على رأيي أنت والأشعث فدونكما . فقال الأشعث بن قيس الكندي : أنا
أكفيك يا أمير المؤمنين ، سأداوي ما أفسدت اليوم من ذلك وجمع بني
كندة عن بكرة أبيهم وقال : يا معشر كندة لا تفضحوني اليوم ولا تخزوني
انما أقارع بكم أهل الشام فخرجوا معه رجلا يمشون وقد كسروا جفون
سيوفهم حتى لقوا معاوية وسط بني سليم (٤٤) واقفا على الماء وقد جاءه
أداني عسكره فاقتتلوا قتالا شديدا على الماء وأقبل الأشتر في خيل من
أهل العراق فحمل على معاوية حملة قوية والأشعث يحارب من ناحيته
فانحاز معاوية في بني سليم وردوا وجوه ابله قدر ثلاثة فراسخ عن
الماء (٤٥) وجاء الأشعث يهدر ويقول : أرضيتك يا أمير المؤمنين . فلما
غلب على على الماء وطرد عنه أهل الشام بعث الى معاوية : « انا لا نكافئك
بصنعك ، وهلم الى الماء فتحن وأنتم فيه سواء » . وأخذ كل واحد منهما
بالشرية مما يليه وقال على : « ان الخطب أعظم من منع الماء » (٤٦) .

أعاد على بن أبي طالب الرسل الى معاوية في دعوته الى الطاعة
والبيعة وانقاذ المسلمين مما هم فيه (٤٧) ، فبعث معاوية اليه شرحبيل

(٤٣) شبام : بلد منيع لحمير باليمن والأبيات عن : نصر بن مزاحم : وقعة
حيفين : ص ١٩١ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٣٣٩ .

(٤٤) عن بني سليم انظر ما سبق في ذلك .

(٤٥) الطبري . التاريخ : ج ٤ ص ٥٦٩ ، ابن الأثير : الكامل : ٣٦ ، ص ١٤٥ ،
ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٣٣٤ .

(٤٦) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ١٩٣ ، ابن قتيبة : الامامة والسياسة :
ص ١٦٩ ، المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ٣٧٧ ، ابن الأثير : الكامل ج ٣ ،
ص ١٤٥ .

(٤٧) الطبري : التاريخ : ج ٤ ص ٥٧٣ - ٥٧٥ .

ابن السمط وحبيب بن مسلمة ومعن بن يزيد بن الأخنس السلمى يطلبون منه أن يدفع اليهم قتلة عثمان أو يعتزل أمر الناس فيكون أمرهم شورى بينهم يولونه من أجمع عليه رأيهم (٤٨) ، فلما جاءت الرسل عليا دعاهم الى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وامانة الباطل واحياء معالم الدين ، فقال له شرحبيل ومعن بن يزيد : أتشهد أن عثمان قتل مظلوما ؟ فقال لهما : انى لا أقول ذلك . قالا : فمن لم يشهد أن عثمان قتل مظلوما فنحن منه براء ثم قاما وانصرفا ، قال علي : « انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولو مدبرين » (٤٩) ثم أقبل على أصحابه وقال : « لا يكون هؤلاء أولى بالجد فى ضلالتهم منكم فى حقكم وطاعة امامكم » (٥٠) .

خامسا : تعبئة القبائل للحرب :

مكث الناس بغير قتال حتى دنا انسلاخ المحرم وجاء صفر سنة ٣٧ هـ - ٦٥٧ م فأعلن علي بن أبى طالب الحرب على معاوية ومن معه من أهل الشام (٥١) وأرسل مرثدة بن الحارث الجشمى فنادى عند غروب الشمس : يا أهل الشام ألا ان أمير المؤمنين يقول لكم انى قد استدمتكم واستأنيت بكم لتراجعوا الحق وتنبوا اليه واحتججت عليكم بكتاب الله ودعوتكم اليه فلم تتناهاوا عن الطغيان ولم تجيبوا الى الحق وانى قد نبذت اليكم على سواء ان الله لا يحب الخائنين . فلما انتهى من كلامه فزع الناس الى أمرائهم ورؤسائهم وخرج معاوية وعمرو بن العاص يكتبان الكتاب ويعبآن العساكر وبات على ليلته كلها يعبىء الناس ويكتب الكتاب ويحرض على القتال (٥٢) واستعمل على الخيل : عمار بن

(٤٨) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٠١ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ، ص ١٤٧ ، ١٤٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٣٣٨ .
(٤٩) سورة النمل : آية ٨٠ .

(٥٠) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٠٢ ، الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٨ ، ٩ .
ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٣٣٧ ، ٣٣٨ .
(٥١) ابن حبيب : المحبر : ص ٢٨٩ ، ٢٩٣ ، الدينورى : الأخبار الطوال : ص ١٧٠ ، المسعودى : مروج الذهب : ج ٢ ص ٢٨ ، ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ٣٧٠ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٦٢ ، اليعقوبى : التاريخ : ج ٢ ص ٢١٦ ، أبو الفداء : المختصر ، ج ١ ص ١٨٤ ، محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية : ص ٢٨١ ، سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام : ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٥٢) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٠٢ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ص ٢١ ، ابن قتيبة : الامامة والسياسة : ص ٨٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ١٠ ، المسعودى : مروج الذهب : ج ٢ ص ٣٧٧ ، الدينورى : الأخبار الطوال : ص ١٧٠ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ، ص ١٤٩ ، اليعقوبى : التاريخ : ج ٢ ص ٢٢١ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٣٣٩ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى : ج ١ ص ٢٧٥ .

ياسر (٥٣) ، وعلى الرجالة : عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي (٥٤) ،
ودفع اللواء الى هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري ، وجعل على الميمنة ،
الأشعث بن قيس ، وعلى الميسرة : الحارث بن مرة العبدي ، وجعل القلب :
مضر (٥٥) الكوفة والبصرة ، وجعل الميمنة : اليمن ، وجعل الميسرة :
ربيعة ، وعقد ألوية القبائل فأعطاهما قوما منهم بأعيانهم جعلهم رؤسائهم

(٥٣) عمار بن ياسر : هو ابن عامر بن كنانة بن قيس من بني مالك بن أدد من مذحج
من ولد كهلان بن سبأ من العرب القحطانية ، وكان قدم ياسر بن عامر وأخواه الحارث
ومالك من اليمن الى مكة يطلبون أخا لهم فرجع الحارث ومالك الى اليمن وأقام ياسر
بمكة وحالف أبا حذيفة بن الغيرة من بني مخزوم فزوجه أبو حذيفة أمة له يقال لها سمية
بنت خياط فولدت له عمارا فأعتقه أبو حذيفة الى أن مات وجاء الاسلام فأسلم ياسر وسمية
وعمار وكانوا من المستضعفين الذين عذبوا بئكة ليرجعوا عن دينهم ، وقد شهد عمار بن
ياسر بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم وقتل مع علي
بصفين .

ابن سعد : الطبقات : ج ٣ ص ٢٤٦ - ٢٦٤ ، البلاذري : أنساب الأشراف : ج ١
ص ١٥٦ - ١٥٩ ، ابن حزم الجمهرة : ص ٤٠٥ ، ٤٠٦ .

(٥٤) عبد الله بن بديل ينتسب الى خزاعة وخزاعة قبيلة من الأزد من العرب القحطانية
وبطونهم كثيرة منهم بنو المصطلق وبنو كعب وبنو عوف وكانت لخزاعة ولاية البيت في
الجاهلية قبل قريش وهي في بني كعب بن عمرو بن لحي ، ولما رغبت قيس عيلان في انتزاعها
منهم ساروا اليهم في مكة عليهم عامر بن الظرب العدواني ومعهم جمع من قبائل العرب
فحاربتهم خزاعة وهزمت قيس وكان بين كنانة وخزاعة حلف على التناصر فلما اقتتل
خزاعة وبني أسد استنصروا حلفاءهم من كنانة فتذاكر الكنانيون قرابتهم لبني أسد وخذلوا
خزاعة ، وفي سنة ٨ هـ قبل فتح مكة عدا بنو بكر بن عبد مناة على خزاعة وأعانتهم
قريش فدخلت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بنو بكر في عهد قريش وهو
ما اعتبره النبي صلى الله عليه وسلم عدوانا، على حلفائه أوجب الفتح ، وكان الخزاعيون
على علم بأخبار العرب وأهل الكتاب ويأتون البلاد للتجارة فيعرفون أحوال الناس وكانوا
يعظمون مناة وهو صنم كان لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة وقد حاربت خزاعة بسائر
بطونها سنة ٣٧ هـ - ٦٥٧ م مع علي بن أبي طالب ضد معاوية بن أبي سفيان في صفين
وكان عليهم عمرو بن الحمق الخزاعي ولزموا طاعته حتى آخر يوم في حياته ولم يشغبوا
عليه مثل طيء وكندة وتميم وغيرها .

الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ١٢٠ ، ٢١١ ، الأصفهاني : الأغاني : ج ٢
ص ٩٢ ، ج ١٣ ص ٣ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٢ ص ٧٥ ، ابن حزم : الجمهرة :
ص ٤٨٠ ، ابن منظور : لسان العرب : ج ٩ ص ٤٢٢ ، الزبيدي : تاج العروس : ج ٨
ص ٤٩ ، الجوهري : الصحاح : ج ٢ ص ٥٥١ ، البكري : معجم ما استعجم : ج ١
ص ٢٩٦ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٢٧٦ ، ابن عبد البر : التنباه : ص ٩٢ ، ابن
صاعد : طبقات الأمم : ص ٤٤ ، اليعقوبي : التاريخ : ص ١٠٣ ، أبو الفداء : المختصر :
ج ١ ص ١٠٧ القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٢٢٨ ، نسب خزاعة والاختلاف الذي قيل
فيه ، عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب : ج ١ ص ٢٢٨ - ٢٤٠ ، فؤاد حمزة :
قلب جزيرة العرب : ص ٢٣١ ، ٢٣٢ .

(٥٥) عبد بن مضر : انظر ما سبق عنها .

وأمرأؤهم ، وجعل على قريش وأسد وكنانة : عبد الله بن عباس ، وعلى كندة : حجر بن عدى ، وعلى بكر البصرة : حضين بن المنذر ، وعلى تميم البصرة : الأحنف بن قيس ، وعلى خزاعة : عمرو بن الحمق ، وعلى بكر (٥٦) الكوفة : نعيم بن هبيرة ، وعلى سعد ورباب (٥٧) البصرة : جارية بن قدامة السعدي ، وعلى بجيلة رفاعة بن شداد ، وعلى ذهل (٥٨) الكوفة : يزيد ابن رديم الشيباني ، وعلى عمرو وحنظلة البصرة : أعين بن ضبيعة ، وعلى قضاة وطى : عدى بن حاتم ، وعلى لهازم الكوفة : عبد الله بن حجل العجلي ، وعلى تميم الكوفة : عمير بن عطار ، وعلى الأزدي واليمن : جندب ابن زهير ، وعلى ذهل البصرة : خالد بن المعمر السدوسي ، وعلى عمرو وحنظلة الكوفة : شبت بن ربيعي ، وعلى همدان : سعيد بن قيس ، وعلى لهازم البصرة : حريث بن جابر الحنفى وعلى سعد ورباب الكوفة : الطفيل أبا حريمة ، وعلى مذحج : الاشتر بن الحارث النخعي ، وعلى عبد القيس الكوفة : صعصعة بن صوحان العبدي ، وعلى قيس (٥٩) الكوفة : عبد الله ابن الطفيل البكائي ، وعلى عبد القيس البصرة : عمرو بن حنظلة وعلى قريش البصرة الحارث بن نوفل الهاشمي ، وعلى قيس البصرة : قبيصة ابن شداد الهلالي ، وعلى اللقيف من القواصي : القاسم بن حنظلة الجهني (٦٠) .

استعمل معاوية بن أبي سفيان على الخيل : عبيد الله بن عمر بن الخطاب ، وعلى الرجالة : مسلم بن عقبة المري ، وعلى الميمنة : عبد الله بن عمرو بن العاص ، وعلى الميسرة : حبيب بن مسلمة الفهري ، وأعطى

(٥٦) بنو بكر بن عبد مناة : بطن من كنانة بن خزيمه بن مدركة من العرب العدنانية .

الأصفهاني : الأغاني : ج ٤ ص ١٩ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٦٥ ، ابن منظور : لسان العرب : ج ٥ ص ١٤٧ ، ابن خلدون : العبر : ج ٢ ص ٣٢٠ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ١٧٠ ، عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب : ج ١ ص ٩٢ .

(٥٧) الرباب : بطن من قبائل طابخة بن الياس من مضر من العدنانية .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٨٠ .

(٥٨) بنو ذهل : بطن من بكر بن وائل وهم بنو ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة .

القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٢٢٨ .

(٥٩) قبائل قيس عيلان بن مضر ضخمة وكثيرة وتتكون من : باهلة وبنو سليم بن منصور وبنو ثقيف وعامر بن ربيعة وبنو كلاب بن ربيعة وبنو قشير بن كعب بن ربيعة وبنو عقيل وهي قبائل كبيرة ذات بطون واسعة .

انظر ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٦٨ ، ٤٦٩ « القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٣٦٢ .

(٦٠) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، الطبري : التاريخ : ج ٥ ،

ص ١١ ، ١٢ ، ابن اعثم : الفتوح : ج ٢ ص ٢٢ ، ٢٣ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ،

ص ١٥٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٣٢٩ ، ٣٤٠ .

اللواء : عبد الرحمن خاله بن الوليد ، وجعل على أهل دمشق - وهم القلب - الضحاك بن قيس الفهري وعلى أهل حمص - وهم الميمنة - ذى الكلاع الحميري (٦١) ، وهل أهل قنسرين - وهم في الميمنة أيضا - زفر بن الحارث الكلبي وعلى أهل الأردن - وهم الميسرة - سفيان بن عمرو (أبو الأعور السلمي) ، وعلى أهل فلسطين - وهم في الميسرة أيضا - مسلمة بن مخلد ، وعلى رجاله أهل حمص : حوشب ذا ظليم ، وعلى رجاله قيس : طريف بن حابس الألهماني (٦٢) ، وعلى رجالة أهل الأردن : عبد الرحمن بن قيس القيني (٦٣) ، وعلى رجالة أهل فلسطين : الحارث ابن خالد الأزدي ، وعلى رجالة قيس دمشق : همام بن قبيصة ، وعلى قيس واياض حمص : بلال بن أبي هبيرة الأزدي ، وحاتم بن المعتمر الباهلي ، وعلى رجالة الميمنة : حابس بن سعد الطائي وعلى قضاة دمشق : حسان بن بحدل الكلبي ، وعلى قضاة الأردن : حبيش بن دلجة القيني ، وعلى كنانة فلسطين : شريك الكناني ، وعلى منحج الأردن ، المخارق بن الحارث الزبيدي ، وعلى لخم وجذام فلسطين : نابل بن قيس الجذامي ، وعلى همدان الأردن : حمزة بن مالك الهمداني (٦٤) ، وعلى خثعم اليمن : حمل

(٦١) ذا الكلاع كان ملك حمير الشام وقائدهم في جيش معاوية ، وحمير قبيلة عظيمة من العرب القحطانية تنتسب الى حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكانت ذيمهم اليهودية قبل الاسلام وبعضهم عبد الشمس وكان لهم بيت بصنعاء يقال له « رقام » يعظمونه ويتقربون عنده بالذبائح ومن أيامهم : يوم البداء وهو من أقدم أيام العرب وكان بين حمير وكلب ولهم فيه اشعار كثيرة وقدم رسولهم على النبي صلى الله عليه وسلم سنة ٩ هـ .

ابن هشام : السيرة : ج ٢ ص ٢٤٦ ، ابن الكلبي : الاصنام : ص ١١ ، المسعودي : التنبيه والاشراف : ص ٨٣ ، ابن حزم : الجهمرة : ص ٤٢٨-٣٣٢ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٣٠٦ ، ابن صاعد : طبقات الامم : ص ٤٣ ، أبو الفداء : المختصر ج ١ ص ١٠٥ ، حاجي خليفة : كشف الظنون : ص ١٥٧ ، عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب ، ج ١ ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

Encyclopedie de L'Islam tome 2 p. 329. (art Hemiar).

(٦٢) نسبة الى الهان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة من ولد الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان وهم اخوة همدان بن مالك من العرب القحطانية ومنهم أيضا حوشب بن التباعي بن مسان قتل بصفيين مع معاوية .

ابن حزم : الجهمرة : ص ٣٩٢ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٢٥٠ .

(٦٣) عبد الرحمن بن قيس : من بني القين وبني القين بطن من قضاة القحطانية ابوهم النعمان بن جسر بن شيع الله بن اسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحافي بن قضاة ، ومن بطون بني القين جشم وزعرعة وأنس وتعلبة .

ابن هشام : السيرة : ج ١ ص ٢٥٧ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٢ ص ٧١ ، ابن حزم : الجهمرة : ص ٤٥٤ ، ابن منظور : لسان العرب : ج ٥ ص ٢٠٧ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٢١٧ ، القلقشندي نهاية الأرب : ص ٧٥ ، ٧٦ .

(٦٤) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ابن أعثم الكوفي : ج ٢ ص ٢١ - ٢٢ : الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ١٢ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٥٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٢٤٠ .

ابن عبد الله الخثعمي ، وعلى غسان الأردن : يزيد بن الحارث وعلى جميع القواصي : القعقاع بن أبرهة الكلاعي (٦٥) .

بعد أن تم تعيين القادة وحملة الألوية والرايات من القبائل في الجيشين عبئت كل قبيلة في جيش معاوية لتكفيه نظيرتها في جيش علي والعكس لأن القبائل كانت أعلم بقتال بعضها من غيرها فقاتلت كندة الشام كندة العراق وأزد الشام أزد العراق وحمير الشام حمير العراق وهكذا بقية القبائل ، فكان الرجل يلتقي في الحرب بالسيف مع أبيه وأخيه وخاله وعمه وربما قتل أحدهما الآخر (٦٦) وإذا لم يكن للقبيلة نظير في جيش الآخر كان ينتخب لها قوما كفؤا لها في القوة والشجاعة وتخصص لقتالها وتكفيها صاحبها . فلما قام أهل الشام وأهل العراق وتوافقوا وأخذوا مصافهم للقتال نظر معاوية وقال : من هؤلاء في مسيرة أهل العراق ؟ فقالوا : ربيعة فلم يجده معاوية في جيشه أحدا من ربيعة فجاء بحمير وجعلهم إزاء ربيعة على قرعة أقرعها بين حمير وعك (٦٧) فقال ذو الكلاع الحميري ملك حمير ينعي سهام القرعة التي لم تأت له يقوم كفؤ له - على حد تقديره : « تبا لك من سهم لم تبغ الضراب » (٦٨) وكأنه أنف أن تكون حمير سادة اليمن بإزاء ربيعة نصارى مضر ، فلما بلغ ذلك الخندف الحنفى من ربيعة حلف بالله لئن رأى ذا الكلاع في الحرب ليقتلنه أو يموت دونه ، وجاءت حمير حتى وقفت بإزاء ربيعة (٦٩) وجعل

(٦٥) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ١٤ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٥١ .

(٦٦) انظر : ابن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢١٥ .

(٦٧) بنو عك قبيلة مختلف في نسبها فحقل انهم بنو عك بن عدنان بن عبد الله بن الأزد من كهلان من القحطانية وقيل ان عك هو ابن الديث بن عدنان بن أدد أخو معد بن عدنان ، وليس هناك قول قاطع في نسبها ، وكانت مواطنهم في نواحي زبيد ، من أراضيهم الاعلاب وتقع بين مكة والساحل وقد ارتدوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بالاعلاب فبعث اليهم أبو بكر الصديق بن أبي مالة فواقعهم بها وقتلهم شر قتلة وخرجوا في الفتوحات مع القبائل التي غزت الشام واستوطنوا بها وقاتلوا مع معاوية بن أبي سفيان ضد علي في صفين .

ابن الكلبي : الأصنام : ص ٧ ، الهمداني : صفة جزيرة العرب ص ٥٤ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ابن خلدون : العبر : ج ٢ ص ٢٩٩ ، البكري : معجم ما استعجم : ج ١ ص ٥٣ ، القلقشندي نهاية الأرب ، ص ٢٢٢ ،
Encyclopedie de L'Islam Tome 1, p. 244.

(٦٨) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : صفين ٢٢٧ ، ابن اعثم : الفتوح : ج ٢ ص ٢٣ ، ٢٤ .

(٦٩) الدينوري : الاخبار الطوال : ص ١٧١ .

معاوية قبائل السكون والسكاسك من كندة (٧٠) الشام بازاء كندة العراق التي كان عليها الأشعث بن قيس ، وجعل الأزدي وبجيلة في جيش الشام بازاء همدان درة القبائل في أهل العراق وجعل عكا بازاء مذحج (٧١) عند علي وجعل بازاء تميم من أهل العراق هوزان وغطفان وسليما (٧٢) . وكما فعل معاوية كذلك فعل علي، فلما اجتمعت القبائل للزحف في أول يوم للقتال ودنا القوم من بعضهم أخذ علي يشير إلى أهل الشام ويقول: من هذه القبيلة؟ ومن هذه القبيلة؟ فيسمون له حتى إذا عرفهم وعرفهم قال للأزد: اكفوني الأزدي وقال لعثم اكفوني خثعما وأمر كل قبيلة من أهل العراق أن تكفيه أختها من أهل الشام إلا قبيلة كانت معه ليس منهم بالشام أحد مثل بجيلة . لم يكن بالشام منهم إلا عدد يسير فصرفهم إلى لخم (٧٣) وهذه ظاهرة تدعو للعجب غير أنها في واقع الأمر كانت من التدابير التي لجأ إليها القوم للحيلولة دون تأثر المقاتلين بنوازع العصبية والرحم فالقبيلة تكره أن ترى أختها يقتلون بأيدي قوم آخرين وتؤثر أن تتولى هي قتالهم شأن الأب يريد أن يتولى بنفسه تأديب ولده إذا خرجوا عن طاعته ولا يحب أن يرى غيره يتولى هذا الأمر (٧٤) . وكانت عك مع معاوية قبيلة متفانية في قتالها فلما هموا بالقتال قيدوا أرجلهم بالعمائم ليقاتلوا على قلب رجل واحد ثم طرحوا حجرا بين أيديهم وقالوا: « لا نفر حتى يفر هذا الحكر » (٧٥) . كناية عن ثباتهم حتى النصر أو الموت . ولما تراءى الجمعان صاح عمرو بن العاص مذكرا أهل الشام

(٧٠) السكون والسكاسك بطنان من كندة وهما ولدي أشرس بن ثور المسمى كندة المنتهى نسبه إلى كهلان بن سبأ . من العرب القحطانية .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٢٩ ، ٤٢٢ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٢٢١ ، ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ٢٥٧ .

(٧١) لما خصص معاوية عكا لقتال مذحج قال راجز عك يشيد بقومه ويتوعد مذحج :

ويل لام مذحج من عك وأهم قائضة تبيك

نصركم بالسيف أي صك فلا رجال كرجال عك

نصر بن مزاحم : وقعة بصفين ص ٢٢٧ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ص ٦١ ، الطبري : التاريخ ج ٥ ص ٢٤ .

(٧٢) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ص ٢٤ .

(٧٣) نصر بن مزاحم : وقعة صفين ص ٢٢٩ ، الطبري : التاريخ : ج ٥ ، ص ١٤ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٥١ .

(٧٤) أحسان النص : العصبية القبلية : ص ١٩٧ .

(٧٥) يقصدون « الحجر » لأن عك كانت تعلق الجيم كالحجر . نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٢٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٢٤١ .

بما يقاتلون عليه وانه الحق (٧٦) ورد عليه أهل العراق صياحا بما ينقض
مقاله لهم (٧٧) ولم يعد سوى ضرب الرقاب .

سادسا - وقائع حرب صفين « رؤية قبلية » :

١ - مذحج :

فى أول يوم من صفر سنة ٣٧ هـ ٦٥٧ م وقعت الحرب طاحنة بين
الطرفين فى صفين وحدث فيها ما تشيب له الولدان وكان
الأشتر النخعى (٧٨) من قبيلة النخع من مذحج هو رجل الساعة فى
جيش على بن أبى طالب (٧٩) كما كان ذو الكلاع الحميرى فى جيش
معاوية فقد كان بارزا فى كل المواقف والمواطن قائدا ومقاتلا وخطيبا

(٧٦) قال عمرو بن العاص :

يا أيها الجند الصليب الأيمان قوموا قياما واستعينوا الرحمن
انى أتانى خبر فاشجان ان عليا قتل ابن عفان
فردوا علينا شيخنا كما كان

نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٢٨ .

(٧٧) قال أهل العراق :

أبت سنيك مذحج وممدان أن ترد نعشلا كما كان
خلقا جديدا مثل خلق الرحمن ذا شأن قد مضى وذا شأن
نعثل : رجل من أهل مصر كان طويل اللحية وكانت لحيته تشبه لحية عثمان بن
طولها فكان عثمان اذا نيل منه أو عيب عليه شبه بهذا الرجل المصرى .

ابن منظور لسان العرب : ج ٥ ص ١٤٢ مادة « نعثل » .

نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٢٨ حاشية ٥ .

وصاح عمرو ثانية :

ردوا علينا شيخنا ثم بجل والا تكونوا جزرا من الأسسل
بجل بمعنى وحسب ، والجزر ، قطع اللحم تأكله السباع ، والأسل : الرماح .
ورد عليه رجل من أهل العراق :

نحن بنو ضبة أرياب الجمل الموت أحلى عندنا من العسل
كيف نرد نعشلا وقد قصل نحن ضربنا رأسه حتى انجفل
لما حكى حكم الطواغيت الأول وجار فى الحكم وجار فى العمل

نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ١ ، ٢ ، ابن منظور : لسان العرب : ج ٥

ص ٨ ، ج ١٤ ص ٧٠ .

(٧٨) الاشتر النخعى اسمه مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن سلمة بن ربيعة من

ولد مالك بن النخع من بنى عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ من العرب القحطانية .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٤١٥ .

(٧٩) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٢٠ .

مقوها وهو ركن على الأشد في كل أزماته من أول المعارك الى آخرها (٨٠)، فلما بدأت الحرب وهزمت ميمنة أهل العراق أقبل على يركض نحو اليسرة يستثيب الناس ويستوقفهم ويأمرهم بالرجوع حتى مر بالأشتر فقال له : ايت هؤلاء القوم فقل لهم : « أين فراركم من الموت الذي لن تعجزوه الى الحياة التي لا تبق لكم » ؟ (٨١) فمضى الأشتر واستقبل الناس منهزمين فنادى فيهم : أخلصوا الى مذحجا . فاجتمعت اليه مذحج « قوم الأشتر » - وهي من أقوى القبائل في جيش علي بعد همدان - فقال لهم : والله ما أرضيتكم اليوم ربكم ولا نصحتكم له في عدوه فكيف ذلك وأنتم أبناء الحرب وأصحاب الغارات وفتيان الصباح (٨٢) وفرسان الطراد وحتوف الأقران ومذحج الطعان (٨٣) وأنتم أحد أهل مصركم الشجعان الأقوياء وأعد (٨٤) حتى فيهم وما تفعلوا في هذا اليوم فانه مآثور لما بعده فاتقوا مآثور الحديث في غد واصدقوا عدوكم اللقاء فان الله مع الصابرين ، والذي نفس مالك بيده ما من هؤلاء - وأشار بيده الى أهل الشام - رجل على مثل جناح بعوضة من دين الله ، والله ما أحسنتم اليوم القراع اجلوا سواد وجهي يرجع في وجهي دمي وعليكم بهذا السواد (٨٥). وعندها قالت مذحج : خذ بنا حيث أحببت فقصده بهم ميمنة أهل الشام وأخذ يزحف اليهم ويردهم ومعه شباب من همدان كانوا ثمانمائة مقاتل صبروا حتى آخر الناس في ميمنة على حتى قتل منهم مائة وثمانون رجلا وأحد عشر رئيسا كلما قتل منهم رجل أخذ الراية الآخر وكان أولهم كريب بن شريح ثم يريم بن شريح ثم شمر بن شريح ومرثد بن شريح قتل هؤلاء الأخوة الأربعة جميعا من مذحج فأخذ الراية سفيان بن زيد ثم عبد بن زيد ثم كرب بن زيد فقتل هؤلاء الأخوة الثلاثة جميعا فأخذ الراية

(٨٠) ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٥٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٢٤١ .

(٨١) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٥٠ ، الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٢٠ ، ابن اعثم : الفتوح : ج ٢ ص ١٧٢ ، ابن كثير : الكامل : ج ٣ ص ١٥٢ .

(٨٢) فتیان الصباح : فتیان الغارة وكانوا يسمون يوم الغارة يوم الصباح . نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٥١ .

(٨٣) كانت العرب تقول في مآثورها : « مازن غسان أرياب الملوك وحمير أرياب العرب وكندة كندة الملك ومذحج الطعان وحمدان أحلاس الخيل والأزد أزد البأس » .

ابن قتيبة : المعارف : ص ٤٩ ، ابن رشيقي : العمدة ص ٣٩٧ ، اللوسى : بلوغ الأرب : ج ٢ ص ١٩٠ .

(٨٤) أعد : أكثر عددا . نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٥١ حاشية ٥ .

(٨٥) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٥٢ ، الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٢٠ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٥٢ .

عمير بن بشر والجارث بن بشر فقتلا فأخذ الراية وهب بن كريب أبو القلوص وأراد أن يستقبل الحرب فقال له رجل من قومه : انصرف يرحمك الله بهذه الراية ترحها (٨٦) الله من راية فقد قتل أشراف قومك حولها فلا تقتل نفسك ولا من بقي ممن معك (٨٧) فانصرفوا وهم يقولون لبت لنا عديدا من العرب يحالفوننا ثم نستقدم نحن وهم فلا ننصرف حتى نقتل أو نظهر ، فمروا بالأشتر وهم يقولون ذلك فقال لهم : اني أحالفكم وأعاقدكم على ألا نرجع أبدا حتى نظهر أو نهلك فوقفوا معه على هذه النية والعزيمة وزحف الأشتر نحو الميمنة وثاب إليه ناس كانوا قد تراجعوا فأخذ لا يصمد لكتيبة الا كشفها ولا لجمع الا حازه ورده (٨٨) .

٢ - خثعم :

كثيرا ما كانت القبائل في جيش الشام تتصل باختها في جيش العراق والعكس أثناء الحرب ، وكانت أكثر هذه الصلات ابتغاء وقف اراقة الدماء وحفظ صلات النسب والأرحام ، ومن ذلك ما حدث بين خثعم الشام وخثعم العراق في حرب صفين فقد أرسل عبد الله بن حنشل الخثعمي رأس خثعم الشام الى أبي بن كعب رأس خثعم العراق رسالة يقول فيها : « أن لو شئت لتوافقنا فان ظهر صاحبك كنا معكم وان ظهر صاحبنا كنتم معنا ولا يقتل بعضنا بعضا » (٨٩) ولكن كان لتأثير علي بن أبي طالب بفصاحته وبيانه على أصحابه فضلا عن قرابته من النبي ﷺ وسابقتها وهجرته وقع شديد في اقناعهم بسلامة موقفه والحرب الى جانبه ولو كان لدوى الأهل والقرابة فلا نسب ولا أرحام بينهم في ذلك ، فرفض أبي بن كعب في خثعم العراق ما عرض عليه عبد الله بن حنشل في خثعم الشام وأبي إلا أن يقاتل لنصرة صاحبه ، فلما التقت في القتال خثعم وخثعم وزحف الناس الى بعضهم كانت خثعم الشام أكثر تعقلا وأكثرهم حفظا للرحم من أختها فقال رأس خثعم الشام لقومه : يا معشر خثعم قد عرضنا على قومنا من أهمل العراق المواعدة صلة لأرحامهم وحفظا لحقهم فأبوا الا قتالنا وبدءوا بالقطيعة فكفوا أيديكم عنهم حفظا لحقهم علينا ما كفوا عنكم

(٨٦) دعاء عليها بالترح وهو الحزن والهم .

نصر بن مزاحم : وقعة صفين ص ٢٥٢ حاشية ١ .

(٨٧) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، الطبري : التاريخ : ج ٥

ص ٢١ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ١٥٣ .

(٨٨) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٢١ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ١٥٣ ، ابن

كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٣٤٥ .

(٨٩) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٥٧ .

فان قاتلوكم فقاتلوهم (٩٠)، ولكن دائما للشر ناس خلقوا له فسرعان ما بدره رجل ممن معه قائلا: هاهم قد ردوا عليك وأقبلوا يقاتلونك ثم خرج اليهم معجلا بالحرب يطلب المبارزة - التي كثيرا ما كانت تسبق الالتحام - فغضب رأس خثعم الشام لفعل صاحبه وقال اللهم قيض له وهب بن مسعود وهو رجل من خثعم من أهل الكوفة كانوا يعرفونه في الجاهلية لم يبارزه رجل قط الا قتله وكان الله استجاب لدعاء الرجل أو أن الصدفة أخرجت اليه وهب بن مسعود فحمل على الشامي فقتله (٩١). ثم التحموا فاقتتلوا أشد قتال وأخذ أبي بن كعب يقول لأصحابه : يا معشر خثعم خدموا (٩٢) فلما حمى الوطيس وبركت خثعم خثعم أخذ صاحب الشام يقول : يا أبا كعب الكل قومك فأ نصف فلم يعبا بقوله لأنه كان متشددا في نصرته على ولو قتل في سبيل ذلك أهله وجميع قرابته فحمل اليه شمر بن عبد الله الخثعمي من أهل الشام فطعنه طعنة قضي عليه ثم انصرف يبكي وهو يقول : رحمك الله يا أبا كعب لقد قتلتك في طاعة قوم أنت أمس بي رحما منهم وأحب الي نفسي منهم ولكن والله لا أدري ما أقول ولا أرى الشيطان الا قد فتننا ولا أرى قریشا الا وقد لعبت بنا (٩٣) ، ووثب كعب الى راية أبيه فأخذها ففقت عينه وصرع فأخذها شريح بن مالك فقاتل القوم تحتها حتى صرع منهم حول رايتهم ثمانين رجلا وأصيب من خثعم الشام مثلهم (٩٤) .

٣ - بجيلة :

كانت بجيلة في جيش على بن أبي طالب فدأثيو أهل العراق وكانت رايتهم في صفين لبنى أحمس (٩٥) وهي مع أبي شداد البجلي المسمى قيس بن مكشوح بن هلال بن الحارث بن عمرو بن عامر بن علي بن أسلم بن

(٩٠) نصر بن مزاحم : المصدر السابق : ص ٢٥٧ .

(٩١) نصر بن مزاحم : المصدر نفسه . ص ٢٥٧ .

(٩٢) خدموا : اضربوا موضع الخدمة وهو الخلخال يعنى اضربوهم في سوقهم تعجيزا لهم ، وكانت الناس اذا رأت ذلك قاتلوا جثيا على الركب انقاء للضرب في السيقان فيتشاجروا بالرماح ويتطاعنوا بالسيف حتى اذا بليت تضاربوا بالحجارة وكان هذا في قتال القبائل يعنى الفناء غالبا للطرفين ما لم يكفوا عن بعضهم وهو ما حدث في قتال ليلة الهرير في حرب صفين .

ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة : ج ١ ص ٤٨٩ .

(٩٣) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

(٩٤) نصر بن مزاحم : المصدر السابق ص ٢٥٨ .

(٩٥) بنو أحمس : بطن من بجيلة وهم بنو أحمس بن الغوث بن أتمار بن العرب.

القحطانية ومن أحمس بنو دهن بن معاوية بن أسلم بن أحمس .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٧٤ ، القلشندي : نهاية الأرب : ص ٤٥ .

أحمس بن الغوث بن أنمار . فقالت له بجيلة : خذ رايتنا قال : غيري خير لكم مني : قالوا : ما نريد غيرك . قال : فوالله لئن أعطيتهمونيها لا أنتهي بكم دون صاحب الترس المذهب (٩٦) فقالوا : اصنع ما شئت فزحف بالراية حتى انتهى الى صاحب الترس المذهب وهو يعلم أن معه خيل عظيمة لحماية معاوية ف وقعت بينهم حرب شديدة وحمل أبو شداد بسيفه على صاحب الترس يريد قتله فتعرض له رومي في خدمة معاوية ف ضرب قدم أبي شداد فقطعها وضربه أبو شداد فقتلته وأشرعت اليه الأسنة فقتل فأخذ راية بجيلة عبد الله بن قلع الأحمسي فقاتل بها حتى قتل فأخذ الراية من بعده أخوه عبد الرحمن بن قلع فقاتل حتى قتل فأخذها عفيف بن إياس الأحمسي . فلم تزل بيده حتى تعاجز الفريقان (٩٧) .

٤ - غطفان :

كانت راية غطفان (٩٨) العراق في صفين مع عياش بن شريك بن حارثة بن جندب فخرج رجل من آل ذي الكلاع من حمير الشام يسأل المبازة فخرج له قائد بن بكير العبسي فبارزه فشده عليه الكلاعي فأوهطه (٩٩) فخرج اليه عياش بن شريك وقال لقومه أنا مبارز هذا الرجل فان أصبحت فرأسكم الأسود بن حبيب فان قتل فرأسكم هرم بن شتير ثم مشى نحو

(٩٦) يقصد معاوية بن أبي سفيان لأنه يقيم على رأسه رجل معه ترس مذهب يستره من الشمس .

نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٥٨ .

(٩٧) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٥٩ ، الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٢٥ .

٢٦ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٥٤ .

(٩٨) بنو غطفان بن سعد : بطن كبير متسع كثير الشعوب والأفخاذ من قيس عيلان من العدنانية وهم بنو غطفان بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وهم على ثلاثة أفخاذ كبيرة هي : أشجع بن ريث بن غطفان وعبس بن بغيض بن غطفان وذيبيان ابن بغيض بن ريث ، وكانت منازلهم بنجد مما يلي وادي القرى وجبل طيء ثم افترقوا في الفتوحات الإسلامية وكان منهم الوف ضد النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الأحزاب وارتدوا بعد وفاته فبعث اليهم أبو بكر الصديق خالد بن الوليد فمزقهم شر ممزق حتى عادوا الى الاسلام وخرجوا في جيش الفتح الى العراق والشام وحاربوا في صفين ضد معاوية بن أبي سفيان .

الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ١٢٩ ، الأصفهاني : الأغاني : ج ١٠ ص ١٥ ،

١٦ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٥٠ - ٢٥٩ ، ابن منظور : لسان العرب : ج ٤

ص ١٩٥ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ١٦٤ ، البكري : معجم ما استعجم : ج ١ ص ٩٠ .

(٩٩) أوهطه : صرعه صرعة لا يقوم منها .

نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٦٠ حاشية ٢ .

الكلاعي فلحقه هرم بن شتير وأخذ بظهوره يثنيه عن عزمه وقال : ليمسك رحم (١٠٠) لا تبرز لهذا الطوال ، قال : هبلتك الهبول (١٠١) وهل هو الا الموت !! قال : وهل يفر الا منه !! قل وهل منه بد ؟! قال : والله لا أقتلنه أو ليلحقنني بقائد بن بكير وبرز اليه ومعه حجلة « درع » من جلود الابل وعليه سابغ الحديد لا يرى منه الا نحره فضربه الكلاعي فقطع حجفته وضربه عياش فقطع نخاعه وقتله وخرج ابن الكلاعي ثائرا بأبيه فقتله بكير بن وائل (١٠٢) .

٥ - نهـد :

كانت راية بنى نهـد (١٠٣) فى جيش الشام مع مسروق بن الهيثم ابن سلمة فقتل فأخذ الراية صخر بن شمس فارتث (١٠٤) فأخذها على ابن عمير وقاتل حتى ارتث فأخذها عبد الله بن كعب فقتل ، ولا رجح سلمة بن خديم وكان يحرض الناس وجه عبد الله بن كعب قد قتل فأخذ رايته فارتث وصرع فأخذها عبد الله بن عمرو الجهني فقتل فأخذها عبد الله بن النزال فقتل فأخذها ابن أخيه عبد الرحمن بن زهير فقتل

(١٠٠) يتوسل اليه بحق الرحم .

نصر بن مزاحم : المصدر السابق : ص ٢٦٠ حاشية ٥ .

(١٠١) هبلتك الهبول : ثكلتك الثكول ، والهبول : النساء اللاتي لا يبق لهن ولد .

نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٦٠ حاشية ٦ .

(١٠٢) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٦٠ .

(١٠٣) بنو نهـد بن زيد : قبيلة كبيرة من قضاة من القمطانية وهم : بنو نهـد بن

زيد بن ليث بن سعد بن أسلم بن الحافى بن قضاة ومن وعن بطون نهـد : مالك وصباح وجزيمة وزيد ومعاوية وكعب وأبو سود ، وكلهم بطون سكنوا اليمن قرب نجران وعرفوا بـ « نهـد اليمن » وهم الذين كتب اليهم النبي صلى الله عليه وسلم ، أما نهـد الشام فهم عامر وعمرو وحنظلة « حاكم العرب » والطول ومرة وخزيمة وإبان ، وكانوا قد هاجروا الى الشام منذ وقت طويل قبل الاسلام ، ودخلت بطون منهم فى قبائل أخرى مثل عامر بن نهـد دخلوا فى بنى سليم من كلب وعمرو بن نهـد دخلوا فى بنى عدى بن جناب من كلب وعمرو بن نهـد دخلوا فى بنى عدى بن جناب من كلب وإبان بن نهـد دخل فى بنى تغلب ، والشرف فى بنى نهـد فى بنى زوى بن مالك بن نهـد ، وجذيمة وشبابة وعابدة دخلوا كلهم فى تنوخ وقاتلوا مع معاوية بن أبى سفيان فى صفين .

الأصفهاني : الأغاني : ج ١٩ ص ١٠٤ ، الهمداني : صفى جزيرة العرب : ص ٦١٦ ،

ابن حزم : الجمهرة ص ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، الزبيدي : تاج العروس : ج ٢ ص ٥١٩ ،

الجوهري : الصحاح : ج ١ ص ٣٦٤ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٣٢٠ ، القلقشندي :

نهاية الأرب : ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب : ج ٢ ص ١١٩٧ .

(١٠٤) ارتث : ضرب فأتخن وحمل به رمق ثم مات من بعد .

نصر بن مزاحم وقعة صفين ، ص ١٦١ حاشية ١ .

فأخذها مولاة مخارق فقتل حتى صارت الى عبد الرحمن بن مخنف الأزدي فرجع بالناس (١٠٥) ، فكانت الراية هي دليل القبيلة الذي يجتمعون اليه في حال نصرهم وهزيمتهم وعند تحاجزهم وكان صاحبها دائما مستهدف لتشتيت قومه لو ضاعت رايتهم ولذلك فقد كان أكثر قتلي القبائل حول راياتها .

٦ - الأزد :

لم يكن أشد وطأة على القبيلة في حرب صفين من أن تقتل أختها في الجهة الأخرى ، ومع ذلك فلم يكن هناك مناص من أن تنصر كل قبيلة صاحبها وتؤدي ما خرجت له ولو قطعت في سبيل ذلك أنسابها وأهلكت أرحامها لأنهم كانوا يعتبرون أن تخليهم عن واجبهم في ذلك الوقت عار عليهم ومثار حديث تتناقله القبائل فاستمروا في قتالهم والنفوس يملؤها الحسرة والألم ، فلما ندب أزد العراق لقتال أزد (١٠٦) الشام برز مخنف ابن سليم الأزدي من العراق وخطب في الناس ونفسه مفعمة بالحزن قال : « ان من الخطب الجليل والابلاء العظيم انا صرفنا الى قومنا وصرفوا الينا فوالله ما هي الا أيدينا نقطعها بأيدينا وما هي الا أجنحتنا نحذفها بأسياقنا فان نحن لم نفعل لم ننصح صاحبنا ولم نواس جماعتنا وان نحن فعلنا فعزنا أبحنا ونارنا أحمدا » (١٠٧) . فلما سمع ذلك جندب بن زهير (١٠٨) قال : « والله لو كنا أباؤهم ولدناهم أو كنا أبناءهم ولدونا ثم خرجوا من جماعتنا وطعنوا على امامنا وآزروا الظالمين والحاكمين بغير الحق على أهل ملتنا وذمتنا ما افترقنا بعد أن اجتمعنا حتى يرجعوا غماهم عليه ويدخلوا فيما ندعوهم اليه أو تكثر القتلى بيننا وبينهم » (١٠٩) فلما انتهى قال مخنف يدعوا عليه أعز بك الله في التيه (١١٠) : أما والله

(١٠٥) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٦١ .

(١٠٦) عن قبائل الأزد وأنسابها انظر ما سبق في ذلك .

(١٠٧) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٢٦ ، ٢٧ .

(١٠٨) اسم جندب بن زهير بن الحارث بن كثير من بني كعب بن مالك بن نصر بن

الأزد كان على الرجالة يوم صفين مع علي وبها قتل .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٧٨ .

(١٠٩) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٦٢ ، الطبري : التاريخ : ج ٥

ص ٢٧ .

(١١٠) الأعزاب : الأبعاد ، والتيه : الضلال . ومعناها « أبعدك الله في

الضلال » .

نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٦٢ حاشية ٢ .

ما علمتك صغيرا ولا كبيرا الا مشئوما ، والله ما ميلنا الرأى بين أمرين قط
أيهما نأتى وأيهما ندع فى الجاهلية ولا بعد ما أسلمنا الا اخترت أعسرهما
وأنكدهما ، اللهم ان نعاف أحب إلينا من أن نبغى فاعط كل رجل منا
ماسألك « (١١١) . وتقدم جندب بن زهير فبارز رأس أزد الشام فقتله
الشامى وقتل من رهط عبد الله بن ناجد من الأزد عجيلا وسعدا ابنى
عبد الله وقتل مع مخنف من رهطة عبد الله بن ناجد وخالد بن ناجد وعمرو
وعامر ابنا عوف وعبد الله بن حجاج وجندب بن زهير وأبو زينب بن
عوف ، وخرج عبد الله بن أبي الحصين الأزدي فى القراء الذين كانوا مع
عمار بن ياسر فقتل معه وقد كان مخنف قال له : نحن أحوج إليك من عمار
فأبى قوله فقتل معه (١١٢) . وقال رجل من أشياخ النمر من الأزد (١١٣)
يدعى عتبة بن جويرية لاختوته وهو يتقدم للقتال : « يا اخوتى انى قد
بعث هذا الدار بالدار التى أمامها وهذا وجهى إليه لا يبرح الله وجوهكم
ولا يقطع أرحامكم » وتقدم فقتل وتبعه اخوته عبد الله وعوف ومالك
فقالوا : « قبح الله العيش بعدك اللهم انا نحتسب أنفسنا عندك وتقدموا
جميعا فقاتلوا حتى قتلوا » (١١٤) .

٧ - تميم :

لما عادت تميم فى جيش العراق منهزمة مع الناس فى ذلك اليوم
ناداهم مالك بن حري النهشلى « ضاع الضراب اليوم والذى أنا وسائر
القوم له عبد يابنى تميم » فقالوا : « الا ترى الناس قد انهزموا ؟ » فقال
لهم : أفرار أم اعتذار ؟ ثم نادى بالأحساب وجعل يكررها (١١٥) فقالت
له بنو تميم : أتناذى بنداء الجاهلية ! ان ذا لا يحل قال : فالفرار ويلكم
أقبح ، ان لم تقاتلوا على الدين واليقين فقاتلوا على الأحساب والأنساب .
وكانت القبائل اذا ما وقعت فى قتال ضده بعضها أيا كانت الأنساب فانها
عادة ما تستमित فى قتالها خشية الهزيمة التى كانت تعنى العار والسبة
التي تلحق بها فتصبح مثار حديث تتناقله القبائل فى أخبارها وشعرها

(١١١) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٢٧ .

(١١٢) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٦٤ الطبرى : ج ٥ ص ٢٧ .

(١١٣) هم بنو النمر بن عثمان بن نصر بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب

ابن عبد الله بن مالك بن الأزد بن حبيب : مختلف القبائل ومؤلفها : ص ١٩ .

(١١٤) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٦٤ ، الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٢٨ .

(١١٥) ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ص ٣٠ .

وهجرو أفرادها وقد يؤرخون بها ولذلك فقد أقبل مالك بن حري يقاتل قتال
المستميت عن نفسه وقومه حتى قتل (١١٦) وهو يرتجز ويقول :

إن تميما أخلفت عنك ابن مر وقد أراهم وهم النحي الصبر

فان يخيموا أو يفروا لا نفر (١١٧)

٨ - كندة :

كانت القبائل تقاتل بعبيدها ومواليها كما كانت تقاتل بساداتها
وأشرافها فالجميع سنوادية في القتال لا فرق بين عبد وحر ، وكان على
العبد أن ينصر قبيلته في كل المواطن التي تشهدها ويموت في سبيلها ،
ففي بداية أحد أيام الحرب في صفين خرج فارس من فرسان الشام مقنعا
في الحديد يطلب المبارزة فخرج اليه عبد الرحمن بن يحيى الكندي حتى
وقف قبالة وسأله : من أنت أيها الرجل ؟ فقال : رجل من عك : فحمل
عليه الكندي وهو يقول :

لقد علمت عك بصفين أنا اذا ما نلاقي القوم نطعنها شزرا
ونحمل رايات القتال بحقها فنوردها بيضا ونصدرها حمرا

ثم حمل على الشامي فطعنه طعنة في نحره صرخته ونزل فسلبه دزعه
وسلحه فاذا هو عبد أسود فقال : والله لو علمت أنك عبد ما خرجت
اليك ولكنك ذكرت أنك من عك فلعلك عبدا لعك (١١٩) ، فلم يعتبر
الكندي قتل العبد العكي شرفا له لأن الأحرار لم يكن لهم مبارزة العبيد

(١١٦) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٦٥ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ٢
ص ٢٠ .

(١١٧) يقصد « إن تميم بن مر أخلفت عنك » ويتو تميم هم ولد مر بن أد بن طابخة
ابن الياس بن مضر من العرب العدنانية .

ابن منظور : لسان العرب ج ٤ ص ٤٥٨ ، ج ١٠ ص ٤٤٢ ، ابن بريد : الاشتقاق :
ص ١٢٢ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ابن رشيقي : العمدة : ج ٢
ص ١٦٠ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

(١١٨) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٧٧ ، الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٢٠ ،
ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ص ٢٣ .

(١١٩) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٧٧ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ص ٢٣ .

وانما المبارزة بين الأكفاء ويختلف الأمر في التلاحم فلا فرق بين عبد وحر ولو قدر العبد على سيد القوم لقتلته ارضاء لقبيلته فقد ينال فيها عتقه .

٩ - طيء :

لم تفارق القبائل العربية كثيرا من عادات الجاهلية في الاسلام فاختلف التفاخر بالأنساب والأحساب في معركة صفين مع ضرب السيوف وطعن الرماح حتى لم يعد هناك فرق بين هذا وذاك ، ففي يوم من أيام معارك صفين الطاحنة تقدمت طيء (١٢٠) العراق للنزال فعبأت لها جموع أهل الشام من أخلاط القبائل وجاءهم حمزة بن مالك الهمداني فقال : من أنتم لله أبوكم ؟ فقال عبد الله بن خليفة الطائي يعرفه بقومه ويفخر بهم وبشجاعتهم : نحن طيء السهل طيء الجبل ، نحن حماة الجبلين ما بين العذيب الى العين ، طيء الرماح طيء الصفاح طيء البطاح والنطاح وفرسان الصباح ، فقال له حمزة بن مالك بنح بنح يا أخا طيء ما أحسن ثناءك على قومك وسرعان ما اندفع القوم الى بعضهم في قتال شديد وأخو طيء يصيح فيهم : يا طيء فدى لكم طارفي وتلادي قاتلوا على الدين والأحساب (١٢١) وأخذ يشجعهم ويقول :

يا طيء الجبال والسهل معا انا اذا داع دعا نسعا
نطير الى السيف حفاظا نسرا فنقتل المستلثم والمقتبا (١٢٢)

وظل عبد الله بن خليفة الطائي يقاتل على هذا النحو حتى فقت احدى عينيه (١٢٣) .

١٠ حمير وربيعة :

كانت حمير (١٢٤) بقيادة ملكهم ذى الكلاع من القبائل التي يعتد بها في جيش الشام عددا وعدة واقداما ، وقد ذاع صيتها من قبل في

(١٢٠) عن طيء انظر ما سبق في ذلك .

(١٢١) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٧٩ ، الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٣٠ ، ٣١ ، ابن أعثم : الفتوح ج ٢ ص ٣٢ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

(١٢٢) نصر بن مزاحم : المصدر السابق : ص ٢٧٩ ، ابن أعثم : المصدر السابق : ج ٢ ص ٣٣ ، الطبري : المصدر نفسه : ج ٥ ص ٣١ شامش ٢ .

(١٢٣) لما فقت عين عبد الله بن خليفة الطائي كان يقول يعزى نفسه :

يا ليت عيني هذه مثل هذه ولم أعش بين الناس الا بقائد
ويا ليت رجلى طئت بنصفها ويا ليت كفى طاحت بساعدي

نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٨٠ .

(١٢٤) العوتبي : الأنساب ج ١ ص ٢٤٣ - ٢٤٥ ، أنساب حمير وبطونها وقيائلها .

حروب الفتح ضد الروم والمتنصرة من عرب الشام (١٢٥) وكان معاوية ابن أبي سفيان يدخرها ليوم الملمات ، فلما علا أهل العراق بفضل ربيعة وهمدان ومذحج وهي كبريات القبائل العراقية في جيش على بن أبي طالب أراد أن يخرج حمير لأحدها تكفيه شرها ف ضرب لحمير بسهم على هذه القبائل الثلاث فوق سهم حمير على ربيعة (١٢٦) فأقبل ذو الكلاع في ميمنة معاوية ومعظمها من حمير ومعهم أربعة آلاف من قراء أهل الشام قد بايعوا على الموت فحملوا على ربيعة وميسرة أهل العراق حملة شديدة بخيلهم ورجالهم فتضعضت رايات ربيعة وعبيد الله بن عمر بن الخطاب يصيح في الناس : « يا أهل الشام ان هذا الحي من أهل العراق هم قتلة عثمان بن عفان وأنصار على بن أبي طالب وان هزمتهم هذه القبيلة أدركتم ثأركم في عثمان وهلك على وأهل العراق » (١٢٧) فشده أهل الشام على ربيعة شدة قوية وكان بصفين في جملة ربيعة من عنزة (١٢٨) وحدها أربعة آلاف محجف (١٢٩) أبلوا بلاء حسنا فثبتت لهم ربيعة وصبروا صبرا حسنا الا قليلا من الضعفاء (١٣٠) صاح فيهم خالد بن المعمر الربيعي ليعودوا ويثبتوا خشية العار والفضيحة وكان من جملة ما قاله لهم : « يامعشر ربيعة ان الله عز وجل قد أتى بكم في هذا المكان جمعا لم تجتمعوا مثله منذ نشركم في الأرض والله لا يرضى فعلكم ولا تعدموا معيرا يقول : فضحت ربيعة الذمار وخافت « جنت » عن القتال وأتيت من قبلها العرب قاياكم أن يتشعأ بكم المسلمون اليوم وانكم ان تمضوا مقدمين وتصبروا محتسبين فان الاقدام منكم عادة والصبر منكم شجاعة فاصبروا

(١٢٥) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ٦ ، الأزدى : فتوح الشام : ص ٢٢٣ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ١ ص ١٦٦ .
(١٢٦) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٣٤ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٥٦ .
(١٢٧) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٩١ ، الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٢٤ .

(١٢٨) هم بنو عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد من العرب العدنانية ومن بطونهم : بنو مزان وآل ضور بن رزاح والحارث بن رزاح وبنو جلان بن عتيك وبنو الحارث بن الدول وبنو عبد شمس بن القدار وكانت منازلهم تمتد من نجد حتى بادية الشام الى حمص وحماة وحلب .

ابن منظور : لسان العرب ج ٧ ص ٢٥١ ، الزبيدي : تاج العروس : ج ٤ ص ٦٢ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٩٤ ، « بطون عنزة » ابن دريد : الاشتقاق : ص ١٩٤ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٣٤١ .

(١٢٩) المحجف : لباس الحجة وهي قرس يتخذ من جلود الابل يطارق بعضها بعضها أو هي ما جلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح وقد يلبسه أيضا .
نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٩١ حاشية ٤ .
(١٣٠) ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٥٦ .

ونيتكم صادقة تؤجروا « (١٣١) فلما فرغ من كلامه قام إليه رجل من ربيعة وقال : « برحك (١٣٢) الله من خطيب قوم جنبك الخير ؟ ضاع والله أمر ربيعة حين جعلت أمرها اليك ، تأمرنا ألا نحول ولا نزول حتى نقتل أنفسنا ونسفك دماءنا ألا ترى الناس قد انصرف جلهم ؟ » (١٣٣) ، ولكن معظم القوم كانوا موتورين أو مبايعين فاذا ما خرج منهم صوت العقل بين الفينة والأخرى يردهم الى صوابهم وينبأهم عن سفك دمائهم أسيكتوه وعدوا عليه ، فلما قال الرجل ما قال وقام إليه رجال من قومه فتناولوه بقسيهم ولكزوه بأيديهم وقال لهم خالد بن المعمر الربعي : « اخرجوا هذا من بينكم فإنه ان بقي أضربكم وان خرج منكم لم ينقصكم » (١٣٤) واشتد قتال ربيعة وحمير حتى بلغ ذروته فلما كثرت القتلى فيهم عادوا الى مصافهم لالتقاط أنفاسهم ثم خرج من أهل العراق نحو خمسمائة فارس من ربيعة على رؤوسهم البيض وهم غائصون في الحديد لا يرى منهم الا الحديد فخرج اليهم من حمير الشام مثلهم في العدد فاقتتلوا بين الجمع والناس تحت راياتها تنظر لمن يكون النصر ، فلم يرجع من هؤلاء أحد من أهل العراق ولا من أهل الشام من حمير وربيعة قتلوا جميعاً بصفين (١٣٥) اختاروا القتال حتى الفناء على أن يقال انكم خذلوا صاحبهم محققاً أو مبطلين وكانت الخسارة فادحة للاسلام والعرب والفرج والشماتة للفرس والروم والمتنصرة ومن في مقامهم ويأبى كل من على ومعاوية أن يستنقذ ما تحت يده من البقية الباقية من القبائل وصون الدماء الغالية لأن كلا منهما اعتقد أنه يقاتل على الحق ضد الباطل واعتقدت القبائل أنها تقاتل عن الدين والأحساب وان قتلهم في الجنة وقتل خصومهم في النار واستحيوا من الفرار حتى كادت الحرب تبيدهم .

(١٣١) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٩٢ ، الطبري : التاريخ ج ٥ ص ٢٥ .
ابن الأثير : الكامل ج ٢ ص ١٥٦ .
(١٣٢) برحك : أحزنك نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٩٢ حاشية ٢ .
(١٣٣) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٩٢ .
(١٣٤) نصر بن مزاحم : المصدر السابق : ص ٢٩٢ ، الطبري : التاريخ ج ٥ ص ٢٥ .
(١٣٥) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٩٣ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ١٥٦ .

١١ - مذحج وعك :

استمرت الحرب في صفين دافقة في دمائها فعبيت مذحج وبكر بن وائل (١٣٦) لحمير بقيادة ذي الكلاع وعبيد الله بن عمر بن الخطاب في خيل أهل الشام وصاح رجل من حمير العراق يدعى أبو شجاع الحميري على حمير الشام قائلاً : « يا معشر حمير تبت أيديكم وأضل الله سعيكم ، أترون معاوية خيراً من علي ؟! وأنت يا ذا الكلاع قد كنا نرى لك في الدين نية ، فقال : أيها يا أبا شجاع ؟! والله لأعلمن ما معاوية بأفضل من علي وإنما أقاتل على دم عثمان (١٣٧) وقاتل ذو الكلاع حتى قتل (١٣٨) بعد أن أبلى بلاء حسناً فجزعت عليه حمير جزعاً شديداً وكذلك قتل عبيد الله ابن عمر قائد الخيل (١٣٩) وعندها دفع معاوية بدماء جديدة من عك ولخم وجذام والأشعرين (١٤٠) لكسر شوكة مذحج وبكر بن وائل فاندفعت عك وقائلهم يقول :

(١٣٦) بكر بن وائل : قبيلة عظيمة من العدنانية تنتسب إلى بكر بن وائل بن قاسط. ابن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة من بني أسد بن نزار بن معد بن عدنان وهي من أعظم القبائل المحاربة كانت لهم أيام مع تميم والفرس وغيرهم ، ومن أشهر بطونهم يشكر وعكابة وبنو حنيفة وبنو عجل ، وكانت ديارهم تمتد من اليمامة إلى البحرين فأطراف سواد العراق وشمالاً إلى الغرب من دجلة في حصن كيفا وأمد وميفارقين وهي المنطقة المعروفة باسم ديار بكر حتى يومنا هذا وقد حاربوا مع علي بن أبي طالب في صفين وأبلى بلاء حسناً .

الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ١٦٩ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٠٧ ، ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٦٢٦ ، المبرد : الكامل : ج ١ ص ٢٧٧ ، ابن خلدون : العبر : ج ٢ ص ٣٠١ ، الاضطحري : مسالك الممالك : ص ٢٢ ، البكري : معجم ما استعجم : ج ١ ص ١١٨ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٢٠٢ .

(١٣٧) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٠٢ .
(١٣٨) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٣٦ ، ابن قتبية : الامامة والسياسة : ج ١ ص ١١٠ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٥٦ ، ١٥٧ ، إسد الغاية : ج ٢ ص ٧٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٢٤٧ .

(١٣٩) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٣٠١ ، الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٣٦ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٥٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٢٤٧ .

(١٤٠) الأشعريون : من قبائل كهلان من العرب القحطانية وهم ولد نبت بن أد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ومن بطونهم الجماهر والأتغم والأرغم وجدة وعبد شمس وقاتلو سنة ٢٧ هـ ضد علي بن أبي طالب في صفين .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٢٤٨ ، ابن منظور : لسان العرب : ج ٦ ص ٨٤ ، البكري : معجم ما استعجم : ج ١ ص ٥٣ .

ويل لآل مذحج من عك لنتركن أهمهم قائمة بك (١٤١)

حميت مذحج من قول العكي ونادى مناديتهم : يا آل مذحج خذموا ،
فاعترضت مذحج لأرجل الناس فكان يوار عامة القوم ونادى رجل من عك
حين طحنت الحرب رعى القوم وخاضت الخييل والرجال في الدماء :
« يا آل مذحج الله الله في عك وجذام ، ألا تذكروا الأرحام ، أفنيتم لخم
الكرام والأشعريين وآل ذي حمام من حمير ، أين النهي والأحلام وهذه
النساء تبكي الأعلام » (١٤٢) . ولما لم تستجب مذحج لنداء العكي صاح
في قومه : « يا عك أين المفر ، اليوم يعلم الخبر أنكم قوم صبر لا تشمتن
بكم مضر حتى يحول الحجر فيرى عدوكم الغير » . وقال رجل من الأشعريين
« يا آل مذحج من للنساء غدا إذا أفناكم الردى ، الله الله في الحرمات
أما تذكرون نساءكم والبنات أما تذكرون أهل فارس والروم والأتراك
لقد أذن الله فيكم بالهلاك » (١٤٣) كل هذا والقوم ينجر بعضهم بعضا
ويتكادمون بالأفواه وضاع صوت الحق في معمة القتال ، وتمادى الناس
في الحرب فاضطربوا بالسيوف حتى تعطلت (١٤٤) وصارت كالمناجل
ولما تحاجزوا بعد أن أعييتهم الحيل جعل الرجل من أهل العراق يمر على
أهل الشام فيقول من أين آخذ إلى رايات بني فلان ؟ فيقولون من هنا
لا هداك الله ويمر الرجل من أهل الشام على أهل العراق فيقول : كيف
آخذ إلى رايات بني فلان ؟ فيقولون : من هنا لا حفظك الله (١٤٥) وكان
المخارق بن الصباح الحميري مع معاوية من أشد الناس تأثرا بما يجري
وقد قتل له ثلاثة أخوة وقتل أبوه وكان من أعلام الناس فقال وهو يبكي
على العرب :

أعوذ بالله الذي قد احتجب بالنور والسبح الطباقي والحجب
أمن ذوات الدين منا والحسب لا تبكين عين على من قد ذهب
ليس كمثله الله شيء يرتهب يارب لا تهلك أعلام العرب (١٤٦)

(١٤١) ابن أعثم الكوفي : الفتوح : ج ٢ ص ٦١ ، الطبري : التاريخ : ج ٥
ص ٢٤ .

(١٤٢) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٣٠٢ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ٢
ص ٦٢ .

(١٤٣) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٣٠٢ .

(١٤٤) تعطلت : تثنت وتلوت .

المصدر السابق : ص ٣٠٤ . حاشية ١ .

(١٤٥) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٣٠٤ .

(١٤٦) نصر بن مزاحم : المصدر السابق : ص ٣١٦ .

١٢ - وقعة الخميس :

كانت علامة أهل العراق بصفين الأصوف الأبيض جعلوه في رؤوسهم وعلى أكتافهم وشعرهم « يا الله يا أحد يا صمد يارب محمد يا رحمن يا رحيم » وكانت علامة أهل الشام خرقا صفرا جعلوها على رؤوسهم وأكتافهم وكان شعارهم « نحن عباد الله حقا ، يا لثارات عثمان » (١٤٧) ، وكانوا يضعون هذه العلامات ويتنادون بشعاراتهم لينعارفوا وخاصة عندما يشتد الخطب ويختلطون ببعضهم ، وقد ظهر ذلك أوضح ما يكون في « معركة الخميس » وهي من أشد معارك صفين عنفا قال عنها القعقاع ابن الأبرد الطهوي : « والله اني لواقف قريبا من على بصفين يوم وقعة الخميس وقد التقت مذبح - وكانوا في ميمنة على - وعك وجدام ولخم والأشعرين ، ولقد والله رأيت في ذلك اليوم من قتالهم وسمعت من وقع السيوف على الرؤوس وخبط الخيول بحوافرها في الأرض وفي القتلى ما الجبال تهده ولا الصوابع تصعق بأعظم هولا في الصدور من ذلك الصوت وما حجز بيننا الا الله رب العالمين في قريب من ثلث الليل » (١٤٨) وقتل يومئذ أعلام العرب وفيهم عبد الله بن ذى الكلاع الحميري وخزيمة ابن ثابت ذو الشهادتين (١٤٩) ، ومعقل بن نهيك بن يساف الأنصاري وغيرهم .

١٣ - غسان :

قاتلت غسان - وهم سادة القبائل العربية بالشام قبيل الاسلام (١٥٠) - الى جانب معاوية في صفين قتال المستميت واستخدموا

(١٤٧) نصر بن مزاحم : وقعة صفين ص ٢٢٢ .

(١٤٨) نصر بن مزاحم : وقعة صفين ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

(١٤٩) خزيمة بن ثابت الأنصاري : من بني عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس وسمى ذو الشهادتين لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد ابتاع فرسه المرتجز من اعرابي من بني مرة ، ثم رأى الاعرابي رغبة فيه فأنكر أن يكون باعه اياه فشهد له على ابتياعه هذا الفرس خزيمة بن ثابت الأنصاري ولم يكن شاهدا شراءه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : كيف شهدت ولم تحضر ؟ قال لتصديقك اياك يا رسول الله وان قولك كالمعينة فأجاز شهادته شهادتين وقال له : أنت ذو الشهادتين وظل يعرف بذلك حتى قتل بصفين مع علي رحمة الله عليهما .

البلاذري : أنساب الأشراف : ج ١ ص ٥٠٩ ، ابن حزم : الجمهرة ص ٢٣٤ .

(١٥٠) الأصمعي : تاريخ العرب قبل الاسلام : ص ١٠١ ، ابن حبيب : المحبر :

ص ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ابن قتيبة المعارف : ص ٣١٤ ، ٣١٦ ، حمزة الأصفهاني : تاريخ

سنن ملوك الأرض : ص ٩٨ - ١٠٤ : المسعودي مروج الذهب : ج ٢ ص ١٠٧ - ١١٠ ،

ابن رشيقي : العمدة : ص ٤١٦ ، تللكه : أمراء غسان : ص ١٠ ، جواد علي : المفصل :

ج ٤ ص ١٢٥ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات : ص ٢٧١ .

فى ذلك خبراتهم التى اكتسبوها من حروب الفرس والمناذرة فى الجاهلية فروعوا أهل العراق وأذاقوهم مر القتال ، فبينما المارك قائمة على أشدها فى صفين اذ مر على بن أبى طالب بأهل راية فرآهم لا يزولون عن موقفهم فحرض الناس على قتالهم وسأل عنهم فعلم أنهم غسان (١٥١) وأدرك أنهم لن يهزموا الا بالتخطيط والحيلة فقال : « ان هؤلاء القوم لن يزولوا عن موقفهم دون طعن دراك يخرج منه النسيم وضرب يفلق الهام ويطيح العظام وتسقط منه المعاصم والآكف حتى تصدع جباههم وتنشر حواجبهم على الصدور والأذقان » (١٥٢) ، وندب لهم خيرة المقاتلين من جنده فنادى : أين أهل الصبر وطلاب الخير ؟ أين من يشرى وجهه لله عز وجل فتأبأت اليه عصابة من أهل العراق ودعا ابنه محمدا وقال له : امش نحو هذه الراية رويدا على هينتك حتى اذا أشرعت فى صدورهم الرماح فامسك يدك حتى يأتيك أمرى ورأيتى ففعل ، وأعلم على مثلهم مع الأشتر النخعي فلما دنا منهم وأشرع الرماح فى صدورهم أمر على الذين أعدوا فشدوا عليهم ونهض محمد فى وجوههم فزالوا عن مواقفهم وأصابوا منهم رجالا واقتتل الناس بعد المغرب فى الظلام قتالا شديدا ولم يصلوا الا ايماء (١٥٣) .

١٤ - قریش :

لما تعاظمت الأمور على معاوية فى القتال دعا عمرو بن العاص وبسر ابن أبى أرطاة وعبيد الله بن عمر وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد من قریش وقال لهم : انه قد غمى رجال من أصحاب على منهم سعيد بن قيس فى همدان والأشتر فى قومه مذحج والمارقال (١٥٤) وعسلى بن

(١٥١) الحنلى : التاريخ : ج ٥ ص ٤٥ .

(١٥٢) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٣٩٢ ، الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٤٥ ،

ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ١٥٩ .

(١٥٣) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٣٩٢ ، الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٤٦ .

(١٥٤) المرقال : هو هاشم بن عتبة بن أبى وقاص من بنى زهرة بن كلاب وهو الملقب بالأعور لفقده إحدى عينيه يوم اليرموك ، أمه بنت خالد بن عبيدة بن سويد من بنى الحارث أمر عید مناة حليف بنى زهرة ولقب بالمرقال لأنه كان يرقل فى الحرب وأبوه عتبة هو الذى جرح النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد وقيل مات مسلما وقيل مات كافرا ، شهد المرقال اليرموك والقادسية مع عمه سعد بن أبى وقاص وكان مع على بن أبى طالب فى حروبه وقتل معه بصفين وهو الذى قال قبل أن يقتل :

أعور ييغى أهله محلا قد عالج الحياة حتى ملا

فلا بد أن يقل أو يفلا

المصعب الزبيرى : نسب قریش : ص ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، البلاذرى : أنساب الأشراف :

ج ٢ ص ١٧١ ، ١٧٢ ، الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٤٤ ، ابن حزم : الجمهرة :

ص ١٢٨ ، ١٢٩ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ١٥٩ .

حاتم في طيء وقيس وقد وقتكم يمانيتكم بأنفسها أياما كثيرة حتى لقد استحييت لكم وأنتم عدتكم من قريش وقد أردت أن يعلم الناس أنكم أهل غناء وعبأت لكل رجل منهم رجلا منكم فاجعلوا ذلك إلى قيسالوا : ذلك اليك . قال : فأنا أكفيكم سعيد بن قيس وقومه من همدان غدا وأنت يا عمرو لأعور بني زهرة (١٥٥) يقصد المرقال وأنت يا بسر لقيس بن سعد وأنت يا عبد الله للأشتر النخعي وأنت يا عبد الرحمن بن خالده لأعور طيء - يعني عدي بن حاتم - وجعلها نواذب في خمسة أيام لكل رجل منهم يوم ، فأصبح معاوية في غده فلم يدع فارسا إلا حشده ثم قصده لهمدان بنفسه وتقدم الخيل وهو يقول :

لا عيش إلا فلق قحف الهام من أرحب وشاكر وشيام
سأخلط العراق بالشام أنعى ابن عفان مدى الأيام (١٥٦)

وطعن في أعراض الخيل مليا فتنادت همدان بشعارها واشتد القتال حتى حجز الليل بينهم وأقحم سعيد بن قيس فرسه على معاوية يريد قتله فقاته ركضا وتقدم القوم تباعا يقاتلون كما رتبهم معاوية والحرب بينهما سجال لم تحرز فيها قريش نصرا على أهل العراق واستحيوا مما صنعوا وشمئت بهم اليمانية من أهل الشام فقال معاوية يطيب نفوسهم : « يا معشر قريش والله لقد قربكم لقاء القوم من الفتح ولكن لا مرد لأمر الله ، ومم تستحيون ؟ إنما لقيتم أكباش أهل العراق وقتلتم منكم وما لكم على من حجة فلقد عبأت نفسي لسيدهم سعيد بن قيس » (١٥٧) .

حدث بعد ذلك أن معاوية دعا عمرو بن العاص في جمع من حمير ويحصب (١٥٨) لقتال الأشتر النخعي وقومه من مدحج لأنهم كانوا قد

(١٥٥) بنو زهرة بن كلاب : بطن من بني مرة بن كلاب من قريش من العرب العدنانية وهم : بنو زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ومن بطونهم الحارث وعبد مناف : ولد عبد مناف بن زهرة وهب وهيب فولد وهب : أمينة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم : المصعب الزبيري : نسب قريش : ص ٢٥٧ - ٢٧٤ ، الأصفهاني : الأغاني : ج ١٩ ص ٧٧ ، الزبيدي : تاج العروس : ج ٣ ص ٢٤٨ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ١٢٨ - ١٣٥ ، « بطون زهرة وأعلامها » أبو الفداء : المختصر : ج ١ ص ١١٤ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٢٥٤ ، عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب : ج ٢ ص ٤٨٢ .

(١٥٦) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٢٧ .

(١٥٧) المصدر نفسه : ص ٤٢٢ .

(١٥٨) يحصب بن مالك بن زيد بن غوث بن سعد بطن من حمير بن سبأ من العرب

القحطانية .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٣٥ .

طوروا هجومهم على أهل الشام فوجدوها الأشتى فرصة لبتر ذراع معاوية
اليمنى وحمل على عمرو ليقتله فلما غشيه بالرمح زاغ فطعنه الأشتى
فى وجهه طعنة خفيفة ثقل منها عمرو وأمسك عنان فرسه وجعل يده على
وجهه ورجع راکضاً الى العسكر فنادى غلام من يحصب : يا عمرو عليك
العفا ماهبت الصبا (١٥٩) ثم صاح : يا حمير : أبلغونى اللواء فأخذه ثم
مضى وهو يقول :

يا عمرو تكفيك الطعان حمير واليحصبى بالطعان أمهر

دون اللواء اليوم موت أحمر

لما رأى الأشتى ذلك نادى ابنه ابراهيم ودفع اليه لواء مذبح وقال له :
تقدم غلام لغلام ، وحمل غلام النخع على غلام حمير فلقى الحميرى بلوائه
ورمحه ولم يبرحاً يطعن كلا منهما صاحبه حتى سقط الحميرى قتيلاً (١٦٠) ،
فغضب القحطانيون من معاوية وقالوا له : تولى علينا من لا يقاتل معنا !!
وقد قتل منا اليوم سبعمائة رجل من مقاتلة أهل الشام ولم يقتل من
أصحاب على مثلنا وأنت الذى يفعل بنا ذلك لأنك تولى علينا من لا يقاتل
معنا مثل عمرو بن العاص وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد وعتبة بن
أبى سفيان وكل واحد من هؤلاء إنما يقاتل ساعة ثم يخرج من الغبار فان
وليت علينا رجلاً منا نقاتل معه والا فلا حاجة لنا بك (١٦١) وقال
المزغف اليحصبى :

معاوى ولى علينا من يحوط ذمارنا من الحميرين الملوك على العريب
لا عمرو وبسر الجبان وابن خالد وعتبة الفرار من حومة الذهب

(١٦٢)

ولا تأمرنا بالتى لا نريدها ولا تجعلنا للهوى موضع الذنب
ولا تغضبنا والحوادث جمّة فيفشو اليوم فى يحصب الغضب

فلما سمع معاوية قولهم هذا قال : والله لا أولى عليكم بعد موقفى
هذا الا رجلاً منكم (١٦٣) بعد أن ساءه ما كان من قتال قریش .

(١٥٩) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٤٠ .

(١٦٠) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٤١ .

(١٦١) ابن اعثم : الفتوح : ج ٢ ص ١٣٠ .

(١٦٢) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٤٢ ، ابن اعثم : الفتوح : ج ٢

ص ١٣٠ .

(١٦٣) ابن اعثم : المصدر السابق : ج ٢ ص ١٣٠ .

لما طالت الحرب في صفين وبلغ السيل الزبي وهو ما لم يكن متوقعا ضاقت نفوس الناس بما حل بهم وأراد كل طرف أن يحسم الأمر لصالحه ما استطاع الى ذلك سبيلا فتحول القتال الى ما يشبه الفناء للطرفين دون حسم تكافؤ القوتين ، فبعد أن كانوا يتقاتلون من مطلع النهار الى بداية العتمة صاروا يتقاتلون أجزاء من الليل ثم الليل كله حتى مطلع نهار اليوم التالي ، وبعد أن كانوا يصلون ايماء الى القبلة صاروا يصلون بالاشارة في أى اتجاه ثم عدوا الصلاة لا اشارة ولا ايماء وانشغلوا بقتل بعضهم البعض (١٦٤) ، ففي أواخر أيام حرب صفين برزت همدان زعيمة لأهل العراق قوة لا تقهر (١٦٥) فرصد لهم معاوية عكا والأشعرين من أهل الشام وهم فدائيو جيش معاوية وأمر عمرا أن يقدمهم لحرب همدان فاتاهم عمرو وقال : يا معشر عك ان معاوية قد عرف أنكم حتى أهل الشام فعباكم لهمدان حتى أهل العراق فاصبروا وهبوا لي جماجمكم ساعة من النهار فقد يبلغ الحق مقطعه (١٦٦) ، وأرادت عك أن لا تفوت الفرصة دون مغنم تغنمه فقال ابن مسروق العكي لقومه : امهلوني حتى آتى معاوية فاتاه ومعه رجل من الأشعرين فقال العكي : يا معاوية اجعل لنا فريضة ألفي رجل في ألفين ومن هلك فاين عمه مكانه لنقر اليوم عينك ، وطلب الأشعري أن يقطعهم معاوية حوران والبثنية (١٦٧) تكون لهم طعمة ولعقبهم من بعدهم (١٦٨) ولأن معاوية كان في موقف لا يحسد عليه فقد وافق عكا والأشعرين وأعطاهم ما طلبوا (١٦٩) مع علمه بأن ذلك قد يفتح عليه بابا هو في غنى عنه ، وكانت عك والأشعريون أول القبائل العربية التي حددت وطالبت صراحة بمقابل مادي نظير قتالها منذ أن خرجت القبائل للفتوح وحتى حرب صفين ففتحوا باب الكلام أمام القبائل في ذلك وحدث بعضها حذو عك والأشعرين في المطالبة بالفرائض والفضائح ، فلما اشترطوا ما اشترطوا من الفريضة والعطاء وأعطاهم معاوية لم يبق من

(١٦٤) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٤٦ .

(١٦٥) ابن اعثم : الفتوح : ج ٢ ص ٢٨ ، ٢٩ .

(١٦٦) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٣٣ .

(١٦٧) حوران : كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة ذات قرى كثيرة

ومزارع وحرار قصبتها بصرى ، والبثنية بلدة خصبة معروفة بالشام من نواحي دمشق .

ياقوت معجم البلدان : ج ١ ص ٣٣٨ ، ج ٢ ص ٣١٧ .

(١٦٨) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٣٣ ، ابن اعثم : الفتوح : ج ٢

ص ١٣١ ، ١٣٢ .

(١٦٩) ابن اعثم : الفتوح : ج ٢ ص ١٣٢ .

أهل العراق أحد في قلبه مرض الا طمع في معاوية وشخص ببصره اليه
حتى فشا ذلك في الناس وبلغ عليا فساءه وقال شاعر أهل العراق ينم
عكا والأشعرين على فعلهم .

ان عكا سنألوا الفرائض والأشعر سنألوا حوران والبثنية
تركوا الدين للعقار والفرض فكانوا بذاك شر البرية
ولأهل العراق أعرف بالله وبالدين والأمور السنية (١٧٠)

لما رجع ابن مسروق العكي والأشعري الى قومهم وأخبروهم الخبر
فرحت عك والأشعريون وقالوا : نحن لهمدان وتقدموا اليهم مكشرين عن
أنبيائهم فلما رأهم سعيد بن قيس سيد همدان علم أن عكا والأشعريين
لن يوقفهم عن زحفهم سوى تعجيزهم عن الحركة بضرب سيقانهم وأرجلهم
فصاح بهمدان : أن خدموا ، فأخذت السيوف سيقان القوم فنادى أبو
مسروق العكي : « برك كبرك الجمل » ، فبركوا تحت الحجف اتقاء لضرب
همدان في أرجلهم وشجروهم بالزمام وقائلهم يقول :

يلعنون همدان وتدعو عكا نفسي فداكم يال عك بكا
ان خدم القوم فبركا بركا لاتدخلوا نفسي عليكم شيكا (١٧١)

فلما تقصفت رماحهم صاروا الى السيوف وتجالدوا حتى أدركهم
الليل فصاحت همدان : يا معشر عك انا والله لا ننصرف حتى تنصرفوا
وقالت عك والأشعريون مثل ذلك تطالب همدان بانصرافها أولا ووقف
القوم يتناطحون فأرسل معاوية الى عك والأشعريين : « ابروا قسم القوم
وهلموا » فانصرفت عك والأشعريون ثم انصرفت همدان وقال عمرو :
يا معاوية لم أر كاليوم قط ولو أن معك حيا كعك والأشعريين ومع على حي
كهمدان لكان والله الفناء (١٧٢) .

(١٧٠) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٣٥ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ٢

ص ١٣٢ .

(١٧١) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٣٤ .

(١٧٢) نصر بن مزاحم : المصدر السابق : ص ٤٣٤ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ٢

ص ٥٥ .

١٦ - قضاة :

ثم تكن قبائل قضاة (١٧٣) في جيش معاوية على حماس لقضيته في حرب علي بن أبي طالب ولذلك كانوا يقاتلون على التراخي كلما عن لهم ذلك طمعا في العطاء والفريضة ، ففي معمة القتال افتقد معاوية راية قضاة فقال لغلام يقف على رأسه : اذهب الى النعمان بن جبلة القضاة وقل له ما يجلسك عن الخروج وقد زحفت الرايات ؟ والله لقد هممت أن أول أمر قضاة من هو أفصح منك حيا وأقل منك عيبا (١٧٤) . فانطلق الغلام الى النعمان بهذه الرسالة فلم يك بأسرع من أن خرجت كراديس قضاة يقدم بعضها بعضا حتى وقفوا في موقفهم وأقبل النعمان ابن جبلة الى معاوية فلما رآه عرف الغضب في وجهه وقال : اللهم اني أعوذ بك من شر سنان هذا المقبل ، فلما دنا النعمان من معاوية نزل عن فرسه وجلس مطرقا لا يتكلم وقد احتفى بحبائل سيفه فقال له معاوية يا أبا المنذر ما الذي أجلسك اليوم عن العدو وقد زحفت الرايات وغدت القبائل الى مواقفها وأنتم تعلمون يا معشر قضاة أنكم أعيان عسكري هذا وثقتي في نفسي ؟ فقال له النعمان : يا معاوية اننا لو كنا نعدو الى جيش مصنوع واناء موضوع لكان في ذلك بعض الأناة فكيف وانما نعدو الى سيوف قاطعة ورماح مشرعة وقوم ذوي بصائر نافعة فلا بد لنا من أن نأخذ لذلك أهبة وزعمت أنك تولى أمر قضاة من هو أنصح مني جيبا وأقل مني عيبا ، أما والله يا معاوية لقد نصحتك عن نفسي وآثرت ملكك على ديني وقتلت فيك عشيرتي وتركت لهواك رشدي وأنا أعرفه وخذت عن الحق وأنا أبصره قال معاوية : أبا المنذر اني لم أرد بك هذا كله ولكن أي رشد أرد وأي حق أحق من طلبك دم الخليفة المظلوم وذبحك عن التحريم (١٧٥) فقال النعمان : لا والله يا معاوية ما وفقت لرشادي اذ أقاتل عن ملكك ابن عم رسول الله ﷺ وهو أول مؤمن وأول مهاجر معه ولو أعطيناه من

(١٧٣) قضاة : شعب ضخيم من حمير من العرب القحطانية غلب عليهم اسم أبيهم فقبل لهم قضاة وهم : بنو قضاة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير ، كان لهم ملك ما بين الحجاز والشام واستعملهم الروم على يادية العرب قبل الاسلام وهم الذين أرسل اليهم النبي صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص ليغزوهم في ذات السلاسل سنة ٧ هـ .

ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٢ ص ٧١ - ٧٣ ، ابن صاعد : طبقات الأمم : ص ٤٣ ، ابن حزم : الجمهرة ص ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ابن خلدون : العبر : ج ٢ ص ٢٤٩ ، ابن منظور : لسان العرب : ج ١٠ ص ١٤٩ ابن دريد : الاشتقاق : ص ٣١٣ ، أبو الفداء : المختصر : ج ١ ص ١٠٥ ، ١٠٦ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٣٥٨ ، Ency. de L'Islam tome 2, p. 1157.

(١٧٤) ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ص ٦٦ .

(١٧٥) ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ص ٦٧ .

أنفسنا مثل الذي أعطيناك لكان أرف بالرية وأجزل للعية وأنفذ في القضية وأقسم بالسوية وأبعد من الدنية والعصية ، ولكننا بذلنا لك أمرا لابد من تمامه غيا كان أم رشدا (١٧٦) ثم قام عنه واذا بكردوسين عظيمين من أصحاب علي قد خرجا أحدهما قبائل مذحج وفيهم الأشتر النخعي والآخر همدان وفيهم سعيد بن قيس الهمداني فنكى هذان الكردوسان في أهل الشام نكاية شديدة حتى كادوا أن يتضعضعوا وأرسل معاوية إلى النعمان بن جبلة القضاعي يقول : لله أنت أبا المنذر ألا ترى ما صنع بنا هذان الكردوسان في هذا اليوم ؟ أنت لهم لله درك ، فأرسل إليه النعمان : ادع لهما من هو أفصح مني جيبا وأقل مني عيبا ، فقال معاوية لعمر بن مرة الجهني والحارث بن نمر الجرهمي : (١٧٧) قوما إلى ابن عمكما فاطلبا إليه أن يلقي هذين الكردوسين بقومه من عشيرته من قضاة فليس لهم سواء فقال له عمر بن مرة والله يا معاوية انك لتقصر بنا في الخلاه وتضجع بنا في الملأ وتميل علينا في الأهواء وتدعونا لكل كتيبة خشناء ، قال معاوية : ليس هذا خبر شاف فقد أخذت السنيوف هام الرجال فقوموا إلى ابن عمكما ، فقاما إليه وكلماه وسألاه أن يخرج بقومه إلى الكردوسين فقال : أفعل ذلك ولا أردكما (١٧٨) وضرب بيده إلى راية قومه وقال لهم : أنا سنقاتل عن الغوطة وعنبتها وزينونها إذ قد حرمنا اللجنة ونعيمها وحوار عينها وحمل النعمان بن جبلة القضاعي في قومه من قضاة وحمل الأشتر وسعيد بن قيس في قومهما من مذحج وهمدان فتجالدوا من أول وقتهم ذلك إلى الليل وقتل النعمان بن جبلة ومعه جماعة من أصحابه ثم تحاجز الفريقان وقد فاتتهم الصلوات وبلغ معاوية قتل النعمان فاسترجع وأبدى جزعا شديدا وكان يحب أن يقتل لما كان من عزوفه عنه (١٧٩) .

١٧ - همدان :

استتبسلت همدان في القتال مع علي بن أبي طالب بما لم يبد من القبائل الأخرى في الحرب شاما وعراقا ودوخوا معاوية ومن معه وأذاقوهم الأمرين حتى أن معاوية نادى في أحياء اليمن التي كانت معه قائلا : عبوا

(١٧٦) ابن اعثم : المصدر السابق : ج ٢ ص ٦٧ .

(١٧٧) نسبة إلى جرم بن حلوان بن عمران بن الحافى بن قضاة .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٥١ - ٤٥٢ .

(١٧٨) ابن اعثم : الفتوى : ج ٢ ص ٦٧ .

(١٧٩) المصدر نفسه : ج ٢ ص ٦٨ .

الى كل فارس مذكور فيكم أتقوى به على هذا الحى من همدان (١٨٠) فخرجت اليه خيل عظيمة فلما رآها على عرف أنها عيون القوم تقصد درته همدان فنادى : يا لهمدان فأجابه سعيد بن قيس ، فطلب منه أن يبادر خيل الشام بالهجوم فحمل حتى خالط الخيل واشتد القتال وارتد المهاجمون حتى لحقوا بمعاوية الذى صاح : « يا ويل ما نلقى من همدان » وجزع جزعا شديدا اذا وقع القتال فى فرسان أهل الشام ، وجمع على همدان ليثنى عليهم فقال : يا معشر همدان أنتم درعى ورمحى ما نصرتم الا الله ولا أجبتكم غيره فقال سعيد بن قيس الهمداني : أجبتنا الله وأجبتناك ونصرنا نبي الله ﷺ فى قبره وقاتلنا معك من ليس مثلك فارم بنا حيث شئت (١٨١) فطلب اليهم على أن يكفوه أهل حمص (١٨٢) وكلهم يمانية معظمهم من كندة (١٨٣) لقي منهم عنتا ورهقا شديدا فتقدمت همدان وشدوا شدة واحدة على أهل حمص وضربوهم ضربا متداركا بالسيف وعمد الحديد حتى ألجئوهم الى قبة معاوية (١٨٤) ورجعت همدان الى مكانها وكانت فيهم سودة بنت عمارة بن لاسك الهمدانية تحض قومها على القتال وتخص أخيها قالت :

شمر لقتل أخيك يا ابن عمارة يوم الطعان وملتقى الأقران
وانصر عليا والحسين وصنوه وأقصد هند وابنها بهوان
ابن الامام أخو النبي محمد علم الهدى وعصمة الايمان (١٨٥)

وكان لذلك أثره فى أن ضيق عليهم معاوية فى خلافته فقتل بسر ابن أبى أرطاة والى العراق بعض رجالهم وأخذ أموالهم وسامهم الذل والخسف مما جعل سودة بنت عمارة الهمدانية تحتج لدى معاوية على ظلم واليه لهم وأغلظت له فى القول حتى رفع الظلم عن أهلها (١٨٦) .

(١٨٠) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٣٧ .

(١٨١) نصر بن مزاحم : المصدر السابق : ص ٤٣٧ .

(١٨٢) ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ص ٥٤ .

(١٨٣) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ١٤٣ ، ٢١١ ، الهمداني : صفة جزيرة العرب :

ص ١٧٩ ، الميداني : مجمع الأمثال : ج ١ ص ٢٩٤ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ، ص ٢٤٢ .

(١٨٤) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٢٨ .

(١٨٥) ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ص ٦٢ .

(١٨٦) انظر قصة مقابلة سودة لمعاوية فى قصره بدمشق والحوار الذى دار بينهما :

ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ١ ص ٢٩١ ، ٢٩٢ .

١٨ - الأنصار :

كان الأنصار من الأوس والخزرج (١٨٧) في حرب صفين مع علي ابن أبي طالب دون معاوية بن أبي سفيان الذي لم يكن معه منهما سوى رجلين هما : النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري (١٨٨) ومسلمة بن مخلد الأنصاري (١٨٩) فكان تجمعهم لنصرة علي وكأنهم آلوا على أنفسهم الا أن يعيدوا مجدهم وكما نصروا رسول الله ﷺ ينصرون ابن عمه الذي تربى في حجره ولازمه غلاما وشابا ورجلا وكان ختنه علي ابنه فاطمة وله منها العقب فقاتلوا معه قتال الأبطال (١٩٠) حتى أن معاوية دعا النعمان ابن بشير ومسلمة بن مخلد وقال لهما : يا هذان والله لقد غمى ما لقيت من الأوس والخزرج فقد صاروا واضعي سيوفهم على عواتقهم يدعون الى النزال حتى جبنوا أصحابي الشجعان منهم والجبان وصرت ما أسأل عن فارس من أهل الشام الا قالوا قتله الأنصار، أما والله لألقينهم بحدى وحديدي ولأعبين لكل فارس منهم فارسا ينشب في حلقه ثم لأرمينهم بأعدادهم من

(١٨٧) انظر انساب الأوس والخزرج ويطونهم : العوتبي : الانساب : ج ٢ ص ٦١ - ٦٥ وسبق ذكرهما في انساب الأزد .

(١٨٨) هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن الجلاس بن زيد بن مالك الأغرم بنى كعب من الخزرج وبشير بن سعد بدرى عقبى وهو أول من بايع أبا بكر يوم الثقيفة واستشهد بعين التمر وكان مع خالد بن الوليد يوم افتتاحها وله من الولد : ابراهيم وهو شاعر مكثر والنعمان بن بشير أول مولود للأنصار بعد الهجرة حنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد صفين مع معاوية وولى له اليمن وولى الكوفة لي زيد وحمص لابن الزبير وأمه عمرة بنت رواحة أخت عبد الله بن رواحة وكان له من الولد : محمد وشبيب وأبان وبشير وابراهيم ويزيد وعبد الله وحميصة تزوجها بروج بن زنباع ثم الفيض بن أبي عقيل الثقفي وكانت شاعرة مجيدة هجت زوجها هجاء كثيرا وكان للنعمان عقب كثير منهم قوم بالاندلس بقرية شوش الأنصار من أشبيلية وهم بنو عبد السلام بن سري وقتل النعمان بحمص في عهد مروان بن الحكم لأنه كان قد شايع ابن الزبير لا رضى الله عن قاتله .

البلاذرى : انساب الأشراف : ج ١ ص ٢٤٤ ، ابن حزم : الجمهرة ، ص ٢٦٤ ، ٣٦٥ .

(١٨٩) اسمه مسلمة بن مخلد بن الصامت بن نيار بن لؤذان بن عبد ود بن ثعلبة بن الخزرج وهو أحد قتلة محمد بن أبي بكر ، له صحبة قتل أبوه يوم بعاث وولى مصر لمعاوية ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٦٦ .

(١٩٠) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٤٥ ، ابن اعثم : الفتوح : ج ٢ ، ص ١٠٩ .

قريش رجال لم يغذهم التمر والطفيشل (١٩١) يقولون : نحن الأنصار ويدعون الله ، فقد والله آووا ونصروا ولكن أفسدوا حقهم بباطلهم (١٩٢) ، فلما انتهى معاوية غضب غضب النعمان بن بشير من كلامه وقال له مدافعا عن قومه يا معاوية لا تلومن الأنصار بسرعتهم في الحرب فانهم كذلك كانوا في الجاهلية وأما دعاؤهم الله فقد رأيتهم مع رسول الله ﷺ يفعلون ذلك كثيرا وأما لقاءك إياهم في أعدادهم من قريش فقد علمت ما لقيت قريش منهم قديما فان أحببت أن ترى منهم مثل ذلك آنفا فافعل ، وأما التمر فكان لنا فلما ذقتموه شاركتمونا فيه وأما الطفيشل فكان لليهود فلما أكلناه غلبناهم كما غلبت قريش على السخينة (١٩٣) ، ثم تكلم مسلمة بن مخلد فقال : يا معاوية ان الأنصار لا تعاب أحسابها ولا نجداتها ، وأما غمهم إياك فقد والله غمونا ولو رضينا ما فارقنا جماعتهم ولكن حملنا لك ذلك ورجونا منك عوضه وأما التمر والطفيشل فانهما يجران عليك نسب السخينة والخرنوب (١٩٤) ، ولما انتهى الكلام الى الأنصار في جيش علي جمع قيس بن سعد الأنصاري (١٩٥) قومه وقام فيهم خطيبا قال : ان معاوية قد قال ما بلغكم وأجاب عنكم صاحبكم فلعمري لئن غظمت معاوية اليوم فلقد غظتموه بالأمس وان وترتموه في الاسلام فقد وترتموه في الشرك ومالككم اليه من ذنب أعظم من نصر هذا الدين الذي أنتم عليه فجدوا اليوم جدا تنسونه به ما كان أمس ، ويعيرنا بالتمر فانا لم نفرسه ولكن

(١٩١) الطفيشل : ضرب من اللحم يعالج بالبيض والجزر والعسل وقيل : هو كل طعام من الحبوب كالعدس وغيره وكان من طعام أهل المدينة .

الجاحظ : الحيوان : ج ٢ ص ٢٤ ، ج ٥ ص ٢٢٦ وحواشيها ، ابن سيده : المخصص : كتاب الطعام ج ٤ ، ص ١٢٠ .
(١٩٢) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٤٦ .

(١٩٣) السخينة : طعام يتخذ من دقيق وسمن وقيل من دقيق وتمر وهو أغلظ من الحساء وأرق من العصيدة وكانت قريش تكثر مع أكلها لغيرت بها حتى سموها « سخينة » .
الجاحظ : البخل : ص ٣٢ ، الأبيشي : المستطرف في كل فن من مستطرف : ج ١ ص ٣٦٨ ، ابن سيده : المخصص : كتاب الطعام : ج ٤ ص ١١٩ ، ١٣٥ ، ابن عبد الهادي : كتاب الطبوغرافيا : ص ٢٢٣ .

(١٩٤) نصر بن مزاحم : وقعة صفين ، ص ٤٤٦ .

(١٩٥) قيس بن سعد هو ابن سعد بن عباد بن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة بن شعلبة بن طريف بن الخزرج بدرى عقي ، نقيب ، سيد ، كان له ولدان : قيس وسعيد ، ولي قيس مصر لعلي بن أبي طالب وكان بمنزله صاحب الشرطة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وولى سعيد اليمن لعلي وله عقب بالاندلس بقرية يقال لها قريلان من عمل سرقسطة : ابن حزم : الجهرة ، ص ٣٦٥ .

غلبنا عليه من غرسه وأما الطفيل شبل فلو كان طعامنا لسمينا به كما سميت قريش السخينة ، ثم قال قيس بن سعد في نهاية خطبته للأنصار يتوعد معاوية :

يا ابن هند دع التوثب في الحرب إذا نحن في البلاد نأينسا
نحن من قد رأيت فادن إذا شئت بمن شئت في العجاج إلينا
فالقنا في اللقيف نلقك في الخزرج ندعو في حربنا أبويننا (١٩٦)

اعتبر معاوية شعر قيس بن سعد شتما له فدعا عمرو بن العاص وقال له : ما ترى في شتم الأنصار ؟ قال : أرى أن توعد ولا تشتم وما عسى أن تقول لهم !؟ إذا أردت ذمهم فذم أبدانهم ولا تدم أحسابهم فقال معاوية : إن خطيب الأنصار قيس بن سعد يقوم كل يوم خطيبا وهو والله يريد أن يفنينا غدا إن لم يحبسنا عنا حابس الفيل فما الرأي ؟ قال عمرو : ليس هناك غير التوكل والصبر (١٩٧) ، فسأل معاوية النعمان بن بشير أن يخرج إلى قيس بن سعد فيعاتبه ويسأله السلم فخرج النعمان حتى وقف بين الصفيين وقال : يا قيس إنه قد أنصفكم من دعاكم إلى ما رضى لنفسه ، ألسستم معشر الأنصار تعلمون أنكم أخطأتم في خذل عثمان يوم الدار وقتلتم أنصاره يوم الجمل وأقحمتكم خيولكم على أهل الشام بصفيين فلو كنتم إذا خذلتهم عثمان خذلتهم علينا لكانت واحدة بواحدة ولكنكم خذلتهم حقا ونصرتهم باطلا ثم لم ترضوا أن تكونوا كالناس حتى أعملتم في الحرب ودعوتهم إلى المبارزة ثم لم ينزل بعلي أمر قط إلا هونتهم عليه المصيبة. ووعدتهم الظفر وقد أخذت الحرب منا ومنكم ما قد رأيتم فاتقوا الله في البقية (١٩٨) . فلما انتهى النعمان من كلامه رد عليه قيس بن سعد قائلا : ما كنت أراك يا نعمان تجترى على هذه المقالة إنه لا ينضح أخاه من غش نفسه وأنت والله الغاش الضال المضل ، أما ذكرك عثمان فإن كانت الأخبار تكفيك فخذها مني : واحدة قتل عثمان من لست خيرا منه وخذله من هو خير منك وأما أصحاب الجمل فقاتلناهم على النكث ، وأما معاوية فوالله لو اجتمعت عليه العرب قاطبة لقاتلته الأنصار ، وأما قولك أنا لسنا كالناس فنحن في هذه الحرب كما كنا مع رسول الله ﷺ نتقى السيف بوجوهنا والرماح بنحورنا حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم

(١٩٦) نصر بن مزاحم : وقعة صفين ، ص ٤٤٧ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ،

ص ١٠٩ .

(١٩٧) نصر بن مزاحم : وقعة صفين ، ص ٤٤٨ .

(١٩٨) نصر بن مزاحم : وقعة صفين ، ص ٤٤٩ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ،

ص ١٠٩ .

كارهون ولكن انظر يا نعمان هل ترى مع معاوية الا طليقيا أو أعرابيا أو يمانيا مستندرجا بغرور !؟ ، أين المهاجرون والأنصار والتابعون بأحسا الذين رضى الله عنهم !؟ ثم انظر هل ترى مع معاوية غيرك وصويحك ولستما والله ببدرين ولا عقبيين ولا أحدين ولا لكما سابقة في الاسلام ولا آية في القرآن ، ولعمري لئن شغبت علينا فلقد شغبت علينا أبوك ، فلما انتهى قيس بن سعد من رده على النعمان بن بشير دعاه على وائنى عليه خيرا وسوده على الأنصار (١٩٩) .

١٩ - جزع أهل الشام على قتلاهم :

أنشبت الحرب أظافرها في أهل العراق وأهل الشام ولم يعد للقوم منجى الا أن يذركهم الله برحمته وجزع أهل الشام على قتلاهم جزعا شديدا بعد أن فقدوا الملوك والزعماء والأعلام فقال معاوية بن خديج الكندي (٢٠٠) يبكى سادة اليمن : يا أهل الشام قبح الله ملكا يملكه المرء بعد حوشب وذى الكلاع والنعمان بن جبلة والله لو ظفروا بأهل العراق بعد قتلهم بغير مؤنة ما كان ظفر (٢٠١) ، وقال يزيد بن انس لمعاوية بن أبى سفيان لا خير في أمر لا يشبه أوله آخره لا يدمل جريح ولا يبكى على قتيل حتى تنجلي هذه الفتنة . فقال معاوية : يا أهل الشام ما جعلكم أحق بالجزع على قتلاكم من أهل العراق على قتلاهم فوالله ما ذو الكلاع فيكم بأعظم من عمار بن ياسر فيهم ولا حوشب فيكم بأعظم من هاشم فيهم وما عبيد الله بن عمر فيكم بأعظم من بديل فيهم وما الرجال الا أشباه وما التمهيص الا من عند الله (٢٠٢) فأبشروا فان الله قد قتل من القوم ثلاثة : قتل عمار بن ياسر (٢٠٣) وهو كان فتاهم وقتل هاشما وكان

(١٩٩) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٤٩ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ص ١٠٩ .

(٢٠٠) اسمه معاوية بن خديج بن قتيبة بن حارثة بن عبد شمس من بني أشرس بن شبيب بن السكون من كندة من العرب القحطانية ، يكنى أبا نعيم له صحبة وبعض عقبه ابن حزم : الجمهرة ، ص ٤٢٩ .

(٢٠١) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٥٥ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ص ١٥٩ .

(٢٠٢) نصر بن مزاحم : وقعة صفين ، ص ٤٥٥ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ص ١٩٩ .

(٢٠٣) انظر قصة مقتل عمار بن ياسر في وقعة صفين وما قيل فيها : التاريخ : ج ٥ ص ٤١ ، ابن الاثير : الكامل : ج ٣ ص ١٥٧ ، ١٥٨ ، أبو الفداء : المختصر : ج ١ ص ١٧٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٢٤٨ - ٢٥٤ .

جمرتهم وقتل بديل وهو فاعل الأفاعيل وبقي الأشعث من كندة والأشتر من مذحج وعدى بن حاتم من طيء فأما الأشعث فحماء مصره وأما الأشتر وعدى فغضبا للفتنة والله قاتلها غدا إن شاء الله . فقال ابن حديج : إن يكن الرجال عندك أشنباها فليست عندنا كذلك فغضب معاوية منه (٢٠٤) ، ولكن الجزع لم يغن عن الحرب شيئا وكل طرف يظن أن النصر سوف يأتيه غدا أو أن الله سوف يجعل لهم مخرجا ومرت الأيام ثقيلة عليهم بسواد نهارها وحلوك ليلها المقعم بالدماء دون بادرة تخلصهم مما وقعوا فيه بعد أن أكلتهم الحرب أكل النار في الهشيم .

٢٠ - ليلة الهرير ونهاية حرب صفين :

في يوم الثلاثاء العاشر من شهر ربيع الأول سنة ٣٧ هـ - ٦٥٧ م كانت ليلة الهرير (٢٠٥) وهي آخر ليلة في حرب صفين من أشد الأيام هولا في الوقائع كلها (٢٠٦) وشبهت بالقادسية ، فيها عبا على بن أبي طالب قبائل العراق عن بكرة أبيهم بقضهم وقضيضهم للزحف على أهل الشام للنيل منهم وحسم الصراع لصالحه بعد أن رأى الحرب قد أكلت الفريقين وأن الناس قد سئموا القتال وتضعضت أركانهم بعد مائة وعشرة من الأيام طحنا وقتلا ودماء ، كان الأمر في أهل الشام أشد نكاية وأعظم

(٢٠٤) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٥٥ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ص ١٥٩ ، ١٦٠ .

(٢٠٥) ليلة الهرير : هو آخر ليلة في حرب صفين وقد استمر فيها القتال طوال الليل حتى مطلع اليوم التالي ومعناها : الليلة الشرسة المكرومة لكثرة ما كان فيها من عنف الحرب وسفك الدماء ، وأصل التسمية يرجع إلى ما ذكره ابن منظور من أن هرير الكلب : صوته وهو دون النباح من قلة صبره على البرد فلعلها سميت بذلك لتشابه هذا الصوت مع هجمات المقاتلين تحت جنح الظلام حيث شبه به فنظر بعض الكماة إلى بعض في الحرب وقد يقصد بها الشراسة فيقال هر الكلب هريرا إذا نبج وكثر عن أنيابه وكذلك الذئب إذا كثر عن أنيابه كناية عن الشراسة ، وقد يطلق لفظ الهرير على صوت غير الكلب لقولهم : انى سمعت هريرا كهرير الرحي أى صوت دورانها فلعل الرحي في هذه الليلة شبهت بدوران الرحي التي طحنت القوم ، أما هر الشر يهره را وهريرا أى كرهه ، وهر فلان الكاس والحرب أى كرهها قال عنتره العبسي في هذا المعنى .

حلفنا لهم والخيل تردى بنا معا نزايلكم حتى تهروا العواليا
وقال الأعشى في ذلك أيضا :

أرى الناس هرونى وشهر مدخلى ففى كل ممشي أرى الناس عقريا
ابن منظور : لسان العرب : ج ٧ ص ١٢١ ، ١٢٢ .
(٢٠٦) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٧٣ .

وقعبا ومع ذلك فقد عيسات قبائل الشام عن آخرها لملاقاة أهل العراق (٢٠٧) .

وبينما القوم يتأهبون للقتال اذ خرج رجل من أهل الشام مشفقا على الناس مما هم مقدمون عليه من الفتك والابادة ورأى أن يقوم بمحاولة أخيرة لحقن الدماء وانقاذ ما يمكن انقاذه فصاح بين الصفيين : يا أبا الحسن ابرز الى . فخرج اليه على حتى اذا اختلف أعناق دابتيهما قال : يا علي ان لك قدما في الاسلام وهجرة فهل لك في امر أعرضه عليك يكون فيه حقن هذه الدماء وتأخير هذه الحروب حتى ترى من رأيك . قال له علي وما ذاك ؟ قال الرجل : ترجع الى عراقك فتدخل بينك وبين العراق وترجع الى شامنا فتدخل بيننا وبين شامنا . فقال له علي : انما عرضت هذا نصيحة وشفقة ولقد أهمنى هذا الأمر وأسهرنى حتى منعتى النوم وضربت ظهري وبطنه وأنفه وعينه فلم أجده الا القتال أو الكفر بما أنزل الله على محمد ﷺ وأن الله تبارك وتعالى لا يرضى من أوليائه أن يعصى في الأرض وهم سكوت مدعنون لا يأمرؤن بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ، وقد وجدت القتال أهون على من معالجة الأغلال في جهنم ، وأيم الله لو ددت اننى فديت دماء المسلمين بمهجتي ، ولكن قولوا لصاحبكم نخرج الى هذه الصحراء ثم انى أدعو الله ويدعو هو أن يقتل المحق منا المبطل ثم انى أبارزه فاينا قتل صاحبه ملتئم معه بأجمعكم . فلما سمع الشامى ذلك عاد من حيث أتى وهو يقول : « انا لله وانا اليه راجعون هلكت العرب ورب محمد » (٢٠٨) وذلك لأنه يعلم أن معاوية لا يبارز عليا لأنه لم يبارز أحدا قط الا قتله (٢٠٩) .

زحف الناس الى بعضهم فتراشقوا بالنبل والحجارة حتى فنيت ، فتطاعنوا بالرماح حتى تكسرت وانسدقت فمشوا الى بعضهم بالسيوف وعمد الحديد ولم يعد يسمع السامع الا تخمخيم الرجال ووقع الحديد بعضه على بعض وكسفت الشمس وثار القتام وضلت الالوية والرايات ومرت مواقيت أربع مسلسلوات لم يسجد لله فيهن الا تكبيرا ونادى ناس من الحفاظ : يا معشر العرب الله الله في الحرمات من النساء والبنات (٢١٠) ،

(٢٠٧) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٤٢ - ٤٨ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٦٠ ، ١٦١ ، أبو اللداء : المختصر : ج ١ ص ١٧٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ص ٣٥٥ ، ٣٥٦ .

(٢٠٨) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ابن اعثم : الفتوح : ج ٢ ص ١٦٧ ، ١٦٨ ، الدينورى : الاخبار الطوال : ص ١٩١ .

(٢٠٩) ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٦٠ .

(٢١٠) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٧٥ ، الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٤٦ ، ابن اعثم : الفتوح : ج ٢ ص ١٧٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٣٥٥ .

وبزور الأشتر النخعي في جيش العراق شعلة من النشيط يسير فيما بين
الميسرة والميمنة فيأمر كل قبيلة أن تحمل على التي تليها (٢١١) ولم يحجز
القوم انتهاء النهار عن القتال فاستمروا فيه من نصف الليل الثاني إلى
ارتفاع الضجى والأشتر يسير بين القبائل يقول : إلا من يشري نفسه لله
ويقاتل مع الأشتر حتى يظهر أو يلحق (٢١٢) بالله ، فتلاحقت إليه الناس
تخرج إليه وتقاتل معه فشبه على أهل الشام حتى الجأهم إلى عسكرهم فلما
رأى على الظفر قد جاء من قبله صار يمدده بالرجال فطحنبت رحي مذحج
عكا ولحما وجذاما والأشعريين وأصاب الجميع أمر عظيم تشيب منه النواصي
من حين ارتفعت الشمس في السماء حتى قام قائم الظهيرة في اليوم
التالي (٢١٣) وعندها صاح على في بقية القوم يحرضهم على القتال : حتى
متى نخلي بين هذين الحيين وقد فنيينا وأنتم وقوف تنظرون اليهم ؟
أما تخافون مقت الله ؟ فاندفع الجميع إلى القتال وجعلت كندة العراق
تقاتل كندة الشام وطىء لطيء ومذحج لمذحج والأزد للأزد وهمدان لهمدان
وتميم لتميم وبجيلة لبخشم وكل قوم صرفوا إلى أهلهم (٢١٤) وما افترقوا
إلا عن ثلاثة آلاف قتيل في ذلك اليوم وتلك الليلة المشئومة وهي ليلة
الهرير آخر أيام وليالي حرب صفين قتل فيها من أصحاب علي ما بين
سبعمائة إلى ألف وضعفهم من أهل الشام وكانت جملة القتلى خمسة
وأربعين ألفا من أهل الشام وخمسة وعشرين ألفا من أهل العراق بما
مجموعه سبعين ألفا من الطرفين تقريبا (٢١٥) .

خطب الأشعث الكندي ليلة الهرير في أصحابه من كندة يحذرهم
الفناء قال : « قد رأيتم يا معشر المسلمين ما كان في يومكم الماضي
وما قد فني فيه من العرب فوالله لقد بلغت من السن ما شاء الله أن أبلغ
فما رأيتم مثل هذا اليوم قط ألا فليبلغ الشاهد الغائب أنا أن نحن تواقفنا
غدا أنه لفناء العرب وضیعة الحرمات أما والله ما أقول هذه المقالة جزعا
من المحتف ولكني رجل مسن أخاف على النساء والذراري غدا إذا فنيينا »

(٢١١) ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٦٠ ، أبو الفداء : المختصر : ج ١ ص ١٧٦ .

(٢١٢) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٤٧ .

(٢١٣) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٧٧ : الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٤٧ .

ابن الأثير : التاريخ : ج ٣ ص ١٦٠ .

(٢١٤) ابن اعثم : الفتوح : ج ٢ ص ٨٣ .

(٢١٥) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٥٥٨ ، ابن اعثم : الفتوح : ج ٢

ص ٧٨ ، المسعودي : التنبيه والإشراف : ص ٢٩٥ ، أبو الفداء : المختصر : ج ١

ص ١٧٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٢٤٠ .

اللهم انك تعلم أنى قد نظرت لقومى ولأهل دينى فلم آل وما توفيقى
الا بالله « (٢١٦) » .

بلغ معاوية بعد ليلة الهرير أن عليا مجهز عليه من غدة فدعا عمرو
ابن العاص وزيره ومستشاره الأول وقال : يا عمرو انما هى الليلة حتى
يغدو على علينا بالفيصل فما ترى ؟ قال : ان رجالك لا يقومون لرجال
ولست مثله هو يقاتلك على أمر وأنت تقاتله على غيره أنت تريد البقاء وهو
يريد الفناء وأهل العراق يخافون منك ان ظفرت بهم وأهل الشام
لا يخافون عليا ان ظفر بهم ولكن ألق اليهم أمرا ان قبلوه اختلفوا وان
ردوه اختلفوا : ادعهم الى كتاب الله حكما فيما بينك وبينهم فانك بالغ
به حاجتك فى القوم فانى لم أزل أدخر هذا الأمر لوقت حاجتك اليه (٢١٧)
وكان معاوية قد بلغته خطبة الأشعث فى قومه من كندة فقال : أصاب
ورب الكعبة الثن نحن التقينا غدا لتميلن الروم على ذرارينا ونسائنا
ولتميلن أهل فارس على نساء أهل العراق وذرايرهم وانما يبصر هذا ذوو
الأحلام والنهى (٢١٨) * ثم قال لأهل الشام : اربطوا المصاحف على
أطراف القنسا وأمرهم أن ينادوا فى سواد الليل : يا أهل العراق من
لذرارينا ان قتلتمونا ومن لذرايركم ان قتلناكم . الله الله فى البقية من
الأهل والذرية وأصبح أهل الشام وقد رفعوا المصاحف على رؤوس الرماح
وقلدوها الخيل والناس على الرايات وقد اشتهوا ما دعوا اليه ورفع مصحف
دمشق الأعظم حملة عشرة رجال على رؤوس الرماح ونادوا يا أهل العراق :
كتاب الله بيننا وبينكم (٢١٩) ، وأقبل أبو الأعور السلمي على برذون

(٢١٦) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٨٠ ، ٤٨١ ، المسعودى : مروج الذهب :
ج ٢ ص ٤٠٠ - ٤٠٢ ، الدينورى : الأخبار الطوال : ص ١٩١ .

(٢١٧) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٧٧ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ص
١٧٩ ، ابن قتبية الامامة والسياسة ج ١ ص ١٠١ ، ١٠٢ ، ابن الأثير : الكامل :
ج ٣ ص ١٦٠ .

(٢١٨) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٨١ ، الدينورى : الأخبار الطوال :
ص ١٩١ .

(٢١٩) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٨١ ، ابن قتبية : الامامة والسياسة : ج ١
ص ١٠١ ، ١٠٢ ، الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٤٨ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ص ١٧٩ ،
الدينورى : الأخبار الطوال : ص ١٩١ ، ١٩٢ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٦٠ ،
أبو اللداه : المختصر : ج ١ ص ١٧٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٢٥٥ ،
٢٥٦ ، اليعقوبى : التاريخ : ج ٢ ص ١٨٠ ، ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة : ج ١
ص ١٨٨ .

أبيض وقد وضع المصحف على رأسه ينادى : يا أهل العراق كتاب الله بيننا وبينكم ثم تلا قوله تعالى : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون » (٢٢٠) .

برفع المصاحف وطلب الاحتكام إلى كتاب الله بعد ليلة الهرير تنتهى حرب صفين بين قبائل العراق وقبائل الشام وتتوقف أعمال القتل بينهم دون نصر واضح لأى منهما يعلى كلمة أحدهما على الآخر وبذلك تبدأ مرحلة جديدة للصراع السياسى نعتبرها بداية لقيام الدولة الأموية لما وقعت فيه قبائل العراق من الاختلاف والجدل والفرقة والشغب على امامهم فى حين ثبتت قبائل الشام على قلب رجل واحد خلف أميرهم تنصره وتؤاذه ولا تشغب عليه مما أهلها للتميز فاستحقت الظفر وحظيت بشرف الخلافة الجديدة بعد أن عدا أهل العراق على امامهم بالقتل فخلت الساحة لمنافسه معاوية بن أبى سفيان مؤسس دولة بنى أمية الذى رفع من قدر القبائل الشامية وميزها فى العطاء والفاء والغنائم لقاء ما قدموه من الأرواح والأموال وحسن الامتثال والطاعة فى وقت ضيعت فيه القبائل العراقية كل شئ قدموه فى صفين ونصر كانوا على وشك أن يحرزوه فخذلوا امامهم بكثرة قولهم ومخالفتهم وشغبهم وتنازع أهوائهم .

(٢٢٠) سورة ال عمران : آية : ٢٢ ، الفخر الرازى : التفسير الكبير : ج ٤

الفصل الثالث

دور القبائل العراقية والشامية في قيام دولة بني أمية

أولا - أحداث التحكيم :

١ - رفع المصاحف واختلاف أهل العراق :

ساهمت القبائل العراقية بدور كبير في قيام الدولة الأموية دون أن تشعر بذلك ، فبعد أن كانت قاب قوسين أو أدنى من النصر في آخر معارك صفين وانشقوا على أنفسهم واختلفت أهواؤهم عندما رفع أهل الشام المصاحف وطلبوا التحكيم (١) ولم يتوقف عصيانهم وتمردهم عند هذا الحد بل تزايدوا في غيهم حتى وقعت الفرقة بينهم (٢) وتهيأت الظروف تماما لسيادة أهل الشام وعندها بدأت المرحلة الأخيرة من الصراع بين علي ومعاوية تلك المرحلة التي شهدت بزوغ نجم الدولة الأموية على أيدي القبائل العراقية نفسها .

لما طلب أهل الشام الاحتكام الى كتاب الله عز وجل قال علي : « اللهم انك تعلم ما الكتاب يريدون فاحكم بيننا وبينهم انك أنت الحكم الحق المبين » ، واختلف أصحاب علي في الرأي فعلاثة قالت : القتال وطائفة

(١) الملبري : التاريخ : ج ٥ ص ٤٦ .

(٢) انظر ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل : ج ٤ ص ١١٢ .

قالت : المحاكمة - وهم الأغلبية - ولا يحل لنا الحرب وقد دعينا الى حكم الكتاب ، وعند ذلك بطلت الحرب ووضعت أوزارها وحكم الحكمان (٣) .

فبينما رأت معظم طيء عليها عدى بن حاتم ومذحج برعامة الأشتر النخعي وخزاعة عليها عمرو بن الحمق استمرار القتال لاختصاص أهل الشام بالسيف رأت كندة وسائر القبائل إيقاف القتال واجابة القوم الى التحكيم ووقف الأشعث بن قيس غاضبا يقول لعلي : « انه ليس آخر أمرنا كأوله » فاجب القوم الى كتاب الله فانك أحق به منهم وقد أحب الناس البقاء وكرهوا القتال والا والله لا يرمى معك يمانى بسهم ولا يضرب معك بسيف أو يطعن برمح » (٤) وقام الناس الى علي فقالوا : أجب القوم الى ما دعوك اليه فاننا قد فنينا ، وكان الأشعث بن قيس في كندة من أعظم الناس قولا في اطفاء الحرب والركون الى المهادنة (٥) وكان الأشتر النخعي في مذحج لا يرى الا الحرب ولا سبيل غير الحرب لاقامة امر المسلمين (٦) ولكنه سكت على مضض لكثرة القائلين بالتحكيم وضغطهم على الخليفة وأما سعيد بن قيس (٧) في همدان فكان متذبذب الرأي تارة هكذا وتارة هكذا لا يدرى أيهم يأخذ جانبه وهو على استعداد للانضمام الى الكثرة حين ما ج معظمهم وقالوا : اكلتنا الحرب وقتلت الرجال وليس الا المهادنة (٨) وقال قليل : نقاتل اليوم على ما قاتلناهم عليه أمس ثم رجعوا عن قولهم الى الجماعة وعندها قام علي بن أبي طالب في القوم خديبا يتحسر على نفسه وعليهم وقال : « انه لم يزل أمرى معكم على ما أحب الى ان أخذت منكم الحرب وقد والله أخذت منكم وتركت وأخذت من عدوكم فلم تترك وانها فيهم أنكى وأنهك الا انى كنت أمسك أمير المؤمنين فأصبحت اليوم مأمورا وكنت ناهيا فأصبحت منهايا وقد أحببتكم البقاء وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون » (٩) . فلما انتهى من كلامه قام قائم ربيعة

(٣) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٨٢ ، الطبري : التاريخ : ج ٥ .

(٤) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٨٢ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٢ . ص ١٦١ .

(٥) ابن قتيبة : الامامة والسياسة : ج ١ ص ١٠٢ ، ابن اعثم : الفتوح : ج ٢ . ص ١٨٠ .

(٦) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٤٩ ، المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ . ص ٤٠١ .

(٧) ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٢٦ ، ٤٢٧ .

(٨) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٨٤ ، ابن اعثم : الفتوح : ج ٢ . ص ١٨٢ .

(٩) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٨٢ ، ابن اعثم : الفتوح : ج ٢ . ص ١٨٢ .

« كردوس بن هانيء » يحث الناس على طاعة الخليفة فلما انتهى قام قائم بكر « شقيق بن ثور » يطلب المواعدة وكثر الكلام بين الناس (١٠) وعندما أدرك على أن الفرقة قد وقعت في أهل العراق ولا بد من عمل شيء ربما يدرك به ما حل بالقوم فقام خطيبا قال : « عباد الله اني أحق من أجاب الى كتاب الله ولكن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط وحبيب بن مسلمة وابن أبي سرح ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن واني أعرف بهم منكم، صحبتهم أطفالا وصحبتهم رجالا فكانوا شر أطفال وشر رجال وانها كلمة حق يراد بها باطل ، انهم والله ما رفعوها وهم يعرفونها ويعملون بها ولكنها الخديعة والوهن والمكيذة فأعيروني سواعدهم وجماعكم ساعة فقد بلغ الحق مقطعه ولم يبق الا أن يقطع دابر الذين ظلموا » (١١) . فما انتهى على بن أبي طالب من كلامه حتى أتاه زهاء عشرين ألفا من الرجال مقنعين في الحديد شاكي السلاح سيوفهم على عواتقهم وقد اسودت جباههم من السجود يتقدمهم مسعر (١٢) ابن فديكى التميمي من بني تميم وزيد بن حصين الطائي في طيء وعصاية القراء الذين صاروا (خوارج) فيما بعد فنادوه باسمه لا بأمر المؤمنين قالوا : يا على أجب الى كتاب الله اذا دعيت اليه والا قتلناك كما قتلنا ابن عفان فقال : ويحكم أنا أول من دعا الى كتاب الله وأول من أجاب اليه وليس يحل لي ولا يسعني في ديني ان أدعى الى كتاب الله فلا أقبله انما أقاتلهم ليدينوا بحكم القرآن فانهم قد عصوا الله فيما أمرهم ونقضوا عهده ونبذوا كتابه ولكني قد أعلمتكم أنهم قد كادوكم وانهم ليس العمل بالقرآن يريدون قالوا : فابعث الى الأشتر ليأتيك (١٣) وكان الأشتر صبيحة ليلة الهرير قد أشرف في مذبح على معسكر معاوية ليدخله ويأتي بالنصر لأهل العراق فأرسل على الى الأشتر بالعودة ، فقال الأشتر لرسول على يزيد بن هانيء : ليس هذه بالساعة التي ينبغي لك أن تزيلني فيها عن موقعي ، اني قد رجوت الله أن يفتح لي فلا تعجلني ، فرجع يزيد بن هانيء الى على فأخبره بموقف الأشتر وما هو الا قليل حتى ارتفع الغبار وعلت الأصوات من قبل الأشتر النخعي وظهرت له دلائل النصر فقال القوم لعلى : والله ما نراك الا أمرته بالقتال . قال : أرايتموني

(١٠) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٤٩ .

(١١) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٨٩ ، الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٤٨ .

٤٩ ، ابن اعثم : الفتوح : ج ٢ ص ١٨٢ ، ابن الاثير : الكامل : ج ٣ ص ١٦١ .

(١٢) اسمه مسعر بن فديكى بن اعيد بن اسعد بن منقر بن عبيد بن مقاعد بن عمرو بن

كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم من العرب العدنانية وفديكى بن اعيد هو فارس بنى سعد

في الجاهلية وكان هو وابنه مسعر في جيش على بصفين ثم هارا من الخوارج . ابن حزم :

الجمهرة : ص ٢١٦ ، ٢١٧ .

(١٣) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٩٠ ، ابن اعثم : الفتوح : ج ٢ ص ٨٢ ،

الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٤٩ ، ابن الاثير : الكامل : ج ٢ ص ١٦١ ، ابن كثير :

البداية والنهاية ج ٤ ، ص ٣٥٧ .

«ساررت رسولى اليه !! قالوا : فابعث اليه فليأت الآن والا اعتزلناك (١٤) فصاح على فى يزيد قائلا : اذهب وقل له يقبل فان الفتنة قد وقعت فاتاه وأخبره . فقال الأشتر : أرفع هذه المصاحف !! أما والله لقد ظننت أنها حين رفعت ستوقع اختلافا وفرقة وأنها من مشورة ابن النابغة - يعنى عمرو بن العاص - ثم قال ليزيد بن هانىء : أندع هذا ونصرف عنه !!؟ فقال له يزيد : أتحب أنك ظفرت هاهنا وأمير المؤمنين يسلم الى عدوه ؟ فقال : سبحان الله لا والله ما أحب ذلك . قال : فانهم قالوا : لترسلن الى الأشتر فليأتك أو لنقتلنك بسيوفنا كما قتلنا عثمان أو لنسلمك الى عدوك (١٥) فأقبل الأشتر حتى انتهى اليهم وصاح فيهم : يا أهل الذل والوهن امهلونى يسيرا فانى قد أحسست بالفتح ، قالوا : اذن ندخل معك فى خطيئتك قال الأشتر : فحدثونى عنكم وقد قتل أمائلكم وبقي أراذلكم ، متى كنتم محقين !!؟ حين كنتم تقتلون أهل الشام !!؟ فأنتم الآن حين أمسكنم عن القتال مبطلون !!؟ أم أنتم الآن فى أمسناكم عن القتال محقون !!؟ فقتلاكم الذين لا تنكرون فضلهم وكانوا خيرا منكم ، فى النار !!؟ قالوا : دعنا منك يا أشتر قاتلناهم فى الله وندع قتالهم فى الله ، وانا لسنا نطيعك فاجتنبنا . قال : خدعتم والله فانخدعتم ودعيتم الى وضع الحرب فأجبتم يا أصحاب الجبابة السود كنا نظن صلاتكم زهادة فى الدنيا وشوقا الى لقاء الله فلا أرى فراركم الا الى الدنيا ألقبحا لكم ، وسبوا وسبهم وضربوا بسياطهم وجهه دابته وضرب بسوطه وجوه نوابهم فصاح بهم على فكفوا ، وقال الأشتر : يا أمير المؤمنين احمل الصف على الصف يصرع القوم - مطالبيا بالحرب - فتصايح الناس من تميم وطى وكندة وغيرهم أن عليا أمير المؤمنين قد قبل الحكومة ورضى بحكم القرآن ولم يسعه الا ذلك (١٦) . فقال الأشتر : ان كان أمير المؤمنين قد رضى بحكم القرآن فقد رضيت بما رضى به أمير المؤمنين وأقبل الناس يشيعون : قد رضى أمير المؤمنين ، قد قبل أمير المؤمنين وهو ساكت مطرق الى الأرض ولم يسعه الا القبول كارها مضطرا (١٧) .

- (١٤) ابن قتيبة : الامامة والسياسة : ج ١ ص ١٠٣ ، الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٤٩ ، المسعودى : مروج الذهب ج ٢ ص ٤٠١ ، ابن الاثير : الكامل : ج ٢ ص ١٦١ .
ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٢٥٨ ، أبو اللداء : المختصر ج ١ ص ١٧٧ .
(١٥) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٩١ ، ابن اعثم : الفتوح : ج ٢ ص ١٨٢ ، الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٥٠ ، أبو اللداء : المختصر : ج ١ ص ١٧٧ .
(١٦) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٩٢ ، ابن اعثم : الفتوح : ج ٢ ص ١٩٢ ، الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٥١ .
(١٧) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٩٢ ، ابن الاثير : الكامل : ج ٢ ص ١٦١ .

بعث علي بن أبي طالب قراء من أهل العراق وبعث معاوية بن أبي سفيان قراء من أهل الشام فاجتمعوا بين الصنفين ومعهم المصحف فنظروا فيه وتدارسوه وأجمعوا على أن يحيوا ما أحيا القرآن وأن يميتوا ما أمات القرآن ثم رجع كل فريق إلى أصحابه وقال الناس : قد رضيينا بحكم القرآن وقال أهل الشام : فانا قد رضيينا واخترنا عمرو بن العاص حكما وقال الأشعث بن قيس الكندي والقراء الذين صاروا خوارج فيما بعد - يفرضون رأيهم على علي - فانا قد رضيينا واخترنا أبا موسى الأشعري فقال لهم علي : اني لا أرضى بأبي موسى ولا أرى أن أوليه (١٨) فقال الأشعث وزيد بن حصين ومسر بن فدكي انا لا نرضى الا به فانه قد حذرنا ما وقعنا فيه . قال علي فانه ليس لي برضا وقد فارقتني وخذل الناس عني وهذا ابن عباس أوليه ذلك فقالوا : والله ما نرضى : قال : فاني أجعل الأشتر . فقال الأشعث بن قيس وهل سعر علينا الأرض الا الأشتر ١١٤ وهل نحن الا في حكم الأشتر ! قال علي : وما حكمه ؟ قال : حكمه أن يضرب بعضنا بالسيف حتى يكون ما أردت وما أراد (١٩) . قال علي : يا قوم : ان معاوية لم يكن ليضع لهذا الأمر أحدا هو أوثق برأيه ونظره من عمرو بن العاص وانه لا يصلح للقرشي الا مثله فعليكم بعبد الله بن عباس فارموه فان عمرا لا يعقد عقدة الا حلها عبد الله ولا يحل عقدة الا عقدها ولا يبرم أمرا الا نقضه ولا ينقص أمرا الا أبرمه فقال الأشعث : لا والله لا يحكم فيها مضرين حتى تقوم الساعة ولكن اجعله رجلا من اليمن اذ جعلوا رجلا من مضر . قال علي : اني أخاف أن يخدع يمانيكم فان عمرا ليس من الله في شيء اذا كان له في أمر هوى . قال الأشعث والله لأن يحكما ببعض ما نكره وأحدهما من اليمن أحب إلينا من أن يكون بعض ما نحب في حكمهما وهما مضرين فقال علي : وقد أبيتم الا أبا موسى فاصنعوا ما أردتم اللهم اني أبرأ إليك من صنعهم (٢٠) . وهكذا انقلبت كندة وطى وتميم وغيرهم من حلفاء الأُمس إلى أعداء اليوم ، وثار حفيظة كندة وطى أن يحكم فيها قرشيان وظهرت عليهم عوارض العصبية فجأة وكانهم فطنوا إلى أن قریش هي التي أوقعت بهم في صنفين وراوا أنه لا بد لها من يمنى وان كره الخليفة حتى ولو لم يكن أهلا لها ، وأبوا الا أن يتمادوا في عصيانهم وتمردوا وكان هذا طبعهم

(١٨) ابن اعثم : الفتوح : ج ٢ ص ١٩٢ ، الدينوري : الأخبار الطوال : ص ١٩٢ .

(١٩) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٤٩ ، ٥٠٠ ، ابن اعثم : الفتوح : ج ٢

ص ١٩٤ ، الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٥١ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٦٢ ، أبو اللداء : المختصر : ج ١ ص ١٧٧ .

(٢٠) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٥٠٠ ، ابن اعثم : الفتوح : ج ٢ ،

ص ١٩٤ ، ابن قتيبة : الامامة والسياسة : ج ١ ص ١٠٢ ، الدينوري : الأخبار الطوال :

ص ١٩٢ ، المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ٤٠٢ .

الغالب من الخشونة والجفوة والبداوة فاستحقوا ما أنزله بهم خلفاء
بنى أمية من الشدة والبأس طوال عهدهم .

لما رضى أهل الشام بعمر بن العاص ورضى أهل العراق بأبي موسى
الأشعري (٢١) أخذوا في وضع كتاب الموادة (٢٢) ورضوا بحكم القرآن
واتخذ الحكمان دومة الجندل (٢٣) في رمضان فان لم يجتمعا لذلك اجتمعا
من العام المقبل بأذرح (٢٤) وأن يجيء على بأربعمائة من أصحابه فيشهدوا
الحكومة وكان ذلك في يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر
سنة ٣٧ هـ - ٦٥٧ (٢٥) .

وامعانا من أهل العراق في شقاقهم وعصيانهم وتمردهم وتشنت
أهوائهم كدأبهم وطبعهم الذي كانت تغلب عليه الخشونة والشقاق فانه
لما كتب كتاب الموادة والرضا بالتحكيم خرج الأشعث بن قيس بذلك
الكتاب يقرأه على الناس ويعرضه عليهم فمر به على صفوف أهل الشام
وراياتهم بأجمعها من حمير وكندة وعك والأشعرين ولخم وجذام وبجيلة
وخثعم وقضاعة وغيرهم فسمعوا ورضوا وأطاعوا (٢٦) لأن هذه كانت
طبيعة القبائل الشامية التي تخلقوا بها من سكناتهم للحضر ومجاورة الملوك
من الروم والفساسنة فقبلوا على طاعة أمرائهم والبيعة لهم على ذلك .
فلما جاء صفوف أهل العراق ورأياتهم ومعظمهم من الأعراب الجفاة ليقرأ
عليهم الكتاب مر برأيات عنزة (٢٧) وكان منهم بصفين مع على أربعة آلاف

(٢١) ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٦٣ . ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤
ص ٣٦٢ ، أبو اللداء : المختصر : ج ١ ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

(٢٢) انظر نص كتاب الموادة والرضا بالتحكيم بين على بن أبي طالب ومعاوية بن
أبي سفيان .

نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٥٠٤ - ٥٠٨ . ابن أعمش : الفتوح : ج ٢ .
ص ٢٠١ ، ٢٠٢ ، الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٥٣ ، ٥٤ ، ابن قتيبة : الامامة والسياسة :
ج ١ ص ٩٨ . ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة : ج ١ ص ١٩١ . أحمد زكي صفوت :
مهمرة رسائل العرب : ج ١ ص ٤٣١ .

(٢٣) دومة الجندل : حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبل طوى وكانت به بنو
كنانة من كلب .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٤٨٧ ، ٤٨٩ .

(٢٤) أذرح : بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة في نواحي البلقاء ، ياقوت :
المصدر السابق : ج ١ ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

(٢٥) أبو اللداء : المختصر : ج ١ ص ١٧٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ،
ص ٣٦٢ .

(٢٦) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٥١٢ .

(٢٧) عنزة بطن من ربيعة من العرب العدنانية ، انظر ما سبق عنها .

رجل مجفف (٢٨) فلما قرأ الكتاب عليهم صاح منهم فتیان أخوان أحدهما يدعى جعد والآخر معدان : « لا حكم الا لله » رافضين ما توصل اليه القوم وحملوا على أهل الشام بسيوفهما وقاتلا حتى قتلا على باب رواق معاوية (٢٩) وهما أول من حكم (٣٠) . ثم مر الأشعث بالكتاب على مراد (٣١) فقال صالح بن شقيق المرادى وكان من رؤسائهم :

ما لعل في الدماء قد حكم لو قاتل الأحزاب يوما ما ظلم

ثم قال : لا حكم الا لله ولو كره المشركون (٣٢) . ولما جاء الأشعث رايات بنى راسب (٣٣) ليقراً عليهم صاح فيه رجل منهم : « ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين » (٣٤) ، ولما جاء تميم خرج اليهم عروة بن أدية أخو مرداس بن أدية التميمي (٣٥) فقال : أتحكمون الرجال

(٢٨) المجفف : لباس التجفاف وهو من لباس الحرب ، انظر ما سبق في ذلك .

(٢٩) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٥١٢ .

(٣٠) الخوارج يسمون الحكمة لانكارهم أمر الحكيم وقولهم « لا حكم الا لله » ،

فهم يرون أنه لا يجب لعل بن أبي طالب أن يعرض حقه في الخلافة للتحكيم بين الناس لا سيما أن عثمان رفض التنازل عنها وقتل في سبيلها وأن المعركة وحدها هي التي يجب أن تنطق بحكم الله ، وعرفوا أيضا بالحرورية لما انسحبوا الى حروراء قرب الكوفة واعتزلوا عاليا .

ابن حزم : الفصل في الملل : ج ٤ ص ١١٢ ، ١٥٥ ، البغدادي : الفرق بين الفرق : ص ٥٧ ، الذوبختي : فرق الشيعة : ص ٦ .

(٣١) مراد : بطن من منحج من العرب القحطانية ، انظر ما سبق في ذلك .

(٣٢) نصر بن مزاحم : وقعة صفين .

(٣٣) بنو راسب بطن من شنوءة من الازد القحطانية وهم بنو راسب بن مالك

ابن ميدعان بن مالك بن نصر وهو شنوءة بن الازد بن الغوث منهم عبد الله بن وهب الراسبي رأس الخوارج في وقعة النهروان كان عابداً ذا رأي وفصاحة وشجاعة أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وشهد فتوح العراق مع سعد بن أبي وقاص وكان مع على في حروبه فلما وقع التحكيم وأدرك المكيدة فقد صوابه واعتزل امامه وترأس العصيان وحارب علياً في النهروان سنة ٢٨ هـ - ٦٥٨ م فهزم وقتل ولم ينج معن كان معه سوى تسعة نفر .

ابن عبد ربه : العقد اللريد : ج ٧ ص ٧٧ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٧٤ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٣٠١ ، النويري : نهاية الأرب : ج ٢ ص ٢١٣ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٢٣٩ ، هامش ١ نفس الصفحة ، عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب : ج ١ ص ٤١١ .

(٣٤) سورة الانعام : آية ٥٧ ، اللخرازي : التفسير الكبير : ج ٦ ص ٢٢٦ .

(٣٥) عروة بن أدية ومرداس بن أدية : خارجيان وأدية أمهما واليها نسباً وأبوهما

جبرير بن عامر بن عبد كعب بن بنى ربيعة بن حنظلة لوهم بطن من تميم من العرب العدنانية . وقيل أن عروة هو أول من نطق بـ « لا حكم الا لله » شعار الخوارج كناية عن رفضهم التحكيم الذي رضى به أهل الشام وأهل العراق في نهاية حرب صفين .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٢٣ .

فأمر الله ، لا حكم الا لله ، أين قتلتنا يا أشعث ١١٩ (٣٦) مع أن مسعر ابن فدكي التميمي كان من زعماء القراء المطالبين بوقف القتال حين أباه على فكانت تميم من القبائل المتخبطة كغيرها من أهل العراق ، ثم شد عروة بسيفه ليضرب به الأشعث فأخطاه وضرب عجز دابته فاندفعت به الدابة وصاح الناس : ان امسك يدك فكف ، ورجع الأشعث الى قومه من كندة التي كشرت عن أنيابها لاهانة كبيرها فمشى اليه خلق كثير من مضر واليمن وفيهم الأحنف بن قيس ومعقل بن قيس ومسعر بن فدكي ورجال من تميم فتنصلوا مما وقع من عروة واعتذروا فقبل منهم الأشعث وتركهم وانطلق الى علي (٣٧) .

لما جاء الأشعث بن قيس الكندي على بن أبي طالب بعدما وقع من بني مراد وعنزة وبني راسب وتميم ما وقع قال له : لقد عرضت الحكومة على صفوف أهل الشام وأهل العراق فقالوا جميعا قد رضينا حتى مررت برايات بني راسب ونبتذ من الناس سواهم فقالوا : لا نرضى ، لا حكم الا لله ، فلنحمل بأهل العراق وأهل الشام عليهم فنقتلهم (٣٨) فقال علي : هل هي راية أو رايتين ونبتذ من الناس ؟ قال الأشعث : بلى قال : فدعهم اذ ظن أنهم قليل لا يعبا بهم فما راعه الا نداء الناس من كل جهة وناحية لا حكم الا لله ، الحكم لله لا لك يا علي ، لا نرضى أن يحكم الرجال في دين الله ، ان الله قد أمضى حكمه في معاوية وأصحابه أن يقتلوا أو يدخلوا في حكمنا عليهم وقد كانت منا خطيئة وزلة حين رضينا بالحكمين فرجعنا وتبنا الى ربنا فارجع أنت يا علي كما رجعنا وتب الى الله كما تبنا والا برئنا منك (٣٩) ، قال علي : ويحكم أبعد الرضا والميثاق والعهد نرجع أوليس الله تعالى قال : « أوفوا بالعقود » (٤٠) وقال : « أوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون » (٤١) وأبى علي أن يرجع وأبت الخوارج الا تضليل

(٣٦) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٥١٣ ، المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ٤٠٣ ، الدينوري : الاخبار الطوال : ص ١٩٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٣٦٣ .

(٣٧) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤١٣ ، الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٥٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٣٦٣ .

(٣٨) نصر بن مزاحم : المصدر السابق : ص ٥١٣ .

(٣٩) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٥١٤ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ١٦٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٣٦٦ .

(٤٠) سورة المائدة آية ١ ، الفخر الرازي : التفسير الكبير : ج ٥ ص ٥٤٤ ، ٥٤٥ .

(٤١) سورة النحل : آية ٩١ ، الفخر الرازي : التفسير الكبير : ج ٩ ص ٦٢٣ ، ٦٢٦ .

التحكيم والظعن فيه وبرئوا من على وشهدوا عليه بالشرك وبرئ على منهم وعظمت الفتنة في أهل العراق بينما أهل الشام لا يسمع لهم صوت وانصرف الجميع من صفين إلى أوطانهم (٤٢) وعلى أية حال فأيا كان ما وقع فإن قبول مبدأ التحكيم في حد ذاته كان يحمل في طياته اعترافاً ضمناً بالشك في أحقية علي بن أبي طالب بالخلافة وهو ما رمى إليه كل من عمرو ومعاوية حين أمر الأخير برفع المصاحف بمشورة الأول حتى جاءت لهما الرياح أخيراً بما أحبوا واشتهوا وبما انتزعه عمرو من الاعتراف من أبي موسى في دومة الجندل على رؤوس الأشهاد من أهل الشام والعراق .

٢ - اجتماع الحكمين بدومة الجندل :

لما حل موعد التحكيم بين أهل الشام وأهل العراق على ما افترقوا عليه في صفين بعث علي أربعمائة رجل إلى المكان المتفق عليه في دومة الجندل وجعل عليهم شريح بن هانئ الحارثي ومعهم عبد الله بن عباس يصلي بهم ويلى أمورهم وفيهم أبو موسى الأشعري (٤٣) وكان آخر من ودعه الأحنف بن قيس من تميم أخذ بيده ثم قال له ينصحه ويحذره : يا أبا موسى « اعرف خطب هذا الأمر واعلم أن له ما بعده وأنتك إن أضعت العراق فلا عراق فاتق الله فإنها تجمع لك دنياك وآخرتك وإذا لقيت عمراً غدا فلا تبدأه بالسلام فإنها وإن كانت سنة إلا أنه ليس من أهلها ولا تعطه يدك فإنها أمانة وإياك أن يقعدك على صدر الفراش فإنها خدعة ولا تلقه وحده ، واحذر أن يكلمك في بيت فيه مخدع تخبأ فيه الرجال والشهود » (٤٤) . وكتب شاعر أهل العراق إلى أبي موسى يؤكد عليه العهد والإيمان ويحذره خطر ما هو مقدم عليه قال :

أبا موسى جزاك الله خيراً عراقك ان حظك في العراق
وانا لا نزال لهم عندوا أبا موسى الى يوم التلاق
فلا تجعل معاوية بن حرب اماما لنا ما مشيت قدم بساق (٤٥)

(٤٢) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٥١٨ ، ابن اعثم : الفتوح : ج ٢ ص ٢٠٤ ، الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٥٧ ، ٥٨ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٦٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٣٦٣ .

(٤٣) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٦٧ ، الدينوري : الأخبار الطوال : ص ٢٠٤ ، ابن حزم : الفصل في الملل : ج ٤ ص ١٥٦ ، ابن الأثير : ج ٣ ص ١٦٦ ، ١٦٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٣٦٨ .

(٤٤) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٥٣٦ .

(٤٥) نصر بن مزاحم : المصدر السابق : ص ٥٣٧ .

وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمائة رجل وسـار معه شرحبيل بن السمط الكندي في خيل عظيمة حتى اذا آمن عليه أهل العراق ودعه ثم قال : « يا عمرو انك رجل قريش وان معاوية لم يبعثك الا ثقة وانك لن تؤتى من عجز ولا مكيدة وقد عرفت انى وطأت هذا الأمر لك ولصاحبك فكن عند ظننا » ثم انصرف (٤٦) .

لما اجتمع الحكمان في دومة الجندل كان اذا كتب على بشىء الى صاحبه أتاه أهل الكوفة فقالوا : ما الذى كتب به اليك أمير المؤمنين ؟ فيكتمهم ، فيقولون له : كتمتنا ما كتب به اليك ، انما كتب فى كذا وكذا ، ثم يجيء رسول معاوية الى عمرو بن العاص فلا يدرى أحد فى أى شىء جاء ولا فى أى شىء ذهب ولا يسمع حول صاحبهم لغطا ، فأنب ابن عباس أهل الكوفة على ذلك وقال لهم : اذا جاء رسول الله قلتم بأى شىء جاء ؟ فان كتمكم قلتم : لم تكتمنا ؟ لقد جاء بكذا وكذا فلا تزالون توقفون وتقاربون حتى تصيبوا فليس لكم سر (٤٧) .

لما خلا الحكمان الى بعضهما كان رأى أبى موسى فى ابن عمر وكان يردد : « والله لو استطعت لأحيين سنة عمر » وأراده عمرو بن العاص على معاوية فأبى وأراده أبو موسى على عبد الله بن عمر بن الخطاب فأبى عليه عمرو (٤٨) ، وكان أبا موسى كان مقبلا على دومة الجندل وهو مضمر لخليع صاحبه فصدق حس على فيه حين رفض تفويضه ولكنه فرض عليه فرضا ، وعندما لم يتوصل الطرفان الى حل يرضى كلاهما سأل عمرو أبا موسى عن رأى فى ذلك فقال أبو موسى : نخلع هذين الرجلين عليا ومعاوية ثم نجعل الأمر شورى بين المسلمين يختارون لأنفسهم من شاءوا فقال له عمرو : الرأى ما رأيت ، وكان عمرو يقدم أبو موسى فى الكلام دائما ويقول له : انك صحبت رسول الله ﷺ قبل وأنت أكبر منى فتكلم أولا (٤٩) ، وعوده على أن يقدمه فى كل شىء فاغتره بذلك ليعده لليوم الموعود حين يقدمه ليبدأ بخلع على ، ولما حان وقت خروجهما للناس للأفضاء اليهم بما توصلا اليه قدم عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري ليتكلم قبله كما عوده فناداه ابن عباس : ويحك انى لأظنه قد خدعك فان كنتما قد اتفقتما على أمر فقدمه قبلك فيتكلم بذلك الأمر ثم تكلم أنت بعده فان عمرا رجل غدار ولا آمن أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك

(٤٦) نصر بن مزاحم : المصدر نفسه : ص ٥٣٦ ، الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٦٧ .
ابن الاثير : الكامل : ج ٣ ص ١٦٧ .

(٤٧) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٦٧ .

(٤٨) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٥٤٤ .

(٤٩) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٧٠ : ابن الاثير : الكامل : ج ٣ ص ١٦٧ .

وبينه فاذا قمت به في الناس خالفك (٥٠) ، ولكن أبا موسى لم يكن رجلا حصيفا بالمرّة ولم يكن على مستوى الحدث الذي قدم له في أي وجه من الوجوه وان كان تقيا عبادا ذا صحبة وسابقة الا أنه لم يكن يدرى في السياسة شيء ولم يكن أهلا للحديث باسم على فرضته يمانية العراق لمجرد أنه رجل من اليمن أعجبته تقواه يقارعون به رجلا من مضر وان لم يكن كفتا له وان حكم بما يكرهون حتى لا يحكم فيها مضريان ، فلعله الحقّد الكامن على قريش التي راح ضعيتها في صفين سبعين ألفا من القبائل معظمهم من اليمانية (٥١) .

لم يعبأ أبو موسى بنصيحة ابن عباس له وتقدم للكلام الى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس انا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر شيئا هو أصلح لأمرها ولم شعثها من ألا تتباين أمورها وقد أجمع رأيي ورأي صاحبي عمرو على خلع معاوية وأن نستقبل هذا الأمر فيكون شوري بين المسلمين فيولون أمورهم من أحبوا واني قد خلعت عليا ومعاوية فاستقبلوا أمركم وولوا من رأيتم له أهلا ثم تنحى وقعد وقام عمرو ابن العاص مقامه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ان هذا قال ما قد سمعتم وخلع صاحبه عليا وأخرجه من هذا الأمر الذي يطلب وهو أعلم به وأنا أخلع صاحبه كما خلعه وأثبت صاحبي معاوية في الخلافة على وعليكم فانه ولي عثمان والطلب بدمه وأحق الناس بمقامه وان أبا موسى عبد الله بن قيس قد كتب في الصحيفة أن عثمان قتل مظلوما شهيدا وأن لوليه أن يطلب بدمه حيث كان وقد صحب معاوية رسول الله ﷺ بنفسه وصحب أبوه السبي ﷺ فهو الخليفة علينا وله طاعتنا وبيعتنا على الطلب بدم عثمان (٥٢) فقال أبو موسى : مالك لا وفقك الله قد غدرت وفجرت انما مثلك مثل الكلب « ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث » فقال له عمرو : « انما مثلك مثل الحمار يحمل أسفارا » وحمل شريح بن هانيء من همدان على عمرو فقتله بالسوط وحمل على شريح ابن عمرو فضربه بالسوط وقام الناس فحجزوا بينهم (٥٣) والتمس أصحاب علي أبا موسى فوجدوه قد ركب

(٥٠) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٥٤٥ ، الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٧٠ ، أبو الفداء : المختصر : ج ١ ص ١٧٨ .

(٥١) ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٣٥٨ .

(٥٢) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٧١ ، ابن قتيبة : الامامة والسياسة : ج ١ ص ١١٣ ، المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ٣١ ، أبو حنيفة الدينوري : الأخبار الطوال : ص ٢٠١ ، أبو الفداء : المختصر : ج ١ ص ١٧٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٣٧٠ .

(٥٣) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٥٤٦ ، اليعقوبي : التاريخ : ج ٢ ص ١٩٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٣٧١ .

ناقته ولحق بمكة فقال ابن عباس : قبيح الله أبا موسى قد حذرت وأمرته
بالرأى فما عقل . وكان أبو موسى يقول بعدها : قد حذرتني ابن عباس
غدره الفاسق ولكنني اطمأنتت اليه وظننت أنه لن يؤثر شيئا على نصيحة
الأمة ، ثم انصرف عمرو وأهل الشام الى معاوية وسلموا عليه بالخلافة
فخرج من التحكيم أقوى مما كان (٥٤) ورجع ابن عباس وشريح بن هانئ
الى على بخيبة الأمل والرجاء (٥٥) .

ثانيا - ضم مصر الى طاعة أهل الشام :

١ - الاعداد لغزو مصر :

انتهت موقعة صفين وأحداث التحكيم سنة ٣٧ هـ - ٦٥٧ م وقتل
الخليفة على بن أبى طالب غيلة على يد عبد الرحمن بن ملجم المرادي (٥٦)
من الخوارج سنة ٤٠ هـ - ٦٦١ م (٥٧) وما بين سنة ٣٧ هـ وسنة ٤٠ هـ
استجذبت على الساحة أحداث ووقائع كانت كلها تنبئ بنهاية عصر الخلفاء
الراشدين بقرب زوال خلافة على بن أبى طالب ومعها سيادة أهل العراق ،
وقيام دولة جديدة فى بلاد الشام على أيدي القبائل التي رفعت معاوية على
أكتافها وكانت طوع أمره فى الوقت الذى كان هو نفسه شديد الحيلة
والحذر حسن التوقع والتخطيط بالغ المكر والدهاء لا يستعين برجل فى
أمر من أموره الا وله عصبية من قبيلته .

لما انصرف الناس من صفين سنة ٣٧ هـ قضوا بقيسة عامهم فى
تضميد جراحهم والبكاء على قتلاهم (٥٨) وكان أهل العراق فى انشقاق
وانقسام واختلاف على أنفسهم يكفر بعضهم بعضا (٥٩) بسبب القول فى

-
- (٥٤) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام : ص ١٠٩ .
(٥٥) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٧١ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٦٨ ،
أبو الفداء : المختصر : ج ١ ص ١٧٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٢٧١ .
(٥٦) من بنى مراد بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب من كهلان بن سبأ
من العرب القحطانية .
ابن حزم : الجمهرة : ص ٩٩ ، ٢٠٠ ، ٤٠٦ .
(٥٧) ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٩٦ .
(٥٨) انظر : الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٦٢ ، بكاء ثور ولماش وشبام على
قتلاهم ، وكلهم بطون من ممدان من العرب القحطانية .
ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٧٥ .
(٥٩) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٦٣ ، الدينورى : الاخبار الطوال : ص ٢٠٤ ،
البغدادى : الفرق بين الفرق : ص ٥٠ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٧٢ .

التحكيم وما انتهى إليه ، في حين لم يكن لأهل الشام صوت بينهم
 إلا لمعاوية بن أبي سفيان فكانوا أسرع من أهل العراق في لم شعثهم
 وتوحيد صفوفهم حيث ان كلا من علي ومعاوية لم يعتبر أن التحكيم قد
 أنهى الصراع بينهما وأن عليهم أن يبدأ من جديد (٦٠) ، وكان معاوية
 ابن أبي سفيان يدرك أن علي بن أبي طالب لن يدعه وشأنه وأنه لابد
 معاود الكرة عليه بعد أن يفرغ من أمر الخوارج ويجمع كلمة أهل
 العراق (٦١) وقد تكون هناك صفين أخرى أو ربما ما هو أظلم من صفين
 ولذلك فقد أخذ يعد للأمر عدته ويزن الأمور بميزانها الصحيح وكانت
 وجهته في هذه المرة الى ظهره مصر حتى لا يقع بين شقي الرعي العراق
 من أمامه ومصر من خلفه فلا يفاجئ بجيشين منهما يطبقان عليه في وقت
 واحد فضلا عن ترجيح كفته بها لكثرة أهلها وجندها ووفرة خراجها (٦٢)
 الذي يساعده في الاغداق على القبائل ليضمن طاعتها وولاءها .

في سنة ٣٨ هـ - ٦٥٨ م كانت مصر في طاعة علي بن أبي طالب
 وعامله عليها محمد بن أبي بكر وبها شيعة لعثمان بن عفان موالين لبني
 أمية مركزهم في مدينة خربتا (٦٣) وكان محمد بن أبي بكر في حرب
 دائمة معهم ، فلما قتلوا ابن مضاهم الكلبي الذي وجهه اليهم ابن أبي بكر
 خرج معاوية بن حديج السكوني الكندي فدعا الى الطلب بدم عثمان فأجابه
 ناس آخرون وفسدت مصر على محمد بن أبي بكر (٦٤) فرأى علي أن يوجه
 اليها الأشر النخعي من مذحج ليضبطها بدلا من محمد بن أبي بكر ، وكان
 الأشر من أشد أعداء معاوية وهو رجل الساعة وذراع على اليمنى فلما بلغ
 معاوية خبر خروجه الى مصر اغتم لذلك غما شديدا وبعث الى الجايستار
 - وهو رجل من أهل الخراج بمصر - ان خلصه من الأشر فلن يأخذ منه

(٦٠) انظر : المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ٤١٨ ، ابن الأثير : الكامل :
 ج ٣ ص ١٧٦ ، أبو اللداء : المختصر : ج ١ ص ١٧٩ .

(٦١) أبو اللداء : المختصر : ج ١ ص ١٧٩ .

(٦٢) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٩٧ .

(٦٣) خربتا من كور الحول الغربي في مصر قرب الاسكندرية وهي الآن خراب.
 لا يعرف

ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٣٥٥ ، سيده كاشف : مصر في فجر الاسلام :
 ص ١١٠ حاشية ٢ .

(٦٤) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٩٤ ، ابن تقي بردي : : النجوم الزاهرة : ج ١
 ص ١٠٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٤٠٩ ، سيده كاشف : مصر في فجر
 الاسلام : ص ١١٣ .

خارجا ما امتدت به الحياة (٦٥) فخرج الجايستار حتى أتى القلزم (٦٦) في طريق الأشتر فلما انتهى إليها استقبله وأنزله عنده وقدم له طعاما وعلفا لدوابه حتى اذا طعم أتاها بشربة من عسل جعل فيها سما وسقاه اياها فلما شربها مات من ساعته (٦٧) ، وكان معاوية يقول ، لأهل الشام في كل يوم : ان عليا وجه الأشتر الى مصر فادعوا الله أن يكفيكموه فكانوا كل يوم يدعون الله على الأشتر وأقبل الذي سقاه الى معاوية فأخبره بمهلكه فقام في الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وقال : أما بعد فانه كان لعلي بن أبي طالب يدان يمينان قطعت احدهما يوم صفين - يقصد عمار بن ياسر - وقطعت الأخرى اليوم - يعني الأشتر (٦٨) .

لما رأى معاوية بن أبي سفيان ما صار اليه حال مصر من الفوضى في ولاية محمد بن أبي بكر (٦٩) وهو حدث السن قليل الخبرة وما وقع فيه أهل العراق من قتال بعضهم البعض واختلافهم في الرأي وانشغالهم بفتنتهم قرر أن يرسل الى مصر حملة لغزوها فتكون في طاعته يقوى بها مركز أهل الشام ويضعف من موقف أهل العراق فضلا عن تأمين ظهره من ناحية مصر اذا مآذمه دهم من علي بن أبي طالب (٧٠) فجمع من كان معه من قریش : عمرو بن العاص وحبيب بن مسلمة وبسر بن أبي أرطاة والضحاك بن قيس وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ومن غيرهم : أبا الأعور عمرو بن سفيان السلمي وحمزة بن مالك الهمداني وشرحبيل بن السمط الكندي وقال لهم : أتدرون لم دعوتكم ؟ فقال عمر بن العاص :

(٦٥) المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ٤١٨ ، ابن تقي بري : النجوم الزاهرة : ج ١ ص ١٠٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٤٠٩ ، سيده كاشف : مصر في فجر الاسلام : ص ١١٣ .

(٦٦) القلزم : بلدة على ساحل بحر اليمن قرب ايلة والطور ومدين والى هذه المدينة ينسب هذا البحر وموضعها اقرب الى البحر لأن بينها وبين القرما أربعة أيام وهي في طريق مصر للقادم من الشام .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

(٦٧) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٩٦ ، المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ٤٢١ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٨٠ أبو الفداء : المختصر : ج ١ ، ص ١٧٩ ، ابن تقي بري : النجوم الزاهرة : ج ١ ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٤٠٩ ، الكندي : الولاة والقضاة : ص ٢٠ - ٢٤ ، المقرئ : الخطط : ج ٦ ص ٢٣٦ ، سيده كاشف : مصر في فجر الاسلام : ص ١١٢ .

(٦٨) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٩٦ .

(٦٩) الكندي : الولاة والقضاة : ص ٢٨ ، المقرئ : الخطط : ج ٣ ص ٢٢٧ ، سيده

كاشف : مصر في فجر الاسلام : ص ١١٤ .

(٧٠) سيده كاشف : مصر في فجر الاسلام : ص ١١٤ .

أرى والله قد أهمك أمر هذه البلاد الكثير خراجها والكثير عددها وعدد أهلها فدعوتنا لتسألنا عن رأينا (٧١) فإن كنت لذلك دعوتنا وله جمعتنا فاعزم وأقدم ونعم الرأي رأيت ففي افتتاحها عزك وعز أصحابك وكبت عدوك وذل أهل الخلاف عليك فحمد معاوية الله وأثنى عليه ثم قال : قد رأيتم كيف صنع الله بكم في حرب عدوكم اذ جاءوكم وهم لا يرون الا أنهم سيقبضون بيضتكم ويخربون بلادكم فردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرا مما أحيوا وحاكمناهم الى الله فحكم لنا عليهم ثم جمع لنا كلمتنا وأصلح ذات بيننا وجعلهم أعداء متفرقين يشهد بعضهم على بعض بالكفر ويسفك بعضهم دم بعضي والله اني لأرجو أن يتم لنا هذا الأمر وقد رأيت أن نحاول أهل مصر فكيف ترون يتم ذلك (٧٢) ؟ قل عمرو : قد أخبرتك عما سألتني عنه فقال معاوية : ان عمرا قد عزم وصرم ولم يفسر فكيف لي أن أصنع ؟ قال عمرو : اني أشير عليك أن تبعث جيشا كنيفا عليهم رجل حازم صارم تامنه وثثق به فيأتي مصر حتى يدخلها فانه سيأتيه من كان من أهلها على رأينا فيظاھره على من بها من عدونا فاذا من بها من جندك ومن بها من شيعتك على من بها من أهل حربك وأرجو أن يعين الله بنصرك وأرى أن نكتب أولا من بها من شيعتنا ومن بها من أهل عدونا فاما شيعتنا فنأمرهم بالثبات على أمرهم ثم نمنّيهم قدومنا عليهم وأما من بها من عدونا فنأمرهم الى صلحنا ونمنّيهم شكرنا ونخوفهم حربنا فان صلح لنا ما قبلهم بغير قتال فذاك ما أحببنا والا كان حربهم من وراء ذلك كله (٧٣) .

كتب معاوية الى مسلمة بن مخلد الأنصاري والي معاوية بن حديج السكوني وكانا قد خالفا عليا بمصر وتزعما شيعة عثمان بها : « بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الله قد ابتعثكما لأمر عظيم أعظم به أجركما ورفع به ذكركما وزينكما به في المسلمين وهو طلبكما بدم الخليفة المظلوم وغضبكما لله اذ ترك حكم الكتاب وجاهدتما أهل البغي والعنوان فابشروا برضوان الله عز وجل وعاجل نصر أوليائه والمواساة لكما في الدنيا وسلطاننا حتى ينتهي في ذلك ما يرضيكما ونؤدي به حقكما الى

(٧١) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٩٨ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٧٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٤٠٩ ، سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام : ص ١١٤ .

(٧٢) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٩٨ .

(٧٣) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٩٩ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٨٠ ، سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام : ص ١١٤ .

ما يصير أمركم اليه . فاصبروا وصابروا وادعوا المدير الى هداكم
وحفظكم فان الجيش قد أقبل عليكم والسلام » (٧٤) .

خرج رسول معاوية حتى قدم مصر برسالة فكتب مسلمة عن نفسه
وعن معاوية بن حديج الى معاوية بن أبي سفيان جواب كتابه بما نصه :
« أما بعد فان هذا الامر الذى بذلنا له أنفسنا وابتعنا أمر الله فيه ، أمر
نرجو به ثواب ربنا والنصر ممن خالفنا وتعجيل النعمة لمن سعى على أماننا .
ونحن بهذا الحيز من الأرض قد نفينا من كان به من أهل البغى وأنهضنا
من كان به من أهل القسط والعدل وقد ذكرت المواساة فى سلطانك
ودنياك وبالله ان ذلك لأمر ماله نهضنا ولا إياه أردنا فان يجمع الله لنا
ما نطلب ويؤتنا ما تمنينا فان الدنيا والآخرة لله رب العالمين وقد يؤتيهما
الله ما عالا من خلقه كما قال فى كتابه ولا خلف لموعده : « فأتاهم الله
ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين » (٧٥) عجل علينا
خيلك ورجلك فان عدونا قد كان علينا حربا وكنا فيهم قليلا فأصبحوا
لنا هائبين وأصبحنا لهم مقرنين فان يأتنا الله بمدد من قبلك يفتح الله
عليكم ولا حول ولا قوة الا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل والسلام
عليك » (٧٦) .

٢ - حملة عمرو بن العاص على مصر :

جاء هذا الكتاب الى معاوية وهو يومئذ بفلسطين فأرسل عمرو بن
الناص الى مصر فى ستة آلاف رجل من كندة ولخم جذام وخرج معه يودعه
ويوصيه قال : أوصيك يا عمرو بتقوى الله والرفق فانه يدين بالمهل
والتؤدة فان العجلة من الشيطان وبأن تقبل ممن أقبل وأن تغفو عن أدبر
فان قبل فيها ونعمت ، وان أبى فان السطوة بعد المعذرة أبلغ فى الحجة
وأحسن فى العاقبة وادع الناس الى الصلح والجماعة فاذا أنت ظهرت
فليكن أنصارك آثر الناس عندك (٧٧) . وخرج عمرو يسير حتى نزل
أداني مصر فاقبلت العثمانية اليه وكتب الى محمد بن أبى بكر : « أما بعد .
فتنح عنى بدمك يا ابن أبى بكر لا أحب أن يصيبك منى ظفر فان الناس

(٧٤) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٩٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ،

ص ٤١٠ .

(٧٥) سورة آل عمران : آية ١٤٨ .

(٧٦) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ١٠٠ .

(٧٧) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ١٠٠ ، ١٠١ ، ابن كثير : البداية والنهاية :

ج ٤ ص ٤١٠ .

قد اجتمعوا على خلافك ورفض أمرك وندموا على اتباعك فهم مسلموك
لو التقت حلقتا البطان فاخرج منها فاني لك من الناصحين والسلام » (٧٨)
وكتب محمد بن أبي بكر الى عمرو بن العاص : « أما بعد فقد فهمت
كتابك . . زعمت أنك تكره أن يصيبني منك ظفر وأشهد أنك من المبطلين
وتزعم أنك لى نصيح وأقسم أنك عندى ظنين وتزعم أن أهل البلد رفضوا
رأى وأمرى وندموا على اتباعى فأولئك لك وللشيطان الرجيم أولياء
فيحسبنا الله رب العالمين وتوكلنا على الله رب العرش العظيم
والسلام » (٧٩) .

خرج محمد بن أبي بكر فى ألفى رجل ومعه حليفه كنانة بن بشر
التجيبى فى مثلهم للقاء عمرو بن العاص فلما دنا عمرو من كنانة
بالمسناة (٨٠) فى صفر سنة ٣٨ هـ - ٦٥٨ م سرح اليه الكتائب كتيبة
بعد كتيبة فجعل كنانة لا تأتيه كتيبة من كتائب أهل الشام الا شد عليها
بمن معه وفعل ذلك مرارا فلما رأى عمرو ذلك بعث الى معاوية بن حديج
السكونى فأتاه بمثل الدهم فى قوم من كندة والكسون فأحاط بكنانة
وأصحابه واجتمع عليهم أهل الشام من كل جانب فلما رأى ذلك كنانة
ابن بشر نزل عن فرسه ونزل أصحابه وضربوا بالسيوف حتى قتلوا
وأقبل (٨١) عمرو بن العاص نحو محمد بن أبي بكر وقد تفرق عنه
أصحابه لما بلغهم قتل كنانة حتى بقى وما معه أحد من أصحابه فخرج
يمشى حتى انتهى الى خربة فى ناحية الطريق فأوى اليها وجاء عمرو بن
العاص حتى دخل الفسطاط وخرج معاوية بن حديج فى طلب محمد حتى
انتهى الى ناس فى قارة الطريق فسألهم عن غريب مر بهم فدلوا عليه
فأخذ وقتل (٨٢) .

-
- (٧٨) ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٤١٠ .
(٧٩) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ١٠٢ ، ١٠٣ ، المسعودى : مروج الذهب :
ج ٢ ص ٤٢١ ، ابن الاثير : الكامل ج ٣ ص ١٨٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤
ص ٤١٠ ، ٤١١ .
(٨٠) المسناة : مكان بين عين شمس وأم دنين شمالى القاهرة .
ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ١٢٩ ، سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام :
ص ١١٥ حاشية ١ .
(٨١) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، المسعودى : مروج الذهب : ج ٢
ص ٤٢١ ، ابن الاثير : الكامل : ج ٣ ص ١٨٠ ، أبو الفداء : المختصر : ج ١ ص ١٧٩ ،
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة : ج ١ ص ١٠٤ ، الكندى : الولاة والقضاة : ص ٢٩ ،
المريزى : الخطط : ج ٢ ص ٣٣٧ ، سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام : ص ١١٥ .
(٨٢) الكندى : الولاة والقضاة : ص ٢٩ ، سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام :
ص ١١٥ .

كتب عمرو بن العاص الى معاوية بن أبي سفيان بعد قتله محمد بن أبي بكر وكنانة بن بشر : « أما بعد فانا لقينا محمد بن أبي بكر وكنانة ابن بشر في جموع جمعة من أهل مصر فدعوناهم الى الهدى والسنة وحكم الكتاب فرفضوا الحق وتوركوا الضلال فجاهدناهم واستنصرنا الله عليهم فضرب الله وجوههم ومنحونا أكتافهم فقتل محمد بن أبي بكر وكنانة بن بشر وأماثل القوم والحمد لله رب العالمين والسلام » (٨٣) وهكذا خرجت مصر من طاعة علي بن أبي طالب وأهل العراق الى طاعة معاوية بن أبي سفيان وأهل الشام (٨٤) فكان ذلك وهنا وضعفا على أهل العراق يضاف الى خلافهم وقتالهم لبعضهم وقوة وبأسا لأهل الشام تضاف الى تماسكهم وطاعتهم وأمنا لظهرهم ومددا لهم بالمال والرجال .

ثالثا - حملات معاوية بن أبي سفيان ضد علي بن أبي طالب :

أعطى استيلاء معاوية بن أبي سفيان على مصر قوة كبيرة له دفعته لأن يهاجم علي بن أبي طالب في عقر داره مستغلا تأمين ظهره من ناحية مصر وطاعة القبائل الشامية له وانشغال معظم جيوش خصمه في حرب الخوارج وهدفه من ذلك تقليص أظافر أهل العراق والحسد من شوكتهم والنيل من علي وممن معه واعلاء كلمة أهل الشام تمهيدا لحسم الصراع لصالحه في جولة كانت آتية لا محالة بين القبائل العراقية والشامية لو لم يقتل علي بن أبي طالب سنة ٤٠ هـ - ٦٦١ م .

١ - فتنة ابن الحضرمي في البصرة :

في أواخر سنة ٣٨ هـ - ٦٥٨ م لما قتل محمد بن أبي بكر بمصر ودانت بالطاعة لمعاوية بن أبي سفيان (٨٥) خرج ابن عباس من البصرة (٨٦) وكان واليا عليها لعلي بن أبي طالب ورحل اليه بالكوفة (٨٧)

(٨٣) الطبري التاريخ : ج ٥ ص ١٠٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٤١١ ، أبو الفداء : المختصر : ج ١ ص ١٧٩ .

(٨٤) سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام : ص ١٦١ .

(٨٥) المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ٤٢١ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ، ص ١٨٠ .

(٨٦) ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ٤٣٠ - ٤٤٠ ، استرنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ٦٥-٦٧ .

(٨٧) ياقوت : المصدر نفسه : ج ٤ ص ٤٩٠ - ٤٩٤ ، استرنج : المرجع السابق ، ص ١٠١ ، ١٠٣ .

للتشاور بعد أن استخلف عليها زياد بن عبيد (٨٨) وكانت عيون معاوية تأتيه بأخبار علي بن أبي طالب وأهل العراق أولا بأول وكان هو نفسه لا يغفل عنهم متربصا يتحين الفرص لينفذ إلى داخلهم ليشنت شملهم أكثر مما كان مشتتا انطلاقا من مبدأ الهجوم خير وسيلة للدفاع ومن ثم فقد حرص معاوية بن أبي سفيان منذ استولى على مصر على أن يظل مهاجما حتى وفاة علي بن أبي طالب مما هيا له أفضل السبل لاقامة صرح دولته وهو ما نحاول أن نبينه في العرض التالي .

استهل معاوية حملاته ضد أهل العراق بتصدير الفتن والقلاقل اليهم في موطنهم فلما علم برحيل ابن عباس عن البصرة وهي ثاني العراقيين بعد الكوفة ومعظم أهلها من العثمانية وعهدهم بموقعة الجمل ليس بعيدا أرسل اليهم رجلا يدعى عبد الله بن الحضرمي في جمع من قومه من حضارمة الشام يؤلب أهلها ضد علي بن أبي طالب ويدعوهم إلى الخروج عن طاعته (٨٩) والطلب بدم عثمان وإدراك ثأرهم لمن قتل منهم في موقعة

(٨٨) هو زياد بن عبيد مولى ثقيف من أشهر ولاية بنى أمية كان فصيحاً ذا لغة وبيان ، وينسب إلى أمه أحيانا فيقال زياد بن سمية ، واختلف في نسبه لقليل زياد بن أبيه « أبا كان » وأدعاه أبو سفيان بن حرب واستلحقه معاوية فقل زياد بن أبي سفيان ، وسمية أمه كانت امرأة من أهل زندورد من كسكر بفارس كانت تسمى « أمنج » سبأها الكواء اليشكري أبو « عبد الله بن الكواء » وسماها سمية فكانت عنده ما شاء الله حتى مرض ببطنه فأتى الحارث بن كلدة الثقفي طبيب العرب بالطائف فداواه وبرأ فوهب له سمية ، يقال أنها كانت أمة لدمقان الأبله وكان مريضا فعالجه الحارث بن كلدة فوهبه سمية فولدت له علي فراه غلاما سماه نافعا ثم جاءت به غلام آخر سماه ذفيح وهو أبو بكر مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أسود فقال الحارث والله ما هذا بابني ولا كان في أبيائي أسود فنسب أبو بكر إلى مسروح غلام الحارث بن كلدة ونفى نافعا بسبب أبي بكر ، ثم أن الحارث بن كلدة تزوج صفية بنت عبيد بن أسيد بن علاج الثقفي ومهرها سمية فزوجتها عبدا لها روميا يقال له عبيد فولدت منه زيادا فاعتقته صفية ، وقد شهد المنذر بن الزبير على قول علي بن أبي طالب باعتراف أبي سفيان أن زيادا ابنه قال : لما قدم زياد من عند أبي موسى بعد فتح تستر إلى عمر بن الخطاب بالمدينة أمره أن يتكلم فيخبر الناس بفتح تستر فتكلم زياد فأبلغ ، فأعجب الناس من بيانه وقالوا : « أن ابن عبيد الخطيب » قال علي بن أبي طالب : فسمع ذلك أبو سفيان بن حرب فأقبل على وقال : « ليس بابن عبيد وأنا والله أبوه ما أقره في رحم أمه غيري » قلت : فما يمنعك منه ؟ قال : « الخوف من هذا » يعني عمر بن الخطاب فكان آل زياد يشكرون ذلك للمنذر بن الزبير ، ولما جاء معاوية بن أبي سفيان إلى الخلافة اعترف له بنسبه إلى أبي سفيان واستعمله على العراق فضبطه له .

المصعب الزبيري : نسب قريش : ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، البلاذري : أنساب الأشراف : ج ١ ص ٤٨٩ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٢٣ ، ٢٨٦ .

(٨٩) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ١١٠ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٨١ .

الجمال ، وكانت البصرة في ذلك الوقت تمر بفترة فوضى داخلية بانقسام أهلها العرب من تميم من مضر وعبد القيس وبكر بن وائل من ربيعة والأزد من القحطانية الى فريقين متنافرين لم يأت في صورة تقتل ربيعة كلها في جانب والأزد في جانب آخر إنما كان بين الفريقين بعض الزعامات الفردية تميل الى هذا الجانب أو ذاك في النزاع حول السيادة بين سلطان علي أو سلطان معاوية (٩٠) وفي ظل هذه الظروف نزل ابن الحضرمي ديار بني تميم بالبصرة لأن أكثرهم كانوا جند علي في موقعة الجمل (٩١) ثم انشقوا عليه بعد التحكيم وصاروا خوارج لا يرون رأيه فانصاعوا لابن الحضرمي نكاية فيه ، وأتته العثمانية من كل مكان وجاءه غيرهم يستمعون الى دعوته وما جاء من أجله ، وسرعان ما ظهر الخلاف والجدل اذ أعلن الضحاك بن قيس الهلالي وكان على شرطة البصرة رفضه فتنة ابن الحضرمي والعودة الى سفك الدماء بعد أن آمن الناس ورضوا خلافة علي بن أبي طالب بينما عارضه عبد الله بن خازم السلمي واستهان به وعرض نصرته لابن الحضرمي الذي قرأ عليهم كتاب معاوية يذكرهم فيه بآثار عثمان فيهم وحبه للعافية وسده ثغورهم ويذكر قتلته ويدعوهم الى الطلب بدمه ويقدم لهم العهد والضمان أن يعمل فيهم بالسنة والكتاب كما أغراهم بالمال ووعدهم بصرف قيمة عطاءين في العام الواحد ، وحدث الانقسام بين الناس فمنهم من رأى الاعتزال مثل الأحنف بن قيس سيد تميم الذي قال : لا ناقة لي ولا جمل في هذا وانقسم رأى عبد القيس من ربيعة بين عمرو بن مرطوم الذي آثر الولاء لعلي وبين عباس بن صحرار العبدى الذي خالف قومه عبد القيس في الولاء لعلي . ووقعت الفوضى في القوم (٩٢) .

لما رأى زياد بن عتبة والى البصرة نزول ابن الحضرمي ديار بني تميم يدعوهم الى طاعة بني أمية واجارتهم له استجار بربيعة لئلا تمنعه ان عددا عليه ابن الحضرمي ومن معه من تميم فأرسل الى حضين بن المنذر ومالك ابن مسمع من سادة ربيعة يقول : أنتم يا معشر بكر بن وائل من أنصار أمير المؤمنين وثقاته وقد نزل ابن الحضرمي حيث ترون وآتاه من آتاه فامنعوني حتى يأتى رأى أمير المؤمنين ، فكان الانقسام بين شيوخهم اذ أجابه حضين وتثاقل عنه مالك - وكان رأيه مائلا لبني أمية وأجار مروان ابن الحكم يوم الجمل - وقال لزياد : هذا أمر لي فيه شركاء أستشير

(٩٠) ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٨٢ ، محمد أمين صالح : العرب والاسلام : ص ٢٥٩ .

(٩١) ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ، ص ٣٠٦ .

(٩٢) ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ١٨٢ ، محمد أمين صالح : العرب والاسلام : ص ٢٥٩ .

وانظر (٩٣) ، فلما رأى زياد تناقل مالك عنه خشي أن تختلف فيه ربيعة ويضيع عليه الوقت فتحول عن ربيعة من مضر الى الأزد من اليمن وارسل الى صبرة بن شيمال الحداني من بنى الحدان (٩٤) من الأزد يقول له : ألا تجيرونى وببيت مال المسلمين فانه فيؤكم وأنا أمين أمير المؤمنين . قال صبرة بلى ان حملته ونزلت دارى قال : فانى حامله وخرج حتى أتى الحدان ونزل زياد دار صبرة بن شيمان وحول بيت المال والمنبر فوضعه فى مسجد الحدان فكان يصلى به الجمعة ويطعم الطعام وهو فى حمايتهم وليس معه الا خمسون رجلا فقط من أهل البصرة (٩٥) وان دل هذا على شيء فانما يدل على أن هذا البلد لم يكن هواه فى على لأن معظمهم موتورون وليس أدل على ذلك من خذلانهم لواليد أمام ابن الحضرمي ومن ولاء من تميم وان كانت الأزد قد قبلت اجازة الوالى فلم يكن هذا بدافع العصبية والتمنافس بين ربيعة من مضر والأزد من اليمن (٩٦) .

لما انتقل زياد الى حماية الأزد ونزل دار الحدان بالبصرة أحب أن يطمئن على نفسه ان هاجمته تميم فقال لجابر بن وهب الراسبي : يا أبا محمد انى لا أرى ابن الحضرمي يكف عن ما جاء اليه ولا أراه الا سيقاتلكم ولا أدري ما عند أصحابك فانظر لى ما عندهم ، فلما صلى زياد جلس فى المسجد واجتمع اليه الناس فقال جابر : يا معشر الأزد ان تميمًا تزعم أنهم هم الناس وأنهم أصبر منكم عند البأس وقد بلغنى أنهم يريدون أن يسيروا اليكم حتى يأخذوا جاركم ويخرجوه من المصر قسرا فكيف أنتم اذا فعلوا ذلك وقد أجرتموه وبيت مال المسلمين ؟ قال صبرة بن شيمان - وكان رجلا مفخما يحب الفخر - : ان جاء الاحنف جئت وان جاء الحنات جئت وان جاء شبان ففينا شبان ، فضحك زياد ونهض وكان يقول بعدها : ما كدت مكيدة قط كنت بها أقرب الى الفضيحة منى يومئذ لما غلبنى من الضحك (٩٧) .

لم يركن زياد الى حماية بنى الحدان من الأزد له لأن تميمًا وربيعة كانتا أكثر منها عددا وقوة فكتب الى على بالكوفة يقول : « ان ابن الحضرمي

(٩٣) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ١١٠ .

(٩٤) هم بنو الحدان بن شمس بن عمرو من القحطانية .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٧٤ .

(٩٥) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ١١٠ ، ابن الاثير : الكامل : ج ٣ ،

ص ١٨٢ .

(٩٦) محمد أمين صالح : العرب والاسلام : ص ٢٦٠ .

(٩٧) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ١١١ ، ابن الاثير : الكامل : ج ٣ ص ١٨٢ .

أقبل من الشام فنزل ديار بني تميم ونعى عثمان ودعا الى الحرب وبايعته تميم وكل أهل البصرة ولم يبق معي من امتنع به فاستجرت لنفسى ولبيت المال صبرة بن شيمان وتحولت فنزلت معهم فشيعة عثمان يختلفون الى ابن الحضرمي فوجه الى أعين بن ضبيعة المجاشعي ليفرق قومه من تميم عن ابن الحضرمي فانظر ما يكون منه فان فرق جمع ابن الحضرمي فذلك ما نريد وان أدت الأمور بهم الى التصادى في العصيان فأنهض اليهم وأجاهدهم ، فان رأيت ممن قبلك بالكوفة تشاقلأ فدارهم وطاولهم فكان جنود الله قد أظلتك تقتل الظالمين(٩٨) » وكان عامة جند العراق في حرب الخوارج « (٩٩) . وفي اشارة زياد الى تشاقل أهل الكوفة عن علي ما يوحى بأنهم لم يكونوا بخير من أهل البصرة لتقاعسهم عن نصره صاحبهم وأنهم جميعا على ما يبدو كانوا قد سئموا الحرب ودماءها بعد ما كان من الجمل وصفين ثم ما أصبحوا فيه من حرب الخوارج في الشرق ومعاقبة في الغرب فكرهوا الحرب وركنوا الى الدعة والراحة وكلما استصرخهم على نصرته رفضوا أمره حتى أنه ضج منهم وكثيرا ما كان يبدي لهم ندمه على خروجه اليهم من المدينة وقال لهم ذات مرة يعنفهم « بأن المغرور والله من قله غررتموه » (١٠٠) .

لما أرسل علي بن أبي طالب أعين بن ضبيعة المجاشعي التميمي الى البصرة كطلب زياد ليخذل قومه من تميم عن ابن الحضرمي ، حضر فنزل عند زياد ثم أتى قومه من تميم وجمع رجلا ونهض الى ابن الحضرمي ليرده عن البصرة فشتمه خلق من تميم وناوشوه فانصرف عنهم ، فلما أتى منزله دخل عليه جماعة منهم وقتلوه (١٠١) فغضب زياد وأراد أن يقتل بني تميم بمن معه من الأزد فأرسلت بنو تميم الى الأزد تقول : انا لم نعرض لجاركم ولا لأحد من أصحابه فماذا تريدون الى جارنا وحربنا فاستجابت الأزد لبني تميم وكرهوا القتال وقالوا : ان عرضوا لجارنا منعناهم وان يكفوا عن جارنا كففنا عن جارهم وأمسكوا (١٠٢) .

لم يستبشر زياد خيرا بما اتفقت عليه كل من الأزد وتمر طالما بقي ابن الحضرمي في حماية بني تميم يدعو الى الفتنة بالبصرة فأرسل الى علي ابن أبي طالب يعلمه بما حدث من أمر أعين بن ضبيعة ويحذره من خطورة

-
- (٩٨) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ١١١ .
 - (٩٩) الدينوري : الأخبار الطوال : ص ٢١٩ .
 - (١٠٠) ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٤١٧ .
 - (١٠١) ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٨٢ .
 - (١٠٢) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ١١١ .

الموقف (١٠٣) فوجه اليه على بن أبي طالب جارية بن قدامة السعدي أحد بنى سعد من تميم (١٠٤) في خمسمائة رجل وكتب اليه كتابا يصبو رأيه فيما صنع وأمره بمعونة جارية والاشارة عليه ، فلما قدم جارية البصرة وآتى زيادا قال له : تهيباً واحتفز واحذر أن يصيبك ما أصاب صاحبك ولا تثقن بأحد من القوم ، فمضى جارية الى بنى تميم وقرأ عليهم كتاب على ووعدهم ومناهم فأجابه أكثرهم فانطلق الى ابن الحضرمي وحاصره في دار سنبل التميمي ثم أحرقها عليه وعلى من معه وتفرق الناس (١٠٥) ورجع زياد الى دار الامارة وكتب الى على مع فبيان بن عارة وكان ممن قدم مع جارية : « ٠٠٠ ان جارية قدم علينا فसार الى ابن الحضرمي حتى اضطره الى دار من دور بنى تميم في عدة رجال من أصحابه بعد الاعتذار والانذار والدعاء الى الطاعة فلم ينيبوا ولم يرجعوا فأضرم عليهم النار وهدم عليهم دارهم فبعدا لمن طغى وعصى » (١٠٦) .

ومع أن فتنة ابن الحضرمي انتهت بمقتله الا أنها كانت نذير سوء من أهل البصرة ضد على بن أبي طالب لايوائهم له ونصرتهم اياه كما بينت مقدرة معاوية بن أبي سفيان في اختراق جهة على بن أبي طالب وتصدير الفتن والقلقل لايه في عقر داره مستغلا ما وصلت اليه حال القبائل العراقية من سأم القتال وتقاعسهم عن نصره الخليفة وسهولة استمالتهم بالعطاء وكراهية الحرب والركون الى الدعة وهو ما لم يقدر عليه على ابن أبي طالب مع أهل الشام لترابطهم وتماسكهم خلف أميرهم .

٢ - حملة الأنعمان بن بشير الأنصاري على عين التمر :

ابتداء من سنة ٣٩ هـ - ٦٥٩ م أخذ معاوية بن أبي سفيان يرسل الحملات العسكرية للاغارة على اطراف العراق لاشاعة الذعر والفوضى وأخذ البيعة له بالخلافة وتأكيدا لسيادة أهل الشام وسيطرتهم على الموقف ، فوجه النعمان بن بشير الأنصاري في ألفي رجل من أخلاط القبائل بالشام الى عين التمر (١٠٧) للاغارة عليها وكان بها مالك بن

(١٠٣) انظر : الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ١١٢ .

(١٠٤) هم بنو سعد بن الهجيم بن عمرو بن تميم .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٠٩ .

(١٠٥) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ١١٢ ، ابن الاثير : الكامل : ج ٣ ص ١٨٢ .

(١٠٦) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ١١٢ .

(١٠٧) عين التمر : بلدة قديمة افتتحها المسلمون أيام أبي بكر سنة ١٢ هـ على يد خالف

ابن الوليد عنوة فسبى نساءها وقتل رجالها وهي قريبة من الأنبار غربي الكوفة على طرف البرية منها يجلب القصب والتمر الى سائر البلاد وهو بها كثير جدا .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ١٧٦ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ٩٠ ،

١٠٨ .

كعب الأرحبي مسلحة لعل في مائة رجل فكتب الى علي يخبره بأمر النعمان ومن معه (١٠٨) فخطب على الناس وأمرهم بالخروج الى عين التمر فتشاكلوا فصعد المنبر وقال : يا أهل الكوفة كلما سمعتم بمنسر (١٠٩) من مناسر أهل الشام أظلكم انجحركم كل امرئ منكم في بيته انجحار الضب في حجره والضبع في وجارها ، انما المغرور من غررتموه ولمن فاز بكم فاز بالسهم الأخيب ، لا أحرار عند النداء ! الا اخوان ثقة في النجاء ! ماذا منيت به منكم ؟! عمى لا تبصرون ! صم لا تسمعون ! انا لله وانا اليه راجعون ثم نزل « (١١٠) »

واقع مالك بن كعب النعمان بن بشير في قوة غير متكافئة وكتب الى مخنف بن سليم يسأله أن يمدّه وهو قريب منه فوجه اليه مخنف ابنه عبد الرحمن في خمسين رجلا فلما رأهم أهل الشام وقت العتمة ظنوا أن لهم مددا فانسحبوا الى بلدهم (١١١) .

٣ - حملة سفيان بن عوف على هيت والأنبار والمدائن :

بعد حملة النعمان بن بشير على عين التمر وجه معاوية سفيان بن عوف الغمامدي الأزدي (١١٢) في ستة آلاف رجل وأمره أن يأتي هيت (١١٣) فيغير عليها ثم يمضي حتى يأتي الأنبار والمدائن (١١٤) فيوقع

(١٠٨) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ١٢٢ ، اليعقوبي : التاريخ : ج ٢ ص ١٩٥ ، أبو الفداء : المختصر : ج ١ ص ١٧٩ .

(١٠٩) المنسر : طليعة الجيش .

الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ١٢٤ حاشية ١ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٤١٧ حاشية ٣ .

(١١٠) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ١٢٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٤١٧ ، اليعقوبي : التاريخ : ج ٢ ص ١٩٥ .

(١١١) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ١٢٣ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٨٨ ، أبو الفداء : المختصر : ج ١ ص ١٧٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٤١٧ ، اليعقوبي : التاريخ : ج ٢ ص ١٩٥ .

(١١٢) الجاحظ : البيان والتبيين : ج ٢ ص ٥٢ .

(١١٣) هيت : بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار مجاورة للبرية ذات نخيل كثير وخيرات واسعة وسميت هيت لأنها في هوة من الأرض .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ٤٢٠ ، ٤٢١ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ٩٠ .

(١١٤) الأنبار مدينة على الفرات غربي بغداد والمدائن بفارس كانت مسكن ملوك الأكاسرة .

ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ٢٥٧ ، ج ٥ ص ٧٤ ، ٧٥ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ١٧ ، ٤١ ، ٩١ .

بأهلها (١١٥) ، فسار حتى أتى هيت وبها يومئذ رجل من قبل على يقرب له كميل بن زياد النخعي فلما بلغه أن خيل الشام قاربت هيت خلف عليها رجلا من أصحابه في خمسين فارسا وسار يريد خيل أهل الشام فلما بعد كميل بن زياد عن مدينة هيت أقبل سفيان بن عوف فأغار عليها ولم يتبعه أحد ثم أتى الأنبار وبها مسلحة لعل من خمسمائة رجل كانوا قد تفرقوا ولم يبق منهم الا مائة قاتلوا أهل الشام مع قتلهم وصبروا لهم فحملت عليهم الخيل والرجالة وقتلوا صاحب المسلحة ويدعى أشرس بن حسان البكري ومعه ثلاثون رجلا وتفرق الباقيون واحتملوا ما كان في الأنبار من الأموال ورجعوا الى معاوية بالشام (١١٦) .

٤ - حملة عبد الله بن مسعدة الفزاري على تيماء :

في سنة ٣٩هـ - ٦٥٩م وجه معاوية بن أبي سفيان عبد الله بن مسعدة الفزاري في ألف وسبعمائة رجل من فزارة (١١٧) الى تيماء (١١٨) وأمره أن يجمع الصدقات ممن يمر به من أهل البوادي وأن يقتل من امتنع من اعطائه صدقة ماله ثم يأتي مكة والمدينة ومدن الحجاز ليفعل مثل ذلك (١١٩) فلما بلغ ذلك عليا وجه المسيب بن نجبه الفزاري في ألف رجل من فزارة العراق فسار حتى لحق ابن مسعدة بتيماء فاقتتلت فزارة العراق وفزارة الشام في ذلك اليوم قتالا شديدا حتى زالت الشمس وحمل المسيب على ابن مسعدة فضربه ثلاث ضربات خفيفة وهو لا يريد قتله ويقول له : النجاء النجاء (١٢٠) فدخل ابن مسعدة وعامة من معه من

-
- (١١٥) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ١٣٤ ، ابن اعثم : الفتوح : ج ٢ ص ٢٢ .
 - (١١٦) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ١٣٤ ، ابن اعثم : الفتوح : ج ٢ ص ٢٢٢ .
 - ٢٢٣ ، ابن الاثير : الكامل : ج ٣ ص ١٨٩ ، أبو الفداء : المختصر : ج ١ ص ١٧٩ .
 - ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٤١٨ ، اليعقوبي : التاريخ : ج ٢ ص ١٩٦ .
 - (١١٧) بنو فزارة : بطن من قيس عيلان بن مضر من العرب العدنانية وهم بنو فزارة ابن ذبيان بن يغيض بن ريث بن غطفان .
 - ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٢٥ .
 - (١١٨) تيماء بلد في اطراف الشام قرب وادي القرى على طريق حاج دمشق وبها حصن السموال بن عادياء اليهودي المسمى « الابلق الفرد » ولذلك كان يقال لها تيماء اليهودي .

- ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٦٧ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٧٢ .
- (١١٩) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ١٣٥ ، ابن الاثير : الكامل : ج ٣ ص ١٨٩ .
- (١٢٠) ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٤١٨ .

قزارة الشام حصن تيماء وهرب الباقون نحو الشام ونهب الأعراب أهل
الصدقة التي كانت مع ابن مسعدة وحاصره المسيب ثلاثة أيام ثم ألقى
الخطب على باب الحصن يريد حرقه (١٢١) فلما أشعل فيه النيران وشعر
القوم بالهلاك أشرفوا على المسيب وقالوا : يا مسيب قومك فرق لهم وكره
هلاكهم وأمر بالنار فأطفئت واحتال لأخراجهم فقال لأصحابه قد جاءتني
عيون أخبروني أن جندا قد أقبل اليكم من الشام فانضموا في مكان واحد
وخرج ابن مسعدة في أصحابه ليلا حتى لحقوا بالشام فقال عبد الرحمن
ابن شبيب للمسيب بن نجبة : سر بنا في طلبهم فأبى ذلك عليه فقال
له : غششت أمير المؤمنين وداهنت في أمرهم فوبخه علي بن أبي طالب على
هذا العمل وجبسه أياما ثم أطلقه (١٢٢) .

٥ - حملة الضحاك بن قيس على أطراف العراق :

في سنة ٣٩ هـ - ٦٦٠ م أيضا جهز معاوية بن أبي سفيان حملة من
ثلاثة آلاف رجل من لخم وجذام وكندة وعك والأشعرين ومن أخلاط
القبائل بالشام (١٢٣) وضم اليهم خيلا عظيمة وجعل عليهم الضحاك بن
قيس الفهري (١٢٤) صاحب شرطته وأمره أن يمر بأسفل واقصة (١٢٥)
وأن يغير على كل من مر به ممن هو في طاعة علي من الأعراب (١٢٦) ثم

(١٢١) ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٨٩ ، اليعقوبي : التاريخ : ج ٢ ص ١٩٧ ،
أبو الفداء : المختصر : ج ١ ص ١٧٩ .

(١٢٢) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ١٣٤ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣
ص ١٨٩ ، أبو الفداء : المختصر : ج ١ ص ١٧٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤
ص ٤١٨ ، اليعقوبي : التاريخ : ج ٢ ص ١٩٧ ، محمد أمين صالح : العرب والاسلام :
ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(١٢٣ ، ١٢٢) ابن اعثم : الفتوح : ج ٢ ، ص ٢١٥ .

(١٢٤) الضحاك بن قيس بن خالد بن وهب بن ثعلبة بن وائلة له صحبة وكان مع
معاوية بصفين وقتله مروان بن الحكم في موقعة مرج راهط واخته فاطمة بنت قيس
تزوجها أسامة بن زيد وابنه عبد الرحمن بن الضحاك ولي المدينة ليزيد بن عبد الملك وابن
أخي الضحاك سويد بن كلثوم بن قيس ولي دمشق لأبي عبيدة .

المصعب الزبيري : نسب قرطش : ص ٣٣٢ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ١٧٨ ،

١٩٧

(١٢٥) واقصة منزل بطريق مكة بعد القرعاء نحو مكة وقبل العقبة وهو لبني شهاب
من طيء .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ٣٥٤ .

(١٢٦) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ١٣٥ .

يأخذ على طريق السماوة (١٢٧) من بلاد بنى كلب بن وبرة (١٢٨) ثم ينقض على الكوفة وسوادها فيغير على ما قدر عليه فأقبل الضحاك في أهل الشام وأخذ صدقات الناس وأغار على من عصاه من الأعراب (١٢٩) ومر بالثعلبية (١٣٠) فهاجم مسالح على بها وأخذ أمتعتهم ومضى حتى انتهى إلى القطقانة (١٣١) فأتى واليها عمرو بن عيسى بن مسعود (١٣٢) وكان في خيل لعل وأمامه أهله وهو يريد الحج فأغار على من كان معه وحبسهم عن المسير ثم قتله (١٣٣) فلما بلغ ذلك علي بن أبي طالب وجه إليه حجر ابن عدى الكندي في ألفي رجل معظمهم من كندة فلحق الضحاك بتدمر وهي بلاد بنى كلب (١٣٤) واشتبك معه فقتل من أهل الشام سبعة رجال

(١٢٧) السماوة أرض مستوية لا حجر فيها بها ماء السماوة وهي لبني كلب بن وبرة وموقعها بين الكوفة والشام .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٢٤٥ .

(١٢٨) بنو كلب بن وبرة بطن من قضاة من العرب القحطانية وهم بنو كلب بن وبرة ابن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحافى بن قضاة كانوا ينزلون دومة الجندل وتبوك وأطراف الشام وقد ذكر الهمداني : « أن مساكنهم في السماوة لا يخالط بطونهم فيها أحد ومن حوران في ديار كلب عن يمينك في السماوة ثم في الدهناء إلى أن ترى نخل الفرات لا يخالط كلبا سواها وما وقع في ديار كلب من القرى تدمر وسليمة والعاصمية وحمص وخلفهما مما يلي العراق حماة وشيزر وكفرطاب للكنانة من كلب ثم يأتي الفرات من بلد الروم شاقا طرف الشام على التواء إلى العراق فغريبه ديار كلب وشرقية ديار مضر » وكان لبني كلب في الجاهلية صنما يدومة الجندل يسمى ودا خلعه عندما تنصروا ثم انتهوا إلى الاسلام وكان لهم شأن في دولة بني أمية .

ابن الكلبي : الأصنام : ص ١٠ ، الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ١٢٩ ، ١٣٢ ، الأصفهاني : الأغاني ج ١٧ ص ١١١ ، ١١٢ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٢ ص ٧١ ، ابن حزم : الجمهرة ص ٤٤٥ - ٤٦١ ، ابن خلدون : العبر : الاشتقاق : ص ١٣ ، القلقشندي نهاية الأرب : ص ٢٦٥ ، عمر رضا كحالة : معجم بقائل العرب : ج ٣ ص ٩٩١ - ٩٩٢ .

(١٢٩) ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ١٨٩ ، الإيعقوبي : التاريخ : ج ٤ ص ١٩٦ .

(١٣٠) الثعلبية : من منازل طريق مكة من الكوفة بعد الشقوق وقبل الخزيمية وهي ثلثا الطريق وسميت بثعلبية بن عمرو بن مزيقياء بن عامر ماء السماء فلما تفرقت أزد مارب لحق ثعلبية بهذا الموقع وأقام به فسمى باسمه فلما كثر ولده وقوى أمره رجع إلى نواحي يثرب وولده هم الانصار .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٧٨

(١٣١) القطقانة : موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطف .

ياقوت : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٧٤ .

(١٣٢) ابن حزم : الجمهرة : ص ١٩٧ .

(١٣٣) ابن أعمم : الفتوح : ج ٢ ص ٢١٦ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ١٩٧ .

(١٣٤) الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ١٢٠ .

ومن أهل الكوفة أربعة وهرب الضحاك وأصحابه إلى الشام ورجع حمر
ومن معه إلى العراق (١٣٥) .

٦ - حملة عبد الرحمن بن أشيم على بلاد الجزيرة العراقية :

لم يفتقر معاوية بن أبي سفيان عن غزو العراق واستعراض القوة
على أهله طوال عام ٣٩هـ - ٦٦٠ م ، فكان يعد الحملة تلو الأخرى يريد
الأجهار عليهم منذ أن فلت شوكتهم بانقسامهم على أنفسهم بعد صفين
سنة ٣٧ هـ وضم مصر إلى طاعة أهل الشام سنة ٣٨ هـ ، فبعد حملة
الضحاك بن قيس الفهري على أطراف العراق الجنوبية وجه معاوية حملة
أخرى إلى الأطراف الشمالية من بلاد الجزيرة العراقية بقيادة عبد الرحمن
ابن أشيم لضرب مسالح على بن أبي طالب بها (١٣٦) وكان نائبه عليها
شبيب بن عامر وهو جد الكرمانى الذى كان بخراسان وكان شبيب مقيما
بنصيبين (١٣٧) فى ستمائة رجل من أصحاب على فلما علم بمقدم أهل
الشام كتب إلى كميل بن زياد النخعى فى هيت يحذره منهم : قال « أما بعد
فانى أخبرك أن عبد الرحمن بن أشيم قد وصل من الشام فى خيل عظيمة
ولست أدري أين يريد فكن على حذر والسلام » (١٣٨) . فخرج كميل
ابن زياد من هيت فى أربعمائة فارس كلهم أصحاب بيض ودروع وقصدوا
شبيباً فى نصيبين وأصبحوا جميعاً ألف فارس وساروا إلى عبد الرحمن
ابن أشيم (١٣٩) وهو يومئذ بمدينة يقال لها كفرتوثا (١٤٠) فى جيش
لجب من أهل الشام وأشرفت خيل أهل العراق على خيل أهل الشام
واختلط القوم واقتتلوا قتالا شديداً فقتل من أصحاب كميل رجلان ومن

(١٣٥) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ١٣٥ ، ابن أعمش : الفتوح : ج ٢ ص ٢١٥ ،
٢١٦ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٨٩ ، ١٩٠ ، ابن كثير : البداية والنداية : ج ٤
ص ٤١٨ ، ٤١٩ ، اليعقوبى : التاريخ : ج ٢ ص ١٩٦ ، أحمد أمين صالح : العرب
والاسلام : ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

(١٣٦) ابن أعمش : الفتوح : ج ٢ ص ٢٢٢ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٩٠ .
(١٣٧) نصيبين مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى
الشام وفيها قرأها أربعون ألف بستان وبينهما وبين سنجار تسعة فراسخ وبينها وبين
الموصل ستة أيام وكان عليها سور بناء الروم وأتمه أنوشروان الملك عند فتحه إياها .
ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، مسترنج : بلدان الخلافة الشرقية :
ص ١٢٤ ، ١٥٧ .

(١٣٨) ابن أعمش : الفتوح : ج ٢ ص ٢٢٤ .

(١٣٩) ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٩١ .

(١٤٠) كفرتوثا قرية كبيرة من أعمال الجزيرة تقع بين دارا ورأس عين .

ياقوت معجم البلدان : ج ٤ ص ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، مسترنج : بلدان الخلافة الشرقية :
ص ١٢٦ .

أصحاب شبيب أربعة نفر ومن أهل الشام عدة رجال وانسحبوا الى بلادهم ورجع شبيب بن عامر الى نصيبين ورجع كميل بن زياد الى هيت (١٤١) ، وهكذا كان عام ٣٩ هـ - ٦٥٩ م هو عام الحملات الشامية على أهل العراق وغزو معاوية بن أبي سفيان لعلي بن أبي طالب في عقر داره تأكيداً لرفض بيعته وعدم الاعتراف بسلطانه .

٧ - حملة يزيد بن شجرة الرهاوى على مكة :

لم يكتف معاوية بن أبي سفيان بتوجيه الحملات العسكرية ضد بلاد العراق فقط بل أراد أن يحكم الطوق ضد علي بن أبي طالب بعد أن دانت له مصر بالطاعة فاتجه الى شبه الجزيرة العربية لأنها كانت من مراكز الثقل التي لا يستهان بها في الدولة الاسلامية في ذلك الوقت ، وبها ترجح كفته لأنها مهبط الرسالة وبها الحرمان الشريفان حيث يقصدها الناس من كل فج للحج واقامة الشعائر فضلاً عن وجود كبار الصحابة بها ولذلك فهو يريد أن يقيم للناس الحج باسمه وتتم له الدعوة على منابر الحرمين الشريفين تدعيماً لسلطانه في مواجهة خصمه . وظهرت لأول مرة منذ ذلك الحين أهمية الدعوة للخليفة على منابر مكة والمدينة في توطيد حكمه وطاعة الناس له . من ثم فقد كانت أخطر حملات معاوية بن أبي سفيان ضد علي بن أبي طالب تلك التي كان مقصدها بلاد الحجاز وبقيّة شبه الجزيرة العربية على يد يزيد بن شجرة الرهاوى وبسر بن أبي أرطاة العامري في وقت لم يجد فيه الخليفة على سوى الالتزام بموقفه الدفاعي بعد أن يثس من استنهاض عرب الكوفة .

في آخر عام ٣٩ هـ - ٦٥٩ م دعا معاوية بن أبي سفيان يزيد بن شجرة الرهاوى (١٤٢) من سادات أهل الشام وكلفه بالذهاب الى مكة ليقوم للناس الحج (١٤٣) ويعلمهم بأن معاوية بن أبي سفيان هو أمير المؤمنين (١٤٤) وقال له : « انى أريد أن أوجه بك الى مكة لتقيم للناس الحج بها وتقص عامل علي بن أبي طالب وتأخذ لي هناك البيعة بالسمع والطاعة والبراءة من علي فاني قد رضىت هديك ورأيك ومذهبك ولست

(١٤١) ابن اعثم : الفتوح : ج ٢ ص ٢٢٥ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ١٩١ .

(١٤٢) يزيد بن شجرة الرهاوى من بنى رهام بن منبه بن حرب بن مالك بن أدد

المنتهى نسبه الى عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ من العرب القحطانية .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٢١ ، ٤١٣ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٢٤٢ ،

القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٢٤٦ .

(١٤٣) ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٤١٩ .

(١٤٤) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ١٣٦ .

أوجهك للحرب انما أوجهك لتقيم للناس الحج فاتق الله في الحرم وان قدرت أن تخرج عامل على من الحرم بلا قتال فلا تقاتل (١٤٥) » قال يزيد : ما كنت لأحيف بلدا ، « ومن دخله كان آمنا » (١٤٦) •

ضم معاوية الى يزيد بن شجرة ثلاثة آلاف فارس من وجوه أهل الشام من سادة القبائل من حمير وغسان وكندة ولخم وجذام وغيرهم وقال له : « أوصيك يا يزيد مرة ثانية واعلم أنك تأتي مكة ومكة حرم الله وأمنه وأهل مكة قومي وعشيرتي ومكة هي بيضتي التي تفلقت عني فاتق الله فيهم فاني أحب اصلاحهم وبقائهم وأكره حربهم وقتالهم فاحفظ فيهم وصيتي وسر على بركة الله (١٤٧) •

سار يزيد بن شجرة يريد مكة وبها يومئذ قثم بن العباس بن عبد المطلب (١٤٨) من قبل علي بن أبي طالب فلما علم بذلك قام في الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس انه قد أظلمكم جيش من ظلمة أهل الشام الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون يريدون الإلحاد في حرم الله فتسالمون أم تحاربون ؟ فسكت الناس ولم يجبه أحد بشيء قال قثم : انكم أعلمتموني بما في أنفسكم فاني خارج عنكم الى بعض هذه الشعاب فأكون هنالك الى أن يقضى الله بما يحب ويرضى ، فقال له شيبه بن عثمان العبدري من بني عبد الدار بن قصي (١٤٩) : يا هذا أنت الأمير ونحن الرعية سامعون لك مطيعون فان قاتلت قاتلنا معك وان كفت كفتنا • قال قثم بن العباس : هيهات يا أهل مكة ان الجنود لا تهزم بالوعد ولست أرى معك أحدا يدفع أو يمنع فأعزل عنكم وأكون في بعض هذه الشعاب وأكتب الى أمير المؤمنين على

(١٤٥) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ١٣٦ ، ابن أعمش : الفتوح : ج ٢ ص ٢١٦ •

(١٤٦) سورة آل عمران : آية ٩٧ •

(١٤٧) ابن أعمش : الفتوح : ج ٢ ص ٢١٧ •

(١٤٨) اسمه قثم بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب •

المصعب الزبيري : نسب قريش : ص ٣٢ ، ٣٣ •

(١٤٩) اسمه شيبه بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن

قصي ، شهد حينئذ مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو مشرك وكان يريد أن يغتاله فلما رأى منه عفة أقبل يريده ، وراه النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : « هلم يا شيبه لا أم لك » وقذف الله في قلبه الرعب فدنا من النبي صلى الله عليه وسلم وقد أخذته رعدة وفزع فوضع يده الشريفة على صدره وقال : فليخسأ عنك الشيطان » وأسلم شيبه وقاتل مع النبي صلى الله عليه وسلم وصبر معه وسلمه مفاتيح الكعبة هو وعثمان بن أبي طلحة •

المصعب الزبيري : نسب قريش : ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ١١٤ •

ابن أبي طالب فان جاءني من المدد ما أقوى به عليهم ناهضتهم وان تكن الأخرى لم أقاتل وصبرت لأمر الله عز وجل (١٥٠) . قال أبو سعيد الخدري صاحب رسول الله ﷺ : أيها الأمير ان لبيت الله حرمة عظيمة والقوم ان قدموا لن يعجلوا بقتال فأقم ولا تبرح مكة فاذا وافوك ورأيت لك قوة عليهم فاعمل برأيك وان لم تر قوة لك تنحيت من بين أيديهم الى بعض هذه الشعاب فتكون قد أعذرت وقضيت ما عليك (١٥١) . أقام قثم بن العباس بمكة وبلغ ذلك عليا وهو يومئذ بالكوفة فانتدب ألفا وسبعمائة رجل من فرسان القبائل معظمهم من قيس من الكوفة في أول يوم من ذي الحجة سنة ٣٩ هـ وقد فات الوقت (١٥٢) وقدم يزيد بن شجرة الى الحرم قبل التروية بيومين فنادى في الناس : أنتم آمنون فأننا لم نقدم هاهنا لقتال وانما قدمنا للحج الا من قاتلنا ونازعنا وعرض في سلطاننا ، ثم قال لأصحابه : انظروا أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فقليل له : أبو سعيد الخدري : قال : على به فأتى الى يزيد بن شجرة فسلم وجلس فقال له يزيد : يا أبا سعيد يرحمك الله اني انما وجهت اليكم لأجمع ولا أفرق ولو شئت أن آخذ أميركم أسيرا وأمضي به الى الشام لفعلت ولكني أكره الالحاد في الحرم فقولوا لأميركم أن يعتزل الصلاة بالناس فأعتزلها أنا أيضا ويختار الناس رجلا يصلي بهم فأننا نكره ما قد علمت ، فقال أبو سعيد : جزاك الله من رجل خير فما رأيت من أهل الشام رجلا أحسن منك نية ولا أفضل منك رأيا . ثم أقبل أبو سعيد الى قثم بن العباس فكلمه في أمر الصلاة فقال قثم : قد فعلت ذلك ، وتراضت الناس شعبة بن عثمان العبدري فصلى بأهل الموسم وأقام لهم الحج (١٥٣) . فلما قضى الناس حجهم أقبل يزيد بن شجرة فقال : يا أهل الشام اعلموا أن الله تبارك وتعالى قد رزقكم خيرا وصرف عنكم شرا فأما الخير الذي رزقكم فطاعة امامكم وحجكم وقضاء نسككم وأما الشر الذي صرفه عنكم فكف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم فانصرفوا مأجورين سامعين مطيعين وخرج أهل الشام من مكة يريدون بلادهم وجاءت خيل علي بن أبي طالب لمواقعهم بعد انقضاء الموسم فوجدوهم قد رحلوا الى بلادهم (١٥٤) .

(١٥٠) ابن اعثم : الفتوح : ج ٢ ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

(١٥١) ابن اعثم : المصدر السابق : ج ٢١٨ ، ابن اعثم : الكامل : ج ٢

ص ١٩٠ .

(١٥٢) ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٤١٩ .

(١٥٣) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ١٣٦ ، ابن اعثم : الفتوح : ج ٢ ص ٢١٩ ،

٢٢٠ ، ابن الاثير : الكامل : ج ٣ ص ١٩٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤

ص ٤١٩ .

(١٥٤) ابن اعثم : الفتوح : ج ٢ ص ٢٢٠ ، ابن الاثير : الكامل : ج ٣ ص ١٩٠ ،

محمد أمين صالح : العرب والاسلام : ص ٢٦٥ .

٨ - حملة بسر بن أرطاة الفهرى على بلاد الحجاز واليمن :

في مطلع سنة ٤٠ هـ - ٦٦١ م تحركت شيعة عثمان بن عفان باليمن وخالفوا عليا وأظهروا البراءة منه والوالى عليهم يومئذ عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب (١٥٥) من قبيل علي بن أبي طالب وكان مقيما بصنعاء (١٥٦) ، فكتبوا الى معاوية بن أبي سفيان : « أما بعد يا أمير المؤمنين فالعجل العجل وجه إلينا من قبلك لنبايعك على يديه والا كتبنا الى على فاعتذرنا اليه مما كان منا والسلام » (١٥٧) واستعصى أهل اليمن ومنعوا الزكاة وأظهروا العصيان فكتب عبيد الله بن عباس بذلك الى على فدعا يزيد بن أنس الأرحبي وقال له : ألا ترى ما صنع قومك باليمن ومخالفتهم على وعلى عاملى ، قال يزيد : والله يا أمير المؤمنين ان ظنى بقومى لحسن طاعتك وان شئت كتبت اليهم وكتب اليهم فلم يمتثلوا وأصروا على العصيان وعندها دعا معاوية بسر بن أبي أرطاة الفهرى من (١٥٨) بنى عامر بن لؤى وهو أحد جبابرة الشام فعقد له عقدا وضم اليه أربعة آلاف رجل من أخلاط القبائل بالشام (١٥٩) وقال له : « سر الى أهل اليمن سيرا عنيفا حتى تأخذ بيعة الناس فانهم قد خالفوا عليا وانظر أن تجعل طريقك على المدينة ومكة ولا تنزلن بلدا أهله فى طاعة على الا بسطت لسانك عليهم حتى يظنوا أنك محيط بهم وأنهم لا نجاة لهم منك ثم أصفح عنهم بعد ذلك وادعهم الى البيعة لى فمن أبى عليك فاستعمل السيف حتى تدخل أرض اليمن » (١٦٠) .

(١٥٥) عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب : رأى النبی صلى الله عليه وسلم وكان سخيا جوادا كثير الطعام للفقراء استعمله على بن أبي طالب على اليمن وحج بالناس سنة ٣٦ ، ٢٧ هـ ومات بالمدينة .

المصعب الزبيري : نسب قريش : ص ٢٢٧ .

(١٥٦) يافوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ٤٢٥ - ٤٣١ .

(١٥٧) ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ص ٢٢٧ .

(١٥٨) ابن حزم : الجمهرة : ص ١٥٨ .

(١٥٩) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ١٣٩ ، أبو الفداء : المختصر : ج ١ ص ١٧٩ .

ابن كثير : انبداية والنهاية : ج ٤ ص ٤٢٠ .

(١٦٠) ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ص ٢٢٨ .

خرج بسر من دمشق يريد المدينة وعليها يومئذ أبو أيوب الأنصاري (١٦١) من قبل على بن أبي طالب فخرج منها هارباً خوفاً على نفسه وخرج أهل المدينة يستقبلونه اتقاء لشره (١٢٦) فلما نظر إليهم صاح بهم وانتهرهم وقال : شأنت الوجوه ان الله تعالى ضرب لكم مثلاً « قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » (١٦٣) وقد وقع بكم هذا المثل وأنتم أهل لذلك لأن بلادكم هذه قد كانت مهاجرة نبيكم ﷺ ومنازل الخلفاء من بعده فلم تشكروا نعمة ربكم ولم ترعوا حق أثمتكم حتى قتل خليفة الله بين أظهركم فكنتم بين قاتل وخاذل وشاتم ومتربص أما والله لأفعلن بكم الأفاعيل ولأجعلنكم أحاديث كالأمم السابقة ، يا شرار الأنصار وحلفاء اليهود ويا أسماء العبيد ، انما أنتم بنو دينار وبنو سالم وبنو زريق وبنو طريف وبنو عجلان (١٦٤) ، ثم دخل المدينة وصعد المنبر ونادى : يا دينار ويانجار ويازريق شيخى شيخى عهدي به بالأمس فاين هو ؟ - يعنى عثمان - والله لأوقعن بكم وقعة تشفى الصدور (١٦٥) .

خشى أهل المدينة أن يوقع بهم بسر بن أبي أرطاة فقال له حويطب ابن عبد العزى (١٦٦) وهو على المنبر : أيها الأمير قومك وعشيرتك وأنصار نبيك وليسوا بقتلة عثمان فالله الله فيهم فنزل بسر ولم يكلمه بشيء وأمر بدور قوم من الأنصار كانت لهم يد فى قتل عثمان فحرقت

(١٦١) اسمه أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب النجاري وهو الذى نزل عليه النبى صلى الله عليه وسلم بعد انتقاله من قباء شهد بدرًا وغزا مع يزيد بن معاوية الروم سنة ٥٠ هـ ومات بارض الروم سنة ٥٢ هـ فصرى عليه يزيد ودفنه فى اصل سور القسطنطينية .

البلاذرى : انساب الاشراف : ج ١ ص ٢٤٢ ، هامش ٢ الصفحة نفسها ، السهيلي : الروض الأثف : ج ٢ ص ٢٤٦ .

(١٦٢) الطبرى : التاريخ ج ٥ ص ١٢٩ ، ابن الاثير : الكامل : ج ٣ ص ١٩٢ .
(١٦٣) سور التحل : آية ١١٢ ، الفخر الرازى : التفسير الكبير : ج ٩ ص ٦٤٩ - ٦٥٢ .

(١٦٤) ابن أعمش : الفتوح : ج ٢ ص ٢٢٩ .

(١٦٥) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ١٢٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٤٢٠ .

(١٦٦) اسمه حويطب بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل ، أدرك الاسلام وهو من سلسلة الفتح واحد من دفن عثمان بن عفان ومات فى آخر عهد معاوية وله مائة وعشرون سنة .

المصعب الزبيرى : نسب قريش : ص ٤٢٦ ، البلاذرى : انساب الاشراف : ج ١ ص ٢١٢ ، ٢٤٩ ، ابن حزم الجمهرة : ص ١٦٩ .

وهدمت (١٦٧) ، ثم دعا الناس الى بيعة معاوية فبايعوه وأكره جابر بن عبد الله الأنصاري الخزرجي الصحابي (١٦٨) على البيعة فبايع كارها ، وأقام بشر بالمدينة حتى أخذ البيعة لمعاوية ثم نادى فى الناس وجمعهم وقال : يا أهل المدينة انى قد صفحت عنكم وما أنتم لذلك أهل لأنه ما من قوم قتل امامهم بين أظهرهم ولم يدفعوا عنه بأهل أن يعفى عنهم وان نالتكم العقوبة فى الدنيا فانى أرجو ألا تنالكم رحمة الله عز وجل فى الآخرة ، ألا وانى استخلفت عليكم أبا هريرة فاسمعوا له وأطيعوا وإياكم والخلاف فوالله لئن عدتم لمعصية لأعودن عليكم بالهلاك وقطع النسل (١٦٩) .

سار بسر من المدينة يريد مكة وبها يومئذ قثم بن العباس فخرج عنها هاربا وخافه أبو موسى الأشعري على نفسه فقال له بسر : ما كنت لأقتل صاحب رسول الله ﷺ وخلقى عنه حتى اذا توسط مكة خرج اليه أشراف أهلها فلما نظر اليهم انتهرهم وشتهم لتقاعسهم عن بيعة معاوية فقالوا له : أيها الأمير انا نذكرك الله فى بيضتك وعشيرتك وأهل حرم الله وحرم رسول الله ﷺ . وأقام بسر بمكة أياما ثم دعا شيبة بن عثمان العبدري واستخلفه عليها وقال : يا أهل مكة اعلموا انى قد صفحت عنكم فإياكم والخلاف فوالله لئن خالفتم لأقتلن الرجال منكم ولأحوين الأموال ولأخربن الديار ولأفنين الكبار والصغار (١٧٠) .

خرج بسر من مكة قاصدا الطائف (١٧١) فلما دنا منها خرج اليه المغيرة بن شعبة الثقفى فاستقبله وكلمه فى قومه وقال : « أيها الأمير انه لم يزل يبلغنا عنك منذ خرجت من الشام شدتك على عدو أمير المؤمنين عثمان بن عفان وكنت فى ذلك محمودا عندنا وانه متى كان عدوك ووليك

(١٦٧) ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٩٢ .

(١٦٨) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم من ولد الخزرج ابن حارثة من العرب القحطانية ، أبوه عبد الله بن عمرو عقيب بدرى ثقيب شهد بدرا واستشهد يوم أحد ولجابر بن عبد الله عقب فى جهة افريقية فى الموضع المعروف بالأنصاريين ومات سنة ٧٨ هـ وقد كف بصره وهو ابن أربع وتسعين سنة وصلى عليه أبان بن عثمان والى المدينة .

البلادى : انساب الأشراف : ج ١ ص ٥٤٨ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٥٩ .

(١٦٩) ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ص ٢٢٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية :

ج ٤ ص ٤٢١ .

(١٧٠) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ١٣٩ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ص ٢٢١ ،

٢٣٢ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ١٩٢ ، أبو اللداء : المختصر : ج ١ ص ١٧٩ ،

ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٤٢١ .

(١٧١) انظر : ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ٨ - ١٢ .

عندك في منزلة واحدة تأثم في ربك وتعرى الناس بك « فأمسك بسر ولم يؤذ أحدا من أهل الطائف (١٢٧) .

لما رحل أهل الشام عن الطائف قصدوا نجران (١٧٢) وبها يومئذ رجل من أصحاب النبي ﷺ يقال له عبيد المدان وكان النبي سماه عبد الله (١٧٤) وهو من شيعة علي فقتله بسر بن أبي أرقاة وقتل ابنا له يدعى مالكا (١٧٥) فقال بعض بني عمه :

فلولا أن أخاف صيال بسر بكيت علي بني عبد المدان (١٧٦)

ثم جعل بسر يتهدد أهل نجران بالقتل (١٧٧) ويقول لهم : يا اخوان اليهود والنصارى أما والله لئن بلغنى عنكم أمرا أكرهه لأرجعن عليكم بالخييل والرجال فانظروا لأنفسكم فقد أعذر من أنذر (١٧٨) .

سار بسر حتى أتى بلاد همدان وبها قوم من أرحب من (١٧٩) شيعة علي فقتلهم عن آخرهم (١٨٠) ثم قدم جيشان (١٨١) فقتل قوما بها ، ومشى الى صنعاء وبها يومئذ عبيد الله بن عباس من قبل علي بن أبي طالب فلما بلغه خبر بسر دعا برجل يقال له عمرو بن أراكة واستخلفه على صنعاء وخرج عنها هاربا وأقبل بسر حتى دخل صنعاء فأخذ عمرو بن

(١٧٢) ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ص ٢٢٢ .

(١٧٣) نجران : من مخاليف اليمن من ناحية مكة سميت بنجران بن زيدان بن سبلة لأنه كان أول من عمرها .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ٢٦٦ - ٢٧١ .

(١٧٤) ابن الأثير : أسد الغابة : ج ٣ ص ٤٢٠ .

(١٧٥) ابن الأثير : أسد الغابة : ج ٣ ص ٤٢٠ .

(١٧٦) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة : ص ١٣٢ .

(١٧٧) الهمداني : الأكليل : ج ١٠ ص ٦٦ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى :

ج ١ ص ٩٦ ، ٩٧ .

(١٧٨) ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ص ٢٣٢ .

(١٧٩) بنو أرحب بطن من همدان من العرب القحطانية وهم ولد دعام بن مالك

ابن معاوية بن دومان .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٩٦ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٤٦ .

(١٨٠) الهمداني : الأكليل : ج ١٠ ص ٦٦ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ص ٢٣٢ ،

يحيى بن الحسن : غاية الأمانى : ج ١ ص ٩٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤

ص ٤٢١ .

(١٨١) جيشان : مخلاف وكورة باليمن ينسب اليها الخمر السود كان ينزلها جيشان

ابن غيدان المنتهى نسبه الى حمير بن سبأ فسميت به .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٢٠٠ .

أزاته وضرب عنقه وجعل يتلقط من كان بصنعاء من شيعة علي فيقتلهم (١٨٢) ولما انتهى من ذلك قصد الى حضرموت (١٨٣) وجعل يسأل عن كل من يعرف أحدا من موالاة علي فيقتله حتى قتل خلقا كثيرا وأشاع النعر في البلاد وأقبل الى رجل من ملوكهم يقال له عبد الله بن ثوابة وهو في حصن له فلم يزل يختدعه ويحلف له حتى استنزله من حصنه ثم أمر بقتله ، فقال له ابن ثوابة : أيها الرجل اني لا أعلم ذنبا لنفسي يوجب القتل فعلام تقتلني ؟! فقال له بسر : قعودك عن بيعة معاوية وتفضيلك علي بن أبي طالب ثم قتله علي ذلك (١٨٤) . ومن العجب أن يتخذ أهل اليمن موقفا سلبيا ازاء هذا العدوان الظالم على بلادهم وأن يتقاعسوا عن استنفار عامل الخليفة لهم لمواجهة قسوة بسر بن أبي أرطاة حتى اضطروه الى الخروج من اليمن هاربا الى الكوفة وتحمل همدان كبرى قبائل اليمن آنذاك مسئولية تقصيرها عن التصدي لعدوان أهل الشام على جنوب الجزيرة وسلطان الخلافة ولعل ذلك مرجعه الى الأحقاد الشخصية التي كانت كامنة في صدر أبي معين بن حمزة الهمداني صاحب راية همدان في حرب صفين فلما حول الخليفة الراية منه الى سعيد بن قيس غضب الأول ولحق بمعاوية وكان مصاحبا لجيش بسر عوننا له وسندا في بلد همدان (١٨٥) .

بلغ علي بن أبي طالب خبر بسر بن أبي أرطاة وما فعله في بلاد العرب فوجه اليه جارية بن قدامة السعدي في ألفي رجل ليوقع به فصار جارية حتى قلم نجران فحرق بها دورا وأخذ ناسا من شيعة عثمان فقتلهم (١٨٦) وخرج بسر وأصحابه الى الشام وجاء جارية الى مكة ثم سار حتى أتى المدينة وأبا هريرة يصلي بالناس فهرب منه فقال جارية : والله

(١٨٢) الهمداني : الأكليل ج ١٠ ص ٦٢ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ص ٢٢٢ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى : ج ١ ص ٩٧ ، أبو الفداء المختصر : ج ١ ص ١٧٩ .
(١٨٣) حضرموت : مخلاف باليمن بينه وبين البحر رمال وبينه وبين صنعاء اثنان وسبعون فرسخا .

ياقوت معجم البلدان : ج ٢ ص ٢٧٠ ، ٢٧١ .

(١٨٤) ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ص ٢٢٢ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى : ج ١ ص ٩٧ .

(١٨٥) الهمداني : الأكليل : ج ٨ ص ١٢٢ ، ١٢٣ ، محمد أمين صالح : العرب والاسلام : ص ٢٦٧ .

(١٨٦) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ١٤٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ص ٤ ، ص ٤٢١ .

لو أخذت أبا سنور لضربت عنقه وأقام يومه ثم خرج منصرفا الى الكوفة
وعاد أبو هريرة الى المدينة فصلى بالناس (١٨٧) .

وهكذا دارت رحى الحرب بين أهل الشام وأهل العراق بعد صفين في كل مكان في مصر والعراق وشبه الجزيرة العربية حتى اليمن وحضرموت وأخذ معاوية من لم يعترف بالحكومة أخذا شديدا وقد استغرقت هذه الحروب ما يقرب من ثلاث سنوات من سنة ٣٨ هـ - ٦٥٨ م حتى سنة ٤٠ هـ - ٦٦١ م وكانت فيها لأهل الشام اليد الطولى على أهل العراق بسبب انشغالهم في حرب الخوارج وانقسامهم على أنفسهم ، حتى أن علي ابن أبي طالب رضى في نهاية الأمر أن يحقق دماء المسلمين واعترف لمعاوية ولايته على الشام فأقام معاوية بها يجيئها وما حولها وعلى بالعراق يجيئها ويقسمها بين جنوده (١٨٨) وكان من الممكن أن يظل الوضع هكذا بانقسام الدولة الاسلامية بين العراق والشام لو لم يعجل الخوارج بقتل علي بن أبي طالب الذي لم يستطع أن يخضع معاوية لسلطانه طيلة حياته بسبب نصره القبائل الشامية له ووقوفها خلفه ، وتبين لنا هذه الغارات مدى الاضطراب الداخلى الذى أصاب الدولة بعد تلك الحروب الأهلية المهلكة في الجمل وصفين والنهروان مما أوجد العداوة والبغضاء بين العرب جميعا من مضر وربيعة واليمن فتوقفت فتوحاتهم وتناسقوا سلطانهم في أطراف الدولة كما تبين أيضا مدى الضعف السياسى الذى صارت اليه خلافة علي بن أبي طالب الذى استقر بالكوفة وخذله أهلها في التصدى لمنافسه معاوية بن أبي سفيان فالتزم جانب الدفاع ازاء اعتداءات أهل الشام ووصلت الفوضى مداها الى حد المنازعة فى السيادة على الحجاز حتى أقيم الحج فى موسم ٣٩ هـ والناس لا يدرون من خليفتهم بالاضافة الى طمع بعض العمال فى ابطاء الخراج من ولاياتهم (١٨٩) .

رابعا : مقتل علي بن أبي طالب وتسليم الحسن بن علي بالبيعة لمعاوية بن أبي سفيان وقيام الدولة الأموية :

فى سنة ٤٠ هـ - ٦٦١ م اجتمع ثلاثة من الخوارج هم : عبد الرحمن ابن ملجم المرادى ، والبرك بن عبد الله ، وعمرو بن بكر التميمى فتذاكروا أمر الناس وعابوا على ولايتهم ، ثم ذكروا أهل النهر من الخوارج الذين

(١٨٧) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ١٤٠ ، يحيى بن الحسين : غاية الاماني : ج ١ ص ٩٧ .

(١٨٨) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ١٤٠ .

(١٨٩) اليعقوبى : التاريخ : ج ٢ ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، محمد أمين صالح : العرب والاسلام : ص ٢٩٨ .

قتلوا في الحرب مع علي بن أبي طالب فترحموا عليهم (١٩٠) وقالوا : ما نصنع بالبقاء بعدهم ؟! اخواننا الذين كانوا دعاة الناس لعبادة ربهم والذين كانوا لا يخافون في الله لومة لائم فلو شريتنا أنفسنا وأتينا أئمة الضلالة فالتمسنا قتلهم لأرحنا منهم البلاد وثأرنا بهم (١٩١) اخواننا ، قال ابن ملجم - وكان من أهل مصر - أنا أكفيكم علي بن أبي طالب وقال البرك بن عبد الله : أنا أكفيكم معاوية بن أبي سفيان وقال عمرو بن بكر التميمي : أنا أكفيكم عمرو بن العاص فتعاهدوا وتواثقوا بالله لا ينكص رجل منهم عن صاحبه الذي توجه اليه حتى يقتله أو يموت دونه وأخذوا سيوفهم فشحذوها وسموها وتواعدوا لسبع عشرة تخلو من رمضان أن يثب كل واحد منهم على صاحبه الذي توجه اليه وأقبل كل رجل منهم الى مصر الذي فيه صاحبه الذي يطلب (١٩٢) .

خرج ابن ملجم المرادي الى الكوفة ولقي أصحابه من تيم الرباب (١٩٣) وكاتمهم أمره خشية أن يظهروا منه شيئا وكان على قتل منهم يوم النهر عشرة فذكروا قتلهم وأتى ابن ملجم رجلا من أشجع (١٩٤) يقال له شبيب بن بجرة وقال له : هل لك في شرف الدنيا والآخرة ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : قتل علي بن أبي طالب قال : ثكلتك أمك : لقد جئت شيئا ادا ، كيف تقدر علي علي ؟ قال : أكن له في المسجد فاذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه فان نجونا شفيينا أنفسنا وأدركنا ثأرنا وان قتلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها (١٩٥) ، قال : ويحك لو كان غير علي لكان أهون علي وقد عرفت بلاءه في الاسلام وسابقته مع النبي ﷺ وما أجندني أنشرح لقتله ، قال : أما تعلم أنه قتل أهل النهر العباد

(١٩٠) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ١٤٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٤٢٥ .

(١٩١) ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٩٤ .

(١٩٢) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ١٤٤ ، المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ٤٢٣ ، اليعقوبي : التاريخ : ج ٢ ص ٢١٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٤٢٥ ، سيده كاشف : مصر في فجر الاسلام : ص ١٠٩ .

(١٩٣) حى من طابخة من الياس بن مضر من العرب العدنانية .

ابن حزم : الجمهرة : ص ١٩٨ ، القلقشندي : نهاية الألب : ١٢٩ .

(١٩٤) بنو أشجع بن ميث بن غطفان من بني سعد بن قيس عيلان بن مضر من العرب العدنانية .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٤٩ ، القلقشندي : نهاية الألب : ص ٥٠ .

(١٩٥) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ١٤٤ ، ١٤٥ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٩٦ ، اليعقوبي : التاريخ : ج ٢ ص ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٤٢٦ .

الصالحين . قال : بلى . قال : فنقتله بمن قتل من اخوانه . فأجابه الرجل وجاءوا بامرأة من تيم الرباب تدعى قطام (١٩٦) وهى موتورة بأبيها وأخيها قتلوا يوم النهر وأفضوا اليها بسرهم فعصبتهم بالحرير وأخذوا سيوفهم وخرجوا فجلسوا مقابل السدة التى كان يخرج منها على للصلاة (١٩٧) ، فلما خرج ضربه شبيب بالسيف فأخطأه وضربه ابن ملجم فى رأسه فأصابه ، وخرج شبيب نحو أبواب كندة فلحقه رجل من حضرموت يدعى عويمر أوقعه على الأرض وجثم عليه فلما رأى الناس قد أقبلوا خشى أن يبتهم بأنه شريك معه فى قتل على وتركه فتبعه رجل من همدان يكنى أبا ادماء ضرب شبيب بالسيف فى رجله فصرعه (١٩٨) ، وأخذ ابن ملجم وأدخل الى على بن أبى طالب فور اصابته فقال له : أى عدو الله ألم أحسن اليك ؟ قال : بلى قال : فما حملك على هذا ؟ قال : شحذته أربعين صباحا « يقصد السيف » وسألت الله أن يقتل به شر خلقه ، قال على : اذن لا أراك الا مقتولا به ولا أراك الا من شر خلقه (١٩٩) .

دخل جنذب بن عبد الله الى على بن أبى طالب وهو فى اصابته فسأله : يا أمير المؤمنين ان فقدناك - ولا نفقدك - فنبايح الحسن ؟ قال : ما آمركم ولا أنهاكم وأنتم أبصر لأنفسكم (٢٠٠) ثم دعا حسنا وحسينا وقال لهما : أوصيكما بتقوى الله وألا تبغيا الدنيا وان بغتكما ولا تبكيا على شئ زوى عنكما وقولا الحق وارحما اليتيم وأغيثا الملهوف واصنعا للآخرة وكونا للظالم خصما وللمظلوم ناصرا واعملا بما فى كتاب الله ولا تأخذكما فى الله لومة لائم (٢٠١) وكان على بن أبى طالب كرم الله وجهه قد ضرب يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ومكث يوم الجمعة وليلة السبت وتوفى ليلة الأحد سنة أربعين للهجرة وله من العمر ثلاثة وستون عاما ودفن عند مسجد الجماعة فى قصر الامارة (٢٠٢) وكانت خلافته خمس سنوات الا ثلاثة أشهر ، وكان على يدعى بالعراق أمير المؤمنين ومعاوية يدعى بالشام الأمير فلما قتل دعى معاوية أمير المؤمنين (٢٠٣) .

(١٩٦) السعوى : مروج الذهب : ج ٢ ص ٤٢٣ .

(١٩٧) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ١٤٥ ، ابن كثير : البداية : ج ٤ ص ٤٢٦ .

(١٩٨) ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٩٦ ، اليعقوبى : التاريخ : ج ٢ ص ٤٢٥ .

(١٩٩) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ١٤٦ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٩٦ .

(٢٠٠) ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٩٦ .

(٢٠١) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ١٤٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤

ص ٤٢٧ ، ٤٢٨ .

(٢٠٢) ابن سعد : الطبقات : ج ٦ ص ١٢ .

(٢٠٣) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ١٦١ .

فى هذه السنة التى قتل فيها على بن أبى طالب وهى سنة ٤٠ هـ - ٦٦١ م بويغ الحسن بن على بالخلافة وكان أول من بايعه قيس بن سعد ابن عبادة الأنصارى (٢٠٤) وكان على جيوش العراق فى ذلك الوقت ووالى مصر سابقا ، قال له أبسط يدك أبايك على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه وقتال المحلين فقال له الحسن على كتاب الله وسنة نبيه فان ذلك يأتى من وراء كل شرط فبايعه وسكت وبايعه القوم (٢٠٥) .

فى هذه الأثناء تحرك معاوية بجيش الشام منتهزا فرصة وفاة على ابن أبى طالب وقدم عبد الله بن عامر على طلائعه (٢٠٧) قاصدا عين التمر ومنها الى الأنبار ثم المدائن (٢٠٧) ، فلما علم الحسن بن على بذلك خرج بجيش العراق وسبق الى المدائن انتظارا للقاء معاوية وأقام سرادقه فى المعسكر وقدم قيس بن سعد على طلائعه فنزل الأنبار (٢٠٨) ، وسرعان ما انقسم أهل العراق كدأبهم فى هذه الآونة بين أقلية تريد القتال وأكثرية لا تريده (٢٠٩) ، وكانت الأقلية على رأى الحوارج ترى أن عدم القتال هو كفر من الحسن كما كفروا أبوه من قبل (٢١٠) ، وأقبل معاوية فى جيشه حتى نزل مسكن (٢١١) وبينما الحسن فى المدائن اذ نادى مناد فى المعسكر ، ألا ان قيس بن سعد قد قتل فانفروا ، فنفروا ونهبوا سرادق الحسن ونهبوا فسطاطه حتى نازعوه بساطا كان تحته وكادوا يفتكون به (٢١٢) غير أنه ركب فرسه واستنجد بربيعة وهمدان فأقبلوا عليه وكشفوا عنه القوم (٢١٣) فلما مضى الى المدائن كمن له أحدهم فى الطريق

- (٢٠٤) ابن حزم : الجمهرة : ص ١٢٧ ، ٣٦٥ .
 (٢٠٥) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ١٥٨ ، المسعودى : مروج الذهب : ج ٣ ص ٤ :
 ابن كثير : الكامل : ج ٣ ص ٢٠٢ .
 (٢٠٦) ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ٢٠٣ .
 (٢٠٧) راجع ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ١٧٦ ، ج ١ ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ ،
 ج ٥ ص ٧٤ ٧٥ وسبق ذكر هذه البلاد .
 (٢٠٨) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ١٥٩ ، ابن كثير : البداية : ج ٤ ص ٤٩٣ .
 (٢٠٩) الدينورى : الأخبار الطوال : ص ٢١٦ .
 (٢١٠) الدينورى : المصدر السابق : ص ٢١٧ .
 (٢١١) مسكن موضع قريب من أوانا على نهر دجيل عند دير الجاثليق به كانت الواقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير فى سنة ٧٢ هـ حيث قتل مصعب ودفن وقبره بها معروف .
 ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ١٢٧ ، ١٢٨ .
 (٢١٢) انطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ١٥٩ ، المسعودى : مروج الذهب : ج ٣ ص ٩ ، الدينورى : الأخبار الطوال : ص ٢١٧ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ٢٠٣ ،
 اليعقوبى : التاريخ : ج ٢ ص ٢١٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٤٩٤ .
 (٢١٣) الدينورى : الأخبار الطوال : ص ٢١٧ .

وطعنه فأسال دمه وحمل جريحا الى القصر الأبيض بالمدائن (٢١٤) وازاء هذا الاعتداء من أهل العراق على الحسن بن علي « ازداد لهم بغضا ومنهم ذعرا » (٢١٥) . وخطب فيهم قائلا : يا أهل العراق انه سخي بنفسى عنكم ثلاث : « قتلکم أبی وطعنکم ایای وانتها بکم متاعی » (٢١٦) وراسل معاوية في طلب الصلح ولم يلتفت الى معارضة أخيه الحسين (٢١٧) وتصادف أن يصل كتاب الحسن الى معاوية في طلب الصلح بشروط حددها بعد أن كان معاوية قد أرسل له عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس فقدهما على الحسن بالمدائن وأعطياه صحيفة بيضاء مختومة ليكتب فيها ما يراه من شروط الصلح وبذلا له ما أراد وصالحاه على أن يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة آلاف ألف في أشياء اشترطها (٢١٨) وبايع معاوية فجاء الكوفة وأخذ بيعة الناس بها (٢١٩) فكان ذلك ايدانا ببدء عهد جديد حيث قامت دولة بني أمية .

-
- (٢١٤) ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٤٩٤ .
(٢١٥) ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ٢٠٢ .
(٢١٦) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ١٥٩ .
(٢١٧) ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ٢٠٣ .
(٢١٨) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ١٥٩ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ٢٠٢ ، اندينورى : الأخبار الطوال : ص ٢١٨ ، اليعقوبى : التاريخ : ج ٢ ص ٢١٥ .
(٢١٩) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ١٦٠ ، المبرد : الكامل : ج ٢ ص ١٥٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٤٩٤ ، سيده كاشف : مصر فى فجر الاسلام : ص ١٠٩ .

الباب الخامس

العصبية القبلية في أهل الشام وأثرها على الدولة الأموية

الفصل الأول : العصبية عند العرب وفي قبائل الشام •

- أولا : مفهوم العصبية ومظاهرها وموقف الاسلام منها •
- ثانيا : تطور العصبية في الأمصار •
- ثالثا : مظاهر تأثير العصبية في قبائل الشام •
- رابعا : دور الفصحاء والشعراء في إثارة العصبية والنصرة القبلية •

الفصل الثاني : الحروب القبلية في بلاد الشام •

- أولا : الحرب بين القيسية واليمينية •
 - (أ) موقعة مرج راهط •
 - (ب) الوقائع التي حدثت بين قيس وكلب بعد يوم المرج •
- ثانيا : الحرب بين قيس وقبيلة تغلب النصرانية •
 - (أ) دواعي الحرب القيسية التغلبية •
 - (ب) الوقائع الحربية بين قيس وتغلب •

- ١ - وقعة يوم ماكسين . ٢ - وقعة يوم الثرثار الأول .
- ٣ - وقعة يوم الثرثار الثاني .
- ٤ - أيام متفرقة من حرب قيس
- ٥ - موقعة الحشاك .
- ٦ - وقعة نير الكحيل .
- ٧ - موقعة البشر .

الفصل الثالث : القبائل العربية بالشام ودورها في سقوط الدولة الأموية .

أولا : سياسة الدولة الأموية تجاه القبائل وزعمائها :

- ١ - سيطرة الدولة على نفوذ زعماء القبائل والحد من سلطانهم .
- ٢ - مسئولية بنى أمية تجاه العصبية والروح القبلية
 - (أ) سياسة المصاهرات (ب) العصبية لقريش .
 - (ج) التحريش بين الشعراء والأشراف .

ثانيا : الفتن القبلية ابتداء من عهد الوليد بن يزيد ودور الخلفاء فيها وسقوط الدولة الأموية :

- ١ - نهاية عصر الاستقرار .
- ٢ - اندلاع الفتن القبلية وعودة روح العصبية إلى القبائل وأثرها في زوال دولة بنى أمية
 - (أ) الوليد بن يزيد بن عبد الملك .
 - (ب) يزيد بن الوليد بن عبد الملك .
 - (ج) إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك .
 - (د) مروان بن محمد الجعدي .

الفصل الأول

العصبية عند العرب وفي قبائل الشام

أولا : مفهوم العصبية ومظاهرها وموقف الاسلام منها •

كان للعصبية القبلية في عهد الدولة الأموية شأن خطير لم يكن لها نظيره في أي عهد آخر في تاريخ الاسلام • اذ كان لها تأثير بالغ في صنع وبلورة الأحداث التاريخية لتلك الفترة حيث وقعت الفتن والحروب القبلية في شتى بقاع الدولة ولا سيما في الشام مقر الحكم الأموي حتى اذا ساد العنف وحلت الفوضى لم يجد العباسيون عنتا في ازالة ملك بني أمية واقامة دولتهم على أنقاضها ، فقد حال استفحال العصبية دون نمو الشعور القومي الذي يسمو على الشعور العصبى مما كان له ابلغ الأثر في تقطيع الوشائج واثارة الخصومات والوقائع الدامية بين القبائل فكانت الحزازات والأحقاد التى توارثها الأبناء عن الآباء وتحكمت في مسلكهم وتفكيرهم ووجدت بسببها ظاهرة الثأر تلك الآفة الاجتماعية الخطيرة •

وأصل كلمة عصبية كما عرفها أهل اللغة هي « أن يدعى الرجل الى نصره عصبيته من أهله وقومه ضد خصومهم ظالمين كانوا أو مظلومين ، أو هي « تجمع القوم للاعانة والمساعدة والنصرة سواء على الحق أو الباطل » (١) ، وهي مشتقة من التعصب أى التجمع (٢) ، ولما كان

(١) ابن منظور : لسان العرب : ج ٢ ص ٩٦ ، الفيروز ابادى : القاموس المحيط

« مادة عصب » •

(٢) ابن منظور : المصدر السابق : ج ٢ ص ٩٦ •

أقارب الرجل يتعصبون به أى يلازمونه ويسيطرون معه سمووا عصبته ،
وقد أطلق هذا اللفظ على أقارب الرجل من جهة أبيه فهم قومه الذين
يتعصبون له . وقيل للرجل يغضب لعصبته ويحامي عنهم ويعينهم ولو على
الظلم « عصبى » (٣) .

والعصبية فى حياة القبائل لا تكون لقراة الرجل وذوى رحمه
الأدنين فحسب وإنما تكون للقبيلة بأسرها فهى تضم جميع أفراد القبيلة
فى إطار واحد وتفرض عليهم تبعات وواجبات مشتركة وكل رجل فى
القبيلة يشعر أنه مسئول عن جماعته كلها كما أن القبيلة بأجمعها تشعر
أنها مسئولة عن كل من ينتمى إليها (٤) ، ومن ثم فالعصبية سداها وحدة
الدم ولحماتها صلة النسب لا انفكان ولا انفصالان لأن صلة الرحم شئ
طبيعى فى البشر . . . فالقريب يجد فى نفسه غضاظة من ظلم قريبه
أو العداة عليه ويود لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب « (٥) فالقبيلة
كلها ملزمة بنصرة أى رجل ينتمى إليها اذا طلب نجاتها لا يهمها ان كان
معتديا أو معتدى عليه وفى ذلك يقول أبو تمام :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم فى النائبات على ما قال برهانا (٦)

وفى ذلك أيضا جرى المثل القائل : « فى الجريرة تشترك
العشيرة » (٧) .

فالتماسك الشديد بين أفراد القبيلة الواحدة من أهم مظاهر العصبية
وسير الرجل فى ركاب جماعته ولو خالفوا رأيه فرض عليه مثله فى ذلك
قول دريد بن الصمة :

وهل أنا الا من غزية ان غوت غويت وان ترشد غزية أرشد (٨)

(٣) ذكر الرازى أن عصبه الرجل : بنو قرابته لأبيه وسموا بذلك لأنهم عصبوا به
أى أحاطوا به . والأب طمف والابن طرف والعم جانب والاخ جانب والعصبية من
الرجال ما بين العشرة الى الأربعين .

الرازى : مختار الصحاح : ص ٤٢٥ ، ٤٣٦ مادة عصب .

(٤) احسان النعم : العصبية القبلية واثرها فى الشعر الأموى : ص ١٠٥ .

(٥) ابن خلدون : المقدمة : ص ١٢٨ .

(٦) أبو تمام : ديوان الحماسة : ج ١ ص ١٦ .

(٧) الميدانى : مجمع الأمثال : ج ٢ ص ٢٠ .

(٨) أبو تمام : الحماسة : ج ٢ ص ٣٠٦ .

وكانت القبائل تعتز بأنسابها وتحرص عليها وتتمسك بأسمائها التي عرفت بها ولو كان مدلولها قبيحا فلما وفد بنو مغوية (٩) على النبي ﷺ وأراد أن يغير اسمهم ويجعله بنو رشدة كرهوا ذلك وتمسكوا باسمهم (١٠) وكانت كل قبيلة ترى لنفسها من المكانة والمنزلة ورفعته الحسب وعراقة النسب ومن الآثار والمخامد ما ليس لغيرها (١١) فقامت المفاخرات والمنافرات والمناقضات على السنة الشعراء والخطباء والأشراف يؤكدون ذلك وتلهج به ألسنتهم ما عن لهم في كل حين وآن (١٢) ، ومن ثم فلم يكن هناك تصور لأي نظام آخر غير النظام القبلي في تلك الفترة مما يفسر طول الوقت الذي استغرقته القبائل للانتقال من طور البداوة الى طور التحضر والرغبة في التمرد على السلطة والنظام كلما سنحت لهم الظروف بذلك (١٣) .

ولما كان التفاضل في الجنس واختلاف الأنساب هو أساس العصبية عند العرب فقد بذلت الجهود الكبيرة للعناية بأنساب القبائل ووضعت الكثير من المؤلفات التي تناولت أنساب العرب وترجمت لمشاهير علماء النسب بما لا يوجد عند أمة أخرى (١٤) ، ولم يكن ذلك ليتم لو لم يدرك النسابون شدة اهتمام القبائل بأنسابها واعتزازها بأسلافها ومفاخرها بأجدادها ، وبفضل هؤلاء النسابين ظهر ما عرف بعلم النسب وهو يتناول الحديث عن تسلسل العرب منذ انحدروا من صلب آدم ويفصل قبائلهم وعشائرتهم ويوضح أواصر القربى التي تربط بين القبائل التي تمت الى أصل واحد وأب مشترك ويتحدث عما وقع بين مختلف القبائل من مصاهرات أو انفصال عشيرة عن أصلها أو التحامها بقبيلة أخرى ، كما يحدثنا هذا العلم عن أسماء القبائل والأحلاف القبلية ويضع لكل قبيلة

وبنو غزية بطن من هوزان من العدنانية وهم بنو غزية بن جشم بن معاوية بن بكر ابن هوازن وكانت منازلهم بالسروات من تهامة وتجد .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٩١ ، ٣٩٢ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٤٣٧ .

(٩) بنو مغوية من ولد خثعم بن أنمار من العرب القحطانية .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٩٠ .

(١٠) ابن حبيب : مختلف القبائل ومؤلفها : ص ٢٧ ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٩٠

ابن قيم الجوزية : زاد المعاد : ج ٢ ص ٣٣٥ . الأبيشي : المستطرف : ج ٢ ص ٧٦ ،

الانباري : شرح المفضليات : ص ١٠٢ .

(١١) احسان النص : العصبية القبلية : ص ١١٨ .

(١٢) انظر : الأصفهاني : الأغاني : ج ١٩ ص ٧٤ .

(١٤) انظر : البلاذري : أنساب الأشراف ج ١ ص ٨١ ، ياقوت : معجم الأدباء :

« تراجم النسابين » ابن حزم : الجمهرة : ص ٩ ، ابن النديم : الفهرست : ص ١٣١

وما بعدها ، عبد العزيز الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب : ص ٤٩ ،

٣٩٢ .

جدولا للأنساب لا يزال ترتقى بها حتى يصلها بجدها الأعلى بحيث كان في مقدور أى عربى صريح يعيش فى الحقبة الأولى من عصور الخلفاء الراشدين أن يعرف أسماء معظم أجداده الماضين (١٥) ومن ثم فقد كان تمسك العرب بأنسابهم وأحسابهم والتفاخر بها والحرب من أجل اعلائها أمرا هاما فى حياة المجتمع الذى تكونه مجموع القبائل .

ومن المرجح أن وضع الخليفة عمر بن الخطاب لديوان العطاء (١٦) كان أول ما نبه العرب الى ضرورة العناية بأنسابهم وتصنيفها وتدوينها وخاصة أن بناء الدولة العربية الى ذلك الحين وحتى آخر عصر الأمويين كن بناء قبليا وكانت نظمها الادارية مستمدة من هذا النظام القبلى (١٧) ، ومما يذكر فى هذا المجال أن الحارث بن هشام بن المغيرة المخرومى (١٨) هو الذى أشار على الخليفة عمر بن الخطاب بتدوين الدواوين وتجنيد الجند وفقا لما رآه لدى ملوك الشام فأخذ عمر بمشورته ودعا عقيل بن أبى طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وأمرهم أن يدونوا الناس على قدر منزلهم (١٩) .

على أن وضع جداول الأنساب فى صورتها المنسقة لم يتم الا فى أوائل العصر الأموى حيث استقى النسابةون مادتهم عن أنساب الأسم القديمة منذ عهد آدم وأبناء سام وقبائل العرب البائدة من التوراة ومن أفواه أهل الكتاب كما أشاروا هم أنفسهم (٢٠) ، كذلك روى أهل الكتاب أمثال وهب بن منبه وكعب الأحبار كثيرا من أخبار القدماء وأنسابهم وذكر ابن النديم أن ابن اسحاق كان ينقل عن اليهود والنصارى وسماهم فى

(١٥) انظر نص حديث صعصعة بن صوحان العبدى مع معاوية بن أبى سفيان حين سألته عن آبائه ونسبه . السعودى : مروج الذهب : ج ٢ ص ٦٠ ، ٦١ .

(١٦) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ٥٤٩ ، عبد العزيز الدورى : بحث فى نشأة علم التاريخ : ص ١٩ .

(١٧) الدورى : المرجع السابق : ص ١٩ .

(١٨) عن نسبه فى قریش وعقبه وانتقاله بأمله وماله الى الشام فى زمن عمر بن الخطاب انظر :

المصعب الزبيري : نسب قریش : ص ٣٠١ - ٣٠٣ ، البلاذرى : أنساب الأشراف : ج ١ ص ٢٠٨ ، ، ٢٠٩ .

(١٩) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ٥٤٩ ، الطبرى : ج ٣ ص ٢٠٠ ، ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة : ج ٣ ص ١١٣ ، احسان النص : العصبية : ص ٣١ .

(٢٠) انظر : ابن قتيبة : المعارف : ص ٦ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٧ ، ابن خلدون : العبر : ج ١ ص ١٧ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٥ ، سيدة كاشف : مصادر التاريخ الاسلامى : ص ١٢ .

كتبه « أهل العلم الاول » (٢١) ويعتبر عبيد بن شربة الجرهمي من أوائل من دونوا أنساب العرب عندما استدعاه معاوية بن أبي سفيان من اليمن وأخذ يسأله عن أخبار الماضين وأنساب اليمن وأمر بتدوين ذلك كله (٢٢) .

كان الطابع الغالب على العصبية القبلية في العصر الجاهلي هو ضيق حدودها لأن العرب في ذلك الوقت كانوا يعيشون على هيئة جماعات صغيرة لا تتعدى القبيلة أو بعض بطونها وكل جماعة كانت مستقلة بمراعيها ومياها وحماها ومصالح القبيلة وحدها هي التي تحدد صلاتها بالقبائل المجاورة لها ومن ثم كانت العصبية للرھط أو البطن أو العشيرة تغطي على العصبية الجامعة للقبيلة ولذلك فانه كثيرا ما نشبت الحروب القبلية في العصر الجاهلي بين بطون القبيلة الواحدة (٢٣) كذلك التي قامت بين بطون بني عدوان وكادت تؤدي الى فنائها (٢٤) والتي قامت بين بطون مرة بن عوف (٢٥) . بنو صرمة وبنو سهم (٢٦) ، والتي قامت بين جديلة والغوث من بطون طيء (٢٧) والتي وقعت بين أحمر بن الغوث وزيد ابن الغوث وعرينة بن نذير وأقصى بن نذير من بطون بجيلة وتمزقت على أثرها في شتى قبائل العرب (٢٨) .

(٢١) ابن النديم : الفهرست : ص ١٣٦

(٢٢) المسعودي : مروج الذهب : ج ٣ ص ١٧٣ ، ابن النديم : الفهرست : ص ٢٢ ، وفي محمد حسن : دراسات في الموازنة المؤرخين : ص ٦ ، ٧ سيدة كاشف : مصادر التاريخ الاسلامي : ص ١٣ ، عبد العزيز الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ : ص ١١٥ - ١١٧ ، النص : العصبية : ص ٢١ .

(٢٣) انظر : الأصفهاني : الأغاني : ج ١٠ ص ٣٣ ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٣ ص ٢٤٣ ، ابن الأثير : الكامل : ج ١ ص ٢٤٢ ، ٢٥٨ ، ٢٦٧ ، جورجى زيدان : العرب قبل الاسلام : ص ٢٥٤ - ٢٧٤ .

(٢٤) الأصفهاني : الأغاني : ج ٣ ص ٧٩ .

وبنو عدوان هم : زيد ويشكر ودوس ، ولد عمرو بن قيس عيلان بن مضر . انظر بطونهم وقبائلهم : ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٣٢١ ، ٣٢٢ .

(٢٥) الأصفهاني : الأغاني : ج ١٣ ص ١٠ ، زيدان : العرب قبل الاسلام : ص ٢٥٧ .

(٢٦) مرة بن عوف : بطن من بني ذبيان من العدنانية ، وهم بنو مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٥٢ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٢٧٤ .

(٢٧) ابن الأثير : الكامل : ج ١ ص ٣٨٨ .

(٢٨) البكري معجم ما استعجم : ج ١ ص ٥٩ .

وكثيرا ما كانت تتحالف القبيلة مع قبائل أخرى على قبيلة تربطها بها صلة النسب كتحالف تميم وذبيان وكندة على بنى عامر وبنى عبس يوم شعب جبلة (٢٩) وتحالف ذبيان وأسد على عبس أخوة ذبيان يوم الهبأة (٣٠) وتحالف الخزرج مع جهينة وأشجع على أخوتهم الأوس وحليفهم مزينة يوم بعث (٣١) ، وأن دل هذا على شيء فانما يدل على أن

(٢٩) جبلة : جبل طويل له شعب عظيم واسع وداخله متسع ، ويوم شعب جبلة من أعظم أيام العرب واشدها كان قبل الاسلام بسبع وخمسين سنة بين بنى عامر بن صعصعة وتميم وسبب ذلك أن لقيط بن زرارة عزم على غزو بنى عامر للأخذ بثأر أخ له كان أسيرا عندهم ومات فبينما لقيط يتجهز بلغة أن بنى عامر وبنى عبس تحالفا ، فخابر القبائل الأخرى لتحالفه على عبس وعامر فأجابته أسد وغطفان وساروا وهم لا يشكون أنهم ظافرون لأنهم سيفتتمون غرة القوم ، وبينما هم سائرون لقيهم كرب بن صفوان من أشراف بنى سعد فحياهم وظل سائرا فخافوا أن يكون مسرعا لاطلاع أعدائهم على خبرهم فاستوقفوه وطلبوا منه أن يصحبهم في غزوهم فقال لهم : أنه يبحث عن أبل ضلت منه فأخذوا على الموائيق أن لا يخبروا أحد بمسيرهم ولكنه غضب لهذه المعاملة فلما دنا من عامر وعبس أخذ خرقة وضع بها حنظلة وشوكا وترابا وخرقتين يمانيتين وخرقة حمراء وعشرة أحجار سود ثم رمى بها حيث يسقون ولم يتكلم فأخذها بعضهم وجاء بها إلى قيس بن زهير أمير عبس فعلم ما يعنى الرجل بهذه الخرقة وقال : هذا رجل قد أخذ عليه عهد ألا يكلمكم يخبركم أن أعداءكم قد غزوكم عدد التراب وأن شوكتكم شديدة وأما الحنظلة فهي رؤساء القوم والخرقتان اليمانيتان هما حيان معه من اليمن والخرقة الحمراء هي حاجب بن زرارة وأما الأحجار فهي عشر ليال ياتيكم القوم بعدها وقد أنذرتكم ، فأتوا على حكمته واستشاروه في ماذا يعملون ؟ فقال : « ادخلوا أهلكم هذا الشعب » شعب جبلة ثم أظماوها هذه الأيام فاذا جاء القوم أخرجوها عليهم وأنخسوها بالسيف والرمح فتخرج عليهم مذاعير عطاشا فتشغلهم وتفرق جمعهم وأخرجوا أنتم في أثرها واشفوا نفوسكم ففعلوا ما أمرهم به وكثر القتل في تميم وغطفان .

الأصفهاني : الأغاني : ج ١٠ ص ٢٣ ، ابن عبد ربه : العقد : ج ٢ ص ٣٠٧ ،
ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ، ص ١٠٤ ، ابن الأثير : الكامل : ج ١ ص ٣٣٥ ، زيدان :
العرب قبل الاسلام : ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ .

(٣٠) الهبأة : التراب الذي تطيره الريح فتراه على وجوه الناس وثيابهم وتأتيه للأرض : وفي الأرض التي ببلا غطفان قتل بها حذيفة وحمل ابنه بدر القزاريان قتلها قيس بن زهير ، ويوم الهبأة من أيام حرب داحس والغبراء الشهيرة في الجاهلية بين عبس وهوازن .

ابن قتيبة : عيون الأخبار : ج ١ ص ١٢٥ ، ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ٣٩٩ ،
ابن الأثير : الكامل : ج ١ ص ٢٥٨ - ٢٦٧ ، زيدان : العرب قبل الاسلام ص
٢١٩ - ٢٧١ .

(٣١) بعث : موضع من نواحي المدينة كانت به وقائع كثيرة بين الأوس والخزرج في الجاهلية ، وكان الرئيس في بعض حروب بعث وحضير الكتائب أبو أسيد بن حضير وكان قد ترفى من جراحه فيها فقال خفاف بن ثدبه برثيه :

فلو كنت حيا ناجيا من حمامه لكان حضير يوم أغلق واقعا

أبو تمام : ديوان الحماسة : ج ٣ ص ٢٤ ، حسان بن ثابت : الديوان : ص ١٢١ ،

الأصفهاني : الأغاني : ج ١٥ ص ١٥٤ ، ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ٤٥١ .

مفهوم العصبية القبلية قبل الاسلام كان مفهوما ضيقا منحصر في معظمه داخل نطاق القبيلة أو بعض بطونها ، أما العصبية القبلية في نطاقها الواسع كالعصبية لقيس كلها أو لمصر كلها أو لربيعة أو العصبية الشاملة للجذم كعدنان وقحطان فلم تكن معروفة في الجاهلية وإنما ظهرت بوادرها مع الاسلام ويبلورت في حروب الردة واتضحت معالمها بعد حروب الجمل وصفين في خلافة علي بن أبي طالب وبلغت أقصى غايتها من العنف والافوة في عصر دولة بني أمية ، ومن ثم فانه ليس من الصواب القول بأن العصبية العدنانية القحطانية بمعناها الشامل قامت منذ العصر الجاهلي لأن العربي في ذلك الوقت لم يكن قادرا على الارتقاء بشعوره وحسه عن حدود عشيرته ورحمه الأدين وربما اتسع نطاق عصبيته ليشمل القبيلة بمعناها المحدود أما اتجاوز ذلك الى الشعب والجذم والأصل الجامع فلم يكن من سمات المجتمع القبلي في هذا الوقت وهو ما يمثل تطورا في مفهوم العصبية لم يكن موجودا في العصر الجاهلي عصر القبائل والبطون الصغيرة (٣٢) .

أوجدت العصبية القبلية حالة من العداء الدائم والتوتر المستمر بين قبائل لعرب وبطونها فضلا عن إثارة الأحقاد والضغائن الناتجة عن انصال الحروب والوقائع بينها مما حال دون توحيدها وجمع شملها ولذلك فانه لما جاء الاسلام وجه همه الى محاربة النزعات العصبية والروح القبلية ودعا العرب كافة الى التآخي والتآلف ونبتذ أسباب العداوة وعدم المفاضلة بينهم على أساس الجنس والنسب وإنما بالتقوى وقوة الايمان فقال تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » (٣٣) وأكد النبي ﷺ هذا المعنى في حجة الوداع حين خطب الناس وكان ما قال : « النَّاسُ سَوَاسِيَةٌ كَأَسْنَانِ الْمَشْطِ ، كُلُّكُمْ لَأَدَمٍ وَأَدَمٌ مِنْ تَرَابٍ لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ » (٣٤) وهكذا أكد الاسلام في محاربة العصبية على أن الناس كافة سواسية قال تعالى : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » (٣٥) ودعا الى نبتذ حمية الجاهلية وخلع الروح القبلية وذمها . قال تعالى : « اذْجَعِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ » (٣٦) وقال النبي ﷺ : « مَنْ قَتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عَمِيَّةٍ يَدْعُو لِعَصْبِيَّةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصْبِيَّةً

(٣٢) احسان النص : العصبية القبلية : ص ١٤١ .

(٣٣) سورة الحجرات : آية ١٣ .

(٣٤) انظر نص الخطبة : ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٧ ، ١٤١ .

(٣٥) سورة الحجرات : آية ١٠ .

(٣٦) سورة الفتح : آية ٢٦ .

فقتلته جاهلية « (٣٧) وحين سئل ﷺ عن العصبية ؟ وصفها بأنها « الدعوة الخبيثة » (٣٨) وقال : « هي أن تعين قومك على الظلم » (٣٩) وأكد ﷺ في كتبه وعهوده الى القبائل على نبذ العصبية والروح القبلية فكتب الى الحارث بن كعب « . . وينهى اذا كان بين الناس هيح عن الدعاء الى القبائل والعشائر وليكن دعاؤهم الى الله وحده لا شريك له » (٤٠) . وقد حرص النبي ﷺ منذ فتح مكة على دعوة الناس الى تطهير النفوس مما شابها وعلق بها من أدران الجاهلية وخاصة الروح القبلية والنوازع العصبية فأهدر كل ما سال فيها من دماء وما اغتصب من أموال ودعا الناس الى التحلي بالخلق القويم والتمسك بأهداب الدين فكان مما جاء في خطبه في فتح مكة : « لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده . . ألا كل مأثرة أو دم أم مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين الا سدانة البيت وسقاية الحاج ، ألا وقتيل الخطأ ففيه الدية مغلظة . . . يا معشر قريش : ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم وآدم من تراب » (٤١) .

وفي سبيل القضاء على حق الثأر الذي هو من أهم مظاهر العصبية القبلية فقد جعله الاسلام منوطا بأولى الأمر وليس للفرد أو القبيلة للحد من المنازعات القبلية والقضاء عليها (٤٢) كما ألغى مبدأ التفاوت في تقدير ديات القتلى تبعاً لمنزلتهم وقدرهم وجعلها واحدة في كل الأحوال لا فرق بين سيد ومسود ، واستن مبدأ القود أو القصاص حين يكون القتل عن نية هبيلة قال تعالى : « ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل انه كان منصوراً » (٤٣) الا أن يرضى أولياء المقتول بالدية وأكد النبي ﷺ على هذا المسلك حين كتب في عهد المهاجرين والأنصار : « وأنه من اعتبط مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قود به الا أن يرضى

-
- (٣٧) الشيباني : تيسير الوصول : ج ٤ ص ١٧ .
 - (٣٨) صحيح البخاري : ج ٤ ص ١٨٣ .
 - (٣٩) نفسه : ج ٤ ص ١٨٤ ، الشيباني : المصدر السابق : ج ٤ ص ١٧ .
 - (٤٠) الطبري : التاريخ : ج ٣ ص ٢٨٧ .
 - الحارث بن كعب وبنوه كانوا بنجران من أرض اليمن .
 - البلاذري : أنساب الأشراف : ج ١ ص ٢٨٤ .
 - (٤١) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٧ .
 - (٤٢) فلموزن : تاريخ الدولة العربية : ص ١٩ .
 - (٤٣) سورة الاسراء : آية ٣٣ ، الفخر الرازي : التفسير الكبير : ج ١٠ ص ٧٨ ، ٧٩ .

ولى المقتول « (٤٤) وقد خير النبي ﷺ بنو ليث عام الفتح بين القود أو الدية حين قتلت خزاعة منهم رجلا بقتيل لهم فى الجاهلية (٤٥) وأمر يقتل الحارث بن سويد (٤٦) لقتله غيلة المجذر بن زياد البلوى ثارا بأبيه الذى قتل فى بعض حروب الأوس والخزرج .

ورغم كل ما دعا اليه القرآن الكريم وأكد به النبي ﷺ فلم يكن من الممكن أن تقتلع الروح العصبية اقتلاعاً من قلوب العرب بين عشية وضحاها وهى الضاربة بأطنابها فى أعماقهم من مئات السنين فاستغرق ذلك وقتاً طويلاً شمل فى جملته عهد الدولة الأموية وكان سبباً رئيسياً فى القضاء عليها وزوالها حين لم يستطع العرب التغلغل عن الروح القبلية .

ثانياً : تطور العصبية فى الأمصار :

بعد حركة الفتوحات الكبرى التى أدت الى نشأة الأمصار وانتقال القبائل لسكنائها حدث الاحتكاك فيما بينها لأن كل قبيلة ظلت تؤلف كتلة مستقلة فى الجيش وفى الحرب وفى الرحيل والاقامة ولم يتم الاندماج والاختلاط فيما بينها (٤٧) مما ساعد على ظهور العصبية القديمة فى الأمصار ابتداءً من عهد الخليفة عثمان بن عفان (٤٨) ، فمنذ عهد سلفه عمر بن الخطاب وعلى أثر انتصارات المسلمين المتلاحقة ضد الفرس والروم

(٤٤) ابن هشام : السيرة : ج ١ ص ٥٠١ .

(٤٥) صحيح البخارى : ج ٩ ص ٥ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٣٧ .

(٤٦) هو الحارث بن سويد بن الصامت بن خالد بن عطية بن حوط من بنى عمرو بن عوف بن مالك من الأوس : ويقال انه كان منافقاً ، وكان المجذر بن زياد بن عمرو بن زمرمة من بنى فران بن بلى قتل فى حرب بعث فى الجاهلية سويد بن الصامت ، فلما كان يوم أحد وفى معمة القتال اغتاله الحارث بن سويد فقصى عليه ولم يعرف بذلك أحد ولم يره مخلوق فأتى جبريل بخبره الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فخرج الى قباء حيث ينزل بنو عمرو بن عوف وجاءه القوم بما فعيم الحارث وعليه حلة له فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الانصار بضرب عنقه فقال الحارث : ولهم يا رسول الله ؟ فقال : لقتلك المجذر بن زياد ، فتبرأ عند القتل من النفاق وقال : والله ما قتلت المجذر شكاً فى دينى ولا نفاقاً ولكنى لما رأيت قاتل أبى لم أتمالك أن قتلته . ثم قام ومد عنقه ولم ينطق بعدها بكلمة واحدة .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٤٤٢ .

(٤٧) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ٨ ، البلاذرى : فتوح البلدان : ص ٢٣ ، الأزدى : فتوح الشام : ص ١٦ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ١ ، ص ٣٣٠ .

(٤٨) الطبرى : التاريخ : ج ٤ ص ٢٩٦ .

خرجت من الجزيرة العربية هجرات ضخمة متلاحقة من القبائل العربية أخذت تتجمع في الحواضر والأمصار المحدثه والبوادي القريبة مؤلفة كتلا قبلية ضخمة (٤٩) ، ولحرصها على توازن القوى فيما بينها تجمعت كل البطون الصغيرة التي كانت تؤثر العيش منفردة في شبه الجزيرة لتكون تحت راية القبيلة الأم في المواطن المفتوحة مثلما حدث من اندماج ضبة والرباب ومزينة في كتلة تميم (٥٠) ، وغنى وباهلة وقشير وجشم في كتلة قيس (٥١) وكذلك بالنسبة لسائر القبائل . فلما ازداد نطاق التجمع القبلي اتساعا تبلور ظهور الرابطة القحطانية والعدنانية والمضرية والربعية « نسبة الى ربعة » .

ومما ساعد على ذلك أن التنظيم الاداري في عهد عمر وما استتبعه من وضع ديوان العطاء (٥٢) أخذ في اعتباره الأوضاع القبلية وأنساب القبائل (٥٣) وكذلك كان التنظيم الحربي كما رأينا في صفين تنظيميا قبليا صرفا (٥٤) ويرجع ذلك الى أنه لم يكن من الممكن حتى ذلك الوقت تصور أى نظام لا يراعى الاعتبارات القبلية وأوضاع البطون والعشائر وخلعها فجأة مما عاشت فيه مئات السنين فخططت الأمصار بسكنى القبائل لها (٥٥) لسهولة توزيع العطاء على الجند واستنفار المقاتلين عند اللزوم فكانت حمص ودمشق وجنوب الشام أكثرها قحطانية (٥٦) وقرقيسيا وقنسرين وبلاد الجزيرة (٥٧) وشمال الشام كلها عدنانية (٥٨).

(٤٩) انظر الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ٦٨ .

(٥٠) انظر الطبري : التاريخ : ج ٤ ص ٣٩٦ ، ويجمع بين هذه القبائل انتماءها الى اد بن طابخة من العرب العدنانية . القلقشندي : نهاية الارب : ص ٢٩١ ، ١٢٩ . ٣٧٥ .

(٥١) هذه القبائل تنتمي الى مجموعة قبائل قيس عيلان مضر .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٥ - ٢٤٧ ، ٢٨٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ .

(٥٢) البلاذري : فتوح البلدان : ص ٥٤٩ .

(٥٣) عبد العزيز الدوري : نشأة علم التاريخ : ص ١٩ .

(٥٤) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ١١ ، ١٢ ، ابن اعثم الكوفي : الفتوح : ج ٢ ص ٢٢ ، ابن الاثير : الكامل : ج ٢ ص ١٥٠ ، ان كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

(٥٥) البلاذري : فتوح البلدان : ج ١ ص ٢١١ .

(٥٦) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ٢٦١ ، ٢٦٢ .

(٥٧) سبق ذكر هذه البلاد والتعريف بها وانظر خريطة شمال الشام وبلاد الجزيرة باللاحق

(٥٨) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ٧ ، البلاذري : فتوح البلدان : ص ٢١١ .

وعرفت بديار مضر (٥٩) ، وحتى القبائل التي خرجت الى بلاد الشام مع الفتح وبعده كانت تؤثر المضي الى موطن قريباتها في التسبب فدانتي العدنانية نتجه الى الشمال والقطانية تتركز في الجنوب والوسط فحين ندب الخليفة عمر بن الخطاب القبائل للتوجه مع سعد بن ابي وقاص لفتح العراق رغبت اليمانية في التوجه الى الشام موطن أسلافهم وكرهوا المسير الى العراق فاضطر عمر الى توجيه ائترهم الى الشام وبعضهم الى العراق (١٠) ، وبصفة عامة كان أهل اليمن ينزعون الى الشام ومضر تنزع الى العراق (٦١) وبرغم ذلك فقد كانت جيوش الفتح خليطا من قبائل شتى ، ولم يكن الأمر قاصرا على الشام فقط بل وجد في سائر الأمصار الأخرى حتى أن سعد بن أبي وقاص لما أراد أن يختط الكوفة أسهم للنزارية وأهل اليمن فخرج سهم نزار في الجانب الغربي ووقع سهم اليمانية في الجانب الشرقي (٦٢) مما كان له أكبر الأثر في احتدام العصبية ونشوب الفتن القبلية بصورة مستمرة .

لما أفاء الله على المسلمين أموال المغانم والجزية والخراج (٦٣) وغيرها واستلزم الأمر فرض نظام العطاء وتصنيف الناس حسب أصولهم وقبائلهم وبلائهم وسابقتهم نشط النسابون لتدوين الأنساب وتصنيف القبائل حسب أصولها وأجذامها مما ساعد على تحديد معالم الرابطة العدنانية والقطانية بشكل واضح دون ظهور أي أثر للعصبية القبلية فيما بينها نظرا لسياسة الخليفة عمر بن الخطاب وحزمه وقوة شخصيته وعدله (٦٤) فهابته القبائل على شتى أصولها وفروعها ، فلما جاء بعده الخليفة عثمان بن عفان بطيبته وتردده وما وقع فيه من محاباة رهطه والانصياع لهم (٦٥) أظهر شيوخ القبائل سخطهم عليه وحقدوا على قريش استثنائها بالخلافة وعلى بني أمية بالمغانم (٦٦) مما أفسح المجال لاندلاع

-
- (٥٩) قال عنها ياقوت : وهي ما كان في السهل بالقرب من شرقي الفرات نحو حران والرقه وشمشاط وسروج وتل موزن معجم البلدان : ج ٢ ص ٤٩٤ وانظر أيضا لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ١١٤ ، ١٢٢ .
- (٦٠) الطبري : التاريخ : ج ٣ ص ٥ .
- (٦١) نفسه : ج ٣ ص ٧ .
- (٦٢) البلاذري : فتوح البلدان : ج ٢ ص ٢٣٨ .
- (٦٣) انظر أبو عبيدة : الأموال : ص ٥٥ ، أبو يوسف : الخراج : ص ٢٣ .
- الماوردي : الأحكام السلطانية : ص ١٢٧ .
- (٦٤) ابن سعد : الطبقات : ج ٢ ص ٢٦٥ ، الطبري : ج ٤ ص ٩٦ .
- (٦٥) الطبري : التاريخ : ج ٤ ص ٢٧١ ، ابن كثير : البداية : ج ٤ ص ١٩٦ .
- (٦٦) انظر الطبري : التاريخ : ج ٤ ص ٢١٧ - ٢١٩ أحداث سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة « نفس الموضوع » .

شرارة العصبية بالإضافة الى العوامل السياسية والدينية الأخرى التي ساهمت في اضرام نار الثورة على عثمان حتى انتهت بمقتله (٦٧) ووقوع سلسلة من الأحداث الدامية (٦٨) انغمست فيها شتى القبائل مما هيا مناخا مناسبيا لظهور تيار من العصبية والنزعة القبلية استمر طوال عصر بني أمية .

لم تكن العصبية القبلية في عهد الدولة الأموية شيئا جديدا في حياة القبائل العربية التي سكنت بلاد الشام ولكنها كانت شيئا متأصلا في نفوسهم منذ الجاهلية (٦٩) ولكن الجديد الذي طرأ عليها هو أن القبائل لم تعد تغزو بعضها بعضا سعيا وراء القوت والكلالة فأت عليهم الفتوح بما أغناهم (٧٠) كما أدى انشغالهم في الجهاد والفتح (٧١) الى تخليهم عن فكرة الثأر مما أفسح المجال لظهور العامل السياسي على مسرح الأحداث وصار محركا للكثير من عوامل العصبية والفتن القبلية ، فالاتجاهات المختلفة التي ظهرت منذ عهد عثمان وعلى استتبعها بالضرورة انقسامات قبلية كثيرة فكان يكفي أن يكون شيخ القبيلة من أشياع على فتصير القبيلة كلها علوية الهوى أو من أنصار معاوية فتصير القبيلة كلها أنصارا له (٧٢) وكذلك ظهرت العثمانية (٧٣) ، وكان لتصادم هذه الأهواء أن وقعت طائفة من الحروب في الجمل وصفين ومرج راهط كانت في ظاهرها قرشية بحكم زعاماتها ولكنها قبلية في صميمها لكثرة من اشترك فيها من القبائل على اختلاف أصولها ومشاربها من عدنان وقحطان ومن سقط فيها من ضحاياهم (٧٤) ، غير أن الرغبة في السيطرة والاستئثار بالسلطان لم يكن هدفا في حد ذاته لدى القبائل بل كان أيضا وسيلة للحصول على المغنم المادية الكبيرة والمراعى الواسعة فالقبائل التي قاست حياة الضيق

(٦٧) ابن سعد : الطبقات : ج ٢ ص ٧٢ - ٧٧ .

(٦٨) انظر موقعة الجمل وموقعة صفين : الطبرى : التاريخ : ج ٤ ص ٥٠٨ ،

ج ٥ ص ١٧ - ٢٨ ، نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢١٤

(٦٩) الاصفهاني : الأغاني : ج ١٠ ص ٣٣ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٣

ص ٢٠٧ ، ابن الأثير : الكامل : ج ١ ص ٢٤٢ ، ٢٥٦ - ٢٥٨ ، جورجى زيدان : العرب

قبل الاسلام : ص ٢٥١ - ٢٧٤ : أيام العرب .

(٧٠) أبو يوسف : الخراج : ص ٢٧ ، ٢٨ ، ضياء الدين الرئيس : الخراج والنظم

المالية للدولة الاسلامية : ص ١٠٨ .

(٧١) ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٦٩ وما بعدها .

(٧٢) انظر البند الخامس من الفصل الثانى فى الباب الرابع من هذا الكتاب « مجموعة

القبائل التى كانت مع على ومجموعة القبائل التى كانت مع معاوية » .

(٧٣) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ١٤٦ .

(٧٤) ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٢٤٧ - ٢٥٦ .

والشظف في شبه الجزيرة لم تعد تقنعها المغنم التافهة في عصر الفتوحات والرخاء (٧٥) وتطلعت كل واحدة منها الى الاستئثار بالقسط الأوفر على حساب القبائل الأخرى يتناسب وما تدعيه بما قدمت من جهد وضحايا مما أدى الى اصطدامها ببعضها وليس أدل على ذلك من حنق زعماء القبائل بالكوفة على سعيد بن العاص (٧٦) حين ادعى أن السواد هو بستان قريش (٧٧) وظهر ذلك أوضح ما يكون في الصدام الدموي بين قيس وتغلب في منطقة بلاد الجزيرة الفراتية حين شاركت الأولى الثانية قراها ومراعيها وهو ما سوف نعرض له بالتفصيل في الفصل الخاص بالحروب القبلية في بلاد الشام .

كان عصر بني أمية عصر التكتلات القبلية الضخمة (٧٨) ولذلك فقد انكمشت العصبية للرمل والبطن واتسعت على حسابها العصبية للقبيلة والجدم وأصبحت السمة الغالبة للعصبية في ذلك الوقت هو اتساع نطاقها حتى بلغت أقصى مداها ولم يعد بعدها الا العصبية للأمة كلها فظهرت العصبية العربية في مواجهة العصبيات الأعجمية ، وكان من نتيجة اتساع نطاق العصبية وانضمام البطون الصغيرة تحت راية القبيلة الأم أن برزت على مسرح الأحداث أسماء القبائل الكبيرة مثل كلب والأزد وتميم وقيس وبكر وتغلب وأسد وغيرها وتوارت معظم البطون المتفرعة منها

(٧٥) احسان النص : العصبية القبلية : ص ٢٧١ ، ٢٧٢ .

(٧٦) هو سعيد بن العاص بن سعيد بن أمية أمه أم كلثوم بنت عمرو من بني عامر ابن لؤي ، قتل على أياء يوم بدر واستعمله عثمان على الكوفة وغزا بالناس طبرستان واستعمله معاوية على المدينة وهاك سعيد في قصره بالعريصة على بعد ثلاثة أميال من المدينة ودفن بالبقيع وكان قد أمر ابنه الأشدق اذا دفنه ان يركب الى معاوية بالشام ويبيعه منزلة بالعريصة وكان منزلا فخما اتخذه سعيد وغرس فيه النخيل وزرعه وبني به قصرا منيفا وهو الذي يقول فيه أبو قطيفة عمر بن الوليد بن عقبة :

القصر ذو النخل بالجمام فوقهما أشبهى الى القلب من أبواب جيرون

المصعب الزبيري : نسب قريش : ص ١٧٦ ، ١٧٧ ، ياقوت : معجم البلدان : ج ٤

ص ١٠١ ، ١٠٢ وقد أفاض في ذكر العريصة ومقر سعيد بها .

(٧٧) الطبري : التاريخ ج ٤ ص ٣١٨ .

(٧٨) انحصرت هذه التكتلات في كتلة اليمن وكتلة قيس وكتلة ربيعة ، وتركزت

الأولى في وسط الشام وجنوبه والثانية والثالثة في شمال الشام ومنطقة الجزيرة الفراتية لاجتماعهما في النسب العدناني .

وهب بن منبه : التيجان في ملوك حمير : ص ٢٧٣ ، الأصفهاني : الأغاني : ج ١١

ص ٦٢ ، الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ٢٧١ - ٢٧٣ ، العوتبي : الأنساب : ج ٢

ص ١١٩ ، المسعودي : مروج الذهب : ج ١ ص ٣١٤ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٤

ص ٣١٠ ، حتى تاريخ سورية : ج ١ ص ٤٤٦ .

والتي كان لها وجود مستقل قبل ذلك (٧٩) ، وليس هذا فقط بل ظهرت أيضا أسماء الشعوب والأجذام كعدنان وقحطان وربيعه ومضر ونزار واليمن كما حدث في خراسان في ولاية نصر بن سيار زعيم المضرية ضد الكرمانى زعيم القحطانية (٨٠) .

ويمكن القول بأن كل وقائع العصبية القبلية في العصر الأموي انحصرت في ثلاث كتل قبلية كبيرة هي : ربيعة ومضر واليمن ، ولم تكن ربيعة ومضر تكونان جبهة واحدة رغم الرابطة العدنانية التي تجمعهما بل كثيرا ما كانتا تتعاديان وتقتتلان كما حدث بين قيس وتغلب في الجزيرة (٨١) وبكر وتميم في خراسان (٨٢) والسبب في ذلك يرجع الى تضارب مصالحهما واختلاف أهوائهما وحقد ربيعة على مضر لاستئثارها بالنبوة والخلافة شأنها في ذلك شأن قحطان التي كثيرا ما تحالفت معها ربيعة ضد شقيقتها مضر (٨٣) ، وعلى العكس من ذلك كانت الرابطة القحطانية وثيقة العرى لأن القحطانية أدركوا بأنه لا أمل لهم في الوصول الى الخلافة بعد أن تفاضلت عليهم قریش بقرابتهم من النبي ﷺ (٨٤) فتآزروا حتى لا تتسلط عليهم قبائل مضر وسلكت يمانية الشام في بداية عهد الدولة الأموية مسلكا جعلها قريبة من بيت الخلافة (٨٥) فتبوات مكانة رفيعة مكنتها من رعاية مصالحها مما أحفظ عليها قيسية الشام .

ثالثا : مظاهر تأثير العصبية في قبائل الشام :

كان من أهم مظاهر تأثير العصبية في العصر الأموي تعلق القبائل بأنسابها ورغبتها في عدم الانتساب الى غير أصلها تحت أى ظرف من

(٧٩) احسان النص : العصبية القبلية : ص ٢٧٣ .

(٨٠) الطبرى : التاريخ : ج ٧ ص ٢٨٥ .

(٨١) انظر الأصفهاني : الأغاني : ج ١٢ ص ٢٠٦ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٤

ص ٣١١ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ١٩٩ .

(٨٢) الطبرى : التاريخ : ج ٦ ص ٦١٩ ، ٦٢٠ .

(٨٣) انظر الأصفهاني : الأغاني : ج ١٤ ص ٢٩٠ ، الطبرى : التاريخ : ج ٥

ص ٣٧٩ ، الدينورى : الأخبار الطول : ج ١ ص ٣٦٥ .

(٨٤) الطبرى : التاريخ : ج ٤ ص ٣٧٨ .

(٨٥) الأصفهاني : الأغاني : ج ١٨ ص ٦٩ ، ابن أعثم الكوفى : الفتوح : ج ٣

ص ١٩٢ ، اليعقوبى : التاريخ : ج ٢ ص ٢٩٩ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق :

ج ٧ ص ١١ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ١٧٠ .

الظروف ومهما كانت الاغراءات فقد انتسب كثير الخزاعي (٨٦) من الأزد القحطانية الى كنانة المضرية ولحم نسبه بقريش في مجلس عبد الملك ابن مروان طمعا في الحظوة والمنزلة الرفيعة فقال :

أليس أبى بالصلت أم ليس اخوتي بكل هجان من بنى النضر أزهر (٨٧)
فلما علم قومه من الأزد بذلك غضبوا عليه وتهددوه بالقتل. ان لم يرجع الى صوابه ووجه اليه الأحوص (٨٨) الشاعر أبياتا يقول فيها :

ستأبى بنو عمرو عليك وينتمى لهم حسب في جذم غسان معرق
فإنك لا عمرا أباك حفظته ولا النضر ان ضيعت شيخك تلحق

ولما ادعى روح بن زنباع الجذامي عند يزيد بن معاوية نسبا في معد الى خزيمة بن مدركة منتفيا من اليمن وداعيا جذام الى الدخول في بني أسد بتأييد من الشاعر عدى بن الرقاع العاملي (٥٠) حضر ناتل بن قيس شيخ جذام وكبيرها ودخل على يزيد مغضبا وهو يقول : أين هذا الفاجر الغادر روح بن زنباع ؟ وزجر روحا ونهره لا انتفائه من أصله وأعلن أمام الخليفة ان جذام يمانية من قحطان وانهم لا يرضون بنسبهم بديلا (٩١) مما اضطر روح الى التراجع عن فعلته وندم عدى على تأييده اياه وقال يؤكد نسبتهم الى قحطان :

قحطان والدنا الذى ندعى له وأبو خزيمة خندف بن نزار (٩٢)

(٨٦) هو كثير بن عبد الرحمن بن أبى جمعة شاعر حجازى من خزاعة كان ينزل المدينة كثيرا واشتهر بفزله فى عزة بنت جميل الضمرية حتى سمي كثير عزة .
الأصفهاني : الأغاني : ج ٩ ص ٢ « ترجمة كثير وأخباره » : ابن سلام : طبقات الشعراء ص ٤٥٧ ، شوقي ضيف : العصر الاسلامي : ص ٣١٩ ، ٢٢٠ .
(٨٧) ديوان كثير : ص ١٩ . والنضر هو : النضر بن كنانة بن خزيمة وكان له ولد يقال له : الصلت عرف به . البلاذري : أنساب الأشراف : ج ١ ص ٣٨ ، ابن حزم : الجمهرة ص ١١ ، ١٢ .

(٨٨) الأحوص شاعر أوسى من الأنصار من أهل المدينة سكن الشام واسمه عبد الله ابن محمد بن عبد الله بن عاصم ابن ثابت .
(٨٩) الأصفهاني : الأغاني : ج ١ ص ٢١٤ - ٢٠١ ، اتن نريد : الاشتقاق : ص ٤٢٧ ، شوقي ضيف : العصر الاسلامي ، ص ٣٥٤ .

(٩٠) ينتسب الى عاملة إحدى قبائل قضاة ، سكن دمشق وكان مقدما عند بنى أمية مداحا لهم وخاصة الوليد بن عبد الملك الذى قرىبه اليه وجعله شاعره المفضل ولما قامت الحرب بين القبائل اليمنية والقيسية ناصر قومه وبنى أمية . الأصفهاني : الأغاني : ج ١ ص ٢٩٩ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ج ٢ ص ٦٠٠ ، ضيف : العصر الاسلامي ص ٣٤٣ ، ٣٤٤ .

(٩١) البلاذري : أنساب الأشراف : ج ١ ص ٣٦ ، ٢٧ .

(٩٢) الأصفهاني : الأغاني : ج ١ ص ٣٠٧ .

ورغم ذلك فان نسابى مضر انتهزوا الفرصة وادعوا نسبة جذام اليهم وذكروا ان أباه هو أسدة بن خزيمة أخى أسد (٩٣) .

وكان قد شاع فى ذلك العصر من جراء العصبية والفتن القبلية نسبة بعض القبائل لقبائل أخرى إليها لاستمالتها الى صفها وكسب تأييدها ونصرتها ضد خصومها ويضعون لذلك الجداول النسبية التي تؤيد ادعائهم ، وهذا الضرب من التلاعب بالأنساب وتجاذب القبائل كان أحد مظاهر الصراع القبلى بين العدنانية والقحطانية فى ذلك العصر فعلى الرغم من تمسك جذام بأصلها القحطاني فما برح المضرية ينسبون لها اليهم ويعتبون عليها تنكرها لأبيها خزيمة (٩٤) فلما جاء مروان بن محمد المعروف بعصبية مضر أبى نسبة جذام لبني أسدة وهو ما أثار عليه حقد اليمينية وأنكره شعراؤهم لأنه كان من أشد الأمور على العربى أن يخلع من قومه أو يطعن فى نسبه (٩٥) ، ويذكر فى ذلك أن العمى كان شائعا فى مشايخ بني عوف المريين (٩٦) وقد بلغ بهم الأمر من الاعتزاز بنسبهم أن كل شيخ منهم كان يتمنى أن يصيبه العمى ليعرف أنه عوفى فلما هزم

(٩٣) اشاع نسابو مضر فى العصر الأموى أن أسدة بن خزيمة هو أبو جذام وأن ولده غاضبوا اخوته فخرجوهم فأتوا الشام وحالفوا لخم ، وذكروا أن جذام بن عدى أخو لخم بن عدى وقال بشر بن أبى خازم الأسدى فى ذلك :

صبرنا عن عشيرتنا فباتوا كما صبرت خزيمة من جذام
وكانوا قومنا فبغوا علينا فسقناهم الى البلد الشامي

البلاذرى : أنساب الأشراف : ج ١ ص ٣٦ ، ابن عبد البر : الأنباة على قبائل الرواة : ص ١٠٤ .

(٩٤) قال أبو السماك الأسدى فى ذلك :

أبلغ جذاما ولخما ان لقيتهم والقوم ينفعهم علم الذى علموا
انا نذكركم بالله أن تدعوا أباكم حين جدد القوم واعتزموا
لا تدعوا معشرا ليسوا بأخوتكم حتى المات وان عزوا وان كرموا

البلاذرى : أنساب الأشراف : ج ١ ص ٣٧ .

(٩٥) قال القعقاع الطائى يرد على ادعاء المضرية نسبة الى بني أسد .

وما كنت أحسب أن يمتد بى أجلى حتى تكون جذام فى بني أسد
فأصبحت فقمس تدعى امامهم يا للرجال لريب الدهر ذى العدد
والبيض لخم وكانوا أهل مملكة شم العرائن لا يسقون من ثمد

البلاذرى : أنساب الأشراف : ج ١ ص ٣٦ .

(٩٦) بنو عوف بن مرة : بطن من ذبيان من العرب العدنانية وهم بنو عوف بن سعد ابن ذبيان وكان له من الولد مرة بطن ودهمان بطن .

ابن حزم : ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ القلشندى : نهاية الأرب : ص ٣٤٤ .

الشاعر شبيب بن أبي البرصاء العوفى (٩٧) ولم يصبه العمى اتخذها
خصمه أرطاة بن زفر وسيلة لهجائه والطعن عليه في نسبه فقال ضمن
ما هجاه به :

فلو كنت عوفيا عميت كذاك ولكن المريب مريب (٩٨)

ولما مات أرطاة جاءت شبيبا براءته بين قومه وأصابه العمى فظل
ينمى لو أن خصمه امتد به العمر ليراه وقد كف بصره فيعلم أنه
عوفى (٩٩) .

لم تتوقف مضر عنه هذا الحد في ادعاء نسبة بعض القبائل اليمنية
اليها فجعلوا أيضا لخم شقيقة جذام اليمنية مضرية معدية وأبوهم هو
قنص بن معد وأيدوا زعمهم بما نقلوه عن النسابة القرشى جبير بن مطعم
في نسبته ملك الحيرة اللخمى النعمان بن المنذر الى معد (١٠٠) ليفأخروا
به القحطانية الذين تفضلوا عليهم بملوكهم في الجاهلية ، والى بواعث
العصبية بين العدنانية والقحطانية يرجع الخلاف الذى وقع بين نسابة
الفريقين حول نسب قبائل أخرى كثيرة مثل خزاعة وعك وبجيلة وخثعم
واياد وعاملة وغيرها واحتج هؤلاء على دعواهم بأشعار إختلقوها وأضافوها
الى شعر الجاهلية (١٠١) وأحاديث نسبوها الى النبي ﷺ في فضائل
القبائل (١٠٢) شاع معظمها في زمن معاوية وأكثرها يتنباً بخروج الخلافة
من قريش وصيرورتها الى قحطان مما حدا بمعاوية الى انكارها ونهى الناس
عن روايتها والأخذ بما جاء فيها (١٠٣) .

(٩٧) هو شبيب بن زيد بن حمزة بن عوف بن أبي حارثة بن مرة ، أمه أمانة بنت
الحارث بن عوف بن أبي حارثة يقال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبها فقال أبوها :
ان بها بياضا يريد البرص ولم يكن بها شيء فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لتكن
كذلك ! » فبرصت ولذلك سميت البرصاء واسمها قرصافة وأختها عمرة العوراء هي أم عقيل
ابن علفه المرى الذى أصهر اليه كثير من خلفاء بني أمية .
ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، البلاذرى : انساب الاشراف : ج ١
ص ٤٦٢ .

(٩٨) الأصفهاني : الأغاني : ج ١٢ ص ٢٧٩ .
(٩٩) نفسه : ج ١٢ ص ٢٧٩ ، ج ١٣ ص ٣٣ .
(١٠٠) البلاذرى : انساب الاشراف : ج ١ ص ٢٣ ، ابن عبد البر : الانباء : ص ١٠٤ ،
احسان النص : العصبية القبلية : ص ٣٤٤ .
(١٠١) انظر في هذه الاختلافات : ابن هشام : السيرة : ج ١ ص ٧٦ ، البلاذرى :
انساب الاشراف : ج ١ ص ٣٤ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٤٦ ، ابن حزم : الجمهرة :
ص ٢٢٢ ، ابن عبد البر : الانباء : ص ١٠٣ .
(١٠٢) ابن عبد البر : الانباء : ص ١٠٤ .
(١٠٣) انظر صحيح البخارى : ج ٤ ص ١٧٩ .

كان من أهم وأخطر ما وقع فى سلسلة تجاذب أنساب القبائل لدواعى العصبية فى العصر الأموى ما كان من شأن قضاة تلك القبيلة القحطانية (١٠٤) الضخمة ذات البطون المتعددة من كلب وبلي وبهراء وجهينة وسليح وتنوخ ونهد وغيرها والتي كانت تنتشر فى بقاع واسعة من أرجاء الشام فى الحضر والبادى (١٠٥) ، وقد حرص بنو أمية منذ زمن عثمان على الارتباط بصلة النسب بقبيلة كلب أقوى قبائل قضاة وأكثرها عددا آنشد استظهارا بها فصهر اليها عثمان ومعاوية ويزيد و مروان بن الحكم وسعيد بن العاص (١٠٦) ، فلما آل الأمر إلى بنى أمية كانت قضاة بزعامة كلب من أقوى الكتل القبلية فى بلاد الشام وكان انحيازها إلى أى من الجيشتين العدنانية أو القحطانية كفيلا بترجيح كفتها فحرصت كل منهما على ادعاء نسبة قضاة اليها ومما ساعد على ذلك أن قضاة بكل بطونها كانت تسكن شمال شبه الجزيرة العربية وجنوبى الشام من قبل الاسلام مجاورة للقبائل العدنانية فى منازلها (١٠٧) فقام نزاع بين نسابى عدنان وقحطان واخباريهم مع بداية العصر الأموى واستمر حتى منتصف العصر العباسى بذلت فيه المحاولات من كلا الجانبين لضم قضاة إلى أصلهم (١٠٨) .

ويقال ان أول من بدأ ذلك معاوية بن أبى سفيان وابنه يزيد فيزعم نشواى الحميرى (١٠٩) انهما بذلا الأموال لرؤساء قضاة لقاء الانتفاء من اليمن والانتساب إلى معد وأن نفرا منهم أجابوهم إلى ذلك وأشاعوا القول بانتساب قضاة إلى معد بن عدنان (١١٠) ، ولكن يبدو أن هذا زعما

- (١٠٤) وهب بن منبه : التيجان فى ملوك حمير : ص ٣٠٣ .
 (١٠٥) الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ٢٧٢ ، البكرى : معجم ما استعجم : ج ١ ص ١٩ د منازل قضاة وهجرتهم .
 (١٠٦) الطبرى : التاريخ : ج ٤ ص ٣٩٣ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ١٧٨ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ٢٦١ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٨ ص ٧٨ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ١٢٧ ، سيدة كاشف : الوليد بن عبد الملك : ص ١١١ .
 (١٠٧) الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ٢٧٢ .
 (١٠٨) حول النزاع فى نسب قضاة انظر : المصعب الزبيرى : نسب قریش : ص ٥ ، ابن هشام : السيرة : ج ١ ص ١٠ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٤٠ ، ابن سعيد الأندلسى : نشوة الطرب فى أخبار جاهلية العرب : ج ١ ص ١٧١ ، ابن عبد البر : الانبىاء على قبائل الرواه : ص ٥٩ ، أبو الفداء : المختصر : ج ١ ص ١٠٠ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٣٥٨ ، احسان النص : العصبية القبلية وأثرها فى الشعر الأموى : ص ٤٥ .
 (١٠٩) نشوان الحميرى : منتخبات فى أخبار اليمن : ص ٨٧ .
 (١١٠) ديوان زهير بن أبى سلمى : ص ١٠ ، ديوان ليلى بن أعصم : ص ٢٣ ، الأصفهاني : الأغاني : ج ٨ ص ٩٠ ، البلاذرى : أنساب الأشراف : ج ١ ص ١٥ ، البكرى ، معجم ما استعجم : ج ١ ص ١٧ .

باطلا لأن قضاة لم تكن على وفاق مع معاوية في حرب صفين بسبب أنها وجدت حرجا في قتال علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ وقاتلت على كره منها تحت ضغط والحاح شديد من بنى عمروتهم من سائر القبائل اليمنية في جيش معاوية شعارهم فلنقاتل عن الغوطة وعنبتها اذ قد حرمتا الجنة ونعيمها « (١١١) فان كان القول بانتساب قضاة الى معد قد حدث فلم تكن المبادرة من معاوية وابنه يزيد لأنه لم يكن يعنيهما انتساب قضاة الى معد من عدمه لأن كلب أضخم قبائل قضاة وأقواها وزعيمة اليمنية بالشام في هذا الوقت كانت من أشد أنصار الأمويين وأعوانهم لأنهم صاهروهم منذ عهد عثمان وفرضوا لهم في العطاء وقربوهم اليهم فعزت اليمنية بالشام في عهدهم ونعموا بمركز متميز بين القبائل دفعهم الى مساندة الأمويين والحرص على بقائهم (١١٢) .

وأيا كان الأمر فلما شاع القول بانتساب قضاة الى معد غضبت معظم بطونها وتمسكوا بانتمائهم الى حمير والى الشعب القحطاني (١١٣) وأتت جموعهم مسجد دمشق الكبير في يوم الجمعة ودخلوا على يزيد بن معاوية وشاعروهم أفلح بن يعبوب القضاعي (١٤٤) يقول :

يا أيها الداعي ادعنا وبشر وكن قضاة ولا تنذر
نحن بنو الشيخ الهجان الأزهر قضاة بن مالك بن حمير

(١١١) انظر موقف قضاة من معاوية بن أبي سفيان ونص الحديث الذي دار بين معاوية والنعمان بن جبلة القضاعي والحرب قائمة في صفين .
ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ص ٦٦ ، ٦٧ ، وذكر هذا في البند رقم ١٦ في الفصل الثاني من الباب الرابع .

(١١٢) من أبرز ما يوضح ذلك مساندتهم الأمويين في موقعة راحط ضد القيسية وسوف يلى ذكر ذلك بالتفصيل في البند رقم (١) من الحرب بين القيسية واليمنية في الفصل الثاني من هذا الباب .

(١١٣) ابن الكلبي : الأسماء : ص ٤٨ ، الأصفهاني : الأغاني : ج ٢ ص ٢٥ ، البلاذري : أنساب الأشراف : ج ١ ص ١٨ ، ١٩ ، الطبري : التاريخ : ج ٤ ص ٨٦ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٢ ص ٧١ ، ابن مساعد : طبقات الأمم : ص ٤٣ ، ابن منظور : لسان العرب : ج ١٠ ص ١٤٩ ، الجوهري : الصحاح : ج ١ ص ٦١٥ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٣١٣ .

(١١٤) أفلح بن يعبوب القضاعي من ولد امر مناة بن مشجعة بن قيم بن النمر بن وبرة ابن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاة .

البلاذري : أنساب الأشراف : ج ١ ص ١٨ ، ابن جزم : الجمرة : ص ٢٦٥ .

القبائل العربية - ٣٣٧

النسب المعروف غير المنكر من قال قولا غير ذا لا يبصر (١١٥)

وازاء ما بدا من قضاة من غضبها لما قيل عنها فقد أقر لها يزيد
ابن معاوية ما ذهبوا اليه من تمسكهم بانتماثلهم الى مالك بن حمير في
قحطان اليمن (١١٦) :

لم يقتصر ادعاء الأنساب وتجاهلها لدواعي الغضب في العصر
الأموي على القبائل وبطونها فحسب بل امتد الى الأصول نفسها ، فقد عز
على القحطانية أن يفاخرها العدنانيون بانتماثلهم الى الأنبياء وكونهم ولد
اسماعيل بن ابراهيم وأن محمدا ﷺ خرج من بينهم فادعى بعضهم أن
العرب كافة من سلالة اسماعيل بن ابراهيم وأيدوا ما ادعوه بقول النبي
ﷺ لنفر من أسلم والأنصار « ارموا بنى اسماعيل فان أباكم كان
راميا » (١١٧) وبشعر نسبوه الى المنذر بن حرام جد حسان بن
تابت (١١٨) ، وليس هذا فقط بل أقحموا اسم هود النبي في سلسلة
نسب قحطان فزعموا أن « عابر أبو قحطان » هو هود النبي (١١٩) وكذلك
جعلوا صالحا النبي حميري من آل ذي رعين (١٢٠) ثم أضافوا الى هذين
نبيي ثالثا ردا على افتخار العدنانية بأبيها اسماعيل فجعلوا أسعد تبع
المعروف بتبع الأوسط أحد تبابعة حمير نبيي مرسلوا واحتجوا لذلك بقوله
تعالى : « وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد » (١٢١) وقالوا بأن الله
لم يرسل الى قوم تبع رسولا غيره (١٢٢) وذهبوا في الحديث عن ملوك
التبابعة ومآثرهم الخالدة مذهبا بعيدا فجعلوا جيوشهم الفاتحة تغزو بلاد
الفرس والهند والترك والهياطلة وما وراء النهر واذريقية والمغرب فضلا

(١١٥) وقال عامر بن عبيدة بن فسيميل بن قران بن بلي القضاة :

وما أنا أن نسبت بخندي وما أنا من بطون بني معد
ولكننا لحمير حيث كنا ذوى الأكسال والركن الأشد

البلاذري : انساب الاشراف : ج ١ ص ١٨ ، ابن هشام : السيرة : ج ١ ص ١٠

(١١٦) الهمداني : الاكليل : ص ١٠١ ، الأصفهاني : الأغاني : ج ٨ ص ٩٠

(١١٧) ابن عبد البر : الانباء على قبائل الرواة : ص ٢٨

(١١٨) قال :

ورثنا من البهلول عمرو بن عامر وحارثة الفطريف مجدا مؤثلا

مآثر من ثبت بن ثابت بن مالك وثبت ابن اسماعيل ما ان تحولا

ابن عبد البر : المصدر السابق : ص ٢٨

(١١٩) عبيد بن شربة : اخبار عبيد بن شربة على هامش التيجان لوهب بن منبه :

ص ٣١٣ ، نشوان الحميري : منتخبات في اخبار اليمن : ص ٨٣ ، المسعودي : التنبيه

والاشراف : ص ٧١ ، ابن عبد البر : الانباء : ص ٢٧

(١٢٠) نشوان الحميري : منتخبات : ص ٦٢ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٣٥٥

(١٢١) سورة ق : آية ١٤

(١٢٢) نشوان : المصدر السابق : ص ١٢

عن بلاد العرب وخضوع نزار لسلطانهم (١٢٣) وجعلوا التبابعة يملكون الأرض كلها فهذا أسعد تبع مثلاً يقول : « قد دعتنى نفسى لأن أنطح الصين بخيل أقودها من ظفار » (١٢٤) .

وهكذا كان اخباريو اليمن ونسابوهم أطول باعاً وأكثر خيالاً فى اختراع القصص واختلاق الأحداث والاشتطاط فى الأنساب من رواة العدنانية واخباريينها (١٢٥) الذين شغروا بعجزهم عن مجارة اليمانية فى مجال الاختلاق التاريخى فوجهوا همهم الى ما جادت به قرائحهم من الفصاحة والبيان اللذين عرفوا بهما فافتعلوا بدورهم على لسان شعراء نزار القدامى ما شاء لهم خيالهم من الشعر ليفاخروا القحطانية بهذا التراث الأدبى الذى لم يتح لهم مثله مما حفظ لنا كثيراً من الأخبار والأشعار المختلفة التى وضعت بدافع العصبية واكتسبت على مر الزمن صفة الحقائق التاريخية السليمة التى تعج بها كتب التاريخ (١٢٦) .

رابعاً : دور الفصحاء والشعراء فى إثارة العصبية والنصرة القبلية :

كانوا من أهم ما أثار نوازع العصبية والنصرة القبلية فى العصر الأموى بين القبائل العربية مجموعة الخطباء والشعراء الذين كانوا ينافحون عن قبائلهم بشعرهم وبياناتهم فيذمون خصومها ويشيدون بذكر وقائعها وبطولاتها ويفاخرون بمحامدها ويمجدون فضائلها ، ولا يكاد يوجد عصر

-
- (١٢٣) الطبرى : التاريخ : ج ١ ص ٢٦٩ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٢٧١ .
 - (١٢٤) نشوان الحميرى : منتخبات فى أخبار اليمن : ص ٦٧ .
 - (١٢٥) يعتبر من أهم ما ورد فى ذلك كتاب أخبار عبيد بن شربة الجهمى المعروف بـ « كتاب الملوك وأخبار الماضين » المطبوع فى مجلد واحد مع كتاب وهب بن منبه المعروف بالتيجان فى ملوك حمير « طبع حيدر أباد عام ١٣٤٧ هـ وهو كتاب حافل بكثير من الأخبار والأشعار والأحداث التى جاء معظمها من نسيج خيال راويها فقال أن معاوية بن أبى سفيان لما ولى الخلافة أمر باستدعاء عبيد بن شربة من اليمن وصار يسأله عن أخبار الأمم القديمة وملوك العرب والعجم فحدثه بذلك كله وأمر معاوية بتدوين ما صدر عنه من أقوال فخرج لنا هذا الكتاب .

- الهمداني : الأكليل : ج ٨ ص ٧٨ ، المسعودى : مروج الذهب : ج ٣ ص ٢١ ،
- ابن التديم : الفهرست : ص ٨٩ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان : ج ٤ ص ٤١٧ ،
- كرد على : خطط الشام : ج ٦ ص ١٨٩ ، زكى محمد حسن : دراسات فى الموازنة بين المؤرخين : ص ٦ ، سيدة كاشف : مصادر التاريخ الإسلامى ومناهج البحث فيه : ص ١٣ ،
- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية : ص ٤٠٦ ، روزنتال : علم التاريخ عند المسلمين : ص ٢٧٥ .

- (١٢٦) انظر البلاذرى : أنساب الأشراف : ج ١ ص ٣٦ ، ٣٧ ، ابن عبد البر :
- الأنباء : ص ٣٥ .

من عصور الاسلام شارك فيه الشعراء والبلغاء في الخصومات القبلية بالخطب والشعر والمفاخرات والهجاء كالعصر الأموي (١١٧) ، فكان أهل اليمن بصفة عامة يفاخرون بماضيهم العريق وحضاراتهم القديمة وانتصاراتهم في الجاهلية ورجالهم المشهورين وسلالة ملوكهم من التبابعة والأقيال بينما يفتخر العدنانيون بانتمائهم الى النبي ﷺ ورجالهم المشهورين ويكون الحلفاء منهم وأيامهم التي انتصروا فيها على اليمن في الجاهلية ، ومن أمثلة ذلك ما تفاخر به عياش بن الزبرقان من مضر (١٢٨) وروح بن زنباع الجذامي من اليمن في مجلس عبد الملك بن مروان (١٢٩) وكان لخالد بن صفوان من مضر جولات موفقة في مفاخرة اليمانية وهو صاحب القول المأثور فيهم « هم بين حائك برد ودابغ جلد وسائس قرد دل عليهم هدهد وملكتهم امرأة ٠٠٠ الخ » (١٣٠) ، ولما فاخر صفوان الأبرش الكلبى في مجلس هشام بن عبد الملك قال الأبرش : « لنا ربع البيت يقصد الركن اليماني ومنا حاتم طيء ومنا المهاب » فقال خالد : « منا النبي المرسل وفيما الكتاب المنزل ولنا الخليفة المؤمل » فلما علا خالد الأبرش قال : لا فاخرت مضريا بعد ذلك (١٣١) .

كان لشعراء القبائل الباع الأطول في خوض غمار العصبية وتأجيج نار الفتنة في بلاد الشام والجزيرة طوال عصر بني أمية . وكان معظم شعراء العصبية بالشام ممن ينتمون الى كلب وقيس المضرية وتغلب ربيعة (١٣٢) ، ففي طليعة الشعراء الذين نطقوا بلسان قيس زفر بن الحارث الكلابي ونفيح بن صفار المحاربى والعجير السلولى (١٣٣) ، ومن

(١٢٧) انظر شوقي ضيف : العصر الاسلامى : ص ٢١٥ - ٤٥٣ .

(١٢٨) عياش بن الزبرقان من بنى بهدلة وهم بطن من بنى عوف بن كعب بن سعد ابن زيد مناة ، والزبرقان اسمه المعين ابن بدر بن امرئ القيس بن خلف ، وله وفادة .

البلاذرى : انساب الاشراف : ج ١ ص ٥٣٠ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٢١٨ .

(١٢٩) البلاذرى : انساب الاشراف : ج ١ ص ٢٥٤ .

(١٣٠) الجاحظ : البيان والتبيين : ج ١ ص ٣٠٠ .

(١٣١) الجاحظ : البيان والتبيين : ج ١ ص ٣٢٩ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٣ ص ٣٣٠ .

(١٣٢) شوقي ضيف : العصر الاسلامى : ص ٢٢ ، احسان النص : العصبية القبلية واثرها في الشعر الأموى : ص ٣٦٨ .

(١٣٣) اسمه عبد الله بن همام : ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ج ٢ ص ٦٣٣ ، المبرد : الكامل : ص ٧٨٥ .

تغلب أعشى تغلب (١٣٤) والأخطل والقطامي (١٣٥) ومن اليمانية برز عمرو بن مخلاة وجواس بن قعطل وحكيم بن عياش (١٣٦) والأصبغ بن ذؤالة وعمران بن هبء وكلهم من كلب يعاونهم افلح بن يعبوب من النمر ابن وبرة من قضاة وعدى بن الرقاع العاملي من عاملة اليمانية وجاوب هؤلاء وهؤلاء في معتركهم البعيث وغسان السليطي والعجاج الراجز وابنه رؤبة (١٣٧) من تميم من العدنانية وأبو جلدة اليشكري وعوف القوافي الفزاري وأبو النجم العجلي والعدليل (١٣٨) وهم من أخلاط العدنانية والطرماح الطائي وسراقة بن مرداس البارقي من اليمانية ، هؤلاء كلهم في جانب وفحول شعراء العصر الأموي وجريز والفرزدق والأخطل والكميت

(١٣٤) راجع عنه : الأغاني : ج ٢٠ ص ١١ ، ياقوت : معجم الأدباء : ج ١١ ،

ص ١٢٢ .

(١٣٥) القطامي : اسمه عير بن شبيب من بني الفدوكس عشيرة الأخطل من تغلب وكان نصرانيا اشترك في الحروب التي نشبت بين قبيلة تغلب وقيس ، وأسر يوم حاكسين وأطلق زفر بن الحارث سراحه فمدحه وأثنى عليه .

الأصفهاني : الأغاني : ج ٢٠ ص ١١٨ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ج ٢

ص ٧٠١ ، ابن سلام : طبقات الشعراء : ص ٤٥٢ ، الرزباني : معجم الشعراء : ص ٤٧ .

(١٣٦) عنه انظر الأصفهاني : الأغاني : ج ١٥ ص ١٢ ، ياقوت : معجم الأدباء :

ج ١٠ ص ٢٤٧ .

(١٣٧) العجاج الراجز هو عبد الله بن رؤبة التميمي نشأ بالبادية ونزل البصرة وكان

دائب الرحلة الى منازل قومه بالصحراء ، وقد سخر أراجيزه منذ يزيد بن معاوية في مدح الخلفاء وخاصة سليمان بن عبد الملك وكانت فيه عصبية لقومه جعلته يضطرب فيما يضطربون فيه من خصومات قبلية فهجا ربيعة بالمريد واقتصر منه أبو النجم العجلي ، أما ابنه رؤبة فقد ولد عام ٦٥ وأظهر شاعرية مبكرة ووفد مع أبيه على الوليد بن عبد الملك بدمشق وحج يرفقة سليمان سنة ٩٧ هـ . الأصفهاني : الأغاني : ج ١٨ ص ٦٠ ، ١٢٤ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ج ٢ ص ٥٧٢ ، ٥٧٥ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٢١٥ ابن سلام : طبقات الشعراء : ص ٥٧٩ ، ياقوت : معجم الأدباء : ج ١١ ص ١٤٩ ، ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق : ج ٧ ص ٣٤٩ .

(١٣٨) أبو النجم العجلي الراجز اسمه الفضل بن قدامة بن عبيد من بني ربيعة بن عجل.

ابن لجيم بن صعب بن بني بكر بن وائل من العرب العدنانية ، والعدليل بن الفرخ العجلي الشاعر اسمه الحارث بن ربيعة وهو من ولد معن بن سود بن عمرو بن بني شتي بن العباب من بني عجل ، وكان أبو النجم من أهل الكوفة مداحا لبني أمية ، مدح سليمان وهشام والحجاج وقد أقطعه هشام أرضا بالكوفة تسمى الفرك كان ينزلها وتوفرت له روح الفكاهة فيذكر أنه دخل على زياد بن أبيه فرهبه رهبة شديدة فخرج من عنده وهو يقول :

أقبلت من عند زياد كالخرف تخبط رجلاي بخبط مختلف

تكتبان في الطريق لام ألف

انظر الأصفهاني : الأغاني : ج ١٠ ص ١٥٠ ، ج ٢٠ ص ١١ ، ابن قتيبة : الشعر

والشعراء : ج ٢ ص ٥٨٤ الرزباني : معجم الشعراء : ص ١٨٠ ، ابن حزم : الجمهرة :

ص ٣١٤ ، ابن سلام : طبقات الشعراء : ص ٥٧٦ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٣٤٥ .

ابن زيد الأسدي في جانب لأن هؤلاء درسوا دراسة عميقة في تاريخ القبائل العربية في الجاهلية والإسلامية واستلهموا هذا التاريخ في أشعارهم وقصائدهم بحيث أصبحت تعد من الوثائق التاريخية الطريفة ذات القيمة العالية التي لا يستهان بها ، لأن معظمها لم يكن هجاء فقط بل كان أيضا دراسة وتحليلا لأن الشاعر من هؤلاء لم يكن مضطرا لدراسة تاريخ القبائل التي يحامي عنها ليشيد بمحامدها ومآثرها فحسب بل كان يدرس أيضا تاريخ القبائل التي يهجوها ليقف على مثالبها والأيام التي انهزمت فيها حتى يكتسب القدرة على نشر مخازيها في الناس (١٣٩) ، ومن ثم فقد كان الدور البارز لهؤلاء الشعراء الفطاحل في إثارة العصبية والنصرة القبلية في بلاد الشام والعراق طوال العصر الأموي .

بالغ شعراء اليمانية بالشام في تأييد البيت الأموي بعد عهد يزيد ابن معاوية أثناء المحنة المروانية وفي طليعتهم ابن مخلاة وجواس بن قعطل وحكيم بن عياش وأشادوا بحقهم في الخلافة وناهضوا منافسيهم من آل الزبير وغيرهم لأن مصلحتهم القبلية كانت تفرض عليهم مساندة الحكم الأموي وفي نفس الوقت كانوا لا يتورعون عن توجيه اللوم لهم إذا أنسوا منهم ازورارا عنهم أو تقريبا لغيرهم (١٤٠) ، وقد أدى استظهار بني أمية باليمانية في أول خلافتهم واصطناعهم إياهم إلى نقمة شعراء القيسية القبيلة الأولى في مضر الشام ضد بني أمية فولوا وجههم شطر ابن الزبير وظاهروه عليهم (١٤١) وكان على رأس هؤلاء الشعراء زفر بن الحارث ونفيح بن صفار المحاربي وبسبب هذه الخصومة ثارت معركة لسانية عنيفة بين شعراء الفريقين لم تهدأ ثائرتها الا باستتباب الأمر لعبد الملك بن مروان واصلاحه بين القبائل المتخاصمة (١٤٢) .

لم يكن معظم شعراء العصر الأموي لدواعي العصبية القبلية التي استشرت بينهم ولقربهم من حياة الجاهلية رسل محبة وأخوة أو دعاة اصلاح وسلام كما يجب أن يكونوا وانما كان أكثرهم دعاة شر وملقحي فتن وأبواق حرب دأبهم أن يحرشوا بين القبائل ويقرعوا طبول الشر حتى إذا ما وقعت الحرب طفقوا يهللون لها ويشيدون بأمجادهم فيها ويدعون للثأر (١٤٣) مما حدا بالحسن البصري (١٤٤) فقيه عصره بأن يتهمهم

(١٣٩) شوقي ضيف : العصر الإسلامي : ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

(١٤٠) انظر شرح حماسة أبي تمام : ج ٤ ص ٦٦ ، البلاذري : أنساب الأشراف :

ج ٥ ، ص ١٣٥ .

(١٤١) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٥٣١ .

(١٤٢) انظر الأصفهاني : الأغاني : ج ٨ ص ٢٩٩ .

(١٤٣) احسان النص : العصبية القبلية : ص ٣٧٦ .

(١٤٤) عنه انظر : ابن سعد : الطبقات : ج ٧ ص ١٥٦ .

بأنه لم تكن فتنة الا كانوا أكثر أهلها (١٤٥) ، وكذلك وصفهم هشام بن عبد الملك بأنهم : « الذين فرقوا أعراضهم وهتكوا أستارهم وأغروا بين عشائهم في غير خير ولا بر ولا نفع » (١٤٦) .

وما أكثر الفتن التي كان الشعراء مثيرينها وموقدى نارها فقد إننا نبأ الأخطل شاعر تغلب النصراني (١٤٧) الذي هجا الأنصار أيام معاوية بقضيده التي يقول في مطلعها :

ذهبت قريش بالكارم والعلا واللؤم تحت عمائم الأنصار
قوم اذا هدر العصير رايتهم حمرا عيونهم كجمر النار (١٤٨)

فلما علم الأنصار بقوله هاجوا وماجوا وأتوا معاوية غاضبين متوعدين ولم تهدأ نائرتهم حتى وعدهم بقطع لسان الأخطل إن ظفر به (١٤٩) ، ومع ذلك فلم تقر لهم عين حتى هجا النعمان بن بشير الأنصاري الأخطل وقومه قال :

أبلغ قبائل تغاب ابنة وائل من الفرات وجانب الثرثار
فأللؤم بين أنوف تغلب بين كالرقم فوق ذراع كل حمار (١٥٠)

والأخطل أيضا هو الذي أهاج الجحاف بن حكيم السلمي (١٥١) زعيم القيسية في مجلس عبد الملك بن مروان حين تحداه أن يثار لقتلى قيس بعد أن هدأت الفتنة بينها وبين تغلب وذلك حيث قال :

ألا سنائل الجحاف هل نأثر بقتلى أصيبت من سليم وعامر

(١٤٥) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٣٤٠ .

(١٤٦) الأصفهاني : الأغاني : ج ٨ ص ٨١ .

(١٤٧) عنه انظر : الأصفهاني : الأغاني : ج ٨ ص ٢٨٠ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء :

ج ١ ص ٤٥٥ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٣٣٨ .

(١٤٨) ديوان الأخطل : ص ٣١٤ ، الأصفهاني : الأغاني : ج ١٥ ص ١٠٦ .

(١٤٩) الأصفهاني : الأغاني : ج ١٥ ص ١١٠ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء :

ج ١ ص ٤٥٦ .

(١٥٠) المصدر السابق : ج ١٣ ، ص ١٤٧ ، ج ١٤ ص ١١٤ ، ج ١٥ ص ١١٨ و به

تفصيل قصة هجاء الأخطل للأنصار وظروفها ودور يزيد بن معاوية فيها وموقف معاوية منها وكذا شوقي ضيف : العصر الإسلامي : ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

(١٥١) اسمه الجحاف بن حكيم بن عاصم بن قيس بن سباع بن خزاعي بن محارب

ابن هلال البطلان الفاتكان من بني سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٦٤ .

فجعل الجحاف يتميز غيظاً حتى أنه كان يأكل رطباً فصار النوى
يتساقط من يده وهو لا يدري ورد عليه بقوله :

بلى سوف نبكيهم بكل ميند وننعي عميرا بالرماح الشواجر

وخرج الجحاف من عند عبد الملك بن مروان يجر أذياله ولم يهدأ
حتى أوقع بتغلب وقعته المعروفة بيوم البشر التي اقترفت فيها قيس
الكثير من الأهوال والفظائع (١٥٢) *

على أن أكثر ما أهاج العصبية القبلية في العصر الأموي قاطبة بين
العدنانية والقحطانية في بلاد الشام وسائر بلاد الدولة الإسلامية تلك المعركة
اللسانية الحامية التي وقعت بين شاعر النزارية الكوفي الشيعي الكميت
ابن الأسد (١٥٣) وشاعر الشام اليمنى حكيم بن عياش المعروف بالأعور
الكلبي في عهد هشام بن عبد الملك وذلك على أثر محاباة بني أمية لبعض
القبائل من اليمن على حساب القبائل الأخرى فبعد أن استمر بينهما
التلاحى والتهاجى وكل منهم يعدد مناقب قومه ومآثرهم وينتقص من الآخر
وأصله جمع الكميت أفضل ما جادت به قريحته وما تفتق عنه ذهنه
وانطلق لسانه كالسهم مدويا بقصيدته المشهورة التي قيل أنها بلغت

(١٥٢) الأصفهاني : الأغاني : ج ١٢ ص ١٩٨ ، ابن الأثير : ج ٤ ص ٨ وسوف
يلي ذكر ذلك بالتفصيل في البند الخاص بالحروب بين قيس وتغلب *

(١٥٣) من فحول شعراء العصر الأموي ، اسمه الكميت بن زيد بن خنيس من ولد
ثعلبة بن دودان من بني أسد العدنانية وهو شاعر شيعي محسن مات سنة ٩٩ هـ ،
شرب قلبه حب الهاشميين وانقطع لزيد بن علي بن الحسين أمام الزيدية مداحاً له ولأسرته ،
ومذهبه في التشيع ومدح آل البيت أيام بني أمية معروف ، عاش حياته كلها في الدولة
الأموية متعصباً للمضرية هجاء لليمانية فلما قال قصيدته المشهورة فيهم عرض نفسه
لاخطار كثيرة فقبض عليه والى العراق اليمنى خالد بن عبد الله القسري وسجنه إلا أنه
أفلح في الهرب من مجلسه متنكراً في ملابس النساء وقصد الشام مستجيراً بقريش فاجاره
مسلمة بن عبد الملك *

الأصفهاني : الأغاني : ج ١٥ ص ١٠٨ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ج ٢
ص ٥٦٢ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ١٩٣ ، ابن عمران المرزباني : معجم الشعراء :
ص ٣٧٤ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان : ج ٥ ص ٢٢١ ، شوقي ضيف : العصر الإسلامي :
ص ٣٢٣ - ٣٢٩ ، التطور والتجديد في الشعر الأموي : ص ٢٩٢ *

ثلاثمائة بيت (١٥٤) فصار يشيد بمآثر قومه من مضر بن نزار بن معد وربيعة بن نزار وأنمار بن نزار مبينا أنهم أفضل من قحطان وصرح وأشار بما كان من أمر الأحباش فيهم ولم يترك حيا من أحياء اليمن إلا هجاهم وتطاول عليهم وبين مثالبهم ومخازيهم ، مما أغضب اليمنية في سائر الأمصار في الحضر والبادي وأدى الى تدفق تيار من العصبية بين البحرين استغرق بقية عهد الدولة الأموية حتى نهايتها وشطرا من العصر العباسي ، فعلى الرغم من أن حكيم بن عياش الكلبى نقض قصيدة الكميت في حينها بقصيدته التى قال فيها من نفس وزنه وقافيته :

سقيناهم دماءهم فسالت فأبررنا اليه مقسمينا (١٥٥)

الا أن ذلك لم يشف نفوس اليمنية واستمر نقض قصيدة الكميت على التوالى من شعرائهم حتى بعد نهاية العصر الأسوى مما حدا بدعبل بن على الخزاعي (١٥٦) الى نقضها (١٥٧) على الرغم مما كان يربطه بالكميت

(١٥٤) وذكر أيضا في سبب قوله لهذه القصيدة أن حكيم بن عياش الكلبى كان متمصبا للأمويين مداحا لهم هجاء للهاشميين وزيد بن على بن هبالة فرأى الكميت أن يصرفه عن ذلك بفتح معركة مع اليمنية والمضرية وبذلك يدفعه عن هجاء بني هاشم ويشغله بقومه والذب عنهم فجاءت قصيدته كالسهم المدوية فى قلب عياش وسائر القحطانية وهى التى يقول فيها :

الا حييت عنا يا مدينا	وهل ناس تقول مسلمينا
لنا قمر السماء وكل نجم	تشير اليه أيدى المهدينا
وجدت الله اذ سمى نزار	واسكنهم بمكة قاطنينا
لنا جعل المكارم خالصات	وللناس القفا ولنا الجبين
وما ضربت هجائن من نزار	فوالج من فحول الاعجين
وما وجدت بنات من نزار	حلائل أسودين وأحمرينا

الأصفهاني : الأغاني : ج ١٥ ص ١١٢ ، المسعودى : مروج الذهب : ج ٣ ص ٢٤٤ و ٢٤٥ ، ياقوت : معجم الأدباء : ج ١٠ ص ٢٤٨ ، البغدادى : خزائن الأدب : ج ١ ص ٨٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان : ج ٥ ص ٢٢٠ ، شوقي ضيف : العصر الإسلامى : ص ٢٢٥ .

(١٥٥) المسعودى : مروج الذهب : ج ٣ ص ١٥٥ .

(١٥٦) ابن حزم : الجبهة : ص ٢٤١ .

(١٥٧) قال دعبل :

أفيق من ملامك يا طمينا	كفياك اللوم من الأربعينا
أحيى الفر من سروات قومي	لقد حييت عنا يا مدينا
فان تك آل اسرائيل منكم	وكنتم بالأعاجم فاخرينا
فلا تنسى الخنازير اللواتي	مسخن مع القروود الخاصينا
لقد علمت نزار أن قومي	الى نصره النبوة فاخرينا

ديوان دعبل : جمع وتحقيق عبد الصاحب عمران الدجيلي : ص ٢٢٤ .

وعن دعبل : انظر ابن النديم : الفهرست : ص ٢٢٩ .

من رابطة التشيع فسمت عنده رابطة النسب على رابطة المذهب مما يدل على ما كان لهذه القصيدة من أثر بالغ في إيقاد نار العصبية بين العدنانية والقحطانية في ذلك الوقت .

وقد ذكر الأصفهاني (١٥٨) أن السبب الذي جعل الكميت بن زيلم يقول قصيدته المشهورة في هجاء اليمن هو أن حكيم بن عياش الكلبي كان ولعا بهجاء مضر وكان شعراؤها يهيجونه فلا يصيبون منه فقنلا . كل هذا والكميت يرقب عن كذب ما يدور بينهم دون خوض فيه خشية بطش خالد القسري (١٥٩) وإلى العراق اليماني من قبل هشام بن عبد الملك غير أن صبره لم يطل على عياش حين تعرض في شعره لنساء نزار بالهجاء الفاحش فانطلق المارد من عقاله وكان ما وقع بين القوم ولم يسلم القسري نفسه من لسانه حين هجاه وعرض بنسبه وعشيرته فقال عنه في نفس القصيدة :

تجاوزت المياه بلا دليل ولا علم تعسف مخطئنا
فانك والتحول من مد كهيلة قبلنا والحالينا
تخطت خيرهم حلبا وبسا إلى الوالي المغادرها ذئنا
كعز السوء تنطح عالفينا وترميها عصا الذابحينا (١٦٠)

وقيل أن الذين حضه على ذلك هو عبد الله بن دعاوية بن عبد الملك ابن جعفر من بيت بنى هاشم لاثارة الفتنة وضعضعة الأمويين وتهيئة المناخ لإعلان ثورة الشيعة على بنى أمية (١٦١) ، وأيا كان السبب الذي

(١٥٨) الأغاني : ج ١٥ ص ١١٢ .

(١٥٩) هو خالد بن عبد الله القسري بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي اليمانية ، وقد جده يزيد بن أسد على النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه ثم نزل الشام ، وقد تزوج عبد الله القسري نصرانية رومية من أهل الشام وأنجب منها خالدا ، ولما ولي العراق لبنى أمية اشترى خططا بالكوفة وأبتنى بها وله عقب كثير وعدد .

(الأصفهاني : الأغاني : ج ١٧ ص ٤ ، ابن سعد : الطبقات : ج ٧ ص ٤٢٩ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٣٩٨ ، المبرد : الكامل في اللغة والأدب : ج ٢ ص ٧٥ ، الأمدى : المؤلف والمختلف : ص ٧٩ ، ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، على هامش الإصابة في تمييز الصحابة : ج ٣ ص ٦٥٢ ، ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة : ج ٣ ص ٦٥١ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان : ج ٣ ص ٢٢٩ ، زيدان : تاريخ التمدن : ج ٤ ص ١٠٩ .

(١٦٠) هيلة : عنز كانت تنطح من يطعمها فضرب بها المثل ، وهذه الأبيات في مجملها تنهم بجيلة قوم خالد بأنها كانت معدية الأصل ثم تحولت إلى اليمن وهذا مما يعيبها ويشينها .

الأصفهاني : الأغاني : ج ١٥ ص ١١٢ .

(١٦١) المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ١٥٥ .

حدا بالكميت لقول ما قال فانه لما ذاعت هذه القصيدة وانتشر خبرها احتدمت العصبية بين القبائل من عدنان وقحطان في شتى بقاع الدولة واستمرت تفعل فعلها لوقت طويل وتحزبت الناس وأدلى كل فريق بما له من مناقب ومآثر مفتخرا بنفسه ومنتقضا من غيره (١٦٢) .

مما سبق يتضح لنا أن صلة النسب الكبرى هي التي أدت الى تحزب شعراء العصر الأموي في كتلتين كبيرتين هما كتلة اليمينية وكتلة شعراء العدنانية ، وكان لشعراء نزار التفوق الكمي والكيفي على شعراء قحطان فقد برز من تميم وحدها في العدد ما يفوق شعراء اليمينية كافة غير أن الأخيرة عوضها عن التخلف في هذا المضمار تفوقها على الأولى في مجال الرواية والأخبار والعلم بالأنساب ، وأيا كان ما تفوق فيه كل طرف على الآخر فقد استخدم الجميع إمكاناتهم في مجال العصبية القبلية التي نشبت بينهم في ذلك الزمن البعيد (١٦٣) والأمثلة على ذلك كثيرة ومتعددة نذكر منها أيضا ما نشب بين الشاعرين المتعصبين الطرماح (١٦٤)

(١٦٢) المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ١٥٥ .

(١٦٣) شوقي ضيف : العصر الاسلامي : ص ٢٣٢ ، محمد مصطفى هداره : دراسات في الشعر العربي : ص ٩٦ ، ٩٧ ، احسان النص : العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي : ص ٤٣٧ ، ٤٣٨ .

(١٦٤) الطرماح هو : حكيم بن حكم بن ثمر بن بني جرويل بن ثعل من طيء ، والطرماح تعني المفرط في الطول ولقبه الطرماح الأسفر ، وهو شاعر طائي يمني محسن نشأ في الشام وانتقل الى الكوفة مع من صار اليها من جيوش الشام وكان ينزل في بني تميم اللات بن ثعلبة وعنهم أخذ مذهب الخوارج الصفرية ومع ذلك فقد كان متعصبا لأهل الشام وصديقا حميما للكميت الذي كان متعصبا لأهل الكوفة اذ جمعت بينهما مهنة واحدة وهي تعليم الناشئة من أولاد العامة . وكان الطرماح شديد العصبية لقبيلته ولسائر القبائل القحطانية وخاصة الأزدي قبيلة المهلب بن أبي صفرة وهذا ما دلعه لأن يدخل في معركة حادة مع الفرزدق شاعر تميم عدوة الأزدي والقبائل القحطانية كلها ومجاهم بأقذع الهجاء وكان مما قاله فيهم :

لو حان ورد تميم ثم قيل لها	حوض الرسول عليه الأزدي ، لم ترد
أو أنزل الله وحيا يعذبها	ان لم تعد لقتال الأزدي ، لم تعد
لا تأمن تميم على جسده	قد مات ما لم تزول أعظم الجسد

الأصفيائي : الأغاني : ج ١٢ ص ٢٥ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ج ٢ ص ٥٦٦ ، الجاحظ : البيان والتبيين : ج ١ ص ٤٦ ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٠٣ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٣٩٢ ، المزياني : معجم الشعراء : ص ٢٠٨ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ٧ ص ٥٥ ، ٥٦ ، شوقي ضيف : العصر الاسلامي : ص ٢١١ - ٣١٤ .

الطائي الشامي من قحطان والفرزدق (١٦٥) التميمي البصري من مضر العدنانية وهما اللذان عرفا بشدة العصبية لقومهما ، فقد ثار الطرماح على الفرزدق حين هجبا الأزد وقحطان في بعض أشعاره فقامت بينهما المناقضات التي اتسمت بالطابع القبلي (١٦٦) اذ لم يقنع كل منهما بهجاء شخص خصمه وعشيرته وانما شمل بهجائه الشعب الذي ينتمي اليه كله فكان الطرماح يهجو نزارا بأجمعها والفرزدق يهجو اليمن عامة ويخص طيء قوم الطرماح ويصب وابل غضبه عليها فيتهمها بفساد العقيدة وكتمان النصرانية دينها القديم ثم يتعرض لنساء طيء فيشيب بهن وكان مما قال في ذلك :

لقد هتك العبد الطرماح ستره وأصلى بنسار قومه فتصلت
ولولا حذار أن تقتل طيء لما سجدت لله يوما وصلت
نصارى وأنباط يؤدون جزية سراعاً بها جمرا اذا هي أهلت (١٦٧)

ولم يكن الطرماح ليسكت على ما الحق به الفرزدق وبقومه لا سيما وأن معظم القوم من الجانبين كانوا متربصين ما يثول اليه أمرهما فسرعان ما أرسل اليه بتأنيته في هجاء تميم رداً على ما جاء في تائية الفرزدق في

(١٦٥) الفرزدق بن غالب بن صعصعة من كبار شعراء العصر الأموي من عشيرة مجاشع الدارمية من تميم .

انظر ترجمته وسيرته : الأصفهاني : الأغاني : ج ١٩ ص ٢ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ج ١ ص ٤٤٢ ، البرد : الكامل : ج ١ ص ٣٠٦ ، الطبري : ج ٤ ص ١٨٠ ، ياقوت : معجم الأدباء : ج ١٩ ص ٢٩٧ ، ابن سلام : طبقات الشعراء : ص ٢٤٩ ، البغدادي : خزائن الأدب : ج ١ ص ١٠٥ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٣٠ ، المرزباني : معجم الشعراء : ص ٤٦٥ ، القالي : الأمل : ج ٣ ص ٥٣ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٢٣٩ .

(١٦٦) ذكر ابن عساكر في ذلك : أن الطرماح دخل على عبد الملك بن مروان وعنده الفرزدق وهو مقبل عليه فقال الطرماح منكراً له : يا أمير المؤمنين من هذا الذي أهلك عني ؟ فالتفت الفرزدق منفضاً وقال :

أقول له وقد أنكروا بعض حالي ألم تعرف رقباب بني تميم ؟
فقال الطرماح :

بلى أعرف رقباب مخيسات رقباب مذلة رقباب لؤم
إذا كنت متخذاً خليلاً فلا تجعل خليلاً من تميم
يكون صميمهم والعبد منهم فما أدنى العبد من الصميم

ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق الكبير : ج ٧ ص ٥٦ .

(١٦٧) ديوان الفرزدق : ص ١٣٥ والجزء : الوثب ، الرازي : مختار الصحاح :

ص ١٠٩ .

هجاء طيء وصار يعيرها خضوعها لابن المهلب ويفتخر بطفء وقحطان كافة أيامها وفضلها في تثبيت قواعد الدين والخلافة قال الطرماح :

بأى بلاد العز بعدما بمولدها هانت تميم وذلت
وكانت تميم وسط قحطان اذا سمت كمقذوفة في اليم ليلا فضلت
ونجاك من أسد العراق كئائب لقحطان أهل الشام يوم استهلّت
بهم نصر الله النبي وأثبتت عرى عقد الاسلام حتى استمرت
(١٦٨)

وبهم ينصر الله الخليفة كلما رأوا نعل صنديد عن الحق زلت
وهكذا ذهبت العصبية بالأزد وتميم كل مذهب حتى قيل أن رجلا
من الأزد كان يطوف بالبيت العتيق وهو يدعو لأبيه ولما سئل لماذا
لا يدعو لأمه ؟ قال : لأنها تميمية (١٦٩) !! فهذا الأزدى - ان صحت
الرواية - قد أوردته عصبية موارد العقوق فضن على أمه بالدعاء في وقت
يتجرد الانسان فيه من كل شوائب الدنيا (١٧٠) *

لم يكن شيطان العصبية القبلية في العصر الأموي متحكما في كل
من القبائل العدنانية والقحطانية وشعرائهما فحسب بل كانت هناك
عصبية أخرى أشد قسوة وضراوة كان مسرحها بلاد الشام والجزيرة
وغيرها من أمصار الدولة ألا وهي العصبية القبلية بين قطبي نزار العدنانية
من ربيعة ومضر (١٧١) ، فقد كانت العداوة بينهما قديمة ترجع جذورها
الى العصر الجاهلي نتيجة الحروب والوقائع الطويلة المتصلة التي حدثت
بين قبائل ربيعة ومضر (١٧٢) والتي كان من شأنها تأريث الأحقاد
والضغائن فيهم حتى أن صلة النسب العدنانية لم تستطع أن تؤلف بينهم
للقوف في وجه القبائل القحطانية ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل
رأينا ربيعة في كل من البصرة وخرسان تنحاز الى جانب اليمن وتحالف
الأزد ضد شقيقتها مضر (١٧٣) بدافع الأحقاد والضغائن التي كانت
بينهما وتضارب مصالحهما ولأن ربيعة فيما يبدو كانت ساخطة على مضر

(١٦٨) ديوان الطرماح : ص ١٣٩ نشر كرنكو ، لندن ١٩٢٧ .

(١٦٩) المبرد الكامل : ج ١ ص ١١٨ .

(١٧٠) الطيب النجار : الموالى في العصر الأموي : ص ٣٤ .

(١٧١) ربيعة ومضر أولاد نزار بن معد بن عدنان .

المصعب الزبيري : نسب قريش : ص ٦ .

(١٧٢) انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٣ ص ٣٤٣ ، ابن الأثير : الكامل :

ج ١ ص ٢٤٢ ، ٢٥٦ ، جورجى زيدان : العرب قبل الاسلام : ص ٢٥٧ - ٢٦٣ .

(١٧٣) الأصفهاني : الأغاني : ج ١٤ ص ٢٩٠ ، الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٣٧٩ ،

الدينوري : الأخبار الطوال : ج ١ ص ٣٦٥ .

يسبب استئثارها بالنبوة والخلافة شأنها في ذلك شأن قحطان وقد صور ابن حازم هذا الحد بقوله : « ان ربيعة لم تزل غضايا على ربها منذ اختار الله رسوله من مضر » (١٧٤) فلا عجب أن يجمع هذا الشعور المشترك بين كل من ربيعة واليمن ضد منافستهما مضر في بعض الأحيان .

أدت العداوة بين حبي نزار العدنانية من مضر الى وقوع التهاجي والتناقض بين شعرائهما في كل من بلاد الشام والجزيرة والعراق وخراسان وغيرها فحين تحولت قيس زعيمة مضر بعد مرج راهط من قتال كلب كبرى القبائل اليمنية (١٧٥) الى قتال تغلب بالجزيرة الفراتية واتصلت الوقائع بينهما (١٧٦) - على نحو ما سوف نذكره في الحروب القبليّة في بلاد الشام - ثارت معركة لسانية عنيفة بين شعراء تغلب وقيس شارك فيها من الأخيرة زفر بن الحارث وعمير بن الحباب ونفيع ابن صفار ومن تغلب القطامي وعمرو بن الأهم والأخطل الذي ألقى في هذا الخضم بكل ثقله وبيانته واتصلت المناقضات والأهاجي بينه وبين شعراء قيس ولا سيما ابن صفار المحاربى (١٧٧) وما لبث ميدان هذه المعركة ان اتسع وتجاوز حدود الشام فخاض حليتها نفر من شعراء العراق من مضر ربيعة ثم عاد نطاقها وانحصر بين قطبي مضر والعراق وربيعة الشام جرير (١٧٨) والأخطل فلما نشبت التهاجي بينهما لأسباب شخصية أخذوا يستعيدان أخبار المعارك التي وقعت بين قيس وتغلب بالجزيرة ويصورانها تصويرا دقيقا مما جعل ذكرى هذه الوقائع تظل حية في أذهان الناس أمدا طويلا (١٧٩) بعد أن خبت نارها وخاصة أن الحرب الهجائية بين شاعري مضر وربيعة ظلت مستعرة زهاء عشرين عاما ولم تتوقف الا بوقاة الأخطل سنة ٩٢ هـ (١٨٠) .

(١٧٤) الطبرى : التاريخ : ج ٤ ص ٤٢٤ .

(١٧٥) ابن عساکر تاريخ مدينة دمشق : ج ٧ ص ١٢ .

(١٧٦) ابن الاثير : الكامل : ج ٤ ص ٣١٠ .

(١٧٧) انظر نقاض جرير والأخطل : ص ٣٨ ، ديوان القطامي : ص ٨٤ ، ديوان

الأخطل : ص ١٣٤ ، الأصفهاني : الأغاني : ج ١٢ ص ٢٠٥ ، ج ٢٠ ص ١١٧ .

(١٧٨) جرير شاعر تميمي مفوه من فحول شعراء العصر الأموي ينتمى الى عشيرة

كليب اليربوعية . انظر ترجمته وسيرته : الأصفهاني : الأغاني : ج ٨ ص ٣ ، ابن قتيبة :

الشعر والشعراء : ج ١ ص ٤٣٥ ، ابن سلام : طبقات الشعراء : ٣١٥ .

(١٧٩) احسان النص : العصبية انقبالية : ص ٤٥٢ .

(١٨٠) ديوان الأخطل : ص ٢٢ ، شوقي ضيف : العصر الاسلامي : ص ٢٦٤ ، محمد

مصطفى مدارة : دراسات في الشعر العربي : ص ١٢٩ .

ذكر الأصفهاني (١٨١) ان الذي أهاج الشر بين الشعارين المذكورين هو تفضيل الأخطل للفرزدق على خصمه جرير في مجلس بشر بن مروان (١٨٢) وإلى الكوفة لأخيه عبد الملك بن مروان مما أثار حقدده عليه وحمله على هجائه وطعن في حكمه على أنه مخمور لا حكم له وهجا قومه بنى تغلب وفضل عليهم اخوتهم بكر وكان مما قاله :

يازا العبياء ان بشرا قضى أن لا تجوز حكومة النشوان
فدعوا الحكومة لستم من أهلها أن الحكومة في بنى شيبان
بكر أحق بأن يكونوا قومها وأن يفوا بحقيقة الجيران (١٨٣)

ثم جعل جرير يفاخر خصمه بقومه من كليب وسائر المضرية ويعدد وقائعهم وأيامهم على تغلب بالجزيرة وعيرهم يسبى نسائهم فقال :

أنسيت يومك بالجزيرة بعدما كانت عواقبه عليك وبالا
حملت عليك حماة قيس خيلها شعثا عوابس تحمل الأبطالا
مازلت تحسب كل شيء بعدها خيلا تشد عليكم ورجالا
زفر أبو الهذيل أبادكم فسبى النساء وأحرز الأموال
قال الأخطل اذ رأى راياتهم يمار سرجس لا تريد قتالا (١٨٤)

وسرعان ما شحذ الأخطل شاعريته لهجاء خصمه وخص قبيلته كليب بالهجاء دون سائر تميم حتى لا يتعرض لنصيره الفرزدق وقومه من دارم ، وكان يشمل هجاء كليب بهجاء قيس كلها لما كان بينها وبين قومه من وقائع بالجزيرة ، أما سائر المضرية فلم يتعرض لهم لأنه لم يكن في وسعه مجاراة خصمه وفي مضر النبوة والخلافة كما لم يكن باستطاعته التعرض للإسلام دين الخليفة وكل القبائل فكان مجال القول أمامه أضيق من مجال جرير (١٨٥) ومع ذلك فقد استطاع أن يقارعه وأن يكون ندا قويا له فسدد سهام هجائه إلى كليب وألصق بها كل مخزية تنسب إلى تميم وفضل عليها دارم قوم الفرزدق أمعانا في إثارة حقدده وضغنه فيقول :

- (١٨١) الأغاني : ج ٨ ص ٣١٥ .
(١٨٢) عنه انظر : المصعب الزبيري : نسب قریش : ص ١٦٠ ، ١٦١ .
(١٨٣) ديوان جرير : ص ٥٦٩ ، نقائض جرير والأخطل : ص ٢١٠ ، الأصفهاني :
الأغاني : ج ١١ ص ٦١ ، ج ٨ ص ٣١٥ .
(١٨٤) ديوان جرير : ص ٤٥١ ، نقائض جرير والأخطل : ص ٨٣ ، (نشر انطوان صالحاني بيروت ١٩٢٢) .
(١٨٥) حذارة : دراسات في الشعر العربي : ص ١٣٠ ، النص : العصبية القبلية :
ص ٤٥٩ .

قبسج الاله بسنى كليب انهم لا يحفظون محسارم انجيران
واذا تنودب للمكارم والعللا لم يندبوا لترادف الاعوان
تاج الملوك وفخرهم فى دارم وأيام يربوع مع الرعيان (١٨٩)

ويتطرق الأخطل فى هجائه لجرير الى أيام تميم التى عزمتم فيها فى
الجاهلية وخاصة يوم الكلاب (١٨٧) ويقارنها بأيام ربيعة التى يفتخر بها
العرب كيوم ذى قار فيقول :

هلا كفيتم معدا يوم معضلة كما كفينا معدا يوم ذى قار
هلا منعتم شرحبلا وقد حدثت له تميم بجمع غير أخيسار
(١٨٨)

يوم الكلاب وقد سيقتم نساؤكم سوق الجلائب من عون وابكار

ولم يفت الأخطل أن يعيره بمقتل عمير بن الحبيب السلمى بأيدى
تغلب يوم الحشاك وقطع رأسه (١٨٩) ، فلما حضروا بها الى عبد الملك
ابن مروان فخر الأخطل بالقضاء على متمرّد قيس وقال :

وقد نصرت أمير المؤمنين بسا لما أتاك ببطن الغوطة الخبر
أثر (١٩٠)
يعرفونك رأس ابن الحبيب وقد أضحى وللسيف فى خيشومه

لما جد جرير فى دفع عادية الأخطل عن قومه وعشيرته وجد فى
نصرانيتها وقومه منفذا سهلا لهجائهم فما برح يشير الى دينهم ويعيرهم
شرب الخمر وأكل الخنزير وأداء الجزية وسب نساؤهم ونحو ذلك
فيقول :

قبسج الاله وجوه تغلب كلما قام الحجيج وكبروا اهلالا
عبدو الصليب وكذبوا بمحمد وبجبرائيل وكذبوا ميكاالا
المعرسين اذا انتشوا بيناتهم والدائبين اجارة وسؤالا

(١٨٦) نقاض جرير والأخطل ص ٢١٩ .

(١٨٧) جورجى زيدان : العرب الاسلام : ص ٢٥٧ - ٢٦٣ ، أيام بكر و تميم فى
الجاهلية .

(١٨٨) نقاض جرير والأخطل : ص ١٣٤ .

(١٨٩) الأصفهائى : الأغاني : ج ١٢ ص ١٩٨ ، ابن حبيب : المحبر : ص ٤٩٢ .

ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣١٧ .

(١٩٠) نقاض جرير والأخطل : ص ١٣٣ .

لولا الجزاء وقسم السودا في المسلمين . لكنتم . اليوم أنفالا (١٩١)

وهكذا لم تكن العصبية القبلية في بلاد الشام حكرا على جذمى العرب من عدنان وقحطان بل كانت في قطبي نزار من مضر وربيعة أشد وأنكى مما نغص على بنى أمية أيامهم وساهم في تقويض صرح دولتهم عندما فلت زمام الأمور بين القبائل من جراء العصبية والفتن القبلية بعد انتهاء عهد خلفاء بنى أمية العظام الذين كان آخرهم هشام بن عبد الملك (١٠٥ هـ - ١٢٥ هـ - ٧٢٤ م - ٧٤٣ م) وزج من أتى بعده في غمارها فاحترق بنارها .

(١٩١) ديوان جرير : ص ٤٥ ، نقاضى جرير والاختل : ص ٨٣ .

الفصل الثاني

الحروب القبلية في بلاد الشام

أولا - الحرب بين القيسية واليمينية :

(أ) موقعة مرج راهط :

أدى ظهور نوازع العصبية في بلاد الشام بين القبائل العربية المختلفة وقيام الشعراء والفصحاء بدور كبير في تأجيج نارها فضلا عن تعارض مصالحها واختلاف أهوائها الى توتر النفوس وتبادل الأحقاد والضغائن ، ومع استمرار المعارك اللسانية والهجائية والتفاضل والتفاخر لم يكن هناك بد من أن يقع الصدام بين الكتل العربية الكبرى وهي القيسية واليمينية وربيعية ، وساهم في ذلك عوامل أخرى كثيرة اقتصادية وسياسية تشابكت كلها مع بعضها حتى وقعت الحرب بين اليمينية وقيس وربيعية وان كان لكل منها ظروفها وأسبابها الخاصة التي أدت الى قيامها .

كان معظم سكان الشام من العرب عند الفتح الاسلامي من اليمينية الذين كانوا يتركزون في وسط البلاد وجنوبها وبواديها من قبل الاسلام (١) والذين عرفوا بالطاعة للوكةم (٢) وكانوا على درجة لا بأس

(١) كانوا كلهم من بطون قضاة : كلب وبهراء وبلى وسيلج وتنبوخ من أولاد حمير ابن سبا ، ومن الأزدي من أولاد مالك بن كهلان بن سبا ومن جذام ولخم وطيء ، وعاملة وخولان من أولاد عريب بن كهلان بن سبا .

ومب بن منبه : التيجان : ص ٢٠٢ ، المصعب الزبيدي : نسب قريش ، ص ٧ ، ابن سعد : الطبقات : ج ١ ص ٣٠ ، البرد : نسب عدنان وقحطان : ص ٢٣ ، الهمداني : الاكليل : ج ١ ص ١٣٧ ، صفة جزيرة العرب : ص ١٧٠ ، ابن حزم الجوهري : ص ٤٤٠ ، العوتبي : الانساب : ج ٢ ص ٥٢ ، ٥٣ ، ١٠٠ - ٣٠٦ ، جواد علي : الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام : ج ٤ ص ١٢٥ ، عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب : ج ٢ ص ٩٥٧ .

يها من التحضر لجباورتهم الروم وقربهم من مناطق الخصب وال عمران ،
أما سكان الشام العدنانية فهم معظمهم بدو الحجاز الذين وردوا اليه مع
الفتح وبعده في سلسلة هجرات متتابة اعتبرت أحدث هجرات العرب
الى الشام ، وكان تركيزهم في شمال البلاد ومناطق الثغور وبلاد الجزيرة
الفرائية (٣) .

لما ولي معاوية بن أبي سفيان الشام لعمر بن الخطاب ومن بعده
عثمان بن عفان مدة عشرين عاما (٤) كان مقر اقامته في دمشق في قلب
ديار القبائل اليمنية . فكان قريبا منهم واستطاع أن يوطد لنفسه بينهم
بالحكمة والدهاء وحسن السيرة والعمل وحلمه الذي لا يبارى (٥) حتى
أن الرجل من أهل الشام كان يقول له : لتستقيم بنا يا معاوية أو لنقومنك
فيقول بماذا ؟ فيقول الرجل : بالحسب فيقول معاوية : اذن نستقيم (٦) .
فأحبه الناس وأخلصوا له وأطاعوه بما جلبت عليه نفوسهم من طاعة
زعمائهم حتى أنه لما نديهم لقتال علي بن أبي طالب في صفين لم يتخلف
منهم أحد وكانوا سيفه ودرعه الذي رفعه الى عرش الخلافة (٧) فقربهم
وأدناهم وأغلق عليهم وفرض لهم العطاء ولم يفرض لغيرهم (٨) ،
وتوطيدا لهذه الصلة الوثيقة بين بيت الخلافة والقبائل اليمنية ارتبط
معاوية بن أبي سفيان بوشائج القربى وصلة النسب بقبيلة كلب (٩) أكبر

(٢) فلهونن : تاريخ الدولة العربية : ص ٥٥

(٣) Lammens : Etudes Sur le Rignedu Calife Omayyade Ma'awia

Ler. p. 165.

(٣م) البلاذري : فتوح البلدان : ص ١٨٦ ، ٢١١ ، ابن سعد : الطبقات : ج ٥
ص ٢٩ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٦٣ ، الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ٣ ، الطبري :
التاريخ : ج ٤ ص ٥٥ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٦٤ ، ٤٨٣ ، ياقوت : معجم البلدان :
ج ٢ ص ٤٩٤ « ديار بكر ، ديار ربيعة ، ديار مصر » ، ابن الأثير : الكامل : ج ٤
ص ٧٥ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٣٥٢ - ٤٠٣ ، ثلاث الجمان في التعريف
بقبائل عرب الزمان : ص ١٢٨ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ١٧ ، ٤٠ ، ٤١ .
(٤) الطبري : التاريخ : ج ٤ ص ٢٤١ « عمال عمر على الأمصار » ، ص ٣٦٨ ،
ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٢١٠ .

(٥) الأبهسي : المستطرف : ج ١ ص ٤٠٨ .

Nicholson : Reynold, A Literary History of the Arabs, p. 195.

(٦) لنظر أمثلة أخرى لحلم معاوية ودهائه : ابن عبد ربه : العقد المفريد : ج ٤
ص ٣٦٤ ، اليعقوبي : التاريخ : ج ٣ ص ٢٢٨ .

(٧) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٢٨ .

(٨) نصر بن مزاحم : نفسه : ص ٤٣٣ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ص ١٣١ ،

١٣٣ .

(٩) ابن قتيبة : المعارف : ص ١٧٨ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ٢٦١ ، ابن كثير :

البداية والنهاية : ج ٨ ص ٨٧ ، ١٥٧ ، ٢٤٥ ، فلهونن : تاريخ الدولة العربية :

ص ١٢٧ ، سيدة كاشف : الوليد بن عبد الملك : ص ١١١ .

القبائل وأقواها وأغناها فهي التي ورثت الغساسنة (١٠) لما ارتدوا عن الاسلام ورحلوا الى أرض الروم بصحبة جبلة بن الأيهم (١١) وكان لهم ملك الأرض الواسعة بين نجد والعراق والشام في الحضر والبوادي (١٢) ومركزهم في تدمر (١٣) فقد تزوج منهم معاوية ميسون بنت بحدل الكلبية وهي أم ابنة يزيد (١٤) الذي تولى الخلافة بعده فصارت كلب كلها أخواله وأنصاره .

لم يكن معاوية وحده من بنى أمية الذي أصبح الى كلب فقد سبقه الى ذلك عثمان بن عفان الذي كان متزوجا من نائلة بنت الفرافصة الكلبي (١٥) وهي التي قطعت أصابعها وهي تدافع عنه يوم الدار (١٦) وكذلك فعل مروان بن الحكم فتزوج منهم ليلى بنت زبان بن الأصبخ بن عمرو بن ثعلبة من بنى عدي بن جناب من كلب (١٧) وهي ابنة عم نائلة (١٨) وبذلك صارت اليمينية عامة وكلب خاصة حلفاء بنى أمية وأنصارهم لأن المصاهرة عند العرب كانت تعنى التحالف السياسي والنصرة والمؤازرة فهم أعوان الخليفة ومؤيديه ولذلك وجدنا معاوية يوصي ولده وولي عهده يزيد بهم ويقول له : « بأنك منهم وهم منك » (١٩) وبذلك

(١٠) كلب من قضاة من ولد حمير بن سبأ والغساسنة من الأزدي من ولد مالك ابن كهلان بن سبأ من العرب القحطانية - السمعاني : الأنساب : ج ١ ص ٣٨٣ ، البغدادى : مرصد الاطلاع : ج ١ ص ٢١٥ .
(١١) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٦٩ ، ابن أعمش : الفتوح : ج ١ ص ١٠٣ .
(١٢) الأصفهاني : الأغاني : ج ١٩ ص ٤٥ ، البلاذري : أنساب الأشراف : ج ٥ ص ٣٠٨ ، الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ١٧٠ ، القلقشندي : صبح الأعشى : ج ١ ص ٣١٦ ، Lammens : Etudes ... D. 288.

(١٣) مدينة قدينة في بركة الشام قرب حلب .
ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ١٧ .
(١٤) ابن حبيب : المحبر : ص ٢١ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ١٧٨ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٥٧ ، ضيف : العصر الاسلامي : ص ٢٣٠ .
(١٥) ابن سعد : الطبقات : ج ٣ ص ٥٤ ، ابن حبيب : المحبر : ص ٣٩٦ ، البلاذري : أنساب الأشراف : ج ٥ ص ١٢ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٧ ص ٢٨٢ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٥٦ ، المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ١٥٥ ، الأبيهي : المستطرف : ج ١ ص ٤٣٥ ، البكري : تاريخ الخميس : ج ٢ ص ٢٧٥ ، بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية : ص ١٣٠ .

(١٦) الطبري : التاريخ : ج ٤ ص ٣٩١ .
(١٧) ابن حزم : الجمهرة : ص ٨٧ .
(١٨) الطبري : التاريخ : ج ٦ ص ١٣٢ : فلهوون : تاريخ الدولة العربية : ص ١٧٦ .
(١٩) اليعقوبي : التاريخ : ج ٢ ص ٢٩٩ .

وضع معاوية اللبنة الأولى في سياسة الايثار القبلية بانحيازهم الى القبائل اليمنية في بدء خلافته وظل يؤثرها بالعطاء فترة طويلة ولا يفرض عطاء لسواها (٢٠) حتى عزت اليمن بالشام في عهده وصارت لهم اليد الطولى على سائر القبائل وتناولوا على مضر وهددوا باخراجهم من البلاد (٢١) مما حرك في معاوية عصبية المضرية وفرض عطاء لأربعة آلاف رجل من قيس دفعة واحدة ثم جعل يغزى اليمن فى البحر وقيسا فى البر رعاية لها واداركا لما فاتها مما أسخط اليمنية فقال شاعرها :

أنترك قيسا آمنين بدارهم ونركب ظهر البحر والبحر زاجر (٢٢)

مما اضطر معاوية الى استرضاء اليمن وادعى بأنه ما فعل ذلك الا لأنهم أهل ثقته (٢٣) .

وعلى أية حال فان سياسة معاوية وابنه يزيد فى تقريب اليمنية وتفضيلهم على سواهم والاصتيار اليهم أثارت بغض قيس لبنى أمية وحقدهم على اليمنية ورأوا أنهم لم يعاملوا المعاملة التى تليق بهم وهم حماة الثغور ومنهم من شارك فى الفتوح ومنهم شهداء وضحايا (٢٤) حتى أنه لما مات معاوية وجاء يزيد سنة ٦٠ هـ - ٦٨٠ م بايع الناس له بالخلافة (٢٥) الا ذلك الحى من قيس الذين امتنعوا فى أول الأمر وقالوا : « والله لا نبايع ابن الكلبية » (٢٦) ومع ذلك فلم يصل بغض القيسية لبنى أمية الى حد الفتنة وظل كامنا فى نفوسهم فى عهد معاوية الذى استطاع بحنكته ودهائه وحسن قيادته أن يمنع وقوع احتكاك أو تصادم بين الطرفين كما استطاع أن يؤلف بينهم كمحاربين وكون منهم جيشا قويا ساعده فى تولي منصب الخلافة وتوطيد سلطانه (٢٧) ، وصارت الأمور على ما هى عليه فى عهد يزيد بن معاوية الذى اتبع نهج أبيه فى أواخر عهده بشأن خلق سياسة متوازنة الى حد ما بين القيسية واليمنية فعين الزعيم القيسى الضحاك بن

(٢٠) الأصفهاني : الأغاني : ج ١٨ ص ٦٩ .

(٢١) الأصفهاني : الأغاني : ج ١٨ ص ٦٩ ، ٧٠ .

(٢٢) الأصفهاني : نفسه : ج ١٨ ص ٦٩ .

(٢٣) نفسه : ج ١٨ ص ٦٩ .

(٢٤) الأزدى : فتوح الشام : ص ٧٣ ، الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ٢٣ .

(٢٥) ابن دقماق : الجوهر الثمين : ج ١ ص ٧٤ ، ٧٧ .

(٢٦) الطبرى : التاريخ : ج ٦ ص ١٣٢ .

(٢٧) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٤٩٩ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٥١ .

قيس الفهرى (٢٨) عاملا له على دمشق حاضرة الخلافة فاحتفظ له بولاء
قيس فى بلاد الشام مدة خلافته (٢٩) .

مات يزيد بن معاوية فجأة سنة ٦٤ هـ - ٦٨٣ م وجيوشه من
اليمانية تحاصر عبد الله بن الزبير فى مكة بقيادة الحصين بن نمير السكونى
من كندة لأنه كان قد أعلن الثورة ضد الأمويين وطالب بالخلافة لنفسه ،
وكان من قبل رافضا لبيعة يزيد بن معاوية ويسميه السكير الحميز (٣٠) ،
ولما مات يزيد لم يستطع ابنه معاوية الثانى (٣١) أن ينهض بالأمر لمرضه
وضعفه (٣٢) وقيل لزهده فى الخلافة وانصرافه عنها اذ كان يرى أن جده
معاوية نازع فيها عليا مع أنه لم يكن أولى بها منه (٣٣) ، وعلى أية حال فقد
مات معاوية بن يزيد فى نفس العام الذى مات فيه أبوه (٣٤) فكان ذلك

(٢٨) هو الضحاك بن قيس بن خالك بن وهب بن ثعلبة القرشى الفهرى من بنى
محارب بن فهر القيسية له صحبة ويقال لا صحبة له ، شهد فتح دمشق وسكنها الى آخر
عمره ، وكانت داره فى حجر الذهب مما يلي حائط المدينة مشرفة على بردى ، شهد صفين
مع معاوية وكان على أهل دمشق وهم القذب وجعله معاوية بعدها على شرطته ، اخته فاطمة
بنت قيس تزوجها أسامة بن زيد ، وفى منزلها اجتمع أهل الشورى وخطبوا خطيبهم الماثورة
وقد ولاه معاوية الكوفة وهو الذى صلى عليه وقام بخلافته حتى قدم يزيد وكان قد دعا لابن
الزبير وباع له ثم دعا الى نفسه فقتله مروان بن الحكم فى مرج راسط سنة ٦٥ هـ .
ابن سعد الطبقات : ج ٧ ص ٤١٠ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٤١٢ ، ابن عبد البر :
الاستيعاب . على هامش الاصابة : ج ٢ ص ٢٠٥ ، ابن حزم : الجبهة : ص ١٧٨ ،
ابن الاثير : أسد الغابة : ج ٢ ص ٢٧ ، ٢٨ ، ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق
الكبير : ج ٧ ص ٧ - ١٢ ، الذهبى : سير اعلام النبلاء : ج ٢ ص ١٦١ - ١٦٤ ، ابن حجر
العسقلانى : الاصابة فى تمييز الصحابة : ج ٢ ص ٢٠٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية :
ج ٨ ص ٢٥٩ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان : ج ١ ص ١٦١ ،
Ency. de l'Isl. Art Al Dahak B. Kais Al Fihri T.I. P. 915.

(٢٩) ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق الكبير : ج ٧ ص ١١ .
(٣٠) الجاحظ : التاج : ص ١٥١ ، ابن عبد ربه : العقد : ج ٧ ص ٥٥ ، المسعودى :
التنبيه والاشراف : ص ٢٧٩ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٩٥ .
(٣١) عن شخصية هذا الخليفة الفاضل وما قبل عنه انظر :
ابن حبيب المحبر : ص ٢٢ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ١٧٩ ، البلاذرى : فتوح
البلدان : ص ٢٢٩ ، الطبرى : التاريخ : ص ٤٩٩ ، المسعودى : مروج الذهب : ج ٣
ص ٧٢ ، التنبيه : ص ٢٨١ ، اليعقوبى : التاريخ : ج ٢ ص ٣٠٢ ، ابن كثير : البداية :
ج ٨ ص ٢٥٥ - ٢٥٧ ، ابن العبرى : مختصر : ص ١٩١ ، القلقشندى : صبح الأعشى :
ج ٣ ص ٢٥٦ ، بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية : ص ١٣٠ ،
Lammens, Etude sur le siècle des Omayyades, p. 163.

(٣٢) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ٢٢٩ .
(٣٣) ابن قتيبة : الامامة والسياسة : ج ٢ ص ١٨ ، ١٩ ، اليعقوبى : التاريخ :
ج ١ ص ٢٠٣ ، ٢٠٣ ، ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول : ص ١٩١ .
(٣٤) ابن دقماق : الجوهر الثمين : ص ٨١ .

نذيرا باضطراب الأمور في شتى أرجاء الخلافة وأطلت الفتن برأسها في كل مكان ولا سيما في الشام مركز الحكم ومقر بني أمية .

لما انسحبت جيوش الشام من الحجاز على أثر موت يزيد بن معاوية اعتبر عبد الله بن الزبير (٣٥) ذلك نصرا له واستمر معلنا راية العصيان ضد بني أمية (٣٦) الذين كانوا مختلفين فيما بينهم على من يتولى منصب الخلافة أهو خالد بن يزيد الصغير السن أم مروان بن الحكم من شيوخ بني أمية (٣٧) ومال بعضهم الى خالد بن يزيد ولكن الأغلبية رجحت عليه مروان بن الحكم (٣٨) لسنه وشيخوخته فهو شيخ قريش وسيد بني أمية بالشام ، ومثلما اختلف الأمويون في اختيار خليفة يزيد بن معاوية وقع أنصارهم اليمانية أيضا في هذا الأمر فكان الحصين بن نمير السكوني (٣٩) يميل الى استخلاف مروان بن الحكم في حين أن مالك بن هبيرة السكوني (٤٠) كان هواه في خالد بن يزيد (٤١) ، وقد حدث أن دعا مالك الحصين لمبايعة خالد وقال له : « هلم فلنباع هذا الغلام الذي نحن ولدنا أباه وهو ابن أختنا فانه يحملنا غدا على رقاب العرب (٤٢) » ، لما أصر الحصين على رأيه في مبايعة مروان بن الحكم - حتى لا يتحدث الناس أنهم أتوا بغلام - قال له مالك : « والله لئن استخلفت مروان وآل مروان ليحسدنك على سوطك وشراك نعلك وظل شجرة تستظل بها فان مروان

(٣٥) عنه انظر : المصعب الزبيري : نسب قريش : ص ٢٣٦ - ٢٤٠ ، ابن عبد البر : الاستيعاب : على هامش الاصابة : ج ٢ ص ٢٩٩ - ٣٠٧ ، ابن الاثير : أسد الغابة : ج ٢ ص ١٦١ - ١٦٤ ، ابن حجر العسقلاني : الاصابة : ج ٢ ص ٢٠٨ - ٢١١ ، وفي ترجمة أبيه الزبير بن العوام : ابن سعد : الطبقات : ج ٢ ص ١٠٠ - ١١٤ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

(٣٦) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٤٨٢ (أحداث سنة ٦٣ هـ) ، ابن حبيب : المحبر : ص ٢٢ .

(٣٧) ابن أعثم : الفتوح : ج ٣ ص ١٩١ ، المسعودى : مروج الذهب : ج ٣ ص ٢٠ ، ٢١ .

(٣٨) هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف .

ابن سعد : الطبقات : ج ٥ ص ٣٥ ، المصعب الزبيري : نسب قريش : ص ١٠٩ ، ١١٠ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٨٧ .

(٣٩) اسمه الحصين بن نمير بن ناقل بن ليبد بن جعثنة بن الحارث بن سلمة

ابن شكامة بن شبيب بن السكون من بني أشرس بن كندة من العرب القحطانية .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٢٩ .

(٤٠) من بني ثعلبة بن عقبة بن السكون وكان شريفا بالشام .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٣٠ .

(٤١) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٥٣٥ .

(٤٢) الطبرى : نفسه : ج ٥ ص ٥٣٦ .

أبر عشيرة وأخو عشيرة وعم عشيرة فان بايعتموه كنتم عبيدا لهم ولكن عليكم يا بن أختكم ، (٤٣) .

وأيا كان الأمر فقد كانت كلب أقوى القبائل اليمنية بالشام من أشد أنصار بني أمية في محنتهم لروابط النسب والمصاهرة التي تمت بينهم والامتيازات التي تمتعوا بها في عهدهم ، كذلك قنعت سائر يمانية الشام بمساندة الأمويين ومظاهرتهم على ابن الزبير وسائر خصومهم رعاية منزلتهم ومصالحهم والحيلولة دون نقل الحجازيين للخلافة من الشام بعد أن انتقلت اليهم على يد معاوية واكتفوا بأن شرطوا على مروان ما كان لهم من الشروط على معاوية وولده يزيد ومنها أن يفرض لألفى رجل منهم في ألفين وأن يكون لهم صدر المجلس وكل ما كان من حل وعقد فينبغي أن يكون عن رأى منهم ومشورة (٤٤) .

في الوقت الذي اجتمعت فيه كلمة القبائل اليمنية بزعامة كلب على نصرة الأمويين ضد ابن الزبير وشيعته كانت قبيلة قيس زعيمة الكتلة المضرة بالشام تقف موقف العداء من البيت الأموي (٤٥) ولاحت لهم الفرصة لإعلان سخطهم على بني أمية لما بدر من معاوية وابنه يزيد من الاضرار اليهم وخصهم بالعطاء والمناصب دون القيسية بما لا يتلاءم ودورهم في الفتح وشهادتهم فيه ومجهودهم في سدة الثغور ومكانتهم بالشام (٤٦) ، فلما دعا ابن الزبير لنفسه بالخلافة سارعت قيس بإعلان مبايعتها له والانضمام اليه وخلق طاعة بني أمية (٤٧) ولم يكن ذلك حبا فيه بقدر ما كان بغضا لبني أمية وأنصارهم من اليمانية . وهكذا أصبح لا مفر من الصدام بين اليمنية بزعامة كلب أنصار الأمويين والمضرة بزعامة قيس أنصار ابن الزبير .

لما لاحت الفرصة لقيسية الشام لإعلان تمرد لها على بني أمية بعد موت يزيد بن معاوية انضم اليهم نفر من اليمانية ربما لأسباب شخصية كانت بينهم وبين الخلافة في دمشق ، أو لأنهم اقتنعوا بشخصية ابن الزبير

(٤٣) نفسه : ج ٥ ص ٥٣٦ .

(٤٤) المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ٨٤ .

(٤٥) حماسة أبي تمام : ص ٣١٩ ، فلهو زن : تاريخ الدولة العربية : ص ١٦٧ .

(٤٦) البلاذري : فتوح البلدان : ص ١٨٦ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٦٣ ،

اليقوبى : التاريخ : ج ٢ ص ٢٩٩ .

(٤٧) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٥٣٢ ، اليقوبى : التاريخ : ج ٢ ص ٢٩٣ ،

ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ٢٦٥ .

ورأوا أنه خير أهل زمانه للقيام بهذا الأمر لأنه ابن حواري (٤٨) رسول الله ﷺ ورجل له سن وشجاعة وفضل وليس له نظير في بني أمية في هذا الوقت ، أو ربما لأنهم وجدوا أن بني أمية بسبيلهم لتأريث الخلافة على غير ما كان متبعاً في عهد الراشدين من الأخذ بالشورى فأرادوا أن يكسروا هذه القاعدة بالانضمام الى ابن الزبير ، وعلى أية حال فقد انضم الى قيسية الشام في خروجهم على بني أمية رجلين من اليمانية من ذوات القدر العالي والمنزلة الرفيعة وهما : النعمان بن بشير الأنصاري (٤٩) وكان والياً على حمص وناتل بن قيس الجذامي شيخ جذام في فلسطين (٥٠) .

كان النعمان أول من خرج على طاعة بني أمية ودعا الى مبايعة ابن الزبير (٥١) وتبعه زفر بن الحارث الكلابي زعيم القيسية بقنسرين (٥٢) الذين وجدوا أن اسناد الامارة عليهم في بلدهم لرجل من كلب (٥٣) هو أمر لا يطاق فوثبوا عليه وأخرجوه من قنسرين وأعلنوا راية العصيان ضد بني أمية ، ولما خرج حسان بن مالك بن بحدل زعيم كلب من فلسطين التي كان أميراً عليها الى الأردن ليكون أقرب الى دمشق أتاح ذلك الفرصة لناتل ابن قيس الجذامي للسيطرة عليها لصالح ابن الزبير (٥٤) وهكذا اضطربت الأمور على بني أمية من جراء تمرد القيسية عليهم في كثير من بلاد الشام وادعوا مناصرتهم لابن الزبير عدو الأمويين اللدود وهم في الحقيقة يعاقبونهم على المرتبة الثانية التي وضعوهم فيها بعد اليمانية مع أنهم شاركوا في فتح البلاد في وقت كانت فيه كثير من يمانية الشام ما زالوا متنصرة يحاربون مع الروم ضد المسلمين في اليرموك وغيرها .

(٤٨) ابن سعد : الطبقات : ج ٣ ص ١١٣ .

(٤٩) النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري من بني الحارث بن الخزرج أمه عمرة بنت ربيعة أخت عبد الله بن ربيعة ويقال أنه أول مولود للأنصار بالمدينة بعد الهجرة .
انظر ترجمته وسيرته : ابن سعد : الطبقات : ج ٦ ص ٥٢ ، ٥٤ ، ابن حبان البستي : مشاهير علماء الأمصار ص ٥١ ، ابن عبد البر : الاستيعاب : ج ٣ ص ٥٥٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٨ ص ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ابن حجر : الإصابة : ج ٣ ص ٥٥٩ .

(٥٠) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٥٣٥ ، ابن حزم الجوهري : ص ٤٢١ .

(٥١) ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق الكبير : ج ٧ ص ١٠ .

(٥٢) الأصفهاني : الأغاني : ج ١٧ ص ١١١ ، الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٥٣٥ .

(٥٣) هو سعيد بن مالك بن بحدل آخر حسان بن مالك بن بحدل الكلبي خال يزيد

ابن معاوية وصاحب المركز القوي في الدولة في ذلك الوقت .

الأصفهاني : الأغاني : ج ١٧ ص ١١١ .

(٥٤) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٥٣١ .

بلغت قمة الاضطراب عند بنى أمية واختلاط الأمور عليهم بانضمام الضحاك بن قيس الفهرى والى دمشق الى الثائرين من قيس ضد الأمويين (٥٥) وذلك لأن الضحاك كان رجلا من أصحاب السطرة والنفوذ فى خلافة كل من معاوية ويزيد اذ تولى شرطة معاوية طوال حياته (٥٦) وقاد كثيرا من حملاته ضد على بن أبى طالب بعد صفين (٥٧) ، وكان واليا على دمشق فى خلافة ابنه يزيد حتى مات (٥٨) ، ولكن لدواعى العصبية والحقد الكامن فى نفوس قيس على اليمينية انجرف الضحاك الى معاداة بنى أمية وحرص على أن يكون مستترا فى بداية أمره وأخذ يدعو الى ابن الزبير سرا حرجا من بنى أمية الذين كانوا عنده بدمشق (٥٩) ، فلما بلغ ذلك حسان بن مالك الكلبى نصير الأمويين بالأردن أراد أن يستخرج الثعلب من جحره (٦٠) فكتب الى الضحاك كتابا يعظم فيه حق بنى أمية وحسن بلائهم عنده ويدعوه الى طاعتهم وذكر ابن الزبير فقال منه واتهمه بأنه مارق شق عصا الطاعة وخلع خليفتين وفارق الجماعة (٦١) ثم أعطى الكتاب الى رجل من بنى كلب يدعى ناغضة بن كريب ليسلمه الى الضحاك ويأمره بقراءته على زعوس الأشرار من أهل الشام ودفع ابن بحدل الى ناغضة نسخة أخرى من نفس الكتاب وطلب منه أن يقرأها على الناس ان لم يقرأ الضحاك كتابه وكتب الى بنى أمية يعلمهم بما أرسل به الى الضحاك وما أوصى به ناغضة (٦٢) .

حضر ناغضة بكتاب ابن بحدل الى دمشق وسلمه الى الضحاك بن قيس وأوصاه بما طلب منه ، فلما كان يوم الجمعة صعد الضحاك المنبر وتغافل عن قراءة رسالة ابن بحدل فقام اليه ناغضة وطلب منه أن يقرأ الكتاب الذى سلمه اليه فلم يفعل فأخرج ناغضة النسخة التى كانت معه

(٥٥) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٥٣٤ .

(٥٦) ابن سعد : الطبقات : ج ٧ ص ٤١٠ ، ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق الكبير : ج ٧ ص ١٠ .

(٥٧) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ١٢٥ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ص ٢١٥ ، ٢١٦ ، ابن حزم : الجهرة : ص ١٩٧ ، اليعقوبى : التاريخ : ج ٢ ص ١٩٦ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ١٨٩ ، ١٩٠ ، محمد أمين صالح : العرب والاسلام : ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

(٥٨) ابن عبد البر : الاستيعاب : ج ٢ ص ٢٠٥ .

(٥٩) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٥٣٢ .

(٦٠) فلهوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ١٦٨ .

(٦١) الطبرى : التاريخ : ج ٦ ص ٥٣٢ ، ابن عساكر : تهذيب تاريخ مدينة دمشق : ج ٧ ص ١٠ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ١٤٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٨ ص ٢٥٩ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ١٦٨ .

(٦٢) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٥٣٢ .

وقراها على الناس فقام بعض بنى أمية فيهم الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وانصارهم من كلب وغسان ومعهم يزيد بن أبي الغمس الغساني (٦٣) وسفيان بن الأبرد الكلبى فصدقوا مقالة حسان وطعنوا على ابن الزبير وأنكر عمرو بن يزيد الحكمى ما جاء فيه وشتم حسانا وهاجت قيس وكلب بعضهم على بعض واقتتلوا بالمسجد ووثب نفر من كلب على عمرو بن يزيد الحكمى وأوسعوه ضربا وما لبثت الفتنة أن نشبت بين قيس وكلب فى دمشق فيما عرف بيوم جيرون (٦٤) وقبض الضحاك على المعارضين لابن الزبير ومعظمهم من كلب وغسان وأمر بحبسهم فقامت كلب وغسان وأخرجوا رجالهم من حبس الضحاك وبقي الوليد بن عتبة الذى لم يجد أحدا يخرججه فقال : « لو كنت من كلب أو غسان لأخرجت » وعندئذ تدخل خالد وعبيد الله ابنا يزيد بن معاوية فجاءوا ومعهما أخوالهما من كلب وأخرجوه من الحبس (٦٥) .

فى تطور مفاجئ للأزمة يبدو أن الضحاك بن قيس تذكر سالف أيامه مع بنى أمية وما حظى به من مكانة رفيعة فى خلافة معاوية ويزيد واحسانهم اليه ، أو أنه رأى ما صار اليه حال الناس من الاضطراب والفوضى فى ظل غياب خليفة يجتمع عليه القوم فأراد أن يعيد النظام أو حتى أنه خشى شوكة اليمانية فى دمشق وتعددهم على محبسه بما يعنى ضياع هيئته فكان أن أرسل فجأة الى بنى أمية ليحضروا عنده فلما جاءوه وفيهم مروان بن الحكم وعمرو بن سعيد وخالد وعبيد الله ابنا يزيد بن معاوية اعتذر عما حدث وذكر لهم بأنه لم يرد شيئا يكرهونه (٦٦) وطلب منهم أن يكتبوا الى ابن بحدل ليسير من الأردن الى الجابية ونسير اليه فنستخلف رجلا منكم .

(٦٣) كان قد ارتد عن الاسلام ودخل أرض الروم مع جيلة بن الأيهم الغساني ثم عاود الاسلام وشهد صفين مع معاوية وعاش الى أيام عبد الملك بن مروان .
الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٥٣٢ حاشية ٥ .
(٦٤) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٥٣٣ .

وجيرون هو اسم الباب الشرقى من أبواب المسجد الجامع بدمشق ويقال له باب جيرون نسبة الى جيرون بن سعد بن عاد بن أرم بن سام بن نوح الذى يقال أنه أول من بنى دمشق .

انظر ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ١٩٩ « المواضع الأخرى التى أطلق عليها لفظ جيرون بدمشق » .

(٦٥) ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ١٤٧ ، فلهوون : تاريخ الدولة العربية : ص ١٦٨ .

(٦٦) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٥٣٣ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ٧ ص ١٠ .

ولما نزل حسان بن بحدل الجابية (٦٧) واجتمعت الرايات مع الضحاك للمسير إليه من دمشق برز نفر من قيس فيهم ثور بن معن بن يزيد بن الأخنس السلمي إلى الضحاك وقالوا له : « دعوتنا إلى بيعة رجل هو من أحرم الناس رأيا وبأسا - يقصد ابن الزبير - فلما أجبناك خرجت إلى هذا الأعرابي من كلب لتبايع ابن أختك فيحملهم غدا على رقابنا » واقترحوا عليه أن يعلن من مبايعته ما كان يسره من طاعة ابن الزبير والدعوة إليه والقتال على ذلك (٦٨) فاقتنع الضحاك بما أشار به قومه وأيقن أنه لا عودة لما كان له في سابق عهده مع معاوية ويزيد بعد أن كان منه ما كان في يوم جيرون فتنقض ما كان اتفق عليه مع بني أمية وأنصارهم من كلب وصرف الرايات وأظهر البيعة لابن الزبير وأيده فيها سائر قيسية الشام حقدًا على بني أمية واليمانية (٦٩) ، غير أنهم لم يتخذوا أي إجراء فعلي للقضاء على خلافة الأمويين كالقبض على أفراد البيت الأموي مثلا وتوطئة الشام الذي كان منقسما على نفسه لقبول الدعوة لابن الزبير ، أو حتى تكوين جيش قوى ومباغته كلب واليمانية فيصبح بنو أمية لا حول لهم ولا قوة . ولكن أيا من ذلك لم يحدث مما أتاح الفرصة لأفراد البيت الأموي لجمع كلمتهم وتدبير أمرهم مع أنصارهم ومواجهة أعدائهم .

يذكر المؤرخون أن عبد الله بن الزبير لما علم بما كان من الضحاك ابن قيس كتب إليه بعهدده على الشام وأخرج من كان بمكة والمدينة من بني أمية وأرسلهم إلى الشام (٧٠) وأن مروان بن الحكم شيخ بني أمية وكبيرهم بدمشق عندما رأى أفراد ابن الزبير بالحجاز (٧١) وخروج العراق عن طاعتهم (٢٧) وثورة القيسية بالشام وعدم اجتماع الأمويين وأنصارهم من اليمانية على خليفة منهم حتى ذلك الوقت أيقن أن أمر بني أمية إلى زوال

(٦٧) الجابية قرية من أعمال دمشق من عمل الجندور من ناحية الجولان قرب مرج الصفر لمى شمالي حوران . ابن قتيبة : المعارف : ص ١٩٢ ، الهامش ، ، ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٩١ ، ٩٢ .

(٦٨) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ٧ ص ١٠ .

(٦٩) المسعودى : مروج الذهب : ج ٢ ص ٦٤ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ١٤٦ ، ١٤٧ ، الذهبي : دول الإسلام : ص ٤٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٩ ص ٢٥٩ ، أحمد شلبي : الدولة الأموية : ص ٥٦ ، قلهوون : تاريخ الدولة العربية : ص ١٦٧ .

(٧٠) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ٧ ص ١٠ ، ١١ .

(٧١) ابن قتيبة : المعارف : ص ١٧٨ ، اليعقوبى : التاريخ : ج ٢ ص ٣٠١ ، ٣٠٢ .

(٧٢) البلاذرى : أنساب الأشراف : ج ١ ص ١٣١ .

وهم بالخروج إلى ابن الزبير لمبايعته وأخذ الأمان منه له ولأسرته (٧٢) .
ويذكر ابن عساكر (٧٤) : أنه خرج بالفعل قاصدا الحجاز وكان معه عمرو
ابن سعيد (٧٥) فلما كان بأذرعات (٧٦) في طريقه إلى الحجاز لقيهم
عبيد الله بن زياد وإلى العراق لبنى أمية وكان قد جاء مطرودا منها تحت
ضغط أنصار ابن الزبير فلما سألهم عن وجهتهم وأخبروه بما أرادوا قال
لمروان : سبحان الله أرضيت لنفسك بهذا ؟!! تبائع لأبي خبيب وأنت
سيد قریش وشيخ بني عبد مناف والله لأنت أولى بها منه . قال
مروان : وما الرأي ؟ قال : أن ترجع وتدعو إلى نفسك وأنا أكفيك قریشيا
ومواليها فلا يخالفك منهم أحد فرجع مروان وعمرو بن سعيد للعمل
بمشورة ابن زياد .

في هذه الآونة أعمل عبيد الله بن زياد - عامل بني أمية المخلص -
الخيلة في خدمة سادته والكيد للضحاك بن قيس بما يضر موقفه في نظر
اتباعه ، فلما قدم دمشق نزل باب الفراديس وكان يركب إلى الضحاك
كل يوم فيسلم عليه ويجالسه ثم يرجع إلى منزله حتى أنس له ، فلما وجد
أنه قد اطمأن إليه تماما قال له : يا أبا أنيس العجب لك وأنت شيخ قریش
تدعو لابن الزبير وتدع نفسك وأنت أرضى منه عند الناس لأنك لم تزل
متمسكا بالطاعة والجماعة وابن الزبير مفارق مخالف فادع إلى نفسك
فأنت أولى بها (٧٧) ، واغتر الضحاك بكلام ابن زياد إذ يبدو أنه لم يكن
محكما سريع القلب ودعا إلى نفسه ، فلما مضت ثلاثة أيام على ذلك حضر
إليه جمع من القيسية وأنكروا عليه فعله وقالوا له : « أخذت بيعتنا
وعهودنا لرجل ثم دعوتنا إلى خلعة من غير حدث أحدثه والبيعة لك »
وغضبوا منه وامتنعوا عليه مما اضطره إلى الدعوة لابن الزبير من
جديد (٧٨) فكان تذبذبه وتغير هواه مما أفسد عليه الناس وغير قلوبهم
منه .

(٧٢) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٥٣٠ .

(٧٤) تاريخ مدينة دمشق : ج ٧ ص ١١ .

(٧٥) هو عمرو بن سعيد بن العاص بن سعيد بن أمية المعروف بالأشدق .

انظر المصعب الزبيري : نسب قریش ص ١٧٥ - ١٧٧ « ولد سعيد بن العاص » .

(٧٦) أذرعات : بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان .

ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ١٣٠ ، ١٣١ .

(٧٧) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ٧ ص ١١ .

(٧٨) ابن عساكر : المصدر السابق : ج ٧ ص ١١ .

فى الوقت الذى هبطت فيه منزلة الضحاك بين قومه من القيسية الذين أخطوا بدورهم لتقلب زعيمهم ما بين الدعوة لابن الزبير ثم العودة للولاء لبني أمية ثم الدعوة لنفسه (٧٩) وجدهما ابن زياد فرصة ليصل بخطته الى نهايتها والضرب على يد الضحاك وقيسية الشام لصالح بني أمية فجاء الى الضحاك وقال له : من أراد ما تريد لم ينزل المدائن والحصون بل يبرز فتجتمع اليه الجيول ويأتيه الرجال بالسلاح والعدد فاخرج عن دمشق وادع اليك الأجناد (٨٠) فكانت من عبيد الله مكيدة للضحاك يستدرجه الى الخلاء بعيدا عن عرينه ليدفعه الى حتفه فتكون موقعة فاصلة تصل بالآزمة الى نهايتها وليس فتنة بالمدينة تتبعها أخريات لا نهاية لها كما حدث فى يوم جيرون .

ويبدو أن الضحاك بن قيس كان صيدا سهلا لعبيد الله بن زياد فما لبث أن بلع الطعام وخرج الى سهل مرج راهط (٨١) قريبا من دمشق بمن معه من القيسية وأظهر البيعة لابن الزبير على ملا من الناس (٨٢) وكان مروان وبنو أمية يتدمر ، وخالد وعبيد الله ابنا يزيد بن معاوية بالجابية عند خالهما حسان بن مالك بن بحدل سيد كلب ، وبقي عبيد الله ابن زياد بدمشق عينا لبني أمية يعمل لصالحهم فكتب الى مروان : « أن ادع الى بيعتك وسر الى الضحاك فقد أصبح (٨٣) لك (٨٤) » :

لما تطورت الأمور على هذا النحو الخطير وجد بنو أمية وأنصارهم من اليمانية أنه قد بات من الضروري أن يحسموا أمرهم بأسرع ما يمكن لمواجهة عدوهم فخرج مروان بن الحكم ومن معه من بني أمية الى الجابية عند حسان بن بحدل زعيم كلب للاتفاق على اختيار خليفة منهم والخروج للقاء القيسية بمرج راهط للقضاء على الفتنة التي أشعلها خروج ابن

(٧٩) ابن حجر العسقلاني : الاصابة : ج ٢ ص ٢٠٧ .

(٨٠) ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ١٢ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ٧ ص ١١ .

(٨١) مرج راهط موضع فى القوطة شرق دمشق يقع بعد مرج عذراء ، وراهط اسم رجل من قضاة بني المرج باسمه .

ابن قتيبة : المعارف : ص ٣٥٣ ، ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ٢١ ، ابن كثير : البداية : ج ٨ ص ٢٦٠ هامش ١ نفس الصفحة .

(٨٢) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٥٣٥ ، المسعودى : مروج الذهب : ج ٢ ص ٦٤ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ١٤٧ .

(٨٣) أصحر : أى خرج الى الصحراء وهى البرية أو الأرض الفسيحة ويقال أصحر الرجل أى خرج الى الصحراء . الرازى : مختار الصحاح : ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ مادة صحر .

(٨٤) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ٧ ص ١١ .

الزبير وأيده فيها قيسية الشام (٨٥) وكانت أهواء الناس بالجابية متباينة
 فيمن يولونه الخلافة فكان هناك السفليانيون الذين يمثلهم بنو يزيد بن
 معاوية خالد وعبيد الله ، وفي المقابل كان العدد الأكبر من بني أمية وهم
 بنو العاص (٨٦) بن أمية بزعامه شيخهم مروان بن الحكم وكان الاختلاف
 على من تعقل له البيعة فبينما كانت كلب تريد خالد بن يزيد بن معاوية
 لأنهم أخواله والأوصياء عليه فيسودوا في دولته كان سائر بني أمية
 يريدون مروان بن الحكم حتى لا تتحدث العرب بأنهم جاءوا بعلام حدث
 ليقتارعوا به ابن الزبير فينصرفوا عنهم (٨٧) وانتهى الأمر باقتناع ابن
 بحدل الكلبى بوجهة نظرهم ومبايعة مروان بن الحكم على أن تكون الخلافة
 بعده لخالد بن يزيد ثم لعمر بن سعيد بن العاص وذلك بعد مشاورة
 واجتماع دام أربعين ليلة في الجابية (٨٨) في ذي القعدة سنة ٦٤ هـ -
 ٦٨٣ م

خرج مروان بن الحكم من الجابية الى مرج راهط ومعه خمسة آلاف
 رجل من كلب وأتاه من سائر اليمينية السكاسك والسكون وتنوخ وطي
 وبلقين وغسان من أنحاء الشام وأقبل اليه عباد بن زياد من حواريين (٨٩)
 في ألفين من مواليه وغيرهم من كلب ووثب يزيد بن أبي الغمس الغساني
 على دمشق في عبيدتها فغلب عليها وأخرج نائب الضحاك بن قيس منها
 واستولى على الخزائن وبيت المال وبايع مروان وأمدّه بالمال والرجال (٩٠)
 حتى صار في ثمانية عشر ألف رجل (٩١) فتقدم مروان وهو يقول :
 لما رأيت الناس صاروا حزبا والملك لا يؤخذ الا غصبا
 أعددت غسانا لهم وكلبا والسكسين رجلا غلبا

(٨٥) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٥٣٥ ، ابن كثير : البداية : ج ٨ ص ٢٦٠ ،

٢٦١

(٨٦) النظر ولد أبي العاص بن أمية : المصعب الزبيرى : نسب قريش : ص ١٠٠ -

١٠٢

(٨٧) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٥٣٦

(٨٨) الطبرى : نفسه : ج ٥ ص ٥٣٧ ، ابن اعثم الفتوح : ج ٣ ص ١٩٢ ،

ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ٢٢٨ ، ابن كثير : البداية : ج ٨ ص ٢٦٢ ، ابن عساكر :
 تاريخ مدينة دمشق : ج ٧ ص ١١

(٨٩) حواريين من قري حلب وقيل حصن في ناحية حمص

ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٣١٥

(٩٠) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٥٣٧ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ٢٢٨ ،

ابن كثير : البداية : ج ٨ ص ٢٦٢

(٩١) ابن اعثم : الفتوح : ج ٣ ص ١٩٢ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق :

ج ٧ ص ١١

لا يأخذون الملك الا غصباً بالطعن حيناً وحيناً ضرباً (٩٢).

وكتب الضحاك بن قيس الى أمراء الأجناد الذين كانوا قد خلعوا طاعة بني أمية يستمدهم فأتاه زفر بن الحارث الكلابي في أهل قنسرين وأمدّه تاتل بن قيس الجذامي بقيسية فلسطين والنعمان بن بشير بقيسية حمص حتى صار الضحاك في نيف وعشرين ألفاً من أخلاط القيسية بالشام من غطفان وهوازن وعامر بن صعصعة وغنى وباهلة وثقيف وقشير وكراب وسليم وجشم (٩٣) وغيرها .

لما التقى الجمعان بمرج راهط أواخر عام ٦٤ هـ - ٦٨٣ م احتدم القتال بينهما مدة عشرين يوماً (٩٤) دون نصر واضح لأي منهما ورأى عبيد الله بن زياد - وكان على ميسرة جيش الأمويين - أن الأمر على ذلك قد يطول وما صفين عنهم ببعيد وقد تحل بهم الهزيمة لأن المطاولة في الحرب نهايتها لصالح التفوق العددي وهو ما كانت تتمتع به قيس ولذلك فقد اقترح عبيد الله على مروان أن يجد في تحقيق غايته ولو اقتضى الأمر أن يخدع أعداءه وقال له : « انك على حق وابن الزبير ومن دعا اليه على باطل وهم أكثر منك عددا وعدة ، ومع الضحاك فرسان قيس وأنت لن تنال منهم ما تريد الا بمكيدة فكدهم فقد أحل الله ذلك لأهل الحق والحرب خدعة فادعهم الى المواجهة ووضع الحرب ثم كر عليهم » (٩٥) .

لما أصبح القوم نادى مروان بالموادعة « حتى ننظر فيما يصلح المسلمين » فأمسك الضحاك والقيسية عن القتال وهم يطعمون أن مروان يبائع لابن الزبير بينما هو يعد أصحابه لمباغتتهم في سرية وتكبيم ، فلم يشعر الضحاك وأصحابه الا بالخيل قد أغارت عليهم من كل جانب ففرع الناس الى راياتهم وقد غشيهم القوم وهم على غير عدة فوقع القتل في قيس (٩٦)، وصيرت الناس على راياتها يقاتلون عندها ، ولكن كان لقوة

(٩٢) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٥٢٨ ، ابن اعثم : الفتوح : ج ٣ ص ١٩٢ ، المسعودى : مروج الذهب : ج ٢ ص ٨٤ .

(٩٣) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٥٣٥ ، ابن اعثم : الفتوح : ج ٣ ص ١٩٢ ، ابن عساکر : تاريخ مدينة دمشق : ج ٧ ص ١٢ ، فلهوژن : تاريخ الدولة العربية : ص ١٦٩ .

(٩٤) ابن اعثم : الفتوح : ج ٣ ص ١٩٣ .

(٩٥) ابن عساکر : تاريخ مدينة دمشق : ج ٧ ص ١١ .

(٩٦) الاصفهاني : الأغاني : ج ١٧ ص ١١٤ ، الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٥٣٧ ،

ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٢ ص ٣١٥ ، ابن الاثير : الكامل : ج ٣ ص ٣٢٨ ،

ابن عساکر : تاريخ مدينة دمشق : ج ٧ ص ١٢ .

الهجومية اليمنية وعنصر المباغته وقتال قيس على غير عدة في عجلة وارتجال أثره في شدة الهزيمة عليهم حتى نظر رجل من بنى عقيل (٩٧) الى ما حل بقيس عند راياتها من القتل فقال : اللهم العنها من رايات واعترضها بسيفه وجعل يمزقها فاذا سقطت الراية تفرق أهلها وانهزم الناس ومروان يقول : قبح الله من يوليهم ظهره حتى يكون الأمر لاحدى الطائفتين (٩٨) ، وقتل الضحاك بن قيس في المعركة قتله رجل من كلب يدعى زحنة بن عبد الله (٩٩) وقتل معه ثمانون رجلا من الأشراف كلهم كان يأخذ القطيفة (١٠٠) وقتل من سائر قيس مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثليا في موطن قط (١٠١) لا في جاهلية ولا اسلام باجماع المؤرخين حيث بلغت قتلاهم فيما يقال ستة آلاف في يوم واحد وقتل اليمن ألفا وثلاثمائة (١٠٢) .

تركت هذه المعركة جرحا غائرا وأثرا عميقا في نفوس القيسية من أهل الشام نظرا للشرك الذي نصب لهم وهو ليس من شيم العرب فضلا عن حسرة ولوعة سكنت أفئدتهم على قتلاهم وأشرافهم ظلت تلازمهم فترة طويلة حتى أنهم كانوا كلما أوقعوا بأحد من اليمانية وكلب لوقت بعيد ادعوا أنهم إنما يثأرون لقتلى المرج (١٠٣) فقد كان العربي يستطيع أن ينسى على مر الزمن أسباب هزيمته الا أن يختدع ، وبذلك عادت نار العداء

(٩٧) هم بنو عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، بطن من قيس عيلان من العدنانية .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٩٠ - ٢٩٢ ، القلقشندي : نهاية الارب : ص ٣٣١ ، ٣٣٢ .

(٩٨) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ٧ ص ١٢ .

(٩٩) ابن قتبية : المعارف : ص ٢٥٣ . ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٢ ص ٣١٥ .

للسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ٨٤ ، ابن كثير البداية : ج ٨ ص ٢٦٢ ، الذهبى ، دول الاسلام : ص ٤٨ ، ابن العباد الحنبلى : شذرات الذهب : ج ١ ص ٧٢ ، سيدة كاشف : الوليد بن عبد الملك ، ١٠٨ ، ١١١ .

(١٠٠) الذى كان يأخذ القطيفة من الأشراف يتقاضى عطاء مقدار ألف درهم .

الأصفهاني : الأغاني : ج ١٧ ص ١١١ ، البلاذرى : أنساب الأشراف : ج ٥ ص ١٢٨ ، الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٥٣٧ ، المسعودى : مروج الذهب : ج ٥ ص ١٢٨ .

(١٠١) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٥٣٧ ، المسعودى : التنبية والأشراف : ص ٣٠٩ .

(١٠٢) انظر نقائض جرير والأخطل : ص ١٧ ، اليعقوبى : التاريخ : ج ٣ ص ٢٠٣ .

(١٠٣) انظر الأصفهاني : الأغاني : ج ٢٠ ص ١٢١ .

التي أوقدتها حرب تميم والآزد قبل الاسلام (١٠٤) الى سابق عهدها بين العرب من عدنان وقحطان ولكن في صورة أشد قوة وصرامة .

على الرغم من أن موقعة مرج راهط كانت في ظاهرها صراعا على السلطان الدنيوى فى رأى الا أنها كانت فى حقيقتها حلقة من حلقات النزاع القبلى فى بلاد الشام بين جذمى عدنان وقحطان لحيازة النسب فى التفاضل والتمايز والذى احتدم أواره فى عهد بنى أمية ممثلا فى الصراع بين قبيلة قيس أكبر قبائل مضر العدنانية وكلب زعيمة القبائل اليمانية بالشام وأقواها ، فكانت موقعة المرج بمثابة الشرارة التى أشعلت حروباً عنيفة نشبت على أثرها بين قبيلتي قيس وكلب ومن والاهما من قومهما ، مما أدى الى زعزعة بنيان الدولة الأموية فى بلاد الشام وحرمانها من الاستقرار الذى كانت تنشده للشباب فى وجه أعدائها .

كان أهم أثر لموقعة مرج راهط أنها أضافت غصة جديدة فى خلق القيسية زادت من حنقهم على اليمانية الذين حباهم معاوية وولده يزيد بالقرب والرعاية فظهر تيار شديد وسافر من العصبية والعداوة على السطح فى بلاد الشام بين العرب من قيس ويمن ، ولم يقتصر ظهور هذا التيار على الشام فقط بل امتد ليشمل كل مكان فى أنحاء العالم الاسلامى فى العراق ومصر وفارس وإفريقيا والأندلس وقامت الخلافات والمنازعات والحروب بينهما أينما وجدوا وإن لم تكن بنفس القوة التى كانت بها فى بلاد الشام مركز الخلافة ، وهكذا انبعثت من جديد العصبية الجاهلية التى محاربا الاسلام وضار الشعراء من الجانبين يتفاخرون ويهجون ويتوعدون .
بالنار (١٠٥) كما كان يحدث فى الجاهلية تماما ، فإذا كانت موقعة مرج راهط قد جاءت للأمويين بالنصر فإنها كانت فى الوقت نفسه من أهم أسباب زعزعة ملكهم (١٠٦) لما تربع عليها من حروب ودماء ، وهو ما نحاول أن نقف عليه فى البند التالى .

(١٠٤) الأصفهاني : الأغاني : ج ٣ ص ٧ ، ابن الأثير : الكامل : ج ١ ص ٢٣٧ ، جورجى زيدان : العرب قبل الاسلام : ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، هدارة : دراسات فى الشعر العربى : ص ٨٩ .

(١٠٥) انظر الأصفهاني : الأغاني : ج ١٨ ص ١١٢ ، البلاذرى : أنساب الأشراف : ج ٥ ص ٣٠٣ ، المسعودى : التنبيه والأشراف : ص ٣٠٩ .
(١٠٦) فلهوزن : تاريخ الدولة العريية : ص ١٧٨ .

(ب) الوقائع التي حدثت بين قيس و كلب بعد يوم المرج :

لما انتهت موقعة مرج راهط بهزيمة القيسية سار زفر بن الحارث الكلابي - الذي اجتمع عليه الناس خلفا للضحالك - الى قريسياء (١٠٧) معقل قيس في ذلك الوقت وكان قد قتل لزفر في المعركة ثلاث بنين و غلام يدعى مشكان (١٠٨) ورجلان من قومه من بنى سليم افتدياء بأنفسهما اذ شغلا عنه القوم حتى هرب ثم قتل (١٠٩) فكانت فاجعته مريرة وهو الشاعر المطبوع الذي يعد من شعراء العvisية في العصر الأموي ولذلك فانه سرعان ما ترجم ما كان يجيش في صدره من حسرة وألم الى أبيات شعرية يعبر فيها عن شعورة العدائي ازاء كلب وبنى مروان ويفصح عن رغبته في التشفي من عدوه ويعتذر عن هزيمة قيس ويتوعد كلبا وسائر اليمانية بقاء لا محالة آت ويبكي اخوانه وأشراف قومه الذين قتلوا قال زفر :

أرى الحرب لا تزدد الا تماديا	أريني سلاحى لا أبا لك اننى
لمروان صدعا بينا متباثيا	لعمري لقد أبقت وقعة راهط
وتترك قتلى راهط هى ما هيا	أتذهب كلب لم تنلها رماحنا
فرارى وتركى صاحبي وراثيا	فلم ترمنى نبوة قبل هذه
بصالح أيامى وخسن بلاثيا	أذهب يوم واحد ان أسأته
وتثار من نسوان كلب نسايا	فلا صلح حتى تنحط الخيل بالقنا
غارتى تنوخا وحى طىء من شفايا	الا ليت شعرى هل تصيبين

(١٠٧) تقع على مصب نهر الخابور في الفرات قرب رجة مالك بن طوق .
ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية :
ص ٢٥ ، ١٢٧ ، ١٣٦ .

(١٠٨) ابن حبيب : المجبر : ص ٤٩٥ .

(١٠٩) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٥٤١ .

(١١٠) ابن حبيب : المجبر : ص ٤٩٥ ، الأصفهاني : الأغاني : ج ١٧ ص ١١١ ،
الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٥٤١ ، المسعودى : التنبيه والإشراف : ج ١ ص ٢٨٤ ،
ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ٢١ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ١٥١ ، سيدة
كاشف : الوليد بن عبد الملك : ص ١٠٩ ، هداية : دراسات : ص ٩٥ .

لما شاع أمر قضيدة زفر بن الحارث الكلابي في أنحاء الشام. بادر شعراء اليمانية إلى السخرية مما جاء فيها وهجاء زفر وقومه ومعايرتهم بما حل بهم يوم المرج فقال شاعرهم جواس بن قعطل الكلابي (١١١) :

لعمري لقد أبقت وقية راهط على زفر داء من الداء باقيا
يبكى على قتلى سليم وعامر وذبيان معذورا ونبكي البواكيا
مقيما ثوى بين الضلوع محله وبين الحشا أعياء الطبيب المداويا
دعا بسلاح ثم أحجم إذ رأى سيوف جناب والطوال المذاكيا (١١٢).

لم تقتصر معركة الشعر بالفخر والمدح والهجاء والتي أعقبت مرج راهط على زفر وابن قعطل بل خاض غمارها كثير من شعراء الجانبين فقال عمرو بن مخللة الكلابي يفخر بيوم المرج ويشمت بهزيمة قيس :

لما زحفتنا بالصفوف وأقبلوا قلنا اليوم ما حم واقع
وترى الرايات فيه كأنها عوائف طير مستدير وواقع
فلن ينصب القيسي للناس راية على الدهر إلا وهو خزيان خاشع

وانبرى زفر بن الحارث ينقض ما ورد على لسان ابن مخللة ويهجو. ويفخر عليه بالرابطة المضربة التي تجمع قيس وقريش في رباط واحد. ويعيره انقياد كلب لبني أمية وهم من قريش واخوتهم في النسب العدناني. فيقول :

فخرت ابن مخللة الحمار بمشهد علاك به في المزج من لا تدافع
فان يك نازعنا قريشا فانهم أخونا ومولانا الذي ننزع
فأى قبيلينا وأمك ما يكن له الملك تتبعه وخذك صارع (١١٤)
وعلى هذا النحو دائما كانت المعارك اللسانية تسبق وقوع الحرب. وكانت السنة الشعراء فيها ماضية كسنان الرمح وحين يسكت اللسان يقع السيف * فبعد الهزيمة المروعة التي لحقت بالقيسية في مرج راهط دخلت فلسطين وحمص وتبعتهما قنسرين في طاعة المنتصرين رغما

(١١١) اسمه جواس بن قعطل بن سويد بن الحارث بن حصين بن عدى من بني عدى ابن جناب الكلابي قوم نائلة بنت الفرافصة وليلى بنت زبان زوجتي عثمان بن عفان. ومزوان بن الحكم وهو شاعر شامي محسن .
الامدى : المؤلف والمختلف : ص ١٣٨ .

(١١٢) الاصفهاني : الأغاني : ج ١٧ ص ١١١ ، الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٥٤٢ .

(١١٣) نقاشن جزير والاخلط : ص ١٧ .

(١١٤) نفسه : ص ١٩ .

عنهم (١١٥) ولجأ زفر بن الحارث شيخ بنى عامر وزعيم قيس الى قرقيسيا معقل القيسية الحصين على ضفاف الفرات في المنطقة المعروفة بديار مضر وتحصن بها وطردها عاملها الحميري وأعلن ولاءه لابن الزبير وضوت اليه القيسية وهم يلحقون جراحهم ويستعدون للأخذ بثأرهم من كلب (١١٦) فأتوه من شتى بقاع الشام ولا سيما من منطقة الثغور الجزرية التي كان معاوية أنزلها بعض بنى تميم وأخلاطا من قيس وأسد وغيرهم من قبائل مضر العدنانية (١١٧) . وكانت منازل كلب البادية تتأخم منازل بطون قيس التي نزلت الجزيرة وكلها من بنى سليم وبنى عامر بن صعصعة فأخذ زفر يغير بقومه من بنى عامر على أحياء كلب النازلة ببادية السماوة (١١٨) وتدمر وبدأ بجماعة من كلب في المصيخ (١١٩) فقتل منهم عشرين رجلا وتوالت اغاراته عليهم شديدة متواصلة في شتى أنحاء البادية (١٢٠) فهاجت كلب لغارات قيس عليها وولت أمرها حميد بن حريث بن بحدل وهو ابن عم حسان بن مالك بن بحدل المعروف زعيم كلب الشامية لمواجهة القيسية فسار بهم للاغارة على قيس وتوجه الى جماعة من بنى نمر (١٢١) كانوا يعيشون بينهم قرب تدمر وبينهم وبين كلب عقد قاتلهم قتلًا ذريعا ورد زفر بن الحارث على مقتلة بنى نمر بقتل مائتي أسير من كلب كانوا في يده (١٢٢) .

ومن يومها صارت الحرب بين قيس وكلب بعيدة عن أى غرض دنيوى أو معنوى وانقلبت الى حرب دعوية صرفة غرضها الإبادة والتشفى وبدأت فيها العصبية القبلية في أشجع صورها واستغرقت هذه المأساة فترة مروان بن الحكم القصيرة (٦٤ - ٦٥ هـ - ٦٨٣ - ٦٨٥ م) ومعظم

(١١٥) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٥٢٩ ، ٥٤٠ .

(١١٦) ابن سعد : الطبقات : ج ٥ ص ٢٧ ، البلاذرى : أنساب الأشراف : ج ٥

ص ٣٠١ ، ابن الأثير الكامل : ج ٣ ص ٣٢٦ .

(١١٧) البلاذرى : فتوح البلدان . ص ١٧٧ ، ١٧٨ ، القلقشندي : نهاية الأرب :

ص ٤٠٣ .

(١١٨) تقع بين الكوفة والشام وهى أرض مستوية لا حجر فيها وبها مدينة تدمر .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ١٧ ، ج ٣ ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

(١١٩) المصيخ قرية بين حوران والقلعت يقال لها مصيخ بنى البرشاء .

ياقوت : المصدر السابق : ج ٥ ص ١٤٤ .

(١٢٠) الأصفهاني : الأغاني : ج ١٧ ص ١١٢ ، الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٤٢ .

(١٢١) هم بنو نمر بن عامر بن صعصعة من قيس عيلان من العرب العدنانية كانت

منازلهم بالجزيرة الفراتية والشام .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٣٨٥ .

(١٢٢) الأصفهاني : الأغاني : ج ١٧ ص ١١٢ .

خلافة ابنه عبد الملك بن مروان حيث اتصلت الغارات والوقائع بين
القبيلتين بما يطول ذكره وكانت أيامهم فيها كثيرة ومشهورة مثل يوم
الأكليل ويوم الغوير ويوم دهمان ويوم الفرس (١٢٣) وغيرها ومعظمها
أسماء مواضع في بلاد السماوة موطن كلب البادية ، وكانت لقيس اليد
الطولى في معظمها على كلب البادية التي ضجت بغارات قيس عليها فهجرت
ديارها تحت وطأة الهجوم القيسى ولحقت بغور الشام من أعمال
فلسطين (١٢٤) مما حدا بزفر أن يقول في ذلك شامتا :

يا كلب كلب الزمان عليكم وأصابكم منى عذاب مرسل
أن السماوة لا سماوة فالحقى بالغور فالأفحاص بشس المؤل
فجنوب عكا فالسواحل انيا أرض تنوب بها اللقاح وتهزل (١٢٥)

تبع ذلك احتدام المعركة اللسانية بين شعراء الفريقين من الرجال
والنساء على حد سواء واتصلت المناقضات والأهاجي بينهما وشارك في
هذه الملحمة من شعراء اليمانية عمرو بن مخلدة وجواس بن قعطل وهند
الجلاحية وعميرة بنت حسان الكلبية وسنان بن جابر الجهني ومن شعراء
قيس زفر بن الحارث سيده بنى عامر وعويف القوافى وعلى بن الغدير
الغنوى وعمير بن الحباب السلمي وأرطاة بن سهية والراعى النميرى
وغيرهم (١٢٦) ، فكان على أثر وقعة يوم الأكليل التي أوقع فيها عمير بن
الحباب بـكلب أن قالت هند الجلاحية تبكى قتلى قومها وتحرص كلبا على
الثأر لما حل بها :

الا من ثائر بدماء قوم أصابهم عمير بن الحباب
فان لم تثاروا ممن قد أصابوا فكونوا أعبدا لبنى كلاب (١٢٧)

(١٢٣) انظر : شرح حساسة ابى تمام : ج ٢ ص ٩٦ ، الأصفهاني : الأغاني :
ج ١٧ ص ١١١ وما بعدها ، ج ٢٠ ص ١٢٠ ، البلاذرى : أنساب الأشراف : ج ٥
ص ٢٩٨ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ٣٢٦ .

(١٢٤) غور الشام يقع بين بيت المقدس ودمشق وهو منخفض عنها ولذلك يسمى
الغور ، فيه نهر الأردن وبلاد وقرى كثيرة وعلى طرفه طبرية وبحيرتها وأشهر بلاد بيسان
بعد طبرية وهو وخم شديد الحر ومن قراه أريحا وفي طرفه الغربى البحيرة المنته « البحر
الميت » وفى طرفه الشرقى بحيرة طبرية .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ٢١٦ ، ٢١٧ .

(١٢٥) البلاذرى : أنساب الأشراف : ج ٥ ص ٢٩٨ .

(١٢٦) انظر الأصفهاني : الأغاني : ج ١٧ ص ١١١ ، ١١٢ ، المسعودى : التنبيه

والأشراف : ص ٣٠٩ وما بعدها .

(١٢٧) الأصفهاني : الأغاني : ج ٢٠ ص ١١٨ .

فلما التقت قيس وكلب بعد ذلك وهزمهم عمير وأوقع فيهم القتل
قال يجيب هندياً على قولها :

ألا يا هند هند بنى الحلاج سقيت الغيث من قتل السحاب
ألا يا هند لو عاينت يوماً لقومك لا تمنعت عن الشراب
غداة ندوسهم بالخيل حتى أباد القتل حي بني جناب (١٢٨)

لم ينته الصدام بين قيس وكلب برحيل الأخيرة عن مواطنها بالسماء
بعيدا عن قيس بل انتقل الى مواطن أخرى كان أهمها ما وقع بين كلب
وفزارة (١٢٩) من قيس فيقال أن عبد الله بن مسعدة الفزاري (١٣٠)
دخل على عبد الملك بن مروان لما قدم العراق لقتال مصعب بن الزبير (١٣١)
وكان في مجلسه حميد بن بحدل الكلبي فقال منه عبد الله وعنفه لما حل
بقيس على يديه في الجزيرة وخاصة ما أصاب بني سليم وعامر من بطشه
مما أحرق حميدا عليه وآلى الا أن يوقع ببني فزارة رهط بن مسعدة ويتكل
بهم (١٣٢) وكانت فزارة تنتمي الى المجموعة الكبرى لقبائل قيس عيلان
ابن مضر وتقع ديارهم الأصلية في بلاد العرب شرقي المدينة (١٣٣) ولم
يكونوا حتى ذلك الحين قد اشتركوا في القتال الدائر بين قيس وكلب
من جراء هزيمة الأولى غدرا في مرج راهط وذلك لوجود منازلها بالحجاز
وبادية الشام بعيدا عن مواطن النزاع (١٣٤) ، ولكن يخلق حميد
ابن بحدل الذريعة لنفسه في اعتدائه على فزارة لجأ الى خالد بن يزيد
ابن معاوية الذي كانت جدته من كلب « ميسون بنت بحدل » ليفتعل له
عيدا باسم عبد الملك بن مروان يبيع له أن يجمع صدقات البدو من أهل
البادية .

(١٢٨) الأصفهاني : نفسه : ج ٢٠ ص ١١٨ .

(١٢٩) ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٣٥٢
وسبق التعريف بنسبها .

(١٣٠) اسمه عبد الله بن مسعدة بن حكمة كان من جلساء عبد الملك بن مروان وملازما
له بالشام .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٥٧ .

(١٣١) الطبري : التاريخ : ج ٦ ص ١٥١ - ١٦٢ .

(١٣٢) الأصفهاني : الأغاني : ج ١٧ ص ١١٤ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ،
ص ٢٥٨ .

(١٣٣) انظر ملحق رقم ١٠ ، خريطة منازل القبائل العربية وسط وشمال الجزيرة
العربية وبلاد الشام في العصر النبوي « منازل عبس وذبيان وفزارة » .

(١٣٤) ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٢٥٨ .

وخرج سعيد بن بحدل باعتباره مفوضاً من قبل الخليفة ومعه حشد كبير من بطون كلب من عبد ود وعليم وأخذ يضرب في كبد الصحراء ويمر بالقبائل وهو في الحقيقة يقصد فزارة (١٣٥) فلما وطأ ديارهم أوقع بهم وقعة نكراء عند موضع يسمى العاه (١٣٦) على غرة منهم فقتل منهم مقتلة عظيمة فيها خمسون رجلاً من بني بدر الفزاريين وحدهم ، وفي ذلك قال عوف القوافي يظهر أساء لمصرع قومه ويتوعد ابن بحدل :

منى الله أن القى حميد بن بحدل بمنزلة فيها إلى النصف معلماً
إلا ليت أنى صادفتني منيتي ولم أر قتلى العاه يا أم أسلماً
ولم أر قتلى لم تدع لي بعدها

يدين فما أرجو من العيش أجداً (١٣٧)

أثارت هذه الوقعة النكراء فزارة العراق وتقدم أشرافها وعلى رأسهم أسماء بن خارجة الفزارى (١٣٨) إلى عبد الملك بن مروان وقد فرغ من قتال مصعب بن الزبير بطلب عاجل وملح وهو أن يقيدهم (١٣٩) من حميلة ابن بحدل حقناً للدماء ، ولكنه أبى متعللاً بأنهم كانوا في فتنة والفتنة كالأهلية لا قود فيها ، فهو لم يشأ الأخذ بمبدأ القود الذي سنه الإسلام لئلا يغضب قبيلة كلب وسائر اليمانية وهم أنصاره يقتله أحد زعمائهم البارزين وإن كان معتدياً ، وعرض على فزارة الديات في قتلاهم من أعطيات قضاة وحمير بالشام (١٤٠) فقبلها القوم حقناً للدماء وارضاء للخليفة .

(١٣٥) الأصفهاني : الأغاني : ج ١٧ ص ١١٤ ، ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ٤٩٦ .

(١٣٦) العاه اسم جبل بارض فزارة ويوم العاه من أيام العرب .
ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ٧٣ .

(١٣٧) الأصفهاني : الأغاني : ج ١٧ ص ١١٤ .

(١٣٨) هو أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر من سادات أهل الكوفة ومن ولده الفقيه الفاضل أبو إسحاق الفزارى فقيه الثغر ، وابن عمه لحا المحدث الثقة المشهور والشاعر عوف القوافي بن معاوية بن عقبة بن حصن بن حذيفة من بني فزارة من قيس عيلان من العرب العدنانية .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٥٧ .

(١٣٩) يقيدهم أى يقتص لهم والقود : القصاص ، وإتاد القاتل بالمقتيل قتله به واستقاد الحاكم : سأل أن يقيد القاتل بالقتيل .

الرازي : مختار الصحاح : ص ٥٥٥ « مادة قود » .

(١٤٠) البلاذري : أنساب الأشراف : ج ٥ ص ٢٩٨ .

ولكن كيف يمر ذلك على شعراء اليمانية دون أن يدلوا فيه بدلوهم
وهم مثيرو الفتن وملقحو الضغائن !!؟ فكان أن عيرهم ابن مخلاة شاعر
كلب حين قبلوا الديات فقال :

خذوها بنى ذبيان عقلا على الأحياء واعتقدوا الحزما
مواعدا من بنى مروان ديننا ندافعكم بها عاما فعاما (١٤١)

وهذا يوضح بما لا يدع مجالا للشك أن الشعراء من الجانبين كانوا
وقود الفتنة بين القبائل يسكبون عليها من زيتهم كلما خبت نارها ، فلما
شاع قول ابن مخلاة عن فزارة في أمر الديات وما زالت مرارة المذبحة
في حلوقهم سارعوا فابتاعوا بها خيلا وسلاحا واحتشدوا عن بكرة أبيهم
وساروا يتوخون الحيلة والحذر حتى دهموا بنى عبد ود وعليم من كلب
على ماء لهم يعرف ببنت قين (١٤٢) في أرض السماوة فقتلوا عشرين رجلا
من عبد ود وخمسين من عليم بقتلهم في العاه فتأروا لأنفسهم حين أبي
الخليفة أن يقتص لهم وحين أبي مخلاة شاعر كلب أن يتركهم وحالهم
لما قبلوا الديات (١٤٣) .

أغضب ما وقع من فزارة عبد الملك بن مروان أشد الغضب لأنها
أخذت الديات وقبلت حقن الدماء ، ولخشيتته من اتساع دائرة القتل بينها
وبين كلب فقد أمر الحجاج بن يوسف عامله على الحجاز وقتها أن يقبض
على سعيد بن عيينة بن بدر وطلحة بن قيس الفزاريين وهما اللذان قادوا
جموع فزارة بنات قين وألح عليه في الطلب لينفذ على وجه السرعة فلما
علم الرجلان بذلك قدما على الحجاج طائعين دفعا للشر عن قومهما فوجه
بهما إلى عبد الملك ولما أبت كلب أخذ الديات عن قتلاها دفع بالفزاريين إلى
كلب فقتلتهما بقتلاها في بنات قين (١٤٤) وهو ما أغضب قيس غضبا
شديدا وأبهج كلب إلى حد قول شاعرهم :

(١٤١) الأصفهاني : الأغاني : ج ٢ ص ١٢٠ .

(١٤٢) بنات قين : اسم موضع بالشام في بادية كلب بن وبرة بالسماوة ، وهي
عيون عدة ، وسميت بذلك لأن القين بن جسر بن شيع الله بن أسد بن وبرة بن تغلب
ابن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة كان ينزل بها ويقول هذه العيون بناتي .
ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ٤٩٥ .

(١٤٣) الأصفهاني : الأغاني : ج ١٣ ص ٤٣ ، ياقوت : معجم البلدان : ج ١
ص ٤٩٦ . وذكر هذه الواقعة أيضا : ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٥٧ ، وقال : أن سعيد
ابن أبيان بن عيينة بن حصن بن قتادة كان هو القائم بحرب فزارة مع كلب يوم بنات قين .
(١٤٤) الأصفهاني : الأغاني : ج ٢٠ ص ١٢٢ ، فلهووزن : تاريخ الدولة العربية .

فغن قتلنا سيدهم بشيخنا سويد فما كان وفاء به دما (١٤٥)

بعد كثير من الوقائع الدامية التي حدثت بين قيس وكلب على أثر موقعة مرج راهط في بلاد الشام وباديتها رأى الخليفة عبد الملك بن مروان الذي عرف بحصافته وحسن تدبيره (١٤٦) أنه ليس من مصلحة الدولة الأموية استمرار هذا الصراع في مركز الخلافة ببلاد لشام وما زال عبد الله بن الزبير قابعا في الحجاز ورأى أن يبذل جهده للتخفيف من حدة تيار العصبية القبلية بين القيسية واليمينية واطفاء الأحقاد بينهما فجمع حوله زعماء قيس وكلب في محاولة للتوفيق بينهما ودفع دية من قتل منهما (١٤٧) وصالح زفر بن الحارث الزعيم القيسي وقربه اليه مع بنيه هذيل وكوثر وضم القيسية الى جيشه وفرض لهم في العطاء (١٤٨) وتزوج منهم ولادة بنت العباس بن حرب من عباس (١٤٩) وهي أم أبنيه الوليد وسليمان اللذين أصبحا خليفتين فيما بعد .

ولكن هذا التقارب بين الملك والقيسية لم يعجب اليمينية وأوغر صدورهم وأثار حفاظهم وانطلقت ألسن شعرائهم وخاصة من كلب توجه اللوم والعتب لبني أمية وتذكروهم ما كان لهم من أباد على قومهم في تثبيت دعائم حكمهم ومقارعة خصومهم فلما منهم أن بيت الخلافة بسبيله الى نبذهم وتقريب قيس على حسابهم فهذا عمرو بن مخلد الكلبى يخاطب عبد الملك بن مروان مشيرا الى بني أمية فينكر عليهم اظهار الجفاء لهم ويذكرهم بلاء قومه في نصرتهم يوم جيرون ويوم المرج الذي دفعوا من حسابه كثيرا فيقول :

ضربنا لكم عن منبر الملك أهله بجيرون اذ لا تستطيعون منبرا
وأيام صدق كلها قد عرفت نصرنا ويوم المرج نصرا مؤزرا

(١٤٥) شرح حماسة أبي تمام : ج ٢ ص ٩٧ ، الأصفهاني : الأغاني : ج ٢٠ ص ١٢٢ ،
ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ٧٣٩ ،
(١٤٦) مؤلف مجهول : العيون والحدائق في أخبار الحقائق : ص ١٦١ ، ١٦٢ ،
(١٤٧) الأصفهاني : الأغاني : ج ١٧ ص ١١٥ ، البلاذري : أنساب الأشراف :
ج ٥ ص ٣١١ .

(١٤٨) الأصفهاني : الأغاني : ج ١٦ ص ٤٢ ، ٥٣ ، البلاذري : أنساب الأشراف :
ج ١ ص ١٧٣ ، ٢٥٣ ، ج ٥ ص ٢١٣ ، الطبري : التاريخ : ج ٢ ص ٣٠٠ ، ابن الأثير :
الكامل : ج ٤ ص ١٦٥ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ،
(١٤٩) ابن حبيب : المحبر : ص ٢٥ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٢٥٦ ، ابن كثير :
البداية والنهاية : ج ٩ ص ١٨٠ ، سيدة كاشف : الوليد بن عبد الملك : ص ١١١ .

فلا تكفوا حسنى مضت من بلادنا ولا تمنحونا بعدد لين تجنبرا
فكم من أمير قبل مروان وابنه كشفنا غطاء العم عنه فأبصرنا (١٥٠)

لم يقتصر الأمر على ابن مخلاة فى توجيه اللوم الى بنى أمية وتذكيرهم
حسن بلادهم وسالف أياهم فى نصرتهم لمجرد أن عبد الملك بن مروان
صالح القيسية وقربهم اليه دفعا لغائلة الشر عن بلده وقومه فتسمع
جواس بن قعطل الكلبي ينحوا منحنى ابن مخلاة ولكن فى صورة أشد
وأعنف فيقول :

أعبد الملك ما شكرت بلادنا فكل من رخاء الأرض ما أنت آكل
بجارية الجولان لولا ابن بحدل هلكت ولم ينطق بقومك قائل
فلما علوت الشام فى رأس بادخ من العز لا يستطيعه المتناول
نفحت لنا سجل العداوة معرضا كأنك مما يحدث الدهر جاهل (١٥١)

ومن ذلك يبدو أن اليمانية قد صمت آذانها عن دعوة الصلح التى
حمل عنها عبد الملك بن مروان للقضاء على نار الفتنة والعداوة والحروب
بين العرب من عدنان وقحطان فى بلاد الشام وبالتالي فى غيرها من بلاد
دولة الاسلام لأن ابن قعطل ما برح يوجه رسائله المخومة الى الخليفة
وكد عليه ألا ينسى فضل قومه فى غمرة تقريبه وصلحه لقيس وتكريم
جائهم بينما هو يفعل ذلك للصالح العام ويدل على ذلك ما جاء على لسان
قعطل بعد ما قاله سابقا قال :

نمت أمية بالرماح دماءنا وطوت أمية دوتنا دنياها
أ ولاية ضرابها وطعائنا حتى تجلت عنكم غماها
يجزى .. لا أمية سعيها بل علا شددنا بالرماح عراها (١٥٢)

وعلى هذا النحو ظل شعراء القحطانية يذكرون بنى أمية طوال
هم ببلادهم عنهم يوم المرج وبعده كلما بدا منهم أمرا يكرهونه
نسوا منهم جفاء وإيثارا للمضرية عليهم (١٥٣) . وذلك باعتبارهم

(١٥٠) شرح حماسة أبى تمام : ج ٤ ص ٦٦ ، البلاذرى : أنساب الأشراف : ج ٥
ص ١٢٥ .

- (١٥١) حماسة أبى تمام : ج ٤ ص ٦٨ ، حماسة البحتري : ص ١١٣ .
- (١٥٢) حماسة أبى تمام : ج ٤ ص ٧٠ ، حماسة البحتري : ص ١١٢ .
- (١٥٣) احسان النص : العصبية القبلية وأثرها فى الشعر الأموى : ص ٦١٠ .

أصحاب الفضل في قيام دولتهم بما قدموه من تضحيات في صفين ومرج راهط وغيرها مناقحة عن بني أمية وملكهم .

وعلى أية حال فمع كل ما بذله عبد الملك بن مروان على النزعة العصبية التي سادت بلاد الشام إلا أنه لم يفلح في القضاء عليها ولم تعجب اليمنية جهوده وإن أثمرت محاولاته في إرجاء الصدام بينهم وبين القيسية لبعض الوقت إذ رأت قيس أن هزيمتها في مرج راهط عار لا يمحوه إلا الدم بنفس الكيل والمعار لأن خسارتهم فيها كانت فادحة لم تقع من قبل حين بلغت ستة آلاف قتيل في يوم واحد بالمرج والحديعة (١٥٤). وأن إغاراتهم على كلب واليمن لم تحقق الغاية المرجوة منها بالنسبة لقتلى المرج كما أن محاولات عبد الملك بن مروان لتطبيب خاطرهم استدراكا لما فاتهم من الفضل في فتح البلاد لم تلق صدرا رحبا من خصومهم الذين رأوا أن ذلك يتم على حسابهم بما وجهوه إلى الخليفة من رسائل مقذعة على لسان شعرائهم فكان لابد لقيس من أن تبيت للايقاع بهم إذ لم تصفو نفوسهم بعد .

لاحق فرصة الثأر للقيسية في معركة نهر خازر (١٥٥) قرب الموصل سنة ٦٧هـ - ٦٨٦م في عهد عبد الملك بن مروان (١٥٦) وقيل قضائه على ثورة ابن الزبير بالحجاز وأثناء الفوضى بالعراق وتمرد أهله على حكم الأمويين بزعامة مصعب بن الزبير في البصرة وذلك بين جيش من أهل الشام بزعامة الحصين بن السكوني (١٥٧) وعبيد الله بن زياد وبين جيش من الكوفة بالعراق بقيادة إبراهيم بن الأشتر النخعي (١٥٨).

(١٥٤) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٥٢٧ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٢ ص ٣١٥ .

(١٥٥) نهر خازر بين اربل والموصل عليه كورة يقال لها نخلا ، وأهل نخلا يسمون البخازر بريشوا ومبدأه من قرية يقال لها أربون وهو يصب في دجلة .
ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٢٣٧ .

(١٥٦) ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٢ ص ٣١٩ ، المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ٨٩ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ٢٩١ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٨ ص ٣٠٤ .

(١٥٧) هو الحصين بن نمير بن نائل بن لييد من بني أشرس بن كندة من العرب اليمنية .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٢٩ ، ابن خلكان : وفیات الأعيان : ج ٦ ص ٢٧٦ .
(١٥٨) إبراهيم بن الأشتر النخعي كنيته أبو عمران وهو ولد الحارث بن جذيمة من بني النخع بن عامر .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٤١٤ ، ٤١٥ ، ابن خلكان : وفیات الأعيان : ج ١ ص ٢٥ ، ٢٦ .

قائد المختار بن أبي عبيد الثقفي (١٥٩) الذي كان قد ثار بالكوفة في ذلك الوقت للأخذ بثأر الحسين بن علي واتخاذها وسيلة للوثوب الى مركز الزعامة (١٦٠) مستغلا حالة الفوضى التي وصلت اليها الدولة فيما بين الزبيريين والأمويين وبين القيسية واليمينية .

لما نزل الجيشان قرية بارشيبا بالموصل قرب نهر خازر (١٦١) تأمرت القيسية في جيش الشام بزعامة عمير بن الحباب السلمي وفرات.

(١٥٩) هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود عمرو الثقفي ، ويقال أن مسعوداً جده هو عظيم القرينين ، وقد استولى المختار على الكوفة زمن مصعب بن الزبير وقوى أمره بها بانضمام ابراهيم بن الاشر إلىه ومقتل سليمان بن صرد الخزاعي زعيم الشيعة المعروفين بالتوابين في معركة عين الوردة بأرض الجزيرة ضد عبيد الله بن زياد (٦٥ هـ - ٦٨٤ م) . قصار هو زعيم الشيعة بالعراق وكان شعاره « يا لثارات الحسين » فتتبع قتله في كل مكان يحرقهم ويقطع أيديهم وأرجلهم ويضعنهم بالرماح ويقدم الفعلة أمامه بالمعاول لهدم دورهم حتى بلغ من عذب منهم عشرة آلاف وأرسل الى شمر بن ذي الجوشن الضبابي « الذي أجهز على الحسين » من قتله وقبض على عمر بن سعد الذي قاد جيش الأمويين في كربلاء وكان مستخفيا بالكوفة فجرده عن أطماره ولوى شفتيه وأذنيه كما يفعل بالبهيمة وشد لحيته وقلع أظراسه وسبل عقد أصابعه وقرض لحمه بالمقاريض وقطع لسانه وغور عينيه حتى مات ، وأرسل جيشا قتل عبيد الله بن زياد وعصبة من أهل الشام في موقعة نهر الخازر فاستحق اعجاب بني هاشم حتى قال ابن عباس : أنه أصاب بثأرنا ، ولما تمكن المختار من البلاد وخضعت له سائر مدن الجزيرة على يد ابراهيم بن الاشر وأحمد فتنة أشراف الكوفة ضده قرر مصعب بن الزبير في البصرة أن يهاجمه قبل استئصال أمره فاستدعى المهلب من حرب الخوارج واصطدع ابراهيم بالجزيرة حتى انضم اليه ثم وجه اليه بجيش كبير من البصرة الى الكوفة فصمد له المختار مدة أربعة أشهر ثم قتل بقصر الامارة سنة ٦٨ هـ - ٦٨٧ م وبعدها اضطهد مصعب أهل الكوفة وقتل منهم جمعا كبيرا وأجبر حريم المختار على أن يتبرأن منه ففعلن الا واحدة وهي عمرة بنت النعمان بن بشير قالت : أنه عبدا من عباد الله الصالحين فأمر مصعب بقتلها وعاد العراق الى سلطان ابن الزبير قبل أن يقتل هو وأخوه عبد الله في عهد عبد الملك بن مروان وبذلك انتهت حركة من أكبر الحركات التي رمت الى نصرة العصبة الهاشمية زمن بني أمية .

ديوان عمر بن أبي ربيعة : ص ١٢ تحقيق شوارز وجبرائيل جبور ، ابن سعد : الطبقات : ج ٥ ص ٧٧ ، البلاذري : أنساب الأشراف : ج ٥ ص ٢٦٠ ، أبو مخنف : كتاب الأخذ بالفار : ص ١٠٠ ، ١٠١ ، الطبري : التاريخ : ج ٦ ص ٩٣ - ١١٦ ، ابن حبيب : الخبر : ص ٤٩١ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٤٠٠ ، ٤٠١ الدينوري : الأخبار الطوال : ص ٢٩٦ ، المسعودي : مروج الذهب : ج ٥ ص ٢٧٧ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٦٨ ، النوبختي : فرق الشيعة : ص ٢٣ ، ابن عمران المرزباني : معجم الشعراء : ص ٤٠٨ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ٣٦٤ ، ابن كثير : البداية : ج ٨ ص ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٣١١ « ترجمة المختار » ابن خلكان : وفیات الأعيان : ج ٣ ص ١٦٥ ، ج ٤ ص ١٧٢ ، الخربوطلي : المختار الثقفي : مرآة العصر الأموي : ص ٢٢ .

(١٦٠) ابن سعد : الطبقات : ج ٥ ص ٧١ ، البلاذري : أنساب الأشراف : ج ٥ ص ٢٦٥ ، الطبري : التاريخ : ج ٢ ص ٦٨٦ ، الدينوري : الأخبار الطوال : ص ٢٩٢ . (١٦١) ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ٤٨٨ .

ابن سالم مع ابن الأشتر قائد جيش المختار وذلك في لقاء سري عقد بينهما قبل المعركة تم فيه الاتفاق على أن تنسحب قيس من ميسرة جيش الحليفة عبد الملك عند بدء القتال وتترك الميدان فيقع بقية جيش الشام من كلب واليمانية فريسة لجيش العراق (١٦٢) ، وليس هذا فقط بل أن عميرا بدافع حقه على اليمانية ورغبته في الثأر والتشفى منهم نصح ابن الأشتر قبل المعركة بما نفعه وذلك حين استشاره الأخير في أن يحتمي وراء خندق ثم يناجز القوم فقال له ناصحا : « لا تفعل ، وهل يريدون الا هذا ، فإن المطاولة خير لهم وهم كثير أضعافكم وليس يطيق القليل الكثير في المطاولة ، ولكن نازل القوم فانهم قد ملثوا منكم رعبا وأن هم شايروا أصحابك وقتلوهم يوما بعد يوم ومرة بعد مرة أنسوا بهم واجترأوا عليهم » (١٦٣) .

لما وقعت الحرب قاتل القيسية قتالا يسيرا ثم تصايح عمير بن الحباب في قيس : يا لثارات مرج راهط وأخذ يكرر النداء فنكس القيسيون أعلامهم وانسحبوا فكشفوا ميسرة جيش الشام ودفعوا بهم الى حتفهم فحلت بهم الهزيمة (١٦٤) وقتل من اليمانية وكلب خلق كثير فيهم القائد عبيد الله بن زياد ومعه من أشراف الشام شراحيل بن ذى الكلاع الحميري وابن حوشب ذا ظليم الكندي وغالب الباهلي (١٦٥) وغيرهم جمع كبير وتتبع ابراهيم الفارين ففرق منهم أكثر ممن قتل وكان الذي تولى قتل عبيد الله بن زياد - والى الكوفة أيام كربلاء (١٦٦) - ابراهيم بن الأشتر نفسه اذ ضربه بالسيف ضربة قوية شبطرتة نصفين (١٦٧) أما الحصين بن نمير السكوني - الذي كان قائدا مع عبيد الله بن زياد وصاحب شرطته بالكوفة وقت خروج الحسين وقائد جيش الشام في حصار المدينة الشهير على ابن الزبير أيام يزيد ورامى

-
- (١٦٢) الطبرى : التاريخ : ج ٦ ص ٨٦ ، المسعودى : مروج الذهب : ج ٢ ص ٨٩ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ٢٨١ .
- (١٦٣) ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٢٦١ .
- (١٦٤) الطبرى : التاريخ : ج ٦ ص ٩٠ ، ٩١ ، المسعودى : التلبيه والاشراف : ج ٢ ص ٣١٢ ، مروج الذهب : ج ٢ ص ٨٤ ، الذهبى : دول الاسلام : ص ٥١ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى : ج ١ ص ٤٢٩ .
- (١٦٥) ابن حبيب : المحبر : ص ٤٩١ الطبرى : التاريخ : ج ٦ ص ٨٦ - ٩٢ ، ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٣٣٧ ، الذهبى : دول الاسلام : ص ٥١ ، ٥٢ ، ابن كثير : البداية : ج ٨ ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ .
- (١٦٦) الطبرى : التاريخ : ج ٦ ص ٨٦ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ٢٧٧ .
- (١٦٧) الدينورى : الأخبار الطوال : ص ٢٨٦ .

الكعبة بالمنجنيق والنار (١٦٨) - فقد أسره ابن الأشتر وبعث به الى المختار بالكوفة حيث مات بين يديه بعد أن عذبه وقطع أوصاله وقرض لحيته بالمقاريض (١٦٩) ، ولما أتت المختار بالكوفة بشائر النصر بعث الى ابراهيم بن الأشتر يوليه على بلاد الجزيرة مركز القيسية فأقام بها ووجه عماله على مدنها وسكانها وكلهم من قيس (١٧٠) .

وهكذا كشفت العصبية القبلية عن وجهها القبيح في اذكاء نار العداوة والبغضاء بين قيس وكلب من جراء مرج راهط رغم كل المحاولات التي بذلها الخليفة عبد الملك بن مروان في تهدئة الأوضاع بين الطرفين حتى وصلت بهم الأمور الى حد التآمر والخيانة مع أن ذلك لم يكن فعلا أصيلا في سلوك العرب وأخلاقهم .

ثانيا : الحرب بين قيس وقبيلة تغلب النصرانية :

(أ) دواعي الحرب القيسية التغلبية :

لم تجر العصبية عند القبائل العربية بالشام قيسا الى الحرب مع اليمانية فقط وانما جرتهم أيضا الى حرب أشد وأعنف مع قبيلة أخرى من العرب العدنانية وهي قبيلة تغلب النصرانية من ربيعة (١٧١) ، فلم تبدأ المعارك بين قيس وكلب منذ مرج راهط سنة ٦٤ هـ - ٦٨٤ م إلا حين قامت هذه الحرب القيسية التغلبية في غمرة الأحداث التي شهدتها الثورة الأموية في ذلك الوقت والتي استمرت بينهما أربعة سنوات كاملة من سنة ٦٩ هـ - ٦٨٩ م الى سنة ٧٣ هـ - ٦٩٢ م .

ومجموعة قبيلة تغلب قليلة الفروع اذا قورنت بقيس ومن اكبر بطونها بنو جشم بن بكر ومالك بن بكر وهي أعظم قبائل ربيعة شأنًا على الاطلاق (١٧٢) ، وكانت قصبة منازل تغلب في القرن الأول للهجرة

(١٦٨) الأزرقى : أخبار مكة : ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

(١٦٩) أبو مخنف : كتاب الأخذ بالنار : ص ١٠٠ .

(١٧٠) الدينورى : الأخبار الطوال : ص ٢٨٩ .

(١٧١) سبق التعريف بنسب تغلب وربيعة . وانظر أيضا : ابن جزم : الجهمرة : ص ٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ١٨٦ ، ١٨٧ ، قلائد الجمان : ص ١٢٩ .

(١٧٢) ابن جزم : الجهمرة : ص ٣٠٦ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣١٠ .

وسط الجزيرة الفراتية أشبه ما تكون جزيرة حصينة يحدها نهر الخابور ودجلة والفرات وتقع بين قرقيسيا وسنجار ونصيبين والموصل شمالا وغانة وتكريت جنوبا (١٧٣) فيما عرف باسم « ديار ربيعة » (١٧٤) وقد عاشت جماعة من تغلب في مضارب على الضفة اليمنى لنهر الفرات عند منبج والرصافة وعاشت أخرى الى جوار قنسرين ودمشق حتى عين التمر في الجنوب (١٧٥) وفيما بين خفان والعذيب (١٧٦) وعبرت بطون منهم نهر دجلة مهاجرة الى أذربيجان (١٧٧) .

كان معظم بني تغلب بدوا شديدي البأس (١٧٨) تسربت النصرانية اليهم قبل ظهور الاسلام من جيرانهم النصارى فانتموا الى النحلة اليعتوبية السائدة بالمنطقة وكانت لهم أسقفية بالرصافة (١٧٩) تدعى أسقفية مار سرجيس تحظى بكل رعايتهم واهتمامهم كما يفهم من قول الأخطل (١٨٠) .

(١٧٣) القلقشندي : نهاية الأرب : ص ١٨٧ .
(١٧٤) ديار ربيعة تمتد من الموصل الى رأس عين نحو بقعاء الموصل ونصيبين ورأس عين وديسر والخابور وتشمل ما بين ذلك من المدن والقرى وشملت هذه المنطقة ديار بكر وديار ربيعة وسميت كلها ديار ربيعة لانهم كلهم ربيعة .
ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٤٩٤ . لسترنج بلدان الخلافة الشرقية : ص ١١٤ .

(١٧٥) انظر ملحق رقم ١٦ « خريطة مواقع وأعلام جغرافية وتاريخية لبلاد الشام بعد الفتح الاسلامي » .
(١٧٦) خفان موضع قرب الكوفة وقيل فوق القادسية ، والعذيب ماء بين القادسية والمغيثة بينه وبين القادسية أربعة أميال وقيل هو حد السواد .
ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٢٧٩ ، ج ٤ ص ٩٢ ، لسترنج بلدان الخلافة الشرقية : ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

(١٧٧) هدارة : دراسات : ص ٨٤ نقلا عن لامنس .
(١٧٨) أبو يوسف : الخراج : ص ١٤٤ ، المسعودي : مروج الذهب : ج ١ ص ٣١٤ .
(١٧٩) تقع في غربي الرقة على طرف البرية .
ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ٤٧ .

(١٨٠) الأخطل هو شاعر تغلب النصراني المتشدد واسمه غياث بن غوث بن الصلت من بني جشم ابن بكر من تغلب من ربيعة العدنانية ، والأخطل لقب غلب عليه بسبب انه مهاجرا رجلا من قومه فقال له : يا غلام انك لأخطل أي سفيه وقد لقبه عبد الملك بن مروان بشاعر بني أمية وكان يدخل عليه في أي وقت مرتديا عباءة من الحرير وعليه تعويذة ويتدلى الصليب من عنقه .

الأصفهاني : الأغاني : ج ٨ ص ٢٨٠ ترجمة الأخطل ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ج ١ ص ٤٨٣ ، الأمدى : المؤتلف والمختلف : ص ٢١ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٠٥ ، ابن سلام : طبقات الشعراء : ص ٣٨٦ ، البغدادى : خزائن الأدب : ج ١ ص ٢٢٠ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٣٣٨ ، ابن العماد : شذرات الذهب : ج ١ ص ١٤١ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٩ ص ٩٢ ، قزوين : أهل النمة : ص ١٥٠ شوقي ضيف العصر الاسلامي : ص ٢٥٨ - ٢٦٤ .

لما رأونا والصليب طالعا ومار سرجيس وسما ناقعا (١٨١)،

ومع أن النصرانية لم تتغلغل في قلوب التغالبة شأنهم في ذلك شأن البدو والأعراب إلا أنهم استمسكوا بها وعدوها عرضا يدودون عنه وشرقا كان انتهاكه عارهم ، ولذلك فانه لم تفلح جميع المحاولات التي بذلها المسلمون لادخالهم في الاسلام (١٨٢) ويستثنى من ذلك جماعة صغيرة منهم كانت تعيش الى جوار طيء (١٨٣) .

لم تستطع تغلب أن تظل طويلا بمعزل عن الظروف والأحداث التي كانت تدور حولها بالشام والعراق بحكم موقعها الهام بينهما في الشمال ، فعندما ظهرت روائع العصبية القبلية بين العدنانية والقحطانية منذ أواخر عهد عثمان بن عفان التزمت تغلب موقفا يشبه المحايدة (١٨٤) بسبب أنها على دين مخالف لما عليه الطرفان فاعتبرت نفسها خارج الحلقة ، غير أنها لم تستمر على ذلك طويلا فمالات عليا في بداية أمره بسبب التعصب الذي كان قد بدا واضحا في عهده بين العرب من مضر ويمن نتيجة للنزاع بينه وبين معاوية (١٨٥) فاتخذت تغلب جانبه لكثرة المضرة في أنصاره لأنه كان صاحب الأمر في مبدأ الخلاف وكان معاوية يعد خارجا عن طاعته فاتخذت القلة النصرانية جانب الجمهور من المسلمين وخاصة أنها تعيش في منطقة النفوذ الموالي لعل (١٨٦) .

ولكن سرعان ما انقلبت تغلب الى صف معاوية وحاربت معه في صفين بسبب أنها وجدت أن عليا يمثل النظرية الاسلامية بغض النظر عن السياسة على عكس معاوية الذي كان يمثل النظرية السياسية بغض النظر عن الدين لتحقيق أهدافه في الوصول الى منصب الخلافة فضيق عليهم الأول بسبب نصرانيتهم حين أوعز الى عماله بأخذ تغلب بالشدة لأنها كانت

(١٨١) ديوان الاخطال : ص ٢١١ .

(١٨٢) انظر قصة شمعة التغلب مع كل من الوليد وهشام ابني عبد الملك بن مروان في هذا الخصوص .

الأصفهاني : الأغاني : ج ١٠ ص ٩٣ ، ٩٩ ، المبرد : الكامل : ج ٣ ص ٨٧ ، الأمدى : المؤلف والمختلف : ص ١٤٠ وحاشية ٣ نفس الصفحة ، زيدان : تاريخ التمدن : ج ١ ص ١٠٩ .

(١٨٣) أبو يوسف : الخراج : ص ٦٨ ، قزقون : أهل الذمة : ص ٩٤ .

(١٨٤) ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣٠٩ .

(١٨٥) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ١٣٧ .

(١٨٦) هداره : دراسات في الشعر العربي : ص ٦٠ .

قد دأبت على تنصير أولادها مخالفة في ذلك عيدها لعمر بن الخطاب (١٨٧) كما أنها تشرب الخمر فتفسد الناس (١٨٨) فكان ذلك مما أحفظها عليه وجعلها تنقلب إلى خصمه وهو السياسي المطبوع الذي تلقف تغلب بكل صدر رحب حاجته إلى الحلفاء الأقوياء في صراعه ضد علي ووعدهم بعدم التضييق عليهم في دينهم وأهلته في جمع صدقاتهم فأيدوه ، ولما أنبأتهم الأحداث بأن الخلافة تسعى إليه بفضل طاعة القحطانية من أهل الشام لأمره انضموا إليه وأصبحوا من أنصاره وحاربوا معه في صفين (١٨٩) وكانوا في جيش ابنه يزيد يوم الحرة وقاتلوا مع مروان في مرج راهط وفي ذلك يقول الأخطل شاعر تغلب النصراني :

وقد كان يوم راهط - من ضلالكم - فناء لأقوام وخطبا من الخطب (١٩٠)

لما نشبت الحرب بين قيس وكنب بعد مرج راهط لم تتخذ تغلب موقفا حاسما من القتال الدائر بينهما لأنها رأت وهي القبيلة النصرانية أن تدخلها بين فريقين من المسلمين لن يكون إلا على حسابها (١٩١) ، غير أن تغلب لم تدم على حيادها طويلا بسبب عامل العصبية القبلية الذي لم تستطع تغلب ربيعة المضرية أن تنأى بنفسها عنه بحكم دينها ووجدت نفسها منجسة إليه ، فمع أن تغلب كانت في جانب الأمويين إلا أنها لم تؤيد أنصارهم من كلب اليمنية ضد قيس المضرية اخوتهم في النسب لأن نصرانيتها لم تمنح عصبيتها .

كما لم يمح الإسلام العصبية بين القبائل التي دخلت فيه .

هذا بالإضافة إلى ما كان بين تغلب وكنب من عداوة وحروب قبل ذلك يدلنا عليها قول الأخطل :

(١٨٧) أبو يوسف : الخراج : ص ١٥ ، أبو عبيد : الأموال : ص ٤٨٢ ، البلاذري : فتوح البلدان : ص ١٨٦ .

(١٨٨) الأمدى : المؤلف والمختلف : ص ٢١ ، تروتون : أهل الذمة : ص ١٥٠ ترجمة حسن حبشي .

(١٨٩) كان ضمن بني تغلب ممن حارب مع معاوية في صفين الشاعر كعب بن جعيل التغلبي وكان نصرانيا ثم اعتنق الإسلام وحارب في جيش معاوية ضد علي في صفين وهو صاحب الكثير من الأشعار التي كان يقارع بها معاوية شعراء العراق ممن كانوا مع علي ابن أبي طالب حتى لقب بشاعر معاوية .

أنظر نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٥٦ ، ٢٥٥ ، ٢٥٣ ، ٢٩٨ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ج ٢ ص ٢١ ، المرزبانى : معجم الشعراء : ص ٢٣٢ ، ابن سلام : طبقات الشعراء - ٤٥٨ .

(١٩٠) ديوان الأخطل : ص ٢٣

(١٩١) هدارة : دراسات : ص ٩٨ .

نبئت كلبا تمنى أن تحاربنا وطالما حاربونا ثم ما ظفروا (١٩٢)

ومن ثم فقد وافقت تغلب هواها حين امتنعت عن مساعدة كلب
في صراعها ضد قيس رغم اجتماع الاثنين « تغلب وكنسب » في حب
الأمويين فقد دعت نصرانية تغلب « عصبيتهم » في الانضمام إلى
بنى أمية ، ودعتهم عصبيتهم إلى مساعدة قيس ضد كلب بصرف النظر
عن الدين كان أن انضمام قيسية الشام لابن الزبير كان بسبب العصبية
وليس الدين (١٩٣) .

لم تستطع تغلب أن تستمر طويلا في دورها من العداء بين قيس
وكلب وهو دور المساعدة الثانوية لقيس بحكم العصبية القبلية وصلة
النسب والجيرة في الديار (١٩٤) وأدركت أنه قد بات لزاما عليها أن
تحدد سياستها ، فكلب عدوتهم ولكنها حليفة الأمويين وقيس من
عصبيتها ولكنها عدوة الأمويين ومن ثم فقد ترددت تغلب طويلا في اختيار
أى الفريقين تلقي بثقلها إلى جواره وتجاذبتها العوامل السياسية والأهواء
العاطفية حتى أخرجها استفزاز قيس لها عما كانت فيه من حرج حيال
الدولة الأموية (١٩٥) التي غضبت الطرف عنهم في تنفيذ عهد عمر بشأن
تنصير أولادهم وترفقت بهم في جباية الصدقات في الوقت الذي زاحمت
فيه قيس لتغلب في منازلها يقطعونها جيئة وذهابا يستأوون جوارهم
ويستخرون مشايخهم ويرهقونهم بطلب زاد لهم وعلوفا لخيولهم (١٩٦)
فكان أن اعتزمت تغلب القتال ضد قيس وخلع طاعة ابن الزبير والانضمام
صراحة إلى الأمويين بصرف النظر عن العصبية والنسب إلى مضر لما وصل
الأمر إلى حد المزاحمة في الديار وفي ذلك قال الأخطل شاعر تغلب :

ولما تبينا ضلالة مصعب فتحنا لأهل الشام بابا من النصر (١٩٧)

يضاف إلى كل ما سبق من الأسباب التي أدت إلى قيام الحرب
القيسية التغلبية أن الدولة الأموية في ذلك الوقت كان يهملها انكسار

(١٩٢) البلاذري : أنساب الأشراف : ج ٥ ص ٣١٣ .

(١٩٣) هدارة : دراسات : ص ٩٨ .

(١٩٤) عن ديار تغلب وقيس في شمال الشام والجزيرة الفراتية انظر ملحق رقم ١٧
« العراق - خريطة مواقع أعلام جغرافية وتاريخية بعد الفتح الاسلامي » .

(١٩٥) الأصفهاني : الأغاني : ج ١٧ ص ١١٢ ، ١١٤ .

(١٩٦) ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣٠٩ .

(١٩٧) ديوان الأخطل : ص ١٣٤ .

شركة قيس التي اتخذت جانب ابن الزبير وأصبحت بوقا له في بلاد الشام معقل بني أمية نكايه فيهم لتفضيلهم اليمانية لدورهم في قيام دولتهم (١٩٨) ، فضلا عن إشاعة القيسية للذعر والفوضى في شتى أنحاء البلاد من جراء حربهم لكلب (١٩٩) ومن والاهما من اليمانية على أثر هزيمتهم في مرج راهط ، فلما باتت الحرب واقعة بين قيس وتغلب بسبب تداخل الأولى مع الثانية في الديار وما وقع عليها من ظلم وجد فيها الأمويون ضالتهم المنشودة في فل حدة قيس القوية وصرفها عنهم وعن أنصارهم من كلب وخاصة بعد خيانة وقعة نهر الخازر (٢٠٠) ولو إلى حين الانتهاء من أمر ابن الزبير بالحجاز وأخيه مصعب بالعراق فلرب ضارة نافعة جاءت في وقتها لأنها كان من الخطر على الأمويين وأنصارهم من اليمانية أن يحدد بهم أعداؤهم من جهة الحجاز والعراق في الشرق ومن جهة القيسية بشمال الشام ، كما أنه لم يكن من السهل عليهم القتال في جبهتين في وقت واحد ولذلك فليس بمستبعد بأنه لما همت تغلب بحرب قيس وجدت تشجيعا من جانب الأمويين بدليل أنهم ما كانوا يسكتون عليها لو كان في ذلك ضرر لهم ، كما أن عبد الملك بن مروان أعطى الوفد التغلبي الذي جاء له برأس الزعيم القيسي عمير بن الحباب عقب إحدى وقائعهم وخلع عليه (٢٠١) .

(ب) الوقائع الحربية بين قيس وتغلب :

بدأت الحرب بين قيس وتغلب من باب الحيف الذي لحق بالأخيرة من جراء مزاحمة قيس لها في ديارها مثيرة للفوضى والقلق (٢٠٢) ، وكانت زعامة قيس في ذلك الوقت لكل من عمير بن الحباب السلمي (٢٠٣) وهو أعرابي جافى الطبع لا يحترم غير منطق القوة ، وزفر بن الحارث الكلابي الذي كان حكيما كريما مجتمعا لا يحب الفرقة على حد قول

(١٩٨) المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ٨٤ .

(١٩٩) الأصفهاني : الأغاني : ج ١٧ ص ١١٢ ، ج ٢٠ ص ١٢٠ .

(٢٠٠) الطبري : التاريخ : ج ٦ ص ٨٦ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ٢٨١ .

(٢٠١) ابن حبيب : المحبر : ص ٤٩٢ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٢١٧ .

(٢٠٢) ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣٠٩ .

(٢٠٣) اسمه عمير بن الحباب بن جعدة بن إياس بن حذافة بن محارب بن هلال. ابن فالج من بني بهثة بن سليم من قيس عيلان العدنانية كان له جد يدعى حكيم أقام بمكة أيام الجاهلية محتسبا يأمن بالمعروف وينهى عن المنكر وفي ذلك قال بعض سفهاء قریش :

أطوف في الأباطح كل يوم مخافة أن يشرذني حكيم

ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

الأصفهاني (٢٠٤) ، وقد حدث بعد موقعة نهر الخازر وهزيمة جيش الشام ومقتل جماع غفير من اليمانية بسبب انسحاب قيس من المعركة (٢٠٥) أن اتحدت سائر قيسية الشام بزعامة زفر بن الحارث وعمير بن الحباب واتخذوا من معقلهم في قرقيسية مركزا للهجوم على كلب واليمانية طلبا لثأر من قتل منهم في مرج راهط ودارت أغلب هذه الأيام في منطقة السماوة حيث كانت تنزل كلب البادية التي اضطرت إلى الرحيل عنها إلى غور الشام تحت وطأة الهجوم القيسي كما أوضحنا من قبل وقد عمل مع قيس في هذه الغارات قوم من تغلب كانوا يدلونهم على المسالك والدروب لخبرتهم بهذه الأرض وطرقها (٢٠٦) .

لما عادت القيسية بزعامة عمير بن الحباب من إحدى غاراتها على كلب نزلت على نهر الخابور (٢٠٧) حيث منازل تغلب التي أبدت استياء شديدا من ذلك لدأب القيسيين على استغلالهم وسبي جواريتهم وتسخير مشايخهم النصاري (٢٠٨) ومعاملتهم بما لا يليق ومساعدتهم التي يقدمونها لهم ظنا منهم بضعف تغلب وعدم قدرتها على مناورتهم ووسط هذا الجو المشحون حاج الشر بين الحيين بسبب بضع غنمات استولى عليها بعض بني الحريش (٢٠٩) من امرأة تميمية يقال لها أم دويل كانت متزوجة في تغلب حيث نزل عمير ومن معه ، ولما شبكت المرأة إلى عمير لم يرد عليها غنمها فهب قوم من تغلب لنصرتها فقتل منهم رجل يقال له مجاشع التغلبي فخرجت تغلب بزعامة شعيث بن مليل وأغاروا على بني الحريش فقتلوا جمعا واستاقوا غنما لامرأة منهم يقال لها أم الهيثم وحاول القيسيون منعهم فلم يقدروا (٢١٠) وفي ذلك يقول الأخطل :

وجساءوا بجمع ناصري أم هيثم . فما رجعوا من ذودها ببيعير (٢١١)

(٢٠٤) الأصفهاني : الأغاني : ج ١٢ ص ٢٠٦ .

(٢٠٥) الذهبى : دول الاسلام : ص ٥١ ، ابن كثير : البداية : ج ٨ ص ٣٠٣ .

(٢٠٦) ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣١٠ .

(٢٠٧) الخابور : نهر كبير يمتد بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة وعليه بلدان كثيرة غلب عليها اسمه فنسبت إليه وأصل هذا النهر من العيون التي توجد برأس عين .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٣٣٤ ، لسترنج بلدان الخلافة الشرقية : ص ١١٤ ،

١٢٤ ، ١٢٧ .

(٢٠٨) ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣٠٩ .

(٢٠٩) عم بنو الحريش بن أنصى بن عامر من قعدة بن الياس بن مضر .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٤٠ .

(٢١٠) ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣١٠ .

(٢١١) ديوان الأخطل : ص ٣٦ .

وكان على اثر ذلك أن قامت قيس بغارة مفاجئة على تغلب بديارها
في الحابور فقتلوا منهم ثلاثة نفر واستاقوا خمسة وثلاثين بعيرا (٢١٢) .

لما رأت تغلب أن السيف قد وقع بينها وبين قيس أرادت أن تسلك
الطريق السلمي لوأد أسباب الحرب قبل أن يحدث القتال بينهما حقنا
للدماء ، فلبثوا الى زفر بن الحارث الكلابي الزعيم القيسي المعتدل للتوسط
في اجلاء عمير ومن معه عن الحابور وذكروا له القرابة والجوار وطلبوا
منه أن يأتيهم برجلهم الميسلوب ويرد عليهم نعمهم وشاءهم (٢١٣) فأجابهم
زفر الى رد نعمهم أما اجلاء من نزل بالحابور من قيس فدفع بأنه لا طاقة
له به ولا يملكه غير عمير ، وقال لهم « أما النعم فتردها عليكم أو ما قدرنا
عليه ونكمل لكم من نعمنا ونندي لكم القتلى ثم سكت ، فقالوا : وتدع لنا
الحابور وترحل قيسا عنه فإن هذه الحروب لن تطفأ ماداموا
مجاورينا (٢١٤) فلم يجيبهم زفر لأنه وإن كان عميرا خليفة إلا أنه لم تكن
له ولاية عليه فضلا عن أنه كان رجلا خشنا جافى الطبع لا يحترم غير
منطق القوة (٢١٥) .

لكل هذه الأسباب بدأت الحرب بين قيس وتغلب اذ رأت الأخيرة
أنه لا كرامة لها طالما ركبت قيس أنفاسها في ديارها ، في الوقت الذي
طمع عمير في اجلاء تغلب عن منازلها والاستيلاء عليها كما رحل كلبا عن
منازلها بالبادية ، ورأى في التفوق العددي لقيس ما يمكن أن يساعده في
تحقيق غايته خاصة والأمويين في شغلهم للقضاء على آل الزبير بالحجاز
والعراق (٢١٦) وربما غضوا الطرف عن حرب تكون قيس طرفا فيها
فيأمنوا شرها حتى ينتهوا من أمرهم .

وهكذا وجدت تغلب نفسها تدفع الى الحرب دفعا فأغاروا على قري
القيسية بالقرب من قرقيسية فتصدى لهم عمير وهزمهم وقتل منهم بعض
الرجال (٢١٧) مما كان له وقع الأسى في نفوسهم حين رأوا أن سيل الدماء
قد بدأ في تدفقه دون بادرة توقفه وعندها برز من تغلب بعض من
حكماهم في محاولة للدعوة الى تحكيم العقل بدلا من السيف وكان من

(٢١٢) ابن الأثير : المصدر السابق : ج ٤ ص ٣١٠ .

(٢١٣) الأصفهاني : الأغاني : ج ١٢ ص ٢٠٥ .

(٢١٤) الأصفهاني : نفسه : ج ١٢ ص ٢٠٦ .

(٢١٥) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٥٩٣ .

(٢١٦) الطبري : التاريخ : ج ٦ ص ١٥١ ، ١٧٤ ، ابن كثير : البداية : ج ٤

ص ٨٨٩ .

(٢١٧) ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣١١ .

هؤلاء اياس بن الخراز وابن قرشة التغلبي والقطامي (٢١٨). شساعر تغلب المعتدل الذي وجه رسالة الى ضباغ ابنة زفر بهذا المعنى يقول فيها :

قفى قبل التفرق يا ضباغا ولا يك موقف منك الوداع
قفى فادى أسيرك أن قومي وقومك لا أرى لهم اجتماعا
الم يحزنك أن حبال قيس وتغلب قد تباينت انقطاعا (٢١٩).

غير أن كل هذه الأصوات ذهبت صدى وحاول عمير بن الحباب الزعيم القيسي أن يضيف على مسلكه تجاه تغلب في ترحيلهم عن الجزيرة أو اخضاعهم لسلطان قيس صفة الشرعية فوفد على مصعب بن الزبير بالعراق وأعلمه أنه قد أولج قضاة مدائن الشام (٢٢٠) وأنه لم يبق إلا حي من ربيعة أكثرهم نصارى « يقصد تغلب » وأنهم موالون لبنى أمية ويعملون ضد الزبيريين وأهل العراق وسأله أن يوليئه عليهم أو حتى يقلده عهدا بجمع صدقاتهم ، وبذلك يجد الفرصة للنيل منهم (٢٢١) ، ولكن يبدو أن مصعبا كان على علم بشخصية عمير وشدة فلم يشأ أن يسلمه على رقاب تغلب رغم ما ساقه اليه من حجج أو أنه لم يشأ أن يتحمل تبعه ذلك فقال له : « اذهب الى زفر فان هو أراد ذلك ولاك » (٢٢٢) ، فلما قدم عمير الى زفر ذكر له ما كان بينه وبين مصعب فشق ذلك عليه ولم يرغب أن يوله صدقات تغلب فيحيف بها ووجه اليهم قوما لجمع صدقاتهم وأمرهم أن يترفقوا بهم (٢٢٣) فلما جاءوهم عند الخابور وأعلموهم ما جاءوا له رفضوا اجابتهم الى ذلك فعادوا الى زفر الذي ردهم وكتب معهم أن مصعبا أمره بهذا وهو لا يجد بدا من أخذ صدقاتهم أو قتالهم ، ولكن تغلب التي اعتبرت المسألة اذلالا لها - لأنهم كانوا يؤدون صدقاتهم لبنى أمية - ردت على ذلك بقتل بعض الرسل الذين

(٢١٨) القطامي اسمه عمير بن شبيب من بنى الغدوكس والتسمية مأخوذة من اسم

الصقر .

راجع في ترجمته : الأصفهاني : الأغاني : ج ٢٠ ص ١١٨ ، ابن سلام : طبقات الشعراء : ص ٤٥٢ ، المزياني : معجم الشعراء : ص ٤٧ ، شوقي ضيف : العصر الاسلامي : ص ٢٢٤ - ٢٢٦ .

(٢١٩) ديوان القطامي : ص ٣٧ ، ابن سلام : طبقات الشعراء : ص ٤٥٥ .

(٢٢٠) يقصد اجباره لكلب البادية على الرحيل من ديارها وتفرقها بالمدائن ، وقد

سبق ذكر ذلك .

(٢٢١) ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٧٥ .

(٢٢٢) البلاذري : انساب الاشراف : ج ٥ ص ٣١٣ .

(٢٢٣) البلاذري : نفسه : ج ٥ ص ٣١٣ .

جاءوهم (٢٢٤) مما أحزن زفر الذي كان يكره استفساد تغلب وكان حريصا ألا يتسلط عليهم عمير ومع ذلك فقد هددهم بالقتال ممثلا للحزب الزبيرى أن لم يؤدوا صدقاتهم (٢٢٥) فلما فشلت المفاوضات واحتدمت الحرب كانت بين قيس الممثلة للحزب الزبيرى وتغلب التى وجدت نفسها ممثلة للحزب الأموى (٢٢٦) ومن ثم فلم تنته هذه الحرب الا بالقضاء على ابنى الزبير بالحجاز والعراق ودخول القيسية فى طاعة بنى أمية (٢٢٧) .

١ - وقعة يوم ماكسين :

لما قتلت تغلب بعض عمال الصدقات الذين جاءوهم من عند زفر بصفته نائبا لمصعب بن الزبير على الجزيرة وهددهم زفر بالحرب وجدها عمير بن الحباب - الذى كان يتحفظ لهم - بمثابة اعلان من تغلب بخروجها عن طاعة ابن الزبير ونوابه من قيس مما يوجب حربهم وأخذ على عاتقه الايقاع بهم دون استشارة زفر ففاجأهم بجمع قيس عند ماكسين (٢٢٨) من قرى الخابور قرب رأس العين وهم على غير استعداد فقتل منهم على ما ذكر خمسمائة رجل وما زال بأصحابه يحضهم على قتل تغلب والا يستبقون منهم أحدا (٢٢٩) حتى أن رجلا من بنى قشير (٢٣٠) يدعى الندار صاح فى تغلب بأنه جار لكل حامل أخته فهى أمة فجاهته الحبالى حتى أن المرأة كانت تشد الجفنة من تحت ثوبها تشبها بالحبيبات تشد

(٢٢٤) الأصفهاني : الأغاني : ج ١٢ ص ٢٠٥ .

(٢٢٥) الأصفهاني : نفسه : ج ١٢ ص ٢٠٦ .

(٢٢٦) يؤيد ذلك ما ورد على لسان الأخطل :

ولما تبينا ضلالة مصعب فحننا لأهل الشام بابا من النصر

فأصبح ما بين العراق ومنبج لتغلب تردى بالردينية السمر

ديوان الأخطل : ص ١٣٤ ، وتردى بالردينية السمرى يوطأ بحوافر الخيل السمر

عليها الفرسان بالحراب ، انظر الرازى : مختار الصحاح : ص ٢٤٠ .

(٢٢٧) الطبرى : التاريخ : ج ٦ ص ١٥١ ، ابن كثير : البداية : ج ٤ ص ٩٨٩ .

(٢٢٨) ماكسين من البلاد الواقعة على نهر الخابور بالقرب من رجة مالك بن طوق

من ديار ربيعة .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ٤٣ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ١٢٧ .

(٢٢٩) ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣١١ ، فلهوژن : تاريخ الدولة العربية :

ص ١٩٨ .

(٢٣٠) هم بنو قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، بطن من قيس عيلان

من العرب العدنانية . ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، القلقشندي : نهاية الأرب :

ص ٣٥٧ .

الامن فلما اجتمعن له امر بيقر بطونهن وهو ما يذكره نفيح بن صفار
المحاربى فى قوله :

يقرنا منهم ألفى بقر فلم نترك لحاملة جنينا (٢٣١)

ويقول الأخطل عن هذه الحادثة باكيا :

فليت الحرب قد وطئت قشيرا سنايكها وقد سبط الغبار
فنجزيهم ببغيهم علينا بنى لبنى بما فعل الندار (٢٣٢)

ويبدو أن عميرا لم يكن يفهم حقيقة العلاقة بين قيس وتغلب كما
يفهمها زفر الذى كان يرى فى عصبية مضر من قيس وتغلب قوة مخيفة
لكلب وسائر اليمانية بالشام ومن ثم فقد ظل حريصا حتى آخر لحظة على
ألا تنفصم عرا هذه العصبية لأن ذلك لن يكون إلا لصالح بنى قحطان
فأحسن معاملة أسرى تغلب وأطلق سراحهم (٢٣٣) وأرسل الى عمير رسالة
شديدة اللهجة يستنكر فيها صنيعه ويلومه ويعتب عليه قال :

ألا من مبلغ عنى عميرا رسالة عاتب وعليه زار
أترك حى ذى كلع وكلب وتجعل حد ناك فى نزار
كمعتمد على احدى يديه فخانتة بوهى وانكار (٢٣٤)

٢ - وقعة يوم الثرثار الأول :

لم تهدأ تغلب حتى أعدت لغزو قيس اعدادا جيدا للرد على ما لحق
بهم يوم ماكسين فاستمدت قبائل ربيعة بالجزيرة والعراق فيجاءها مدد

(٢٣١) الأصفهاني : الأغاني : ج ٢٠ ص ١٢٧ .

(٢٣٢) ديوان الأخطل : ص ١٢٨ .

(٢٣٣) كان القطامي الشاعر فيهم فلما أطلق زفر سراحه قال يمدحه :

من مبلغ زفر القيسى مدحته	من القطامي قولاً غير افتساد
انى وان كان قومي ليس بينهم	وبين قومك الا ضربة الهسادى
مثن عليك بما استيقيت معرفتي	وقد تعرض منى مقتل بادى

ديوان القطامي : ص ٨٤ .

(٢٣٤) الأصفهاني : الأغاني : ج ٢٠ ص ١٢٨ .

من النمر بن قاسط وبنى شيبان (٢٣٥) وكتبوا الى مهاجريهم بأذربيجان فأمدوهم بألفى فارس (٢٣٦) ، ولما رأى عمير بن الحباب حشد تغلب كتب الى قومه من تميم وأسد بالعراق يستمدحهم ويذكرهم وشائج الرحم والعصبية قال :

أيا أخويننا من تميم هديتما ومن أسد هل تسمعان المناديا
ألم تعلمنا إذ جاء بكر بن وائل وتغلب الفاذا تهز العواليا (٢٣٧)

غير أن تميم وأسدا لم تأبه للنداء الذي وجه اليهما لفظاعة ما لحق بتغلب في ماكسين ولضخامة الحشود التغلبية التي اجتمعت لحرب عمير الذي استبطأ نجدة قومه فقال يستصرخهم :

أناديهم وقد خذلت كلاب وحول من ربيعة كالجبسال
أقاتلهم بحى بنى سليم ويعصر وبالمصاعيب النبال (٢٣٨)

وهكذا ذهبت نداءات عمير أدراج الرياح ولم يأت أحد من قيسية العراق وزحفت عليه تغلب بوادي الثرثار (٢٣٩) بقيادة يزيد بن هوبر التغلبي فلقبهم بجمع سليم (٢٤٠) في قوة غير متكافئة فوقع في قومه القتل وبقرت تغلب بطون ثلاثين امرأة من سليم (٢٤١) ثارا لنسائهم في يوم ماكسين وهو ما عناه الأخطل بقوله :

(٢٣٥) هم بنو شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر وهم ، بطن متسع كثير الشعوب كانت لهم كثرة في صدر الاسلام شرقي دجلة في جهات الموصل ، وسيدهم في الجاهلية مرة بن ذهل بن شيبان .

القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٢٨٣ .

(٢٣٦) ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣١١ ، فلهوذن : تاريخ الدولة العربية : ص ١٩٩ .

(٢٣٧) الأصفهاني : الأغاني : ج ١٢ ص ٢٠٥ ، البلاذري : أنساب الأشراف : ج ٥ ص ٣١٨ .

(٢٣٨) الأصفهاني : الأغاني : ج ١٢ ص ٢٠٦ .

(٢٣٩) الثرثار : واد عظيم بالجزيرة ينتسب الى نهر بهذا الاسم وأصل منيعه شرقي مدينة سنجار بالقرب من قرية يقال لها سرق في البرية بين سنجار وتكريت ، وكان في القديم منازل بكر بن وائل واختص بأكثره بني تغلب وأصل التسمية من الثر وهو الكثير لكثرة ما عليه من القرى أو لكثرة مياهه .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٧٥ ، لسترنج بلدان الخلافة الشرقية : ص ١١٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨ .

(٢٤٠) بطن من قيس عيلان من العدنانية .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٦١ - ٢٦٣ .

(٢٤١) ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣١١ ، فلهوذن : تاريخ الدولة العربية :

ص ١٩٩ .

الا من مبلغ قيسا رسولا كيف وجدتهم طعم الشقاق
أصبتا نسوة منكم جهارا بلا مهر يعد ولا سياق (٢٤٢)

كانت المعركة اللسانية بين شعراء القبيلتين تساير ما يقع بينهما
من حروب قبلية ، فهي تهدأ بهدوء الأحداث وتثور بثورتها مما كان له أكبر
الأثر في إشعال نار الحرب وتقديم الوقود اللازم لاستمرارها والبرغبة في
الثأر ، فكانت أشعارهم بمثابة شحن متصل لأقوامهم وإثارة الحمية
العصبية مما أعاد إلى الأذهان ذكرى الجاهلية ووقائع العرب فيها (٢٤٣) ،
فكان الأخطل شاعر تغلب يتناول على قيس بشعره ويسب مضر (٢٤٤) ،
وغيره من شعراء قيس كابن صفار المحاربي يسبون تغلب ويتفاخرون
عليها ، وكان من أشهر ما هجا به جرير بنى تغلب وشاعره فوله فيهم :
أن الذي حرم الخلافة تغلبا جعل النبوة والخلافة فينا
مضر أبى وأبى الملوك فهل لكم يا خزر تغلب من أب كائينا
هل تشهدون من المشاعر مشعرا أو تسمعون من الأذان أذينا
وقوله :

عبدوا الصليب وكذبوا بمحمد وبجبرائيل وكذبوا ميكا
لا تطلبن خثولة في تغلب فالزنج أكرم منهم أخوالا (٢٤٥)

٣ - وقعة الثرثار الثاني :

أصبحت الحرب سجالا بين قيس وتغلب ودخلت بهم في دوامة الأخذ
بالثأر مع حرص كل منهما أن يمحو عار الهزيمة التي لحقت به بأسرع
ما يمكن وبأى وسيلة يراها مناسبة مما أدى إلى اتصال الحروب بينهما
على مدى أربع سنوات كاملة فكانت من أكثر الحروب القبلية في بلاد الشام
عنفًا ودموية ، فبعد هزيمة قيس في يوم الثرثار الأول ما برح عمير يبكي
قتلاه ويرجو قرب يوم الانتقام وكان يقول :

(٢٤٢) ديوان الأخطل : ص ٣١ .

(٢٤٣) انظر الأصفهاني : الأغاني : ج ٧ ص ٣٨ ، البلاذري : أنساب الأشراف :

ج ٥ ص ٣١٦ ، جورجى زيدان : العرب قبل الإسلام : ص ٢٥١ .

(٢٤٤) الأصفهاني : الأغاني : ج ٧ ص ١٧٠ .

(٢٤٥) نقائض جرير والأخطل : ص ١٠٩ .

فدى لفوارس الثرثار نفسى وما جمعت من أهل ومال
أبصد فوارس الثرثار أرجو. ثراء المال وعدد الرجال (٢٤٦)

ولما أكمل عمير استعدادده للانقضاض على تغلب وجد زفر بن الحارث
نفسه فى موقف لا يخسده عليه فقد أصبح ما كان يخشاه واقعا سواء أراد
أو لم يرد ولم يعد أمامه خيار إلا أن يمد قومه وينصرهم لأنهم لو هزموا
ثانية فسوف يلحقه عار الهزيمة التى لا تفريق بين قيسى وآخر وهكذا وجد
زفر نفسه يسعى خثيثا الى حرب تغلب حتى صار حامل رايتها بعد مضرع
عمير على نحو ما سوف نرى ، وعلى أية حال فقد التقت تغلب وقيس على
الثرثار مرة أخرى بزعامة عمير بن الحباب وشعيث بن مليل التغلبى واحتدم
القتال بينهما (٢٤٧) وحملت تغلب على بنى عامر (٢٤٨) وكانوا فى ميمنة
قيس فهزموا وهو ما عبر عنه عمير بقوله :

ولت عامر عنا فأجلت وحول من ربيعة كالجال (٢٤٩)

وثبت بنو سليم حتى تحولت الهزيمة الى نصر وقطعت رجل شعيث بن
مليل ومع ذلك فقد ظل يقاتل حتى قتل وهو يقول :

قد علمت قيس ونحن نعلم أن الفتى يقتل وهو أجزم (٢٥٠)

ولما قتل شعيث قائد تغلب عقر أصحابه دوابهم ونزلوا عنها وقاتلوا
حتى قتلوا وفيهم عدد كبير من أشرافهم ولحقت الهزيمة بتغلب (٢٥١)
وزادها ألما فقد قائدهم فيها دون قتل نظيره فى جيش خصمهم وهو ما أشار
اليه جرير فى مفاخرته عليهم بهذا النصر حين قال :

لما لقيتم بالجزيرة خيل قيس قلتم يا مار سرجيس لا قتالا
وأسلمتم شعيث بن مليل أصاب السيف عاتقه فمالا (٢٥٢)

• (٢٤٦) الأصفهاني : الأغاني : ج ١٢ ص ٢٠٦

• (٢٤٧) ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣١٢

• (٢٤٨) ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٧٢

• (٢٤٩) ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣١٢

• (٢٥٠) الأصفهاني : الأغاني : ج ١٢ ص ٢٠٧ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣١١

• (٢٥١) ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣١٢

• (٢٥٢) الأصفهاني : الأغاني : ج ٧ ص ١٧٠

٤ - أيام متفرقة من حرب قيس وتغلب :

استمرت الوقائع بين قيس وتغلب بعد يوم الشرثار الثاني وكانت في معظمها على شكل غارات خاطفة من جانب قيس على تغلب في ديارها وعرفت أيام هذه الغارات بأسماء الأماكن التي حدثت فيها ولم تكن تتعدى مجرد وقائع صغيرة لم تأخذ شكل الحروب أو المعارك بين الطرفين ومنها وقعة يوم الفدين (٢٥٢) حيث أغار عمير بن الحباب على قرية الفدين وقتل من وجده بها من تغلب (٢٥٤) وهي التي قال فيها ابن صفار المحاربي :

لو تسأل الأرض الفضاء عليكم شهد الفدين يهلككم والصنور (٢٥٥)

ولم يلبث عمير أن اتبع غارة الفدين بغارة السكير (٢٥٦) حيث هزمت تغلب وفر من فرسانهم عمير بن جندل فغيرهم عمير بن الحباب بذلك حيث قال :

وأفلتنا يوم السكير ابن جندل على سابح عوج اللبان مثابر (٢٥٧)

وتوالى الغارات القيسية على تغلب متلاحقة فلم تستطع لها دفعا إذ عاد مهاجروهم الذين كانوا قد جاءوا لنصرتهم من أذربيجان كما عادت بطون ربيعة الى العراق وبقيت تغلب الجزيرة هدفا سهلا لغارات القيسية فانتصروا عليهم أيضا في وقعة يوم المعارك وهو مكان بين الحضر والعقيق من أرض الموصل دهمت فيه تغلب وذكره ابن صفار المحاربي في شعره فقال :

ولقد تركنا بالمعارك منكم والحضر والشرثار أجسادا جثا (٢٥٧)

- (٢٥٢) الفدين : قرية على شاطئ الخابور تقع بين ماسين وقرقيسيا .
- ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ٢٤٠ .
- (٢٥٤) ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣١٣ .
- (٢٥٥) الصور : قرية على شاطئ نهر الخابور بينها وبين الفدين نحو أربعة فراسخ .
- ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ٤٣٤ .
- (٢٥٦) سكير العباس : بلدة صغيرة من قرى الخابور .
- ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ٢٣١ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ١١٥ ، ١٢٧ .
- (٢٥٧) ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣١٣ .
- (٢٥٨) ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣١٤ .

ولما ساء تغلب كثرة الغارات القيسية عليها والهزائم المتلاحقة التي نزلت بها حشدوا رجالهم للتصدي لقيس دفعا لغائلة الشر عن أنفسهم ، مما حدا بالأولى لأن تسير الى قيس في ديارها فأوقعت بهم الهزيمة في الشرعية (٢٥٩) وقتلت جمعا من سليم كان عليهم الجحاف بن حكيم السلمي (٢٦٠) ذلك الزعيم القيسي الذي ظهر على مسرح الأحداث منذ ذلك الحين وختم حرب قيس وتغلب في الجزيرة بمأساة مروعة على نحو ما سوف نذكر ، وعلى أية حال فبعد يوم الشرعية دارت الرحي على تغلب وهزمت في يوم البليخ وهو نهر بيت حران والرقعة (٢٦١) حيث قتل منهم بعض رجالهم وبقرت قيس بطون عدد من نسايتهم في وحشية بالغة كما فعلت في يوم ماكسين (٢٦٢) .

٥ - موقعة الحشاك :

ساء تغلب ما حل بنسايتها يوم البليخ أيما أساءة وأدركوا أن هيبتهم على وشك أن تضيق بين القبائل بالشام ، وأن قيسا فيما يبدو لا ترضى بغير القضاء عليهم أو إجبارهم على الرحيل كما فعلوا بكتب ، وذلك اما للانفراد بالجزيرة أو لتمسك تغلب بنصرانيتها بين الجمع الاسلامي وهم عرب وربما للثنين معا ، وفي سبيل ذلك ضربت قيس بعصبيتها لمضر عرض الحائط لكن تتخلص من تغلب ، ولذلك فان التغالبة بعد يوم البليخ جمعوا قضهم وقضيضهم وحاضرتهم وبادييتهم بزعامة يزيد بن هوهر (٢٦٣) لما توالى عليهم الهزائم وتأكدوا أن قيسا لن تسكت عنهم وجعلوا نساءهم في مؤخرتهم ولم يكن ذلك يحدث في حروب العرب الا لأمر جلل ليقاتل الرجال عن حريمهم وليضربن في وجوه الرجال اذا فروا من الهزيمة (٢٦٤) ، ولما رأت قيس عزم تغلب للايقاع بهم اجتمع كل من زفر وعمير ولأول مرة في قيادة قيس ضد تغلب والتقى الجمعان في تل الحشاك بأرض الجزيرة بين دجلة والفرات (٢٦٥) وحمل وظيس الحرب بينهما مدة يومين متتاليين

(٢٥٩) موضع بالجزيرة الفراتية .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ٣٣٥ .

(٢٦٠) ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣١٤ .

(٢٦١) ياقوت : المصدر السابق ج ١ ص ٤٩٣ ، لسترنج : بلدان الخلافة :

ص ٢٥ ، ١١٤ ، ١٣٢ .

(٢٦٢) ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣١٥ .

(٢٦٣) ابن الأثير : ج ٤ ص ٣١٥ ، فلهوون : تاريخ الدولة العربية : ص ١٩٩ .

(٢٦٤) الأزدي : فتوح الشام : ص ٢٢٩ .

(٢٦٥) ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٢٩٢ .

واستماتت تغلب في القتال وهي مقعنة بالحماس الشديد والرغبة في الثأر والانتقام ، فلما رأى عمير جدهم وعزمهم نصح قومه بالتراجع أمام تغلب التي كشرت عن أنيابها لما رآوه من خروجها عن بكرة أبيها حتى يذهب حماسها فيرسل من يغير عليهم بأسلوب الحرب الخاطفة كل قوم على حدة فيأخذهم متفرقين وقال : « يا قوم أرى لكم أن تنصرفوا عن هؤلاء فانهم مستقتلون فإذا اطمأنوا وساروا إلى سرحهم وجهنا إلى كل قوم من يغير عليهم » (٢٦٦) ، فما كان منهم ألا أن رفضوا خطته واتهموه بالجبن والتخاذل وقال له عبد العزيز الباهلي : « قتلت فرسان قيس أمس وأول أمس ثم جئنت اليوم » (٢٦٧) فغضب عمير وظل يقاتل نزولا على رغبتهم .

بعد اليوم الثالث من بدء القتال حلت الهزيمة بقيس وهرب زفر من المعركة بعد أن كاد يفقد رأسه ولحق بقرقيسياء (٢٦٨) وركبت تغلب أكتاف قيس قتلا وتنكيلا وهم يرددون قولتهم الشهيرة : أما تعلمون أن تغلب تغلب (٢٦٩) وحمل على عمير بن الحباب رجل من بني كعب بن زهير (٢٧٠) التغالبة يقال له جميل بن قيس فقتله واحتز رأسه (٢٧١) وأصيب يزيد بن هوير قائد تغلب بجراح بالغة مات منها في يومه وقتل من قيس جمع غفير وخاصة من بني سليم وغنى (٢٧٢) وبعث بنو تغلب برأس عمير بن الحباب إلى عبد الملك بن مروان بدمشق فأعطى الوفد التغلبي وخلع عليه (٢٧٣) لأنه لم يكن قد قضى على ابن الزبير بعد وفي هزيمة القيسية وهم أنصاره ونوابه بالشام حطاً من شأنه وخطوة في سبيل القضاء عليه .

وعلى أية حال فقد هزمت قيس في الحشاك هزيمة قاسية نتيجة تراخيها في القتال إذ صورت لهم انتصاراتهم المتكررة على تغلب ضعف

- (٢٦٦) ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣١٧ .
- (٢٦٧) الأصفهاني : الأغاني : ج ١٢ ص ١٩٨ .
- (٢٦٨) الأصفهاني : الأغاني : ج ١٢ ص ١٩٨ .
- (٢٦٩) ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣١٦ .
- (٢٧٠) ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٠٥ .
- (٢٧١) الأصفهاني : الأغاني : ج ١٢ ص ١٩٨ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣١٦ .
- (٢٧٢) غنى : هم بنو عمرو بن أعصر بن سعد من قيس عيلان بن مضر كانت لهم طائفة ضخمة بطغوف الشام . ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ .
- بطغوف الشام : معناها ما أشرف من أرض العرب على ريف الشام ، وسمى طفاً لأنه دان من الريف وهو مأخوذ من أطف على الشيء بمعنى أطل .
- ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ٣٥ ، ٣٦ .
- (٢٧٣) ابن حبيب : المعبر : ص ٤٩٢ .

أمرهم وسهولة تحقيق نصر سريع عليهم فلما حيل بينهم وبين ذلك وأشار عليهم عمير بما ينفعهم لم يقبلوه واتهموه بالجبن ظنا منهم أن المعارك تكسب بالحماس وحده فدارت عليهم الدائرة ، ووجد فيها الأخطل ضالته المنشودة ليصول على قيس بما تجود به شياطين شعره فقال قصيدته الطويلة التي يشمت فيها بما حل بقيس وهجا قبائلها بطنا بطنا ولم يكتف بذلك بل راح يتفنن ويبتدع الصور التي تمثل بشاعة مقتل عمير بن الحباب ، قال الأخطل :

شفى النفس قتلى من سليم وعامر ولم تشفها قتلى غنى ولا جسر
وأن يك قد قاد المقانب مرة عمير فقد أضحي بدأوية قفر
تظل سباع الشرعية جولة ربوضا وما كانوا أجنوه في قبر (٢٧٤)

وما كاد الأخطل ينتهي من قصيدته حتى انبرى له شعراء قيس يردون عليه فقال نفيح بن صغار المحاربى يعدد هزائم تغلب وأيام فيس عليها :

أبا مالك لا يدرك الوتر بالخنا ولكن بأطراف الردينية السمر
ظللنا نفرى بالسيوف رءوسكم ولا حى نفرى بالسيوف كما نفرى
قتلتهم عميرا لا تعدون غيره وكم قتلنا من عمير ومن عمرو (٢٧٥)

وقال أيضا يعيره بقتل شعبيث بن مليل وهو رئيس كعمير :

وأيام القناطر قد تركتم رئيسكم لنا غلقا رهينا
تركنا الباقيات على شعبيث سواجم عبرة ما ينقضينا (٢٧٦)

وما لبث ميدان هذه المعركة الشعرية أن اتسع وخاض حلبتها نفر من شعراء العراق المضربين والربيعين ، ولما نشبت التهاجى بين جرير والأخطل واتصلت النقائض بينهما أخذتا يستعيدان أخبار الوقائع التي نشبت بين قيس وتغلب بالجزيرة فظلت ذكراها حية في أذهان الناس أمدا طويلا بعد خمود نارها (٢٧٧) •

(٢٧٤) ديوان الأخطل : ص ٢٢٠ ، نقائض جرير والأخطل : ص ٢٨ ، والبلاذرى :

أنساب الأشراف : ج ٥ ص ٣١٨ •

(٢٧٥) البلاذرى : أنساب الأشراف : ج ٥ ص ٣١٨ •

(٢٧٦) الأصفهاني : الأغاني : ج ٢٠ ص ١١٧ •

(٢٧٧) احسان النص : العصبية التبيلية : ص ٤٤٩ •

٦ - وقعة الكحيل :

ضوت قيس الى ديارها بالجزيرة تعلق جراحها بعد هزيمة الحشاك ومصايبها بعير وتشهير الاخطى بها ، وحمل زفر بن الحارث الكلابي لواء الزعامه بعد اختفاء عمير بن الحباب من الميدان وأصبح لزاما عليه أن يثار لعير وقتل قيس في الحشاك ، وبينما كان يعد العدة لذلك على مهل وروية في محيط محكم اذ وفد عليه تميم بن الحباب أخو عمير وسأله التعجيل بالثار لأنه أصبح شيخ قيس وكبيرهم (٢٧٨) فلما طلب منه زفر التمهل لتحسس أفضل السبل لذلك ألح عليه تميم في الخروج من ساعته حتى لا تصبح قيسا أضحوكة العرب ومادة لشعراء أعدائها (٢٧٩) ، فلما لم يوافق زفر خرج تميم بن الحباب ومعه جماعة من قومه متوجهين الى تغلب فلقبهم الهذيل بن زفر وسألهم عن وجهتهم فأخبروه بما كان من أبيه فقال : امهلوني ألق الشيخ ، فأقاموا ينتظرون ومضى الهذيل الى أبيه وأنكر عليه صنيعه وقال له : والله لئن ظفرت بهم تغلب ان ذلك لعار عليك وبليّة تضاف الى مصابنا ولئن ظفروا هم بتغلب وقد خذلتهم فان ذلك لأشدّ علينا (٢٨٠) .

وازاء ذلك لم يجد زفر بد من النهوض الى تغلب فقال لابنه : احبس على القوم ، وقام الى أهله فحرضهم على القتال ثم خرج من قرقيسيا بعد أن استخلف عليها أخاه أوس بن الحارث (٢٨١) وعزم على غزو تغلب في ديارها وأخذهم متفرقين ، فوجه يزيد بن حمران في خيل الى بني فدوكس وهم بطن من تغلب قتل رجالهم واستباح نساءهم وأموالهم حتى لم يبق غير امرأة واحدة استجارت فأجارها يزيد بن حمران (٢٨٢) ، كما أرسل زفر ابنه الهذيل على رأس جماعة من جيشه الى بني كعب بن زهير (٢٨٣) من تغلب أوقموا فيهم القتل ، وأرسل قائدا يدعى مسلم بن ربيعة العقيلي الى جمع تغلب في ديارهم فدهمهم ونال منهم أما هو فقد توجه الى قصبة ديار تغلب بالغقيق (٢٨٤) من أرض الموصل وكانوا قد

(٢٧٨) ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣١٨ .

(٢٧٩) الأصفهاني : الأغاني : ج ١٢ ص ١٩٨ .

(٢٨٠) الأصفهاني : نفسه : ج ١٢ ص ١٩٩ .

(٢٨١) ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٨٦ .

(٢٨٢) ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣١٨ .

(٢٨٣) بنو كعب بن زهير ولد جشم بن بكر بن حبيب من بني عمرو بن غنم تغلب

ومنهم جميل قاتل عمير بن الحباب . ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٠٥ .

(٢٨٤) ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ١٣٩ .

شرعوا في الرحيل عبر نهر دجلة فلحق بهم زفر في جيشه من القيسية
عند نهر الكحيل (٢٨٥) أسفل الموصل وهم على غير استعداد وتنظيم
فأمرهم قتلًا وتنكيلًا على مدى يوم كامل وبقر بطون نساء منهم وأسر
مائتين قتلهم في الميدان وغرق من تغلب عدد كبير ولم ينج منهم إلا من
نجح في عبور نهر دجلة (٢٨٦) فكانت بحق ملحمة دامية كما سماها
الأخطل حين قال :

ولم أر ملحمة مثلها قف لي أخبرك أخبارها
أمر على تغلب جائع وأشبع للذئب أن زارها
تركنا البيوت لأعدائنا وعون النساء وأبكارها (٢٨٧)
أما زفر بن الحارث فارس قيس وشاعرها فقال متشفيا لقومه
وثائرا بعمير :

إلا يا عين بكى بانسكاب وبكى عاصما وابن الحباب
فإن تك تغلب قتلت عميرا ورهطا من غنى في الحراب
فقد أفنى بنى جشم بن بكر ونمرهم فوارس من كلاب (٢٨٨)

ولم يكتف زفر بذلك وهو الشاعر المطبوع بل راح يصول ويجول
على تغلب كما فعل الأخطل من قبل فقال :

ولما أن نعى الناعى عميرا حسبت سماءهم دهيت بليل
فلو نبش القبر عن عمير فيخبر من بلاء أبي الهذيل
غداة يقارع الأبطال حتى جرى منهم دماء مرج الكحيل

وهكذا اتبعت الفرصة لشعراء قيس للدخول إلى معترك الفخر
والتشفي من تغلب وهجائها فهذا جرير يوجه كلامه مباشرة إلى الأخطل
يفخر عليه بانتصار الكحيل ويعيره هزيمة تغلب فقال :

(٢٨٥). الكحيل : مدينة كبيرة على نهر دجلة بين الزابين فوق تكريت من الجانب
الغربي .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ٤٣٩ .

(٢٨٦) الأصلهاني : الأغاني : ج ١٢ ص ١٩٨ ، ١٩٩ ، ابن الأثير : الكامل :

ج ٤ ص ٣١٨ ، فلهوذن : تاريخ الدولة العبرية : ص ٢٠٠ .

(٢٨٧) ديوان الأخطل : ص ٣٠١ .

(٢٨٨) الأصلهاني : الأغاني : ج ١٢ ص ١٩٩ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣١٨ .

أنسيت يومك بالجزيرة بعدما كانت عواقبه عليك وبالا
حملت عليك حماة قيس خيلها شعنا عوابس تحمل الأبطالا
مازلت تحسب كل شيء بعدهم خيلا تكرر عليكم ورجالا (٢٨٩)

ويفتخر أيضا بنفسه وبمضر ويهجو تغلب والأخطل فيقول :

الضاربون على النصارى جزية وهدي لمن اتبع الكتاب ونورا
الله فضلنا وأخزي تغلبا لن تستطيع لما قضى تغييرا
أقبالصليب ومارسرجيس تتقى شهباء ذات كتائب جمهورا (٢٩٠)

٧ - موقعة البشر :

استمرت الحرب بين قيس وتغلب بعد معركة الكحيل بسبب
العصبية القبلية بينهما والتي لم تدن نقل في حسنها عن العصبية بين
القيسية واليمانية ، وحينئذ أدرك الخليفة عبد الملك بن مروان أن ما بين
قيس وتغلب ليس مجرد غارات محدودة أو حرب خاطفة كما كان يتصور
بل رأى حرب إبادة شعواء يطول مداها ولا يستفيد منها إلا أعداء العرب
وهي في النهاية ليست في مصلحة الدولة واستقرارها مما يوجب العمل
لصالح العرب والمسلمين والدولة معا ، ومن ثم فقد بات يعمل جاهدا
لوضع حد لهذه الحروب والعصبية سواء بين قيس وتغلب أو بين قيس
واليمانية وأخذ يبذل خالص مساعيه لمصالحة زعماء الأطراف المتنازعة
ودعوتهم اليه لتحقيق هذا الغرض (٢٩١) .

وبينما الخليفة عبد الملك بن مروان يسعى لتحقيق هدفه في
المصالحة بين قيس وتغلب وإذا بمأساة مروعة تحل بتغلب على يد قيس
لتصبح بحق نهاية دامية للحرب بين الطرفين ، وكان للأخطل التغلبي
وشعره دور مباشر في وقوع هذه الحرب الأخيرة بين القبيلتين وذلك لأن
الشعر في ذلك الوقت كان أسمى لغة للتخاطب بين العرب إذ كانوا
يضعون فيه خالص فصاحتهم وبياناتهم فيسرى في الناس سريان النار
في الهشيم يحفظونه ويرددونه أما مدحا وفخرا وأما ذما وهجاء (١٩٢) ،

(٢٨٩) ديوان جرير : ص ٤٥١ ، نقاض جرير والأخطل : ص ٨٣ ، الأصفهاني :
الأغاني : ج ١٢ ص ١٩٨ .

(٢٩٠) نقاض جرير والأخطل : ص ١١٩ .

(٢٩١) البلاذري : أنساب الأشراف : ج ١١ ص ٢٥٤ . ابن عبد ربه : العقد الفريد :
ج ٣ ص ٣٣٠ .

(٢٩٢) الألويسي : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب : ص ١٢٨ .

ويبدو أن نفوس الناس من تغلب كانت لاتزال مضغنة على قيس بسبب فعلتها في يوم الكحيل وكانت مساعي عبد الملك بن مروان في المصالحة لم تكن قد أتت ثمارها إذ كانت لا تزال في بدايتها ودماء الضحايا لم تجف بعد ، ففي إحدى المرات كان عند الخليفة من زعماء قيس الجحاف بن حكيم السلمي (٢٩٣) والأخطل شاعر تغلب ولسان حال جماعتهم الداعية الى الثأر والقتال وتطرق الحديث فيما بينهم الى ما سبق أن وقع بين الطرفين من حروب وحميت ثائرة الشاعر التغلبي فأنبرى مستفزاً للجحاف في حضرة الخليفة يذكره بما كان من سابق نكاية تغلب في قيس يوم الحشاك ويتهمة بالعجز عن الثأر لقومه ونال منه فقال :

الا سائل الجحاف هل هو ثائر بقتلى اصببت من سليم وعامر
أجحاف أن تصطك يوما فتصطدم عليك أواذى البحور الزواخير
تكن مثل أقذاء الحباب الذي جرى به الماء أوجارى الرياح الصراصر (٢٩٤)

فلما سمع الجحاف ذلك امتقع وجهه وتميز غيظاً مما دعاه اليه الأخطل وقال مجيباً شاعر تغلب وملبياً دعوته :

بلى سوف نبيكهم بكل مهند وننعي عميراً بالرماح الشواجر (٢٩٥)

لما رأى عبد الملك بن مروان ما جرى بين الرجلين أنحى باللائمة على الأخطل وقال له : ما أراك الا قد جررت على قومك شراً طويلاً وأفسدت ما نحاول أن نصلحه (٢٩٦) ، ومع ذلك فلم يمثل الأخطل لدعوة السلام التي حضر من أجلها وغلبت عليه أحقاد وضغائنه وأبى الا أن يحبط مسعى الخليفة فأمر في استهزائه بالجحاف وعيره بقتلى قيس ومصرع عمير وتوعده بمثل مصيره قال :

شفى النفس قتلى من سليم وعامر بيوم بدت فيه نحوس الكواكب

(٢٩٣) هو الجحاف بن حكيم بن عاصم بن قيس بن سباع بن خزاعي ومن ولد بهثة ابن سليم وهم بطن من هوزان ابن منصور العدنانية .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٦٤ ، الأمدى : المؤلف والمختلف : ص ٧٦ .

(٢٩٤) ديوان الأخطل : ص ٢٨٦ ، البلاذرى : أنساب الأشراف : ج ٥ ص ٣٢٨ ،

ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ج ١ ص ٤٨٥ ، المبرد : الكامل في اللغة والأدب :

ج ١ ص ٢٩٨ ، الأمدى : المؤلف والمختلف : ص ٧٦ ، ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ٤٢٧ .

(٢٩٥) المبرد : الكامل : ج ١ ص ٣٩٨ ، ابن الأثير الكامل : ج ٤ ص ٣١٩ .

(٢٩٦) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ج ١ ص ٤٩٥ .

تعاورهم فرسان تغلب بالقنا فولوا وخلوا عن بيوت الحبايب
ولاقي عمير حتفه في رماحنا وما أنت يا جحاف منها بهارب (٢٩٧)

كان على أثر ذلك أن خرج الجحاف يجسر أذياله غاضبا من حضرة
عبد الملك بن مروان مما اعتبر ايدانا بوقوع حرب جديدة بين قيس
وتغلب لم يستطع الخليفة لها دفعا إذ أقسم الجحاف زعيم قيس أن
لا يغسل رأسه حتى يوقع بتغلب لقاء ما ألحقه به الأخطل وبالقيسية من
مهانة (٢٩٨) رغم ما كان يبذله عبد الملك من جهود المصالحة واستجابة
قيس لها .

فلما أتى قومه ونفسه مفعمة بالرغبة الملحة للايقاع بتغلب لم يدع
فرصة للقليل والقال فافتعل كتابا على لسان عبد الملك بجباية صدقات
القبائل في الجزيرة ومنها تغلب وبكر وجمع جريا حشاها حصا وتراها
وقال لجمع قيس : أن عبد الملك قد ولاني صدقات القبائل وهذا كتابه
بذلك وقد أتيت العشائر والبطون فأخذت صدقاتهم وهي التي معي في
هذه الحرب ولم يعد الا تغلب فتأهبوا معي لنخرج اليهم (٢٩٩) فاجابه
القوم الى ما طلب فلما أشرف الجحاف على بلاد بني تغلب نثر التراب
والحصى وخرق الكتاب وأخبرهم حقيقة ما حدث من الأخطل وطلب منهم
أن يثاروا لقومهم فباغتوا الرحوب وهو ماء لبنى جشم بن بكر من تغلب
بالبشر في الجزيرة (٣٠٠) وأوقعوا بالناس ممن كانوا عليه مقتلة عظيمة
وأسرفت القيسية في القتل فقتل غياث أبو الأخطل وولده وأسر الأخطل
نفسه وكانت عليه عباءة قديمة فلما سئل عن شخصه أجاب بأنه غيبه من
عبيد تغلب فخلوا سبيله ولما خشي أن يعرف أو يدل عليه فقد ألقي بنفسه
في جب وظل به حتى انصرف القوم (٣٠١) وهذا ما عناه ابن صفار
المحاربي بقوله في هجاء الأخطل :

(٢٩٧) ديوان الأخطل : ص ٢٧٨ .

(٢٩٨) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ج ١ ص ٤٨٥ ، الأمدى : المؤلف والمختلف :

ص ٧٦ .

(٢٩٩) ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣٢١ ، فلهوذن : تاريخ الدولة العربية :

ص ٢٠١ .

(٣٠٠) ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ٣٧ .

والبشر اسم جبل يمتد من عرض الى الفرات من أرض الشام من جهة البادية وهو
من منازل بني تغلب بن وائل .

نفسه : ج ١ ص ٤٢٦ - ٤٢٨ .

(٣٠١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ج ١ ص ٤٨٥ ، الأمدى : المؤلف : ص ٧٦ ،

ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣٢١ .

لم تنج الا بالتعبد نفسه لما تيقن انهم قوم عدا
وتشابهت بـرق العباء عليهم فنجا ولو عرفوا عباة هوى (٣٠٢)

ومن ثم يتضح لنا أن الأخطل شاعر تغلب النصراني انما كان رجل
قول لا فعل جلب بلسانه الدمار على قومه بعد أن كادت الأحوال أن
تنصلح بين قيس وتغلب فلما جد الجدد جبن وانخذل فلم يستطع أن يدافع
عن أهله حتى قتل أبوه وولده ، وقد حاول القطامي شاعر تغلب المعتدل
أن يكشف حقيقة الأخطل للقوم ويعري لهم نفسه المفعمة بالبشر فلم يفلح
وضاع تحذيره من الانسياق وراء النعرات الكاذبة التي طالما تشدق بها
في شعره الا أنه لم يجد آذانا صاغية (٣٠٣) وقد صدق القطامي في
دعوته فلما كانت وقعة البشر ظهر أن عزم الأخطل الذي طالما سجع قبيلته
وحمسه للقتال وأغرى بها أعداءها لم يكن الا عزم شيطان شعره فحسب
على حد قول القطامي .

وعلى أية حال فانه بعد وقعة البشر أراد عبد الملك بن مروان أن
يقبض على الجحاف بن حكيم السلمي ليجازيه على فعلته في الايقاع بتغلب
فهرب الى بلاد الروم (٣٠٤) وبعث الى الأخطل يبين له أنه هو الذي دفعه
الى ذلك بما سبق أن قاله من شعر أهانه وقومه من قيس في حضرة
الخليفة وصار يتشفى فيه وفي قومه من تغلب ويتوعده بمثلها أن دعاه
مرة أخرى قال الجحاف :

أبا مالك هل لمتني اذ حضضتني	على القتل أم هل لامني كل لائم
أبا مالك اني أطعتك في التي	حضضت عليها فعل حران حازم
ألم أفنكم وأجصدع أنفكم	بفتيان من قيس والسيوف الصوارم
بكل فتى ينعى عميرا بسيفه	إذا اعتصمت أيمانهم بالقوائم

(٣٠٢) الأصلهاني : الأغاني : ج ١٢ ص ٢٠١ .

(٣٠٣) قال القطامي في ذلك :

أفهمتهم يوم جد البين بينهم	لو كان فيهم غداة البين من فهمنا
نجر الخيول ابن ليلي وهي ساهمة	حتى أغرن مع الظلماء اد ظلمنا
ان الأخطل ليس الدهر نائهم	أو يبعث الله عادا أو ترى ارما
حلت بنو مالك والبحر دونهم	وذم القوم يوم اللقاء جشما
ودوبل لا يكون المجد غاينه	ولن يجد اذا شيطانه عزما

بنو مالك بن بكر : قوم القطامي وبنو جشم بن بكر قوم الأخطل والدوبل ولد الخنزير
والحمار وبهذا الاسم نعت جرير الأخطل في هجائه له واستناره القطامي في هذه المقام .

ديوان القطامي : ص ١٠١ .

(٣٠٤) المبرد : الكامل في اللغة والأدب : ج ١ ص ٢٩٩ .

فان تطردوني تطردوني وقد جرى بي الورد يوما في دماء الارقم
نكحت بسيفي في زهير ومالك نكاح اغتصاب لا نكاح دراهم
فان تدعني أخرى أجبك بمثلها وأنت امرؤ بالحق لست بقائم (٣٠٥)

أما جرير الذي كان قد دخل معترك الهجاء مع الأخطل لحزازات
بينهما ودفاعا عن قومه من قيس فانه لم يكن يدع هذه الفرصة تفوته دون
أن يدل فيهما بدلوه فصور لنا هذه الواقعة تصويرا محكما دقيقا وبدأ هذه
الصورة الحزينة بالهجوم على شخص الأخطل باعتباره الداعي
اليها قال :

بكى دويل لا يرقى الله دمه الا انما يبك من الذل دويل
جزعت ابن ذات الفليس لما تداركت من الحرب أنياب عليك وكلكل
فانك والجحاف يوم تحضيه اردت بذلك المكث والورد أعجل
قدفت من حرب قيس نساؤكم بأولادكم منها تمام ومعجل
ومقتولة صبرا ترى عند رجلها بقيرا وأخرى ذات بعل تولول
حضضت على القوم الذين تركتهم تعل الردينيات فيهم وتنهل
بدجلة أن كروا فقيس وراهم صفوفا وأن راموا المخاضة أوحلوا
وما زالت القتلى تمور دماؤها بدجلة حتى ماء دجلة أشكل (٣٠٦)

ويمضي جرير في وصف هذه المأساة التي أبكت الأخطل فعلا
وأسالت عبراته حارة على وجنتيه فدخل من ليلته على عبد الملك بن مروان
مستجيра به وببنى مروان وبقریش كلها من ظلم قيس لقبيلته ويطلب
عونها ورحمتها في لهجة مشوبة بالتهديد والانذار كعادته في عنجهيته
الزائفة (٣٠٧) التي جر بها الوبال على قومه قال :

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة الى الله منها المشتكى والمعول
فسائل بني مروان ما بال ذمة وحبل ضعيف لا يزال يوصل
أتاك به الجحاف ثم أمرته بجيرانكم عند البيوت أن تقتل

- (٣٠٥) الأصفهاني : الاغانى : ج ١٢ ص ٢٠٢ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء :
ج ١ ص ٤٨٥ ، الأمدى : المؤلف : ص ٧٦ ، ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ٢٢٧ ،
ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣٢١ .
(٣٠٦) ديوان جرير : ص ٦٩ ، نقائش جرير والأخطل : ص ٦٤ .
(٣٠٧) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ج ١ ص ٤٨٥ .

فإن لا تغيرها قریش بعدلها يكن عن قریش مستماز ومرحل
ونعمر أناسا عرة يكرهونها فتحيا كراما أو نموت فنقتل (٣٠٨)

ومع ذلك فقد استجاب الخليفة عبد الملك بن مروان لشاعر تغلب المكلوم وطلب الجحاف وضيق عليه حتى ظل هاربا بأرض الروم ورأى من عين الصواب أن يسرع جاهدا في سياسته التي كان قد بدأها قبل موقعة البشر للقضاء على هذه العصبية التي دفعت العرب الى حروب شرسة لم تؤد الى زعزعة الاستقرار والنظام الذي تنشده الدولة (٣٠٩) لسائر القبائل العربية على اختلاف أصولها على اعتبار ان هذه القبائل في مجموعها هي عماد الأمة وأساس المجتمع في ذلك الوقت ، وان استمرار هذه الحروب الناتجة عن عصبية القبائل والرغبة في الثأر والابادة والقتل الجماعي وشيوع حالة من الفوضى في البلاد ليس الا في صالح أعداء الأمويين والمتربصين من الروم عند الثغور والفرس في خراسان والترك في المشرق ، فصالح قيسا وقرب زعماءها اليه وزاد عطاءها في الديون وفرض لمن لم يكن له منهم عطاء (٣١٠) واستدنى تغلب وطيب خاطرها ووعداها الحماية وقطع دابر هذه الحروب القبلية وأمر ابنه الوليد فحمل الدماء التي كانت قبل ذلك بين قيس وتغلب وبذل الأمان للجحاف بسعي القيسية لديه وألزمه ديات من قتل من تغلب وأخذ منه الكفلاء على ذلك فأداها عنه الحجاج بن يوسف الثقفي أقوى رجل في قيس في ذلك الوقت وتزهد الجحاف وصلاح واتخذ طريق النسك والعبادة حتى آخر حياته (٣١١) وذهب بصحبة القوم الذين شهدوا معه البشر الى الحج وقد لبسوا الصوف الحشن وخرموا أنوفهم وجعلوا فيها البرى حنى وصلوا الى مكة وتعلق الجحاف بأستار الكعبة يدعو دعاء اليأس فقال قولته المشهورة : « اللهم اغفر لي وما أراك تفعل » (١٣٢) .

(٣٠٨) ديوان الأخطل : ص ١١ ، نقائص جرير والأخطل : ص ٤٨ ، الأصفهاني : الأغاني : ج ١٢ ص ٢٠٣ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ج ١ ص ٤٨٥ ، الأمدى : المؤلف والمختلف : ص ٧٦ .

(٣٠٩) سيدة كاشف : الوليد بن عبد الملك : ص ١١٠ .
(٣١٠) البلاذري : أنساب الأشراف : ج ٥ ص ٣١١ ، ابن حبيب : المجبر : ص ٢٥ ، ابن قتيبة : المعارف ص ٣٥٦ ، سيدة كاشف : الوليد بن عبد الملك : ص ١١١ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ٢٠٥ .
(٣١١) ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٦٤ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣٢١ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ٢٠٢ .
(٣١٢) ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣٢١ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ٢٠٢ .

وهكذا خمدت نار الحرب بين قيس وتغلب بسقوط دواعيها وأهمها القضاء على الحزب الزبيرى (٣١٣) فان قيسا وهى نصيرته - نكاية فى بنى أمية واليمانية - لم تجد بدا من كبت ثورتها بعد أن استقر الأمر للأمويين ولم تعد محاربتهم لبنى تغلب ذات معنى بصفتها كانت خارجة عن طاعة الزبيريين الذين كانت تمثلهم قيس فى الجزيرة وفترت الدواعى أيضا من ناحية الأمويين لما تقدم فلم يجدوا بدا من حسم هذه الحرب التى كان استمرارها سببا فى جلب الوبال على الدولة الأموية وبلاد الشام .

مما سبق من استعراض الوقائع والحروب القبلية فى العصر الأموى سواء بين القيسية واليمانية أو بين قيس وتغلب يتضح لنا أن العرب فى أرض الشام والجزيرة لم يتغيروا فى حياتهم الجديدة عما كانوا عليه من ناحية العصبية القبلية التى ظلت فعلا أصيلا فى سلوكهم فلا الاسلام ولا النصرانية استطاعا أن يحولا بينهم وبين وضع القبيلة وكان الثأر ومحو العار عندهم فوق كل شئ ولا يندمون الا حين لا ينفع الندم (٣١٤) ، على أن أهم ما طرأ عليهم فى هذا المجال القبلى البغيض هو شدة القسوة التى اتبعوها فى الانتقام من بعضهم عما كانوا عليه فى الجاهلية فصاروا يقتلون بعضهم بعضا على نحو أوسع مجالا وأشمل نطاقا وأقل مبالاة فصرنا نسمع عن هذه الأعداد الضخمة من القتل فى الواقعة الواحدة ومباغطة الأمنين وقتل الأسرى وعن بقر بطون النساء وهذه عادة لم تكن موجودة فى جزيرة العرب وانما أخذوها من أهل الشام (٣١٥) .

وعلى أية حال فقد سارت الأمور سيرتها المذكورة من قبل بين كافة القبائل والبطون العربية فى بلاد الشام على أثر سياسة عبد الملك بن مروان بعد قضائه على ثورة ابن الزبير وطوال عهود خلفائه الوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز ويزيد وهشام أبنى عبد الملك ، حتى بلغت الدولة الأموية قمة استقرارها وازدهارها وفتوحاتها بسياسة الوثام التى سادت القبائل العربية على مختلف أصولها فى مقر الخلافة بالشام ، فلما درج الخلفاء المتأخرين من بنى أمية ابتداء من عهد الوليد بن يزيد على تدخلهم المباشر فى التعصب القبلى وانحيازهم لطرف على حساب الآخر انقلبت الأمور رأسا على عقب بالنسبة لسياسات القبائل وعلاقتها ببعضها على نحو أضر بالدولة والبلاد معا لصالح العباسيين أعداء بنى أمية وهذا ما يتناوله فصلنا الأخير فى الباب الختامى .

(٣١٣) الطبرى : التاريخ : ج ٦ ص ١٨٧ .

(٣١٤) للهوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

(٣١٥) يذكر عاموس النبى : أنه من بعض جرائم بنى اسرائيل أنهم يقرؤا بطون

الحوامل .

العهد القديم : قاموس : الاصحاح الأول فقرة ١٣ ، ١٤ .

الفصل الثالث

القبائل بالشام ودورها في سقوط الدولة الأموية

أولا : سياسة الدولة الأموية تجاه القبائل وزعمائها .

١ - سيطرة الدولة على نفوذ زعماء القبائل والحد من سلطتهم .

شاع القول أن سياسة خلفاء بني أمية كانت تعتمد على إثارة العصبية والنعرات القبلية لتنشغل القبائل بها فتلهي عن معارضة الحكم الأموي الذي غير وبدل عن حكم الخلفاء الراشدين وخاصة فيما يتعلق بمبدأي العدالة وتوريث السلطان ، وإن كان هذا قد حدث أحيانا فإن واجب الانصاف يقتضي تقرير أن هذه السياسة ظهرت نتيجة لمسلكهم في محاولة الحفاظ على سلطتهم واحتواء أعدائهم ، هذا فضلا عن أن الدولة الأموية لم تكن لديها خطة منظمة يتبعها الخلفاء والولاة لمناهضة العصبية القبلية والضرب على أيدي الداعين بها وهذا مما يؤخذ عليها ، إذ كان سلوكهم إزاءها مستوحى من نزعة الخلفاء من جهة ، ومن مجرى الأحداث السياسية من جهة أخرى وأحيانا من الشعور الديني واقتداء بسياسة النبي ﷺ وخلفائه من بعده وخاصة عمر بن الخطاب الذي كان قد أعلن حربا شعواء على العصبية ودعاتها (١) ، ولكن مما لا شك فيه أن جهودا كثيرة بذلت في عهد بني أمية لمحاربة العصبية والنعرة القبلية وما يتصل بها من الدعوة إلى الحمية الجاهلية وأعمال الشار الفردي والجماعي (٢)

(١) انظر ابن سعد : الطبقات : ج ٣ ص ٢٩٤ - ٣٧٠ .

(٢) الأصفهاني : الأغاني : ج ١٧ ص ١١٥ ، البلاذري : أنساب الأشراف : ج ٥ ص ٢١١ ، ابن الأثير الكامل : ج ٤ ص ١٦٥ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ٢٠٥ .

ولكن تيار العصبية فى ذلك الوقت كان من القوة بحيث لم تستطع أن تقضى عليه هذه المحاولة والتي لم يكن لها من الأثر غير الحد من قوته وبصفة عامة فقد جرت الدولة الأموية منذ قيامها على خطة مزدوجة ازاء القبائل العربية لضمان ولائها وطاعتها وعدم تمردھا ، وتقوم هذه الخطة على تألف القبائل واصطناع رؤسائها بالمال والهبات وزيادة أعطياتها وحين لا تغلح هذه الوسيلة كانوا يتبعون طريقة اذلال رؤوس القبائل وكسر شوكتهم لتجريدھم من سلطانھم القبلى فقد أجاز معاوية بالمال رؤساء وفد بنى تميم حين قدموا عليه وفيھم الأحنف بن قيس وجارية بن قدامة والحقات بن يزيد (٣) ، وقد كان لهذه الوسيلة أثرھا فى استمالة رؤساء القبائل وهى نفس الطريقة التى استعان بها عبد الملك بن مروان فى استقطاب شيوخ القبائل ابان حكم ابن الزبير فأغدى عليهم الأموال وأزجى لهم الوعود المغرية فلما نشب القتال بينه وبين مصعب انحاز اليه أكثرھم وخذلوا مصعبا وأسلموه للقتل (٤) .

كان شائعا فى سياسة خلفاء بنى أمية تجاه القبائل اتخاذ خط المصانعة ازاء خصومھم وأعدائھم على خط الجفاء والاقصاء الذى يأتى فى آخر المطاف حين لا يجدون بديلا سواه وهذا ما يفسر حرص عبد الملك على تقريب قبيلة قيس واصطناع رؤسائها (٥) رغم ما كان لهذه القبيلة الضخمة من المواقف السابقة فى نصرة ابن الزبير ومهاجمة أنصارھم من اليمنية والايقاع بهم فى معركة نهر الخازر (٦) ، وحين لا تكون خطة المصانعة كافية وحدها لاستمالة القبائل وحملها على الطاعة كان بنو أمية وولاتھم يلجئون الى خطة القمع والبطش للقضاء على مناهضيھم ومعارضيهھم وعلى رؤساء القبائل الذين عرفوا بخلافھم للحكم الأموى كما حدث عندما حاصر عبد الملك بن مروان قرقيسياء معقل قيس فى شمال الشام وضربھا بالمنجنيق للقبض على زفر بن الحارث الكلابى ذلك الزعيم القيسى المتمرد على سلطان الدولة هو وبنيه الكوثر ووکیع والھذيل (٧) وعلى أية حال

(٣) نقائض جرير والفرزدق : ج ٢ ص ٦٠٨ .

(٤) البلاذرى : أنساب الأشراف : ج ١١ ص ٦ ، ابن سعد : الطبقات : ج ٥ ص ١٨٣ ، الطبرى : التاريخ : ج ٦ ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٥) ابن حبيب : المحبر : ص ٢٥ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٣٥٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٩ ص ١٨٠ .

(٦) الطبرى : التاريخ : ج ٤ ص ٥٥٤ ، المسعودى : مروج الذهب : ج ٢ ص ٨٩ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٢٦١ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٨ ص ٣٠٤ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى : ج ١ ص ٤٢٩ ، ٤٣٠ .

(٧) ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٨٦ .

(٨) المبرد : الكامل : ج ١ ص ٣٦٢ .

فان سياسة الحد من سلطان زعماء القبائل كان اتجاها عاما في الدولة الإسلامية منذ عهد الخلفاء الراشدين لأن العصبية ضد مبادئ الإسلام ولما كانت تمثله من خطر على الأمن والاستقرار من جراء النزعات الفردية والخصومات القبلية القديمة مما جعل الاختيار لرئاسة القبيلة منوطا بالدولة لا بالقبيلة منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب الذي أسند رئاسة بكر لمجزة بن ثور ثم جعلها عثمان لابنه شقيق بن مجزة (٨) ، وقد جرى بنو أمية على ذلك فكانوا هم الذين يختارون رؤساء القبائل واذا اختارت القبيلة لنفسها فكان لابد من الحصول على موافقة الدولة على الرئيس الذي تم اختياره على عكس ما كان موجودا قبل الإسلام في هذا الخصوص، فلما تنازع مالك بن مسمع وأشيم بن شقيق رئاسة بكر في عهد يزيد ابن معاوية أسندها يزيد الى أشيم (٩) ، وفي أخبار قتيبة بن مسلم أنه صرف رئاسة بنى تميم عن وكيع بن حسان وصيرها الى ضرار بن حصين الضبي (١٠) .

٣ - مسئولية بنى أمية تجاه العصبية والروح القبلية :

على الرغم من احكام الدولة الأموية قبضتها على سائر القبائل العربية بالشام والعراق منذ قيامها وطوال عهود الخلفاء العظام منذ معاوية وحتى هشام بن عبد الملك الا أنها لم تستطع أن تقضى على ظاهرة العصبية القبلية وما استتبعها من حروب وفتن وخاصة في مركز الدولة بالشام مما عجل بنهايتها ، بل ان خلفاء بنى أمية أنفسهم اتبعوا سياسات كان من شأنها تنمية الشعور القبلي واذكاء روح العصبية بين القبائل ظننا منهم أنهم بذلك يحفظون على سلطانهم ويقهرون أعداءهم ، وان كان ذلك قد أتى ثماره على المدى القصير بفضل حزم بعض الخلفاء وحسن تدبيرهم الا أنه على المدى البعيد أطاح بالدولة في جملتها بعد سلسلة من الحروب والفتن والوقائع القبلية المتصلة التي حلت بالشام ابتداء من سنة ١٢٥ هـ - ٧٤٣ م في عهد الوليد بن يزيد مع ملاحظة أن هذه الوقائع والفتن لم تظهر فجأة ولم تنشأ من فراغ وانما كانت لها مقدماتها وأسبابها التي جاءت بها سياسات الخلفاء الأول من بنى أمية سواء عن قصد أو غير قصد .

(٩) نقائص جرير والفرزدق : ج ٢ ص ٧٢٨ ، الطبرى : التاريخ : ج ٤ ص ٢٩٦ .

(١٠) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ، ص ٢٧٧ .

(١١) ابن قتيبة : المعارف : ص ١٧٨ ابن حبيب : المحبر : ص ٢١ ، ابن حزم :

الجمهرة : ص ٤٥٧ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ٢٦١ ، ابن كثير البداية والنهاية :

ج ٨ ص ٨٧ ، سيدة كاشف : الوليد بن عبد الملك : ص ١١١ ، فلهوژن : تاريخ الدولة

العربية ، ص ١٢٧ .

(١) سياسة المصاهرات :

كان أول ما ساهم في وضع بذور الفرقة بين القبائل العربية في بلاد الشام بين القيسية واليمينية سياسة المصاهرات التي درج عليها خلفاء بني أمية ابتداء من معاوية بن أبي سفيان رأس الدولة ومؤسسها وذلك حين أصهر الى قبيلة كلب اليمينية (١١) وصارت قريبة من بيت الخلافة وتميزت في المناصب والعطاء (١٢) مما أثار عليها حفيظة قيس (١٣) النى كان لها نصيب في معارك الفتح وسد الثغور ، ولم تكن سياسة المصاهرات شيئا جديدا في عهد بني أمية ، بل كانت ظاهرة عند العرب منذ الجاهلية وفي الاسلام وحتى العصر الحديث وكان حرص الخلفاء والولاة على الاصهار الى الأسر العربية العريقة في الشرف من شتى القبائل شيئا مألوفا يستمدون منه القوة والعصبية لما تضيفه هذه المصاهرات على الأسر الحاكمة من مكانة اجتماعية رفيعة مستمدة من الأعراف القبلية وغير القبلية ، ومع أن كل المصاهرات التي تمت قبل عهد بني أمية لم يكن لها تأثير يذكر في وضع بذور الفرقة بين القبائل لسياسة الخلفاء الراشدين في تحرى العدل والمساواة الا أن الأوضاع تغيرت في عهد الدولة الأموية نتيجة المغنم والثروات الضخمة التي تدفقت على الدولة من البلاد المفتوحة (١٤) وما استتبعها من مكاسب وامتيازات جنتها القبائل التي أصهر اليها الخلفاء على حساب القبائل الأخرى .

فقد أدرك معاوية بثاقب بصره مذ كان واليا على الشام مدى الفائدة السياسية التي يجنيها من مصاهرة قبيلة كلب أقوى القبائل اليمينية بالشام وأكثرها عددا فتزوج منهم ميسون بنت بحدل الكلبية (١٥) التي أنجبت له ولده يزيد الذي ولى الخلافة من بعده (١٦) فصارت كلب أحوال الخليفة هم أصحاب اليد الطولى في تأييد سلطانه وتثبيت دعائم الحكم الأموى في بلاد الشام (١٧) لما صار لهم فيه من مكانة رفيعة بفضل مصاهرتهم لبيت الخلافة ، وقد جرى خلفاء بني أمية من بعد يزيد على

(١٢) الأصفهاني : الأغاني : ج ١٨ ، ص ١٥٧ ، الذهبى : دول الاسلام : ص ٢٤ .

(١٣) السعوى : مروج الذهب : ج ٢ ص ٨٩ .

(١٤) الطبرى : التاريخ : ج ٦ ص ٤٨١ .

(١٥) ابوها بحدل بن أنيف بن دلجة بن قنانة الكلبى . ابن قتيبة : المعارف :

ص ١٧٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٨ ص ٨٧ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء : ص ١٨٧ .

(١٦) ابن دقماق : الجواهر الثمين : ج ١ ص ٧٧ .

(١٧) انظر موقفهم من أزمة الجابية سنة ٦٤ هـ . الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٥٣٥ .

ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٧٧٩ .

نفس نهج مؤسس دولتهم في الاصحار الى القبائل القوية لكسب تأييدها وكانوا يؤثرون الاصحار اما الى قبيلة كلب اليمنية او قبيلة قيس المضرية وهما أقوى قبائل الشام وأعزها نفرا ، وكما برز في ذلك أسرة بحدل من كلب التي أصهر اليها عثمان ومعاوية ويزيد ومروان بن الحكم فقد برزت أسرة عقيل بن علفة المرى (١٨) من قيس وكذلك بنو عبس الذين كانوا من أعرق القبائل القيسية التي صهر اليها حلفاء بنى أمية وولانهم ابتداء من عبد الملك بن مروان الذي تزوج منهم ولادة العباسية وهي أم الوليد بنت العباس بن جزء (١٩) وقد لعبت هذه المصاهرة دورا بارزا في اثارة العصبية والفتن القبلية في بلاد الشام وخاصة في أواخر عهد الدولة الأموية فالخليفة أو الوالي حين يصهر الى قبيلة ما أو يرتبط عن طريق أمه برابطة القرابة بها فانه يجده نفسه مدفوعا الى التعصب لها وتفضيلها على القبائل الأخرى في مجلسه وفي العطاء والامتيازات (٢٠) ، وعند حدوث أى نزاع بين هذه القبيلة وأى من القبائل الأخرى فاننا نجده يتحاز الى صف القبيلة التي يرتبط بها بصلة المصاهرة فقد عرف خالد بن يزيد وهو من بيت الخلافة بتعصبه لكلب على قيس (٢١) لأنهم كانوا أحوال أبيه ولما تزوج مسلمة بن عبد الملك (٢٢) الرباب بنت زفر بن الحارث القيسي

(١٨) عقيل بن علفة المرى : من بنى يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد ابن ذبيان ، وهو الذى خطب اليه عبد الملك بن مروان بعض بناته الى بعض ولده فشرط عليه أن يجنبه هجاء ولده « أى من لم تكن أمهاتهم عربيات » وهو الذى خطب اليه عثمان ابن حيان أمير المدينة إحدى بناته فامتنع عليه وقال مستهزئا « أبكرة من أبلى أيها الملك » فأمر باخراجه على أسوأ أحواله فقال :

ان بنى ضرجونى بالدم من يلق أبطال الرجال يكلم

وتزوج يزيد بن عبد الملك ابنته الجرباء وهي ثيب من ابن عمها وتزوج سلمة ابن عبد الله المخزومي ابنته عمرة فولدت له يعقوب بن سلمة والد أم سلمة امرأة أبى العباس السفاح وتزوج يحيى بن الحكم بن أبى العاص بن أمية ابنته أم عمرو بنت عقيل ومات عنها فتزوجها أخوه خالد بن الحكم ثم مات عنها فتزوجها أخوها الحارث بن الحكم .
الأصفهاني : الأغاني : ج ١٣ ص ٢٥٤ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

(١٩) المصعب الزبيرى : نسب قريش : ص ١٦٢ .

(٢٠) البلاذرى : أنساب الأشراف : ج ٥ ص ٣٠٧ .

(٢١) وفي ذلك قال الشاعر قيس عاتبا عليه :

يا خالد بن أبى سفيان قد فرقت منا القلوب وضاق السهل والجبل
أنت تأمر كلبا أن تقتلنا . . . جهلا وتمنعهم منا اذا قتلوا
ان ذا لا يقر الطير ساكنة ولا تترك من جرائه الأبل

المصعب الزبيرى : نسب قريش : ص ١٢٩ .

(٢٢) يكنى أبا سعد وأبا الأصبع ولى العراقيين وأرمينية وله عقب باق قرب حران

فى حصن يعرف بحصن مسلمة ابن حزم : الجمهرة : ص ١٠٣ .

صارت أسرتها أثيرة عنده فكان يأذن للهنديل وكوثر أخوى الرباب في أول الناس (٢٣) .

وبسبب هذه المصاهرة كان خلفاء بنى أمية ينحازون تارة الى قيس وتارة الى كلب وتارة الى غيرهما (٢٤) وكان إثثار احدى القبائل على غيرها مدعاة لسخط القبائل الأخرى وغضبها على الخليفة وليس هذا فقط بل ان هذه المصاهرات أدت الى وقوع الخصومة والنزاع بين أبناء البيت الأموي أنفسهم فمن كانت أمهاتهم من قيس كانوا يؤيدون هذه القبيلة ويتعصبون لها والمنتصرون الى أمهات من كلب يفعلون لها ويقفون في صفها (٢٥) وربما حرصوا على الثأر لها وأثاروا الفتن والحروب بين القبيلتين فقد جاء في شرح ديوان الحماسة أن خالد بن يزيد لما ضاق بافتخار أبناء القيسيات من بنى أمية عليه حرص خاله حميد بن بحدل الكلبى على الايقاع بقيس ولكي يمهّد السبيل لذلك افتعل له عهدا على لسان عبد الملك بن مروان بأخذ صدقاتهم حتى يجد الذريعة لغزوهم (٢٦)، ويبدو أن هذه الطريقة كانت وسيلة للاستفزاز في ذلك الوقت لما كان يتم فيها من تقديرات تحيف بالقبائل التى يراد الايقاع بها ، وعلى أية حال فقد درج خلفاء بنى أمية المتأخرين على سياسة التحيز الى القبائل فصار بعضهم يقرب اليمانية والآخر يقرب المضرية فأدى صنيعهم هذا الى إثارة العصبية والخصومات القبلية التى اشتد أوارها على نحو أسقط الدولة (٢٧) وهذا ما نعرض لتفاصيله فى موضوعنا الأخير .

(ب) العصبية لقريش :

فى مجال الحديث عن مسؤولية الدولة الأموية تجاه انتشار العصبية والروح الجاهلية بين القبائل لا يجب أن تغفل دور الخلفاء فى تعصبهم

(٢٣) البلاذرى : انساب الأشراف : ج ٥ ص ٣٠٧ .

(٢٤) ابن حبيب : المحبر : ص ٤٥ .

(٢٥) انظر أبناء القرشيات وأبناء العربيات وأبناء أمهات الأولاد من الخلفاء . ابن

حبيب : المحبر : ص ٤٥ .

(٢٦) المصعب الزبيرى : نسب قريش : ص ١٢٩ ، أبو تمام : شرح ديوان الحماسة :

ج ٢ ص ٩٦ .

(٢٧) كما انحاز مروان بن محمد الى قيس استظهارا بها فى صراعه ضد اليمانية فى

آخر عهد الدولة الأموية .

المسعودى : مروج الذهب : ج ٢ ص ١٥٥ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء : ص ٢٧٨ ،

ابن طباطبغا : الفخرى : ص ١٢٢ ، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى : ج ١

ص ٥١٩ ، زيدان : تاريخ التمدن : ج ١ ص ٥٩ .

لقبيلة قريش بصفة عامة ولبنى أمية بصفة خاصة ، ففي سبيل المحافظة على سلطانهم واحاطته بهالة من الهيبة والقداسة فانهم ما فتئوا يعلنون في كل مناسبة ان لقريش وحدها الحق في تول أمور المسلمين دون غيرهم من القبائل مهما علا قدرها فنجد معاوية بن أبي سفيان مذ كان واليا على الشام لعثمان بن عفان يؤكد على ذلك ويعدد لمن سيرهم الخليفة اليه بالشام من أشرف القبائل بالكوفة فضائل قريش ومكانتها مما يجعل الخلافة وفقا عليهم (٢٨) ، وعلى هذا النحو أيضا درج أنصار الأمويين وعمالهم في التأكيد على موقع قريش وحققها وتميزها بين القبائل في كل حين وأن حتى أنه لما أتى مسلم بن عقبة المري بمقل بن سنان بعد وقعة الحرة (٢٩) عنفه وأتكر عليه أن يكون لظفان وأشجع من الخلع والخلافة شيء وإن ذلك كله لقريش فقط (٣٠) ، فلما شاع ذلك وانتشر يئست القبائل وخاصة اليمنية من التطلع الى منصب الخلافة وألقت بنفسها في أحضان البيت الأموي علمهم يدركون ما فاتهم من مناصب الشرف والرئاسة ، ومما لاشك فيه أن هذه السياسة المستعلية بالنبوة من جانب قريش على سائر القبائل كان لها أثر قوى في تحريك النعرات القبلية واثارة العصبية بينها .

(ج) التحريش بين الشعراء والأشراف :

كان من الأمور التي درج عليها نفر من خلفاء بني أمية وولاتهم والتي كان لها أثر في اثارة العصبية القبلية الرغبة في التحريش بين الشعراء

(٢٨) قال معاوية للقوم : « لقد أدركتم بالاسلام شرفا وغلبتم الامم وحويتم مراتبهم ، وقد بلغنى أنكم نقيتم قريشا ، وإن قريشا لو لم تكن ، عدتم أنلة كما كنتم وأن أنتم لكم الى اليوم جنة فلا تشذوا عن جنتم » فقال رجل من القوم : أما ما ذكرت من قريش فانها لم تكن أكثر العرب ولا أمنعها في الجاهلية فتخوفنا . فقال معاوية : أعظم عليك أمر الاسلام وأذكرك به وتذكرني الجاهلية !! أن قريشا لم تعز في جاهلية ولا اسلام الا بالله عز وجل وهي لم تكن بأكثر العرب ولا أشدهم ولكنهم كانوا أكرمهم أحسابا وأحضرهم أنسابا وأعظمهم أخطارا وأكملهم مروءة ولم يمتنعوا في الجاهلية والناس يأكل بعضهم بعضا الا بالله الذي لا يستذل من أعز ولا يوضع من رفع فبؤاهم حرما أمنا يتخطف الناس من حولهم ! فهل تعرفون عربا أو عجماء أو سودا أو حمرا الا قد أصابه الدهر في بلده وحرمة الا ما كان من قريش فانه لم يردهم أحدا من الناس بكيد الا جعل الله كيدهم الأسفل ، ثم ارتضى لكم أصحابا فكان خيارهم قريشا ثم بنى هذا الملك عليهم وجعل هذا الخلاف فيهم ولا يصلح ذلك الا عليهم ، فكان الله يحوطهم في الجاهلية وهم على كفرهم به افتروه ولا يحوطهم وهم على دينه !!

الطبرى : التاريخ : ج ٤ ص ٢١٩ ، ٢٢٠ .

(٢٩) عن هذه الواقعة النكراء انظر : ابن كثير : البداية : ج ٤ ص ٧٥٠ (٧٥٩) .

(٣٠) الطبرى : التاريخ : ج ٤ ص ٣٧٨ .

والرجال البارزين استفراغا لما في جعبتهم عن آخرها من الفصاحة والبيان وهو ما اشتهر به العرب ليعرف ايهم أشعر وأيهم أبلغ وكان أكثرهم ولعا بهذا الأمر بشر بن مروان (٣١) شقيق عبد الملك وواليه على العراق حيث كان يتلنذ بتحريض الشعراء بعضهم على بعض فهو الذي أغرى بين جرير والأخطل (٣٢) وبين جرير وسراقه البارقي شاعر أزد الكوفة (٣٣) ولم يكن عمله هذا يتوخى مصلحة الدولة وإنما كان يستجيب لنزعة في نفسه حين أوعز الى سراقه البارقي بهجاء جرير وجعله يفضل الفرزدق عليه فانساق وراءه وقتل في ذلك :

أبلغ تميما غنمها وسمينها والحكم يضيب مرة ويجور
ان الفرزدق برزت أعراقه سبقا وخلف في الغبار جرير
ذهب الفرزدق بالفضائل والعلا وابن المرائغة مخلف محسور
هذا قضاء البارقي واننى بالميل في ميزانهم لبصير (٣٤)

وما كاد سراقه ينتهى من أبياته حتى بادر بشر بارسالها مع رسول الى جرير وهو يومئذ بالمروت (٣٥) من أرض البادية وأمره أن يجيب عنها في حينه مع أن جريرا لم يكن ليغض الطرف عن تحرش البارقي به فأرسل الى بشر جواب كتابه مع قصيدة طويلة بدأها بلوم وعتاب رقيق لانه لم ينتصر له قال :

يا بشر حق لوجهك التبشير هلا غضبت لنا وأنت أمير

(٣١) هو بشر بن مروان بن الحكم بن أبى المعاصى الأموى ، أمه قطية بنت بشر ابن عامر ملاعب الأسنة بن مالك بن جعفر بن كلاب ، وكان له من الولد : الحكم أمه أم كلثوم بنت أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، وعبد الملك أمه هند بنت أسماء بن خارجة ابن حصن بن حذيفة الفزارى وأبان وعبد العزيز أمهما معيطية « من نسل عقبة بن أبى معيط » ومروان وله عقب بالكوفة .

المعصب الزبيرى : نسب قريش : ص ١٦٠ ، ١٦١ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٣٢) ابن سلام : طبقات الشعراء : ص ٣٧٧ .

(٣٣) الأصفهاني : الأغاني : ج ٨ ص ٦٨ ، البلاذرى : انساب الشرفاء : ج ٥ ، ص ١٧٤ .

(٣٤) الأصفهاني : الأغاني : ج ٨ ص ٦٨ ، ابن سلام : طبقات الشعراء : ص ٣٧٧ .

(٣٥) المروت : واد بالعلالية كانت به وقعة بين تميم وقشير وكان من ديار ملوك غسان وصار الى بنى تميم وبه كانت الوقعة التى قتل فيها بجير بن عبد الله بن عكر بن سلمة بن قشير قتله قعنب بن الحارث بن عمرو بن همام بن يربوع .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ١١١ .

فقد كان حقا أن تقول لبارق يا آل بارق (٣٦) فيم سب جرير؟ (٣٧)

ثم انصرف جرير في قصيدته الى هجاء سراقه وقومه بأقذع الهجاء
وأشده وفخر عليهم بخندق بن نزار وقرن سراقه بصناحيه الفرزدق
والأخطل قال :

أنصرت قين بنى قفيرة محلبا أسراق ليس لبارق التخيير
أسراق انك قد تركت مخلفا وغبار عثريها عليك يشور
تؤتى الكرام مهورهن سياقة ونساء بارق مالهن مهور
ان الملامة والمذلة فاعلموا قدر لأول بارق مقدور
انى بنى لى زاخر من خندق للملك فيه منابر وسرير (٣٨)

وتذكر الرواية أن تقيضة جرير لما أتى بها رسول بشر الى الكوفة
قرئت بالعراق فافحم سراقه البارقي ولم ينطق بشيء بعدها فى حق جرير
وقومه من نزار (٣٩) ، ولكن على ما يبدو أن جريرا لم يكتف بهذا هجاء به
سراقه وبارق اذ سرعان ما عاجله بلكمة أخرى فى شكل أبيات تذكر منها :

فاذا لقيت مجيلا من بارق لاقيت أطبع الناس أخلاقا
الناقصين اذ يعد حصاهم والجامعين مذلة ونفاقا (٤٠)

ومما لاشك فيه أن هذه الواقعة وأمثالها كانت لها آثارها السيئة
فى نفوس القبائل التى لحقت بها المذمة من جراء شعرائها كما حدث بين
بارق الأزديّة وتميم المضرية ، ولما كانت أخبار الشعراء وقصائدهم تطير
فى كل الأرجاء مع سرعة الرياح فقد أدى ذلك الى أن القبائل فى سائر
البلاد كانت تتجاوب مع نظيرتها فى النسب وتنفعل لها ضد خصومها .

(٣٦) ال بارق من ولد حارثة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء من الأزد من
العرب القحطانية .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٢١ .

(٣٧) ديوان جرير : ص ٢٩٩ .

(٣٨) ديوان جرير : ص ٣٠٠ .

(٣٩) الأصفهاني : الأغاني : ج ٨ ص ٦٨ .

(٤٠) ديوان جرير : ص ٣٩٦ .

ويقال أن عبد الملك بن مروان نفسه لجأ الى سياسة التحريش والاغراء في بعض الأحيان فيذكر البلاذري (٤١) أن عياش ابن الزبرقان (٤٢) دخل عليه يوما وعنده روح بن زنباع الجذامي (٤٣) فقال عبد الملك : يا عياش أما ترى هذا اليماني يفخر بملوك اليمن ؟ فما لبث أن لجج التفاخر بين الرجلين وتعصب كل منهما لقومه (٤٤) وليس هذا فقط بل أغرى عبد الملك أيضا بين كثير من هراشة الكلابي والحجاج ابن يوسف الثقفي (٤٥) ، وحرش بن زياد بين المنذر بن الجارود العبدي وعبد الله بن خازم السلمي (٤٦) ، ويظهر أن خلفاء بني أمية كان يطيب لهم دعوة خطباء القبائل الى التفاخر والتباهي حين فقد اليهم وفودهم ويجدون متعة كبيرة في تتبع هذه المساجلات ، فقد شهدت مجالسهم مفاخرات كثيرة منذ أيام معاوية ولذلك كانت كل قبيلة تحرص على أن يكون في عداد وقدها الى الخليفة نخبة من البلغاء والخطباء المفوهين لينطقوا بلسانها عند المفاخرة وتداول أرباب القول ، وقد ذكر الجاحظ أن خطباء نزار واليمن اجتمعوا في مجلس معاوية فلما قام خطباء نزار وذهبوا في خطبهم كل مذهب ولم يستطع خطباء اليمن مجاراتهم قام صبرة ابن شيمان الحداني سيده الأزدي فقال : « يا أمير المؤمنين انا حي فعال ولسنا حي مقال ونحن نبلغ بفعالنا أكثر من مقال غيرنا » (٤٧) . وفي هذا المجال أيضا لا يفوتنا أن نذكر مفاخرة الأبرش الكلبى وخالد بن صفوان في مجلس هشام بن عبد الملك والتي آلى فيها الأبرش الا يفخر مضريا أبدا بعد أن علاه ابن صفوان في القول (٤٨) .

وقد كان لكل هذا أثره في إثارة العصبية بين القبائل حتى أن دعاة بني العباس حاكوا بني أمية في ذلك وأدركوا الفائدة التي يمكن أن تعود عليهم من إثارة العصبية والفتن بين القبائل العربية عن طريق اغراء بعضها ببعض فلما وجه ابراهيم بن محمد أبا مسلم الى خراسان أوصاه أن يقرب اليه اليمانية ويكرمهم وأن يتهم ربيعة في أمرهم (٤٩) وكذلك

(٤١) أنساب الأشراف : ج ١١ ص ٢٥٤ .

(٤٢) من بني عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة من العرب العدنانية : ابن حزم :

الجهرة : ص ٢١٨ .

(٤٣) ابن حزم : الجهرة : ص ٤٢١ .

(٤٤) البلاذري : أنساب الأشراف : ج ١١ ص ٢٥٤ .

(٤٥) ابن عبد البر : الأنباة : ص ٨٩ .

(٤٦) الجاحظ : البيان والتبيين : ج ٢ ص ٢٨٥ .

(٤٧) الجاحظ : البيان والتبيين : ج ١ ص ٣٠٠ .

(٤٨) أنظر ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٣ ص ٢٣٠ .

(٤٩) الطبري : التاريخ : ج ٦ ص ١٤ .

نجح أبو مسلم في اتباع خطة الاغراء بين القبائل في خراسان وأفلح في افساد الأمور بين نصر بن سيار والكرماني بعد أن أوشك الصلح بينهما أن يتم وأن يتحالفا على قتاله واتيح له أن يضرب بهذه الطريقة القبائل اليمينية المضرية وأن يوهن قوى الفريقين وهذا ما سهل عليه القضاء عليهما جميعا في النهاية (٥٠) ، ومن الثابت ان الفتن القبلية في خراسان كانت امتدادا لنظيرتها في الشام فقد قامت في زمن متقارب بل ان هناك دلائل على قيام تعاون وثيق بين القبائل المتحدة الأصل في البلدين فقد ذكر الطبري أن يمانية الشام أرسلوا أيام العصبية في خراسان رجلا منهم لنصرة قومهم ضد خصومهم من المضرية (٥١) .

ثانيا : الفتن القبلية ابتداء من عهد الوليد بن يزيد ودور الخلفاء فيها وسقوط الدولة الأموية .

١ - نهاية عصر الاستقرار :

بعد هدوء الفتن القبلية في بلاد الشام والجزيرة بين قيس وكنان وقيس وتغلب ببطونهم وفروعهم استقرت الأوضاع بصفة عامة بين شتى القبائل من قيس ويمن في ربوع البلاد طوال حقبة استمرت أكثر من نصف قرن يمكن أن نسميها العهد الذهبي في تاريخ بني أمية بداية من أواخر عهد عبد الملك بن مروان ٨٢ هـ - ٧٠١ م وحتى نهاية حكم هشام ابن عبد الملك ١٢٥ هـ - ٧٤٣ م حيث أعلنت القبائل الشامية على اختلاف أصولها ومشاربها ولاءها المطلق لبني أمية وانخرطوا جميعا في غزو الروم وسند ثغور المسلمين (٥٢) ، ولما جاءت حوادث المشرق عامة والعراق خاصة (٥٣) اثارت في القبائل الشامية شعورا بالتضامن والوحدة قضى على كل خلاف داخلي بينهم لأنهم أدركوا أن مصلحتهم لا تكون الا بالاحتفاظ بالخلافة الأموية (٥٤) فتصاونوا جميعا في تقوية دعائمها ونجحوا في القضاء على ثورات الخوارج وخاصة الأزارقة وثورتي ابن الأشعث وابن

-
- (٥٠) الطبري : التاريخ : ج ٦ ص ٣٢ ، الدينوري : الأخبار الطوال : ج ١ ص ٣٦٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٥ ص ٥١٥ .
(٥١) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٤٢٥ .
(٥٢) الطبري : التاريخ : ج ٦ ص ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ١٤٧ .
(٥٣) انظر المبرد : الكامل : ج ٢ ص ١٠٦ ، ابن عبد ربه : العقد : ج ١ ص ٨٣ ، الدينوري : الأخبار الطوال : ص ٢٠٤ ، اليعقوبي : التاريخ : ج ٢ ص ٢٦٠ .
(٥٤) سيده كاشف : الوليد بن عبد الملك : ص ١٠٧ .

المهرب (٥٥) وكانوا أداة لينة في يده الحجاج بن يوسف لضبط العراقيين وبلاد المشرق وتوطيد سلطان بني أمية فيها (٥٦) .

بدأ عصر الازدهار في تاريخ بني أمية من نهاية خلافة عبد الملك ابن مروان الذي استغرق جزءا من عهده في سياسة المصالحة بين القبائل المتصارعة بالشام بعد أن كادت الحروب الدامية أن تقضى عليهم وخاصة قيس التي كانت حاكمة على كلب واليمانية في خلافة كل من معاوية ويزيد ومروان (٥٧)، ولما جاء الوليد بن عبد الملك وضع نفسه فوق كل الحزبات والعصبيات وكان محبوبا من كل أهل الشام (٥٨) فدانوا له بالولاء والطاعة بما فيهم قيس التي كانت تشعر بمحاباة الخلفاء لليمانية على حسابهم فعلا نجمهم في عهد الوليد إذ كانت أمه منهم وهي ولادة العباسية (٥٩) وكان قائده المخلص وواليه على العراق الحجاج بن يوسف قيسيا من ثقيف (٦٠) ومع ذلك فلم يقرب الخليفة إليه أحدا على حساب الآخر فالتف حوله عرب الشام من القيسية واليمانية على حد سواء وكان سلطانه قويا مهابا إذ ترسم سياسة أيه حين وضع نفسه فوق جميع القبائل العربية (٦١) ، وليس صحيحا أن يقال بأن الخليفة عبد الملك ابن مروان ومن بعده ابنه الوليد قد منح الحجاج كل ثقتهما حتى صارت له اليد الطولى في دولتهم لأنه ينتسب إلى ثقيف التي تعد فرعاً من قيس ولكن الثقة في الحجاج كانت لحسن تدبيره وتصرفه ولاخلاصه الشديد لبית الخلافة وللدولة العربية فضلا عن نبوغه وكفاءته وتفوقه الحربي (٦٢) وان كان الحجاج قد اختار معظم مساعديه من قومه وعشيرته فانما ذلك

- (٥٥) البلاذري : التنبيه والاشراف : ص ٣١٥ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ١٨٢ : الطبري : التاريخ : ج ٦ ص ٥٩٠ .
- (٥٦) الطبري : التاريخ : ج ٦ ص ٣٤٦ - ٣٥٠ .
- (٥٧) المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ٨٩ .
- (٥٨) ابن طباطبا : الفخرى في الآداب السلطانية : ص ١٢ .
- (٥٩) اسمها ولادة بنت العباس بن حرب بن الحارث بن زهير بن جذيمة من عيس وهم بطن من بهثة بن سليم من العرب العدنانية ، ولادة هي أم الخليفتين الوليد وسليمان ابني عبد الملك .
- المصعب الزبيري : نسب قريش : ص ١٦١ ، ابن حبيب : المحبر : ص ٢٥ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٢٥٦ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٩١ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ١ ص ١٨٠ ، سيده كاشف : الوليد بن عبد الملك : ص ١١١ .
- (٦٠) ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٦٧ .
- (٦١) سيده كاشف : الوليد بن عبد الملك : ص ١١٢ .
- (٦٢) انظر ابن قتيبة : المعارف : ص ٥٤٧ ، المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ، ص ٩٧ ، الدينوري : الأخبار الطوال : ص ٣٢٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٩ ص ١٢١ وما بعدها ، احسان صدقي العمدة : الحجاج بن يوسف الثقفي : ص ٢٥ .

لثقتهم فيهم وولاهمسم له وليس من المقبول أن يقال بأنه كان زعيم القيسية (٦٣) في ظل سلطان الخلافة الذي كان قويا مهابا من الجميع .

هذا الخليفة سليمان بن عبد الملك (٦٤) حذو أخيه الوليد فلم يتعصب لأى من قبائل العرب من قيس أو يمن فساد الهدوء والاستقرار أرجاء الشام فى عهده ، وكذلك فعل الخليفة عمر بن عبد العزيز الذى بذل غاية جهده لبسط العدل فى ربوع البلاد حتى (٦٥) مدحه جرير بأطيب ما مدح به انسان وقرنه بعمر بن الخطاب (٦٦) فى سياسته وسيرته ولذلك فقد شهدت بلاد الشام جوا من الاستقرار والأمن بعيدا عن العصبية القبلية فى عهد هؤلاء الخلفاء العظام من بنى أمية الوليد وسليمان وعمر ابن عبد العزيز (٦٧) على وجه الخصوص ، فقد عمل هؤلاء غاية جهدهم على أن يجنبوا المجتمع ويلات العصبية والتحيز وما تجر اليه من حروب .

والخلاصة أنه ابتداء من عهد عبد الملك بن مروان وحتى عهد هشام ابن عبد الملك استطاع كل هؤلاء الخلفاء باستثناء يزيد بن عبد الملك أن يسيروا دفة الدولة بعيدا عن تيارات العصبية القبلية ، ولكن العصبية بين قيس وكلب ما لبث أن استعر أوارها بعد وفاة هشام حين جرى الخلفاء على هذا الحزب أو ذاك ، بل ان الخلافة الأموية حطت من قيمتها حين خرق البيت الأموى حياده ودخل طرفا فى الصراع القبلى وكان ذلك من أقوى العوامل التى ساعدت على ذلك الأساس الذى قامت عليه الدولة الأموية (٦٨) .

(٦٣) سيده كاشف : الوليد بن عبد الملك : ص ١١٢ .

(٦٤) تولى الخلافة بعد أخيه الوليد يوم السبت النصف من جمادى الآخرة سنة ٩٦ هـ وكان الناس يتبركون به ويسمونهم مفتاح الخير وذلك أنه أطلق الأسارى وأخلى الحبوس وأحسن الى الرعية وأمر الناس بغزو القسطنطينية وجوز الجيوش برا وبحرا وسير عليها أخاه مسلمة حتى بلغ القسطنطينية فأقام عليها ، وحج سليمان بالناس سنة ٩٧ هـ وكانت وفاته بدابق قرب حلب من أعمال عزاز فى يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة ٩٩ هـ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة وصلى عليه الامام العادل عمر بن عبد العزيز وكانت أيامه سنتين وعشرة أشهر ونصف .

ابن دقماق : الجواهر الثمين فى سير الملوك والسلطين : ج ١ ص ٩١ ، ٩٢ تحقيق كمال الدين عز الدين .

(٦٥) المسعودى : التنبيه والإشراف : ص ٣٢٠ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء : ص ٥١ .

(٦٦) انظر المبرد : الكامل فى اللغة والأدب : ج ١ ص ٤٠١ .

(٦٧) ابن دقماق : الجواهر الثمين : ج ١ ص ٨٦ - ٩٥ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ٢٥٤ .

(٦٨) سيده كاشف : الوليد بن عبد الملك : ص ١١٢ .

عادت روح العصبية الى القبائل العربية بالشام بعد ما يقرب من
 عشرين عاما على اختفائها « ٨٦ هـ - ٧٠٥ م - ١٠٥ هـ - ٧٢٤ م »
 مما أدى الى اندلاع الفتن القبلية مرة أخرى في مركز الدولة بالشام
 واتسمت هذه المرة بالتدخلات المباشرة للخلفاء فيها وكانت البداية ابتداء
 من عهد يزيد بن عبد الملك « ١٠١ هـ - ٧٢٠ م - ١٠٥ هـ - ٧٢٤ م » (٦٩)
 وان لم تتخذ شكلا عنيفا كما حدث لاحقا ، فلما ولي الخلافة يزيد (٧٠)
 بعد عمر بن عبد العزيز تقض سياسة سلفه ازاء القبائل وأظهر تحيزا
 واضحا للقيسية وخاصة أنه كان متزوجا من بنت أخي الحجاج بن يوسف
 من قيس (٧١) وزاد في عطاء القيسية عن اليمانية (٧٢) مما أدى الى
 عودة التوتر والعصبية من جديد بين الفريقين في بلاد الشام وظهرت
 الفتنة أوضح ما تكون في العراق اذ خرج فيها يزيد بن المهلب وهو من
 بني العتيك بن الأزد (٧٣) من العرب اليمانية وكان واليا على العراق في
 عهد سليمان بن عبد الملك فثار على سلطان الخلافة (٧٤) التي تعصبت
 لمضر في عهد يزيد واستطاع أن يحرز بعض الانتصارات في بداية
 الأمر (٧٥) الا أنه هزم وقتل سنة ١٠٢ هـ - في موقعة العقرة (٧٦) على
 يد جيوش الخليفة من قبائل الشام بقيادة أخيه مسلمة بن عبد الملك (٧٧)

(٦٩) ابن دقماق : الجوهر الثمين : ج ١ ص ٩٦ ، ٩٧ .

(٧٠) الطبري : التاريخ : ج ٦ ص ٥٧٤ - ٥٧٨ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء :
 ص ٥١ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٩ ص ٢٣١ ، النويري : نهاية الأرب : ج ٢١ ،
 ص ٣٧٢ .

(٧١) هي أم محمد بنت محمد بن يوسف أخو الحجاج بن يوسف .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٩١ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٦٥ .

(٧٢) الطبري : التاريخ : ج ٦ ص ٥٧٧ .

(٧٣) ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان : ج ٦
 ص ٢٧٨ - ٣٠٩ .

(٧٤) عن فتنة يزيد بن المهلب انظر : الطبري : التاريخ : ج ٦ ص ٥٧٨ - ٦٠٣ ،
 ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ١٥١ ، الذهبي : دول الاسلام : ص ٧١ ، ابن كثير : البداية
 والنهاية : ج ٩ ص ٨٦ .

(٧٥) الطبري : التاريخ : ج ٦ ص ٥٨١ - ٥٨٥ .

(٧٦) العقرة : نسبة الى عقرة بابل قرب كربلاء من الكوفة .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ١٢٦ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ٦١ .

(٧٧) ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٩ ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

وقتل معه معظم أفراد أسرته الا من استطاع الهرب منهم الى بلاد السند
مما يلي فارس شرقا (٧٨) .

تولى العراق في هذه الفترة بأمر من يزيد عمر بن هبيرة الفزاري
من مضر (٧٦) فأساء السيرة في أهل اليمن مما جعل الفتنة تطل برءوسها
غير أنه من يمن الطالع ولسبب كان مقدرا لأطالة عمر الدولة الأموية حقبة
أخرى لم يدم عهد يزيد بن عبد الملك أكثر من أربع سنوات اذ مات في
سنة ١٠٥ هـ - ٧٢٤ م وجاء من بعده هشام بن عبد الملك « ١٠٥ هـ -
٧٢٤ م - ١٢٥ هـ ٧٤٣ م » (٨٠) الذي يعد آخر خلفاء بني أمية العظام
فعمل على اصلاح ما أفسده سلفه باخلال التوازن بين القبائل واثارة نخوة
العصبية القبلية فاتبع سياسة حكيمة بين القيسية واليمانية كفعل من
سبقة من عظماء بني أمية الوليد وسليمان وعمر ، واستهل عهده بأن قرب
اليه قيسا وألحقها بالديوان وأجرى عليها الرواتب والجرايات ونقل كثيرا
من بطونها شبه الجزيرة العربية الى الشام (٨١) حتى صارت كافة
القيسية أنصاره وأتباعه ومع ذلك فلم يتجاهل جانب اليمانية ففي الوقت
الذي كان يقرب اليه رجالا من قيس كان يصطنع أيضا رجالا من اليمانية
فولى العراق خالد بن عبد الله القسري (٨٢) من قبيلة بجيلة بعد أن عزل
عنه ابن هبيرة من قيس قرضية لليمانية الذين قهروا في عهد سلفه يزيد
وقد أخلص له الجميع وكانوا رهن اشارته وبذلك وضع الخليفة هشام
ابن عبد الملك نفسه هو الآخر فوق العصبيات (٨٣) واتبع سياسة مرضية

(٧٨) ابن قتيبة : المعارف : ص ٣٦٤ ، ٤٠٠ ، الطبري : التاريخ : ج ٦ ص ٥٩٠ -
٦٠٤ ، المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ١٣٥ ، المرزباني : معجم الشعراء : ص ٢٦٤ ،
ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٨٣ ، الذهبي : دول الاسلام : ص ٧١ ، ابن كثير : البداية :
ج ٩ ، ص ٨٦ .

(٧٩) اسمه عمر بن هبيرة بن معية بن سكين بن حديج بن بغيض بن مالك الفزاري
ولى العراقين ليزيد بن عبد الملك . ابن حمزة ، الجمهرة : ص ٢٥٥ .
(٨٠) ابن دقماق : الجوهر الثمين : ج ١ ص ٩٦ ، ٩٨ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء :
ص ٣٦٩ .

(٨١) ابن الأثير : الكامل : ج ٥ ص ٢٦٥ .
(٨٢) هو خالد بن عبد الله القسري بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي ، وفد جده
يزيد بن أسد على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم ثم نزل الشام وكان يروى عنه ، وقد
تزوج عبد الله القسري امرأة رومية من أهل النمة النصارى وأنجب منها خالدا الذي ذاع
صيته في أيام بني أمية وولى بلاد العراق واشترى خططا بالكوفة وابتنى بها وله عقب كثيرين
وعدد . البلاذري : أنساب الأشراف : ج ١ ص ٤٠ ، الأصفهاني : الأغاني : ج ١٧
ص ٤ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٢٩٨ ، المبرد : الكامل : ج ٢ ص ٧٥ ، الأمدى .
المؤتلف : ص ٧٩ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ١٢٧ ، ٣٢٧ ، ابن خلكان : وفيات
الأعيان : ج ٣ ص ٢٢٩ ، زيدان : تاريخ التمدن : ج ٤ ص ١٠٩ .
(٨٣) الطبري : التاريخ : ج ٧ ص ١٥٥ .

للمطرفين وساد الشام في عهده السلام والوثام طيلة عشرين عاما شهدت فيها البلاد انتعاشا وازدهارا (٨٤) حضاريا لم تشهده في عهود من جاء بعده من خلفاء بني أمية حتى سقوط الدولة الأموية .

٢ - اندلاع الفتن القبلية وعودة روح العصبيّة الى القبائل وأثرها في زوال دولة بني أمية :

بعد هدوء الفتن والمعارك القبلية بين قيس وكنب وتغلب والتي روعت بلاد الشام والجزيرة في صدر الدولة الأموية استقرت الأوضاع القبلية في البلاد بنهاية عهد عبد الملك بن مروان « ٨٦ هـ - ٧٠٥ م » استقرارا تاما وذلك بفضل حكمة وسياسة الخلفاء من بعده وللظروف الخارجية التي أحاطت بالدولة واقتضت توحيد صفوف القبائل الشامية لمواجهة ، وبنهاية عهد هشام بن عبد الملك ١٢٥ هـ - ٧٤٣ م تكون بلاد الشام وامتدادها في الجزيرة قد شهدت حقبة امتدت زهاء نصف قرن دون أحداث وفتن قبلية ذات شأن مما أتاح لها جوا من الهدوء والاستقرار فاعتبرت من أزهى عصور الدولة العربية الإسلامية حيث عربت الدواوين وسكت النقود العربية (٨٥) ووصلت حركة الفتوح الى أقصاها ونشر السلام رايته في بقاع الأرض (٨٦) وهابها الفرس والروم والمتنصرة .

(١) الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥ هـ ٧٤٣ م) (١٢٦ هـ - ٧٤٤ م) .

كان موت هشام بن عبد الملك فاتحة عهد الفوضى والاضطراب الذي منيت به الدولة الأموية في آخر عهدها والذي لم يدم أكثر من سبع سنوات (١٢٥ هـ - ١٣٢ م) وأدى في النهاية الى تدهورها وسقوطها على نحو مؤسف وذلك حين تجنب الخلفاء منذ الوليد بن يزيد سياسة

- (٨٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٤ ص ٤٥٥ ، المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ١٦١ ، النويري : نهاية الأرب : ج ٢١ ص ٤٠٢ .
- (٨٥) ابن سعد : الطبقات : ج ٥ ص ٧٠ ، البلاذري : فتوح البلدان : ص ٣٠٠ ، ٤٦٨ ، ابن عبد ربه العقد الفريد : ج ٢ ص ٣١٧ ، ج ٣ ص ٢٢ ، ابن منظور : لسان العرب : ج ٢ ص ٧٧ ، ابن خلدون : المقدمة : ص ١٩٢ ، ٢٠٦ .
- (٨٦) انظر الدينوري : الاخبار الطوال : ص ٣١٤ - ٣١٦ ، ابن صاعد : طبقات الامم : ص ١٣٣ ، الاصطخرى مسالك الممالك : ص ٢٨ ، أبو الريحان البيروني : الآثار الباقية من القرون الخالية : ص ١٠٢ ، الذهبي : دول الاسلام : ج ١ ص ٤٦ ، ابن عذاري : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب : ج ٢ ص ٢٤ ، ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس : ص ٤١ ، أخبار مجموعة في تاريخ الأندلس : ص ٢١ ، ٢٢ .

الحياد تجاه القبائل العربية بالشام وانحازوا الى هذا الجانب أو ذاك ، فلما جاء الوليد بن يزيد بن عبد الملك (٨٧) الى الخلافة تعصب للمضرية كأبيه وخالف سياسة من كان قبله من الخلفاء الأقوياء ربما بسبب أن أمه كانت ثقفية من (٨٨) مضر فتعصب لقومها واندفع في تيار العصبية اندفاعا أعمى فاستبعد كل عمال الدولة من اليمانية بصرف النظر عن اخلاصهم وولائهم وجاء بغيرهم من المضرية ومن قيس على وجه الخصوص (٨٩) وليس هذا فقط بل انه اتهم خالد بن عبد الله القسري والى العراق اليمنى فى عهد هشام بمال استبقاه لنفسه من بقايا الخراج وعذبه فيه (٩٠) ، وكان هشام قد عزل خالدا عن عمل العراق وولاه يوسف بن عمر الثقفى (٩١) من قيس الذى أخذ يضيق عليه ويكايدته ويعانده حتى استدعاه هشام الى دمشق لما بلغه أو يوسف يريد التخلص منه ثم أطلق سراحه (٩٢) .

لما مات هشام وجاء الوليد نصح خالد قوما من اليمانية باثارة الفتنة فى دمشق ضد الوليد أو حتى التوارى عنه خشية بطشه به لصلته بالمضرية ويوسف بن عمر وتعصبه لهم ولكن خالدا كره الاثنين حتى لا يقع الشر وتحتدم الفتنة غير أن يوسف بن عمر ظل يسعى لدى الوليد حتى يسلمه خالدا مع أنه كان قد أسن وأصبح لا يقوى على المشى انما يحمل على كرسى (٩٣) ، وقدم به يوسف الى العراق وعذبه عذابا شديدا وهو بصبر ولا يتأوه حتى مات فى سنة ١٢٦ هـ - ٧٤٣ م وأخذ يوسف بن عمر ابنه محمدا وسجنه وسجن الوليد نفسه ابنه يزيد بن خالد (٩٤) .

(٨٧) عن سيرته واخباره انظر : ابن حبيب : المحبر : ص ٢٠ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٣٦٦ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٤ ص ٤٥٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ١٠ ص ٧ ، ٨ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء : ص ٢٧٢ .
 Ency. de L'Islam (Art Walioh, Yazid), 4 p. 1172.

(٨٨) ابن حزم : الجمهرة : ص ٩١ ، ابن اثير : الكامل : ج ٥ ص ٢٦٥ .
 (٨٩) ابن قتيبة : الامامة والسياسة : ج ٢ ص ٢١١ .
 (٩٠) الدينورى : الاخبار الطوال : ص ٢٣٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ١٠ ص ٨ ، الأبيهي : المستطرف : ج ١ ص ٢١٥ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان : ج ٢ ص ٢٢٩ .
 (٩١) عن نسبه وترجمته انظر ابن قتيبة : المعارف : ص ٣٩٨ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ١٩٩ .

(٩٢) الطبرى : التاريخ : ج ٧ ص ٤٩ .
 (٩٣) ابن الاثير : الكامل : ج ٤ ص ٢٦٢ .
 (٩٤) ابن قتيبة : الامامة والسياسة : ج ٢ ص ٢١١ ، الطبرى : التاريخ : ج ٧ ص ٢٥٤ - ٢٦١ « خبر قتل خالد ابن الوليد عبد الله القسري » الدينورى : الاخبار الطوال : ص ٢٣٢ ، ابن الاثير : الكامل : ج ٤ ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

فى خضم هذه الأحداث المؤسفة نسبت الى الوليد بن يزيد قصيدة هجا فيها اليمانية وحقر من شأنهم وفاخرهم بالنزارية وتحداهم أن يأخذوا بثأرهم لخالد القسرى تقول القصيدة :

ونحن المالكون الناس قسرا نسومهم الذلة والنكالا
ونوردهم حياض الخسف ذلا وما نألوهم الا خبالا
وهذا خالد فينا قتيلا الا منعه ان كانوا رجالا
فلو كانت قبائل ذات عز لما ذهبت صنائعه ضلالا
ولكن المذلة ضععتهم فلم يجدوا لذتهم مقالا (٩٥)

وسواء قال الوليد هذه القصيدة أو نسبت اليه فلما شاع أمرها هاج شعراء اليمانية وبادروا الى نقضها ، وانبرى عمران بن هلبان الكلبى يصول ويجول وطرح قصيدته التى يذكر فيها مضرا بهزائمه فى مرج راهط ويفخر عليها باليمانية عامة والبارزين منهم كآل الأشعث وآل المهلب وغيرهم كما يفخر على الوليد رفع أجداده الى عرش الخلافة ويتوعد قيسا بالثأر لمقتل القسرى فقال : يخاطبهم فى شخص الوليد :

جعلنا للقبائل من نزار غداة المرج أياما طوالا
بنا ملك الملك من قريش وأودى جسد من أودى فزالا
متى تلق السكون تلق كلبا بعبس تخش من ملك زوالا
سمنبكى خالدا بمهندات ولا تذهب صنائعه ضلالا
ستلقى ان بقيت مسومات عوابس لا يزايلن الحلالا (٩٦)

وكأن على أثر ذلك أن شارك عدد ضخم من شعراء النزارية واليمانية فى هذه المعركة اللسانية التى احتدم أوارها بعد هياج العصبية على نطاق واسع فى أواخر العصر الأموى بصفة عامة وبعد مقتل خالد القسرى

(٩٥) الدينورى : الأخبار الطوال : ج ١ ص ٣٤٨ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٢٦٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ١٠ ص ٨٠ .
(٩٦) الطبرى : التاميم : ج ٥ ص ٥٤٢ .

صفة خاصة ولم يقتصر ميدان هذه المعركة على الشام فحسب بل امتد الى العراق وخراسان ومصر وغيرها وكل مكان وجدت فيه القيسية واليمانية (٩٧) .

وعلى أية حال فإنه بعد مقتل القسري وما نسب الى الوليد من قول في حق اليمانية هاجت قبائلهم وانبعثت فيهم روح العصبية والرغبة في الثأر مما حل بهم من قتل خالد وحبس ولديه والانتقاص من قدرهم مع ما كان لهم من سبق في نصرة بيت الخلافة (٩٨) واجتمعوا من سائر مدن الشام وعلى رأسهم قضاعة التي كانت قد خلفت كلبا في زعامة اليمانية بالشام في ذلك الوقت وهم أكثر جندة (٩٩) وثاروا ضد الوليد ابن يزيد بن عبد الملك وأعلنوا خلعه (١٠٠) ، وكانت هذه هي المرة الأولى في تاريخ الدولة الأموية التي ثارت فيها اليمانية ضد أحد خلفائها الذين كانوا يؤثرونهم فيما مضى لأنهم كانوا أصحاب الفضل في قيامها لنصرتهم لبنى أمية في صفين ومرج راهط وهما المعركتان اللتان أقامت الدولة الأموية وثبنتا دعائمها .

لم يكتف اليمانية بإعلانهم خلع الوليد بن يزيد بل اجتمعوا على ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك ونادوا به خليفة عليهم فدفعوا به الى الخلافة دفعا وما زالوا به يحرضونه على البيعة لنفسه وساعده في الاستيلاء على دمشق ففرق فيهم الصلات والجوائز (١٠١) وظل الوليد مخلوعا محاصرا في حصن البخراء (١٠٢) بالبادية حتى لقب بخلع بني أمية (١٠٣) ، ولم يستمر الوضع على ذلك كثيرا اذ توجهت اليمانية الى الوليد في حصنه بالبادية على رأس جيش كبير للتخلص منه فأحضر الوليد يزيد بن خالد من محبسه وطلب منه التدخل في رد اليمانية عنه الا أنه انفلت منه وانضم الى مهاجميه من قومه وحينئذ توسل الوليد اليهم بخلع

(٩٧) الاصفهاني : الأغاني : ج ١٥ ص ١٠ .

(٩٨) الطبري : التاريخ : ج ٤ ص ٤١٤ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٢ ، ص ٣١٤ ، المسعودي : التنبيه والاشراف : ص ٣٠٨ ، مروج الذهب : ج ٢ ص ٨٣ ، اليعقوبي : التاريخ : ج ٢ ص ٢٥٦ .

(٩٩) ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٢٦٥ .

(١٠٠) ابن حبيب : المحبر : ص ٣١ ، اليعقوبي : التاريخ : ج ٢ ص ٣٢١ .

(١٠١) ابن قتيبة : الامامة والسياسة : ج ٢ ص ٢١٥ ، المعارف : ص ٣٦٦ .

الذهبي : دول الاسلام : ص ٨٦ .

(١٠٢) البخراء تقع على مسافة ميلين من القليعة في طرف الحجاز .

ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ٣٥٦ .

(١٠٣) ابن طباطبا : الفخرى في الاداب السلطانية : ص ١٢٢ .

نفسه فلم يرتضوا منه (١٠٤) فأخرج اليهم راية مروان بالجابية وقاتلهم بمن معه من مضر الا انه هزم وتفرق اتباعه وبقي في كل وقل فانسحب الى الحصن وامتنع به (١٠٥) وأخذ مصحفا وشره واخذ يقرأ فيه وهو يقول : يوم كيوم عثمان (١٠٦) ، وحاصره جمع من قضاة اليمانية وخلق من أعيان بطونهم وآل الوليد بن عبد الملك ومعهم محمد بن خالد اندي كان قد فر من محبس الوليد ثم تسلق القصر عليه جماعة من اليمانية فيهم يزيد بن غنيسة الذي أراد حبسه حتى يسلمه ليزيد بن الوليد الا أن عشرة من الأمراء هجموا عليه ضربا بالسيف على رأسه ووجهه حتى مات (١٠٧) سنة ١٢٦ هـ وحملت رأسه إلى دمشق حيث احتزها أبو علاقة القضاعي وكانت مدة ولايته سنة واحدة وستة أشهر (١٠٨) وأخذ ولديه الصغيرين عثمان والحكم وتم سجنهما (١٩٠) ، وهكذا كانت نهاية الوليد على هذا النحو المؤلم الذي حاق به من جراء العصبية التي زج بنفسه في غمارها وقتل شاعر اليمانية خلف بن خليفة (١١٠) يشمت به :

لقد سكنت كلب وأسياف مذحج صدى كان يزقوا ليله غير راقد
تركز أمير المؤمنين بخالد مكبا على خيشومه غير ساجد (١١١)

(ب) يزيد بن الوليد بن عبد الملك ١٢٦ هـ - ٧٤٤ م :

كان مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك فاتحة فتن وثورات متصلة بالشام امتدت حتى نهاية عصر بني أمية دون انقطاع وهو مما اعتبر السبب الرئيسي في سقوط دولتهم فلم يعد قتل الوليد الأمن والاستقرار للبلاد ولم يخفف من حدة تيار العصبية القبلية التي اكتوى بنارها سائر الناس والتي كانت سلسلة متصلة الحلقات ، فلما جاء يزيد بن الوليد بن

(١٠٤) ابن قتيبة : الامامة : ج ٢ ص ٢١٥ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٢٦٧ ،

٢٦٨ .

(١٠٥) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٤ ص ٤٥٢ .

(١٠٦) ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ٣٥٦ .

(١٠٧) ابن حبيب : المحبر : ص ٣١ ، اليعقوبي : التاريخ : ج ٢ ص ٢٣٤ ،

النسبى : تاريخ الخلفاء : ص ٢٧٥ .

(١٠٨) تاريخ خليفة بن خياط : ص ٢٨٠ ، ابن العبري : مختصر تاريخ الدول :

ص ١١٨ ، ابن دقماق : الجوهر الثمين : ج ١ ص ١٠٢ .

(١٠٩) ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٢٥٩ .

(١١٠) عنه انظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ج ٢ ص ٦٩٢ .

(١١١) الطبري : التاريخ : ج ٧ ص ٢٦٠ .

عبد الملك الى الخلافة (١١٢) سنة ١٢٦ هـ أمر بإقصاء المضرية عن كل أعمال الدولة وأحل محلهم عمالا من اليمانية مما أحنفهم عليه حتى أنه صار لا يخفى كراهيته لقيس وتمنى لو استطاع القضاء عليهم جميعا متظاهرا بأن ما يدفعه الى ذلك إنما هو غيرته على الدين (١١٣) مما أسخط عليه سائر المضرية ونفر من بنى أمية من أبناء القيسيات فثاروا عليه وكان في طليعتهم مروان بن محمد الذي أظهر الخلاف على يزيد ودعا الى الطلب بدم الوليد وايدهم بعض أهل الأجناد من المضرية الذين ندموا لحدلانهم الوليد وغاظهم افتخار شعراء اليمانية بقتله فضلا عن مجاهرة يزيد لهم بالعداء (١١٤) .

كان الأمر أشد ما يكون في حمص (١١٥) فثار أهلها وطالبوا بدم الوليد والتأر له وأغلقوا أبواب البلد وأقاموا النوائح والبواكي وكاتبوا الأجناد في طلب الأخذ بالتأر (١١٦) على أن يكون الحكم بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١١٧) هو الخليفة عليهم وخلعوا عاملهم مروان بن عبد الله بن عبد الملك (١١٨) وقتلوه وقتلوا ابنه وأمروا عليهم معاوية ابن يزيد بن حصين (١١٩) وساروا نحو دمشق وفيهم أبو محمد السفيناني (١٢٠) فأنفذ اليهم يزيد بن الوليد بن عبد الملك جيشا كثيفا من اليمانية عليه سليمان بن هشام بن عبد الملك وجيشا آخر من ثلاثة آلاف رجل عليه عبد العزيز بن الوليد ليكون عند ثنية العقاب (١٢١) وأمر

(١١٣) المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ١٧٣ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء : ص ٢٥٧ ، ابن دقماق : الجوهر الثمين : ج ١ ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

(١١٣) الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٥٧٢ .

(١١٤) ابن كثير : البداية : ج ١٠ ص ١٢ .

(١١٥) سبق ذكرها وانظر ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٣٠٢ - ٣٠٥ .

(١١٦) الطبري : التاريخ : ج ٧ ص ٢٦٢ ، الدينوري : الاخبار الطوال : ص ٣٣٢ .

(١١٧) من أبناء الأمهات : ابن حزم : الجمهرة : ص ٩١ .

(١١٨) ابن حزم : الجمهرة : ص ٨٩ .

(١١٩) الطبري : التاريخ : ج ٧ ص ٢٦٢ .

(١٢٠) اسمه محمد بن سليمان بن حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وهو المحدث المعروف بزحون وملقب فحمد السفيناني .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٩٠ الطبري : التاريخ : ج ٧ ص ٢٦٣ .

(١٢١) ثنية العقاب مشرفة على غوطة دمشق يطؤها القاصد من دمشق الى حمص او العكس ويقال سميت ثنية العقاب لأن خالد بن الوليد وقف عليها قبل فتح دمشق ناشرًا راية النبي صلى الله عليه وسلم تسمى العقاب .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٨٥ .

سليمان بن مصاد المزى أن يخرج فى ألف وخمسمائة رجل ليكونوا عند عقبة السلمية (١٢٢) ، الا أن أهل حمص تجنبوا جيش سليمان ذات اليسار فأسرع فى طلبهم ولحقهم عند السليمانية (١٢٣) واقتتل الفريقان قتالا شديدا حتى جاء عبد العزيز بن الوليد بمن معه وحمل على أهل حمص فهزموا هربوا وتبعهم الناس يقتلون ويأسرون فنادوا بالكف عنهم على أن يبايعوا يزيد بن الوليد فعفا عنهم وأحسن اليهم وولى عليهم من اختاروه وهو معاوية بن يزيد بن الحصين وأقاموا عنده فى دمشق سامعين مطيعين (١٢٤) ، كذلك كن أهل فلسطين من القيسية قد خلعوا طاعة يزيد بن الوليد وأرادوا أن يولوا عليهم يزيد بن سليمان بن عبد الملك (١٢٥) وفعل مثلهم أهل الأردن من قيس فشقوا عصا الطاعة وأمروا عليهم محمد بن عبد الملك بن مروان (١٢٦) مما جعل يزيد بن الوليد يرسل اليهم جيوش الدماشقة من اليمانية فاضطر أهل الأردن وفلسطين من قيس الى الدخول فى حظيرة الطاعة وهم كارهون وكتب يزيد بامرأة الرملة (١٢٧) الى أخيه ابراهيم بن الوليد (١٢٨) .

وهكذا أصبحت اليمانية بين يدي يزيد بن الوليد بن عبد الملك تأتمر بأمره وتخضع لسلطانه فاستخدمهم فى اخضاع قيسية حمص أول من شق عصا الطاعة بعد قتل الوليد بن يزيد وأجبرهم على المبايعة له وكذلك فعل بأهل فلسطين والأردن من قيس وسائر قيسية الشام الذين لم يبساعوه بالخلافة منذ بداية الأمر (١٢٩) ، وحبس يوسف بن عمر

(١٢٢) بليدة فى ناحية البرية من أعمال حماه وقيل من أعمال حمص وفى طريقها الى حمص قبر النعمان بن بشير .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ٢٤٠ ، ٢٤١ .

(١٢٣) الطبرى : التاريخ : ج ٧ ص ٢٦٤ .

(١٢٤) ابن حبيب : المحبر : ص ٣٢ ، الطبرى : التاريخ : ج ٧ ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

ابن كثير : البداية : ج ١٠ ص ١٣ .

(١٢٥) يزيد والقاسم ابنا سليمان بن عبد الملك بن مروان من أم واحدة وهى

أم يزيد بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٩١ .

(١٢٦) محمد وسعيد ابنا عبد الملك بن مروان كانا ناسكين قتلا يوم أبى فطرس عند

قيام الدولة العباسية .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٨٩ .

(١٢٧) الرملة : من أعمال فلسطين : ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ٦٩ .

(١٢٨) الطبرى : التاريخ : ج ٧ ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٤

ص ٢٧٠ ، ابن كثير : البداية : ج ١٠ ص ١٣ .

(١٢٩) ابن حبيب : المحبر : ص ٣١ ، ٣٢ ، المسعودى : مروج الذهب : ج ٢ ،

ص ١٧٦ .

الثقفي عامل العراق القيسي (١٣٠) في عهد سلفه لما بدا منه من الحق والحق على اليمانية وتعذيبه خالدا القسري حتى الموت (١٣١) ، وكان يوسف قد سجن غالب من ببلاده من اليمانية وأقام الأرصاد على المنافذ خشية جند الخليفة (١٣٢) وأخيرا اضطر الى الهرب في زي النساء (١٣٣) وبلغ يزيد استخفاءه فجاء به مقيدا في الأغلال وحبسه مع الحكم وعثمان ابني الوليد لاستخلاص الحقوق منه واستمر في الحبس خلافة يزيد كلها وشهرين وعشرة أيام من ولاية ابراهيم (١٣٤) وتولى العراق بدله عبد الله ابن عمر بن عبد العزيز سنة ١٢٦ هـ - ٧٤٤ م (١٣٥) .

وبذلك جعل يزيد بن الوليد من اليمانية بالشام سيفاً مسلطاً على رقاب مواطنيهم من قيس في الفترة القصيرة التي تولى فيها الخلافة وهي ما يقرب من ستة أشهر (١٣٦) اتسع فيها نطاق العصبية حتى شمل بلاد العراق وخراسان ولم يستطع يزيد نفسه تهدئة الأوضاع في بلاد الشام الا بعه عناية ومشقة بالغين ولم يتح له أن يجني ثمرة جهوده إذ عاجلته منيته في نفس العام الذي تولى فيه الخلافة في سنة ١٢٦ هـ (١٣٧) ولم يستطع أخوه ابراهيم القبض على ناصية الأمور في هذا الجو المضطرب .

(١٣٠) ابن قتيبة : المعارف : ص ٢٩٨ .

(١٣١) الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٢٢٢ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان : ج ٢ ، ص ٢٢٩ .

(١٣٢) الطبري : التاريخ : ج ٧ ص ٢٧١ .

(١٣٣) انظر تفصيل قصة هرويه والقبض عليه : الطبري : التاريخ : ج ٧ ص ٢٧٢ ، ص ٢٧٤ .

(١٣٤) الطبري : التاريخ : ج ٧ ص ٢٧٤ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٢٧١ ، ص ٢٧٢ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان : ج ٢ ص ٥٤١ .

(١٣٥) ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٢٧٤ .

(١٣٦) ابن دقماق : الجواهر الثمين : ج ١ ص ١٠٤ .

(١٣٧) ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٤ ص ٢٤٧ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٧٦ .

فنازعه في الخلافة مروان بن محمد (١٣٨) وآزره في ثورته عليه سائر
المضرية في كل أنحاء الشام لما حل بهم في عهد يزيد .

وهكذا يتضح لنا ان العصبية القبلية وما تفجر عنها من فتن
وحروب وموقف الخلفاء منها كان له الأثر البالغ على أمن البلاد واستقرارها
وفي حالة القوضى التي وصلت اليها ، وفي أسوأ تطور لها تطاولت الى
الخلفاء أنفسهم ممن زج بنفسه في غمارها وقد ظهر ذلك أوضح ما يكون
حينما وصلت الدولة الأموية الى آخر عهدها وتعاقب عليها بضع خلفاء
ضعاف لم يراعوا حيدة السلطة وبعدها عن تيار التعصب الذي كان سمة
رئيسية في العلاقات بين القبائل العربية في بلاد الشام لقربها من عهد
الجاهلية مما كان له أكبر الأثر في سقوط الدولة الأموية وزوالها .

(ج) ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك ١٢٦ هـ ٧٤٤ م :

قام بالخلافة بعد موت يزيد بن الوليد بن عبد الملك أخوه ابراهيم
ابن الوليد (١٣٩) بعهد منه على أن يتولاها بعده عبد العزيز بن الحجاج
ابن عبد الملك (١٤٠) غير أن خلافته لم تدم أكثر من أربعة أشهر ثم خلع
نفسه لما ظهر له منافس من أهل بيته لذلك كان يسلم عليه تارة بالخلافة

(١٣٨) لما بويح لابراهيم بن الوليد بن عبد الملك بالخلافة لم يبايعه مروان بن محمد
ابن مروان بن الحكم وطلب الخلافة لنفسه واستند في ذلك الى ما قيل من أن الحكم بن
الوليد بن عبد الملك وكان وليا لعهد أبيه قال وهو في حبس يزيد بن الوليد بن عبد الملك قبل
أن يقتل ما يفيد بأنه قد ولي عهده مروان بن محمد قال :

الا يا ليت كلبا لم تلدنا وكنا من ولاة آخرينا
أيذهب عامر بدمي وملكي فلا غشا أصبت ولا سميننا
فان املك انا وولى عهدي فمروان أمير المؤمنيننا

وكان عثمان بن الوليد أخى الحكم بن الوليد هو ولي العهد من بعد أخيه فلما قتل
الاثنان في عهد يزيد بن الوليد بن عبد الملك هب مروان بن محمد يطالب بالخلافة لنفسه .
ابن حبيب : المحبر : ص ٢٢ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، الطبرى :
التاريخ : ج ٧ ص ٣١٢ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٩١ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٤
ص ٢٧٧ .

(١٣٩) ابن دقماق : الجوهر الثمين : ج ١ ص ١٠٥ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان :
ج ٢ ص ٥٤٢ .
(١٤٠) الطبرى : التاريخ : ج ٧ ص ٢٩٥ .

وتارة بالامارة وأحيانا لا يسلم عليه بأى منهما (١٤١) وتفصيل ذلك أنه فى آخر حلقات سلسلة العصبية والفتن القبلية فى بلاد الشام على عهد بنى أمية بين القيسية واليمانية ودور الخلفاء فيها نذكر أن قيسية الشام لم ترض عن ما حل بها على يد يزيد واليمانية فاجتمعوا فى خلافة ابراهيم ابن الوليد وساروا الى مروان بن محمد الذى كان يسيطر على بلاد الجزيرة منذ عهد يزيد ويتحفظ لنيل منصب الخلافة فى أقرب فرصة تأتية وبإيعونه بالخلافة على أن يثار لابن عمه الوليد بن يزيد المقتول (١٤٢) الذى كان متعصبا للمضرية .

ويروى فى خروج مروان أنه لما قتل الوليد بن يزيد ترك بلاد الخزر (١٤٣) التى كن موجودا بها وانصرف الى بلاد الجزيرة واستولى عليها ويذكر كلا من الطبرى وابن الأثير أنه أول من سمى يزيد بالناقص (١٤٤) سبا له وشتية وتلكا فى بيعته ثم بايعه بعد أن أبقاه فى عمله (١٤٥) إلا أنه لما ولي ابراهيم طالبه مروان بدم الوليد (١٤٦) الذى قتله أخوه ونعت الوليد بالخليفة المظلوم تشبيها له بعثمان (١٤٧) ولما أتنه المضرية من أنحاء الشام سار بجنده من أهل الجزيرة قاصدا حمص التى كان أهلها قد رفضوا بيعه يزيد وثاروا عليه لولا أنه أرسل اليهم جيشا قاتلهم وهزمهم ، فلما مات يزيد امتنعوا عن بيعه ابراهيم فأسرع مروان ودخل حمص وسار معه أهلها فى جيش كبير من قيسية الشام قاصدين دمشق (١٤٨) فلما سمع ابراهيم بن الوليد بمسير مروان اليه سارع بإرسال جيش كبير من اليمانية للتصدي له ودارت الحرب بينهما

(١٤١) الطبرى : التاريخ : ج ٧ ص ٢٩٩ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ، القلقشندي : صبح الأعشى : ج ٣ ص ٢٥٨ .

(١٤٢) ابن قتبية : المعارف : ص ٣٦٧ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٢٨٢ ، ابن كثير : البداية : ج ١٠ ، ص ٢١ .

(١٤٣) هو بلاد الترك خلف باب الابواب المعروف بالدريند قريب من سد ذى القرنين ، وقيل أن الخزر اسم اقليم من قصبة تسمى اقل ، واتل اسم لنهر يجرى الى الخزر من الروس والبلغار .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٣٦٧ ، لسترنج بلدان الخلافة الشرقية : ص ٢١٤ « الدريند » .

(١٤٤) ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٢٦٩ .

(١٤٥) انظر تفصيل ذلك : الطبرى : التاريخ ، ج ٧ ص ٢٩٥ - ٢٩٨ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٢٨٢ .

(١٤٦) انظر نص الكتاب الذى أرسله مروان بن محمد الى الغمر بن يزيد أخى الوليد . ابن يزيد يأمره بدم أخيه الوليد .

الطبرى : التاريخ : ج ٧ ص ٢٨١ ، ٢٨٢ .

(١٤٧) البلاذرى : انساب الاشراف : ج ٥ ص ١٨٧ .

(١٤٨) الطبرى : التاريخ : ج ٧ ص ٣٠٠ ، ابن قتبية : المعارف : ص ٣٦٩ .

وهزمت اليمانية وهربت فلولهم (١٤٩) وواصل مروان سيره الى دمشق
 الا أن ابراهيم بن الوليد لم يياس وبعث بجيش آخر من اليمانية لملاقاة
 القيسية الزاحفة اليه وجعل عليهم سليمان بن هشام الذي كان الوليد
 قد حبسه وهرب من محبسه بعد مقتله مع عدد كبير من اليمانية وأهل
 بيت القسرى (١٥٠) والتقى الجيشان في معركة حامية عند عين الجر (١٥١)
 استمرت أياما وانتهت بهزيمة جيش ابراهيم وفرار سليمان وعدد كبير
 من اليمانية الى دمشق (١٥٢) وحينئذ وقعت الفوضى بالمدينة وعظمت
 الفتنة بها اذ سارعت اليمانية بقتل الحكم وعثمان بنى الوليد وقتل يزيد
 ابن خالد القسرى ومواليه يوسف بن عمر لثقفى الذي كان قد قتل أباه
 من قبل بعد أن عذبه وجروا جسده فى الطرقات وأصبحت الأمور على
 أسوأ ما تكون لولا أن سارع مروان بدخول دمشق وأحمد فتنتها وقبض
 على ابراهيم بن الوليد الذى أعلن خلع نفسه من الخلافة وكذلك ولى عهده
 عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ويزيد بن خالد القسرى وغيرهم من
 زعماء اليمانية (١٥٣) .

(١٤٩) ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٢٨٣ ، ابن كثير : البداية : ج ١٠ ص ٢١
 (أحداث سنة ١٢٧ هـ) .

(١٥٠) ابن حبيب : المحبر : ص ٣٢ ، الدينورى : الأخبار الطوال : ص ٣٣٤ ،
 ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٢٨٣ .

(١٥١) عين الجر موضع معروف بالبقياع بين بعلبك ودمشق .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ١٧٧ .

(١٥٢) الطبرى : التاريخ : ج ٧ ص ٣٠٠ ٣٠١ ، ابن قتيبة : المعارف ص ٣٦٧ ،
 حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام : ج ١ ص ٥١٩ .

(١٥٣) ابن قتيبة : المعارف : ص ٣٧٠ ، ابن حبيب : المحبر : ص ٣٣ ، الطبرى :
 التاريخ : ج ٧ ص ٣٠٢ الدينورى : الأخبار الطوال : ص ٣٣٤ ، ابن الأثير : الكامل :
 ج ٤ ص ٢٨٣ ، ابن كثير : البداية : ج ١٠ ص ٢٢ .

(د) مروان بن محمد الجعدي (١٢٧ هـ - ١٧٤٤ م) (١٣٢ هـ - ٧٥٠ م) :

لما دخل مروان بن محمد (١٥٤) دمشق بعد هزيمة اليمانية في عين الجبر بايعه أهلها بالخلافة - ومعظمهم من اليمانية (١٢٧ هـ - ٧٤٤ م) (١٥٥) وهم كارهون له لقهره إياهم وتفضيله للمضرية عليهم مما جعله لا يأمن على نفسه الإقامة بينهم فانتقل إلى حران (١٥٦) قلب ديار مضر في أرض الجزيرة وأقام فيها (١٥٧) غير أن الأمر لم ينته عند هذا الحد إذ رأت اليمانية في تولية مروان الخلافة انتصارا للمضرية عليها وهو ما لا يمكن أن يرضوا به فثارت الكلبية في حمص وما جاورها بعد انتقال مروان إلى حران (١٥٨) مما اضطره إلى العودة لقمع فتنهم . كذلك أرسل جيشا من القيسية إلى الغوطة قتل يزيد بن خالد الذي ثار بها وجيشا آخر إلى فلسطين لقمع فتنة اليمانية فيها (١٥٩) ، وكان أكبر ما قامت به اليمانية

(١٥٤) هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وكنيته أبا عبد الله ، ويقال له مروان الجعدي نسبة إلى الجعد بن درهم بن معلمه ومؤدبه وأمه أم ولد كردية يقال لها لبابة كانت لابراهيم بن الأشتر النخعي الذي حارب مع المختار وقد أخذها محمد ابن مروان يوم قتله فاستولدها مروانا هذا وهو آخر خلفاء بني أمية ومدة خلافته منذ ولي الخلافة سنة ١٢٧ هـ إلى أن قتل سنة ١٤٣٢ هـ خمس سنوات ، ويظهر من سيرة مروان أن أباه محمدا كان من أشد ولد مروان وأشجعهم حتى كان عبد الملك يحسده على شجاعته وهو الذي قتل مصعب بن الزبير بالعراق ، وقد ولي مروان الجزيرة وأرمينية لهشام والوليد بن يزيد وقاتل القبائل الشديدة المراس وكان يوصف بأنه شيخ بني أمية وكبيرهم .

البلادري : انساب الاشراف : ج ١٨٥ ، ابن حبيب : المحبر : ص ٢١ ، ٢٢ ، الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣٢٢ ، ابن كثير : البداية : ج ١٠ ص ٤٦ ، السيوطي : ابن قتيبة : المعارف : ص ٣٦٩ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٤ ص ٤٦٨ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣٢٢ ، ابن كثير : البداية : ج ١٠ ص ٤٦ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء : ص ٢٣٧ ، ابن دقماق : الجواهر الثمين : ج ١ ص ١٠٦ - ١٠٩ .

(١٥٥) الطبري : التاريخ : ج ٧ ص ٣١١ ، الذهبي : دول الاسلام : ص ٨٧ .
(١٥٦) حران مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور بين دجلة والفرات تقع على طريق الموصل والشام والروم .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٢٣٦ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ١٣٤ ، ١٥٧ .

(١٥٧) الطبري : التاريخ : ج ٧ ص ٣١٢ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٢٨٤ .

(١٥٨) الطبري : التاريخ : ج ٧ ص ٣١٢ ، ٣١٣ .

(١٥٩) عن الحروب والفتن والثورات التي وقعت بالشام زمن مروان بن محمد بسبب العصبية انظر بالتفصيل : الطبري : التاريخ : ج ٧ ص ٣١٢ - ٣١٦ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٣٦٩ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٢٨٦ ، ابن كثير : البداية : ج ١٠ ص ٢١ وما بعدها .

من ثورة بعد انتقال مروان الى حران هو انهم جاءوا الى سليمان بن هشام الذي كان مروان تركه بالرصافة ترضية له وألحوا عليه بالخروج على مروان وأعلنوه خليفة سنة ١٢٧ هـ يقارعون به مروان والمضرية فخرج سليمان الى قنسرين قرب حمص وعسكر بها وكانت اليمانية في أنحاء الشام فأتوه من كل مكان فجاء مروان بمن معه من القيسية وحاربه وهزمه فهرب الى حمص بجمع ممن معه ومنها الى تدمر ثم الى العراق (١٦٠) .

وهكذا أدى تعصب مروان للقيسية الى جعل اليمانية في حالة ثورة دائمة ضد الخليفة ومن معه من قيس حتى أنه لما ظهرت الدعوة العباسية كان العرب اليمانية من أكبر أنصارها (١٦١) اذ رأوا فيها وسيلة للقضاء على حكم مروان بن محمد الذي أظهر تعصبا سافرا لقيس على حسابهم ولم يكفوا عن إثارة الفتن والحروب في شتى أرجاء البلاد من كل صنف ولون (١٦٢) مما جعل مروان يبذل جهودا كبيرة لقمعها حتى أنه قضى كل عهده في حروب ووقائع خاضها في صبر وأناة حتى لقب بالحمار (١٦٣) تشبيها له بالحمار في تحمله وصبره على المكاره حتى آخر يوم في حياته .

غير أنه من أعجب ما وقع أن صراع القيسية واليمانية وما جر اليه من حروب وفتن لم يقتصر على مركز الدولة بالشام فقط بل امتد ليشمل كل بلدان الخلافة العربية ولا سيما في العراق وفارس بالاضافة الى مصر وأفريقية والأندلس وبلاد ما وراء النهر وعمان والبحرين ففي كل مكان وجدت فيه القيسية واليمانية قامت بينهما الفتن والمعارك والحروب بسبب ومن غير سبب (١٦٤) صدى لما كان يحدث بالشام وما زج الخلفاء أنفسهم

(١٦٠) الطبرى : التاريخ : ج ٧ ص ٣٢٣ - ٣٢٧ « خبر خروج سليمان بن هشام على

مروان بن محمد » ، ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

(١٦١) المسعودى : مروج الذهب : ج ٢ ص ١٥٥ ، ابن طباطبا : الفخرى : ص ١٢٣ ،

حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام : ج ١ ص ٥١٩ ، زيدان : تاريخ التمدن : ج ١ ، ص ٥٩ .

(١٦٢) ابن قتيبة : المعارف : ص ٣٦٩ ، ابن كثير : البداية : ج ١٠ ص ٢٣ .

(١٦٣) السيوطى : تاريخ الخلفاء : ص ٢٧٨ ، ابن دقماق : الجوهر الثمين : ج ١ ،

ص ١٠٦ .

(١٦٤) عن هذه الفتن والصراعات التى قامت بين القيسية واليمانية في هذه البلدان

انظر الطبرى : التاريخ : ج ٢ ص ٢٩٠ ، المسعودى : مروج الذهب : ج ٢ ص ١٥٥ ،

ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ١٥٥ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٢٧٣ ، ابن كثير :

ان بداية : ج ١٠ ص ٢٣ ، ٢٤ .

فيه ، ففي اليمن قام معن بن زائدة (١٦٥) بقتل عدد كبير من أهلها
اليمانية تعصبا لقومه من ربيعة وغيرها من نزار مما جعل عقبة بن
سلم (١٦٦) بعمان والبحرين يرد على فعل معن بايقاع القتل في قيس من
ربيعة وغيرها كيدا لمعن ونصرة لقومه من قحطان (١٦٧) .

وهكذا انتشرت الحروب والفتن والقبلية بسبب العصبية في كل
أنحاء الدولة وقد هيأت هذه الصراعات والحروب التي اندلعت بين
اليمانية والقيسية وانغماس الخلفاء الأمويين فيها مباشرة منذ عهد يزيد
ابن عبد الملك هيأت بيئة مناسبة لظهور الدعوة العباسية (١٦٨) التي لم
يكن لتستطيع أن تحقق ما أحرزته من انتصارات سريعة من مركز انطلاقها
في خراسان (١٦٩) لولا وقوع الفتن والحروب بين سكان هذا المضر
بسبب العصبية القبلية بين العرب من مضر ويمن وشيوع حالة من الفوضى
والاضطراب واستمرار ذلك حتى الأيام الأخيرة من عمر الدولة الأموية رغم
ظهور الخطر المحدق بالعرب من الطرفين من جانب الخرسانيين واضحا
لكل ذي عين (١٧٠) ، حتى انه لما وقعت الحرب بين جيوش العباسيين
ومعظمها من أهل فارس وجيش مروان بن محمد على نهر الزاب (١٧١)
صارت قبائل الشام تتأخر وكأنما يدفعون دفعا الى القتال بينما عبد الله

(١٦٥) هو معن بن زائدة بن عبد الله بن مطر بن شريك من بنى همام بن مرة بن ذهل
من العرب العدنانية .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٢٦ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان : ج ٥ ص ٢٤٤ .
٥٤٤ .

(١٦٦) اسمه عقبة بن سلم بن نافع بن هلال بن بنى غنيم بن دوس من العرب
القحطانية ، أكثر القتل في ربيعة بعمان والبحرين والبصرة حتى كان ذلك سببا في انحلال
الحلف بين الأزدي وربيعة ، وقتله رجل من ربيعة فتك به في جامع البصر أمام الناس .
ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٨٠ .

(١٦٧) ابن قتيبة : الامامة والسياسة : ج ٢ ص ٢٧٠ ، اليعقوبي : ج ٢ ص ٢٦٨ ،
الشهرستاني : الملل والنحل : ج ١ ص ١١٢ ، النويختي : فرق الشيعة : ص ٣٣ .
(١٦٨) الدينوري : الاخبار الطوال : ص ٣٢٤ ، ابن كثير : الكامل : ج ٤ ص ٣٢٣ ،
وعن خراسان ، انظر ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٣٥٠ - ٣٥٤ .
(١٦٩) الطبري : التاريخ : ج ٧ ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، الدينوري : الاخبار الطوال :
ص ٣٣٩ .

(١٧٠) نهر الزاب الأعلى يجري بين الموصل واربيل ومخرجه من بلاد مشتكر
ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ١٢٣ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ٩٩ ،
١٠٨ .

(١٧١) ابن قتيبة : المعارف : ص ٣٦٧ ، الطبري : التاميم : ج ٧ ص ٤٣٤ ،
الدينوري : الاخبار الطوال : ص ٣٤٧ ، الذهبي : دول الاسلام : ج ١ ص ٦٤ .

ابن علي قائد جيوش العباسيين يمشي قدما (١٧٢) واشتد القتال بين الطرفين ولم يعد يسمع الا وقعا كالمزارب على الحديد وهمهمات المقاتلين بما يشسبه الهرير فلما حمى الوطيس أرسل مروان بن محمد الى قضاة اليمانية يأمرهم بالنزول فقالوا : قل لبنى سليم فلينزلوا فأرسل الى السكاسك أن احملا فقالوا : قل لبنى عامر أن يحملا فأرسل الى السكون أن يقدموا فقالوا : قل لغطفان أن يتقدموا فقال لصاحب شرطة : انزل فقال : لا والله ما كنت لأجعل نفسي غرضا ، قال مروان : أما والله لأسوأك قال : وددت والله انك قدرت على ذلك (١٧٣) ، وهكذا رفضت سائر يمانية الشام القتال الى جانب مروان رغم الخطر المحدق بهم جميعا ولم تستطع المضرية التي أنهكتها حروب قيس وكتب وقيس وتغلب والفتن الأخيرة أن تصمد في وجه الجيوش الزاحفة من خراسان وطحنتهم رحي الحرب فحلت بهم الهزيمة وتبعهم الخراسانيون في ادبارهم يقتلون ويأسرون وكان من غرق منهم أكثر ممن قتل (١٧٤) .

لم يتوقف أمر التعصب القبلي والحقه الكامن والكرامية في النفوس عند الحد الذي دفعت فيه اليمانية مواطنيهم من مضر الى حتفهم أمام أهل فارس بل كان للعصبية القبلية بين القيسية واليمانية من أهل دمشق دور كبير في سهولة تسليمها للعباسيين فقد كانت المدينة محصنة تحصينا قويا ولكن اختلاف أهلها أوهن عزمهم وقت في عضدهم فقد كانوا في صراع دائم فيما بينهم بسبب التعصب ليمن أو مضر حتى في وقت البلاء الجسيم فجعلوا في كل مسجده محرابين وقيلتين لصلاة كل من الطرفين حتى المسجد الجامع وضعوا فيه منبرين وامامين يخطبان يوم الجمعة على المنبرين « وهذا من عجيب ما وقع وغريب ما اتفق وقطيع ما حدث بسبب الفتنة والهوى والعصبية » (١٧٥) .

(١٧٢) ابن كثير : البداية : ج ١٠ ص ٤٤ .

(١٧٣) الطبري : التاريخ : ج ٧ ص ٤٣٤ ، الدينوري : الاخبار الطوال : ص ٣٤٦ .

ابن الاثير : الكامل : ج ٤ ص ٣٤٦ ، ابن كثير : البداية : ج ١٠ ص ٤٤ .

(١٧٤) الطبري : التاريخ : ج ٧ ص ٤٣٤ .

(١٧٥) ابن كثير : البداية والنهاية : ج ١٠ ، ص ٤٥ .

القبائل العربية في بلاد الشام منذ ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الأموي

خاتمة

اتضح لنا من دراسته المقدمة أن الوجود العربي في بلاد الشام لم يكن دخيلا عليها بل كان قديما يرجع الى ما قبل انهيار سد مأرب في القرن الرابع الميلادي ومن بعده ، وذلك باعتبار هذه البلاد الحصبة المتاخمة لبلاد العرب منطقة جذب لسكان الصحراء منذ فجر التاريخ ، وتؤكد هذه الدراسة على ذلك بما لا يدع مجالا للشك فيه ، ومن ثم فقد شهدت بلاد الشام وجودا عربيا راسخا قبل الاسلام وقبل حركة الفتوح . فكانت هناك دائما قبائل الضبجاعم من قضاة القحطانية وهم من أقدم القبائل العربية التي دخلت بلاد الشام ، وتلاهم بنو عمومتهم من كلب وبهراء وبلي وجهينة وسليح وتغلب وتنوخ ونهد بالاضافة الى قبائل كهلان بن سبأ من ولديه مالك وعريب وهي : الأزد « الذين منهم غسان » ولخم وجندام وطى وعاملة وكان تركيزهم في وسط البلاد وجنوبها وكانت كلها ذوات أصول قحطانية دون استثناء .

وبالاضافة الى ذلك كان ينزل شمال الشام والجزيرة المعروفة بجزيرة أقور طوائف شتى من القبائل العربية من تغلب واياذ والنمر بن قاسط من ربيعة العدنانية ، وهذه القبائل النصرانية ظلت على دينها بعد الفتح الاسلامي ولعبت دورا كبيرا في أحداث تلك الفترة التاريخية .

وبصفة عامة فقد كان لقبائل حمير وكهلان منذ القدم علاقات كبرى وصلات وثيقة ببلاد الشام تفوق ما كان لقبائل عدنان من صلوات بهذه البلاد بكثير. لأنها كانت ملجأهم ومستودعهم منذ أيام بعيدة قبل الاسلام دون سواهم من العرب فاستقرت قبائلهم فيها وانتشروا في مختلف ربوعها وحتى في عصر الفتوحات كانت قبائلهم هي الغالبة في الجيوش التي اتجهت اليها .

هذا وقد انفردت قبائل الأزد دون سواها من قبائل عرب الشام بتكوين مملكة الغساسنة تلك الدولة المزدهرة ذات النشاطات السياسية الواسعة التي تعاقب عليها بضع ملوك عظام كان آخرهم جبلة بن الأيهم الذي عاصر الخليفة عمر بن الخطاب ، ومن ثم قبائل أزد اليمن كانت لها الزعامة على سائر القبائل العربية بالشام من وقت قيام الدولة الغسانية وحتى آخر العهد النبوي .

لما ظهر الاسلام في شبه الجزيرة كانت معظم القبائل العربية بالشام تدين بالنصرانية لجاورتهم للروم ، وكانت هذه القبائل من أشد أعداء الدين الجديد - وذلك لتأثير الروم عليهم - قولا وفعلا مما كان يمثل خطرا داهما على بلاد العرب من جهتهم لجاورتهم لشبه الجزيرة من الشمال وهذا ما جعل النبي ﷺ يغزوهم في عقر دارهم فلا لشوكتهم ودرءا لخطرهم وحفظا للتوازن بين الطرفين ، ومن ثم فقد كانت العلاقات بين قبائل الشام وعرب الحجاز طوال العهد النبوي علاقات عدائية صرفة باستثناء قلة قليلة من ليخم وجذام وطىء أعلنوا اسلامهم ووفدوا على المدينة في حياة النبي ﷺ . ورغم ذلك فإن الوجود القبلي القحطاني في صحراء الشام وباديتها كان توطئة لفتح العرب لبلاد الشام تحت راية الاسلام وتثبيتا لدعائم هذا الفتح العظيم اذ لم تلبث بوادر النصر أن لاحت للفاتحين حتى دانت القبائل الشامية لبنى جلدتهم من العرب بالطاعة والولاء ودخلوا في الاسلام فكانوا من الجند المخلصين الذين أعانوا المسلمين على استكمال فتوحاتهم حتى أقصى شمال البلاد .

وتعتبر القبائل اليمنية في بلاد الشام في القرن الأول الهجري بصفة عامة وقبائل قضاعة وكلب بصفة خاصة هي حجر الزاوية في تاريخ تلك الفترة وذلك للدور الكبير الذي قامت به هذه القبائل في سياسة البلاد وشئونها حيث انتشروا في نواح كثيرة من ربوعها في الحضر والبادي ، كما أن معظم هذه القبائل لم يكن مهاجرا كما كانت القبائل الأخرى التي هاجرت الى سائر الأمصار بعد الفتح وإنما كانوا

ببلاد الشام منذ زمن طويل واقعين تحت التأثير اليوناني الروماني وكانوا قبل الاسلام مباشرة تابعين لدولة الغساسنة فتعودوا حياة الحضرة وألفوا سياسة الطاعة والنظام بتأثير الحياة والحضارة البيزنطية ، فضلا عن اتقانهم لفن الحروب الذي اكتسبوه نتيجة الصدام المستمر ضد الروم أو مع الروم ضد الفرس أو مع الروم ضد عرب شبه الجزيرة ففاقوا سائر القبائل الأخرى في هذا المجال وكانوا خير عون لخلفاء بني أمية في حكم الشام ودائما ما كانوا يفخرون على قبائل مضر بأنهم ليسوا مثلهم مهاجرين حديثا الى الشام .

وبينما أسلمت كل القبائل العربية التي كانت بالشام قبل الفتح وانقلبت بالنسبة للدين الجديد من العداء التام الى الاخلاص التام فان غسان لم تقبل الاسلام وارتد زعيمهم وآخر ملوكهم جبلة بن الأيهم ودخل بلاد الروم بقومه في ثلاثين ألفا منهم ، وبذلك انسحبت غسان من مسرح التاريخ في بلاد الشام بعد أن عاشوا فيها ردحا طويلا من الزمن تعدي الستمائة عام وذابوا في بلاد الروم فورثتهم كلب من قضاة في أملاكهم وزعامتهم على سائر القبائل اليمنية .

ومن ثم نرى أن العنصر القحطاني كان هو الغالب على قبائل الشام في ذلك الوقت مما يفسر لنا كيف أن القبائل اليمنية في بلاد العرب كانت أسرع القبائل اجابة لطلب الخليفة أبي بكر في التجمع للفتوح وكانت تؤثر العمل في فتح الشام على العمل في فتح العراق وحتى في فتوح الشام كانت تؤثر المضي الى موطن أسلافها في الجنوب والوسط ، ولذلك فقد غاب العنصر اليمني على القبائل الشامية بعد الفتح كما كان غالبيا عليها قبله مما يوضح لنا كثيرا من الأحداث في تاريخ البلاد لا سيما وأن القبائل المضرية في جيوش المسلمين والمهاجرة الى البلاد بعد الفتح ابتعدت عن موطن تجمع القبائل اليمنية وأثرت الاتجاه شمالا بالقرب من تغلب وإياد العدنانية مما أدى الى ظهور كتلتين اليمنية والقيسية التي شهدت بلاد الشام كثيرا من أحداث العصبية القبلية على أيديهما . فقد ظلت بطون تغلب من ربيعة العدنانية مستاثرة بمنطقة شمال الشام والجزيرة الفراتية من قبل الاسلام فلما جاء الفتح الاسلامي وتدفقت قبائل مضر على الشام سواء التي شاركت في الفتوح أو التي هاجرت بعدها ، اتجهت كلها الى بلاد العدنانية في الشمال مؤثرين جوارهم على جوار اليمنية رغم أن الأخيرين كانوا قد أسلموا وظل الأول على نصرانيتهم ، وكان معظم هذه القبائل من قيس من مضر العدنانية من غطفان وهوازن وثقيف وسليم وباهله وغنى وقشير وكلاب وجشم وغيرها فانتشروا في الجزيرة الفراتية

مجاورين لتغلب وتملكوا حلب ونواحيها وكان تركزم أشد ما يكون في حوران وقرقيسيا والرقّة وحران وقنسرين والرحبة وقد أطلق على منطقة سكناهم « ديار مضر » وغلب عليهم اسم القيسية لأنهم جميعا من أبناء قيس عيلان بن مضر .

تعتبر موقعة اليرموك في رجب سنة ١٥ هـ - ٦٣٦ م من أهم المعارك في تاريخ الاسلام بصفة عامة وفي تاريخ بلاد الشام بصفة خاصة لأنها غيرت الخريطة البشرية لهذه البلاد كما حولتها من النصرانية الى الاسلام ، فقد كان للقبائل التي اشتركت في هذه المعركة دور كبير في تحديد المعالم السكانية لبلاد الشام لفترات طويلة اذ استقرت معظم هذه القبائل في البلاد المفتوحة بعد النصر وازداد عددها بالتوالي ودوام الهجرة لأنها كانت بمثابة طلائع الهجرات العربية الى الأقطار العامرة بعد الاسلام اذ سرعان ما لحق بهذه القبائل كثير من بطونها وعشائرها التي كانت لاتزال بشبه الجزيرة ولم تشترك بعد في معارك الفتح الأولى .

وكانت الكثرة الغالبة لجند المسلمين في موقعة اليرموك من قبائل اليمن وعلى رأسها الأزدي يعاونها جمع من قيس من عبس وكنانة وغطفان وهوازن بقيادة قرشية من أبي عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد بمساعدة الأعلام من اليمن من أمثال قيس بن هبيرة المرادي وعامر بن الطفيل الدوسي وعمرو بن معد يكرب الزبيدي ورافع بن عميرة الطائي ومالك النخعي وغيرهم فكان نصرهم الساحق في اليرموك أول فتح كبير للمسلمين وساما وضعته تلك القبائل على صدر بطونها وعشائرها مما أتاح لها السيادة في تلك البلاد فترة طويلة من الزمن فكانت موضع حسد القبائل القيسية التي هاجرت الى الشام بعد الفتح ولم تحظ بذلك الشرف العظيم الذي سطرته قبائل اليمن بدماء أبنائها .

وبالتالي فانه يمكن أن نقول أن حرب اليرموك وفتوح الشام كانت يمانية الطابع لكثرة من اشترك فيها من قبائل قحطان اليمن من مسلمين ومتنصرة فاذا أضفنا لذلك سكنى القبائل القحطانية لهذه البلاد من قبل الاسلام لأدركنا ان الكثرة الغالبة فيها كانت للعنصر اليمني قبل الاسلام وزمن الفتح ، غير أن السيادة لقبائل اليمن بالشام لم تدم بعد الفتح لكثرة من هاجر اليها من قبائل قيس التي نازعتها السيادة والسيطرة وان كانت لم تساوها في الكثرة العددية لأنه اذا حبسنا القبائل اليمنية المتنصرة من لخم وجذام وقضاعة وبلقين وبلي وبهراء وغيرها التي دخلت الاسلام فضلا عن قبائل الفتح التي كان معظمها من قحطان بالاضافة الى قبائل اليمن

المهاجرة بعد الفتح الى جوار اخوتها وأبناء عمومتها فضلا عن انه مهجرهم المفضل من قبل الاسلام لأدركنا أن التفوق العددي لقبائل اليمن على قبائل قيس بالشام دام لفترة طويلة خلال القرنين الأول والثاني الهجري لأن كثيرا من القبائل القيسية آثرت المضي الى مصر وأفريقيا والأندلس مبتعدة عن مواطن التركيز اليمني عليها تجدد من لاينازعها مما كان له تأثيره على السيادة والزعامة للقبائل العربية في بلاد الشام في ذلك الوقت .

وقد اتضح لنا من دراسة الصراع بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان أنه لم يكن صراعا بين شخصيتين ، أو بين زعيمين ، بقدر ما كان صراعا بين فئتين من القبائل العربية : فئة قبائل العراق ومعظمها من ذوى الأصول العدنانية - وخاصة ربيعة - والتي كان يغلب عليها طابع الحشونة والبداءة والتمرد ، وفئة قبائل الشام ومعظمها من ذوى الأصول القحطانية التي كان يغلب عليها الالتزام بالطاعة وحب النظام وهو ما انتصر به معاوية في صراعه ضد علي ، فبينما شغبت قبائل العراق على امامها أكثر من مرة ، التزمت قبائل الشام طاعة معاوية حتى آخر يوم في حياة علي فكانت خلفه صفا واحدا في الوقت الذي كانت فيه قبائل العراق أشتاتا يعمها الجدل والفوضى والتمرد على طاعة امامهم سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ولما حاولوا الخروج على سلطان الدولة في عهد الأمويين كعادتهم في الشغب والفوضى لم يلقوا من قبائل الشام وولاة بنى أمية الا كل بطش وشدة مما تمتلئ به صفحات الكتب التاريخية وإن كان فيها المبالغة في بعض الأحيان .

وعلى أية حال فقد كانت معركة صفين حربا ضروسا بين القبائل العربية على اختلاف أصولها ضربت فيها قریش وجوه هذه القبائل بعضها ببعض مضرها ويمنها ضربا مبرحا كادت أن تنقصف معه ايادى الاسلام في بلاد الشام على وجه الخصوص لقربه من الروم وبه تغور المسلمين فما أصاب الاسلام في صفين يكاد يعدل مصابهم في فتح الشام كلها لأن القتلى في الطرفين كانوا من المسلمين فلم يرض على من معاوية بغير البيعة والطاعة ولم ير معاوية في نفسه أقل شأنا من علي في البيعة لنفسه بالخلافة وأبى كل منهما الا أن يقض مضجع الآخر بما تحت يده من القبائل التي تنصره فقتل من الطرفين خلق كثير من شتى القبائل فكان وهنا على الاسلام والمسلمين ولولا عناية الله التي تداركت البقية البقية من القبائل المتحاربة لكان قد حدث ما لا يحمد عقباه .

وأيا كان الأمر فإن هذه الحرب الكريمة أنهت حقبة في تاريخ المسلمين وجاءت بغيرها حيث انتهى عهد علي بن أبي طالب ومعه عصر الخلفاء الراشدين وجاء عهد الدولة الأموية فانتقل مركز الخلافة من العراق الى الشام فصارت له الزعامة والسيطرة وتغيرت موازين القوى لصالح القبائل الشامية على حساب القبائل العراقية فبينما تبوأ الأولى مراكز القيادة والزعامة وتميزت في ألفى والعطاء والغنائم حظيت الأخيرة بولاة بنى أمية العتاه من أمثال بسر بن أبي أرطاة وزيايد بن أبيه والحجاج ابن يوسف الثقفي الذين علموهم حسن الطاعة والامتثال للجماعة .

وقد لاحظنا أيضا من الدراسة المقدمة عن القبائل العربية في بلاد الشام أن الوجود القبلي القحطاني كان متركزا في بادية الشام وفي جنوب البلاد ووسطها في فلسطين والأردن وفي حمص ودمشق ممتدا الى تدمر في قلب بادية السماوة بين الشام والعراق بينما تركز الوجود القبلي العدناني في شمال الشام في منطقة الثغور وفي جهات قنسرين وحلب وحماه وفي منطقة الجزيرة الفراتية وخاصة في قرقيسيا وحول نهر الخابور وكان من نتيجة هذا التركيز أنه لم يحدث الاندماج المطلوب بين القبائل اليمانية وكتلة العرب القيسية وقد أدى ذلك الى عودة روح العصبية القبلية القديمة بين القبائل بكل مظاهرها من تفاخر بالأحساب والأنساب والتمسك بتقاليد القبيلة وخاصة في عادة الأخذ بالثأر والسمع والطاعة لكبيرها في كل الأمور وعلان الحرب لاتفه الأسباب وغيرها .

ومع أن هذه العصبية القبلية بمظاهرها المتعددة كانت قد انتهت أو قلت حدتها في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين لالتفاف العرب حول الدين الجديد لاسيما بعد القضاء على حركة الردة ثم خروج العرب للفتوحات الا أنها عادت تطل برأسها من جديد بين القبائل العربية التي سكنت بلاد الشام نتيجة تركزها المتجانس في مناطق بعينها دون أي نوع من الاندماج مما أدى الى وجود الحسد والتنافس والتباغض فيما بينها لأغراض دنيوية ولسياسات الخلفاء المتنوعة ازاء هذه القبائل خاصة وأن الدولة الأموية كانت دولة عربية صرفة يحكمها ويديرها العرب الخالص وهم أصحاب اليد الطولى والكلمة المسموعة فيها .

ومع أن بعض خلفاء بنى أمية اتبعوا سياسة حكيمة متوازنة أو محايدة تجاه هذه الحروب والعصبية بين القبائل الا أن ما يؤسف له أننا وجدنا خلفاء آخرين انغمسوا في هذا التيار القبلي وانحازوا الى أحد الطرفين على حساب الآخر وذلك في الفترة الأخيرة من عصر الدولة الأموية

ابتداء من سنة ١٢٥ هـ - ٧٤٣ م في عهد الوليد بن يزيد مما أدى الى زعزعة أمن واستقرار البلاد وشيوع حالة من الفوضى فيها حتى ان العباسيين أعداء الأمويين وجدوا جوا مناسباً وتربة صالحة للعمل على اسقاط الدولة الأموية وقد تم لهم ذلك بنشر دعوتهم في هذا الجو المضطرب وبعد عدة حروب ومعارك لم تستغرق وقتاً طويلاً وكان للقضية دخل في ذلك أيضاً بسبب ان القبائل العربية التي حاربت في جيش الأمويين كانت تدعو غيرها أن تتقدم للقتال بينما هي تتراجع حتى حلت الهزيمة بالجميع .

فاذا كانت كل دولة عبر عصور التاريخ المختلفة تحمل في طياتها عوامل هدمها فانه يمكن أن نعتبر هذه العصبية الحمقاء بحروبها الوبيطة هي العامل الأساسي في هدم استقرار الدولة العربية التي قامت على اكتاف العرب دون سائر الشعوب التي احتوتها هذه الدولة . ولكل هذه الحروب والفتن القبلية فان الدولة الأموية لم تعمر أكثر من تسعين عاماً وهو ما يقارب عمر رجل مديد ، ولكن العجب كل العجب هو أنه مع قصر عمر هذه الدولة وكل هذه الحروب والفتن القبلية التي اجتاحت مركز الحكم والخلافة في بلاد الشام فان حجم الانجازات التي تمت في عهدها يعتبر عظيماً بمقياس عمرها فبرغم كل هذه العيوب والمشالب فان عهد الأمويين يعتبر من أزهى فترات الدولة العربية ويسجل لها التاريخ بالمجد والفخار أروع الانجازات في تاريخ الاسلام حيث بلغت الفتوحات العربية أقصاها وانفتح العرب على البلدان والمجتمعات الجديدة وانتشر الاسلام وعمت اللغة العربية وذاع صيتها ونقلت كافة الدواوين العاملة في الدولة الى اللغة العربية بعد أن كانت تكتب بالفارسية والرومية وضربت العملات الخاصة بالمسلمين ونشطت الحركة العلمية الدينية فضلاً عن سائر العلوم الانسانية الأخرى .

الملاحق

مدقق رقم (١)

كتاب علي بن أبي طالب الى معاوية بن أبي سفيان
مع جرير بن عبد الله البجلي

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فإن بيعتي بالمدينة لزمته وأنت بالشام ، لأنه بايعني القوم
الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بويعوا عليه ، فلم يكن للشاهد
أن يختار ، ولا للغائب أن يرد وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار ، فإذا
اجتمعوا على رجل فسموه أما ما كان ذلك لله رضا ، فإن خرج من أمرهم
خارج بطعن أو رغبة ردوه الى ما خرج منه ، فإن أبي قاتلوه على اتباعه غير
سبيل المؤمنين ، وولاه الله ما تولى ويصليه جهنم وسبات مصيرا وإن طلحة
والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي ، وكان نقضهما كردهما ، فجاهدتهما على
ذلك حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون . فادخل فيما دخل فيه
المسلمون ، فإن أحب الأمور الى فيك العافية ، إلا أن تعرض للبلاء . فإن
تعرضت له قاتلتك واستعنت الله عليك . وقد أكثر في قتلة عثمان
فادخل فيما دخل فيه المسلمون ، ثم جأكم القوم الى أحملك وإياهم على
كتاب الله . فاما تلك التي تريد فخذة الصبي عن اللبن . ولعمري لئن
نظرت بعقلك دون هوالك لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان . واعلم أنك
من المطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ، ولا تعرض فيهم الشورى . وقد
أرسلت اليك وإلى من قبلك جرير بن عبد الله ، وهو من أهل الايمان
والهجرة . فبأبج ولا قوة الا بالله .

هذه نسخة من ملاحم : وقعة صفين : ص ٢٩ ، ٣٠

ملحق رقم (٢)

كتاب معاوية بن أبي سفيان الى علي بن أبي طالب مع أبي مسلم الخولاني

بسم الله الرحمن الرحيم

من معاوية بن أبي سفيان الى علي بن أبي طالب . سلام عليك ، فاني
أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو . أما بعد فان الله اصطفى محمدا
بعمله ، وجعله الأمين على وحيه ، والرسول الى خلقه ، واجتنبى له من
المسلمين أعوانا أيده الله بهم ، فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم
في الاسلام . فكان أفضلهم في اسلامه ، وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة
من بعده ، وخليفة خليفته ، والثالث الخليفة المظلوم عثمان ، فكلهم
حسدت ، وعلى كلهم بغيت . عرفنا ذلك في نظرك الشزر ، وفي قولك
الهجر ، وفي تنفيسك الصعداء ، وفي إبطائك عن الخلفاء ، تقاد الى كل
منهم كما يقاد الفحل المخشوش حتى تباع وأنت كاره . ثم لم تكن لأحد
منهم بأعظم حسدا منك لابن عمك عثمان ، وكان أحقهم ألا تفعل به ذلك
في قرابته وصهره ، فقطعت رحمة ، وقبضت محاسنه ، وألبت الناس
عليه ، وبطننت وظهرت ، حتى ضربت اليه آباط الإبل ، وقيدت اليه الخيل
العراب ، وحمل عليه السلاح في حرم رسول الله ، فقتل معك في المحلة
وأنت تسمع في داره الهائعة ، لا تردع الظن والتهمة عن نفسك فيه بقول
ولا فعل . فأقسم صادقاً أن لو قمت قيماً كان من أمره مقاماً واحداً تنهه
الناس عنه ما عدل بك من قبلنا من الناس أحداً ، ولمحا ذلك عندهم ما كانوا
يعرفونك به من المجانية لعثمان والبغى عليه . وأخرى أنت بها عند أنصار
عثمان ظنين ايواؤك قتلة عثمان ، فيم عضدك وأنصارك ويدك وبطانتك ،
وقد ذكر لي أنك تتنصل من دمه ، فان كنت صادقاً فأمكننا من قتله نقتلهم

به ، ونحن أسرع (الناس) إليك • والا فإنه ليس لك ولا لأصحابك
الا السيف • والذي لا اله الا هو لنطلبن قتلة عثمان في الجبال والرمال ،
والبر والبحر ، حتى يقتلهم الله ، أو لتلحقن أرواحنا بالله • والسلام •

عن نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ٨٦ ، ٨٧ -

ملحق رقم (٣)

خلفاء بني أمية

٤١ - ١٣٢ هـ - ١٦١ - ٧٥٠ م

هجري	ميلادي	
٤١ - ٦٠	٦٦١ - ٦٨٠	معاوية بن أبي سفيان
٦٠ - ٦٤	٦٨٠ - ٦٨٣	يزيد بن معاوية
٦٤	٦٨٣	معاوية بن يزيد
٦٤ - ٦٥	٦٨٣ - ٦٨٥	مروان بن الحكم
٦٥ - ٨٦	٦٨٥ - ٧٠٥	عبد الملك بن مروان
٨٦ - ٩٦	٧٠٥ - ٧١٥	الوليد بن عبد الملك
٩٦ - ٩٩	٧١٥ - ٧١٧	سليمان بن عبد الملك
٩٩ - ١٠١	٧١٧ - ٧٢٠	عمر بن عبد العزيز
١٠١ - ١٠٥	٧٢٠ - ٧٢٤	يزيد بن عبد الملك
١٠٥ - ١٢٥	٧٢٤ - ٧٤٣	هشام بن عبد الملك
١٢٥ - ١٢٦	٧٤٣ - ٧٤٤	الوليد بن يزيد
١٢٦	٧٤٤	يزيد بن الوليد بن عبد الملك
١٢٦	٧٤٤	إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك
١٢٦ - ١٣٢	٧٤٤ - ٧٥٠	عبد الرحمن بن عبد الملك

المصادر والمراجع

- أولا : المصادر القديمة
- ثانيا : المراجع الحديثة
- ثالثا : المراجع الأجنبية

المصادر والمراجع

أولا : المصادر القديمة :

القرآن الكريم :

ابن الأثير : عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم
ت ٦٣٠ هـ - ١٢٣٣ م .

الكامل في التاريخ ١٣ ج .

دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الخامسة
١٩٨٥ .

أسد الغابة في معرفة الصحابة ٥ ج .

تحقيق محمد إبراهيم البنا وآخرون - القاهرة
١٢٨٥ هـ .

غياث بن غوث بن الصلت « الشاعر » .
ديوان الأختل .

الأختل :

شرح وتحقيق أنطوان صالحياني اليسوعي
المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٨٩١ م .

الأزدى :

محمد بن عبد الله ت ١٧٨ هـ - ٧٩٤ م

تاريخ فتوح الشام .

تحقيق عبد المنعم عبد الله عامر - القاهرة
مؤسسة سجل العرب ١٩٧٠ .

الأزرقى :

أبو الوليد محمد بن عبد الله ت ٢٣٣ هـ -
٨٤٧ م .

أخبار مكة شرفها الله وما جاء فيها من الآثار
تحقيق وستنفيلد - لايبزج ١٨٥٨ م .

الاصطخري :

أبو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي ت ٣٤٠ هـ -
٩٥١ م .

المسالك والممالك

تحقيق جابر الحيني - مراجعة محمد شفيق
غربال .

الأصفهاني :

القاهرة ١٣٨١ هـ دار القلم

حمزة بن الحسن ت ٣٥٥ هـ - ٩٦٦ م

تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء

تحقيق جوتوالد - لايبزج ١٨٤٤ م .

الأصفهاني :

أبو الفرج علي بن الهيثم الأموي ت ٣٥٦ هـ -
٩٦٧ م .

كتاب الأغاني ٢١ ج

طبعة بولاق الأصلية - القاهرة ١٩٣٦ م

الأصمعي :

عبد الملك بن قريب ت ٢١٧ هـ - ٨٣٢ م

تاريخ العرب قبل الاسلام « عن نسخة كتبت

عام ٢٤٣ هـ بخط يعقوب بن السكيت »

تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين - بغداد -

المكتبة العلمية ١٩٥٩ - الطبعة الأولى .

ابن أعثم :

أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي ت نحو ٣١٤ هـ -
٩٢٦ م .

كتاب الفتوح ٤ ج .

بيروت - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى
١٩٨٦ م .

الأمدي :

أبو القاسم الحسن بن بشر ت ٣٧١ هـ - ٩٨١ م
المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم
وألقابهم تصحيح وتعليق د^و فرتيس كرنكو -
بيروت ١٩٨٢ م .

البخاري :

أبو عبد الله محمد بن اسماعيل ت ٢٥٦ هـ -
٨٧٠ م .

صحيح البخاري .

القاهرة ١٣٨٤ هـ طبعة بولاق .

البغدادي :

صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ت ٧٣٩ هـ -
١٣٦٥ م .

مراصد الاطلاع على أسماء الأماكن والبقاع ٣ ج .
« وهو مختصر معجم البلدان لياقوت » .

تحقيق وتعليق على محمد البجاوي .

دلائل أحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي
- القاهرة ١٩٥٤ الطبعة الأولى .

البغدادي :

أبو منصور عبد القادر بن طاهر ت ٤٢٩ هـ -
١٠٣٧ م .

الفرق بين الفرق .

حققه طه عبد الرؤوف سعد - علق عليه محمد
بدر .

القاهرة مؤسسة الحلبي ١٩١٠ .

البكرى :

حسين بن محمد بن الحسن الديار بكرى : ت
٩٦٦ هـ - ١٥٥٩ م .

تاريخ الخميس فى احوال أنفـس النفـيس ٢ جـ
فى مجلد واحد
بيروت بدون تاريخ

البكرى :

أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى الأندلسى
ت ٤٨٧ هـ - ١٠٩٤ م معجم ما استعجم من أسماء
البلاد والموضع ٤ جـ .

حققه وضبطه وشرحه د . مصطفى السقا .
القاهرة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة ١٩٤٧ -
الطبعة الأولى .

البلادى

أبو الحسن أحمد بن يحيى ت ٢٧٩ هـ - ٨٩٢ م
فتوح البلدان .

مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان - بيروت
١٩٨٣ - دار الكتب العلمية .

أنساب الأشراف

ج ١ تحقيق محمد حميد الله - القاهرة ١٩٥٩ م
دار المعارف .

ج ٤ تحقيق ماكس سيمون - القدس ١٩٣٨ م
ج ٥ تحقيق جوايتين - القدس ١٩٣٦ م .

الباحظ :

أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ - ٨٦٩ م
البيان والتبيين ٤ جـ فى مجلدين .

تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة ١٩٧٥
مكتبة الخانجي - الطبعة الرابعة .

جرير :

ابن عطية بن كليب الخطفى « الشعـر »

ديوان جرير

شرح محمد اسماعيل الصاوى - القاهرة ١٣٥٣ هـ
الطبعة الاولى .

الجوهري :

أبو النصر اسماعيل بن حماد ت ٣٩٣ هـ -
١٠٠٣ م

الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية

تحقيق أحمد عبد الغفور عطار - بيروت ١٩٧٩ -
دار العلم للملايين

ابن حبيب :

أبو جعفر محمد بن حبيب ت ٢٤٥ - ٨٦١ م
كتاب المجبر

رواية أبي سعيد الحسن السكري - تصحيح
إيلزة ليختن شتيتتر

بيروت - منشورات دار الآفاق بدون تاريخ
مختلف القبائل ومؤلفها

نشر وستنفيلد - غوتا ١٨٥٠ واعادت طبعة
مكتبة المثنى - بغداد بدون تاريخ

ابن حجر :

شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر
العسقلاني ت ٨٥٢ هـ - ١٤٤٩ م

الاصابة في تمييز الصحابة ٤ ج

تحقيق علي محمد البجاوي - القاهرة - الطبعة
الأولى ١٣٢٨ هـ مطبعة السعادة

ابن أبي الحديد :

الشريف الرضي محمد بن أبي أحمد ت ٤٠٤ هـ -
١٠١٣ م

شرح نهج البلاغة ٤ ج

القاهرة ١٣٢٩ هـ

ابن حزم :

أبو محمد علي بن أحمد ت ٤٥٦ هـ - ١٠٦٤ م
جمهرة أنساب العرب

تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة ١٩٧٧ م -
دار المعارف

جوامع السيرة النبوية

بيروت - دار الكتب العلمية ١٩٨٣ - الطبعة الأولى

الفصل في الملل والأهواء والنحل ٥ ج القاهرة ١٣١٧ هـ

أبو حنيفة الدينوري : أحمد بن داود ت ٢٨٢ هـ - ٨٩٥ م
الأخبار الطوال

تحقيق عبد المنعم عامر - مراجعة جمال الدين الشيال - بغداد ١٩٥٩ مكتبة المثنى

ابن خلدون : عبد الرحمن محمد ت ٨٠٨ هـ - ١٤٠٥ م
العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر
القاهرة ١٢٨٤ هـ طبعة بولاق

ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ت ٦٨١ هـ - ١٢٨٢ م
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان
تحقيق احسان عباس - بيروت ١٩٧٨ دار صادر

ابن دريد : أبو بكر محمد بن الحسن ت ٣٢١ هـ - ٩٣٣ م
كتاب الاشتقاق ٢ ج في مجلد واحد
تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة ١٩٥٨ م
دعبل الخزاعي : دعبل بن علي الخزاعي الشيعي ت ٢٤٦ هـ - ٨٦٠ م

ديوان دعبل الخزاعي
جمعه وقدم له : عبد الصاحب عمران الدجيلي
- بيروت ١٩٢٧ دار الكتاب اللبناني

ابن دقماق : صارم الدين إبراهيم بن محمد ت ٨٠٩ هـ - ١٤٠٧ م

الجواهر الثمين في سير الملوك والسلطين ٢ ج
في مجلد واحد .

تحقيق محمد كمال الدين عز الدين - بيروت
١٩٨٥ - عالم الكتب .

الذهبي :

الحافظ أبو عبد الله شمس الدين ت ٧٤٨ هـ -
١٣٧٤ م .

• دول الاسلام ٢ ج .

تحقيق فهد شلتوت ، محمد مصطفى ابراهيم -
القاهرة ١٩٧٤ - الهيئة العامة للكتاب .

• سير اعلام النبلاء .

تحقيق شعيب الأرناؤوط - مؤسسة الرسالة -
بيروت ١٩٨٥ - الطبعة الثالثة .

الرازي :

زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر
ت ٦٦٦ هـ - ١٢٦٨ م .

• مختار الصحاح .

رتبه محمود خاطر - القاهرة ١٩١١ - الطبعة
الثالثة .

الرازي :

الامام فخر الدين محمد بن عمر ت ٦٠٤ هـ -
١٢٠٧ م .

• التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب .

نشر دار الفند العربي - القاهرة ١٩٩١ - الطبعة
الاولى .

ابن رشيقي :

أبو علي الحسن بن رشيقي القيرواني ت ٤٦٣ هـ -
١٠٧١ م .

• المعتمد في صناعة الشعر وتلقاه .

شرح وتحقيق د . مفيد قمبيح - بيروت . دار
الكتب العلمية ١٩٨٣ الطبعة الاولى .

الزبيدي :

- السيد محمد مرتضى
- تاج العروس من جواهر القاموس
- تحقيق عبد الستار أحمد فراج وآخرين - طبع الكويت بدون تاريخ

ابن سعد :

- أبو عبد الله محمد بن سعد ٢٣٠ هـ - ٨٤٥ م
- الطبقات الكبرى ٨ ج
- دار صادر بيروت بدون تاريخ

ابن سلام :

- محمد بن سلام الجبجي
- طبقات فحول الشعراء
- تحقيق محمود شاكر - القاهرة ١٩٥٢ الطبعة الأولى

السمعاني :

- أبي سعد عبد الكريم بن محمد ت ٥٦٢ هـ - ١١٦٦ م
- كتاب الأنساب
- تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي - مركز الخدمات والأبحاث الثقافية
- بيروت - دار الجنان ١٩٨٨ الطبعة الأولى

السهيلي :

- عبد الرحمن بن عبد الله
- الروض الأثف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ٢ ج
- تحقيق عبد الرحمن الزكي ١٩٦٧ م - القاهرة

ابن شنيده :

- أبو الحسن علي بن اسماعيل النحوي ت ٤٥٨ هـ - ١٠٦٦ م

المختص ٥ ج

- تحقيق لجنة أحياء التراث العربي - بيروت - دار الآفاق

السيوطي :
الحافظ جلال الدين ت ٩١١ هـ - ١٥٠٤ م .
تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة .
القاهرة ١٣٥١ هـ - دار الطباعة المنيرية .

ابن صاعد :
أحمد بن صاعد الأندلسي .
طبقات الأمم .
نشر وتحقيق لويس شيخو اليسوعي - بيروت
١٩١٢ م .

ابن طباطبا :
محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي ت ٧٠٩ هـ -
١٣٠٩ م .

الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية
راجعه محمد عوض إبراهيم وعلى الجارم - القاهرة
١٩٣٨ - مكتبة المعارف .

الطبري :
أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ - ٩٢٢ م
تاريخ الأمم والملوك ١١ ج .
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة
١٩٧٦ م دار المعارف .

الطرماح بن حكيم
الطائي :
« الشعاع » .
ديوان الطرماح .
تحقيق كرنكو - لندن ١٩٢٧ م .

ابن عبد البر :
أبو عمر يوسف بن عبد الله ت ٤٦٣ هـ -
١٠٧١ م .

الانباء على قبائل الرواة .
حققه وقلم له ووضع فهارسه إبراهيم الأبياري
بيروت - دار الكتاب العربي - الطبعة الأولى
١٩٨٥ م .

القصيد والأمم في التعريف بأصول أنساب
العرب والعجم .

تحقيق ابراهيم الابيارى - بيروت ١٩٨٣ - دار
الكتاب العربى *

الاستيعاب فى معرفة الاصحاب ٤ ج على هامش
الاصابة لابن حجر *

القاهرة - مطبعة السعادة - الطبعة الاولى
١٣٢٨ هـ *

ابن عبد ربه :
أحمد بن محمد أبو عمر ت ٣٢٨ هـ - ٩٤٠ م
العقد الفريد ٨ ج *

شرح وضبط أحمد الزين ، ابراهيم الابيارى -
القاهرة ١٩٦٥ م *

أبى عبيد :
القاسم بن سلام ت ٢٢٢ هـ - ٨٣٧ م
كتاب الأموال *

تحقيق محمد خليل هراس - القاهرة ١٩٨١ دار
الفكر *

ابن عساكر :
الحافظ بن هبة الله الدمشقى ت ٥٧١ هـ -
١١٧٦ م *

تاريخ مدينة دمشق وذكر فضائلها وتسمية من
حلها ج ١ ، ٢ تحقيق منجد دمشق ١٩٥١ ،
١٩٥٤ المجمع العلمى العربى *

تهذيب تاريخ دمشق الكبير *

هذه ورثه الشيخ عبد القادر بدران - دار
المسيرة - بيروت ١٩٧٩ *

الطبعة الثانية *

العمرى :
شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فطيل الله ت
٧٤٩ هـ - ١٣٤٩ م *

مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ١ ج *

تحقيق أحمد زكى - القاهرة ١٩٢٤ - دار الكتب
المصرية *

ومنه فصيلة عن قبائل العرب فى القرنين ٧ ، ٨ هـ
دراسة وتحقيق دوزوتيسا كرافولسكى - نشر
بيروت ١٩٨٥ م .

العوتبى :

سلمة بن مسلم العوتبى السحارى من علماء
القرن الخامس الهجرى ولا يعلم تاريخ وفاته .
كتاب الأنساب ٢ ج .

ج ١ المطبعة الشرقية ومكتبتها - عمان - الطبعة
الثانية ١٩٨٤ م .

ج ٢ دار عمان للصحافة والنشر ١٩٨٤ م .

أبو الغداء :

عماد الدين اسماعيل أبى الغداء ت ٧٣٢ هـ -
١٣٣٢ م .

المختصر فى أخبار البشر .

المطبعة الحسينية المصرية - القاهرة - بدون تاريخ .

أبو محمد بن غالب بن صعصعة « الشاعر » .

ديوان الفرزدق ٢ ج فى مجلد واحد .

شرح محمد اسماعيل الصاوى القاهرة ١٩٣٦ م .

الفرزدق :

الفروز ابادى :

مجد الدين أبو طاهر محمد ت ٨١٧ هـ -
١٤١٤ م .

القاموس المحيط ٤ ج فى مجلدين .

القاهرة ١٩٥٢ م مكتبة مصطفى البسابى الحلبي

الفيومى :

أحمد بن محمد بن على ت ٧٧٠ هـ - ١٣٦٩ م .

المصباح المنير ٢ ج فى مجلد واحد .

تحقيق عبد العظيم الشناوى - القاهرة ١٩٧٧ م -

دار المعارف .

ابن قتيبة :

أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينورى

ت ٢٧٦ هـ - ٨٨٩ م .

القبائل العربية - ٤٦٥

- الشعر والشعراء
- تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر - القاهرة - دار المعارف
- كتاب المعارف
- حققه وقدم له ثروت عكاشة - القاهرة - دار المعارف
- الامامة والسياسة ٢ ج
- تحقيق محمد محمود الرافعي - القاهرة ١٩٠٩ م
- عمير بن شبيب « الشاعر »
- ديوان القطامي
- تحقيق ج • بارث - ليدن ١٩٠٢ م
- أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٢١ هـ - ١٤١٨ م
- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب
- دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٤ - الطبعة الأولى
- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان
- تحقيق ابراهيم الأبياري - القاهرة ١٩٨٠ م
- صبح الأعشى في صناعة الانشا ١٤ ج
- القاهرة ١٩٢٠ - دار الكتب المصرية
- الامام شمس الدين محمد بن أبي بكر ت ٧٥١ هـ - ١٣٥٠ م
- ابن قيم الجوزية :
- زاد المعاد في هدى خير العباد ٤ ج في مجلدين
- دار الكتب العلمية - بيروت - بدون تاريخ
- عماد الدين أبي الفداء اسماعيل ت ٧٧٤ هـ - ١٣٧٣ م
- ابن كثير :
- البداية والنهاية في التاريخ ١٤ ج
- القاهرة - دار الغد العربي - ١٩٩٢ م
- تفسير القرآن العظيم ٧ ج
- القاهرة - دار الفكر للطباعة والنشر - ١٩٧٠ م

ابن الكلبي :

أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي
ت ٢٠٤ هـ - ٨١٩ م .

• كتب الأصنام

تحقيق أحمد زكي - القاهرة - الدار القومية -
١٩٦٥ م .

المأوردى :

أبو الحسن علي بن محمد ت ٤٥٠ هـ - ١٠٥٨ م .
الأحكام السلطانية والولايات الدينية .

صححه السيد محمد بدر الدين النعساني
- القاهرة ١٩٠٩ م - مكتبة الخانجي .

المبرد :

أبو العباس محمد بن يزيد ت ٢٨٥ هـ - ٨٩٨ م .
الكامل في اللغة والأدب ٢ ج في مجلد واحد
شرح سيد بن علي الوصفى - بيروت ١٩٣١ م -
مكتبة المعارف .

• نسب عدنان وقحطان

تصحیح عبد العزيز الميمنى الراجكوتى - جامعة
عليكرة - الهند .

القاهرة - ١٩٣٦ - مطبعة لجنة التأليف والترجمة
والنشر .

أبو مخنف :

يحيى بن لوط الأزدي ت ١٥٧ هـ - ٧٧٤ م .
رسالة في الأخذ بالشار وانتصار المختار على
الطغاة الفجار .

تحقيق محمد الشيرازى - بمبای - ١٣٦١ هـ .

المرزبانى :

أبو عبد الله محمد بن عمران ت ٣٨٤ هـ -
٩٩٤ م .

• معجم الشعراء

تصحیح فرتیس کرنگو - بیروت ١٩٨٢ م - دار
الكتب العلمية .

المسعودى :

- أبو الحسن على بن الحسين ت ٣٤٥ هـ - ٩٥٦ م .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر ٤ ج ١٩٧٣ .
- تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - القاهرة ١٩٧٣ - دار الفكر .
- التنبيه والاشراف .
- تحقيق دى غوية - ليدن ١٨٩٤ م .

المصعب الزبيرى :

- أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيرى ت ٢٣٦ هـ - ٨٥٠ م .
- كتاب نسب قریش .

المقرئى :

- نشره وصححه وعلق عليه ليفى بروفنسال القاهرة - دار المعارف - الطبعة الثالثة ١٩٨٢ م .
- تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥ هـ - ١٤٤١ م .
- امتاع الاسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفلة والمتاع .
- صححه ونشره محمود محمد شاكر - القاهرة ١٩٤١ م .
- النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم تحقيق د . حسين مؤنس - القاهرة - دار المعارف ١٩٨٨ م .

ابن منظور :

- جمال الدين أبى الفضل محمد بن مكرم ت ٧١٣ هـ - ١٣١١ م .
- لسان العرب ٢٠ ج .
- القاهرة ١٣٠٨ هـ - طبعة بولاق .

الميدانى :

- أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد النمساورى ت ٥١٨ هـ - ١١٢٢ م .
- مجمع الأمثال ٢ ج .
- القاهرة ١٣٥٢ هـ .

ابن النديم :

- محمد بن اسحق ت ٣٨٣ هـ - ٩٩٣ م
- كتاب الفهرست
- تحقيق فلوجيل - ليبزج ١٨٧٢ م

نشوان :

- ابن سعيد الحميري
- منتخبات في أخبار اليمن
- تحقيق عظيم الدين أحمد - لندن ١٩١٦ م

نصر بن مزاحم :

- أبو الفضل نصر بن مزاحم بن سيار المنقري
- ت ٢١٢ هـ - ٨٢٨ م
- وقعة صفين
- شرح وتحقيق عبد السلام محمد هارون
- القاهرة - مكتبة الخانجي - الطبعة الثالثة
- ١٩٨١ م

نقائص جرير والأخطال : المطبعة الكاثوليكية
بيروت ١٩٢٢ م

النوبختي :

- أبو محمد الحسن بن موسى ٢٣٢ هـ - ٨١٧ م
- كتاب فرق الشيعة
- استانبول ١٩٣١ م

ابن هشام :

- أبو محمد عبد الملك بن هشام ت ٢١٨ هـ -
- ٨٣٣ م
- سيرة النبي ﷺ ٤ ج في مجلدين
- القاهرة ١٣٥٦ هـ - المكتبة التوفيقية

الهملاني :

- أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب ت ٣٣٤ هـ -
- ٩٤٥ م
- ضفة جزيرة العرب
- تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي - أشرف علي
- طبعته محمد الجاسر

منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٣٩٤ هـ -
١٩٧٤ م

الأكليل ٤ ج *

ج ١ ، ٢ تحقيق محمد بن علي الأكوع - القاهرة
١٩٦٣ - ج ٨ نشر نبيه فارس - بغداد ١٩٣١ ،
ج ١٠ نشر محب الدين الخطيب - القاهرة
١٣٦٨ هـ *

الواقدي :

أبو عبد الله محمد بن عمر

ت ٢٠٧ هـ - ٨٢٣ م *

فتوح الشام ٢ ج في مجلد واحد *

تحقيق م . ن . لي . كلكتا - ١٨٥٤ م *

طبعة دار الجيل - بيروت *

وهب بن منبه :

ت ١١٠ هـ - ٧٢٨ م *

التيهان في ملوك حمير *

رواية أبي محمد عبد الملك بن هشام

عن أسد بن موسى عن أبي إدريس بن سنان

عن جده لأمه وهب بن منبه *

تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث

اليمنية - صنعاء ١٩٧٩ م - الطبعة الثانية *

ياقوت الحموي :

شهاب الدين أبي عبد الله

ت ٦٢٢ هـ - ١٢٢٥ م *

معجم البلدان ٥ ج *

نشر وستنفيلد *

بيروت ١٩٨٤ - دار صادر *

اليقوي :

أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر *

ت ٢٨٤ هـ - ٨٩٧ م *

تاريخ اليقوي ٣ ج *

طبع بريل ١٩٦٩ م *

أبو يوسف :

يعقوب بن إبراهيم بن حبيب

ت ١٨٢ هـ - ٧٩٨ م .

• كتاب الخراج

القاهرة ١٣٥٢ هـ - المطبعة السلفية .

ثانيا : المراجع الحديثة :

إبراهيم أحمد العدوى : دكتور .

• النظم الإسلامية

القاهرة - مكتبة الأنجلو - ١٩٧٢ م .

إحسان صدقي العمدة : دكتور .

الحجاج بن يوسف الثقفي - حياته وآراؤه

• السياسية

دار الثقافة - بيروت ١٩٨١ م .

إحسان النمر : دكتور .

العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي

بيروت - دار اليقظة العربية ١٩٦٣ م .

أحمد إبراهيم الشريف : دكتور .

• المدينة في الجاهلية وعهد الرسول

• دار الفكر العربي - القاهرة ١٩٨٥ م .

دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في

القرنين الأول والثاني للهجرة .

القاهرة ١٩٦٨ م .

أحمد اسماعيل علي :

تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل الميلاد حتى نهاية

العصر الأموي .

دمشق - الطبعة الأولى ١٩٨٤ دار دمشق .

- أحمد أمين :
فجر الاسلام •
القاهرة - مكتبة النهضة المصرية - ١٩٦٥ م •
- أحمد زكي صفوت :
جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة
« العصر الجاهلي وصدر الاسلام » •
بيروت - المكتبة العلمية - بدون تاريخ •
- أحمد شلبي :
دكتور •
موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية
ج ٢ الدولة الاموية والحركات الفكرية والثورية
في عهدها •
القاهرة - ١٩٧٤ م - مكتبة النهضة المصرية •
- ادوارد كار :
ما هو التاريخ •
ترجمة أحمد حمدي محمود - القاهرة ١٩٦٢ م •
- ألويس موصل :
شمال الحجاز •
ترجمة عبد المحسن الحسيني - الاسكندرية
١٩٥٢ م •
- أنستاس الكرملي :
النقود العربية وعلم النميات •
مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة ١٩٧٥ - الطبعة
الثانية •
- برنارد لويس :
العرب في التاريخ •
ترجمة نبيه فارس ومحمود يوسف •
بيروت ١٩٥٤ م •
- بروكلمان :
تاريخ الشعوب الاسلامية
ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكي - بيروت
١٩٦٨ م •
- بيك فردريك • ج :
تاريخ شرق الأردن وقبائلها
القدس ١٩٣٤ م •

ترتون :

أهل النعمة في الاسلام
ترجمة وتعليق د. حسن حبشي
القاهرة ١٩٤٩ م .

جبون :

اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها
ترجمة لويس اسكندر
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة
والنشر - القاهرة ١٩٦٩ م .

جواد علي :

المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ١٠ ج
بغداد ١٩٥٢ م .

جورجي زيدان :

العرب قبل الاسلام
مراجعة وتعليق د. حسين مؤنس
دار الهلال - القاهرة - بدون تاريخ
تاريخ التمدن الاسلامي ٥ ج
مطبعة الهلال - القاهرة ١٩٠٦ م .

جوزيف داهموس :

سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى
سلسلة الألف كتاب الثاني - العدد ٤١
ترجمة د. محمد فتحي الشاعر
القاهرة - الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٧ م .

حاجي خليفة :

ملا بكاتب شلبي
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ٢ ج
ترجمة وتحقيق فلوجيل - استانبول ١٩٤١ م .

حسن ابراهيم حسن :

دكتور
تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي
والاجتماعي ٥ ج
القاهرة ١٩٤٨ - مكتبة الآداب .

حسن عثمان :

دكتور
منهج البحث التاريخي
القاهرة ١٩٧٦ - دار المعارف

حسين مؤنس :

دكتور - وآخرون
أطلس تاريخ الاسلام
الزهراء للاعلام العربى - القاهرة ١٩٨٩ م .

خليل يحيى نافع :

نشر نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب
وشرقها
القاهرة ١٩٤٣ م .

ديسو :

العرب فى سورية قبل الاسلام
ترجمة عبد الحميد البواخلى - مراجعة محمد
مصطفى زيادة
الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة - بدون
تاريخ .

زامباور :

معجم الأنساب والاسرات الحاكمة
أخرجه الدكتور زكى محمد حسن بك وحسن
أحمد محمود
اشترك فى ترجمته دكتورة سيدة اسماعيل
كاشف وحافظ أحمد حمدي ، أحمد ممدوح
حمدي .
القاهرة - مطبعة جامعة فؤاد الأول ١٩٥١ م .

زكى محمد حسن :

دكتور .
دراسات فى الموازنة بين المؤرخين فى دار الاسلام
والمؤرخين فى العصور الوسطى .
مجلة كلية الآداب والعلوم ج ٢ - بغداد
١٩٥٧ م .
دراسات فى مناهج البحث فى التاريخ الاسلامى
مجلة كلية الآداب - مجلد ١٢ ، ١٩٥٠ م
الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى القاهرة
١٩٤٥ م .

السيد عبد العزيز سالم : دكتور .

دراسات فى تاريخ العرب ج ١ عصر ما قبل

الاسلام

الاسكندرية ١٩٦٧ - دار المعارف .

تاريخ الدولة العربية منذ ظهور الاسلام وحتى
سقوط الدولة العربية

الاسكندرية ١٩٧٣ مؤسسة الثقافة الجامعية .

السيد محمود شكرى
الألوسى :

بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب

عنى بشرحه وضبطه محمد بهجة الأثرى

بيروت - دار الكتب العلمية - بدون تاريخ .

سبيلة اسماعيل كاشف : دكتورة .

الوليد بن عبد الملك

سلسلة اعلام العرب - الكتاب رقم ١٧
القاهرة ١٩٦٢ - المؤسسة المصرية العامة للتأليف
والترجمة

مصر فى فجر الاسلام من الفتح العربى الى قيام
الدولة الطولونية

القاهرة ١٩٧٠ - دار النهضة العربية - الطبعة
الثانية

مصادر التاريخ الاسلامى ومناهج البحث فيه
القاهرة ١٩٧٦ - مكتبة الخانجي - الطبعة الثانية

شكرى فيصل :

دكتور .

المجتمعات الاسلامية فى القرن الاول الهجرى
القاهرة ١٩٥٢ م .

حركة الفتح الاسلامى فى القرن الاول الهجرى .
بيروت ١٩٥٢ م .

شوقي ضيف :

دكتور .

العصر الاسلامى

القاهرة ١٩٨١ - دار المعارف - الطبعة التاسعة
التطور والتجديد فى الشعر الاموى
القاهرة ١٩٥٩ - الطبعة الاولى

- صالح أحمد العلي : محاضرات في تاريخ العرب
بغداد ١٩٥٩ م .
- صالح الدين المنجد : معجم بنى أمية « استخرجه من تاريخ دمشق
وزاد فيه »
دار الكتاب الجديد - بيروت ١٩٧٠ - الطبعة
الأولى
- ضياء الدين الرئيس : دكتور
عبد الملك بن مروان
القاهرة - سلسلة أعلام العرب
- عبد السميع سالم
الهرأوى : لغة الإدارة في صدر الإسلام
القاهرة - الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٦ م .
- عبد الشافي محمد
عبد اللطيف : دكتور
العالم الإسلامي في العصر الأموي ٤١ - ١٣٢ هـ -
٦٦١ - ٧٥٠ م .
دراسة منيائية
القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٨٤ م .
- عبد العزيز الدوري : دكتور
بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب
دار المشرق - بيروت ١٩٨٣ م .
- عبد العزيز صالح : دكتور
الشرق الأدنى القديم « مصر والعراق »
الطبعة الرابعة ١٩٨٧ - القاهرة - مكتبة
الأنجلو
- عبد الغنى اسماعيل
النبلسي : الحقيقة والمجاز في الرحلة الى بلاد الشام ومصر
والحجاز
تقديم واعداد أحمد عبد المجيد هريدي
القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦ م .

عبد اللطيف الطيباوى : محاضرات فى تاريخ العرب والاسلام
بيروت ١٩٦٦ م .

عبد الله خورشيد دكتور .
البري : القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الأولى
للهجرة

دار الكاتب العربى للطباعة والنشر - القاهرة
١٩٦٧ م .

عبد المنعم ماجد : دكتور .
التاريخ السياسى للدولة العربية ٢ ج
الطبعة السادسة ١٩٨٢ - القاهرة - مكتبة
الأنجلو .

على حسنى الغربوطلى : دكتور .
المختار الثقلى مرآة العصر الاموى
القاهرة - المؤسسة المصرية العامة للتأليف
والترجمة والنشر ١٩٧٠ م .
تاريخ العراق فى ظل الحكم الاموى
القاهرة - دار المعارف - بدون تاريخ .

على منظر :
العصبيية عند العرب فى الجاهلية والاسلام حتى
زوال دولة بنى أمية فى المشرق
القاهرة ١٩٢٣ م .

عمر رضا كجالة :
معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ٥ ج
مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٨٥ - الطبعة
الخامسة

معجم المؤلفين ١٥ ج
بيروت - بدون تاريخ .

عمر عبد السلام تلمري : دكتور .
لبنان من الفتح الاسلامى حتى سقوط الدولة
الأموية
دار جرس برس - طرابلس لبنان - الطبعة الأولى
١٩٩٠ م .

عمر أبو النصر :

عبد الملك بن مروان

بيروت ١٩٦٢ م .

فرائز روزنتال :

علم التاريخ عند المسلمين

ترجمة صالح أحمد العلي - بغداد ١٩٦٣ م .

فلهوذن :

تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية
الدولة الأموية

ترجمة د . محمد عبد الهادي أبو ريده - راجعه
د . حسين مؤنس

القاهرة - لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٩٥٨ م .

فيليب حتى :

تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين

ترجمة : جورج حناد ، عبد الكريم رافق -
راجعه : جبرائيل جبور .

دار الثقافة - بيروت ١٩٥٨ - الطبعة الثانية .

كي لسترنج :

بلدان الخلافة الشرقية

يتناول صفة العراق والجزيرة وايران واقاليهم
آسيا الوسطى منذ الفتح الاسلامي حتى أيام
تيمور

نقله الى العربية وأضاف اليه تعليقات بلدانية
وتاريخية : بشير فرنسيس ، كوركيس عواد
- مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٨٥ الطبعة الثانية

محمد أمين صالح :

دكتور .

العرب والاسلام من البعثة النبوية حتى نهاية
الخلافة الأموية

القاهرة - مكتبة نهضة الشرق ١٩٨٤ م .

محمد بيومي مهران :

دكتور .

تاريخ العرب القديم

الاسكندرية - دار المعرفة الجامعية ١٩٨٨ م .

محمد حميد الله الحيدور : دكتور .
أبّادى :
مجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى
والخلافة الراشدة
القاهرة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة
١٩٤١ م .

محمد الخضرى بك :
محاضرات فى تاريخ الأمم الإسلامية
تحقيق الشيخ محمد العثمانى - بيروت - دار
القلم ١٩٨٦ الطبعة الأولى .

محمد الطيب النجار : دكتور
الموالى فى العصر الأموى
القاهرة ١٩٤٩ - دار النيل للطباعة
الدولة الأموية فى الشرق بين عوامل البناء
ومحاول الفناء
القاهرة - دار الكتاب العربى ١٩٦٢ م .

محمد عابد الجابرى :
العصبية والدولة « معالم نظرية خلدونية فى
التاريخ الإسلامى » .
الدار البيضاء - دار الثقافة - الطبعة الأولى
١٩٧١ م .

محمد عزة دروزة :
تاريخ موجات الجنس العربى وذولها ومآثرها
فى بلاد الشام « سورية ولبنان وفلسطين » قبل
العروبة الصريحة .
بيروت - المكتبة العصرية - بدون تاريخ .

محمد كرد على :
خطط الشام ٦ ج .
دمشق - مكتبة النورى - الطبعة الثالثة
١٩٨٣ م .

محمد ماهر حمادة : دكتور .
الوثائق السياسية العائدة للعصر الأموى
مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٧٤ م .

محمد مبروك نافع :
تاريخ العرب - عصر ما قبل الإسلام
القاهرة ١٩٥٢ م .

محمد محمد مرسى
الشيخ :

الامارات العربية فى بلاد الشام فى القرنين ١١ ،
١٢ م .

الاسكندرية - الطبعة الأولى ١٩٨٠ م - الهيئة
العامة للكتاب

مصطفى أبو ضيف
أحمد :

دكتور .

القبائل العربية فى الأندلس حتى سقوط الخلافة
الأموية .

المغرب - بدون تاريخ .

مصطفى مراد الكبيسي : القبائل العربية وسلالتها فى بلادنا فلسطين .
المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت
١٩٨٦ م - الطبعة الثانية .

موسكاتى :

الحضارات السامية القديمة - لندن ١٩٥٧ م .
ترجمه وزاد عليه د . السيد يعقوب بكر - راجعه
د . محمد القصاص .

دار الكاتب العربى للطباعة والنشر - القاهرة
١٩٥٧ م .

نجيب ميخائيل ابراهيم : دكتور .

مصر والشرق الأدنى القديم .

الطبعة الثالثة - ١٩٦٦ م - دار المعارف .

نظير حسان سعداوى : دكتور .

الدولة العربية الاسلامية ١ - ١٣٢ هـ - ٦٢٢ -
٧٥٠ م .

دار النهضة العربية - القاهرة ١٩٦٧ م .

نلدكه :

أمراء غسان من آل جفنة .

ترجمة بندلى جوزى ، قسطنطين زريق
بيروت ١٩٣٣ م .

- وصفى زكريا : عشائر الشام ٢ ج •
دمشق ١٩٤٧ م •
- ولفنستون : تاريخ اللغات السامية •
القاهرة ١٨٢٩ م - الطبعة الأولى •
- يوسف العش : الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت
لها ابتداء من فتنة عثمان - دمشق ١٩٦٥ م •
- ثالثا : المراجع الأجنبية :

ثالثا : المراجع الأجنبية :

- Bell R., The Origin of Islam in its christian environment.
London 1926.
- Burckhardt : J. L., Travels in Syria and the Holy Land.
London 1822.
- Bury : J.B., A History of the later Roman Empire.
2 Vols London 1931.
- Doughty, Travels in Arabia Deserta.
2ed. London 1921.
- Dussaud : R., Les Arabes en Syrie avant l'Islam.
Paris, 1907.
- Eldon, The Holy Cities of Arabia.
London 1928.
- Encyclopedie de L. Islam.
Par un nombre d'orientalistes.
leyde. 1913.
- Francois Nau, Les Arabs christians de Mesopotamic et de syrie
Paris 1963.
- Gibbon, The decline and foll of the Roman Empire.
6 Vols. London 1950.
- Grant : C. P., The Syrian Desert.
London 1947.
- Grimme, Muhammed - 2 Vols.
Munster 1892.
- Hogarth : D. G., A History of Arabia.
Oxford 1922.
- Huart : C., Histoire des Arabes.
2 Vols, Paris 1912.

Lammens, Etudes sur le règne du Calife Omayyade Mo'awla
ler. Beyrouth 1908.

Etudes Sur le siècle des Omayyades.
Beyrouth 1930.

Le Berceau de L'Islam.
Rom 1914.

Lewis, The Arab in History.
3 ed London 1950.

Margoliouth, Mohamed and the Rise of Islam.
London 1905.

Musil A., Palmyrena.
New - York 1927.
Arabia Deserta.
New - York 1927.
North Nagd.
New - York 1928.

Nicholson R., A Literary History of the Arabs.
Cambridge 1962.

O'Leary De Lacy D. D., Arabia before Mohammed.
London 1927.

Procopius, History of the Wars.
7 Vols London 1951.

Smith W. R., Kinship and Marriage in Early Arabia.
London 1907.

Strabo, Geography, 8 Vols.
London 1949.

Thommin, Histoire de Syrie
2 ed. Paris 1929.

تصويب أخطاء الكتاب

المصواب	الخطأ	رقم السطر	رقم الصفحة
تلك	ساعة كلة	١٣	٥
كتاب	كتب	١٧	٢٠
من	في	٣	٢٣
نزلوا	تركوا	٢	٢٨
الأكاديين	الأكاليين	٤	٢٨
الغرب	العرب	٥	٢٨
ويدوها	ويدورها	٢	٢٤
الهمداني	الهمداني	هامش ٤	٣٤
« من » زيادة على الأصل	—	١٣	٣٧
ودمشق	دمشق	٢٠	٤٥
الأرب	الأدب	هامش ٣	٤٨
معرفة	معركن	هامش ٣	٤٨
عصر	—	٨	٥٦
القحطانية	القحطانية	٨	٥٨
بينها	بينهما	١٨	٥٨
الحضر والبانية	حضر البانية	٢	٦٥
« بنحو ثمانى سنوات وهاشوا فيها	سقط	١٣	٦٥
فسادا مما دفع هرقل الى التحول ..			
العرب	للعرب	٤	٦٩
وهرب	هرب	٣	٧٠
حلاوه	جلاوة	هامش ١	٧١
أيامه	أيامه	هامش ٢	٧١
الندبة	الندبة	هامش ١١	٧٢
فاخبرنى	فاخبرونى	١٣	٧٧
أبو عبيدة	عبيدة	٦	٩٢
عيلة	غيلة	٥	٩٣
واستقبال	واستقبل	٢٢	٩٩
البشر	العشر	هامش ٣	
أبوه	أبيه	٤	١٠٠
فأوطنهم	فأوطنهم	٨	١٠٠
ذلك	لذلك	١٦	١٠١
ليعيته	ليعيته	٦	١٠٣
هديم	هديم	٤	١٠٤
والا لهم	ولا	٢٠	١٠٧
قال	قال	هامش ١٦	١١٣
قرى	ووى	١٨	١١٣

رقم الصفحة	السطر	الخطا	الصواب
١١٤	٩	الداريين	الدار
١١٧	٢	تل	لعل
١١٩	٧	حما	كلمة زيادة وتحذف
١٢٣	٦	المنتصرة	المنتصرة
١٢٥	٧	بفرعها	بفرعها
١٢٦	٦	موافق	طوائف
١٢٦	هامش ١٢	واخوانهم	واخوتهم
١٢٧	٢	اكثر	اكثرهم
١٢٨	١٧	الحميري	الحميري
١٣١	هامش ١١	منتجات	منتخبات
١٣٣	هامش ١٦	الأدب	الأرب
١٣٤	سطر ٢	قمعه	قمعة
١٣٤	هامش ٢	مضى	ضمرة
١٣٤	هامش ٢	سكانهم	سكانهم
١٣٦	س ٣	وكندا	وكندة
١٣٧	س ٤	بالخليل	بالخيل
١٣٧	هامش ٧	—	الى
١٣٨	س ٦	من	وقد
١٣٨	س ٧	يعلمون	يعلم
١٤١	هامش ١٥	الزبيري	الزبيدي
١٤٢	١٢	اليمن	اليمن
١٤٣	٢	وقد	وقد
١٥٩	هامش ٤	قاميه	قاميه
١٥٩	هامش ١٣	كردي	کرد
١٦٠	هامش ٩	بغفرة	بغفرة
١٦٦	هامش ٤	أسعد	سعد
١٦٩	هامش ٤	وعندما	وعندما
١٦٩	٢٤	وعندما	وعندما
١٧٩	١٦	يتقدمهم	ينفذهم
١٨٠	٥	نقد	فقال
١٨١	هامش ٥	البقة	البقة
١٨٤	١٨	القبيلة	القبيلة
١٩٠	٢	تهد	تهد
١٩٠	٣	والأدواء	والأدواء
١٩٤	١٤	وسهد	وسعد
١٩٨	١٥	ميتياس	ميتاس
١٩٩	هامش ١٣	محجم	معجم
٢٠٠	٨	وزبيدة	وزبيدة

رقم الصفحة	السطر	الخطا	الصواب
٢٠١	هامش ١٠	ونصيين	ونصيين
٢٠٩	س ٨	وشارع	وساع
٢١٠	س ٨ هـ	هـ	هم
٢١٤	س ١٦	التخصيص	التخصيص
٢١٦	هامش ١٥	١٦١	١٧٧
ص ٢١٧	هامش ١٣	الهمداني	الهمداني
٢١٨	١٤	وعندما	وعندها
٢٢١	بدل السطر ٧	سقة	في عهد الامويين كعاستهم في الشغب والقوضى لم يتقوا من اهل الشام •
٢٢١	١٤	يكونوا	يكون
٢٣٠	٨	والعراق	العراق
٢٣٠	س ٨ هـ	انصرمها	انصرامها
٢٣١	١٣	صديق	صديقا
٢٣٦	٨	ولو	ولوا
٢٣٧	س ٢٤ هـ	عيد	عن
٢٣٩	٣	وهل	وعلى
٢٤١	٥	موزان	موازن
٢٤٦	٧	فقتله	فقتله
٢٤٦	١٣	الميازة	المبارزة
٢٤٧	٤	لا اقتله	لاقتله
٢٤٨	١٤	وللبلاء	والبلاء
٢٤٨	١٢	اعزبك	اعزبك
٢٥١	٢	لقتله	لقتله
٢٥٣	١٦	الكم	انهم
٢٥٣	هامش ٧	الكمل	الكامل
٢٥٨	٨	منكم	منهم
٢٦٠	٥	لكافؤ	لكافؤ
٢٦٠	٢٣	والفظائع	والفظائع
٢٦٢	١	لقضيته	لقضيته
٢٦٤	٦	اذا	اذا
٢٦٥	٧	ابنته	ابنته
٢٦٦	٣	غضب	كلمة زائدة وتحذف
٢٦٨	٢	باحسا	باحسان
٢٦٩	٧	لييلها	لييلها
٢٧٥	٨	وانشقوا	انشقوا
٢٧٦	٢١	امسكه	احسن
٢٩٣	هامش ١٦	الخطيب	لخطيب
٢٩٥	س ٣	شيعال	شيعان

رقم الصفحة	السطر	الخطا	المصواب
٢٩٥	١٦	احازت	اجارة
٢٩٧	٨	عارة	عمارة
٣٠١	٤	امتعتهم	امتعتهم
٣٠٢	هامش ٢	والنداية	والنهلية
٣٠٣	٧	وبينهما	وبيلها
٣٠٤	٨	عقلة	عقلة
٣٠٨	٢	يشر	يسر
٣١١	١٧	وتناقض	وتناقض
٣١٢	٩	شبتها	شيبيا
٣٢٠	هامش ٢	طمف	طرف
٣٢٢	هامش ٢	محمد	زكى
٣٢٤	هامش ٩	على	عليه
٣٢٤	هامش ٩	يخبرا	يخبر
٣٢٤	١٣	شوكتكم	شوكتهم
٣٢٥	٣	لمصر	لمصر
٣٢٥	٥	ويبلورت	وتبلورت
٣٢٥	١١	اتجاوز	ان تجاوز
٣٤٤	١٠	الاسدى	زيد
٣٤٤	٩	مجلسه	محبه
٣٤٦	٤	زيلم	زيد
٣٤٦	١٧	الذين	الذى
٣٥١	٢	يازا	ياذا
٣٥١	١٠	يسبى	يسبى
٣٥١	١٤	الاموال	الاموال
٣٥٦	١٢	جلبت	جلبت
٣٥٨	٨	انترك	انترك
٣٥٩	هامش ١٨	قبل	قبل
٣٦٣	٢	السطرة	السيطرة
٣٧٠	١	الهجومية	الهجمة
٣٧١	٤	ساقط كلمة	وخلقا
٣٧٣	٥	ونبكي	ونبكي
٣٧٥	هامش ٦	المنته	المنته
٣٨٢	هامش ١٣	الجزية	الجزيرة
٣٨٢	١٤	واحمد	واحمد
٣٨٢	هامش ١٩	الصلحين	الصالحين
٣٨٦	١٤	لانه	ولانه
٣٨٧	هامش ٧	يقارع	يقارع
٣٨٩	١٠	لانها	لانه

رقم الصفحة	السطر	الخطا	الصواب
٣٩١	١٢	خليفة	خليفة
٣٩٣	١٦	يستيقون	يستيقوا
٣٩٤	١٠	عرا	عري
٣٩٤	١٥	وانكار	وانكسار
٣٩٦	١	وجدتهم	وجدتم
٤٠٩	١٣	الديون	الديوان
٤١٠	١٧	الواقعة	الواقعة
٤١٥	٦	حلفاء	خلفاء
٤١٥	هامش ٦	جرائه	جرائه
٤١٧	هامش ١١	هذا الخلاف	هذه الخلافة
٤١٨	هامش ٩	الشرفاء	الاشراف
٤٢٠	٣	زنباغ	زنباع
٤٢٠	٧	بن	بين
٤٢٢	١	المهرب	المهلب
٤٢٥	هامش ٦	حمزة	حزم
٤٢٦	هامش ٧	الممالك	الممالك
٤٢٦	٨	من	عن
٤٣١	٢	اختلفهم	اختلفهم
٤٣١	هامش ١٦	النبي	لنبي
٤٣٢	١٥	اليمامة	اليمانية
٤٣٦	٩	لثقفى	الثقفى
٤٣٧	١	١٧٤٤ م	٧٤٤ م
٤٣٧	هامش ٥	بن	كلمة زائدة وتحذف
٤٣٧	هامش ٢	١٤٣٢ هـ	١٣٢ هـ
٤٣٩	هامش ٧	البصر	البصرة
٤٤٠	٦	شرطة	شرطة
٤٤٠	٧	لاسواك	لاسواك
٤٤١	٤	دراسة	الدراسة
٤٤٤	٣٠	حبسنا	حبسنا
٤٤٦	١	الكريمة	الكريمة
٤٤٦	٣٢	الآخيرة	الآخيرة
٤٤٧	٥	للقضية	للعصية

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥ - ٧
عرض ودراسة لأهم مصادر البحث	٩ - ٢٤
الباب الأول : القبائل العربية في بلاد الشام قبل الاسلام	٢٥ - ٦٠
الفصل الأول : الهجرات القديمة من شبه الجزيرة العربية وسيادة قبائل قضاعة بالشام	٢٧ - ٣٤
الفصل الثاني : قبائل الأزد وملك الغساسنة بالشام	٣٥ - ٦٠
أولا : خروج الأزد من اليمن	٣٥
ثانيا : وصول الغساسنة الى الشام	٣٧
ثالثا : ملك الغساسنة بالشام	٤١
١ - الحرب مع الروم	٤١
٢ - الحرب مع سليح الضجاعم من قضاعة	٤٣
٣ - ملوك الغساسنة	٤٥
الباب الثاني : العلاقات بين قبائل الشام وعرب الحجاز في العهد النبوي	٦١ - ١٢٢
الفصل الأول : أولا : حال العرب في شبه الجزيرة والشام وقت ظهور الاسلام	٦٣
ثانيا : موقف قبائل الشام من الاسلام	٦٨
١ - أهل دومة الجندل	٦٨
٢ - قبائل جذام وغسان	٧٢
٣ - الروم	٧٦

الموضوع	الصفحة
الفصل الثاني : جهاد النبي صلى الله عليه وسلم ضد	
عرب الشام	٨١ - ١٠٤
أولا : سرية زيد بن حارثة الى قوم من جذام بمنطقة	
حسمى في فلسطين سنة ٦ هـ	٨١
ثانيا : سرية كعب بن عمير الغفاري الى ذات أطلاح	
سنة ٨ هـ	٨٢
ثالثا : غزوة موءتة سنة ٨ هـ	٨٣
رابعا : غزوة عمرو بن العاص الى ذات السلاسل	
سنة ٨ هـ	٩٠
خامسا : غزوة تبوك سنة ٩ هـ	٩٣
سادسا : بعث أسامة بن زيد الى آبل الزيت سنة	
١١ هـ	٩٩
الفصل الثالث : وفود القبائل الشامية الى المدينة في حياة	
النبي صلى الله عليه وسلم	١٠٥ - ١٢٢
أولا : جذام	١٠٥
ثانيا : لخم	١١٢
ثالثا : طيء	١١٦
الباب الثالث : الوجود العربي في بلاد الشام بعد الفتح	
الاسلامي	١٢٣ - ٢٠٤
الفصل الأول : القبائل العربية في معارك فتح الشام	١٢٥ - ١٨٢
أولا : القبائل التي خرجت من شبه الجزيرة	
العربية الى بلاد الشام	١٢٥
ثانيا : قبائل غسان المنتصرة وجبله بن الأيهم في	
معارك الفتح	١٤٣
ثالثا : دور القبائل في البرموك وما بعدها	١٦٤
الفصل الثاني : مناطق استيطان القبائل العربية بالشام	
بعد الفتح الاسلامي وأنسابها	١٨٣ - ٢٠٤

٢٠٠ - ٢١٦	الباب الرابع : الحرب بين قبائل الشام وعرب العراق وقيام الدولة الأموية
٢٠٧ - ٢٢٤	الفصل الأول : موقف قبائل الشام من الفتنة بين الخليفة على بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان
٢٠٧	أولا : أسباب الفتنة ووقائعها
٢١٥	ثانيا : زيارة جرير بن عبد الله البجلي الى الشام
٢١٦	ثالثا : مبايعة كندة لمعاوية بن أبي سفيان
٢٢٥ - ٢٧٤	الفصل الثاني : قبائل الشام والعراق في حرب صفين
٢٢٥	أولا : المسير الى صفين
٢٣٠	ثانيا : عزل الأشعث بن قيس عن رئاسة كندة العراق
٢٣٢	ثالثا : موقف أهل الرقة من على بن أبي طالب
٢٣٤	رابعا : القتال على الماء
٢٣٦	خامسا : تعبئة القبائل للحرب
٢٤٢	سادسا : وقائع حرب صفين « رؤية قبلية »
٢٤٢	١ - مذحج
٢٤٤	٢ - خثعم
٢٤٥	٣ - بجيلة
٢٤٦	٤ - غطفان
٢٤٧	٥ - نهد
٢٤٨	٦ - الأزد
٢٤٩	٧ - تميم
٢٥٠	٨ - كندة
٢٥١	٩ - طي
٢٥١	١٠ - حمير وربيعة
٢٥٤	١١ - مذحج وعك

الموضوع الصفحة

١٢ - وقعة الخميس ٢٥٦

١٣ - غسان ٢٥٦

١٤ - قريش ٢٥٧

١٥ - عك والأشعرى وهمدان ٢٦٠

١٦ - قضاة ٢٦٢

١٧ - همدان ٢٦٣

١٨ - الأنصار ٢٦٥٠

١٩ - جزع أهل الشام على قتلاهم ٢٦٨

٢٠ - ليلة الهرير ونهاية حرب صفين ٢٦٩

الفصل الثالث : دور القبائل الشامية والعراقية في قيام

دولة بني أمية ٢٧٥ - ٣٦٦

أولا : أحداث التحكيم ٢٧٥

١ - رفع المصاحف واختلاف أهل العراق ٢٧٥

٢ - اجتماع الحكمين بدومة الجندل ٢٨٣

ثانيا : ضم مصر الى طاعة أهل الشام ٢٨٦

١ - الاعداد لغزو مصر ٢٨٦

٢ - حملة عمرو بن العاص على مصر ٢٩٠

ثالثا : حملات معاوية بن أبي سفيان ضد علي بن

أبي طالب ٢٩٢

١ - فتنة ابن الحضرمي في البصرة ٢٩٢

٢ - حملة النعمان بن بشير الأنصاري على

عين التمر ٢٩٧

٣ - حملة سفيان بن عوف على هيت والأنبار

والمدائن ٢٩٨

٤ - حملة عبد الله بن مسعدة الفزاري على

تيماء ٢٩٩

٥ - حملة الضحاك بن قيس على أطراف

العراق ٣٠٠

الموضوع	الصفحة
٦ - حملة عبد الرحمن بن أشيم على بلاد الجزيرة العراقية	٣٠٢
٧ - حملة يزيد بن شجرة الرهاوى على مكة	٣٠٣
٨ - حملة بسر بن أبى أرطاة الفهرى على بلاد الحجاز واليمن	٣٠٦
رابعاً : مقتل على بن أبى طالب وتسليم الحسن ابن على بالبيعة لمعاوية بن أبى سفيان وقيام الدولة الأموية	٣١١
الباب الخامس : العصبية القبلية فى أهل الشام وأثرها على الدولة الأموية :	٣١٧ - ٤٤٠
الفصل الأول : العصبية عند العرب وفى قبائل الشام .	٣١٩ - ٣٥٤
أولاً : مفهوم العصبية ومظاهرها وموقف الاسلام منها	٣١٩
ثانياً : تطور العصبية فى الأمصار	٣٢٧
ثالثاً : مظاهر تأثير العصبية فى قبائل الشام .	٣٣٢
رابعاً : دور الفصحاء والشعراء فى إثارة العصبية والنصرة القبلية	٣٣٩
الفصل الثانى : الحروب القبلية فى بلاد الشام	٣٥٥ - ٤١٠
أولاً : الحرب بين القيسية واليمانية	٣٥٥
(أ) موقعة مرج راهط	٣٥٥
(ب) الوقائع التى حدثت بين قيس وكنب بعد يوم المرج	٣٧٢
ثانياً : الحرب بين قيس وقبيلة تغلب النصرانية .	٣٨٤
(أ) دواعى الحرب القيسية التغلبية	٣٨٤
(ب) الوقائع الحربية بين قيس وتغلب	٣٨٩
١ - وقعة يوم ماكسين	٣٩٣
٢ - وقعة يوم الثرثار الأول	٣٩٤
٣ - وقعة الثرثار الثانى	٣٩٦

الموضوع	الصفحة
٤ - أيام متفرقة من حرب قيس وتغلب .	٣٩٨
٥ - موقعة الحشاش	٣٩٩
٦ - موقعة الكحيل	٤٠٢
٧ - موقعة البشر	٤٠٤
الفصل الثالث : القبائل العربية بالشام ودورها في سقوط	
الدولة الأموية	٤١١ - ٤٤٠
أولا : سياسة الدولة الأموية تجاه القبائل وزعمائها	
١ - سيطرة الدولة على نفوذ زعماء القبائل	٤١١
والحد من سلطانهم	٤١١
٢ - مسئولية بنى أمية تجاه العصبية	٤١٣
والروح القبليية	٤١٣
(أ) سياسة المصاهرات	٤١٤
(ب) العصبية لقريش	٤١٦
(ج) التحريش بين الشعراء والأشراف	٤١٧
ثانيا : الفتن القبليية ابتداء من عهد الوليد بن يزيد	
ودور الخلفاء فيها وسقوط الدولة الأموية .	٤٢١
١ - نهاية عصر الاستقرار	٤٢١
٢ - اندلاع الفتن القبليية وعودة روح	
العصبية الى القبائل وأثرها في زوال	
دولة بنى أمية	٤٢٦
(أ) الوليد بن يزيد بن عبد الملك .	٤٢٦
(ب) يزيد بن الوليد بن عبد الملك .	٤٣٠
(ج) إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك .	٤٣٤
(د) مروان بن محمد الجعدي	٤٣٧
الخاتمة :	٤٤١ - ٤٤٧
الملاحق :	٤٤٩ - ٤٥٢
المصادر والمراجع	٤٥٣ - ٤٨٣

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩٨/٧٤٧٦

ISBN — 977 — 01 — 5686 — 8

يتناول هذا الكتاب حياة القبائل العربية فى بلاد الشام
فى فترة من أهم فترات التاريخ العربى الإسلامى هى
بمثابة القاعدة له، وذلك فى إطار ارتباط وثيق بين التاريخ
والأنساب بغرض تعميق المعرفة التاريخية وتأصيل قيمتها
باسناد كل حدث إلى من قام به، لأن المسلمين الذين
صنعوا أحداث التاريخ الإسلامى هم جماع قبائل عربية
متعددة مختلفة الأصول والمشارب مما يؤكد وقوع الحدث
التاريخى بما لا يدع مجالاً للشك فيه، ومن ثم فهذه
الدراسة معالجة حيوية لأنساب القبائل فى إطار من
الأحداث التاريخية بعيداً عن الجداول الرقمية
والإحصاءات الجامدة التى لم تعد تصلح وحدها لدراسة
التاريخ .

والله الموفق

المؤلف